

رواية



أُنْتَلِي

د. منى المرشود



إطيساف للنشر والتوزيع

توفي عمي و زوجته في حادث مؤسف قبل شهرين ، و تركا طفلتهم الوحيدة (رغد) و التي تقترب من الثالثة من عمرها ... لتعيش يتيمة مدى الحياة .

في البداية ، بقيت الصغيرة في بيت خالتها لترعاها ، و لكن ، و نظرا لظروف خالتها العائلية ، اتفق الجميع على أن يضمها والدي إلينا و يتولى رعايتها من الآن فصاعدا .

أنا و أختي لا نزال صغارا ، و لأنني أكبرهم سنا فقد تحولت فجأة إلى رجل راشد و مسؤول (بعد حضور رغد إلى بيتنا .

كنا ننتظر عودة أبي بالصغيرة ، (سامر) و (دانة) كانا في قمة السعادة لأن عضو جديد سينضم إليهما و يشاركهما اللعب !

أما والدي فكانت متوترة و قلقة

أنا لم يعن لي الأمر الكثير

أو هكذا كنت أظن !

وصل أبي أخيرا ..

قبل أن يدخل الغرفة حيث كنا نجلس وصلنا صوت صراخ رغد !

سامر و دانة قفزا فرحا و ذهبوا نحو الباب راكضين

"بابا بابا ... أخيرا " !

قالت دانة و هي تقفز نحو أبي ، و الذي كان يحمل رغد على ذراعه و يحاول تهدئتها لكن رغد

عندما رأتنا ازدادت صرخاتها و دوت المنزل بصوتها الحاد !

تنهدت و قلت في نفسي :

"أوه ! ها قد بدأنا " !

أخذت أمي الصغيرة و جعلت تداعبها و تقدم إليها الحلوى عليها تسكت !

في الواقع ، لقد قضينا وقتا عصيبا و مزعجا مع هذه الصغيرة ذلك اليوم .

"أين ستنام الطفلة ؟ "

سأل والدي والدي مساء ذلك اليوم .

"مع سامر و دانة في غرفتهما " !

دانة قفزت فرحا لهذا الأمر ، ألا أن أبي قال :

"لا يمكن يا أم وليد ! دعينا نبقئها معنا بضع ليال إلى أن تعتاد أجواء المنزل، أخشى أن تستيقظ ليلا

و تفرزع و نحن بعيديان عنها " !

و يبدو أن أمي استساغت الفكرة ، فقالت :
" معك حق ، إذن دعنا ننقل السرير إلى غرفتنا "

ثم التفتت إلي :

" وليد ، انقل سرير رغد إلى غرفتنا "

اعترض والدي :

" سأنقله أنا ، إنه ثقيل " !

قالت أمي :

" لكن وليد رجل قوي ! إنه من وضعه في غرفة الصغيرين على أية حال " !

رجل قوي)) هو وصف يعجبني كثيرا !

أمي أصبحت تعتبرني رجلا و أنا في الحادية عشرة من عمري ! هذا رائع !

قمت بكل زهو و ذهبت إلى غرفة شقيقي و نقلت السرير الصغير إلى غرفة والدي .

عندما عدت إلى حيث كان البقية يجلسون ، وجدت الصغيرة نائمة بسلام !

لابد أنها تعبت كثيرا بعد ساعات الصراخ و البكاء التي عاشتها هذا اليوم !

أنا أيضا أحسست بالتعب ، و لذلك أويت إلى فراشي باكرا .

~~~~~

نهضت في ساعة مبكرة من اليوم التالي على صوت صراخ اخترق جدران الغرفة من حدته !

إنها رغد المزعجة

خرجت من غرفتي متذمرا ، و ذهبت إلى المطبخ المنبعثة منه صرخات ابنة عمي هذه

" أمي ! أسكتي هذه المخلوقة فأنا أريد أنا أنام " !

تأوهت أمي و قالت بضيق :

" أو تظنني لا أحاول ذلك ! إنها فتاة صعبة جدا ! لم تدعنا ننام غير ساعتين أو ثلاث والدك ذهب

للعمل دون نوم " !

كانت رغد تصرخ و تصرخ بلا توقف .

حاولت أن أداعبها قليلا و أسألها :

" ماذا تريدين يا صغيرتي ؟ "

لم تجب !

حاولت أن أحملها و أهزها ... فهاجمتني بأظافرها الحادة !

و أخيرا أحضرت إليها بعض ألعاب دانه فرمتني بها !

إنها طفلة مشاكسة ، هل ستظل في بيتنا دائما ؟؟؟ ليتهم يعيدوها من حيث جاءت !

في وقت لاحق ، كان والداي يتناقشان بشأنها .

"إن استمرت بهذه الحال يا أبا وليد فسوف تمرض ! ماذا يمكنني أن أفعل من أجلها ؟ "

"صبرا يا أم وليد ، حتى تألف العيش بيننا "

قاطعهما قائلا :

" و لماذا لا تعيدها إلى خالتها لترعاها ؟ ربما هي تفضل ذلك " !

أزعجت جملتي هذه والدي فقال :

"كلا يا وليد ، إنها ابنة أخي و أنا المسؤول عن رعايتها من الآن فصاعدا . مسألة وقت و تعتاد على

بيتنا "

و يبدو أن هذا الوقت لن ينتهي ...

مرت عدة أيام و الصغيرة على هذه الحال ، و إن تحسنت بعض الشيء و صارت تلعب مع دانه و

سامر بمرح نوعا ما

كانت أمي غاية في الصبر معها ، كنت أراقبها و هي تعتني بها ، تطعمها ، تنظفها ، تلبسها

ملابسها ، تسرح شعرها الخفيف الناعم !

مع الأيام ، تقبلت الصغيرة عائلتها الجديدة ، و لم تعد تستيقظ بصراخ و كان على وليد ( الرجل

القوي ) أن ينقل سرير هذه المخلوقة إلى غرفة الطفلين !

بعد أنا نامت بهدوء ، حملتها أمي إلى سريرها في موضعه الجديد . كان أخوأي قد خلدا للنوم منذ

ساعة أو يزيد .

أودعت الطفلة سريرها بهدوء .

تركت والدتي الباب مفتوحا حتى يصلها صوت رغد فيما لو نهضت و بدأت بالصراخ

قلت :

"لا داعي يا أمي ! ف صوت هذه المخلوقة يخترق الجدران ! أبقه مغلقا " !

ابتسمت والدتي براحة ، و قبلتني و قالت :

"هيا إلى فراشك يا وليد البطل ! تصبح على خير "

كم أحب سماع المدح الجميل من أمي !

إنني أصبحت بطلا في نظرها ! هذا شيء رائع ... رائع جدا !

و نمت بسرعة قرير العين مرتاح البال .

الشيء الذي أنهضني و أقض مضجعي كان صوتا تعودت سماعه مؤخرا  
إنه بكاء رغد !

حاولت تجاهله لكن دون جدوى !

يا لهذه الرغد ... ! متى تسكتيها يا أمي !

طال الأمر ، لم أعد أحتمل ، خرجت من غرفتي غاضبا و في نيتي أن أتذمر بشدة لدى والدتي ، ألا  
أنني لاحظت أن الصوت منبعث من غرفة شقيقي

نعم ، فأنا البارحة نقلت سريرها إلى هناك !

ذهبت إلى غرفة شقيقي ، و كان الباب شبه مغلق ، فوجدت الطفلة في سريرها تبكي دون أن ينتبه  
لها أحد منهما !

لم تكن والدتي موجودة معها .

اقتربت منها و أخذتها من فوق السرير ، و حملتها على كتفي و بدأت أطبب عليها و أحاول  
تهديتها .

و لأنها استمرت في البكاء ، خرجت بها من الغرفة و تجولت بها قليلا في المنزل

لم يبد أنها عازمة على السكوت !

يجب أن أوقظ أمي حتى تتصرف ...

كنت في طريقي إلى غرفة أمي لإيقاظها ، و لكن ...

توقفت في منتصف الطريق ، و عدت أدراجي ... و دخلت غرفتي و أغلقت الباب .

والدتي لم تذق للراحة طعما منذ أتت هذه الصغيرة إلينا .

و والدي لا ينام كفايته بسببها .

لن أفسد عليهما النوم هذه المرة !

جلست على سريري و أخذت أداعب الصغيرة المزعجة و ألهيها بطريقة أو بأخرى حتى تعبت ، و  
نامت ، بعد جهد طويل !

أدركت أنها ستنهض فيما لو حاولت تحريكها ، لذا تركتها نائمة ببساطة على سريري و لا أدري ،  
كيف نمت بعدها !

هذه المرة استيقظت على صوت أمي !

"وليد ! ما الذي حدث ؟ "

"آه أمي " !

ألقيت نظرة من حولي فوجدتني أنام إلى جانب الصغيرة رغد ، و التي تغط في نوم عميق و هادى !

"لقد نهضت ليلا و كانت تبكي .. لم أشأ إزعاجك لذا أحضرتها إلى هنا " !  
ابتسمت والدتي ، إذن فهي راضية عن تصرفي ، و مدت يدها لتحمل رغد فاعترضت :  
"أرجوك لا ! أخشى أن تنهض ، نامت بصعوبة " !  
و نهضت عن سريري و أنا أتئأب بكسل .  
"أدي الصلاة ثم تابع نومك في غرفة الضيوف . سأبقى معها "  
ألقيت نظرة على الصغيرة قبل نهوضي !  
يا للهدوء العجيب الذي يحيط بها الآن !  
بعد ساعات ، و عندما عدت إلى غرفتي ، وجدت دانه تجلس على سريري بمفردها . ما أن رأته حتى بادرت بقول :  
"أنا أيضا سأنام هنا الليلة " !  
أصبح سريري الخاص حضانة أطفال !  
فدانه ، و البالغة من العمر 5 سنوات ، أقامت الدنيا و أقعدتها من أجل المبيت على سريري الجذاب  
هذه الليلة ، مثل رغد !  
ليس هذا الأمر فقط ، بل ابتدأت سلسلة لا نهائية من ( مثل رغد ...  
ففي كل شيء ، تود أن تحظى بما حظيت به رغد . و كلما حملت أمي رغد على كتفها لسبب أو  
لآخر ، مدت دانه ذراعيها لأمرها مطالبة بحملها (مثل رغد .  
أظن أن هذا المصطلح يسمى ( الغيرة !  
يا لهؤلاء الأطفال !  
كم هي عقولهم صغيرة و تافهة !  
~~~~~  
كانت المرة الأولى و لكنها لم تكن الأخيرة ... فبعد أيام ، تكرر نفس الموقف ، و سمعت رغد تبكي
فأحضرتها إلى غرفتي و أخذت ألعبها .
هذه المرة استجابت لملاعبتي و هدأت ، بل و ضحكت !
و كم كانت ضحكتها جميلة ! أسمعها للمرة الأولى !
فرحت بهذا الإنجاز العظيم ! فأنا جعلت رغد الباكية تضحك أخيرا !
و الآن سأجعلها تتعلم مناداتي باسمي !
"أيتها الصغيرة الجميلة ! هل تعرفين ما اسمي ؟ "
نظرت إلي باندهاش و كأنها لم تفهم لغتي . إنها تستطيع النطق بكلمات مبعثرة ، و لكن (وليد)

ليس من ضمنها !

"أنا وليد " !

لا زالت تنظر إلى باستغراب !

"اسمي وليد ! هيا قولي : وليد " !

لم يبدا الأمر سهلا ! كيف يتعلم الأطفال الأسماء ؟

أشرت إلى عدة أشياء ، كالعين و الفم و الأنف و غيرها ، كلها أسماء تنطق بها و تعرفها . حتى حين
أسألها :

"أين رغد ؟ "

فإنها تشير إلى نفسها .

" و الآن يا صغيرتي ، أين وليد ؟ "

أخذت أشير إلى نفسي و أكرر :

"وليد ! وليد ! أنا وليد !

أنت رغد ، و أنا وليد !

من أنت ؟ "

" رغد "

"عظيم ! أنت رغد ! أنا وليد ! هيا قولي وليد ! قولي أنت وليد " !

كانت تراقب حركات شفتيّ و لساني ، إنها طفلة نبيهة على ما أظن .

و كنت مصرا جدا على جعلها تنطق باسمي !

"قولي : أنت وليد ! وليد ...

قولي : وليد ... أنت وليد ... "

"أنت لي !! "

كانت هذه هي الكلمة التي نطقت بها رغد !

أنت لي !

للحظة ، بقيت أتأملها باستغراب و دهشة و عجب !

فقد بترت اسمي الجميل من الطرفين و حوّلتها إلى (لي) بدلا من

وليد !

ابتسمت ، و قلت مصححا :

"أنت وليد " !

"أنت لــــي "

كررت جملتها ببساطة و براءة !

لم أتمالك نفسي ، وانفجرت ضحكا

ولأنني ضحكت بشكل غريب فإن رغد أخذت تضحك هي الأخرى !

و كلما سمعت ضحكاتها الجميلة ازدادت ضحكاتي !

سألتها مرة أخرى :

" من أنا ؟ "

"أنت لــــي ! "

يا لهذه الصغيرة المضحكة !

حملتها و أخذت أؤرجحها في الهواء بسرور ...

منذ ذلك اليوم ، بدأت الصغيرة تألفني ، و أصبحت أكبر المسؤولين عن تهدئتها متى ما قررت زعزعة

الجدران بصوتها الحاد

~~~~~

انتهت العطلة الصيفية و عدنا للمدارس .

كنت كلما عدت من المدرسة ، استقبلتني الصغيرة رغد استقبالا حارا !

كانت تركض نحوي و تمد ذراعيها نحوي ، طالبة أن أحملها و أؤرجحها في الهواء !

كان ذلك يفرحها كثيرا جدا ، و تنطلق ضحكاتها الرائعة لتدغدغ جدران المنزل !

و من الناحية الأخرى ، كانت دانة تطلق صرخات الاعتراض و الغضب ، ثم تهجم على رجلي بسيل

من الضربات و اللكمات آمرة إياي بأن أحملها (مثل رغد .

و شيئا فشيئا أصبح الوضع لا يطاق ! و بعد أن كانت شديدة الفرح لقدم الصغيرة إلينا أصبحت

تلاحقها لتؤذيها بشكل أو بآخر ...

في أحد الأيام كنت مشغولا بتأدية واجباتي المدرسية حين سمعت صوت بكاء رغد الشهير !

لم أعر الأمر اهتماما فقد أصبح عاديا و متوقعا كل لحظة .

تابعت عملي و تجاهلت البكاء الذي كان يزداد و يقترب !

انقطع الصوت ، فتوقعت أن تكون أمي قد اهتمت بالأمر .

لحظات ، وسمعت طرقات خفيفة على باب غرفتي .

"أدخل " !

ألا أن أحدا لم يدخل .



انتظرت قليلا ، ثم نهضت استطلع الأمر ...

و كم كانت دهشتي حين رأيت رغد واقفة خلف الباب !

لقد كانت الدموع تنهمر من عينيها بغزارة ، و وجهها عابس و كئيب ، و بكأؤها مكبوت في صدرها ،  
تتنهد بألم ... و بعض الخدوش الدامية ترتسم عشوائيا على وجهها البريء ، و كدمة محمرة تنتصف  
جبينها الأبيض !

أحسست بقبضة مؤلمة في قلبي ....

" رغد ! ما الذي حدث ؟؟؟ "

انفجرت الصغيرة ببكاء قوي ، كانت تحبسه في صدرها

مددت يدي و رفعتها إلى حضني و جعلت أطبب عليها و أحاول تهدئتها .

هذه المرة كانت تبكي من الألم .

" أهى دانة ؟ هل هي من هاجمك ؟ "

لا بد أنها دانة الشقية !

شعرت بالغضب ، و توجهت إلى حيث دانة ، و رغد فوق ذراعي .

كانت دانة في غرفتها تجلس بين مجموعة من الألعاب .

عندما رأنتني وقفت ، و لم تأت إلي طالبة حملها ( مثل رغد ) كالعادة ، بل ظلت واقفة تنظر إلى

الغضب المشتعل على وجهي .

" دانة أنت من ضرب رغد الصغيرة ؟ "

لم تجب ، فعاودت السؤال بصوت أعلى :

" أأست من ضرب رغد ؟ أيتها الشقية ؟ "

" إنها تأخذ ألعابي ! لا أريدها أن تلمس ألعابي "

اقتربت من دانة و أمسكت بيدها و ضربتها ضربة خفيفة على راحتها و أنا أقول :

" إياك أن تكرري ذلك أيها الشقية و إلا ألقيت بألعابك من النافذة "

لم تكن الضربة مؤلمة ألا أن دانة بدأت بالبكاء !

أما رغد فقد توقفت عنه ، بينما ظلت آخر دمعتين معلقتين على خديها المشوهين بالخدوش .

نظرت إليها و مسحت دمعتيها .

ما كان من الصغيرة إلا أن طبعت قبلة مليئة باللعاب على خدي امتنانا !

ابتسمت ، لقد كانت المرة الأولى التي تقبلني فيها هذه المخلوقة ! ألا أنها لم تكن الأخيرة ....

توالت الأيام و نحن على نفس هذه الحال ...

ألا أن رغد مع مرور الوقت أصبحت غاية في المرح ...  
أصبحت بهجة تملأ المنزل ... و تعلق الجميع بها و أحبوها كثيرا ...  
إنها طفلة يتمنى أي شخص أن تعيش في منزله ...  
ولان الغيرة كبرت بين رغد و دانة مع كبرهما ، فإنه كان لابد من فصل الفتاتين في غرفتين بعيدا عن  
بعضهما ، و كان علي نقل ذلك السرير و للمرة الثالثة إلى مكان آخر ...  
و هذا المكان كان غرفة وليد !

ظلت رغد تنام في غرفتي لحين إشعار آخر .  
في الواقع لم يزعجني الأمر ، فهي لم تعد تنهض مفزوعة و تصرخ في الليل إلا نادرا ...  
كنت أقرأ إحدى المجلات و أنا مضطجع على سريري ، و كانت الساعة العاشرة ليلا و كانت رغد  
تغط في نوم هادئ

و يبدو أنها رأت حلما مزعجا لأنها نهضت فجأة و أخذت تبكي بفرع ...  
أسرعت إليها و انتشلتها من على السرير و أخذت أهدئ من روعها  
كان بكاؤها غريبا ... و حزينا ...

"اهدئي يا صغيرتي ... هيا عودي للنوم " !  
و بين أناتها و بكاؤها قالت :

"ماما "

نظرت إلى الصغيرة و شعرت بالحزن ...

ربما تكون قد رأت والدتها في الحلم

"أتريدين الماما أيتها الصغيرة ؟ "

"ماما "

ضممتها إلى صدري بعطف ، فهذه اليتيمة فقدت أعلى من في الكون قبل أن تفهم معناها ...  
جعلت أطبب عليها ، و أهزها في حجري و اغني لها إلى أنا استسلمت للنوم .  
تأملت وجهها البريء الجميل ... و شعرت بالأسى من أجلها .  
تمنيت لحظتها لو كان باستطاعتي أن أتحول إلى أمها أو أبيها لأعوضها عما فقدت .  
صممت في قرارة نفسي أن أرعى هذه اليتيمة و أفعل كل ما يمكن من أجلها ...  
و قد فعلت الكثير ...

و الأيام .... أثبتت ذلك ...

ذهبنا ذات يوم إلى الشاطئ في رحلة ممتعة ، و لكوننا أنا و أبي و سامر الصغير ( ٨ سنوات ) نجيد

السباحة ، فقد قضينا معظم الوقت وسط الماء .

أما والدتي ، فقد لاققت وقتا شاقا و مزعجا مع دانة و رغد !

كانت رغد تلهو و تلعب بالرمال المبللة ببراءة ، و تلوح باتجاهي أنا و سامر ، أما دانة فكانت لا تفتأ

تضايقها ، تضربها أو ترميها بالرمال !

"وليد ، تعال إلى هنا"

نادتني والدتي ، فيما كنت أسبح بمرح .

"نعم أمي ؟ ماذا تريدين ؟"

و اقتربت منها شيئا فشيئا . قالت :

"خذ رغد لبعض الوقت "

"ماذا؟؟؟ لا أمي "

لم أكن أريد أن أقطع متعتي في السباحة من أجل رعاية هذه المخلوقة ! اعترضت:

"أريد أن أسبح "

"هيا يا وليد ! لبعض الوقت ! لأرتاح قليلا "

أذعنت للأمر كارها ... و توجهت للصغيرة و هي تعبت بالرمال ، و ناديتها :

"هيا يا رغد ! تعالي إلي "

ابتهجت كثيرا و أسرعحت نحوي و عانقت رجلي المبللة بذراعيها العالقة بهما حبيبات الرمل الرطب ،

و بكل سرور !

جلست إلى جانبها و أخذت أحفر حفرة معها . كانت تبدو غاية في السعادة أما أنا فكانت متضايقا

لحرماني من السباحة !

اقتربت أكثر من الساحل ، و رغد إلى جانبي ، و جعلتها تجلس عند طرفه و تبلبل نفسها بمياه البحر

المالحة الباردة

رغد تكاد تطير من السعادة ، تلعب هنا و هناك ، ربما تكون المرة الأولى بحياتها التي تقابل فيها

البحر !

أثناء لعبها تعثرت و وقعت في الماء على وجهها ...

"أوه كلا "

أسرعت إليها و انتشلتها من الماء ، كانت قد شربت كميته منه ، و بدأت بالسعال و البكاء معا .

غضبت مني والدتي لأنني لم أراقبها جيدا

"وليد كيف تركتها تغرق ؟"

"أمي ! إنها لم تغرق ، وقعت لثوان لا أكثر "

"ماذا لو حدث شيء لا سمح الله ؟ يجب أن تنتبه أكثر . ابتعد عن الساحل "

غضبت ، فأنا جئت إلى هنا كي استمتع بالسباحة ، لا كي أراقب الأطفال !

"أمي اهتمي بها و أنا سأعود للبحر "

و حملتها إلى أمي و وضعتها في حجرها ، و استدرت موليا .

في نفس اللحظة صرخت دانة معترضة و دفعت برغد جانبا ، قاصدة إبعادها عن أمي

رغد ، و التي لم تكذ تتوقف عن البكاء عاودته من جديد .

"أرأيت ؟ "

استدرت إلى أمي ، فوجدت الطفلة البكاءة تمد يديها إلي ...

كأنها تستنجد بي و تطلب مني أخذها بعيدا .

عدت فحملتها على ذراعي فتوقفت عن البكاء ، و أطلقت ضحكة جميلة !

يا لخبث هؤلاء الأطفال !

نظرت إلى أمي ، فابتسمت هي الأخرى و قالت :

"إنها تحبك أنت يا وليد ! "

قبيل عودتنا من هذه الرحلة ، أخذت أمي تنظف الأغراض ، و الأطفال .

"وليد ، نظف أطراف الصغيرة و البسها هذه الملابس "

تفاجأت من هذا الطلب ، فأنا لم أعتد على تنظيف الأطفال أو إلباسهم الملابس !

ربما أكون قد سمعت شيئا خطأ !

"ماذا أمي ؟؟؟ "

"هيا يا وليد ، نظف الرمال عنها و ألبسها هذه ، فيما اهتم أنا بدانة و بقية الأشياء "

كنت أظن أنني أصبحت رجلا ، في نظر أمي على الأقل ...

و لكن الظاهر أنني أصبحت أما!

أما جديدة لرغد !

نعم ... لقد كنت أما لهذه المخلوقة ...

فأنا من كان يطعمها في كثير من الأحيان ، و ينيمها في سريرها ، و يغني لها ، و يلعب معها ، و

يتحمل صراخها ، و يستبدل لها ملابسها في أحيان أخرى !

و في الواقع ...

كنت أستمتع بهذا الدور الجديد ...

و في المساء ، كنت أغني لها و أتعهد ان أجعلها تنام في سريري ، و أبقى أتأمل وجهها الملائكي

البريء الرائع ... و أشعر بسعادة لا توصف !

هكذا ، مرت الأيام ...

و كبرنا ... شيئا فشيئا ...

و أنا بمثابة الأم أو المربية الخاصة بالمدللة رغد ، و التي دون أن أدرك ... أو يدرك أحد ... أصبحت

تعني لي ...

أكثر من مجرد مخلوقة مزعجة اقتحمت حياتي منذ الصغر... !

في كل ليلة أقرأ قصة قصيرة لصغيرتي رغد قبل النوم . و هذه هي آخر ليلة تباتها

رغد في غرفتي بعد ثلاث سنوات من قدومها للمنزل . ثلاث سنوات من الرعاية

و الدلال و المحبة أوليتها جميعا لصغيرتي ، كأبي أم أو أب!

إنها الآن في السادسة و قد ألحقناها بالمدرسة هذا العام و كانت في غاية السعادة!

في كل يوم عندما تعود تخبرني بعشرات الأشياء التي شاهدتها أو تعلمتها في المدرسة . و في كل يوم بعد

تناولها الغداء أتولى أنا تعليمها دروسها البسيطة

و قد كانت تلميذة نجيبة!

ابعد الانتهاء من الدروس تأخذ صغيرتي دفتر التلوين الخاص بها و علبة الألوان ، و تجلس على

سريرها و تبدأ بالتلوين بهدوء

تقريبا بهدوء!

"وليد لَوْن معي" !

لقد كنت شاردا و أنا أتأملها و أتخيل أنني و منذ الغد لن أجد سريرها في تلك الزاوية و أستمع إلى (

هذيانها ) و تحدثها إلى نفسها قبل النوم!

" و لِيـــــــد لَوْن معي" !

هذه المرة انتبهت إلى صوتها الحاد ، نظرت إليها و ابتسمت ! لقد كنت كثيرا ما ألَوْن معها في هذا

الدفتر أو غيره ! و هي تحلق سعادة حينما تراقبني و أنا ألون!

أطفال ... فقط أطفال!

"حسنا"

قلت ذلك و هممت بالنهوض من على سريري و التوجه إليها ، و لكنها و بسرعة قفزت هي و دفترها

و علبة ألوانها و هبطت فوق سريري في ثانيتين!

بدأت كالعادة تختار لي الصفحة التي تريد مني تلوينها و قد كانت رسمة لفتاة صغيرة تحمل حقيبة المدرسة!

"صغيرتي ... لم لا تلوين هذه ؟ فهي تشبهك" !

قلت لها ذلك ، فابتسمت و أخذت تقلب دفترها بحثا عن شيء ما ، ثم قالت:

"لا يوجد ولد يشبهك ! سأرسمك" !

و أمسكت بالقلم و أخذت ( ترسمني ) في إحدى الصفحات ... و كم كانت الرسمة مضحكة ، و

لاحظت أنها رسمت خطأ طويلا أسفل الأنف!

"ما هذا؟؟"

"شارب" !

"ماذا؟! و لكن أنا لا شارب لدي" !

"عندما تكبر مثل أبي سيكون لديك شارب طويل هكذا لأنك طويل" !

ضحكت كثيرا كما ضحكت هي الأخرى !

إن طولي قد أزداد بشكل ملحوظ في الآونة الأخيرة ، و يبدو أنني سأصبح أطول من والدي!

قمنا بعد ذلك بتلوين الصورتين ( رغد الصغيرة ، و وليد ذي الشارب الطويل! )

من كان منا يتوقع ... أن هاتين الصورتين ستعيشان معنا ... كل ذلك العمر...؟؟؟

عندما حل الظلام ، قمت بنقل سرير رغد و أشياءها الأخرى إلى غرفتها الجديدة.

و كانت صغيرة و مجاورة لغرفتي.

الصغيرة كانت مسرورة للغاية ، فقد أصبح لها غرفتها الخاصة مثل دانة و لم يعد بمقدور دانة أن (

تعيرها ) كما تفعل دائما.

العلاقة بين هاتين الفتاتين كانت سيئة!

بالنسبة لي ، فقد كنت حزينا بهذا الحدث ... فأنا أرغب في أن تبقى الصغيرة معي و تحت رعايتي

أكثر من ذلك ... إنها تعني لي الكثير...

انتهينا أنا و أمي من ترتيب الأشياء في الغرفة ، و رغد تساعدنا . قالت أمي بعد ذلك:

"و الآن يا رغد ... هاقد أصبح لديك غرفة خاصة ! اعتني بها جيدا" !

"حسنا ماما"

و جاء صوت دانة من مكان ما قائلة:

"لكن غرفتي هي الأجمل . هذه صغيرة و وحيدة مثلك"

جميعنا استدرنا نحو دانة ، و بعين الغضب . فهي لا تترك فرصة لمضايقة رغد إلا و استغلتها .

"لكنني لست وحيدة ، و لن أشعر بالخوف لأن وليد قريب مني"

"لكن وليد ليس أمك و لا أباك و لا أخاك ! إذن أنت وحيدة"

هذه المرة والدتي زجرت دانة بعنف و أمرتها بالانصراف . لقد كانت لدي رغبة في صفع هذه الفتاة الخبيثة لكنني لم أشأ أن أزيد الأمر تعقيدا .

إنني أدرك أن الأمور تزداد سوءا بين دانة و رغد ، و لا أدري إن كان الوضع سيتغير حالما تكبران... اعتقدت أن الأمر قد انتهى في وقته ، ألا أنه لم ينته...

بينما كنت غاطا في نومي ، سمعت صوتا أيقظني من النوم بفزع...

عندما فتحت عيني رأيت خيال شخص ما يقف إلى جانبي ... كان الظلام شديدا و كنت بين النوم و الصحوة ... استيقظت فجأة و استطاعت طبلة أذني التقاط الصوت و تمييزه...

كانت رغد

نهضت ، و أنرت المصباح المجاور ، و من خلال إنارته الخفيفة لمحت ومض دموع تسيل على خد الصغيرة...

مددت يدي و تحسست وجهها الصغير فبللتني الدموع...

"رغد ! ما بك عزيزتي؟"

قفزت رغد إلى حضني و أطلقت صرخات بكاء قوية و حزينة ... إنني لم أر دموع غاليتي هذه منذ أمد بعيد ... فكيف لي برؤيتها بهذه الحال؟؟

"رغد ... أخبريني ماذا حدث ؟ هل رأيت حلما مزعجا؟؟"

اندفعت و هي تقول كلماتها هذه بشكل مبعثر و مضطرب ... و بمرارة و حزن عميقين:

"لماذا ليس لدي أم ؟

لماذا مات أبي ؟

هل الله لا يحبني لذلك لم يعطني أما و لا أبا ؟

هل صحيح أن هذا ليس بيتي ؟

أين بيتي إذن فأنا أريد أن يصبح لدي غرفة كبيرة و جميلة مثل غرفة دانة"

طوقت الصغيرة بذراعي و جعلت أمسح رأسها و دموعها و أهدئ من حالتها

لم أكن أتخيل أن مثل هذه التساؤلات تدور في رأس طفلة صغيرة في السادسة من العمر...

بل إنها لم تذكر لي شيئا كهذا من قبل رغم ثرثرتها التي لا تكاد تنتهي حين تبدأ...

"صغيرتي رغد ! ما هذا الكلام ! من قال لك ذلك؟"

"دانة دائما تقول هذا ... هي لا تحبني ... لا أحد يحبني"

شعرت بالغيظ من أختي الشقية ، في الغد سوف أوبخها بعنف . قلت محاولا تهدئة الصغيرة المهمومة :

"رغد يا حلوتي ... دعك من دانة فهي لا تعرف ما تقول ، سوف أوقفها عند حدها أبي و أمي هما أبوك و أمك"

قاطعتني

"غير صحيح ! لا أم و لا أب لدي و لا أحد يحبني"

"ماذا عني أنا وليد ؟ ألا أحبك ؟ اعتبريني أمك و أبك و كل شيء"

توقفت رغد عن البكاء و نظرت إلي قليلا ثم قالت:

"و لكن ليس لديك شارب" !

ضحكت ! فأفكار هذه الصغيرة غاية في البساطة و العفوية ! أما هي فقد ابتسمت و مسحت دموعها

...

قلت:

"حين أكبر قليلا بعد فسيصبح لدي شاربان طويلان كما رسمت ! أ نسيت ؟"

ابتسمت أكثر و قالت:

"و هل ستشتري لي بيتا كبيرا فيه غرفة كبيرة و جميلة تخصني؟"

ضحكت مجددا ... و قلت:

"نعم بالتأكيد ! و تصبحين أنت سيدة المنزل" !

الصغيرة ابتسمت برضا و عانقتني بسرور:

"أنا أحبك كثيرا يا وليد ! و حين أكبر سأخذك معي إلى بيتي الجديد" !

~ ~ ~ ~ ~

اللعب هو هواية الأطفال المفضلة على الإطلاق ، و لأنني ( وليد الكبير ) و لأن دانة هي ( الطرف

المعادي ) فإن رغد لم تجد من تلعب معه في بيتنا هذا غير سامر!

كثيرا ما كانا يقضيان الساعات الطوال باللهو معا ، ربما كان هذا متنفسا جيدا للصغيرة.

عندما كانت رغد تسكن غرفتي ، كانت كلما بقيت في الغرفة لسبب أو لآخر ، أتت هي الأخرى و

عكفت على دفتر تلوينها بسكون...

كنت أستذكر دروسي و ألقى عليها نظرة من حين لآخر ... و كان ذلك يسعدني...

بعد أن استقلت في غرفتها ، لم أعد أراها معي ...

كانت كثيرا ما تقضي الوقت الآن مع سامر في اللعب!



في أحد الأيام ، عدت من المدرسة ، و حين دخلت البيت وجدت الصغيرة تشاهد التلفاز...  
"رغد ! لقد عدت" !

و فتحت ذراعي ، فهي معتادة أن تأتي لحضني كلما عدت من المدرسة ، كأنها تعبر  
عن شوقها و افتقادها لي...

ابتسمت الصغيرة ثم قفزت قاصدة الحضور إلي ، و في نفس اللحظة دخل شقيقي سامر إلى نفس الغرفة  
و هو يقول :

"أصلحته يا رغد ! هيا بنا"

و بشكل فاجأني و لم أتوقعه ، استدارت إلى سامر و ركضت نحوه ، و غادرا الغرفة سويا...  
ذراعي كانتا لا تزالان معلقتين في الهواء ... بانتظار الصغيرة...

نظرت من حولي أتأكد من أن أحدا لم ير هذا ... قد يكون موقفا عاديا لكنني شعرت بغيط و خيبة  
لحظتها ... ما الذي يشغل رغد عني؟؟

لحقت بالاثنين ، فرأيتهما يركبان دراجة سامر التي يبدو أن خلاا كان قد أصابها مؤخرا و أصلحه  
سامر قبل قليل...

كان رغد في غاية السرور و هي تجلس على مقعد خلفي ، و سامر ينطلق بدراجته الهوائية مسرعا...  
ذهبت إلى غرفتي و استلقيت على سريري و أخذت أفكر...

مؤخرا ، ظهرت أمور عدة تشغل الصغيرة ... كالمدرسة و الواجبات المدرسية و صديقاتها الجدد ... و  
دفاتر تلوينها الكثيرة ... و اللعب مع سامر!

طردت الأفكار التي استنفهتها فورا من رأسي و انصرفت إلى أمور أخرى...

إنها السنة الأخيرة لي في المدرسة الإعدادية و والدتي تعمدت إبعاد رغد عني قدر الإمكان لتفرغ  
لدراستي.

رغد ... رغد ... رغد!

لماذا لا أستطيع طردها الآن من رأسي؟؟ إنها طفلة مزعجة لا تحب غير اللعب و العناية بها كانت  
مسؤولة كبيرة و مضجرة ألقيت على عاتقي و ها أنا حر أخيرا!

في الواقع ، ظل التفكير بهذه الصغيرة يشغلني طوال ذلك اليوم ... لم أستطع التركيز في الدراسة ، و  
قبيل غروب الشمس قررت القيام بجولة في الشارع على الأقدام ، علني أطرده رغد من دماغي...

الجو كان لطيفا و نسامته علية و قد استمتعت بنزهتي الصغيرة...

التقيت في طريقي بشخص أبغضه كثيرا ! إنه عمّار...

عمار هذا هو الابن الوحيد لأحد الأثرياء ، و هو زميلي في المدرسة ، ولد بغيبض

مستهتر سيئ الخلق ، معروف و مشهور بين الجميع بانحرافه و فساده ... و كان آخر شيء أتمنى أن ألتقي به و أنا في مزاجي العكر هذا اليوم!

"وليد ؟ تتسكع في الشوارع عوضا عن الدراسة !؟ لسوف أفضحك غدا في المدرسة"  
قال لي هذا و أطلق ضحكة قوية و بغیضة ، أوليته ظهري و ابتعدت متجاهلا إياه  
قال:

"انتظر ! لم لا تأت معي نلهو قليلا ؟ و أعدك بأن تنجح رغم انف الجميع ! مثلي"  
استدرت إلى عمّار و قلت بغضب:

"حلّ عني أيها البغيض ! لا يشرفني التحدث إلى شخص مثلك ! أيها المنحرف الفاسد"  
لا ادري ما الذي دفعني لقول ذلك ، فأنا لم أعتد توجيه مثل هذا الكلام لأي كان...  
و لكنني كنت مستاءا...

عمار شعر بغیظ ، و سدد نحوي لكمة قوية موجعة و تعاركنّا!  
منذ ذلك اليوم ، و أنا و هو في خصام مستمر ، هو لا يفتأ يستفزني كلما وجد الفرصة السانحة لذلك ،  
و أنا أتجاهله حيناً و أتعارك معه حيناً آخر...  
و الأمر بيننا انتهى أسوا نهاية ... كما سترون...  
في طريق عودتي للبيت ، مررت بإحدى المكتبات ، و وجدت نفسي أدخلها و أفتش بين دفاتر تلوين  
الأطفال ، و اشتري مجموعة جديدة ... من أجل رغد  
إنني سأعترف ، بأنني فشلت في إزاحتها بعيدا عن تفكيري ذلك اليوم ... لقد كانت المرة الأولى التي  
تترك فيها ذراعيّ معلقين في الهواء ... و تذهب بعيدا  
حين وصلت إلى البيت ، كانت رغد في حديقة المنزل ، مع سامر و دانة ، كانوا يراقبون العصفورين  
الحبيسين في القفص ، و اللذين أحضرهما والدي قبل أيام...  
كانت ضحكاتهما تملأ الأجواء...

كم هي رائعة هذه الطفلة حين تضحك!

و كم هي مزعجة حين تبكي!

اعتقدت أنني لن أثير انتباهها فيما هي سعيدة مع شقيقيّ و العصفورين ... هممت بالدخول إلى داخل  
المنزل و سرت نحو الباب ... و أنا ممسك بالكيس الصغير الذي يحوي دفاتر التلوين...  
"وليــــد!"

وصلني صوتها الحاد فاستدرت للخلف ، فإذا بها قادمة تركض نحوي فاتحة ذراعيها و مطلقة ضحكة  
كبيرة...

فتحت ذراعي و استقبلتها في حضني و حملتها بفرح و درت بها حول نفسي بضع دورات...

"صغيرتي ... جلبت لك شيئاً تحبينه!"

نظرت إلى الكيس ثم انتزعته من يدي ، و تفقدت ما بداخله

أطلقت هتاف الفرحة و طوّقت عنقي بقوة كادت تخنقني!

بعدها قالت:

"لَوْنْ معي!"

ابتسمت برضا بل بسعادة و قلت:

"أمرك سيدتي!"

اعتقد ... بل أنا موقن جدا ... بأنني أصبحت مهووسا بهذه الطفلة بشكل لم أكن لأتصوره أو أعمل له حسابا...

و سأجن ... بالتأكيد ... فيما لو حدث لها مكروهٌ ... لا قدر الله....

أشياء ثلاثة تشغل تفكيري و تقلقني كثيرا في الوقت الراهن

دراستي و امتحاناتي ، رغد الصغيرة ، و الأوضاع السياسية المتدهورة في بلدتنا و التي تنذر بحرب موشكة!

إنه يوم الأربعاء ، لم أذهب للمدرسة لأن والدتي كانت متوقعة قليلا في الصباح و آثرت البقاء إلى جانبها.

إنها بحالة جيدة الآن فلا تقلقوا

كنت أجلس على الكرسي الخشبي خلف مكتبي الصغير ، و مجموعة من كتبتي و دفاتري مفتوحة و مبعثرة فوق المكتب.

لقد قضيت ساعات طويلة و أنا أدرس هذا اليوم ، ألا أن الأمور الثلاثة لم تبرح رأسي

الدراسة ، أمر بيدي و أستطيع السيطرة عليه ، فهذا أنا أدرس بجد

أوضاع البلد السياسية هي أمر ليس بيدي و لا يمكنني أن أفعل أي شيء حياله!

أما رغد الصغيرة...

فهي بين يدي ... و لا أملك السيطرة على أموري معها!

و آه من رغد!

يبدو أن التفكير العميق في ( بعض الأشياء ) يجعلها تقفز من رأسك و تظهر أمام عينيك!

هذا ما حصل عندما طرق الباب ثم فتح بسرعة قبل أن أعطى الفرصة المفروضة للرد على الطارق و

السماح له بالدخول من عدمه!

"وليـد وليـد و ليـد" !

قفزت رعد فجأة كالتائر من مدخل الغرفة إلى أمام مكتبي مباشرة و هي تناديني و تتحدث بسرعة فيما تمد بيدها التي تحمل أحد كتبها الدراسية نحوي!

"وليـد علمتنا المعلمة كيف نصنع صندوق الأمانى هيا ساعدني لأصنع واحدا كبيرا يكفي لكل أمنياتي بسرعة" !

إنني لم أستوعب شيئا فقد كانت هذه الفتاة في رأسي قبل ثوان و كانت تلعب مع سامر على ما أذكر! نظرت إليها و ابتسمت و أنا في عجب من أمرها!

"رويدك صغيرتي ! مهلا مهلا ! متى عدت من المدرسة؟"

أجابتنى على عجل و هي تمد يدها و تمسك بيدي تريد مني النهوض:

"عدت الآن ، أنظر وليد الطريقة في هذه الصفحة هيا اصنع لي صندوقا كبيرا" !

تناولت الكتاب من يدها و ألقيت نظرة!

إنه درس يعلم الأطفال كيفية صنع مجسم أسطواني الشكل من الورق!

و صغيرتي هذه جاءتنى مندفعة كالصاروخ تريد مني صنع واحد!

تأملتها و ابتسمت ! و بما إنني أعرفها جيدا فأنا متأكد من أنها سوف لن تهدأ حتى أنفذ أوامرها! قلت:

"حسنا سيدتي الصغيرة ! سأبحث بين أشياءي عن ورق قوي يصلح لهذا" !

بعد نصف ساعة ، كان أمامنا أسطوانة جميلة مزينة بالطوايع الملصقة ، ذات فتحة علوية تسمح للنقود المعدنية ، و النقود الورقية ، و الأمانى الورقية كذلك بالدخول!

رعد طارت فرحا بهذا الإنجاز العظيم ! و أخذت العلبة الأسطوانية و جرت مسرعة نحو الباب!

"إلى أين؟؟"

سألتها ، فأجابتنى دون أن تتوقف أو تلتفت إلي:

"سأريها سامر" !

و انصرفت...

اللحظات السعيدة التي قضيتها قبل قليل مع الطفلة و نحن نصنع العلبة ، و نلصق الطوايع ، و نضحك بمرح قد انتهت ...

أي نوع من الجنون هذا الذي يجعلني أعتقد و أتصرف على أساس أن هذه الطفلة هي شيء يخصني؟؟كم أنا سخي!

انتظرت عودتها ، لكنها لم تعد ...  
لا بد أنها لهت مع سامر و نسيّنتني!  
نسيّنت حتى أن تقول لي ( شكرا ! ) أو أن تغلق الباب!  
غير مهم ! سأطرد هذا التفكير المزعج عن مخيلتي و أتفرغ لكتبي ... أو حتى ... لقضايا البلد السياسة  
فهذا أكثر جدوى!

بعد ساعة ، عادت رعد...

كان الصندوق لا يزال في يدها ، و في يدها الأخرى قلما.

اقتربت مني و قالت:

"وليد ... أكتب كلمة ( صندوق الأمانى ) على الصندوق" !

تناولت الصندوق و القلم و كتبت الكلمة ، و أعدتهما إليها دون أي تعليق أو حتى ابتسامة  
هل انتهينا ؟

صرفت نظري عنها إلى الكتاب المائل أمامي فوق المكتب ، منتظرا أن تنصرف

يجب أن تنتبه إلى أنها لم تشكرني !

"وليد" ...

رفعت بصري إليها ببطء ، كانت تبتسم ، و قد تورّد خذاها قليلا !

لا بد أنها أدركت أنها لم تشكرني!

قلت بنبرة جافة إلى حد ما:

"ماذا الآن؟"

"هل لا أعطيتني ورقة صغيرة؟"

يبدو أن فكرة شكري لا تخطر ببالها أصلا !

تناولت مفكرتي الصغيرة الموضوعية على المكتب ، و انتزعت منها ورقة بيضاء ، و سلمتها إلى رعد

أخذتها الصغيرة و قالت بسرعة:

"شكرا" !

ثم ابتعدت...

ظننتها ستخرج ألا أنها توجهت نحو سريري ، جلست فوقه ، و على المنضدة المجاورة و وضعت (

الصندوق ) و الورقة ... و همّت بالكتابة!

أجبرت عينيّ على العودة إلى الكتاب المهجور ... لكن تفكيري ظل مربوطا عند تلك المنضدة!

"وليد" ...

مرة أخرى نادتنني فأطلقت سراح نظري إليها...

"نعم؟"

سألتنني:

"كيف أكتب كلمة ( عندما ) ؟"

نظرت من حولي باحثا عن ( اللوح ) الصغير الذي أعلم رغد كيفية كتابة الكلمات عليه ، فوجدته موضوعا على أحد أرفف المكتبة ، فهممت بالنهوض لإحضاره ألا أن رغد قفزت بسرعة و أحضرتة إلي قبل أن أتحرك!

أخذته منها ، و كتبت بالقلم الخاص باللوح كلمة ( عندما. )

تأملتها رغد ثم عادت إلى المنضدة ...

بعد ثوان ، رفعت رأسها إلي...

"وليد!"

"نعم صغيرتي؟"

"كيف أكتب كلمة ( أكبر ) ؟"

كتبت الكلمة بخط كبير على اللوح ، و رفعتة لتنظر إليه.

ثوان أخرى ثم عادت تسألني:

"وليد!"

ابتسمت ! فطريقتها في نطق اسمي و مناداتي بين لحظة و أخرى تدفع إي كان للابتسام!

"ماذا أميرتي؟"

"كيف أكتب كلمة ( سوف ) ؟؟"

كتبت الكلمة و أريتها إيها ، صغيرتي كانت مؤخرا فقط قد بدأت بتعلم كتابة الكلمات بحروف

متشابهة ، و لا تعرف منها إلا القليل...

بقيت أراقبها و أتأملها بسرور و عطف!

كم هي بريئة و بسيطة و عفوية!

يا لها من طفلة!

رفعت رأسها فوجدتنني أنظر إليها فسألت مباشرة:

"كيف أكتب كلمة ( أتزوج ) ؟"

فجأة ، أفقت من نشوة التأمل البريء...

هناك كلمة غريبة دخيلة وصلت إلى أذنيّ في غير مكانها!

حدقت في رغد باهتمام ، و اندهاش...

هل قالت ( أتزوج ) ؟؟

أتزوج!

ألا تلاحظون أنها كلمة ( كبيرة ) بعض الشيء ! بل كبيرة جدا !

سألته لتأكد:

"ماذا رغد ؟؟"

قالت و بمنتهى البساطة:

"أتزوج ! كيف أكتبها ؟؟"

أنا مندهش و متفاجيء ...

و هي تنظر إلي منتظرة أن أكتب الكلمة على لوحها الصغير...

أمسكت بالقلم بتردد و شرود ... و كتبت الكلمة ( الكبيرة ) ببطة ، ثم عرضتها عليها فأخذت تكتبها

حرفا حرفا...

انتهت من الكتابة ، فوضعت اللوح على مكتبي ، في انتظار الكلمة التالية...

انتظرت...

و أنتظرت...

لكنها لم تتكلم

لم تسألني عن أي شيء

رأيتها تطوي الورقة الصغيرة ، ثم تدخلها عبر الفتحة داخل صندوق الأمان!

(عندما أكبر سوف أتزوج .... ؟؟؟)

الاسم الذي تلا كلمة أتزوج هو اسم تعرف رغد كيف تكتبه!

كأي اسم من أسماء أفراد عائلتنا أو صديقاتها...

كـ وليد ، أو سامر ، أو أي رجل!

رغد الصغيرة!

ما الذي تفعلينه ؟؟!

الآن ، هي قادمة نحوي...

و الصندوق في يدها...

"وليد اكتب أمينتك !"

"ماذا صغيرتي ؟؟"

"أكتب أمنيتك و ضعها بالداخل ، و حينما نكبر نفتح الصندوق و نقرأ أمنياتنا و نرى ما تحقق منها  
! هكذا هي اللعبة" !

إنني قد افعل أشياء كثيرة قد تبدو سخيقة ، أما عن وضي لأمنيتي في صندوق ورقي خاص بطفلي  
هذه ، فهو أمر سأترك لكم انتم الحكم عليه!  
نزعنت ورقة من مفكرتي ، و كتبت إحدى أمنياتي!  
فيما أنا اكتب ، كانت رغد تغمض عينيها لتؤكد لي أنها لا ترى أمنيتي!  
أي أمنية تتوقعون أنني أدخلتها في صندوق الأمانى الخاص بصغيرتي العزيزة...؟؟  
لن أخبركم!

بعد فراغي من الأمر ، طلبت مني رغد أن أحفظ الصندوق في أحد أرفف مكتبتي ، لأنها تخشى أن  
تضيعه أو تكتشف دابة وجوده فيما لو ضل في غرفتها!  
"وليد لا تفتح الصندوق أبدا" !  
"أعدك بذلك" !

ابتسمت رغد ، ثم انطلقت نحو الباب مغادرة الغرفة و هي تقول:  
"سأخبر سامر بأنني انتهيت" !

بعد مغادرتها ، تملكنتني رغبة شديدة في معرفة ما الذي كتبتة في ورقنها  
كدت انقض و عدي و أفتح الصندوق من شدة الفضول...  
لكنني نهزت نفسي بعنف ... لن أخيب ثقة الصغيرة بي أبدا  
(عندما أكبر سوف أتزوج ...؟؟)

من يا رغد؟؟

من؟

من؟؟

~ ~ ~ ~ ~ ~ ~ ~ ~ ~

في عصر اليوم ذاته ، قرر والدي أخذنا لنزهة قصيرة إلى إحدى الملاهي ، حسب طلب و إلحاح دابة!  
أنا لم أشأ الذهاب ، فأنا لم أعد طفلا و لا تثير الملاهي أي اهتمام لدي ، ألا أن والدتي أقنعنتني  
بالذهاب من باب الترويح عن النفس لاستئناف الدراسة!  
قضينا وقتا جيدا...

وقفت رغد أمام إحدى الألعاب المخيفة و أصرت على تجربتها!  
طبعاً لم يوافق أحد على تركها تتركب هذا القطار السريع المرعب ، و كما أخبرتكم



فإنها حين ترغب في شيء فإنها لن تهدأ حتى تحصل عليه!  
و حين تبكي ، فإنها تتحول من رغد إلى رعد!  
والدي زجرها من باب التأديب ، إذ أن عليها أن تطيع أمره حين يأمرها بشيء  
توقفت رغد عن البكاء ، و سارت معنا على مضض...  
كانت تمشي و رأسها للأسفل و دموعها تسقط إلى الأرض!  
أنا وليد لا أتحمل رؤيتها هكذا مطلقا ... لا شيء يزلزلي كرؤيتها حزينة وسط الدموع  
"حسنا يا رغد ! فقط للمرة الأولى و الأخيرة سأركب معك هذا القطار ، لتري كم هو مخيف و مرعب  
!"

أعترض والداي ، ألا أنني قلت:

"سأمسك بها جيدا فلا تقلقا "

اعتراضهما كان في الواقع على سماحي لرغد بنيل كل ما تريد  
أنا أدرك أنني ادللها كثيرا جدا  
لكن...

ألا تستحق طفلة يتيمة الأبوين شيئا يعوضها و لو عن جزء من المائة مما فقدت ؟  
تجاهلت اعتراض والدي ، و انطلقت بها نحو القطار  
ركبنا سوية ذلك القطار و لم تكن خائفة بل غاية في السعادة !  
و عندما توقف و هممت بالنزول ، احزروا من صادفت ؟؟  
عمار اللثيم!

"من وليد ! مدهش جدا ! تتغيب عن المدرسة لتلهو مع الأطفال ! عظيم !"  
تجاهلته ، و انصرفت و الصغيرة مبتعدين ، ألا أنه عاد يلاحقني بكلام مستفز خبيث  
لم أستطع تجاهله ، و بدأنا عراكا جديدا!  
تدخل مجموعة من الناس و من بينهم والدي لفض نزاعنا بعد دقائق...  
عمار و بسبب لكمتي القوية إلى وجهه سالت الدماء من أنفه  
كان يردد:

"ستندم على هذا يا وليد ! ستدفع الثمن"

أما رغد ، و التي كانت تراني و لأول مرة في حياتها أتعارك مع أحدهم ، و أؤذيه ، فقد بدت مرعوبة  
و التصقت بوالدتي بذعر  
عندما عدنا للبيت وبخني أبي بشدة على تصرفي في الملاهي و عراكي...

و قال:

كنت أظنك أصبحت رجلا !

و هي كلمة آلمتني أكثر بكثير من لكلمات عمّار

استأنت كثيرا جدا ، و عندما دخلت غرفتي بعثرت الكتب و الدفاتر التي كانت فوق مكتبي بغضب

لا أدري لماذا أنا عصبي و متوتر هذا اليوم...

بل و منذ فترة ليست بالقصيرة

أهذا بسبب الامتحانات المقبلة؟؟

بعد قليل ، طرق الباب ، ثم فتح بهدوء...

كانت رغد

"وليد" ...

ما أن نطقت باسمي حتى قاطعتها بحدة:

"عودي إلى غرفتك يا رغد فوراً"

نظرت إلي و هي لا تزال واقفة عند الباب ، فرمقتها بنظرة غضب حادة و صرخت:

"قلت اذهبي ... ألا تسمعين؟؟" !

أغلقت الصغيرة الباب بسرعة من الذعر!

لقد كانت المرة الأولى التي أقسو فيها على رغد...

و كم ندمت بعدها

ألقيت نظرة على ( صندوق الأمانى ) ثم أمسكت به و هممت بتمزيقه!

ثم أبعدته في آخر لحظة!

كنت أريد أن أفرغ غضبي في أي شيء أصادفه

إنني أعرف أنني يوم السبت المقبل سأقابل بتعليقات ساخرة من قبل عمّار و مجموعته

و كل هذا بسبب أنت أيتها الرغد المتدلة ...

لأجلك أنت أنا أفعل الكثير من الأشياء السخيفة التي لا معنى لها

و الأشياء المهولة ... التي تعني أكثر من شيء ... و كل شيء...

و التي يترتب عليها مصائر و مستقبل ...

كما سترون...

لم استطع النوم تلك الليلة  
جعلت أقلب على فراشي و الأمور الثلاثة : الدراسة ، الحرب ، و رغد تأمرت علي و سببت لي أرقا  
و صداعا شديدا

أوه يا إلهي ... أنا متعب ... متعب!

فلتذهب الدراسة للجحيم!

ولتذهب الحرب كذلك للجحيم!

و رغد...

رغد...

فلأذهب أنا إلى رغد!

قفزت من سريري في رغبة ملحة جدا لرؤية الصغيرة ...

لا بد أنها غارقة في النوم الآن ... كم كنت قاسيا معها ! كم أنا نادم!

سرت ببطء حتى دخلت غرفة رغد ، و تعجبت إذ رأيت الظلام مخيما عليها!

صغيرتي تخاف النوم في الظلام الشديد و تصر على إضاءة النور الخافت

اقتربت من السرير و أنا أدقق النظر بحثا عن وجه الصغيرة ، ألا أنني لم أراه

أشعلت المصباح الخافت المجاور لسريها ، و أصبت بالفزع حين رأيت السرير خاليا...

نهضت مذعورا ... و تلفت من حولي ... ثم أنرت المصباح القوي و دقتت النظر في كل شيء ... لم

تكن رغد في الغرفة...

خرجت من الغرفة كالمجنون و ذهبت رأسا إلى غرفة دانة ، ثم سامر ، ثم جميع غرف المنزل و أنحاءه

و لم أبق منه مترا واحدا دون تفتيش ... عدا غرفة والديّ

سرت و أنا أترنح و متشبث بأملي الأخير بأن تكون رغد هناك...

توقفت عند الباب ، و رفعت يدي استعدادا لطرقة فخاننتني قواي

ماذا إن لم تكن رغد هنا ؟

أين يمكن أن تكون ؟

القلق بل الفزع و الخوف على رغد تملكاني و ألقيا جانبا أي تفكير سليم من رأسي

طرقت الباب طرقات متوالية تشعر أيا كان بالذعر!

ثوان ، و إذا بأمي تقف أمامي في فزع:

"وليد ؟ خير يا بني ؟"

التقطت عدة أنفاس متلاحقة ثم قلت:

"هل رغد هنا؟"

كنت أهدق بعين والدتي و كأنني أريد أن أخترقها إلى دماغها لأعرف الجواب قبل أن تنطق به ...

قولي نعم أمي ... أرجوك!

"نعم ! نامت هنا"

كأن جبلا جليديا قد وقع فوق رأسي لدى سماعي إجابتها

ارتخت عضلاتي كلها فجأة ، فترنحت و أنا أعود خطأ للوراء حتى جلست على أحد المقاعد

والدتي أقبلت نحوي ، و ألقنت نظرة سريعة على ساعة الحائط ، ثم عادت تنظر إلي بقلق...

"وليد ؟ ما بك عزيزي؟"

أغمضت عيني لثوان ، و أنا عاجز عن تحريك أي عضلة من جسمي...

ثم نظرت إليها و قلت بصعوبة:

"قلقت حين لم أجدها في غرفتها ... بل كدت أموت قلقا" ...

اقتربت مني والدتي ، و مسحت على رأسي و قالت:

"هوّن عليك يا بني..."

جاءتني تبكي البارحة و تقول أنك غاضب منها و أخرجتها من غرفتك !

كانت حزينة جدا !

ربما تريد أمي معاتبتي لتصرفي مع رغد

أرجوك أمي يكفي فأنا قد نلت من تأنيب الضمير ما يكفي و يزيد...

ألا ترين أنني لم أنم حتى هذه الساعة بسبب ذلك...؟؟

"آسف لإزعاجك أماه ، تصبحين على خير"

رغد!

ما الذي تفعليه بي !؟

نهضت متأخرا في الصباح التالي ، و حينما ذهبت إلى المطبخ وجدت أمي مشغولة في إعداد الطعام فيما

تلعب رغد ببعض الدمى إلى جوارها

عندما رأنتي رغد ، ابتسمت لها ، ألا أنها قامت و التصقت بأمي ، كأنها تطلب الحماية!

تضايقت كثيرا من هذا ... هل أصبحت طففتي الحبيبة تخاف مني؟؟

"رغد ! تعالي إلي" ...

لم تتحرك بل تشبثت بوالدتي أكثر ، الأمر الذي أشعرتني بضيق شديد جدا فغادرت المطبخ فورا

ستنسى بعد قليل ... إنها مجرد طفلة و الأطفال ينسون بسرعة!

بل من الأفضل ألا تنسى حتى تبقى بعيدة عني و أتخلص من أحد همومي!

في المساء ، حضرت أم حسام بطفليها حسام و نهلة لزيارتنا

أم حسام هي خالة رغد الوحيدة و التي كانت ترعاها في السابق ، بعد وفاة والديها

حسام هو ابنها الأكبر و البالغ من العمر سبع سنوات على ما أظن ، أما نهلة فتصغر رغد ببضعة أشهر

و يبدو أن ( أختا جديدا ) على وشك الانضمام لهذه العائلة!

رغد تحب خالتها هذه كثيرا ، و الخالة تتردد علينا من حين لآخر للاطمئنان على رغد

تحوّل بيتنا إلى ملعب أطفال ... لعب ، ضحك ، بكاء ، شجار ، عراك ، هتاف ، صراخ!

كانوا جميعا سعداء ، أما أنا فقد لزمّت غرفتي عكفت على الدراسة.

اختفت الأصوات تماما فيما بعد ، فاستنتجت أن الضيوف قد رحلوا.

في وقت العشاء ، كنت أول الجالسين حول المائدة فقد كنت جائعا ، و لم أكن قد تناولت أي وجبة

رئيسية لهذا اليوم.

الكرسي المجاور لي هو الكرسي الذي تجلس عليه صغيرتي رغد عادة

و كنت أساعدها في تناول الطعام دائما

اجتمع أفراد أسرتي حول المائدة ، ألا أن الكرسي المجاور ظل شاغرا!

"أين رغد؟؟"

وجهت سؤالي إلى والدتي ، فأجابت:

أصرت على الذهاب مع خالتها و بما أن الغد هو يوم جمعة تركتها تذهب لتبات عندهم "

اندهشت ، فهي المرة الأولى التي يحدث فيها شيء كهذا ... لطالما كانت الخالة تزورنا فلماذا تصر

على الذهاب معها اليوم و اليوم فقط؟؟

لقد فقد شهيتي للطعام ، و لم أتناول منه إلا اليسير...

مساء الجمعة ذهبت مع أبي لإحضار رغد من بيت خالتها

دخلت أنا للمنزل فيما ظل والدي ينتظر في السيارة

لقد كان الأطفال ، رغد و نهلة و حسام ، يلعبون ببعض الألعاب في إحدى الغرف

عندما رأوني توقفوا عن اللعب ، و اخذوا يحدقون بي!

هل أبدو مرعبا؟؟

ربما لأنني طويل و ضخم البنية نوعا ما!

ابتسمت لهذه المخلوقات الصغيرة ثم قلت:

"مرحبا أعزائي ! ألم تكتفوا من اللعب "

لم يبتسم أي منهم أو يحرك ساكنا!

وجهت نظري إلى صغيرتي رغد ، و قلت أخاطبها:

"صغيرتي الحلوة ! حان وقت العودة إلى البيت "

"لا أريد"

كانت أول جملة تنطق بها رغد ! إنها لا تريد العودة للبيت!

"ماذا رغد ؟ يجب أن نعود الآن فغدا ستذهبين إلى المدرسة " !

"سأبقى هنا"

"رغد ! سوف نأتي بك إلى هنا لتلعبى كل يوم إن أردت ! هيا فوالدنا ينتظر في السيارة"

لم يبد أنها عازمة على النهوض.

و الآن؟؟ ماذا افعل مع هذه الصغيرة؟؟

كيف يجب ان يكون التصرف السليم؟؟

تدخلت أم حسام قائلة:

"بنيتي رغد ، غدا سيحضرك وليد إلى هنا من جديد . و كل يوم إذا أردت اللعب مع نهلة فتعالى و

أحضري ألعابك أيضا"

"لا أريد"

ثم بدأت بالبكاء...

ربما تظن خالتها أننا نسيء إليها بشكل ما !

ماذا جرى لهذه الصغيرة ؟ لماذا أصبحت لا تريد الاقتراب مني ؟ أكل هذا لأنني

أخرجتها من غرفتي بقسوة تلك الليلة ؟

أم حسام أخذت تمسح على رأس الصغيرة و تهدئها و تكرر

"غدا سيحضرك وليد إلى هنا عزيزتي"

قلت ، محاولا إغراءها بالحضور بأي طريقة:

"سنمر بمحل البوضا و نشترى لك النوع الذي تحبين" !  
يبدو أن الفكرة أعجبتها ، فتوقفت عن البكاء و أخذت تنظر إلي...

قالت خالتها مشجعة:

"هيا بنيتي ، و عندما تأتين غدا سنشتري لك و لنهلة و حسام المزيد من البوضا و الألعاب"

و أخذت تقربها نحوي حتى صارت أمامي مباشرة

رفعت رغد رأسها الصغير و نظرت إلي

إنها نظرة لا أستطيع نسيانها ما حييت...

كأنها تعاتبني على قسوتي معها ... و تقول ... خذلتني!

مددت يدي و رفعت الصغيرة عن الأرض و ضممتها إلى صدري و قبلت جبينها

كيف لي أن أعتذر؟

إنها اليتيمة التي و لو بذلت الدنيا كلها لأجلها ، ما عوضتها عن لحظة واحدة تقضيها في حضن أمها

أو أبيها...

قلت:

"ماذا تودين بعد ؟ لعبة جديدة أم دفتر تلوين جديد؟"

قالت:

"أريد لعبة و أريد دفترا"

قلت:

"يا لك من سيده طماعه ! حاضر ! كما تأمرين سيدتي" !

فابتسمت لي أخيرا...

شعرت بشيء ما يحرك بنطالي...

نظرت إلى الأسفل فإذا بها نهلة تمسك ببنطالي و تهزه ، ثم تقول:

"احملني" !

نظرت إليها بدهشة و استغراب!

"رغد تقول أنك قوي جدا و كنت تحملها مع دانة سوية"

رباه!!

في تلك الليلة ، جعلت رغد تنام على سريري للمرة الأخيرة ... و لونت معها كثيرا و قرأت لها أكثر من قصة ، و طبعا اشتريت لها أكثر من لعبة و أكثر من دفتر تلوين إضافة إلى البوضا!  
ربما كانت هذه طريقتي في الاعتذار!

إن كنت أدلل صغيرتي كثيرا فهذا لأنني أحبها كثيرا...  
و هي نائمة على سريري بسلام ، أخذت أتأملها بعطف و محبة...  
كم هي رائعة!

و كم أنا متعلق بها!

كم يبدو هذا جنونا!

ذهبت إلى حيث وضعت صندوق الأمانى ، فأخذته و جعلت أنظر إليه بحدة

كم تمنيت لو أن بصري يخترق الصندوق إلى ما بداخله!

ليتني أعرف ... الاسم الذي تلا هذه الجملة

عندما أكبر سوف أتزوج .... ؟

عندما تكبرين يا رغد...

فقط عندما تكبرين....

فإنني...

في أحد الأيام ، قررنا تناول بعض المشويات في المنزل

في حديقة المنزل أعد والدي ما يلزم و أشعل الفحم

كان يوما جميلا ، و كنا مسرورين لهذه ( النزهة المنزلية ) التي قلما تحدث

الأطفال ، سامر- إن كنت أعتبره طفلا - و دانة و رغد كانوا يتجولون هنا و هناك

سامر مهووس بدراجته الهوائية و التي لا يتوقف عن قيادتها و العناية بها في جميع أوقات فراغه ، و

رغد تهوى كثيرا الركوب معه ، و قد تعلمت كيف تقودها بنفسها

كانت تقود الدراجة فيما يجلس سامر على المقعد الحفي ، و كانت تترنح ذات اليمين و ذات الشمال و

تسقط بالدراجة من حين لآخر

ألا أنها كانت سقطات خفيفة غير مؤذية ، يستمتعان بها و يضحكان مرحين!

دانة كانت تساعد أمي في إعداد اللحم ، فيما والدي يهف الجمر فيزيده اشتعالا

كنت أنا أراقب الجميع في صمت و برود ظاهري ، بينما أشعر بشيء يتحرك و يشتعل في صدري مثل

ذلك الجمر ... لا أعرف ما يكون...؟؟



ذهب والدي لإحضار شيء ما...  
و ابتعاده عن الجمر أعطاني مجالاً أوسع لأراقب اشتعاله و تأججه...  
و جحيمة!  
إن عينيّ كانتا تنتقلان بين رغد و سامر على الدراجة ، و بين الجمر المتقد...  
ثم شردت...  
فجأة... ترنحت الدراجة و هي تسير بسرعة ، تقودها رغد الصغيرة ، و قبل أن يتمكن سامر من  
إيقافها ارتطمت بشيء فسقطت...  
كان يمكن لهذه السقطة أن تكون عادية كسابقاتها ن لو أن الشيء الذي ارتطمت الدراجة به لم يكن  
صينية الجمر المتقد....  
تعالت الأصوات و انطلق الصراخ القوي يزلزل الأجواء...  
ركضنا جميعاً نحو الاثنين بفزع...  
والدتي تولول ، و دانة تصرخ... و رغد تصرخ... و وليد يتخبط مستنجداً... صارخاً... من فرط  
الألم...  
جمرة واحدة أصابت رغد بحرق في ذراعها الأيسر...  
أما سامر...  
فقد انتهى بوجه مشوه مخيف ، و جفن منكمش يجعل العين اليمنى نصف مغلقة... مدى الحياة...  
لقد كان حادثاً سيئاً جداً... و انتهى يومنا الجميل بندبة لا تمحى...  
و رغم العمليات التي خضع لها ، ألا أن وجه سامر ظل يحمل أثر الحادثة المشؤومة إلى الأبد  
رغد و التي خرجت من الحادث بأثر حرق واحد في الذراع ، خرجت منه بآثار عميقة لا تمحى في  
الذاكرة و القلب  
أما دانة ، فقد غرست في نفس رغد الاعتقاد الأكيد بأنها السبب فيما حدث لسامر لأنها من كان يقود  
الدراجة وقتها  
رغد أصبحت مرعوبة فزعة متوترة معظم الأوقات... و أصبحت تخشى النوم بمفردها و تصر على أن  
أبقى إلى جانبها حتى تدخل عالم النوم ، و كثيراً ما كانت تستيقظ فزعة من النوم في أوائل الأيام... و  
تركض إلي...  
و المرة التي كنت أعتقد أنها الأخيرة ، تلتها مرات أخرى ، نامت فيها الصغيرة  
في غرفتي... طالبة الأمان و الطمأنينة...

"وليد أنا خائفة ... النار مؤلمة" ...

"وليد لن أركب الدراجة ثانية" ...

"وليد لا أريد أن أبقى وحدي ... الجمر يلاحقني" ...

"وليد ... عندما أكبر سأصبح طبيبة و أعالج سامر!"

وفي إحدى تلك المرات ، كتبت إحدى أمانيتها و أدخلتها في ذلك الصندوق!

و هذه المرة لم تسألني عن أية كلمة...

لكنني أكاد أجزم بأنها كتبت:

يا رب اشف سامر!

توالت الأيام و الشهور ... و تأقلم الجميع مع ما حدث ، و سامر اعتاد رؤية وجهه المشوه في المرآة و

تقبله ، و استسلم الجميع إلى أنها حادثة قضاء و قدر...

أما أنا...

فأشك في أن شيطاننا قد خرج من صدري و قاد الدراجة نحو الجمر المتقد...

و احرق سامر و رغد بنار كانت في صدري...

و لم تزد النار صدري إلا اشتعالا

و لم تزد الحادثة الاثنين إلا اقترابا...

و لم تزدني الأيام إلا تعلقا و تشبثا و جنونا برغد....

أنهيت دراستي الثانوية أخيرا!

إنني أريد الالتحاق بالجامعة ، ألا أن القصف الجوي الذي تعرضنا له مؤخرا دمر مبنى الجامعة التي

كنت أريدها

كما دمّر جزءا من المصنع الذي يملكه والدي

أوضاع بلدنا في تدهور ، و الحرب منذ أن اندلعت قبل عامين تقريبا لم تتوقف...

مستوانا المادي تراجع نتيجة لهذه الأحداث.

الدراسة تعني لي الكثير الكثير ، خصوصا بعدما حدث...

إنها أحد أحلام حياتي...

ما أكثر الأحلام!

أتذكرون صندوق الأحلام الخاص برغد و الذي صنعتها لها قبل ثلاث سنوات ؟

أضفت إليه حلما جديدا يقول:

أريد أن أصبح رجل أعمال ضخم !  
اعتقد أن الأمور الإدارية تليق بي كثيرا!  
وجدت فرصة هبطت عليّ من السماء لأبتعث للدراسة في الخارج ، شرط أن أجتاز أحد امتحانات  
القبول ، و الذي سأجربه بعد الغد  
و ما اقرب بعد الغد!  
إن مصيري و مستقبلي معلقٌ بذلك اليوم...  
إنني قد عدت لقراءة بعض المواضيع من المواد الدراسية المختلفة استعداد له  
ادعوا لي بالتوفيق!  
في الوقت الراهن أنا بدون شاغل ، أو لنقل ... عاطل عن المستقبل!  
خلال السنوات الثلاث الماضية ازداد طولي وحجمي كثيرا و أصبحت عملاقا و ضخما!  
تعديت طول والدي و أصبحت أشعر ببعض الخجل كلما وقفت إلى جانبه !  
أما صغيرتي المدللة ، فلم تتغير كثيرا!  
لا تزال نحيلة و صغيرة الحجم ، كثيرة المطالب ، و شديدة التدلل!  
و المنافسة بينها و بين دانة حتى على الأشياء البسيطة لا تزال قائمة!  
و اعتقد أنكم تتوقعون أنني...  
لازلت مهووسا بها كما السابق ، بل و أكثر...  
وصلت الآن إلى بوابة المدرسة الابتدائية ، و ها أنا أرى الفتاتين تقبلان نحو السيارة!  
و راقبوا ما سيحصل!  
تتسابق الاثنتان نحو الباب الأمامي...  
تصل إحدهما قبل الأخرى بجزء من الثانية  
تحاول كل واحدة فتح الباب و الجلوس في المقعد المجاور لي  
تتنازعان  
تتشاجران  
تحتكمان إلي!  
"وليد ! أنا وصلت قبلها"  
"بل أنا يا وليد ... أليس كذلك؟"  
"وليد قل لها أن تبتعد عني"

"أنا من وصل أولا ! دعها تتركب خلفك وليد"  
"كفى" !

كل يوم تتكرر نفس القصة ! و الآن عليّ أن أضع جدولا مقسما فيما بينهما!  
"حسنا ... من التي كانت تجلس قربي يوم أمس؟"

أجابت دانة:

"أنا"

قلت:

"إذن ، اليوم تجلس رغد و غدا دانة و هكذا ! اتفقنا؟؟"

و بزهو و نشوة الانتصار ، ركبت السيدة رغد و جلست على الكرسي الأمامي بجانبني!

فيما ترمق دانة بنظرات ( التحسير! )

كم سأفتقد هاتين المشاكستين!

"وليد تعلمنا درسا صعبا في ( الرياضيات ) أريدك أن تساعدني في حل التمارين"

"حسنا رغد"

"و أنا أيضا أريدك أن تساعدني في تمارين القواعد"

"حسنا دانة" !

قالت رغد بسرعة:

"لكن أنا أولا فأنا سألتك أولا"

قالت دانة:

"درسي أنا أصعب . أنا أولا يا وليد"

أنا أولا ... أنا أولا ... أنا أولا...

ويلي من هاتين الفتاتين!

كلا ! لن أفقدكما أبدا!

كنت معتادا على تعليم الفتيات في أحيان كثيرة ، خصوصا بعد تخرجي من المدرسة...  
مواقف كثيرة ، و كثيرة جدا ، هي التي حصلت خلال السنوات الماضية و لكنني اختصرت لكم  
قدر الإمكان...

حينما وصلنا إلى البيت ، بالتحديد عندما هممت بإدخال المفتاح في الباب لفتحه ، بدأت منافسة  
جديدة...

"أعطني المفتاح أنا سأفتحه"

"لا لا ، أنا سأفتحه وليد"

"لا تقلديني !"

"أنت لا تقلديني"

و احتدم النزاع!

أوليت الباب ظهري و وقفت بين الفتيات و عبست في وجهيهما !  
قلت بحدة:

"أنا من سيفتح الباب و إن سمعكما تتجادلان على هذا المفتاح ثانياة فتحت رأسيكما و أفرغت ما  
بهما"

المفروض أن نبرتي كانت حادة و مهددة ، و تثير الخوف ! ألا أن رغد أخذت تضحك ببساطة!  
التفت إليها و قلت:

"لم الضحك؟؟"

قالت و هي تقهقه:

"لن تجد شيئا في رأس دانة من الداخل" !

قالت دانة:

"بل أنت الجوفاء الرأس ! أتعلمين ماذا سيجد وليد في رأسك؟"

رغد:

"ماذا؟"

دانة:

"البطاطا المقلية التي تلتهمينها بشراهة كل يوم" !

رغد - و هي تضحك بمرح -



ألقيت التحية على والدتي ، و التي كانت مشغولة بتجهيز أطباق المائدة

قالت أمي:

"رغد ، هيا اذهبي و أدي صلاتك ثم اجلسي عند مائدة الطعام"

قامت رغد ، و هي تنزع الحقيبة المدرسية عن ظهرها و تنظر إلى أمي و تقول:

"بطاطا مقلية؟"

"نعم ! حضرتها لأجلك"

و انطلقت رغد فرحة ، و غادرت المطبخ.

للعلم ، فإن صغيرتي هذه تحب البطاطا المقلية كثيرا !

والدتي استمرت في عملها و حدثتني دون أن تنظر إلي:

"لم تعد صغيرة!"

ركزت بصري عليها ، و قلت:

"رغد ؟ لقد كبرت قليلا!"

"لم تعد صغيرة لتحملها على ذراعيك"

غيرت كلمات والدتي هذه مجرى ما فهمت...

إذن ، فهي معترضة على حملي للصغيرة هكذا...؟

"و لكن ... إنها مجرد طفلة صغيرة و خفيفة ! و هي تحب ذلك" ...

"إنها في التاسعة من العمر يا وليد" ...

جملة والدتي هذه ، جعلت شريط الذكريات يعرض فجأة في مخيلتي...

تذكرت كيف حضرت إلى منزلنا قبل ست أو سبع سنين! ...

آه ... ( المخلوقة البكاء!)

يا للأيام...

من كان ليصدق أنني ( ربيت ) رغد في جحري و أطعمتها بيدي و سرحت شعرها و نظفت أذنيها !

من جرّب أن يكون أما و أبا ليتيمة ، و هو طفل أو حتى مراهق لم يبلغ العشرين!

يا للذكريات!

في غرفتي لاحقا ، أخذت أقلب ألبوم الصور الذي يشمل أفراد عائلتي...

صحيح ... لقد كبرت الصغيرة !

مر الوقت سريعاً...

و ها أنا مقدم على الجامعة ، و حين أسافر... ..

توقفت عند هذا الحد...

فأنا لا أستطيع التفكير فيما بعد ذلك

كيف لي أن أبتعد عن أهلي و وطني ...؟

كيف لي أن أتحمّل الغربة و الوحدة ؟

كيف لصباح أن يطلع علي ، دون أن أحتسي شاي والدتي العطر ، و كيف لشمس أن تغرب

دون أن أقرأ أخبار الصحف لوالدي ؟

كيف لعيني أن تغمض دون أن أتمنى لأخوتي نوما هانئاً...

كيف لقلبي أن ينبض ... دون أن أحمل رغد على ذراعي؟؟؟

إنني سأذهب لإجراء الامتحان بعد الغد و إذا ما اجتزته ، فسأغادر البلد خلال أسبوع أو أكثر بقليل

إنها أفكار تجعلني أشعر بخوف و توجّس...

هل أقوى على ذلك؟؟

لا بد لي من ذلك ... فأحوالنا في تدهور و شهادتي الجامعية ستعني الكثير...

المرشحون لهذا الامتحان قليلون ، و كانت فرصة ذهبية أن أضيف اسمي إليهم

و أنا واثق من قدرتي على اجتيازه ، بإذن الله...

قلبت الألبوم و أنا في حيرة ... أي صورة آخذها معي؟؟

ثم وقع اختياري على صورة تضمنا جميعاً ، تظهر فيها رغد متشبثة برجلي!

فيما ترتسم ابتسامة رائعة على وجهها الجميل...

" هذه هي " !

أخذت الصورة ، و صورة أخرى لرغد و هي تلوّن في أحد دفاترها ، و وضعتهما في محفظة

جيبي .

في المساء ، ذهبت مع أخي سامر لأحد المتاجر لاقتناء بعض الأشياء ، و وقفنا عند حقائق السفر

رغبة في شراء بعضها

فيما كنا هناك ، حضر مجموعة من الشبان ، كان عمّار فيما بينهم.

عمّار نجح بصعوبة ، و تخرج - رغم إهماله - من المدرسة الثانوية ، و اعتقد أن والده

ذا النفوذ الكبير قد استطاع تدبير مقعد دراسي له في إحدى الجامعات ... بطريقة ( غير قانونية)!



عندما رأيته عمّار ، أقبل نوي تسبقه ضحكته البغيضة ، و قال:

" يبدو أن وليد ينوي السفر أيها الأصحاب ! هل عثر والدك على كرسي جامعي شاغر لك !؟"

أم أن حطام الجامعة قد حطّم قلبك يا مسكين؟؟"

و بدأ مجموعة الشبان بالضحك و القهقهة

أوليتهم ظهري فقال عمّار:

" لا تقلق ! سأطلب من والدي أن يساعدك في البحث عن جامعة ! أو ... ما رأيك بالعمل

عندنا ! فمصنعنا لم يحترق ! سأوصي بك خيرا " !

سامر لم يتحمّل هذه السخرية من ذلك اللئيم ، و ثار قائلا:

" لم يبق إلا أن يعمل الأعزة عند الأذلة المنحرفين " !

صرخ عمّار قائلا:

" احرص أيها الأعور القبيح ! من سمح لك بالتحدث ! ألا تخجل من وجهك المفزع؟"

و التفتت إلى أصحابه و قال:

" اهربوا يا شباب ! الأعور الدجال " !

سيل من اللكمات العنيفة وجهتها بلا توقف و لا شعور نحو كل ما وقعت قبضتي عليه من أجساد  
عمّار و أصحابه...

لحظتها ، شعرت برغبة في فقء عينيه و سلخ جلده ...

أخي سامر نال منهم أيضا

و احتدّ العراك و تدخّل من تدخل ، و فر من فر ، و انتهى الأمر بنا تدخل من قبل الشرطة!

في تلك الليلة و للمرة الأولى منذ الحادثة المشؤومة ، سمعت صوت بكاء أخي خلصة.

عندما أصيب بالحرق ، كان لا يزال طفلا في الحادية عشرة من العمر ... ربما لم يكن شكله يشغل

تفكيره و اهتمامه بمعنى الكلمة ، أما الآن ... و هو فتى بالغ أعمق تفكيراً ، فإن الأمر اختلف كثيرا

ليلتها ، قال أنه يريد أن يخضع لعملية تجميل جديدة...

لكن أوضاعنا المادية في الوقت الحالي ، لا تسمح بذلك....

عندما أحصل على شهادتي الجامعية ... و أعمل و أكسب المال ، فسوف أعرضه على أمهر

جراحي التجميل ، ليعيده كما كان...

فقط عندما أحصل على شهادتي...

في اليوم التالي ، وجدت سيارتي مليئة بالخدوش المشوهة!

"إنه عمّار الوجد ! تبا له " !

أوصلت أختي للمدرسة ، و شغلت نفسي ذلك الصباح بمزيد من الإعدادات للسفر المرتقب!  
امتحاني سيكون يوم الغد ... لذا ، قضيت معظم الوقت في قراءة مواضيع شتى من كتبي الدراسية  
السابقة...

و كلما قلبت صفحة جديدة من الكتاب ، قلبت صفحة من ألبوم الصور ...

كيف أستطيع فراق أهلي ...؟

كيف أبتعد عن رغد ؟

إنني أشعر باضيق إذا ما مضت بضع ساعات دون أن أراها و أداعبها ... و أنزعج كلما باتت في بيت  
خالتها بعيدا عني...

فيما أنا منهمك في أفكارى و قراءتى ، جاءتنى رغدا! ...

طرقت الباب ، ثم دخلت الغرفة ببطء ، تاركة الباب نصف مفتوح...

"وليد ... لذي تمرين صعب ... ساعدني بحله"

لم يكن هناك شيء أحب إلي من تعليم صغيرتي ، ألا أنني يومها كنت مشغولا ... لذا قلت:

"اطلبي من والدتي أو سامر مساعدتك ، فأنا أريد أن أذاكر" !

لم تتحرك من مكانها!

نظرت إليها مستغربا و قلت:

"هيا رغد ! أنا آسف لا أستطيع مساعدتك اليوم" !

و بقيت واقفة في مكانها...

إذن فهناك شيء ما !

حفظت هذا الأسلوب!

تركت الكتاب من بين يدي و نهضت ، و قدمت إليها و جثوت على ركبتى أمامها:

"رغد ... ما بك ؟"

تقوس فمها للأسفل في حزن مفاجئ و قالت:

"هل صحيح أنك ستسافر بعيدا ؟"

فاجأني سؤالها ، إنني لم أكن أتحدث عن أمر السفر معها ، فالحديث سابق لأوانه...

قلت مازحا:

"نعم يا رغد ! إلى مكان بعيد لا يوجد فيه رغد و لا دانة و لا شجار ! و سأترك رأسي هنا" !

لم يبدو أنها فهمت مزاحي أو تقبلته ، إذ أن تقوس فمها الصغير قد ازداد و بدأت عيناها تحمرّان  
قالت:

" و هل ستأخذني معك ؟"

هنا ... عضضت على شفتي و جاء دور فمي أنا ليتقوس حزنا...

طردت الموجة الحزينة التي اعترتني

و قلت:

" من أخبرك بأنني سأسافر ؟؟"

" سمعت والداي يتحدثان بهذا "

مسحت على رأسها و قلت:

" سأسافر فترة مؤقتة لأدرس ثم أعود "

" و أنا ؟؟"

" ستبقين مع الجميع و حالما أنهى دراستي سأعود و آخذك إلى أي مكان في العالم " !

" لا أريدك أن تذهب وليد ! من الذي سيحبني كثيرا مثلك إذا ذهبت ؟"

شعرت بخنجر يغرس في صدري...

رغد ... أيتها الفتاة الصغيرة ... التي تربعت في كل خلايا جسمي ، ألا تعلمين ما يعنيه

فراقك بالنسبة لي ! ؟؟

لا أعرف إن كانت قد أحست بالطعنة التي مزقت قلبي أم أنني أهول الأمر ، ألا أن دموعها سالت

ببطء من مقلتيها...

دموع أميرتي التي تزلزل كياني...

مددت يدي و مسحت دموعها و أنا أحاول الابتسام:

" رغد ! عزيزتي ... لا يزال معك دانة و سامر ... و أمي و أبي ... و نهلة و حسام و سارة

(و سارة هي الابنة الثانية لأم حسام ) مع أمهم ! و كل صديقاتك ! لن تكوني وحيدة ! أنا فقط من

سيكون وحيدا " !

قالت بسرعة:

" خذني معك " !

ضغطت على قبضتي ، و قلت:

" يا ليت ! لا يمكنني ... صغيرتي ! لكنني عندما أعود " ...

و لم أكمل جملتي ، رمت رغد بكتابها جانبا و قاطعتني بسيل من الضربات الخفيفة الموجهة إلى

صدري...

إلى قلبي...

إلى روحي...

إلى كل عصب حي في جسدي...

و شريان نابض...

"لا تذهب ... لا تذهب ... لا تذهب "

"رغد "

"أنت قلت أنك ستعتني بي كل يوم و دائما ! لا تذهب ... لا ... لا ... لا "

و أخذت تبكي بعمق ...

و كلما حاولت المسح على رأسها أبعدت يدي و ضربت صدري استنكارا...

ضرباتها لم تكن موجعة ، لو أنني لم أكن مصابا ببعض الكدمات و الرضوض في صدري ، أثر عراكي

الأخير مع عمّار و أصحابه...

شعرت بالألم ، و لكنني لم أحرك ساكنا...

تركت لها حرية التعبير عن مشاعرها قدر ما تشاء...

لم أوقفها ... لم أبعدها ... لم أنطق بكلمة بعد...

إنها رغد التي تربت في حضني ... و عانقت ذات الصدر الذي تضربه الآن...

ليتهم لم يحرقوا الجامعة...

ليتهم لم يحرقوا المصنع...

ليتهم أحرقوا شيئا آخر...

ليتهم أحرقوا عمّار!

و يبدو أن صوت رغد قد وصل إلى مسامع والدي فجاء إلى غرفتي و وقف عند فتحة الباب...

عندما رأى ولدي رغد تضربني ، غضب من تصرفها و بصوت حاد قال ، و هو واقف عند الباب:

"رغد ... توقفي عن هذا"

رغد رفعت رأسها و نظرت إلى والدي ، ثم قالت:

"لا تدعه يذهب"

ألا أن أبي قال بحدة:

"خذي كتابك و عودي إلى أمك ، و دعي وليد يدرس"

لم تتحرك رغد من مكانها ، فرفع والدي صوته بغضب و قال:

"ألم تسمعي ؟ اذهبي إلى أمك و كوني فتاة عاقلة"

رغد التقطت كتابها من على الأرض ، و خرجت من الغرفة

أما قلبي أنا فكان يعتصر ألما...

بعدها ، قلت لأبي:

"لماذا يا أبي ؟ إنها ستظل تبكي لساعات ! جاءت تطلب مني تعليمها"

والدي قال بغضب:

"لقد كانت والدتك تعلمها ، و حين جيء بذكر سفرك ، حملت كتابها و أتت إليك ، نهيناها فلم

تطع"

قلت مستاءا:

"لكنك صرفتها بقسوة يا أبي"

لم تعجب جملتي والدي فقال:

"أنت تدللها أكثر من اللازم يا وليد ... يجب أن تعلمها أن تحترمك لا أن ترفع يدها عليك هكذا ،

تصرف سيئ"

"لكني لا أستاء من ذلك يا أبي ... إنها مجرد طفلة ، كما أنني أتضايق كثيرا إذا أساء أحد إليها ،

والدي ... أرجوكم لا تقسوا عليها بعد غيابي " ...

من يدري ماذا يحدث ؟ بعد أن أغيب ...؟

هل سيسيء أحد إلى طفلتي؟؟

إنني لا أقبل عليها كلمة واحدة ...

ليتنني أستطيع أخذها معي!

انتظرت حتى انصرف والدي من المنزل ، ثم فتشت عن رغد ، فوجدتها في غرفتها ... و كما توقعت ،

كانت غارقة في الدموع...

أقبلت إليها و ناديتها:

"رغد يا صغيرتي " ...

رفعت رأسها إلي ، فرأيت العالم المظلم من خلال عينيها البريئتين...

اقتربت منها و طوّقتها بذراعي ، و قلت...

"لا تبكي يا عزيزتي فدموعك غالية جدا " ...

قالت:

"لا تذهب ... وليد ..."

قلت:

"لا بد أن أذهب ... فسفري مهم جدا ..."

"و أنا مهمة جدا"

"طبعا أميرتي ! أهم من في الدنيا !"

أسكتت بيدي في رجاء و قالت:

"إذا كنت تحبني مثلما أحبك فلا تسافر"

في لحظة جنون ، كنت مستعدا للتخلي عن أي شيء ، في سبيل هذه الفتاة...

و بدأت أفكار التخلي عن حلم الدراسة تنمو في رأسي تلك اللحظة...

ليتني ... أيا ليتني استمعت إليها...

يا ليتني فقدت عقلي و جننت لحظتها بالفعل...

لكنني للأسف ... بقيت متشبثا بحلمي الجميل....

"عزيزتي ، سأكون قريبا ... اتصلي بي كل يوم و أخبريني عن كل أمورك ! و إذا

تشاجرت معك دانة فأبلغيني حتى أعاقبها حين أعود" !

نظرت إلي نظرة سأضيفها إلى رصيد النظرات التي لن أنساها ما حييت ...

ما حييت يا رغد لن أنسى هذه اللحظة ...

"وليد ... خذلتني ... لم أعد أحبك"

رغد لم تكلمني طوال الصباح التالي ، بل و لم تنظر إلي...

كانت حزينة و قد غابت ضحكتها الجميلة و مرحها الذي يملأ الأجواء حياة و حيوية...

الجميع لاحظ ذلك ، و استنتجوا انه بسبب موضوع سفري و غضب والدي منها يوم أمس...

و كالعادة ، أوصلت سامر إلى مدرسته ، ثم دانة و رغد....

وهي تسير مبتعدة عن السيارة و متجهة نحو مدخل المدرسة ، كانت رغد مطأطئة الرأس متباطئة

الخطى

جعلت أراقبها قليلا ، فألقت علي نظرة حزينة كثيفة لم أتحمل رؤيتها ، فابتعدت قاصدا المكان الذي

سأجري فيه اختباري المصيري...

المشوار إلى هناك يستغرق قرابة الساعة ، و كنت ألقي بنظرة على الساعة بين الفينة و الأخرى خشية

التأخر

أعرف أنها فرصة العمر و أي تأخير مني قد يضيعها...

حينما أوشكت على الوصول ، ورددتني مكاملة هاتفية عبر هاتفي المحمول ، من صديقي ( سيف ) يتأكد من وشوكي على الوصول . و سيف هذا هو أقرب أصحابي ، و هو مرشح معي أيضا لدخول الامتحان.

بعد دقيقة ، عاد هاتفي يرن من جديد...

كان رقما مجهولا!

"مرحبا ! لا بد أنك وليد" !

بدا صوتا غير معروف ، سألته "

"من أنت ؟؟"

قال:

"يا لذاكرتك الضعيفة يا مسكين ! يبدو أن الضرب الذي تلقيته من قبضتي قد أودى بقدراتك العقلية !"

الآن استطعت تمييز المتحدث ... إنه عمّار!

"عمّار ؟؟!"

"أحسننت ! هكذا تعجبني" !

استأث ، كيف حصل على رقم هاتفي الخاص و ما الذي يريد مني ؟

"ماذا تريد ؟"

"انتبه و أنت تقود ! أخشى أن تصاب بمكروه" !

"أجب ماذا تريد ؟؟"

ضحك ذات الضحكة الكريهة و قال:

"لا شك أنك في طريقك للامتحان ! أليس كذلك ! إن الوقت سيستغرق منك أقل من ساعتين فيما لو

قررت الذهاب إلى المطار" !

ضقت ذرعا به ، قلت:

"هل لي أن أعرف سبب اتصالك ؟ فيما أن تقول ماذا أو أنهي المكالمة"  
"رويدك يا صديقي ! سأمهلك ساعتين فقط ، حتى تمثل أمامي و تعتذر قبل أن أسافر بهذه الصغيرة  
بأي طائرة ، إلى الجحيم !"  
بعدها سمعت صرخة جعلت جسدي ينتفض فجأة و يدي ترتعشان ، و المقود يفلت من بينهما ، و  
السيارة تنحرف عن حط مسيرها ، حتى كدت أصطدم بما كان أمامي لو لم تتدخل العناية الربانية  
لإنقاذي....

"وليد ... تعال ..."

لقد كان صوت رغد....

جن جنوني...

فقدت كل معنى للقدرة على السيطرة يمكن أن يمتلكه أي إنسان ... مهما ضعف  
صرخت:

"رغد ! أهذه أنت رغد ؟؟ أجيبني"

فجاء صوت صراخها و بكاؤها الذي أحفظه جيدا يؤكد أن أذني لا زالتا تعملان بشكل جيد...

"رغد أين أنت ؟ رغد ردي عليّ"

فرد عمّار قائلاً:

"تجدنا في طريق المطار ! لا تتأخر فطائرتي ستقلع بعد ساعتين ... إلا إن كنت لا تمنع في أن

أصطحب شقيقتك معي !؟"

صرخت:

"أيها الوغد أقسم إن أذيتها لأقتلنك ... لأقتلنك يا جبان"

ضحك ، و قال:

"لا تتأخر عزيزي و لا تثر غضبي ! تذكر ... طريق المطار"

ثم أنهى المكالمة...

استدرت بسيارتي بجنون ، و انطلقت بالسرعة القصوى متجها نحو المطار...

لم أكن أرى الطريق أمامي ، الشوارع و السيارات و الإشارات ... اجتزتها كلها دون أن أرى شيئا منها



لم أكن أرى سوى رغد

و أتذكر كيف كانت تنظر إلي قبل ساعة...

ثم أتخيلها في مكان بين يدي عمّار

لم أعرف كيف أربط بين الأحداث أو أفكر في كيفية حدوث أي شيء...

أريد أن أصل فقط إلى حيث رغد

لا أعرف كم الوقت استغرقت...

شهر؟

سنة؟

قرن؟

بدا طويلا جدا لا نهاية له...

و سرت كقارب تائه في قلب المحيط...

أو شهب منطلق في فضاء الكون ...

لا يعرف إلى أين...

و متى

و كيف سيصل...

و بم سيصطدم...

أخذت هاتفي و اتصلت برقم عمّار الظاهر لدي ، أجب مباشرة:

لقد انقضت عشرون دقيقة ! أسرع فشقيقتك ترتجف خوفا !

"إياك أن تؤذيها و إلا" ...

"سأفعل إن تأخرت" !

"أيها ال ... .. دعني أتحدث إليها"

جاءني صوتها الباكي المذعور:

"وليد لا تتركني هنا"

"رغد ... عزيزتي أنا قادم الآن ... لا تخافي صغيرتي أنا قادم"

"أنا خائفة وليد تعال بسرعة أرجوك ... آه ... أرجوك" ...

أي عقل تبقى لي؟؟

لماذا لا تتحرك هذه السيارة اللعينة؟

لماذا لم اشتر صاروخا لمثل هذه الظروف؟

لماذا لم تحترق في الحرب يا عمّار...

ألف لعنة و لعنة عليك أيها الجبان ... ويل لك مني..

بعد ساعة و نصف ، و فيما أنا منطلق كالبرق على الشارع المؤدي إلى المطار ، إذا بي ألمح سيارة تقف

جانبا ، و يقف عندها رجل

و أنا أقترّب توضّح لي أنه عمّار

بسرعة ، أوقفت سيارتي خلف سيارته مباشرة و نزلت منها كالقذيفة و ركضت نحوه ، في الوقت

الذي فتح هو في الباب ، و أخرج رعد من السيارة...

جاءت رعد تركض نحوي فالتقطتها و رفعتها عن الأرض و أطبقت بذراعي حولها بقوة...

"رعد ... رعد صغيرتي ... أنا هنا ... أنا هنا عزيزتي"

رعد كانت تحاول أن تتكلم لكنها لم تستطع من شدة الذعر...

كانت ترتجف بين يدي ارتجاف الزلزال المدمر ... كانت تحاول النطق باسمي لكن لم تستطع النطق

بأكثر من

"و ... و ... و"

انهمرت دموعي كالشلال و أنا أضغط عليها و هي تضغط علي و تتشبث بي بقوة و أشعر بأصابعها تكاد

تخترق جسدي فيما ترفع رجليها للأعلى كأنما تتسلقني خشية أن تلامس رجليها الأرض و تفقدها

الأمان...

"أنا معك عزيزتي لا تخافي ... معك يا طفلي معك" ...

حاولت أن أبعد رأسها قليلا عني حتى أتمكن من رؤية عينيها و إشعارها بالأمان ، لكنها بدأت

بالصرخ و تشبثت بي بقوة أكبر و أكبر كأنها تريد أن تدخل بداخلي...

"وليد ! لديك امتحان مهم ! هل ستضيع الفرصة؟"

قال هذا عمّار الوغد و أطلق ضحكة كبيرة...

انتابتنني رغبة في تحطيمه ألا أن رعد عادت تصرخ حينما خطوت خطوة واحدة نحوه...

خسارة يا وليد ! جرّب حظك في مصنع والدي !

و ابتسم بخبيث:

"دفعتك الثمن ... كما وعدت"

ثم استدار و هم بركوب سيارته...

خطوت خطرة أخرى نحوه ، فأخذت رغد تصرخ بجنون:

"لا .. لا .. لا .. لا"

انثنى عمّار ليدخل السيارة ، ثم توقف ، و استقام ، و استدار نحوي و قال:

"نسيت أن أعيد هذا" !

و من جيب بنطاله أخرج شريطا قماشيا طويلا ، و رماه في الهواء باتجاهي

رقص الشريط كالحية في الهواء ، وأنا أراقبه ، في نفس اللحظة التي ظهرت فيها طائفة في السماء

مخرقة قرص الشمس المعشية ، و دوت بصوتها في الأجواء ، فيما يتداخل صوتها مع صوت عمّار وهو

يقول:

"إلى الجحيم" !

ثم هبط الشريط المتراقص تدريجيا و بتمايل حتى استقر عند قدمي ...

ركزت نظري على الشريط ، لأكتشف أنه الحزام الذي تلفه رغد حول خصرها ، و التابع لزيها

المدرسي الذي ترتديه الآن ...

رفعت نظري ببطء و ذهول و صعق إلى وجه عمّار ، فحرك هذا الأخير زاوية فمه اليمنى بخبث إلى

الأعلى في ابتسامة قضت عليّ تماما ... و دمرتني تدميرا

أبعدت وجه رغد عن كتفي و أجبرتها على النظر إلي ... فيما أنا عاجز عن رؤية شيء ... من عشي

الشمس ... و هول ما أنا فيه...

لم أر إلا دمارا و حطاما و نارا و جحيما...

لهيبا ... و صراخا ... و دموعا تحترق ... و آمالا تتبعثر ... و أحلاما تظلم...

سوادا في سواد...

عند هذه اللحظة ، نزعت رغد عني عنوة ، و دفعت بها أرضا و نظرت من حولي فإذا بي أرى صخور

كبيرة قربي...

التقطت واحدة منها ، و بسرعة لا تجعل مجالا للمح البصر بإدراكها ، و قوة لا تسمح لشيء

بمعاكستها ، رميتها نحو عمار و هو يهم بركوب سيارته ، فارتطمت برأسه ... و صرخ ... و ترنح

لثوان..

ثم هوى أرضا ...

و انتفض جسده...

و انتزعت روحه...

و إلى الجحيم...

وقفت جامدا في مكاني ، و أنا أراقب عمّار يترنح ، ثم يهوي ، و تسكن حركاته...

كان دوي الطائرة يزلزل طلبتي أذني ... دقت النظر إليه ... لم يحرك ساكنا

رفعت قدمي بصعوبة و حثثتها على السير نحو عمّار

بصعوبة وصلت قربه فرأيت عينيه مفتوحتين ، و الدماء تسيل من أنفه ، و صدره

ساكنا عن أية أنفاس...

أدركت ... أنه مات ... و إنني أنا ... من قتله

استدرت للخلف و عيناى تفتشان عن رغد...

صغيرتي الحبيبة...

مدلنتي الغالية...

مهجة قلبي...

رأيتها تقف بذعر عند سيارتي ، و تنظر إلي و دموعها تنهمر بغزارة ، فيما يستلقي

حزامها القماشي على الرمال الناعمة بكل هدوء...

بتثاقل و بطء ، بانهيار و ضعف شديدين ، سرت باتجاهها...

نفذ كل ما كان في جسدي من طاقة ، فكأنما كنت أعمل على بطارية انتزعت مني

و تركتني بلا طاقة و لا حراك...

في منتصف الطريق ، انهرت...

خررت على الأرض كما تخر قطعة قماش كانت متدلّية كالستار المثبت إلى الحائط

و ارتطمت ركبتي بالرمال ... و هبطت أنظاري برأسي نحو الأرض...

رفعت رأسي بصعوبة و نظرت إلى رغد ، و هي لا تزال واقفة في نفس الموضع و الوضع...

بصعوبة فتحت ذراعي قليلا ، و قلت بصوت مخنوق خرج من رئتي:

"تعالى ..."

رغد نظرت إلي دون أن تتحرك ، فعدت أقول:

"تعالى ... رغد"

الآن ، أقبلت نحوي بسرعة ، و بقوة ارتمت في حضني و كادت تلقيني أرضا...

طوّقتني بذراعيها بقوة ، و حين حاولت تطويقها أنا عجزت إلا عن رمي ذراعي

المنهاتين حولها بضعف

بكيت كثيرا ... و كثيرا جدا...

لما ضاع ... و لما انتهى..

و لما هو آت و محتوم...

بقينا على هذا الوضع بضع دقائق ، لا أقوى على قول أو فعل شيء ... و السكون التام يسيطر على الأجواء...

كان طريقا برياً موحشا ، و لم تمر بنا أية سيارة حتى الآن ...

استعدت من القوة ما أمكنني من تحريك يدي قليلا ، فجعلت أمسح على رأس طفلي و أنا أقول بحرقة و مرارة:

"سامحيني يا رعد ... سامحيني" ...

رعد استردت أنفاسها التائهة ، و قالت و وجهها لا يزال مغمورا في صدري:

"دعنا نعود للبيت"

أبعدت رأسها قليلا عني و سمحت لأعيننا باللقاء ... و أي لقاء؟؟

لقاء مبلل بسيول عارمة من الدموع الدامية

لم يجد لساني ما يستطيع النطق به ...

حاولت النهوض أخيرا ، و ذراعي تجاهدان من أجل حمل الصغيرة ، ففشلت

أطلقت صيحة حسرة و ألم مريرة تمنيت لو أنها زلزلت الكون كله ، و حطمت كل الأجرام و الكواكب

و من عليها ... و محت الدنيا من الوجود...

و طفلي الصغيرة تبكي على صدري مذعورة فزعة ... و عدوي الوغد جثة هادمة تقطر دما ... و حلمي

الكبير قد ضاع و تلاشى كغبار عصفت به ريح غادرة...

و مصيري المجهول البعيد ... كما وراء الأفق ... و الساحة الخالية إلا من رعد وأنا ... و الشمس

تشهد ما حدث و يحدث ... رفعت يدي إلى السماء ... و صرخت:

"يا رب" ...

استطعت أخيرا أن اشحن بالطاقة الكافية ، لأنفض و أحمل صغيرتي على ذراعي ، و أسير بها نحو

السيارة...

لم أجلسها على المقعد المجاور لا ، بل أجلستها ملتصقة بي ، فأنا لا أريد لبضع بوصات أن تبعدها

عني...

رن هاتفي المحمول ، و الذي كان في السيارة ، ألقيت نظرة لا مبالية على اسم المتصل الظاهر في

الشاشة ، كان صديقي سيف ، أخذت الهاتف و أسكته ، و ألقيت به جانبا ... فكل شيء قد انتهى انطلقت بالسيارة ببطء ، و أنا لا أعرف إلى أين أتجه ... فكل شيء أمامي كان مبهما و مجهولا ... قطعت مسافة طويلة في اتجاهات متعددة ، و نار صدري تتأجج ، و دموعي عاجزة عن إطفاء شرارة واحدة منها...

صغيرتي ، ظلت متشبثة بي ، لا تتكلم ، و تنحدر دمعة من عينيها تخترق صدري و تمزق قلبي قبل أن ينتهي بها المصير إلى ملابسها المتعطشة لمزيد من الدموع...

بعد فترة ، مررت في طريقي بحديقة عامة

و تصورا أي تصرف لا يمت لوضعي بصلة ، هو الذي بدر مني دون تفكير!

"رغد عزيزتي ، ما رأيك باللعب هنا قليلا؟"

رغد رفعت بصرها إلي ببراءة و شيء من الاستغراب ... فحتى على طفلة صغيرة محدودة المدارك ، لا يبدو هذا تصرفا طبيعيا..

"سأشتري بعض البوضا لنا أيضا ! هيا بنا"

و أوقفت السيارة ، و فتحت الباب ، و نزلت و أنزلتها عبر الباب ذاته.

أسكت بيدها و حثثتها على السير معي نحو مدخل الحديقة

هناك ، كان العدد القليل جدا من الناس ينتزهون ، مع أطفالهم الصغار ، فهو نهار يوم دراسي و حار إنني اعرف أن صغيرتي تحب الأراجيح كثيرا ، لذا ، أخذتها إلى الأرجوحة و بدأت أؤرجحها بخفة تخلخل الهواء ملابسها الغارقة في الدموع ، فجففها ، و صافحت وجهها الكئيب فأنعشته...

تصوروا أنها ابتسمت لي!

عندما كانت رغد تبتسم ، فإن الدنيا كلها ترقص بفرح في عينيّ و البهجة تجتاح فؤادي و أي غبار

لأي هموم يتبعثر و يتلاشى...

أما هذه الابتسامة ... فقد قتلتنني...

لم أع لنفسي إلا و الدموع تقفز من عينيّ قفزا ، و أوصالي ترتجف ارتجافا ، و قلبي يكاد يكسر

ضلوعي من شدة و قوة نبضاته...

تبتسمين يا رغد ؟ بكل بساطة ... و كأن شيئا لم يكن ؟!

ألا يا ليتني ... قتلتك يا عمارّ يوم تعاركنا...

ليتني قضيت عليك منذ سنين...

ليتنني أحرقتك قبل أن تحرق قلبي و تدمر ماضي و مستقبلي ... و تحطّم أعلى ما لدي...

"وليد"

انتبهت على صوت رغد تناديني ، و أنا غارق في الحزن المرير...

مسحت دموعي بلا جدوى ، فالسيل منهمر و الدمعة تجر الدمعة...

"نعم غاليتي؟"

"هل نشترى البوزا الآن؟"

أغمضت عيني...

و أوقفت الأرجوحة شيئاً فشيئاً ، فنزلت و استدارت إلي ... فأخذتها في حضني و قلت باكيا و

مبتسماً:

"نعم يا صغيرتي ، سنشتري البوذا و أي شيء تريدينه ... و كل شيء تتمنيه...  
أي شيء أيتها الحبيبة ... أي شيء ... أي شيء " ...

و انخرطت في بكاء قوي...

رغد ، تبدلت تعابير وجهها و قالت و هي تندفع للبكاء:

"لا تبكي وليد أرجوك"

و أجهشت بكاء هي الأخرى ...

جذبتهإلى صدري و طوقتها بحنان و عاطفة ممزقة ... و بكينا سوية بكاء يعجز اللسان عن وصفه...

و القلب عن تحمله..

و الكون عن استيعاب فيض عبره

و امتزجت دموعنا...

و لو مر أحد منا لبكى...



و لو شهدتم بكاءنا لخررتم باكيين...

ألا و حسبنا الله و نعم الوكيل....

بعد ذلك ، مسحت دموعها و دموعي ، و ابتسمت لها:

"إلى البوضا الآن" !

حملت الطفلة الصغيرة الحجم الخفيفة الوزن الضئيلة الجسم البريئة الروح على ذراعي ، فهي تحب ذلك...

و أنا سأفعل كل ما تحبه و تريده ... و لو أملك الدنيا و ما عليها لقدمتها لها فورا...

قبل الرحيل ...

و هل سيعوّض ذلك شيئا...؟؟

اشترينا البوضا ، و جلسنا نتناولها قرب النافورة ، و حين فرغت من نصيبها اشتريت لها واحدا آخر

...

و كذلك ، أطعمتها البطاطا المقلية فهي تحبها كثيرا!

أطعمتها بيدي هاتين...

نعم ... بهاتين اليدين اللتين كثيرا ما اعتنتنا بها ... في كل شيء...

و اللتين قتلنا عمّا قبل قليل ...

و اللتين ستكبلان بالقيود ، و تذهبان إلى حيث لا يمكنني التكهّن...

جعلتها تلعب بجميع الألعاب التي تحبها ، دون قيود و دون حدود ، بل ركبت معها و للمرة الثانية في حياتها ذلك القطار السريع الذي جربنا ركوب مثيله قبل ٣ سنوات...

وكم أسعدتها التجربة الثانية!

نعم ... ببساطة ... أسعدتها!

كأي طفلة صغيرة وجدت فرصة لتلهو ... دون أن تدرك حقائق الأمور...

لهونا كثيرا ... ، و حين اقترب الموعد الذي يفترض أن أكون فيه عند مدرسة رغد و دانة ، في انتظار خروجهما...

"عزيزتي ، سنذهب لأخذ دانة من المدرسة ، لا تخبريها عن أي شيء"

نظرت رغد إلي باستفهام ، أمسكت بكتفيها و قلت مؤكداً:

"لا تخبري أحدا عن أي شيء ، أنا سأخبرهم بأنك لم تشائي الذهاب للمدرسة فأخذتك معي ... اتفقنا رغد ؟ عديني بذلك ؟"

و ضغط على كتفيها و بدا الحزم في عيني ... فقالت:

" حسنا "

قلت مؤكدا:

" أخبريهم فقط أنك ذهبت معي ، و نمت أثناء الطريق و لا تعلمين أي شيء آخر ... لا تأتي بذكر  
أي شيء آخر رغد ... فهمتِ عزيزتي ؟ "

" نعم "

" عديني بذلك يا رغد ... عديني "

" أعدك ... وليد "

" إذا أخلفت وعدك ، فإنني سأرحل و لن أعود إليك ثانية "

توجم وجهها ، ثم أمسكت بيدي و شدت قبضتها بقوة و اغرورقت عيناها بالدموع و تعابيرها بالفرع و

قالت:

"لا لا ترحل وليد . أرجوك . لا تتركني . أعدك . أعدك"

وصلنا إلى البيت أخيرا ، بدأ الوضع شبه طبيعي ، إلا من سكون غريب من قبل رعد و التي يفترض  
بها أن تكون مرحلة...

الكل عزا ذلك للحزن الذي يعتريها بسبب سفري المرتقب.

سألتنني أمي:

"كيف كان الامتحان؟"

قلت:

"سأخبرك بعد الغداء"

و تركت العائلة تنعم بوجبة هنيئة أخيرة...

بعد ذلك ، ذهبت إلى غرفة والديّ في وقت قيلولتهما الصغيرة...

"والدي ... والدتي ... لدي ما أخبركما به"

بدا القلق على وجهيهما ، و تلعثت الكلمات على لساني ...

أمي ، حين لاحظت حالتي المقلقة قالت:

"هل الامتحان ....؟؟"

قلت:

"لم أحضر الامتحان"

اندهشا و تفاجأ...

قال والدي:

"لم تحضره ؟ كيف ؟؟ لماذا ؟؟ ماذا حصل ؟؟"

نظرت إليهما ، و سألت دموعي ... و انهرت ... و طأطأت رأسي للأرض...

هتفت أُمي بقلق و فزع :

"وليد ؟؟"

أخذت نفسا عميقا ... و رفعت بصري إليهما و بلسان مرتجف و جسد يرتعش و شففتين مترددتين قلت :

"لقد .... قتلت عمّار"

~ ~ ~ ~ ~ ~ ~ ~

الهاتف المحمول الخاص بعمار، و الرقم الأخير الذي تم طلبه ، و الأخير الذي تم استقبله فيه ، و  
توقيت الاتصال ، و توقيت حدوث الوفاة ، و العراك الذي حصل مؤخرا بيني و بينه و تدخلت فيه  
الشرطة ، و عدم حضوري للامتحان ، كلها أمور قد قادت الشرطة إليّ بحيث لم يكن اعترافي ليزيدهم  
يقينا بأنني الفاعل...

بقي ... شيء حيرهم ... تركته ساكنا في قلب الرمال ...

حزام رغد

ما سر وجوده هناك ... ؟؟



أنكرت أي صلة لرغد بالموضوع بتاتا ، و لدى استجوابها أخبرتهم أنها لا تعرف شيئا ، حسب اتفاقنا

سيف أيضا تم التحقيق معه ، و أكد للشرطة أنه حين اتصل بي كنت على مقربة من المبنى حيث قاعة الامتحان

و ظل السؤال الحائر:

لماذا عدت أدراجي ؟

ما الذي دفعني للذهاب إلى شارع المطار ، و الشجار مع عمّار ، و من ثم قتله

لماذا قتلت عمّار؟؟

ما الذي أخفيه عن الجميع؟؟

والد صديقي سيف كان محاميا تولى الدفاع عني في القضية ، باعتبار أنني قتلته دون قصد ... و أثناء شجار ... و بدافع كبير أصر على كتمانته...  
و سأظل أكتمه في صدري ما حييت ... فإن هم حكموا بإعدامي ... أخبرت أمي قبل تنفيذ الحكم ...

و إن عشت ، سأقتل السر في صدري إلى أن أعود ... من أجل صغيرتي ...

تعقدت الأمور و تشابكت ... و ظلّ الغامض غامضا و المجهول مجهولا ،  
و حكم عليّ بالسجن لأمد بعيد...

"أمي ... أرجوك ... لا تخبري رعد بأنني ذهبت للسجن ... اخبريها بأنني سافرت لأدرس ... و  
سأعود حالما أنتهي ... و قللي لها أن تنتظري"

"أبي ... أرجوك ... لا تقسو على رعد أبدا ... اعتنوا بها جيدا جميعكم...  
فأنا لن أكون موجودا لأفعل ذلك"

كان ذلك في لقائي الأخير بوالديّ ، قبل أن يتم ترحيلي إلى سجن العاصمة ، حيث سأقضي سنوات شبابي و زهرة عمري فيه ... بدلا من الدراسة في الجامعة ... و أعود إن قدرت لي العودة خريج سجون بدلا من خريج جامعات ... و بمستقبل أسود منته ، بدلا من بداية حياة جديدة و أمل ...

هكذا ، انتهت بي الأحلام الجميلة...

هكذا ، أبعدت عن رغد ... محبوبتي الصغيرة ، و لم يبق لي منها إلا صورتين كنت قد وضعتهما في محفظتي قبل أيام...

و ذكريات لا تنسى أحملها في دماغي و أحلم بها كل ليلة...

و صورتها الأخيرة مطبوعة في مخيلتي و هي تقول:

"لا لا ترحل وليد . أرجوك . لا تتركني

## الحلقة السابعة

لأن أخي وليد لم يعد موجودا ، فسأخبركم أنا ببعض ما حدث في بيتنا بعد المصيبة العظمى.

لم يكن تقبل أي منا لا أنا و لا والديّ أو دانة أو رغد لغياب وليد بالشيء السهل مطلقا

و خصوصا رغد ، فهي متعلقة به كثيرا و رحيله أحدث كارثة بالنسبة لها

مرضت رغد في بداية الأمر بشكل ينذر بالخطر.

وليد قبل أن يخرج مع أبي من المنزل ذلك اليوم إلى حيث لم نكن نعلم ، مر بغرفة رغد و قد كانت مقيلة بعد الظهر .

أظنه ظلّ يبكي هناك لفترة طويلة...

فتش جيبه ثم أخرج مجموعة من تذاكر ألعاب حديقة الملاهي ، و وضعها إلى جانبها كما وضع ساعة يده ... ثم قبل جبينها و غادر

أتى إلينا واحدا واحدا و جعل يعانقنا بحرارة و دموع مستمرة...

عندما سألت دانة:

"إلى أين تذهب يا وليد؟؟"

أجاب أبي:

"سيسافر ليدرس كما تعلمون"

الذي نعلمه أن موعد السفر لم يكن في ذلك اليوم ... و لو يكن قد تحدد

إنني لم أعرف أنه في السجن غير اليوم التالي ، و قد أجبرت على كتم السر هذا عن الصغيرتين.

صحيح أنني تمنيت أن يهلك عمّار لحظة أن سحر مني و جعل الناس من حولي يضحكون علي ، ألا  
أنني لم أتمنى أن يكون شقيقي الأكبر و أخي الوحيد هو من يهلكه...

خلال السنوات الماضية ، كثيرا ما كان الشجار ينشب بينهما و عراكنا الأخير لم يكن غير حلقة من

السلسلة...

خاتمة السلسلة

الحلقة الأخيرة...

فيما كنا جالسين في غرفة المعيشة بعد مغادرة أبي و وليد وصلنا صراخ غير طبيعي من غرفة رغد

أسرعنا جميعا نحوها فوجدناها في حالة فظيعة من الذعر و الخوف ... و تصرخ " وليد ... وليد "...

تلت ذلك مرات و مرات و حالات و حالات من الذعر و الفزع و الانهيار التي أودت بصحة الصغيرة  
لأسابيع...

في كل يوم ، بل كل ساعة ، تقوم رغد بالاتصال بهاتف وليد لكن دون جدوى

"لقد قال انه سينتظر اتصالي كل يوم"

لقد كانت تعتقد أنه سافر..

"أنا وفيت بوعدى ... يجب أن يفنى بوعدى"

و الكثير من الهلاوس و الوسوس ... و التصرفات الغير طبيعية التي صدرت منها...

و بدلا من أن تكبر ... أظنها صغرت و عادت للوراء ست سنين ، أي كما جاءتنا أول مرة...  
بكاء مستمر ، و خوف لا مبرر له ، تشبث جنوني بأمي ، حتى في النوم.

رفضت الذهاب للمدرسة أول الأيام ، كثيرا ما كانت تدخل غرفة وليد و تستلقي على سريرة و تبدأ  
بالبكاء ثم الصراخ ، حتى اضطرت والدتي لقفل تلك الغرفة لحين إشعار آخر...

توالت الأيام ، و بدأت حالتها تهدأ شيئا فشيئا ، و تعتاد فكرة أن وليد لم يعد موجودا ، و أنه  
سيعود بعد زمن طويل ...

أما تذاكر اللعب ، فحين أردت أخذها ذات مرة لتلهو في الحديقة ، رفضت ... و قالت:

"سأذهب مع وليد حينما يعود"

و أما الساعة ، فلا تزال تحتفظ بها بين أشياءها النفيسة ...

"سأعيدها لوليد حين يعود"

لأنه نقل إلى سجن العاصمة ، فإننا لاقينا بعض الصعوبات في زيارته ، خصوصا و أوضاع البلد تدهورت كثيرا و الحرب اشتدت و الدمار حل و انتشر و حطّم ما حطم من المباني و الأراضي و الشوارع ... و كل شيء ، و اضطررنا لترك منزلنا و الانتقال لمدينة أخرى...

~ ~ ~ ~ ~ ~ ~ ~ ~ ~

في كل يوم ، و بين الفينة و الأخرى يزج بشخص جديد في السجن.

في الفترة الأخيرة ، كان معظم السجناء من مرتكبي الجرائم السياسية

أو المتهمين بها ظلما.

كنت أنا أصغر الموجودين سنا ، إذ أنني لم أبلغ العشرين بعد و كان وجودي بين السجناء مثيرا للاهتمام.

تعرفت على ( زميل ) يدعى نديم.

نديم هذا كان متهما بإحدى الجرائم السياسية و قد حكم عليه بسنوات طويلة من السجن و الحرمان من الحياة...

" و من يعتني بزوجتك و ابنتك الآن ؟ "

سألته أثناء حديث لنا ، و هل كنا نملك غير الأحاديث ؟؟

أجابني:

" ليس لدي الكثير من الأقارب ، ألا أنني اعتقد أنهما ستلجأان إلى أخي غير الشقيق ( عاطف ) فهو مقتدر ماديا و يستطيع مساعدتهما - إن قبل

و اكتشفت فيما بعد ، أن عاطف هذا لم يكن غير والد عمّار الذي قتلته!



الذي جعل الأمر يمر مرور الكرام هو أن نديم لم يكن على علاقة وطيدة بأخيه غير الشقيق عاطف او ابنه المتوفى عمّار...

و الذي حدث هو أننا مع الوقت أصبحنا صديقين حميمين رغم ذلك.

لقد كان هو الداعم الوحيد لي و المشجع على عيشة السجن المريرة...

و أي مر؟؟

أي عذاب؟

أي ضياع...؟؟

في كل ليلة ، اضطجع على السرير الضيق المهترى المتسخ ، عوضا عن سريري الواسع المريح ، و أغطي جسدي المنهك بأغطية بالية ممزقة ، بدلا من البطانيات الناعمة النظيفة...

اغمض عينيّ و أفكر ... و أتذكر ... و أبكي...

أخرج الصورتين من تحت الوسادة القديمة المسطحة ، و أحرق بهما...

هنا ، يقف أفراد عائلتي جميعا ، هذا أبي ... هذه أمي ... هذا شقيقي سامر ، وهذه الندبة التي  
شوّهت وجهه منذ ذلك اليوم ... وهذه دانة ... بظفيريها المتدلّيتين على كتفيها...  
و هذه ... هذه...

من هذه؟؟

إنها دنياي...

حبيبتي الصغيرة المدللة...

طفلي الغالية ...

نبضة قلبي ... رغد

تقف إلى جانبي ممسكة برجلي...

كانت تريد مني أن أحملها ألا أنني فضلت أن نلتقط الصورة و هي واقفة إلى جوارتي...

و في هذه الصورة ... مع دفتر تلوينها ...

ما أجملها .. و ما أجمل شعرها الخفيف الناعم ... كم أحب أن أمسح على رأسها ... ما أنعم هذا  
الملمس...

مسحت بيدي ... شعرت بخشونة ...

خشونة السرير الذي ألقى بجسدي عليه...

خشونة الواقع الذي أعيشه...

رفعت يدي و أخذت أهدق براحتي...

و أرى ما علق بها من غبار و حبات رمل تملأ السرير...

صرخت...

صرخت فجأة رغما عني...

"رغد ... أعيديني إلى رغد ... أخرجوني من هنا" ...

في الصباح ... أنهض عن سريري بكل كسل و كل ملل و إحباط

فأنا سأنتظر دوري في طابور السجناء الذاهبين إلى دورات المياه ، ثم أخرج من ذلك المكان البغيض و أنا أشعر أنني كنت أكثر نظافة قبل دخولي إليه ، و أذهب إلى حيث يقدم لنا فطور الصباح ... و أي فطور...

عوضا عن شاي أمي و أطباقها الشهية اللذيذة ، التي أتناولها عن آخرها ، يقدم لنا مشروبا سيء الطعم ، لا أستطيع الحكم عليه بأنه شاي أو قهوة أو أي مشروب آخر...

و أجبر معدتي الجوفاء على هضم طعام رديء لا طعم له و لا رائحة ، حتى إنني أترفع عن مضغه و ازدرده ازدرادا...

و يبدأ يوم فارغ لا أحداث فيه ... تمر الساعة تلو الأخرى دون أن يكون هناك أي تغيير ... لا مدرسة  
أذهب إليها ... لا رفاق أتصل بهم ... لا أهل أتبادل الأحاديث معهم ... و لا أطفال أراهم و أعلمهم  
... و لا رغد تظهر فجأة عند باب غرفتي و تقول:

"وليــــد ... لوّن معي" !

آه يا رغد...

ما الذي تفعلينه الآن ؟

ما الذي فعلته بعد غيابي ؟

هل يعتنون بك جيدا ؟؟

رغد...

أكاد أموت شوقا إليك...

ليتك تقفزين من مخيلتي و تظهرين أمامي ، كما كان يحدث سابقا....

"أخرجوني من هنا ... أخرجوني من هنا" ..

لو لم يكن نديم موجودا ، أظن ... أنني كنت سأصاب بالجنون.

~ ~ ~ ~ ~ ~ ~ ~ ~ ~

اليوم سيأتي أهلي لزيارتي حسب الاتفاق.

في مثل هذا اليوم أكون أنا محلقا في السماء و في حالة توتر مستمرة...

أهلي بعد أن كانوا يزوروني ٣ مرات في الأسبوع ، اقتصروا على واحدة بسبب صعوبة الحضور و مشقة المشوار...

أذرع الغرفة ذهابا و إيابا في توتر شديد ... منتظرا لحظة مجيئهم.

"ما بك يا وليد ! اجلس ! ألم تتبع من المشي ذهابا و عودة ؟ لقد أصبتني بالدوار" !

"لا أستطيع التوقف يا نديم ... والداي و أخي سامر سيحضرون في أية لحظة ! أنا مشتاق لهم كثيرا جدا"

"على الأقل ... أنت لديك من يزورك ! أما أنا فلا علم لي بحال زوجتي و ابنتي ... ربما أصابهما  
مكروه "

التفت إلى نديم و أنا مندهش من صبر هذا الرجل و قدرته على التحمل ...  
من هذا الرجل العظيم ، تعلمت أشياء كثيرة ... و أدين له بالكثير...

قلت:

"لا بد أنهما لم تحصلا على تصريح لزيارتك ... خصوصا و أنت ( مجرم سياسي ) و يخشى منك !  
"

ابتسم نديم ، و قال مازحا:

"نعم ! فأنا أعب بمصير دولة و شعب كامل ، لا رجل واحد!  
لم لا تعمل معي بعد خروجنا من هنا ؟"

"بعد خروجي من هنا ، فإن آخر شيء أفكر به هو العودة ! أبقني بعيدا عن السياسة و الدولة و  
الشعب ... إنني فقط أريد العودة إلى أهلي " ...

نعم ، فمن يجرب عيشة كهذه لا يمكن أن يسلك طريقا قد يعيده إليها.

هنا ، فُتِحَ الباب ، فاقشعر بدني و تَاهَبَتِ أذناي لسماع ما سيقوله الحارس...  
ربما جاء دوري للزيارة...

وقفنا جميعا ، أنا و نديم و جميع من كان معنا لدى سماعنا جلبة و ضوضاء قادمة من ناحية الباب ،  
و من ثم رؤيتنا للحراس و الضباط يدخلون ثلاثة من الرجال المكبلين بالحديد إلى داخل السجن ، و  
يدفعون بهم دفعا و ينهالون عليهم بالضرب العنيف...

لقد كان مشهدا مريعا هزَّ قلوبنا جميعا ، و حين قاوم أحدهم رجال الشرطة و حاول مهاجمته ، رُمي  
بالرصاص ... و خر صريعا.

حمل بعض الحراس الجثة و أبعدها خارج الزنزانة ، فيما واصل بعضهم ضرب الرجلين الآخرين  
حتى أفقدوهما الوعي...

كان منظرا فظيحا جفلت أفئدتنا و اكفهرت وجوهنا لدى رؤيته...

ترك الضباط و الحراس السجنين الجديدين ، و غادروا.

وقفت جامدا في مكاني لا أقوى على الحراك ، بعد أن كنت في قمة النشاط و الحركة ، أجول بالغرفة دون سكون....

أقترب بعض الزملاء من الرجلين و حملوهما إلى سريرين متجاورين ، و اعتنوا بهما حتى أفاق أحدهما ، و علمنا منه أنهم - أي الثلاثة - ( متهمون بجرائم سياسية ) و محكوم عليهم بالإعدام.

أخبرنا المجرم الجديد هذا عن الأوضاع التي ازدادت تدهورا بشكل كبير جدا ، و أنه تم القبض على مجموعة كبيرة جدا من الشبان بتهمة سياسية مختلفة و زج بهم في السجون ، في انتظار حكم الموت ، و أن عدد القتلى من جنود الحرب و كذلك من عامة الناس في ازدياد مطرد ، و أن الحرب حامية الوطيس و المقابر ممتلئة و الفوضى تعم البلاد...

بقيت واقفا عند الباب أنتظر ... الوقت يمر و أهلي لم يحضروا ... فهل أعاقهم شيء ؟ أم هل أصابهم مكروه لا قدّر الله ؟

نديم كان يراقبني ، و كلما التفت إليه التفتت نظراتنا ، أنا في قلق ، و هو يصبر ... و كلما التفت إلى الناحية الأخرى ، وقع بصري على الدماء المراقبة على الأرض ... فأرفع بصري في زعر نحو السقف ، فأرى مجموعة من حشرات الجدران تتجول بلا رادع...



فأشعر باختناق في صدري ، و أحاول شهق نفس عميق ، فتنجذب إلى أنفي روائح كريهة مختلطة ،  
مزيج من روائح العرق ... و الدماء ... و الأنفاس ...  
و بقايا الطعام المتعفن في سلة المهملات ... و دخان السيجارة التي يدخنها الحارس خلف الباب ...

"أين والداي ؟ لماذا لم يحضرا ؟ أخرجوني من هنا ... لم أعد أحتمل ... أخرجوني من هنا" ...

انهرت و أنا ابكي كطفل أضع والديه في متاهة ، فأقبل نديم نحوي يواسيني ، بينما أطلق مجموعة  
من السجناء هتافات الانزعاج و الاستياء أو السخرية مني  
و من بكائي و نحبي المتكرر...

إنني ابن العز و النعمة و الرخاء...  
و قد تربيت في بيت نظيف وسط عائلة راقية محترمة ... كيف لي أن أتحمّل عيشة كهذه ، و لدهر  
طويل ، لمجرد أنني قلت شخصا يستحق الموت ؟

لم يحضر والداي في ذلك اليوم ، و لا اليوم الذي يليه ، و لا الأسبوع الذي يليه ، و لا الشهر الذي  
يليه ، و لا السنين التي تلتها واحدة تلو الأخرى....

أصبحت منقطعا بشكل نهائي عن أهلي و عن الدنيا بأسرها  
اعتقد أن مكروها قد ألم بهم ، و لا أستبعد أن يكونوا قتلوا في الحرب...

الشخص الوحيد الذي حضر لزيارتي بعد عامين كان صديقي القديم سيف.

"لا أصدق أنك تذكرتني ! لا بد أنني أحلم؟"

قلت ذلك ، و أنا مطبق بكل قوتي على صديقي ، كمن يمسك بخيال يخشى ذهابه ...

"لم أنسك أيها العزيز ... إنني عدت للبلد بصعوبة قبل أيام ، فكما تعلم كنت مسافرا للدراسة في  
الخارج ... أوضاع البلد لم تسمح لي بالعودة قبل الآن"

سألته بلهفة و خوف:

"و أهلي ؟ عائلتي ؟ ما هي أخبارهم ؟؟ أما زالوا أحياء ؟ لماذا لا يزورونني ؟"

سيف طأطأ برأسه و تنهد بمرارة ، فأغمضت عينيَّ و وضعت يدي فوقهما لأتأكد من أن الخبر المفجع  
لن يصلني ...

سيف ربت على كتفي و قال:

"لا علم لي بأخبارهم يا وليد ... إذ يبدو أنهم اضطروا للرحيل عن المدينة و ربما سافروا لمكان بعيد  
... و لم يتمكنوا من العودة" ...

تأوهت ...

و شعرت بشيء يخترق صدري فتألمت ... تهت بعيدا...

هل انتهى كل شيء ؟

أمي و أبي ...

سامر و دانة ...

و الحبيبة رغد ...

حياتي كلها ...

هل انتهى كل ذلك ..؟؟

شعر سيف بألمي فعانقني بعاطفة ملتهبة ... و قال:

"سأحاول تقصي أخبارهم يا وليد ... الدنيا في الخارج مقلوبة رأسا على عقب ... ربما تكون أنت قد  
نجوت بدخولك هذا السجن " !

أبعدت سيف عني قليلا بما يسمح لأعيننا باللقاء ...

قلت:

"أريد أن أخرج من هنا" ...

أمسك سيف بيدي و شدّ عليها ... عيناه تقولان أن الأمر ليس بيده...

قلت:

"سيف ... سيف أنت لا تعلم كم الحياة هنا سيئة ! إنهم ... إنهم يا سيف يضعون الحشرات عمدا في طعامنا و يجبروننا على قضم أظافرنا ... و المشي حفاة في دورات المياه القذرة! سيف ... إنهم لا يوفرون لنا الأشياء الضرورية كالمناديل و شفرات الحلاقة! أنظر كيف أبدو ؟ ألسنت مزربا ؟

عدا عن ذلك ، فهم يضربون و بعنف كل من يبدي استياءً أو يتذمر! زنزانتي يا سيف ... لا يوجد فيها فتحة غير الباب المقفل ... لا هواء و لا نور إنني مشتاق إلى الشمس ... إلى الهواء النقي ... إلى أهلي ... إلى الحياة ... إلى كل شيء حرمت منه ... أبسط الأشياء التي تجعلني أحس بأنني بشر ... مخلوق كرمه الله ! إلى ... فرشاة أسنان نظيفة أنظف بها أسناني " !

و لو كنت استمررت في وصف حالي له ، لكان فقد وعيه من الذهول ... ألا أنني توقفت حين شعرت بيده ترتخي من قبضها على يدي و رأيت الدموع تتجمع في مقلتيه منذرة بالهطول...

أغمضت عينيّ بحسرة و أنا أتخيل و أقارن بين حياتي في البيت ، و حياتي في هذه المقبرة ... و جاء طيف رغد و احتل مخيلتي...

الآن...

أراها و هي تقول في لقائنا الأخير:

"لا ترحل ... لا تتركني"

و تتلاشى هذه الصورة ، ثم تظهر صورتها و هي مذعورة و ترتجف بين ذراعي ، ذلك اليوم المشؤوم

....

ثم تظهر صورة عمّار ، و ابتسامته الخبيثة لحظة رميه الحزام في الهواء...  
"إلى الجحيم" ...

قلت دون وعي مني:

"كان يجب أن أقتله ... و لو يعود للحياة ... لقتلته ألف مرّة" ...

انتبه صديقي سيف من شروده و تخيله لحالتي الفظيعة ، قال:

"لماذا؟"

نظرت إليه ، بصمت موحش ... فعاد يقول:

"لماذا يا وليد؟ ... الذي دفعك لان ترمي بنفسك في حياة كهذه لابد أنه...؟؟"

و لم يتم جملته ، استدرت موليا إياه ظهري ...  
تماما كما استدرت حين سألني يوم الحادث.

سيف لم يصبه اليأس مني ... قال:

"أخبرني يا وليد ... فقد يكون أمرا يقلب الموازين و يخرجك من هنا بمدة أقصر ... والدي أكد لنا  
ذلك فيما مضى و قد يستطيع إعادة النظر في قضيتك بشكل ما" ...

بدا و كأن قلبي قد تعلق بأمل الخروج ... و البحث عن أهلي و العودة إليهم...  
و لكن ... ألم يفت الأوان...؟؟

"وليد" ...

استدرت لأواجه سيف ... كانت نظرات الرجاء تملأ عينيه ... إنه الوحيد الذي أتى ليزورني من بين  
أصحابي و أهلي و الناس أجمعين...

"لماذا وليد...؟"

"سيف" ...

"كنتَ على وشك الوصول لقاعة الامتحان ... ما الذي أخبرك به ، ثم أجبرك على ترك الامتحان و  
الذهاب إلى تلك المنطقة ؟ و بالتالي ... قتله؟؟"

"كان يجب أن أقتله " ...

"لماذا قل ؟ أخبرني " ...

"لأنه " ...

"أجل ..؟"

"لأنه ... لأنه اختطف صغيرتي رغد ... وهددني بإيذائها ما لم أسرع بالحضور لتلك المنطقة ... "

أصيب سيف بالذهول ... و اتسعت حدقتا عينيه و انفجر فاه مصعوقا...

قال ، دون أن تتلامس شفتاه:

"و ...؟"

"و انتهى كل شيء" ....

الحلقة الثامنة

\*\*\*\*\*

ذات يوم...

و فيما كنا أنا و نديم و بعض شركاء الزنزانة نسلي أنفسنا باللعب بالحصى ، و هي لعبة سخيقة  
اخترعناها من أجل قطع الوقت الذي لا ينتهي ، و كنا نسر أو نتظاهر بالسرور أو نقنع أنفسنا به ،  
فتح الباب و دخل مجموعة من العساكر.

توقفنا جميعا عن اللعب ، و انسابت أنظارنا نحوهم . لم نكن نشعر بأي طمأنينة لدى دخول إي منهم  
...فمجيئهم ينذر بالشر و الخطر

بدأ العساكر يجولون بأبصارهم فيما بيننا بازدراء و تقزز . ثم تقدم أوسطهم خطوة للأمام و قال:

"نديم وجيه"

و جعل ينقل بصره من واحد لآخر ...

نديم أجاب بعد برهة:

"أنا"

استدار العسكري إلى رفاقه و أوماً إليهم



تقدّم اثنان منهم و أقبلنا نحو نديم ... و قالوا بحدة:

"انهض"

نهض نديم ببرود ، فإذا بهما يطبقان عليه بشراسة و يقودانه نحو الباب...  
نديم سار معهما دون مقاومة ، فيما كانت أفئدتنا وجلة متوقعة شرا.  
لم ينبس أحدنا ببنت شفة ، و بقينا في صمت رهيب و نحن نراقب نديم بقلق ، فيستدير هذا الأخير  
ليلقي علينا نظرة و يبتسم...  
خرج العساكر بنديم و أقفلوا الباب و بقينا في صمت فظيع لبضع دقائق...  
كنت أنا أول من أصدر صوتا اخترق جدار الصمت الموحش حين قلت:

"إلى أين أخذوه؟"

هز البقية رؤوسهم في حيرة و تساؤل...

مضت ساعتان أو أكثر و نحن في هدوء و قلق ... في انتظار عودة نديم و بدا أنه لن يعود..  
بدأت أزرع الزنزانة ذهابا و جيئة و أنا أدعو الله ألا يكون نديم قد أعدم...  
و بينما أنا كذلك ، إذا بالباب يفتح مجددا ، و يدخل اثنان من العساكر يحملان نديم و يلقيان به  
أرضا ، ثم ينصرفان...

أقبلنا بسرعة نحو نديم فإذا بالدماء تلتخ جسمه و ملابسه...  
و إذا بالجروح و الكدمات الملتهبة تغطي جسده...

"نديم ! ماذا فعلوا بك؟؟"

صرخت في زعر و أنا أرفع رأسه و أسنده على ركبتي...  
لم يكن نديم بقادر على الكلام من شدة الإعياء  
و كان جليا لنا أنه تعرض لتعذيب شديد...  
تناوبنا جميعا في العناية به حتى بدأت الحياة تجري في عروقه.

أخبرنا فيما بعد بأنهم أوسعوه ضربا من أجل الإدلاء بمعلومات لا علم له بها ...  
و أنهم في طريقهم لإعدامه حتما

في اليوم التالي ، حضر العساكر أيضا ، و ما أن دخلوا السجن حتى ارتعشت قلوبنا جميعا و اشرأبت  
أعناقنا و تعلقت أبصارنا بهم في حالة لا توصف من الذعر  
في تلك اللحظة كنت أجلس جوار نديم أنظف بعض جروحه و بلا شعور مني أمسكت بذراعه بقوة  
خشية أن يأخذه...

هتف أحدهم:

"معتز أنور"

انتفضنا جميعا ، و كان معتز ، و هو أحد زملاء الزنزانة ، و أحد مجرمي السياسة، أكثرنا انتفاضا و  
ذعرا

صرخ معتز بفرع:

"لا"

و تقدم العساكر نحوه ، و هو يتراجع للوراء و يدها ترتجفان و العرق يغرق جسمه الهزيل...  
تقدم العساكر بلا رحمة و أمسكوا به و هو يصرخ و يقاوم في عجز ، و قادوه خارجا.  
و ما هي إلا ساعة و نصف الساعة ، حتى أعيد إلينا بحالة سيئة ، مليئا بالجروح و الكسور أيضا.  
أصبحنا نعيش حالة مستمرة من الخوف الشديد ، و لم يستطع أحدنا النوم بعدها . و أصبحنا لمجرد  
سماعنا لأي صوت يصدر من ناحية الباب ، يركبنا الفرع المهول

و جاء اليوم التالي ، و جاء العساكر مجددا...

كنا جميعا متكومين قرب بعضنا البعض ، و أعيننا محدقة بهم ، و كل منا في خشية من أن يكون  
التالي...

"وليد شاكِر"

عندما نطق باسمي صعقت ، بل و صعق جميع من معي...  
أخذ قلبي يخفق بعنف ، و أنا أراقب العساكر يتقدمون نحوي خطوة خطوة

صرخت:

"لكنني لست على علاقة بالسياسة"

لم أكد أنني جملتي إلا و العساكر قد أمسكوا بي...  
حاولت سحب يدي من بين أيدهم بكل ما استطاعت عضلاتي إمدادي به القوة...  
و فشلت...

"أنا هنا لجريمة قتل ... لا شأن لي بالسياسة"

حاولت مستميتا التخلص منهم و مقاومتهم دون جدوى  
قادوني عنوة نحو الباب و لم يستطع أحد زملائي النطق بكلمة واحدة  
و أنا أسحب إلى الخارج نظرت إلى نديم و قلت:

"ماذا سيفعلون بي ؟ ما الذي فعلته أنا؟"

نديم أغمض عينيه بقوة ، في أسف و ألم و كأنه يقول : أرثي لك ، وبل لك مما ستلقى...

و لقيت ، ما لم ألقه في حياتي مطلقا...

لقيت...

أصنافا من العذاب التي أتوجع و أتلوى من مجرد ذكرها...

عذابا ... ينسي المرء اسمه و جنسه

تمنيت ساعتها ، لو أن أمي لم تلدني

لو أنني قتلت نفسي يوم قتلت عمّار

لو أن الله خلقني بلا أعصاب و إحساس...

و لا قلب...

و لو أن الدنيا خلت من اسم العذاب

و اسم السجون

و حتى من اسم رغد...

الأوقات الوحيدة في حياتي كلها ، التي تمنيت فيها لو أن رغد لم تكن ... و لم توجد...

أصبت بكسر في أنفي جعل شكله يتغير و تظهر انحناءة صغيرة أعلاه.

بقيت ممدا على سريري بلا حراك ليومين ، كان فيها من بقي من زملائي سالما يعتني بي ، و بنديم و

معتز ، و اثنين آخرين...

بعدها بأيام ، علمنا من الحارس أن اسمي قد أدرج خطأ ضمن قائمة المجرمين السياسيين !

مجرد خطأ! ...

كان ذلك بعد عدة أشهر من زيارة سيف الأولى و قبل أشهر أخرى من زيارته التالية و التي ابتدأها

بقول:

"وليد ! ماذا فعلت بأنفك !؟"

سردت على سيف ما حصل ، و وعدني بان يتم ذكر هذا في ملفي.

عندما سألته عما جد في موضوعي أخبرني بأن والده لا يزال يدرس الأمر ، و لدى سؤالي عن أهلي قال

:

"اختفوا" !

زاد ذلك ضيقي و إحباطي الشديدين و قضى على بقايا الأمل بالخروج من هذا المكان...

بدأت أوْمَن بأنهم قد قتلوا جميعا في الحرب ... و إن كان الأمر كذلك ، فإنني لا أرغب في الخروج ...

بل أرغب في الموت....

أحقا لم يعد لأهلي أي وجود؟؟

أماتوا؟

أم تخلوا عني؟

أم ماذا؟؟

ورغد؟؟

ماذا حل برغد؟؟

في تلك الليلة ، رأيت كابوسا أفزعني...

رغد و سامر يلهوان بالدراجة الهوائية ، ثم يهويان في حفرة مليئة بالجمر المتقد

ثم تشتعل النيران و تكبر ، و تحرق منزلنا...

و آتي صارخا أحاول إخراج رغد من الحفرة...

و أمد يدي فإذا بي أخرج حزاما طويلا تأكله النيران...

و أقرب وجهي من الحفرة ، فإذا بي أرى وجه عمّار في الداخل ، يبتسم ثم يقهقه

و أسمع صراخا يدوي السماء

صراخ رغد...

" و ليد ... أنا خائفة ... تعال "

أفقت من نومي مذعورا ، و العرق يببل ملابسي و فراشي ، كما تبلل الدموع وجهي المفزوع...

كنت أرتجف ، و أتنفس بصعوبة بالغة ... و بلا إدراك اهتف

" رغد ... رغد "

صديقي نديم أقبل نحوي و أخذ يهدئني و يطمئنني ...

" هون عليك يا وليد ... لم يكن إلا كابوسا "

لم أشعر بنفسي و أنا ارتمي على صدر نديم و أبكي بقوة و أهذي ...

"أريد العودة لأهلي ... دعوني أراهم و لو مرة واحدة ثم اقتلونني ... لا أريد الموت قبل ذلك ... أريد أن أحقق أحلامي...  
أريد أن أكمل دراستي...  
أريد العودة إلى رغد...  
كان يجب أن أقتله...  
انتظريني يا رغد فأنا قادم" ...

و نهضت كالمجنون ... و توجهت نحو الباب و أخذت أضربه بعنف و أصرخ:

"أخرجوني من هنا ... أخرجوني من هنا أيها الأوغاد"

لحق بي نديم ليمنعني من إثارة مشكلة ألا أنني أبعدته عني بركلة قوية من رجلي ... و ظللت أركل الباب بشدة و أنا مستمر في الصراخ...

حضر مجموعة من الحراس و فتحوا الباب ، ثم انهالوا علي ضربا بعصيتهم حتى شلوا حركتي ... و انصرفوا...

لم يجرؤ أحد السجناء على فعل شيء حتى لا يلقي ذات المصير

و منع عني الطعام في اليوم التالي

تدهورت صحتي الجسدية و النفسية بشدة بعد تلك الليلة ، و قضيت عدة أسابيع طريح الفراش...

و ربما هذا ما منع العساكر من تطبيق نظام التعذيب اليومي على جسدي ...

إلا إن أدركوا أنهم كانوا مخطئين!

جسدي ، و الذي كان ضخما و قويا ، تحول إلى عظام متراكمة فوق بعضها البعض

بلا حول و لا قوة...

بعد فترة وجيزة ، صدر قرار يمنع زيارة السجناء ، و لم يعد سيف للظهور مجددا

و انتهى أمني الوهمي بالخروج من هنا....

و استسلمت أخيرا لحياة السجون....

حاولت أن أصف لكم بعض الذي قاسيته في ذلك السجن الذي قضيت فيه فترة شبابي اليافع ... و التي ضاعت سدا...

فترة جافة قاسية أكسبتني جفافا و خشونة لم أولد بهما و لم أتربى عليهما و غيرت في بعض طباعي ، و بدأت أدخن السجائر كان الحارس يتصدق علينا بسيجارة واحدة ، ندور بها فيما بين شفاها جميعا... و تقتسم همومنا و نقتسم سمومها....

و مر عام آخر ...

و أكثر...

ألم المرض بصديقي نديم من جراء التعذيب المستمر...

كان على فراشه ، و كنت اعتني بجروحه و إصاباته التي لم شملت حتى أطراف أصابعه...

"وليد" ..

"نعم يا عزيزي؟"

"يجب أن تخرج من هنا" ...

قال نديم ذلك ثم رفع يده و مسح على رأسي ، ثم وضعها فوق كتفي.

"يجب أن تخرج من هنا يا وليد و إلا لقيت حتفك"

"إنني هالك لا محالة ... لا جدوى و لا أجمل" ...

"افعل شيئا يا وليد و غادر هذا المكان ... إنك لا زلت شابا صغيرا" ...

كنت الأصغر سنا بين الجميع ، و أكثرهم تدمرا و شكوى ، و بكاء ، إلا أنني هدأت و استسلمت لما

فرضته الأقدار علي ... و لم يعد الأمر يفرق معي...

ابتسمت ابتسامة استهتار و سخرية ، و يأس...

نديم كان ينظر إلي بعين عطف شديد و محبة أخوية ... قال:

"اسمعي يا وليد...

لدي مزرعة في المدينة الشمالية ، حيث كنت أعيش مع ابنتي و زوجتي ... متى ما خرجت من هنا ... فإذهب إليهما و أخبرهما بأنني كنت أفتقدتهما كثيرا و أنني بقيت على أمل العودة إليهما دون يأس لآخر لحظة في حياتي " ...

"نديم" ...

قاطعني قائلاً:

"لا تنس ذلك يا وليد ... و إن احتاجتا مساعدة منك ... فأرجوك ... ابذل ما باستطاعتك"

أقلقتني الطريقة التي كان نديم يتحدث بها ، هزرت رأسي و قلت:

"لماذا تقول ذلك يا نديم ...؟"

و انتظرت أن يجيب

لكنه لم يجب...

و تحركت يده الممدودة على كتفي ، ثم هوت للأسفل ... و ارتطمت بالفراش ... و سكنت سكون الموت...

إنا لله ... و إنا إليه راجعون....

بعد سنتين من ذلك...

و في أحد الأيام...



و فيما أنا مضطجع على سريري بكسل و عدم إكتراث ، أدخن بقايا السيجارة بلا مبالاة ، و انظر إلى  
السقف و أرى الحشرات تتجول دون أن يثير ذلك أي اهتمام لدي ...  
إذا بالبواب يفتح ، ثم يدخل بعض الضباط  
معظم زملائي وقفوا في قلق...  
أما أنا ، فلم أحرك ساكنا ... و بقيت أراقب سحابة الدخان التي نفضتها من صدري ترتفع للأعلى ...  
و تتلاشى...

"وليد شاكر"

هتف أحد الضباط ...  
فقمتم بتململ و التفتت إليه ببرود  
لم يعد يهمني إن كان لدي أي درس جديد في الضرب أو غيره...

عاد الضابط يهتف بحدّة:

"وليد شاكر"

نهضت عن فراشي و وقفت ازاء الضباط و أجبت بضجر:

"نعم؟"

و أقبل بعضهم نحوي ، فرميت بالسيجارة أرضا و سحقتها باستسلام...  
أمسكوا بي و قادوني نحو الباب ، فسرت بخضوع تام...  
عندما صرت أمام الضابط الذي ناداني ، رمقني بنظرة احتقار شديدة  
و هي نظرة قد اعتدت عليها و لم تعد تؤثر بشعوري...

قال:

"وليد شاكر؟"

أجبت:

"نعم أنا ، و لا علاقة لي بالسياسة ، أرجو أن تتأكد من ذلك جيدا"  
رفع الضابط يده و صفعني على وجهي صفعه قوية كادت تكسر فكي...  
ثم قال:

"هذه تذكار"

التفت إلى زملائي و عيني تقدح بالشر ، و قابلتني نظراتهم بالتحذير...  
فكتمت ما في صدري ، ثم قلت:

"ثم ماذا؟"

ابتسم الضابط ابتسامة خبيثة دنيئة ، ثم قال:

"لاشيء ! فقط ... أفرجنا عنك"

الحلقة التاسعة

\*\*\*\*\*

أخيرا جاء دوري!

صرتم تعرفونني جميعا...

اسمي رغد ، و أنا يتيمة الأبوين أعيش في بيت عمي الوحيد شاكر منذ الطفولة.  
أنهيت دراستي الثانوية مؤخرا و أفكر في الالتحاق بكلية للفنون و الرسم . أعشق الرسم كثيرا و أنا  
ماهرة فيه.

الجميع يعرفني برغد المدللة ، حيث أنني تعودت منذ الصغر الحصول على كل ما أريد ، و بأي  
طريقة!

اليوم نقيم في منزلنا الصغير حفلة متواضعة بمناسبة تخرجي من المدرسة الثانوية . لم يتسن لنا إقامتها  
قبل الآن لأن والدتي - أي زوجة عمي - كانت متوعكة الصحة.  
في الواقع ، صحة والدتي ليست على ما يرام منذ سنين...

دانه تبالغ في وضع المساحيق لتبدو ملفتة للنظر!

رغم أنها لم تكن ترحب بفكرة الحفلة ، إذ أننا لم نقم حفلة عند تخرجها ، إلا أنها مصرة على سرقة  
الأضواء مني هذه الليلة!

"إنها حفلة بسيطة و لا تقتضي منك كل هذا ! تبدين كعروس بكامل زينتها" !

قلت لها و أنا واقفة أراقبها و هي ( مزروعة ) أمام المرآة منذ ساعات!

لم تلتفت إلي ، و قالت:

"ما دمنا قد دعوناهن، فلنبهرهن ! قد تعجب بي إحداهن فتخطبي لأخيها مثلا" !

و ابتسمت بدهاء!

أنا أعرف من تقصد تحديدا ... لديها صديقة من عائلة ثرية جدا و شقيقها رجل تحلم نصف فتيات  
العالم بالزواج منه ، أما النصف الآخر فيبغضه بشدة!

إنه لاعب كرة قدم مشهور و صورته تملأ الصحف و المجلات و برامج التلفاز أيضا!

قلت:

"لا أعرف ما الذي يعجبك في شخصية كهذه ! إنه حتى لا يتوقف عن توزيع الضحك و الابتسامات  
و كأنه مهرج " !

نظرت إلي بحدة من خلال المرأة ، ثم قالت:

"على كلٍ ، الأمر لا يعنك فأنت أخذت نصيبك و انتهى دورك " !

ثم انشغلت بتزيين خصلة من شعرها بسائل ملمع...

صرفت نظري عنها ، إلى يدي اليمنى ، بالتحديد إلى إصبعي البنصر ، و بمعنى أدق ، إلى خاتم  
الخطوبة الذي أضعه منذ سنين...

بمجرد أن بلغت الرابعة عشر من عمري أي قبل ثلاث سنوات و أكثر ، تم عقد قراني على ابن عمي  
سامر ...

و بقينا مخطوبين حتى إشعار آخر.

سامر ... يكبرني بخمس سنوات تقريبا ، و ما أن تخرج من الثانوية حتى بادر بطلب الزواج مني  
والدي ، بل و والدي و دانة أيضا ... الجميع كان يريد ذلك ، فأنا أصبحت فتاة بالغة و لم يكن من  
الممكن بقائي و ابن عمي في بيت واحد دون حرج على كلينا  
عدا عن ذلك ، فإن سامر يحبني بجنون!

كما و أنني كنت السبب في الحادث الذي شوه وجهه ، و قلل فرصه لنيل إعجاب الفتيات قطعا  
أما أنا ، و بالرغم من كوني جميلة أيضا ، إلا أن هذا الخاتم يصرف الجميع عن الالتفات إلي...  
على أية حال نحن لا نفكر في الزواج الآن فسامر لا يزال يبحث عن وظيفة و أنا أطمح إلى الحصول  
على شهادة جامعية...

نبهتني دانة من شرودي الذي لاحظته من خلال انقطاعي عن التعليق المستمر على مظهرها

قلت:

"أين سرحت ؟ ألن تبدلي ملابسك ؟ إنهن على وشك الوصول " !

غادرت غرفتها و اتجهت إلى غرفتي ، حيث ارتديت فستاني الجديد الرائع ... و الذي أضرط والدي

لشرائه لي رغم ارتفاع ثمنه ، فقط لأنني قلت : أريده لي !

كان فستانا خمري اللون مطرزا بخيوط ذهبية ، طويل الذيل ، و بدون كمّين ، مما يسمح للندبة

القديمة في ذراعي اليسرى بالظهور ...

أكملت زينتي و تحليت بطقم العقد الذهبي الذي أهدتني إياه والدتي قبل أيام...

حينما لففت السوار حول معصمي الأيسر ، لم يبدُ منظره متناسقا مع الساعة...

إذ أن السوار ذهبي بينما الساعة فضية اللون ...

هممت بخلعها ، لكنني لم أستطع ... لا أريد أن أبقّيها بعيدة عني في هذه الليلة...

لطالما كانت قريبة مني و ملتصقة بي...

لم أكن آبه لتعليقات زميلاتي المزعجة حول ارتدائي لساعة رجالية !

إنها شيء لا أستطيع التخلص منه ... تماما كهذه الندبة!

نزعت السوار الذهبي ، و حاولت لفه حول معصمي الأيمن ففشلت!

"سحقا" !

صحت بغضب ، في ذات اللحظة الذي طرق فيها الباب...

لا بد أنها دانه جاءت تقارن بين مظهرينا كالعادة!

"ادخل"

قلت ذلك و أنا مازلت أحاول إغلاق السوار بيدي اليسرى حول معصمي الأيمن دون جدوى

"مساء الخير" !

لم يكن هذا صوت دانه ، بل سامر

رفعت بصري إليه و بانديفاع قلت:

"سامر ، هل لا أغلقت هذه قبل أن أحطمها؟"

و أقبلت نحوه أمد إليه بمعصمي الأيمن و بالسوار...

"رويدك ! هاتي" ..

و أغلق السوار حول يدي اليمنى ، فسحبته إلا أنه أمسك بها و قال:

"تبدين رائعة ! جدا"

تورد خدائي خجلا .. ثم قلت :

"مساء النور ... ! هل قلت ذلك ؟"

ابتسم ، و قال:

"لا أظن" !

"إذن مساء النور" !

ثم سحبت يدي فأطلقها

توجهت إلى سريري ألملم الأشياء التي بعثرتها أثناء تزيين نفسي ، و دخل سامر و أغلق الباب...

"رغد"

ناداني بصوت مرح و بابتسامة مشرقة ، و سعادة تملأ عينيه

"نعم ؟"

أقبل نحوي ، و عاد يمسك بيدي و قال:

"لدي خير سار جدا"

ابتسمت و قلت:

"هات ؟"

"لقد عثرت على فرصة ذهبية للعمل في وظيفة مرموقة"

فرحت كثيرا ! قلت بسرور:

"حقا ! أوه أخيرا ... ممتاز" !

شد سامر قبضته على يدي و قال منفعلا:

"أخيرا ! كم أنا سعيد و لا يتسع صدري لفرحتي هذه ! سأحصل على راتب عظيم" !

بالنسبة لنا فهذا شيء مهم جدا ، لأن أحوالنا المادية كانت في انحطاط بسبب ظروف الحرب ، و كنا بحاجة لدعم مادي جيد.

قلت:

"متى تباشر العمل ؟"

"حالما أنهي الإجراءات اللازمة . سأحاول إتمامها خلال يومين أو ثلاثة "

"وفقك الله"

قرب سامر يدي من صدره ، و قال:

"يجب أن نحدد موعد الزواج"

تفاجأت ، فنحن لم نتحدث عن الزواج بجدية بعد...

حالما رأى سامر علامات التعجب ظاهرة على وجهي قال:

"عملي سيكون في مدينة أخرى ، و أريد أخذك معي"

سحبت يدي مجددا ، في توتر..

فالخبر قد فاجأني ، و لم يعجبني ... قلت:

"في مدينة أخرى ؟ ... لم عليك الذهاب لمدينة أخرى؟"

قال:

"تعرفين كم هو صعب العثور على وظيفة جيدة بسبب ظروف البلد ... إنها فرصة لا يمكنني رفضها مطلقا . أخبرت والديّ فشجعا ذهابي"

سرفت نظري عنه إلى الأرض بضع ثوان ، ثم عدت أنظر إليه و قلت:

"و شجعا زواجنا؟"

ابتسم ، و قال:

"لم أذكر ذلك لهما بعد . أود أن نناقش الأمر نحن أولا "

من البرود الذي اعتري تعابيري أدرك سامر عدم موافقتي ، فقال:

"لم لا؟"

قلت:

"و الكلية؟؟"

قال:

"الكلية ... هل هناك ضرورة لها؟"



"بالطبع ... أريد أن أدرس ، إنها فرصتي"

صمت سامر قليلا ، ثم قال:

"اصرفي نظر عنها يا رغد أرجوك ... أنا لا أريد تضييع الفرصة ، كما لا أريد العيش وحيدا هناك ...  
تعلمين أنني لا أستطيع الابتعاد عنك" ...

و أخذ ينظر إلى نظرات رجاء و أمل ...

كنت على وشك قول : لنؤجل النقاش في الأمر لوقت أنسب لأن ضيفاتي على وشك الوصول ، إلا أن  
طرق الباب سبقني ، و دخلت دانة مباشرة و هي تقول:

"رغد ! ألم تنتهي ؟ وصلت نهلة" !

التفتنا أنا و سامر نحو دانة ، و التي أخذت تحددق بي قليلا ثم التفتت إلى سامر و قالت:

"أنت هنا سامر ؟ قل لي كيف أبدو ؟ أليس فستاني أكثر جمالا من فستان رغد ؟"

سامر أخذ يدور ببصره بيننا ثم قال مداعبا:

"أنا لا أصلح للحكم بين خطيبتي و أختي ! فخطيبتي ستبدو أجمل في كل مرة" !

ثم انصرف مسرعا و هو يضحك.

بقينا نحن الاثنتان كل منا تتأمل الأخرى ، حتى وقعت عينا دانه على ساعة يدي ، فقالت بحدة:

"رغد ! ستبدين في منتهى السخافة هكذا ! اخلعيها و لا تخرجينا أمامهن" !

نظرت إليها بغضب و قلت بعناد:

"لن أخلعها ، و سأظل الأجمل أيضا" !

في غرفة الضيوف حيث نقيم الحفلة ، وجدت نهلة و سارة ، ابنتا خالتي قد وصلتا و كانتا أول من حضر.

"واو ! فستان رائع ! ما أجمله يا رغد" !

قالت نهلة و هي تبعد يدها بعد مصافحتي...

نهلة كانت صديقة طفولتي الأولى ، و انتقلت مع عائلتها للعيش في هذه المدينة مثلنا أيضا منذ سنين ، و لا تزال أفضل صديقة لدي.

أما سارة فهي الشقيقة الوحيدة لنهلة ، و تصغرني بست سنوات ، و تلازم نهلة كالظل!

"هل أعجبك حقا ؟ اشتراه والدي بسعر مرتفع ! إنني أعامله كأني قطعة من حلبي هذه" !

ابتسمت نهلة و قالت:

"كم أحسدك ! لديك أب يدلك كما لا يدل والد ابنته ! رغم أنك لست ابنته الحقيقية" !

هذه الكلمة تزعجني كثيرا ، فأنا لا أحب أن يشير أحد إلى والديّ بأنهما ليسا والديّ الحقيقيين .  
إنني اعتبرتهما كذلك منذ الصغر و لا أعرف والدين غيرهما مطلقا.

قلت بنبرة مازحة:

"لأنني البنت الصغرى ، و آخر العنقود ... يجب أن أتدل " !

ثم نظرت إلى سارة و قلت:

"أليس كذلك سارة؟"

أجابت ببرود:

"كما تقول أختي"

رفعت نظري عن هذه الفتاة البليدة ، و عدت أخاطب نهلة:

"و كيف حال خالتي و زوج خالتي ؟ و حسام ؟"

أجابت:

"بخير جميعا ! حسام أوصلنا إلى هنا و أظنه يلقي التحية على والدك الآن"

ثم أضافت ، و هي تنظر إلي من زاوية عينها بخبث :

"و على فكرة ، هو يبعث إليك أيضا بتحية حارة مشتعلة" !!

رفعت إصبعي السبابة الأيمن و ضربت جبينها ضربة خفيفة و أنا أقول:

"لا تتوبين" !

و انبعث ضحكاتنا تملأ الأجواء.

ما إن حضرت صديقتنا الثرية حتى استقبلتها دانه استقبالا حميما ، و أولتها اهتماما مركزا طوال

الحفلة!

أتساءل ... هل هذا ما يحدث مع جميع الفتيات!

هل يجذب العرسان إليهن بهذه الطريقة؟؟

حقيقة لا أعرف!

بينما كنا في أحاديثنا المتواصلة في الحفلة ، سألتني هذه الصديقة:

"هل أنت مخطوبة" !

و كانت تنظر إلى خاتم الخطوبة المطوق لإصبعي ، و في دهشة واضحة!

تولت دانه الإجابة بسرعة:

"ألم أخبرك مسبقا ؟ إنها و شقيقي مرتبطان منذ زمن " !

قالت الصديقة:

" و لكن ... تبدين صغيرة " !

و مرة أخرى تدخلت دانة قائلة:

"تصغرنى بعامين و بضعة أشهر ، لكن حجمها صغير " !

صحيح أن طولي لا يقارن بطول دانه أو سامر ، لكنني لست قصيرة ! بل هما الطويلان كما هما أبي و أمي!

إنني أبدو بالفعل لست من هذه العائلة !

قلت مداعبة:

" هذا يجعلني قادرة على ارتداء الأحذية الأنيقة ذات الكعب العالي المتماشية مع الموضة ! على العكس من دانة " !

و ضحكنا جميعا بمرح...

قضينا سهرة ممتعة أنستني تماما موضوع سامر الأخير .

و بعد الحفلة ، أويت إلى فراشي مباشرة و نمت بسرعة ، دون أن يخطر الموضوع ببالي.

في اليوم التالي ، و فيما أنا منشغلة برسم لوحة جديدة في غرفتي ، جاءني سامر...

"ألم تتعبي ؟ قضيت فترة طويلة في الرسم " !

"الرسم لا يتعبني مطلقا يا سامر ، بل أهواه و أجد راحة كبرى أثنائه و سعادة غامرة لا أجدها مع أي شيء آخر "

قال:

"ولا حتى معي أنا؟؟"

كان سامر يقف إلى جانبي يتأمل رسمي الجديد ... و كنت أنا أدقق النظر في اللوحة و ألقى عليه نظرة بين الفينة و الأخرى و حين نطق بجملته الأخيرة هذه ، أطلت النظر إليه ، فشعرت بالخجل و طأطأت رأسي

"رغد" ...

لم أجب...

مد سامر يده فامسك بوجهي و رفعه للأعلى...

قال:

"رغد ... هل فكرت بموضوعنا؟"

في تلك اللحظة فقط تذكرت الموضوع!

آه يا إلهي كم هي ضعيفة ذاكرتي!

سامر كان يتحدث باهتمام ... فالأمر يعني له الكثير ، و قد قضى وقتا طويلا في البحث عن عمل...

لم أشأ أن أصيبه بخيبة بقولي : كلا

فقلت:

"لازلت أفكر" ...

سامر قال بنبرة مليئة بالرجاء:

"أرجوك يا رغد ... يجب أن أبدأ الإجراءات المطلوبة قبل أن تضيع الوظيفة"

نظرت إليه و قلت:

"ماذا لو ... عملت أنت هناك ، و أكملت دراستي أنا هنا ... ثم " ...

لم أتم جملةتي ، إذ أن سامر هز رأسه اعتراضا و قال:

"لا ... إما أن نذهب سويا ... أو نبقي سويا" ...

كنت أدرك أن سامر لا يستطيع الابتعاد عنا ، كما أن علاقاته بالآخرين محدودة و كثيرا ما كان يتجنب الاجتماعات المختلفة ، ليتلافى الحرج من وجهه المشوه.  
حتى أنه حين أراد إكمال دراسته ، اختار مجالا لا يدع له الفرصة للاحتكاك بالآخرين إلا نادرا  
سامر ... هو شخص هادئ و مسالم ... و طيب القلب ...

قلت:

"دعنا نأخذ برأي أبي و أمي كذلك ... يجب أن تتم أنت الإجراءات الآن ، فيما نفكر بروية "

ابتسم سامر و قال:

"سأذهب الآن لإنجاز ذلك ، و أعرض الأمر على والديّ الليلة ! سنفاجئهما !"

ابتسمت ابتسامة قلقة حائرة ، و تركته يذهب و واصلت رسم لوحتي...

كنت مصرة على إنجاز تلك اللوحة بأسرع وقت...

و في الليل ، تركت سامر يذهب إلى غرفة والدي لعرض الفكرة ، فيما بقيت في غرفتي في قلق و حيرة  
... و أخذت أفكر...

و يبدو أن كثرة التحديق في اللوحة أصابت عيني بل و جسدي بالإعياء ، فأغمضتهما و لدهشتي  
استسلمت للنوم!

أفقت بعد ذلك فزعة على صوت طرق متواصل على الباب...

نهضت عن سريري بفزع ... و أصغيت إلى الهتاف...

"رغد ... رغد افتحي ... افتحي بسرعة" !

كانت دانة!

سرت إلى الباب بسرعة و ارتعاش و أنا في قمة القلق ...

و قبل أن أصل إليه رأيته ينفتح و تدخل دانة في انفعال...

كانت في حالة يصعب علي وصفها...

كان جسدها يرتعش ، و أنفاسها تتضارب و تتلاحق بسرعة عبر فيها المغفور ... ذراعاها مفتوحتين

... و يداها مرفوعتين

و أصابعها منفرجة ، و تهتز بشدة...

و الدموع تنهمر بغزارة على خديها

قلت في هلع و أنا أرفع يدي إلى قلبي من الذعر:

"دانه ... ماذا حدث؟؟"

"رغد ... رغد" ...

و عادت تلهث...

"رغد ... رغد ... أخي ... أخي" ...

تجمّدت و انحبس نفسي الأخير في صدري ...

حاولت قول : ماذا...

ألا أنني عجزت من الذعر...

هزرت رأسي و أنا أشد الضغط بيدي على صدري فوق قلبي ، كمن يحاول حماية قلبه من تلقي صدمة ما...

كانت دانة تحاول النطق و عجزت إلا عن إصدار أصوات مبهمه ، و أشارت إلي أن اقترب...  
خطوت خطوة نحوها و نطقت أخيراً:

"سامر" ...

هزّت دانة رأسها و قالت بصوت لا أعرف من أين خرج...

"و ...

و ...

وليد...

وليد \_\_\_\_\_اد "

للحظة ... ظلمت أهدق في دانة ... في تشتت  
لم أكن أعرف ... هل هذا واقع أم أحد أحلامي ... ؟  
تلفت من حولي عليّ أرى شيئاً واضحاً أكيدا بالنسبة لي...  
كل شيء كان مبهما...

دانة عادت تقول:

"وليد قد عاد ... عاد يا رغد ... عاد"

لم تكن كلمات واضحة بالنسبة لي ... و بقيت واقفة على نفس الوضع ...  
فأقبلت دانة نحوي و أمسكت بكتفي و ضغطت عليهما...



لمجرد إحساسي بيديها على كتفي أدركت أنه ليس حلما

لم أشعر بأي شيء يتحرك في جسدي لكنني رأيت الجدران تتحرك بسرعة و الأرض تجري من تحت قدميّ و الطريق يقودني إلى خارج الغرفة...

و أطيرو...

أطيرو ...

نحو مصدر أصوات البكاء التي أسمعها منبعثة من مكان ما في المنزل ...

بالتحديد ... مدخل المنزل ...

و عند أعلى الدرجات المؤدية إلى المدخل...

توقف الكون فجأة عن الحركة من حولي...

و ترنحت ذراعاي إلى جانبيّ...

و تشبثت أنظاري بالصورة التي ظهرت أمامي ...

و تمركزت فوق العينين السوداوين اللتين تعلقان الرأس العريض الثابت فوق ذلك الجسد الطويل....

الحلقة العاشرة

\*\*\*\*\*

ما أن خرجت من السور الضخم العملاق المحيط ببنايات السجن ، حتى وجدت سيارة تقف على

الطريق المقابل ، و إلى جانبها يقف رجل عرفت فورا أنه صديقي الحميم سيف...

كنت أسير ببطء شديد ، خشية أن أفيق مما ظننته مجرد حلم ... حلم الحرية...

أنظر إلى السماء فأرى الشمس المشرقة تبعث إلى بتحياتها و أشواقها الحارة

و أرى الطيور تسبح بحرية في ساحة الكون ... بلا قيود و لا حواجز...

و أتلفت يمنة و يسرة فتلفحني أنسام الهواء النقية ... عوضا عن أنفاس المساجين المختلطة بدخان  
السجائر...

لن أطيل في وصفي لشعوري ساعتها فأنا عاجز عن التصوير...  
تعانقنا أنا و صديقي سيف عناقا حارا جدا و لا أعرف لماذا لم تنصهر دموعي ذلك الوقت!  
أ لأنني قد استنفذتها في السنوات الماضية؟؟  
أم لأنني كنت في حالة عدم تصديق؟؟  
أم لأنني فقدت مشاعري و تحجر قلبي و تبرد إحساسي...؟؟

"حمد لله على خروجك سالما أيها العزيز"

قال سيف و هو يعانقني وسط بحر من الدموع...

و يدقق النظر إلى تعابير وجهي الغريبة و عيني الجامدة  
و أنفي كذلك!

قلت:

"عدا عن كسر بسيط في الأنف!"

و ضحكنا!

قلت:

"فعلها والدك؟"

ابتسم و قال مداعبا:

"والدي و أنا ! بكم تدين لي؟؟"

"بثمان سنين من عمري أهديها لك!"

ركبنا السيارة و ابتداءً مشوار العودة ... الطويل  
كان المقعد جلدي قد أحرقته الشمس ، و ما إن جلست عليه حتى سرت حرارته في جسدي فحركت  
فيه حياة كانت ميتة...

طوال الوقت ، كنت فقط أراقب الأشياء تتحرك من حولي...

الطريق...

الشارع...

الأشجار

كل شيء يتحرك...

بعد أن قضيت ٨ سنوات من الجمود و السكون و الموت...

٨ سنوات من عمري ، ضاعت سدى ... فمن يضمن لي العيش ثمان سنوات أخرى ...

أو أكثر

أو أقل؟؟

دهشت لدى رؤية آثار الحرب و الدمار ... تخرب البلد...

الطريق كان شاقا و الشوارع مدمرة ، و كان علينا عبور مناطق لا شوارع بها وقد حضر سيف بسيارة  
مناسبة للسير فوق الرمال.

بين الفينة و الأخرى ألقى نظرة على ساعة السيارة ، و دوننا عن بقية الأشياء من حولي ، لا أشعر بها  
هي بالذات تتحرك ...

إنني في أشد الشوق لرؤية أهلي ... منزلي ... مدينتي...

و شديد اللهفة إلى صغيرتي رغدا!

آه يا رغدا!

ها أنا أعود ...

فهل أنا في حلم؟؟

كانت الشمس قد استأذنت للرحيل على وعد بالحضور صباحا ، لحظة أن فتحت عيني على صوت  
يناديني...

"وصلنا ! انهض عزيزي"

لم أشعر بنفسي حين نمت مقداراً لا أعلمه من الوقت ، إلا أنني الآن أفقت بسرعة و بقوة...  
كان جسدي معرقاً و ملتصقاً بملابسي و بالمقعد ... و مع ذلك لم أشعر بأي انزعاج أثناء النوم...

"وصلنا ! إلى أين؟"

قلت ذلك و أنا أتلفت يمنة و يسرى و أرى الدنيا مظلمة ... إلا عن أنوار بسيطة تتبعثر من مصابيح  
موزعة فيما حولي...

قال سيف:

"إنه منزلي يا وليد"

حدقت بسيف برهة ، ثم قلت:

"خذني إلى منزلي رجاءاً !"

سيف علاه شيء من الحزن و قال:

"كما تعرف يا وليد ... أهلك قد غادروا ... ستبقى معي لحين نهتدي إليهم سبيلاً"

قضيت تلك الليلة ، أول ليالي الحرية ، في بيت العزيز سيف .

هل لكم بتصور شعوري عندما وضعت أطباق العشاء أمامي؟؟

طبخات لم أذقتها منذ ثمان سنين ، شعرت بالخجل و أنا مقبل على الطعام بشراهة فيما سيف يراقبني  
و يبتسم!

"أنا آسف ! إنني جائع جداً !"

قلت ذلك و أنا مطأطئ بعيني نحو الأسفل خجلاً ، إلا أن سيف ضحك و قال:

"هيا يا رجل كل قدر ما تشاء و اطلب المزيد ! بالهناء و العافية"

رفعت بصري إليه و قلت:

"لو تعلم كيف كان طعامي هناك" ! ...

هز سيف رأسه و قال:

"انس ذلك ... لقد كان كابوسا و انتهى ، الحمد لله"

هل انتهى حقا ... ؟؟

رغم أنه كان سريرا ناعما واسعا نظيفا و عطرا ، ألا أنني لم استطع النوم جيدا تلك الليلة...  
كيف تغمض لي عين و أنا مشغول البال و التفكير ... بأهلي ...  
و بعد صلاة الفجر ، و حينما عادت الشمس موفية بوعدھا ، و اطمأننت إلى أنها صادقة و ستظهر  
لتشرق حياتي كل يوم ، فتحت النافذة لأسمح بأشعتها للتسرب إلى الغرفة و معانقة جسدي بعد فراق  
طويل...

رأيت أشياء كثيرة و مزعجة في نومي...

سمعت صوت نديم يناديني...

"انهض يا وليد ، جاء دورك"

كان العساكر يقفون عند باب السجن ينظرون إلي ... لم أشأ النهوض...  
هزرت رأسي معترضا ، لكن نديم ظل يناديني  
أفقت ، و فتحت عيني لأنظر إليه ، و أرى السقف و الشقوق التي تملأه ، و تخزن عشرات الحشرات  
بداخلها ...

لكنني رأيت سقفا نظيفا و مزخرف ... منظر لم أعتد رؤيته ... نهضت بسرعة و نظرت من حولي...

"وليد ! هل أفزعتك ! أنا آسف" !

كان صديقي سيف يقف إلى جانبي ...

قلت و أنا شبه واع ، و شبه حالم:

"أنت سيف ؟ أم نديم ؟؟ هل أنا في السجن ؟ أم " ...

سيف مد يده و أمسك بيدي بعطف و قال:

"عزيزي ... إنك في بيتي هنا ، لا تقلق " ...

خشيت أن يكون حلما و ينتهي ، حركت يدي الأخرى حتى أطبقت على يد سيف بكلتيهما ، و قلت :

"سيف ! أهى حقيقة ؟ أرجوك لا تجعلني أفيق فجأة فأكتشف أنه مجرد حلم ! هل خرجت أنا من السجن حقا ؟؟"

الآن فقط ، تفجرت الدموع التي كانت محبوسة في بئر عينيّ

بعد ذلك ، أصررت على الذهاب للمنزل حتى مع علمي بأن أحدا لم يعد يسكنه

و كلما اقتربنا في طريقنا من الوصول ، كلما تسارعت نبضات قلبي حتى وصلنا و كادت تتوقف!

اتجهت نحو الباب و جعلت أقرع الجرس ، و سيف ينظر إلي بأسى

لم يفتحه أحد...

جالت بخاطري ذكرى تلك الأيام ، حينما كانت رغد و دانة تتسابقان و تتشاجران من أجل فتح الباب !

التفت إلى الخلف حيث يقف سيف ، و كانت تعابير وجهه تقول : يكفي يا وليد ، لكنني كنت في

شوق لا يكبح لدخول بيتي...

نظرت من حولي ، ثم أقبلت إلى السور ، و هممت بتسلقه!

"وليد ! ما الذي تفعله ؟!"

أجبت و أنا أقفز محاولا الوصول بيدي إلى أعلى السور:

"سأفتح الباب ، انتظرنى "

و بعد أن قفزت إلى الداخل فتحت الباب فدخل سيف...

"و لكن لا جدوى ! كيف ستدخل للداخل؟"

بالطبع ستكون الأبواب و النوافذ جميعها مغلقة و موصدة من الداخل ، ألا أنني أستطيع تدبر الأمر!

قلت:

"سترى" !

و انطلقت نحو الحديقة...

لم تعد حديقتنا كما كانت في السابق ، خضراء نظرة ... بل تحولت إلى صحراء صفراء جافة...

انقبض قلبي لدى رؤيتها بهذا الشكل ...

أخذت أتلفت فيما حولي و سيف يراقبني باستغراب

وقعت أنظاري على أدوات الشواء التي نضعها في إحدى الزوايا ، في الحديقة

كم كانت أوقاتا سعيدة تلك التي كنا نقضيها في الشواء

توجهت إليها و أخذت أحفر الرمال...

"ما الذي تفعله بربك يا وليد؟؟ هل أخفيت كنزا هناك؟؟"

و ما أن أتم سيف جملة حتى استخرجت مفتاحا من تحت الرمال!

تبادلت أنا و سيف النظرات و الابتسامات ، ثم قال:

"عقلية فذة ! كما كنت دائما" !

و ضحكنا...

كنت أخفي مفتاحا احتياطيا في تلك الزاوية تحت الرمال منذ عدة سنوات...

و أخيرا دخلت المنزل

للحظة الأولى أصابت جسدي القشعريرة لرؤية الأشياء في غير أمكنتها...

تجولت في الممرات و شعرت بالضيق للسكون الرهيب المخيم على المنزل...  
عادة ما كان البيت يعج بأصوات الأطفال و صراخهم...  
صعدت إلى للطابق العلوي قاصدا غرفة نومي ، حيث تركت ذكريات عمري الماضي ... و حين هممت  
بفتح الباب ، وجدتها مقفلة...

"تبا" !

توجهت بعد ذلك إلى غرفة رغد الصغيرة ، المجاورة لغرفتي مباشرة .. مددت يدي و أمسكت بالمقبض  
، و أغمضت عيني ، و أدت المقبض ، فلم يفتح الباب...  
كانت هي الأخرى مقفلة  
أدت المقبض بعنف ، و ضربت الباب غيظا ... و ركفته من فرط اليأس...  
أخذت أحاول فتح بقية الغرف لكنني وجدتها جميعا مقفلة  
فشعرت و كأن الدنيا كلها ... مقفلة أبوابها أمامي...  
عدت إلى غرفة رغد و أنا منها...  
جثوت على الأرض و أطلقت العنان لعبراتي لتسبح كيفما تشاء...  
"أين ذهبتم ... و تركتموني؟؟" ...

أغمضت عيني و تخيلت...  
تخيلت الباب يفتح ، فأرى ما بالداخل...  
على ذلك السرير تجلس رغد بدفاتر تلوينها ، منهمكة في التلوين...  
و حين تحس بدخولي ترفع رأسها و تبتسم و تهتف : وليــــد!  
ثم تقفز من سريرها و تركض إلي ... فألتقطها بين ذراعي و أحملها عاليا!  
"أين أنتم ؟ عودوا أرجوكم ... لا تتركوني وحيدا" ...

كنت أبكي بحرقة و مرارة و عيناى تجولان في أنحاء المنزل و أتخيل أهلي من حولي ... هنا و هناك  
...  
و أتوهم سماع أصواتهم...



لقد رحلوا ... و تركوا المنزل خاليا و الأبواب مقفلة ... و وليد وحيدا تائها...

هل تخلوا عني؟؟

هل أصبحت في نظرهم ماض يجب نسيانه ؟

مجرما يجب إغائه من الحسابان؟؟

كيف يمتنعون عن زيارتي و السؤال عني كل هذه السنين...

ثم يرحلون ...

أخرجت الصورتين اللتين احتفظ بهما منذ سنين من أحد جيوبي ... و جعلت أتأمل وجوه أهلي و

أناديهم ... واحدا تلو الآخر كالمجنون...

أبي ...

أمي...

سامر...

دانه...

رغد...

لقد عدت!

أين أنتم؟؟

أجيبيوا أرجوكم...

سيف ظل واقفا يراقب عن بعد ...

كنت لا أزال جاثيا عند باب غرفة رغد غارقا في الحزن و البكاء المرير ... حين لمحت شيئا لم أكن

لألّمحه لو لم أجتو بهذا الوضع...

من بين دموعي المشوشة للرؤية أبصرت شيئا تحت باب غرفتي

مددت أصابعي و أخرجته ببعض الصعوبة ، فإذا به قصاصة ورق صغيرة مثنية ، و حين فتحتها

وجدت التالي:

(وليد ، لقد ذهب مع أمي و أبي و دانه و سامر إلى المدينة الصناعية . عندما تعود تعال إلينا . أنا

أنتظر كما اتفقنا . رغد)

لكم أن تعذروا سيف للذهول الذي أصابه حين رأني أنهض واقفا فجأة ، و أطلق ضحكة قوية بين

نهري الدموع الجاريين!

"وليد !! ماذا دهك؟؟"

نظرت إليه و أنا أكاد أففز فرحا و قلت:

"إنها رغد العريزة تخبرني بأنهم في المدينة الصناعية ! هل رأيت شيئا كهذا؟؟"

و أخذت أحضن الورقة و الصور بجنون!

سيف قال:

"عقلية ... فذة ... أظن ذلك" !!

و ضحكنا من جديد.

و بعد يومين ، حين رتب سيف أموره للسفر ، انطلقنا أنا و هو بالسيارة ميممين وجهينا شطر المدينة الصناعية...

لقد تكبلنا مشاقا لا حصر لها أثناء الطريق ، إذ أن الشوارع كانت مدمرة و اضطررنا لسلك طرق ملتوية و مطولة جدا...

كما و أننا واجهنا عقبات مع الشرطة المحليين

إنني لمجرد رؤية شرطي ، ارتعش و أصاب بالذعر ... حتى و إن كان مجرد شرطي مرور...

لن أطيل في وصف الرحلة ، لم يكن ذلك مهما ... فرأسي و قلبي و كلي ... مشغول بأهلي و أهلي فقط

...

و أولهم ... مدلتي الصغيرة الحبيبة...

رغد...

رغد...

أنا قادم إليك أخيرا...

قادم أخيرا...

وصلنا للمدينة الصناعية مساء اليوم الثالث ، و قد نال منا التعب ما نال  
لذا فإن سيف أراد استئجار شقة نقضي فيها ليلتنا لنبدأ البحث في اليوم التالي...

"ماذا ؟ لا أرجوك ! لا أستطيع الانتظار لحظة بعد" !

تنهد سيف و قال:

"يا عزيزي دعنا نبات الليلة و غدا نذهب إلى بلدية المدينة و نسألهم عن أهلك ! أين تريدنا أن  
نبحث الآن ؟؟ نطرق أبواب المنازل واحدا بعد الآخر ؟؟"

"أجل ! أنا مستعد لفعل ذلك" !

ابتسم سيف ، ثم ربت على كتفي و قال:

"صبرت كثيرا ! اصبر ليلة أخرى بعد" !

لم تمر علي ساعات أبطأ من هذه من قبل...  
لم أنم حتى لحظة واحدة و أصابني الإعياء الشديد و الصداع  
و في اليوم التالي ، وقفنا عند إحدى محطات الوقود ، و ذهب سيف لشراء بعض الطعام و هممت  
باللحاق به ، لكنني شعرت بالتعب الشديد...  
عندما عاد سيف ، التفت نحوي مقدما بعض الطعام إلي:

"تفضل حصتك" !

هزرت رأسي ممتنعا ، فأنا لا أشعر بأي رغبة في الطعام فيما أنا قد أكون على بعد قاب قوسين أو أدنى  
من أهلي...

أسندت رأسي إلى المعقد و رفعت يدي إلى جبيني و ضغطت على رأسي محاولا طرد الصداع منه...

"أ أنت بخير ؟؟"

سألني سيف ، فأجبت:

"صداع شديد"

"خذ تناول بعض الطعام و إلا فإنك ستنهار" !

و هزرت رأسي مجددا...

ثم التفت إليه و قلت:

"هل لي ببعض المال؟؟"

أخرج سيف محفظته من جيبه و دفعها إلي ... فأخذتها ، و فتحت الباب قاصدا النزول و الذهاب إلى  
البقالة المجاورة...

ما كدت أفق على قدمي حتى انتابني دوار شديد فانهرت على المقعد...

"وليد" !

تركت رجلي متدليتين خارج السيارة و أنا عاجز عن رفعهما  
سيف أسرع فعدل من وضعي و سأل بقلق:

"أ أنت بخير؟؟"

"دوار" ...

أسرع سيف فقرب عبوة عصير من شفتي و قال:

"اشرب قليلا"

رشفت رشفتين أو ثلاث ، و اكتفيت . سيف كان قلقا و ظل يلح علي بتناول بعض الطعام ألا أنني لم  
أكن أشعر بأدنى رغبة حتى في شم رائحته...

بعد قليل ، زال الدوار جزئيا و فتحت عيني ، و مددت بالمحفظة إلى سيف و قلت:

"هل لي بعلبة سجائر؟"

كانت الساعة قد تجاوزت الثانية عشر ليلا ، حينما أشار آخر شخص سألناه عن منزل شاكر جليل ،  
أبي وليد ، إلى منزل صغير يقع عند المنعطف التالي...

سأل سيف الرجل:

"أأنت متأكد؟ شاكر جليل المكنى بأبي وليد ، رجل قدم مع عائلته من وسط البلاد؟"

"نعم إنه هو و يقيم هنا منذ سبع أو ثمان سنين!"

لم يكن الشيء الذي يهتز هو قلبي فقط ، بل و أطرافي ، و شعري ، و مقعدي بل و السيارة أيضا!  
تبادلنا أنا و سيف النظرات ... ثم تحرك بالسيارة ببطء حتى أصبحنا إزاء المنزل مباشرة...

"هيا يا وليد" ...

بقيت في مكاني و لم تخرج مني بادرة تشير إلى أنني أنوي النهوض

"وليد ! هيا بنا ! أم تفضل الانتظار حتى الغد فربما يكون الجميع نيام!"

قلت بسرعة:

"لا لا ... مستحيل أن أنتظر دقيقة بعد" ...

و مع ذلك ، بقيت في مكاني بلا حراك ، عدا عن الاهتزازات التي تعرفون...

"ما بك؟ قلق؟؟"

"ماذا لو لم يكن المنزل المقصود أو العائلة المعنية؟؟ هل نستمر في البحث أكثر؟؟ أنا مجهد جدا"

"هون عليك ، ربما وصلنا أخيرا . سنتأكد من ذلك"

كيف لي أن أبقى صامدا قويا و أنا على وشك رؤية أهلي ...؟؟  
في داخل هذا المنزل ... يعيش أُمي و أبي ... و أخي و أختي ... و الحبيبة رُغد!  
ربما هم نيام الآن!  
لا بد أنهم سيفاجؤون لدى رؤيتي....  
كم أنا مشتاق إليكم جميعا...  
إن هي إلا لحظات ... و ألتقي بكم!  
يا إلهي ! أكاد أموت من الشوق و القلق ...  
أخرجت الصورتين من جيبي و أخذت أتأمل أفراد عائلتي...  
ثم ثبتّ أنظاري على صورة رُغد ، و هي تلون...  
رُغد...  
يا حلوتي الصغيرة...  
ها أنا قد عدت...

"دعك من الصورة ... و هيا إلى الأصل " !

قال سيف و هو يفتح الباب و ينزل...  
قرعنا الجرس مرارا ... حتى خشيت أن يكون البيت قد هجر ... و أهلي قد رحلوا ... و أملي قد  
ضاع...

و لكن الباب انفتح أخيرا ...

و أطل منه شاب يافع ... طويل القامة ... نحيل الجسم ... مشوّه الوجه بندبة أكدت لي بما لا يقبل  
الشك ... أنه شقيقي الوحيد ... سامر....

"سامر ... يا أخي " !

دخلت في دوامة لا أستطيع وصفها ... من الصراخ و الهتاف ... البكاء و النحيب ... الدموع و العناق  
...

تلقفتني الأيدي و الأذرع و الأحضان ... و أمطرت بالقبل و امتزجت الدموع بالآهات و التهليل

بالولاول ... و ما عدت أدرك إن كان أهلي من حولي حقا ؟ أم أنني توهمت خروجهم من الصورة ...؟  
لقد مضى وقت لا أعرف مقداره و أنا أدور بين أحضانهم في عناق تختلط فيه الدموع...

والدتي لم تقو على الوقوف من هول المفاجأة فجلسنا جميعا قربها و استحوذت على رأسي و ضمته إلى  
صدرها و جعلنا نبكي بحرارة

و أبي جالس قربي يكرر حمد الله و شكره و يجهش بكاء  
و أخي سامر ممسكا بذراعي من جهة ، و دانة من جهة أخرى  
و لم يعد هناك مجال للكلمات...

لا أستطيع وصف المزيد

أنى لذاكرتي أن تستوعب حرارة كهذه دون أن تنصهر؟؟  
أطلقت والدتي سراح رأسي لبعض الوقت ... فالتفت نحو دانة  
كم كبرت و أصبحت ... فتاة مختلفة!  
فتحت فمي لأتكلم ، فإذا بالدموع الحارة تتسلل إلى داخله...  
و ربما هذا ما منح لساني القدرة على الحركة و النطق...  
لكن صوتي جاء مبوحا خافتا ضعيفا ، كصوت طفل يختنق...

"رغد؟؟"

هبت دانه واقفة ، و صعدت عتبات تلي المدخل عتبتين عتبتين ، و أسرع الخيطى ذاهبة لاستدعاء  
رغد

وقفت في قلق و وقف الجميع معي ، و هم لا يزالون يقتسمون حضني و ذراعي...  
كنت أنظر إلى الناحية التي ذهب إليها دانه ... و لو لم أكن مربوطا بالجميع لذهبت خلفها...  
لا...

بل لسبققتها...

الآن ستظهر رغدا!

هل نفذ الهواء الذي من حولي؟؟ أنا اختنق ...

هل طلعت الشمس في غير موعدها ؟ إنني أحترق...

هل تهتز الأرض من تحت رجلي؟؟ أكاد أنهار ... لولا أنهم يمسون بي...

ستأتي رعد ... سأحضنها ... و أحملها على ذراعي ... و أؤرجحها في الهواء كما كنت أفعل دائما

...

هيا يا رعد ... اظهري ... تعالي ... أسرعني إلي...

و من حيث كنت أهدق بصبر نافذ تماما ، ظهرت مخلوقة جاءت تركض بسرعة ... و توقفت عند أعلى العتبات....

كما توقفت هي ، توقف كل شيء كان يتحرك في هذا الكون فجأة ... بما فيهم قلبي المزلزل...  
توقفت عيني حتى عن سكب الدموع ، و عن الطرف...  
و تثبتت فوق عيني الفتاة الواقفة أعلى العتبات ... تنظر إلي بذهول ... فاعرة فاها

هل جرب أحدكم أن يوقف شريط الفيديو أثناء العرض ؟

هكذا توقف الكون عند هذه اللحظة التي ربما تجاوزت القرون طولاً...  
وجها لوجه ... أمام مخلوقة يفترض أن تكون رعد ... و لم تكن رعد...  
كنت انتظر أن تظهر رعد ... تماما كما تركتها قبل ثمان سنين ... طفلة صغيرة أعشقتها بجنون ...  
تركض نحوي بلهفة ... و ترفع يديها إلي بدلال ... و تقول:  
وليد ... احملني !

لم أعد أرى جيدا ... أصبت بغشاوة من هول الصدمة المفاجئة ... و المشاعر المتلاطمة بعنف...  
أردت أن أخرج الصورة من جيبي ... و أسأل الجميع ... أهذه هي صغيرتي رعد؟؟  
لكنني بقيت جامدا متصلبا متخشبا كما أنا ...  
أول شيء تحرك كان فم الفتاة ... ثم إصبعها الذي أشار نحوي ، و بصعوبة و بجهد و بحروف  
متقطعة قالت:

" و ... ل ... ي ... د ؟؟؟"

ثم فجأة ، و دون أن تترك لي الفرصة لأستعد لذلك ، قفزت رعد من أعلى العتبات باندفاع نحوي  
فحرت ذراعي بسرعة من بين أذرع البقية و رفعتها نحو رعد التي هوت على صدري و هي تهتف





لقد عشت لأراك ثانية...  
و نجوت لأعود إليك...

"آه"

أطلقت هذه الآهة ، ثم خررت أرضا...  
أعتقد أنني أصبت بإغمائه لبضع دقائق  
عندما فتحت عيني ، رأيت وجوه الجميع من حولي فيما أدمعهم تنهمر و تبلبل وجهي و ملابسي  
الغارقة في العرق...  
لم يكن لدي ما هو أعلى من دموع مدللتي رغد و حين رأيته تسيل على خديها قلت

"لقد عدت ! لن أسمح لدموعك بأن تسيل بعد اليوم" !

ثم نقلت بصري بين أعينهم جميعا ، و قلت:

"أنا متعب جدا"

و لحظتها فقط انتبهت لعدم وجود سيف ...  
لا أذكر أنني رأيته بعد قرعنا للجرس ! هل عاد للسيارة ؟ أم ماذا حدث ؟

قلت:

"أين سيف ؟"

أجاب سامر:

"غادر ... قال أنه سيأتي غدا"

ولأنني كنت متعبا جدا جدا ، فسرعان ما نمت بعدما أرخيت جسدي فوق سرير أخي سامر ، و  
الذي نام على الأرض إلى جوارني في غرفته تلك الليلة...

عندما أيقظني سامر وقت صلاة الفجر ، لم أكن قد نلت ما يكفي من الراحة...لذا لم أرافقه و أبي إلى المسجد ، بل أديت صلاتي في الغرفة ذاتها...

أثناء غيابهما للصلاة ، تجولت في المنزل بحثا عن المطبخ فقد كنت شديد العطش و لم يكن البيت كبيرا لذا فإن غرفه و أجزائه متقاربة...

وصلت إلى المطبخ و هناك رأيت شخصا يقف أمام الثلاجة المفتوحة ، موليا ظهره إلي ، و يرتدي حجابا...

لم يكن من الصعب علي أن أستنتج أنها رغد ، من صغر حجمها

"رغد؟"

التفتت رغد نحوي بفزع ، إذ أنها لم تشعر بدخولي المطبخ...

"أنا آسف ... هل أفزعتك؟؟"

أحنت رغد رأسها نحو الأرض و هزته قليلا...

قلت:

"أريد بعض الماء ... رجاءً "

رغد تنحت جانبا موسعة المجال أمامي ، و عندما اقتربت رفعت رأسها فنظرت إلي برهة ...

"لقد ... كبرت!" !

لم تنطق بأي كلمة ، و نزلت ببصرها أرضا...

قلت:

"لكنك لم تتغيري كثيرا " ...

رفعت رأسها مرة أخرى و نظرت إلي ، ثم طأطأته من جديد...

قلت:

" و أنا ؟ هل تغيرت كثيرا ؟؟ "

ترددت قليلا ثم قالت:

" هل بدلت أنفك ؟ "

ابتسمت ، بل كدت أضحك ، لكنني قلت:

" بدّله الزمن ! هل يبدو سيئا جدا ؟؟ "

رغد قالت دون أن ترفع بصرها عن الأرض:

" على العكس " !

ثم أسرعته بالخروج من المطبخ ...

استدردت و ناديت:

" رغد انتظري " ...

ألا أنها اختفت بسرعة!

و بسرعة شربت كمية كبيرة من الماء البارد شعرت بها تجري في فمي و حلقي و معدتي و حتى  
شرايبيني !

عدت إلى فراشي و أغمضت عيني...

إنه ليس مجرد حلم...

لقد عدت إلى أهلي أخيرا

عدت إلى رغد...

و حتى و أن كبرت و لم تعد صغيرتي المدللة ، فهي لا تزال محبوبتي التي أعشق منذ الصغر...

و التي أفعل أي شيء في سبيل إسعادها

و التي لا زلت مشتاقا إليها أكثر من أي شخص آخر...

و التي يجب أن أقربها مني أكثر من أي وقت مضى...

فهي...

صغيرتي الحبيبة المدللة...

حلم حياتي الأول...

محبوبتي منذ الطفولة...

قد كبرت أخيرا....

الحلقة الحادية عشرة

\*\*\*\*\*

و أنا استفيق من النوم ، و أشعر بنعومة الوسادة تحت خدي ، و سمك و دفء البطانية فوق جسدي ،

و النور يخترق جفني...

بقيت مغمض العينين...

حركت يدي فوق الفراش الدافئ الواسع ، و الوسادة الناعمة و أخذت أتحسسهما براحة و سعادة...

ابتسمت ، و يدي لا تزال تسير فوق الفراش ، و البطانية ، و الوسادة مداعبة كل ما تلامس!

أخذت نفسا عميقا و أطلقتته مع آهة ارتياح و رضا...

كم كان النوم لذيذا ! و كم كنت أشعر بالكسل ! و الجوع أيضا!

آه ... ما أجمل العودة إلى البيت ... و الأهل...

فتحت عيني ببطء ، و أنا مبتسم و مشرق الوجه

و على أي شيء وقعت أنظاري مباشرة؟؟

على وجه أمي!

كانت والدتي تجلس على مقعد جوارى ، و تنظر إلي ، و دمعة معلقة على خدها الأيمن ، فيما فمها

يبتسم!

جلست بسرعة ، و قد اعتراني القلق المفاجئ و زالت الابتسامة و السعادة من وجهي ، و قلت

باضطراب:

"أماه ! ماذا حدث؟؟"

والدتي أشارت بيدها إلي قاصدة أن أطمئن ، و قالت:

"لا لا شيء ، لا تقلق بني"

لكنني لم أزل قلقا ، فقلت مرة أخرى:

"ماذا حدث؟؟"

هزت أمي رأسها و مسحت دمعته و زادت ابتسامتها و قالت:

"لا شيء وليد ، أردت فقط أن أروي عيني برؤيتك"

ثم انخرطت في البكاء...

نهضت عن سريري و أقبلت ناحتها و قبلت رأسها و عانقتها بحرارة...

"لقد عدت أخيرا ! لا شيء سيبعدني عنكم بعد الآن"

~ ~ ~ ~ ~ ~ ~

طبعا لم يستطع أحدنا النوم تلك الليلة ، غير وليد!  
نام وليد في غرفة سامر ، إذ لم يكن لدينا أي سرير احتياطي أو غرفة أخرى مناسبة.  
أنا لا أستطيع أن أصدق أن وليد قد عاد!  
لقد آمنت بأنه اختفى للأبد  
كنت اعتقد بأنه فضل العيش في الخارج حيث الأمان و السلام على العودة لبلدنا و الحرب و الدمار...  
لكنه عاد ... و بدأ كالحلم!  
لا يزال طويلا و عريضا ، لكنه نحيل!  
كما أن أنفه قد تغير و أصبح جميلا!  
البارحة لم أتمالك نفسي عندما رأيته أمام عيني ...  
كم تجعلني هذه الذكرى أبتسم و أتورد خجلا !

"رغد ! كم من السنين ستقضين في تقليب البطاطا ! لقد أحرقتها" !

انتبهت من شرودي الشديد ، على صوت دانة ، و حين التفت إليها رأيته تراقبني من بعد ، و قد  
وضعت يديها على خصرها...

ابتسمت و قلت:

"ها أنا أوشك على الانتهاء"

دانة حدقت بوجهي قليلا ثم قالت:

"لقد احمر وجهك من طول وقوفك قرب النار ! هيا انتشليها و انتهي" !

أنا اشعر بأن خدي متوهجان ! و لكن ليس من حرارة النار!  
انتهيت من قلي البطاطا ثم رتبته في الأطباق الخاصة.

مأثدتنا لهذا اليوم شملت العديد من الأطباق التي كان وليد يحبها  
والدتي أصرت على إعدادها كلها ، و جعلتنا نعتكف في المطبخ منذ الصباح الباكر!  
ربما كان هذا الأفضل فإن أحدنا لم يكن لينام من شدة الفرح...  
و الآن هي بالتأكيد في غرفة سامر!

"دانه"

كانت دانة تقطع الخضار لتعد السلطة ، و التفتت إلي بنفاذ صبر و قالت:

"نعم؟؟"

قلت:

"هل كان وليد يفضل عصير البرتقال أم الليمون؟؟"

رفعت دانة رأسها نحو السقف لتفكر ، ثم عادت ببصرها إلي و هزت رأسها أسفا:

"لا أذكر ! حضري أيأ منهما"

قلت:

"أريد تحضير العصير الذي يفضله ! تذكرني يا دانة أرجوك"

رمقتني بنظرة غضب و قالت:

"أوه رغد قلت لك لا أذكر ! أسألي أمي "

وقفت أفكر لحظة ، و استحسنت الفكرة ، فذهبت مسرعة نحو غرفة سامر!  
في طريقي إلي هناك صادفت والدي...

"إلي أين؟"



استوقفني أبي ، فقلت بصوت منخفض:

"أريد التحدث مع أمي"

ابتسم أبي و قال:

"إنها عند وليد !"

تقدمت خطوة أخرى باتجاه غرفة سامر ، إلا أن أبي استوقفني مرة أخرى

"رغد"

التفت إليه

"نعم أبي؟؟"

لم يتكلم ، لكنه رفع يده اليمنى و بإصبعه السبابة رسم دائرة في الهواء حول وجهه  
و فهمت ماذا يقصد...

انعطفت نحو غرفتي ، و ارتديت حجابا و رداء ساترا ، ثم قدمت نحو غرفة سامر و طرقت الباب  
طرقا خفيفا...

سمعت صوت أمي يقول:

"تفضل"

ففتحت الباب ببطء ، و أطلت برأسي على الداخل ... فجاءت نظراتي مباشرة فوق عيني وليد!  
رجعت برأسي للوراء و اضطربت ! و بقيت واقفة في مكاني...  
أقبلت أمي ففتحت الباب

"رغد ! أهلا ... هناك شيء؟؟"

قلت باضطراب:

"العصير ! أقصد الليمون أم البرتقال؟"

أمي طبعاً نظرت إلي باستغراب وقالت:

"عفوا؟!!"

كان باستطاعتي أن أرى وليد واقفاً هناك عند النافذة المفتوحة ، لكنني لا أعرف بأي اتجاه كان ينظر!

"هل أصنع عصير الليمون أم البرتقال؟؟"

ابتسمت والدتي وقالت:

"كما تشائين!"

قلت:

"ماذا يفضل؟؟"

و لم أجرؤ على النطق باسمه!

والدتي التفتت نحو وليد ، وكذلك فعلت أنا ، فالتفتت أنظارنا لوهلة...

قالت أمي:

"ماذا تفضل أن تشرب اليوم؟ عصير البرتقال أم الليمون؟ أم كليهما؟"

ابتسم وليد وقال:

"البرتقال قطعاً!"

ثم التفتت والدتي إلي مبتسمة ، وقالت:

"هل بقي شيء بعد؟"

"لا... تقريبا فرغنا من كل شيء، بقي العصير... والسلطة"

"عظيم، أنا قادمة معك"

ثم استأذنت وليد، وخرجت وأغلقت الباب.

وعندما ذهبنا للمطبخ، وجدنا سامر هناك، وكان قد عاد لتوه من الخارج حيث أحضر بعض الحاجيات...

بادلانا بالتحية ثم سأل:

"ألم ينهض وليد؟"

قالت أمي:

"بلى! استيقظ قبل قليل"

"عظيم! أنا ذاهب إليه"

وذهب سامر مسرعا، فهبت دانة واقفة ورمت بالسكين وقطعة الخیار التي كانت بيدها جانبا و  
قالت بانفعال:

"و أنا كذلك"

ولحقت به وهي تقول موجهة كلامها إلي:

"أتمي تحضير السلطة!"

وفي ثوان كانا قد اختفيا...

ماذا عني أنا؟؟  
أنا أيضا أريد أن أذهب إليه! ....  
نظرت إلى أمي فقالت:

"أنا سأقطع الخضار ، حضري أنت العصير ...

~ ~ ~ ~ ~

قبل قليل ، جاءت رغد و وقفت عند باب الغرفة لعدة ثوان ...  
أظن أنها جاءت تسال والدتي عن عصيري المفضل!  
يبدو أنها نسيت ذلك ... لطالما كنت آخذها معي إلى في نزهة بالسيارة ، نتوقف خلالها لتناول البوظا  
أو عصير البرتقال ، أو حتى أصابع البطاطا المقلية!  
يا ترى ... ألا تزال تحبها كما في السابق؟؟  
طرق الباب ، ثم دخل أخي سامر و دانة...  
أقبل الاثنان نحوي يحييانني و يعانقانني من جديد...

قال سامر:

"أحضرت لك بعض الملابس يا أخي ! إنك بحاجة إلى حمام طويل جدا" !

ابتسمت بشيء من الخجل ، فأنا أعرف أن هندامي كان سيئا ... و شعري طويلا ... و لحيتي نابثة  
عشوائيا بلا نظام ، و الملابس التي اشتراها لي سيف على عجل خالية من الجمال و الأناقة !

قلت:

"هل أبدو مزريا؟؟"

ضحكت دانة و قالت:

"بل تبدو كأحد نجوم السينما الأبطال" !

ضحكنا نحن الثلاثة ، ثم قلت:

"بطل بلا عضلات؟! لا أناسب حتى لدور مجرم" !

و جفلت للكلمة التي خرجت من لساني دون شعور ( ... مجرم ) ... ألسنت كذلك؟؟  
لكن أحدا لم يلحظ تغير تعابير وجهي ، بل استمرت دأنة تقول:

"بل بطل ! أليس كذلك يا سامر؟ إنه ليس رأيي وحدي بل هذا ما تقوله رغد أيضا" !

أثارت جملتها هذه اهتمامي البالغ ، هل قالت رغد عني ذلك حقا؟ هل أبدو كذلك في نظرها؟  
تعلمون كم يهمني معرفة ذلك!  
لقد كانت تعتبرني شيئا كبيرا عاليا في الماضي ، و الآن بعدما كبرت ... ترى ماذا أصبحت أعني لها  
؟؟

فيما بعد ، نعمت باستحمام طويل و مركز!  
نظفت جسدي و ذاكرتي من كل ما علق بهما من أيام السجن ... و بلاء السجن...  
بدوت بعدها ( شخصا محترما ) ، إنسانا مكرما ... رجلا يستحق الاهتمام....

حينما حضر سامر للغرفة بعد ذلك ، أطلق صفرة حادة مداعبا!

"ما كل هذه الوسامة يا رجل ! بالفعل كأبطال السينما" !

ابتسمت ، ثم قلت:

"يجب أن تصحبني إلى الحلاق اليوم لأقص شعري" !

قال:

"أبقه هكذا يا رجل ! تبدو جذابا به" !

ضحكنا كثيرا ، ثم خرجت معه من الغرفة فإذا بي أرى أمي و أبي يقفان في الردهة...  
ابتسما لرؤيتي ، و تبادلنا حديثا قصيرا ، ثم ذهبنا أنا و أبي و سامر لتأدية صلاة الظهر في المسجد.  
عندما عدنا ، و ما أن وطأت قدمي أرض مدخل المنزل ، حتى هاجمت أنفي روائح أطعمة شهية جدا  
!

أخذت نفسا عميقا متلذذا بالرائحة الرائعة!  
ظهرت أمي ، و قادتنا إلى غرفة المائدة...  
و ذهلت للأطباق الكثيرة التي ملأت المائدة عن آخرها ...

"أوه ! كل هذا ؟!"

نظرت إلى أمي بتعجب ، فابتسمت و قالت:

"تفضل بني بالهناء و العافية"

لا أخفيكم أن معدتي كانت تستصرخ!  
انقبضت مصدرة نداء استغاثة ، ثم توسعت أقصى ما أمكنها استعدادا للكميات الكبيرة التي أنوي  
التهامها!

في هذه اللحظة تذكرت صديقي سيف ، قلت:

"سيف ! يجب أن اتصل بسيف " !

و ذهبت إلى حيث يجلس الهاتف بسكون ، و اتصلت به في الشقة حيث كنا  
اعتذر سيف عن الحضور و قال أنه لا يود التسبب بأي حرج على أفراد العائلة في هذا الوقت ، لكنه  
وعد بالحضور مساء...

اتخذت مجلسي حول المائدة ، على يمين والدتي ... ، فيما سامر إلى يسار والدي . و أخيرا أقبلت  
الفتاتان ، دانة و رغد ... فجلست دانة إلي يمين والدي ، و بقي الكرسي الأخير ... المقابل لي شاغرا  
...

أقبلت رغد فجلست مقابلي على ذلك الكرسي ، و اتضح لي فيما بعد أنني جلست على الكرسي الذي

تجلس هي عليه في العادة!  
كانت ترتدي رداءً طويلاً ، و حجاباً.  
لا أخفيكم أنني كنت أشعر بشيء كلسعة الكهرباء كلما التقت نظراتنا عفويا  
إنها صغيرتي رعد!  
محبوبتي المدللة التي حرمت من رؤيتها و العناية بها لثمان سنين...  
تعرفون ما تعني لي...  
و قد كبرت و لم يعد بإمكانني مداعبتها كالسابق...  
إنني أريد أن أطعمها هذه البطاطا المقلية بيدي !  
إنني أشعر بأنها تراقبني!  
ليست هي فقط ... بل الجميع يراقبني  
إنني رغم شهيتي العظمي للطعام تصرفت بلباقة و تهذيب ، و أكلت بنفس السرعة التي بها يأكلون  
....  
و لكن لوقت أطول ... و لكميات أكبر!  
ما أشهى أطباق أمي!  
كل شيء يبدو لذيذا جدا ... حتى الماء...  
لم أذق للماء طعما منذ ثمان سنين ...  
و هل للماء طعم ؟؟  
أنا أعتبر نفسي دخلت الجنة بخروجي من ذلك الجحيم ... السجن...  
الحمد لله...

أمور كثيرة قد تحدثنا عنها إلا أن السجن لم يكن من ضمنها مطلقا  
كما و أنني لم أكن مقبلا على الحديث ، بل الاستماع ... و علمت عن أشياء كثيرة و تطورات جديدة  
حدثت في البلاد و الحياة خلال سنوات غيابي.  
و كانت رعد أقلنا حديثا ، بل إنها بالكاد تنطق بكلمة أو كلمتين من حين لآخر  
كنت أريد أن أتحدث معها...  
أسألها عما عملت في غيابي...  
أمسك بيديها...  
أمسح على شعرها...

أضمها إلي...

كما كنت أفعل سابقا ... فهي طفلي التي اشتقت لها كثيرا جدا جدا ... أكثر من شوقي لأي شخص

آخر ...

لست بحاجة لوصف المزيد فأنتم تعرفون...

لكنها الآن أمامي فتاة بالغة ترتدي الحجاب ... لا أجرؤ حتى على إطالة النظر إليها أكثر من بضع

ثوان...

هل تتصورون كيف هو شعوري الآن؟؟

لقد قضيت ثمان سنوات من العذاب... تغيير في الدنيا خلالها ما تغير ، إلا أن حبي لهذه الفتاة لم

يتغير ... و إن لم أعد الماضي الجميل و علاقتي الرائعة بها فسوف أصاب بالجنون!

قلت ، في محاولة مستميتة لإحياء الماضي الميت و إشعارها و إشعار نفسي بأن شيئا لم يتغير:

"رغد ... صغيرتي ... إلى أين وصلت في الدراسة؟"

رغد رفعت بصرها إلي في خجل ، و قد تورد خذاها ، و قالت:

"أنهيت الثانوية ! و سوف ألتحق بإحدى الكليات العام المقبل"

ابتسمت بسعادة ! فطفلي الصغيرة ستدخل الجامعة!

"عظيم ! مدهش ! أبهجتني معرفة ذلك ! وفقك الله"

ابتسمت رغد بخجل شديد ، ثم قالت:

"و أنت ؟ هل أنهيت دراستك أم لا زال هناك المزيد بعد؟؟"

تصلبت تماما لدى سماعي هذا السؤال...

و نقلت بصري إلى أمي ... أبي ... سامر ... و دانة ...

و علامات الذهول صارخة في وجهي...



أبى قال مرتبكا:

"يكفي لحد الآن ! هل تظنين أننا سنتركه يغادر ثانية ! مستحيل "

نظرت إلى أمي و سامر ، فإذا بهما يتحاشيان النظر إلي...  
أما دانة فكانت مشغولة بتقطيع الطعام و مضغه...  
و رغد ، حين عدت ببصري إليها وجدتها تبتسم...  
شعرت باستياء كبير لهذه الحقيقة التي فاجؤوني بها...  
لم يبد على رغد أنها تعلم ... أنني كنت في السجن!  
هل أخبروها بأنني سافرت لأدرس؟؟  
ألم أطلب أنا منهم ذلك ؟  
ألا يزالون محتفظين بالسر؟؟

انزعجت كثيرا لاستنتاج ذلك ، و فقدت شهيتي لتناول المزيد ...  
لكنني شربت حصتي من عصير البرتقال كاملة ، لعلمي المسبق بأن رغد هي التي حضرته...  
بعد الغداء ذهبت مع أهلي في جولة داخل المنزل لأتعرف على أجزائه ، و كان موضوع جهل رغد بأمر  
سجني يسيطر على تفكيري ... و يتعسني...

و انتهزت أول فرصة سنحت لي فسألت والدي:

"ألا تعلم رغد بأنني ... كنت في السجن؟؟"

والدي تردد قليلا ثم أجاب:

"لم يكن بإمكاننا إخبارها بشيء كهذا ذلك الوقت ... ثم كبرت ... و دانة ... و لم نجد داعيا  
لإعلامهما بالحقيقة"

غضبت كثيرا من هذا التصرف ، فأنا الآن وضعت في وجه المدفع ... لا أعرف كيف سنتصرف رغد  
حين تعلم بالأمر ... و لا حتى دانة...

الاستياء كان واضحا على وجهي ، فقال أبي:

"هون عليك يا وليد ... نتحدث عن ذلك فيما بعد"

كان الأمر شديد الأهمية بالنسبة لي ...

في المساء ، كنت أشاهد التلفاز مع والدي و والدتي في غرفة المعيشة ، ثم أردت الاتصال بصديقي سيف  
لأؤكد عليه الحضور

لم أشأ استخدام الهاتف الذي يقع فوق التلفاز مباشرة لذلك خرجت من غرفة المعيشة و توجهت نحو  
المطبخ ... و هو الأقرب إلى الغرفة..

لقد كان الباب مغلقا ، لذا طرقته أولا...

فتح الباب قليلا و ظهرت دانة

"أهلا وليد! أتريد شيئا؟؟"

"أردت استخدام الهاتف"

ابتسمت دانة و قالت:

"اذهب إلى غرفة المعيشة أو الضيوف!"

استغربت ، فقلت:

"هاتف المطبخ لا يعمل؟"

ابتسمت مجددا و قالت:

"بلى ! لكن رغد بالداخل !"

شيء أثار جنوني ... فقبضت يدي بقوة ... و قهر

بعد أن كانت رفيقتي أينما ذهبت ، أصبحت ممنوعا من الدخول إلى حيث توجد هي...

لن يستمر الوضع هكذا لأنني سأجن حتما...

لسوف أتحدث مع أبي بهذا الشأن في أقرب فرصة ... لا ... بل الآن!

و استدرت قاصدا غرفة الضيوف إلا أنني وقفت فجأة و بذهول ... حين رأيت باب المطبخ يتحرك ، و

يفتح ، و يخرج سامر منه!

خرج سامر مبتسما و أغلق الباب ، و بقيت محملا فيه بذهول...

سامر نظر إلي و ابتسم و قال:

"غرفة الضيوف من هنا"

أنا بقيت واقفا مصعوقا ... و أخيرا تحرك لساني المعقود فقلت:

"رغد ... بالداخل؟؟"

أجاب مبتسما:

"نعم ! ... لم تجلب الحجاب معها"

جننت ، و لم أعد قادرا على فهم شيء أو تصور شيء !

ببلاهة و اضطراب و تشتت فكر قلت ، و أنا أشير بإصبعي إلى سامر:

"لكن ... أنت ...؟؟؟"

سامر رفع حاجبيه و فغراه بابتسامة استنتاج ، كمن فهم و أدرك لتوه أمرا لم ينتبه له من قبل...

"آه ! تقصد أنا ...؟؟ نعم ... ف... نحن" ...

و ضحك ضحكة خفيفة ، ثم أتم الجملة التي قضت على آخر آخر ما كان في من بقايا فتات وليد:

"نحن ... مخطوبان" !

## الحلقة الثانية عشرة

\*\*\*\*\*

لقد قضيت اليوم بكامله في المطبخ!  
فبعد وجبة الغذاء العظيمة التي أعدناها صباحا ، الآن نعد وجبة عشاء من أجل وليد و صديقه الذي  
سيتناول العشاء في منزلنا.  
إنني أشعر بالتعب و أريد أن أنام ! لكن دانة لي بالمرصاد ، و كلما استرخيت قليلا طاردتني بقول:

"أسرعي يا رغد ! الوقت يدهمنا" !

كان سامر يساعدنا و لكنه خرج قبل لحظة ، و الآن أستطيع أن أتحدث عن وليد دون حرج!!

"أخبريني يا دانة ، ما هو التخصص الذي درسه وليد؟؟"

دانة منهمة في صف الفطائر في الصينية قبل أن تزج بها داخل الفرن...

قالت:

"أعتقد الإدارة و الاقتصاد" !

صمت قليلا ثم قلت:

"و أي غرفة سنعد له ؟ أظنها غرفة الضيوف ! فالببيت صغير ... ألا توافقيني؟"

قالت:

"بلى"

انتظرت بضع ثوان ثم عدت أسأل:

"ألا يبدو أنه قد نحل كثيرا؟ ألم يكن أضخم في السابق؟"

قالت:

"بلى ... كثيرا جدا ! لابد أنه لم يكن يأكل جيدا هناك"

قلت:

"أ رأيت كيف التهم البطاطا التي أعدها كلها؟ لابد أنها أعجبتة!"

التفتت دانة إلي ببطء و قالت:

"و كذلك أكل السلطة التي أعدتها ، و الحساء الذي أعدته أمي ، و الدجاج و الرز و العصير و كل شيء ! بريك ! هل تعتقد أن طبقك المقلي هذا هو طبق مميز!"

قلت مستاءة:

"أنت دائما هكذا ! لا يعجبك شيء أصنعه أنا"

انصرفت دانة عني لتضع صينية الفطائر داخل الفرن ، و ما أن فرغت حتى بادرتها بالسؤال:

"ألا يبدو أقرب شبيها من أبي؟ فأنت و سامر تشبهان أمي!"

قالت:

"لا أعرف" !

ثم التفتت إلي و قالت:

"و أنتِ !؟ من تشبهين؟؟"

صمت قليلا ، ثم قلت:

"ربما أُمي المتوفاة" !

لكنها قالت:

"لا ! تشبهين بل شخصا آخر" !

سألت باهتمام:

"من؟؟"

ابتسمت بخبث و قالت:

"الببغاء ! فأنت ثرثرة جدا" !

رمىت بقطعة من العجين ناحيتها فأصابت أنفها ، فأطلقت ضحكة كبيرة!

أما هي فقد اشتعلت غضبا و أقبلت نحوي متأبطة شرا!

تركت كرة العجين التي كنت ألتها من يدي و ذهبت أركض مبتعدة و هي تلاحقني حتى اقتربت من

الباب و كدت أفتحه

"انتظري ! وليد بالخارج"

أوقفت يدي قبل أن تدير المقبض و التفت إليها و قلت:

"صحيح؟؟"

قالت:

"نعم فهو من طرق الباب قبل لحظة ، دعيني أستوثق من انصرافه أولاً"

تنحيت جانبا ، منتظرة منها أن تفتح الباب ، فأقبلت نحوي و على حين غرة ، و بشكل مفاجئ ،  
ألصقت قطعة العجين على أنفي و ضحكت بقوة و ركضت مبتعدة قبل أن أتمكن من الفرار منها!  
أنا فتحت الباب بسرعة لأهرب لكن بعد فوات الأوان!  
و تخيلوا من لمحت في الثانية التي فتحت الباب فيها ثم أغلقتة بسرعة؟؟  
لقد كان وليد!

كم شعرت بالإحراج و الخجل و ابتعدت عن الباب في اضطراب  
لا بد أنه رآني هكذا ... و قطعة العجين ملتصقة بأنفي ! أوه يا للموقف المخجل!  
نزعت العجين و رميت به نحو دانة و أنا أقول:

"لماذا تقولي لي أن وليد خلف الباب؟؟"

رفعت دانة حاجبيها و قالت:

"بلى قلت لك" !

"ظننتك تمزحين للإيقاع بي ! لقد رآني هكذا" !

دانة ابتسمت ابتسامة صغيرة ، ثم قالت:

"أنت و وليد مشكلة الآن ! يجب ألا تغادري غرفتك بعد اليوم" !

قلت:

"شكرا لك ! إذن أتمي تحضير الفطائر و أنا سأذهب للنوم" !

في هذه اللحظة فتح الباب فدخل سامر...

نظر مباشرة إلي و قال:

"ذهب إلى غرفة الضيوف ، إن كنت تودين الخروج"

نظرت إلى دانة ثم إلى سامر ، و الحمرة تعلو خديّ و قلت بمكر:

"نعم سأذهب " !

و انطلقت مسرعة نحو غرفتي...

غير آبهة بنداءات دانة المتكررة!

بعد أن غسلت وجهي و يدي في الحمام المشترك بين غرفتي و غرفة دانة توجهت نحو سريري و

استلقيت باسترخاء

كم كنت متعبة!

إنني لم أنم البارحة كما ينبغي و عملت كثيرا في المطبخ

و للعلم ، فإن العمل في المطبخ ليس أحد هواياتي ، فأنا لا أهوى غير الرسم ، لكنني أردت المساعدة

...

تقلبت على سريري يمينا و يسارا و أنا أفكر...

ما الذي سيقوله وليد عني !؟

فالفتيات البالغات لا يغطين أنوفهن بقطع العجين!

إلا إذا كانت طريقة جديدة لترطيب البشرة و تغذيتها!

شعرت بالدماء تصعد إلى وجهي بغزارة ... لا بد أن وجهي توهج الآن ... لم لا ألقى نظرة!

قفزت من السرير و أسرعت نحو المرآة ... و رأيت حمرة قلما أرى لها مثيلا على وجهي هذا!

أبدو جميلة ! و لا بد أنني مع بعض الألوان سأغدو لوحة رائعة!

نزلت ببصري للأسفل و فتحت أحد الأدراج ، قاصدة استخراج علبة الماكياج بفكرة جنونية لتلوين

وجهي هذه اللحظة !

الشيء الذي وقعت عليه يدي بمجرد أن أدخلتها داخل الدرج كان جسما معدنيا باردا .. أمسكت به و



أخرجته دون أن أنظر إليه ثم رفعت به نحو عينيّ مباشرة...  
إنها ساعة وليد...

نسيت فكرتي السخيفة بوضع المساحيق ، و عدت حاملة الساعة إلى سريري و استلقيت ببطء  
الآن .. الفكرة التي تراودني هي إعادة هذه الساعة لوليد...  
لابد أنه سيفجأ حين يراها ... و يعرف أنني ظلمت محتفظة بها و أردتها أيضا خلال السنوات  
الماضية!

قمت فجأة عن سريري و ارتديت ردائي و حجابي و طرت مسرعة للخارج  
دعوني أخبركم بأنني قلما أفكر في الشيء مرتين قبل أن أقدم عليه!

لقد أخبرني سامر أنه في غرفة الضيوف و مع ذلك مررت بغرفة سامر ، ثم غرفة المعيشة ، و بالطبع  
تجنبت المطبخ ، قبل أن أذهب إلى غرفة الضيوف حاملة ساعة وليد بيدي...  
حين وصلت عند الباب ، و كان مفتوحا ، استطعت أن أرى من الداخل ، و لم يكن هناك أحد غيره  
...

وليد كان جالسا على أحد المقاعد ، بالتحديد المقعد المجاور للمنضدة التي تحمل الهاتف و قد كان  
مثنيا جدعه للأمام و مسندا رأسه إلى يديه ، و مرفقيه إلى ركبتيه في وضع يشعر الناظر بأنه ... حزين  
طرقت الباب طرقا خفيفا ، ألا أنه لم يسمعه  
فأعدت الطرق بشكل أقوى و أقوى ، حتى رفع رأسه ببطء و نظر إلي...  
و ما أن التقت أنظارنا حتى علت وجهه تعابير غريبة و مخيفة ...  
بدت عيناه حمراوين و جاحظتين و مفتوحتين لحد تكادان معه أن تخرجا من رأسه!  
و لمحت زخات العرق تقطر من جبينه العريض  
حملق وليد بي بشدة أثارت خوفي ... فرجعت خطوة للوراء ... و حالما فعلت ذلك وقف هو فجأة كمن  
لدغته أفعى!

أنا ازدردت ريقى بفرع ثم حاولت النطق فجاءت كلماتي متلعثمة:

"كنت ... أعني ... لدي شيء أود إعطائك إياه" ...

وليد ظل واقفا في مكانه كالجبل يحدّق بي بحدّة ... ربما أزعجه أن أحضر بمفردي ... أو ربما ...  
ربما...

لم أستطع حتى إتمام أفكارى المبعثرة لأنه تقدم خطوة ، ثم خطوة ، تلو خطو باتجاهي  
لقد كنت أمسك بالساعة في يدي اليمنى ، ولا شعوريا تحركت يدي للخلف و اختبأت بالساعة خلف  
ظهري...

لا أظن أن وليد رآها و لكن...

حين صار أمامي مباشرة ، مد يده بسرعة و انقضض على يدي اليمنى و سحبها للأمام بعنف  
ارتعدت أطرافى و جفلت !

وليد قرب يدي من عينه و أخذ يحدق بها بنظرات مخيفة و قاسية ، فيما يشد بقبضته عليها حتى  
يكاد يهشم عظامها...

نطق لساني بفزع و اضطراب:

"أنا ... لم ... كنت ... سأعيدها إليك" !

وليد ظل قابضا على يدي بقوة ، و يحدق في عيني بنظرات تكاد تخترق عيني و رأسي و الجدار الذي  
خلفي...

في تلك العيون الحمراء القادحة بالشرر ... رأيت قطرات الدموع تتجمع ... ثم تفيض ... ثم تنسكب  
... ثم تشق طريقها على الخد العابس ... ثم تنتهي عند الفك المنقبض ...

لقد تهت في بحر هذه العيون و غرقت في أعماقها ...

أخذتني إلى ذكرى قديمة موجعة ... حاولت جهدي أن ألغيها من ذاكرتي ... فرأيت وليد و هو يبكي  
بمرارة و شدة ذلك اليوم و هو جاثٍ فوق الرمال قرب السيارة ..  
يمد يده إلي و يقول:

"تعالى يا رغد"

"وليد" ...

نطقت باسمه فإذا به يغمض عينيه بقوة و يعض على أسنانه بشدة .. و يشدد قبضته على يدي و

يؤلمني...

بعدها فتح عينيه ، ظل يحدق في يدي قليلا ، ثم فجأة انتزع الساعة من بين أصابعي ورمى بها نحو الجدار و زمجر بقوة:

"انصرفي"

أنا انتفضت بذعر ... و ارتجفت جميع أطرافي ... فتحركت خطوة للوراء ... ثم انطلقت بأقصى ما أمكنني ... و بأوسع خطى ... و ذهبت إلى غرفتي ... فدخلت و أغلقت الباب بل و أوصدته مرتين ، ثم تهالكت على سريري...

كان قلبي ينبض بسرعة عجيبة و أنفاسي تعصف رثتي بقوة ... و أنظر إلى يدي فأراها ترتعش ... فيما تشع احمرارا أثر قبضة وليد القوية عليها...

بعدها هدأت قليلا اقتربت من المرأة فهالني المظهر الذي كساني أصبحت مرعبة!

ألم أكن جميلة قبل قليل؟؟

لا أعرف لماذا فعل وليد ذلك...

هل غضب لأنني ظهرت من المطبخ و العجين يغطي أنفي ، فبدوت كطفلة غيبية؟؟

أم لأنني لم أكن ارتدي الحجاب وقتها؟؟

أم ماذا؟؟

و جعلت الأفكار تلعب في رأسي حتى أتعبته ...

الساعة!

لقد حطمها!

لقد احتفظت بها كل هذه السنين لأعيدها إليه ... لماذا فعل ذلك؟؟ لماذا؟؟

شعرت بشيء يسيل على خدي رغما عني

بكيت من الذعر و الخوف ... و الحيرة و الدهشة...

لا أعرف كيف سيكون لقاءنا التالي...

لم يعد هذا وليد!

وليد لم يكن يصرخ في وجهي و يقول:

"انصرفي"

كان دائما يبتسم و يقول:

"تعالى يا رغد" !!

~ ~ ~ ~ ~

رمىت بجسدي المثقل بالهموم على أقرب مقعد للباب .. و أطلقت العنان لشلالات الدموع لأن تعبر عن  
قسوتها بالقدر الذي تشاء

لم يكن أمامي شيء يرى ... أو يسمع .. أو يثير أي اهتمام

لا شيء يستحق أن أعيش لأجله ... بعدما فقدت أهم شيء عشت على أمل العودة إليه حتى هذه  
اللحظة

رفعت رأسي إلى السقف و أردت لأنظاري أن تخترقه و تنطلق نحو السماء...

يا رب...

لقد كانت لدي أحلامي و طموحي منذ الصغر...

و أمور ثلاثة كانت تشغل تفكيري أكثر من أي شيء آخر...

الحرب ، و ها قد قامت و تدمر ما تدمر ، و لم يعد يجدي القلق بشأن قيامها

الدراسة ، و ها قد انتهت و ضاعت ... و قضيت أهم سنوات عمري في السجن بدلا من الجامعة ... و

انتهى كل شيء و لم يعد يقلقني التفكير فيه...

و رغد...

رغد..

أول و آخر و أهم أحلامي ...

رغد الحبيبة ... مدللتني التي رعيتها منذ الصغر...

و راقبتها و هي تنمو و تكبر...

يوما بعد يوم...

و قتلت عمار انتقاما لها...

و قضيت أسوأ و أفضع سنوات حياتي حتى الآن ... في السجن

منفيا مبعدا مهجورا معزولا عن الأهل و الدنيا و الحياة ... و نور الشمس...

و ذقت الأمرين ... و سهرت الليالي و أنا أتأمل صورتها و أعيش على الأمل الأخير لي ... بالعودة

إليها و لو بعد سنين...

أعود فأراها مخطوبة لغيري!

و من؟؟

لشقيقي...؟؟

يا رب

رحمتك بي

فانا لست حملا لكل هذا

و لم يعد بي ذرة من القوة و الاحتمال...

كنت أبكي بحرقه و لا أشعر بشيء من حولي ، حتى أحسست بيد تمسك برأسي و تأخذني إلى حضن

لطالما حننت إليه...

"ولدي يا عزيزي ما بك ؟ لماذا تبكي يا مهجة فؤادي؟"

و أجهشت أمني بكاء و هي تراني أبكي بحرارة

حاولت أن أتوقف لكنني لم استطع...

لقد تلقيت صدمة لا يمكن لقلب بشر أن يتحملها...

رغد !؟

رغد صغيرتي أنا ... أصبحت زوجة لأخي؟؟

إن الأرض تهتز من حولي و جسدي يشتعل نارا و تكاد دموعي تتبخر من شدة الحرارة...

لم أجد في جسدي أي قوة حتى لرفع ذراعي و تطويق أمي ... بكيت في حضنها كطفل ضعيف هزيل جريح ... لا يملك من الأمر شيئا...

بعد فترة من الزمن لا أستطيع تحديدها ، حضر والدي و حالما رأنا أنا و أمي على هذا الوضع قال:

"يكفي يا أم وليد ... دعي ابننا يلتقط أنفاسه أما اكتفيت؟؟"

والدتي أخذت تحدد بي بين طوفان الدموع ...

قلت بلا حول و لا قوة و بصوت أقرب إلى النحيب منه إلى الكلام:

"أنا متعب ... متعب جدا ... لقد انتهيت ... انتهيت "

و بعد حصة البكاء هذه صعدا بي إلى غرفة سامر ، و جعلاني أضطجع على السرير و هما يقولان:

"ارتح يا بني ... نم لبعض الوقت"

ثم غادرا...

و أنا مضطجع على الفراش و وجهي ملتفٌ نحو اليمين ... و دموعي لا تزال تنهمر و تغرق الوسادة ، وقع ناظري على الهاتف...

مددت يدي و أخذته و استرجعت بصعوبة رقم هاتف الشقة التي يقيم سيف بها و اتصلت به

"يجب أن تحضر الليلة "

بعدها ... جاء سامر يخبرني بأن سيف قد حضر...  
كان سامر يبتسم ، و إن بدت من نظراته علامات القلق ... خصوصا و هو يرى الوجوم الغريب على وجهي الذي كان مشرقا طوال النهار  
ذهبت معه إلى حيث كان سيف و والدي يجلسان و يتبادلان الأحاديث...  
لا بد أن الجميع قد لاحظ شرودي ... و عدم إقبالي على الطعام ، على عكس وجبة الغذاء التي التهمت حصتي منها كاملة تقريبا

" ما بك لا تأكل يا وليد ؟ كُلْ حتى تسترد الأبطال التي فقدتها من جسمك " !

أجبت ببرود و بلاذة:

" اكتفيت "

و بعد العشاء جلسنا في غرفة الضيوف نشرب الشاي ، و كانوا هم الثلاثة ، أبي و سامر و سيف ، في قمة السعادة و يتبادلون الأحاديث و الضحك ...  
أما تفكيري أن فكان متوقفا و جامدا عند اللحظة التي قال فيها أخي:

(نحن مخطوبان)

بعد ساعة ، استأذن سيف للانصراف و أخذ يصافح الجميع و حين أقبل نحوي قلت:

" سأذهب معك "

أبي و سامر تبادلوا النظرات ثم حدقا بي ، كما يفعل سيف ... و قالا سوية و باستغراب:

" ماذا ؟؟ "

و أنا لا أزال ممسكا بيد سيف و ناظرا إليه أجبت:

" إذ لا سرير لي هنا " ...

و توقفت قليلا ثم تابعت:

" و لا أريد ترك صديقي وحيدا"

كان سيف يعتزم السفر بعد يوم آخر ، لينال قسطا أوفر من الراحة بعد مشقة الرحلة الطويلة التي قطعناها ...

و انتهى الأمر بأن خرجت معه دون أن أودع غير والدي ، و سامر...

في السيارة بعد ذلك ، فتحت الخزانة الأمامية و استخرجت علبة السجائر التي كنت قد دستتها بداخلها أثناء تجوالنا

و فتحت النافذة ، ثم أشعلت السيجارة و التفت إلى سيف و قلت:

"أتسمح بأن أدخن؟؟"

صديقي سيف لم يكن من المدخنين ، أوما برأسه إيجابا و فتح نافذته ، و انطلق بالسيارة...

بقيت صامتا شاردا طوال المشوار ، و لم يحاول سيف خلخلة صمتي بأي كلام بعد فترة ، و نحن نقف عند الإشارة الأخيرة قبل المبنى حيث نسكن ، و فيما أنا في شرودي و دهليز أفكارى اللانهائي ، قال سيف:

"متى بدأت تدخن؟؟"

لم أجبه مباشرة ، ليس لأنني لم أسمعه أو أستوعب سؤاله ، بل لأن لساني لم يكن يدخر أي كلام...

"السجن يعلم الكثير" ...

قلت ذلك و ابتسمت ابتسامة ساخرة باهتة شعرت بأن سيف قد رآها رقم تركيزه على الطريق...

تذكرت لحظتها تلك الأيام...

و أولئك الزملاء في السجن...

لماذا أشعر بهم الآن حولي؟؟



كأنني أشم راحة الزنزانة !  
ربما أثارت رائحة السيجارة تلك الذكريات السوداء!  
و هل يمكن أن أنساها ؟  
و هل يعقل أن تختفي و أنا لم أبتعد عنها غير أيام فقط ...؟؟  
ليتهم...  
ليتهم قتلوني معك يا نديم...  
ليتنا تبادلنا الأرواح...  
فمتُ أنا  
و بقيت أنت ... و خرجت لتعود لأهلك و بلدك و أحبائك ...  
أنا ... لا أهل لي و لا بد...  
و لا أحباب...

لمحت الإشارة تضيء اللون الأخضر و أنا أسحق سيجارتي في ( المطفئة )  
ثم انطلق وليد بالسيارة...  
أنوار كثيرة كانت تسبح في الظلام...  
مصاييح السيارات القادمة على الطريق المعاكس  
مصاييح المنازل  
مصاييح الشارع...  
لافتات المحلات الضوئية  
نور على نور على نور...  
كم هو أمر مزعج ... لم أعد أرغب في رؤية شيء...  
أتمنى ألا تشرق الشمس يوم الغد...  
أتمنى ألا يعود الغد...  
أتمنى ... ألا أذكر رغد...

كانت المرة الثانية في حياتي ، التي تمنيت فيها لو أن رغد لم تخلق...

عندما دخلنا الشقة ، و هي مكونة من غرفة نوم و صالة صغيرة و زاوية مطبخ و حمام واحد ... أسرع

الخطى نحو غرفة النوم و دون أن أنير المصباح دخلت و ألقيت بجسدي المخدر أثر صدمة النبأ على أحد السريرين...

ثوان ، و إذا بسيف يقبل و يشعل المصباح

"كلا .. أرجو أطفئه"

قلت ذلك و أنا أرفع يدي ثم أضعها فوق عيني المغمضتين لأحجب عنهما النور...  
سيف بادر بإطفاء المصباح و بقي واقفا برهة ... ثم أقلق الباب و أحسست به يتقدم ... ثم يجلس فوق السرير الآخر و الموازي لسريري...

ساد السكون لبعض الوقت ، إلا من ضوضاء تعشش في رأسي بسبب الأفكار التي تتعارك في داخله...

"ماذا حدث؟؟"

سألني سيف بصوت هادئ منخفض ...  
لم أجبه ... و مرت دقائق أخرى فاعتقدت أنه حسبني قد دخلت عالم النوم ... لكنه عاد يقول:

"أخبرني ... ، إنك لست على ما يرام"

بعد ذلك أحسست بحركته على السرير المجاور و بصوته يقترب أكثر...

"وليد؟؟"

الآن فتحت عيني قليلا و لدهشتي رأيه يقف عند رأسي و يحدق بي...  
الظلام كان يطلي الغرفة بسواد تام ، إلا عن إضاءة بسيطة تتسلل بعناد من تحت الباب  
و يبدو إنها كانت كافية لتعكس بريق الدموع التي أردت مواراتها في السواد.  
لحظة من لحظات الضعف الشديد و الانهيار التام .. توازي لحظة تراقص الحزام في الهواء ... ثم  
سكونه النهائي على الرمال ... إلى حيث لا مجال للعودة أو التراجع ... فقد قضي الأمر...

جلست ، ليست قوتي الجسدية هي التي ساعدتني على النهوض ، و لا رغبتى الميتة في الحراك ، بل

الدموع التي تخللت تجويف أنفي وورمت باطنه و سدت المعبر أمام أنفاسي البليدة البطيئة ... و كان لا بد من إزاحتها...

تناولت منديلا من العلبة الموضوعة فوق المنضدة الفاصلة بين السريرين و جعلت أعصف ما في جوفي و صدري و كياني ... خارجا

إلى الخارج...

يا دموعي و آلامي

يا أحزاني و ذكرياتي الماضي

إلى الخارج يا حبي و مهجة قلبي

إلى الخارج يا بقايا الأمل

إلى الخارج يا روحي ...

و كل ما يختزن جسمي من ذرات الحياة ....

و إلى الخارج...

يا اعترافات لم أكن أتوقع أنني سأبوح بها ذات يوم ... لأي إنسان...

"هل واجهت مشكلة مع أهلك؟؟ ... بالأمس كنت ... كنت..."

و صمت...

فتابعت أنا مباشرة:

"كنتُ أملك الأمل الأخير ... و قد ضاع و انتهى كل شيء..."

إنني لم أعد أرغب في العودة إليهم ! سأرحل معك يا سيف"

قلت ذلك و كانت فكرة وليدة اللحظة ، ألا أنها كبرت فجأة في رأسي و احتلت عقلي برمته ، ففتحت عيني و حملقت في الفراغ الذي خلقت منه هذه الفكرة ثم استدرت نحو سيف و قلت:

"أنا عائد معك إلى مدينتنا !"

طبعاً سيف تفاجأ و لم يكن الظلام ليسمح لي برؤية ظاهر ردود فعله أو سبر غورها

سمعته يقول:

"ماذا؟!"

قلت مؤكداً:

"نعم! سأذهب معك... فلم يعد لي مكان أو داع هنا"

سيف صمت، و لم يعلق بادئ الأمر، ثم قال:

"أما حدث... كان شيئاً لهذا الحد؟؟"

و كأن جملته كان شرارة فجرت برميل الوقود...

ثرت بجنون، قفزت من سريري مندفعاً هائجاً صارخاً:

"سيئٌ فقط؟؟ بل أسوأ ما يمكن أن يحدث على الإطلاق... إنها خيانة! إنها خائنات... خائنات... خائنات"

مشيت بتوتر و عصبية أتخبط في طريقي... أبحث عن أي شيء أفرغ فيه غضبي بلكمة قوية من يدي لكنني لم أجد غير الجدار...

و هل يشعر الجدار؟؟

آلام شديدة شعرت أنا بها في قبضة يدي أتر اللكمة المجنونة نحو الجدار، و استدرت بانفعال نحو سيف الذي ظل جالساً على السرير يراقبني بصمت...

"لقد سرقوا رغد مني!"

لأن شيئاً لم يتحرك في سيف استنتجت أنه لم يفهم ما عنيته... قلت:

"أعود بعد ثمان سنوات من العذاب والألم ... و الذل و الهوان الذي عشته في السجن بسبب قتلي  
لذلك الحقيير الذي أذاها ... ثمان سنوات من الجحيم ... و المرارة ... و الشوق ... فقدت فيها كل  
شيء سوى أملى بالعودة إليها هي ... أعود فأجدها" ...

و سكت ...

لأنني لم أقو على النطق بالكلمة التالية...

و درت حول نفسي بجنون ، ثم تابعت ، و قد خرجت الكلمة من فمي ممزوجة بالآهة و الصرخة و  
الحسرة:

"أجدها مخطوبة؟؟"

هنا وقف سيف...

إلا أنني لم أكن قد انتهيت من إفراغ ما لدي

قلت بصوت صارخ جاد مزمر:

"و لمن؟؟ لأخي؟؟ أخي؟؟"

حتى لو كانت الغرفة منارة لم أكن لأستطيع رؤية شيء وسط انفعالي الشديد ساعتها...

لذا لا أعرف كيف كانت تعابير وجه سيف...

و لكن بإمكانني رؤية خياله واقفا هناك...

اندفعت كلماتي مقتترنة بدموعي و زفيرتي القوي و صوتي الأجهش المجلل ... و أنا أقول:

"لو كان ... لو كان شخصا آخر ... أي شخص ... لكنك قتلته و محوته من الوجود ... لكنه أخي

...أخي يا سيف ... أخي ...

كيف تجرأ على سرقتها مني؟؟

كيف فعلوا هذا بي؟؟

أهذا ما أستحقه؟؟

ليتنني لم أخرج من السجن

ليتنني مت هناك

ليتنني أفقد الذاكرة و أنسى أنني عرفتها يوما

الخائنة...

الخائنة...

الخائنة " ...

و انتهيت جاثيا على الأرض في بكاء شديد كالأطفال...

"لقد أطعمتك بيدي ... كيف تفعلين هذا بي يا رغد ؟؟ أنا قتلته انتقاما لك أنتِ ...

أيتها الخائنة ... أكان هذا حلمك ؟...

اذهبي بأحلامك إلى الجحيم " ...

و أدخلت يدي إلى جيبتي ، و أخرجت منه الصورتين اللتين رافقتاني و لازمتاني لثمان سنين ، لستين

دقيقة من كل ساعة من كل يوم...

أخرجتهما و أخرجت معهما القصاصه التي وجدتها تحت باب غرفتي...

لم أكن أرى أيا مما أخرجت ، و لكن يدي تحس ... و تدري أيها صورة رغد ... فلطالما أمسكت

بالصورة و احتضنتها في يدي لساعات و ساعات...

الدموع بللت الصورتين و كذلك الورقة...

"أيتها الخائنة ... اذهبي و أحلامك إلى الجحيم " ...

و قبل أن أتردد أو أدع لعقلي المفقود لحظة للتفكير...

مزقت الورقة ... إربا إربا...

و رميت بها في الهواء...

و مزقت صورة رغد ... قطعة قطعة ... و بعثرتها في الفراغ ... إلى حيث تبعثرت آخر آمالي و أحلامي

...

و انتهت آخر لحظات حبي الحالم...

و تلاشت آخر ذرات غبار الماضي...

و لم يبق لي...  
غير حطام قلبٍ منقطر...  
الحلقة الثالثة عشر

\*\*\*\*\*

ذهبنا أنا و دانة لرفع الأطباق عن المائدة  
كان الضيف مع أبي و سامر ، و وليد في غرفة الضيوف ، فيما تعد والدتي الشاي في المطبخ.  
لأن سامر يجلس عادة إلى يسار والدي ، فلا بد أن الضيف قد جلس إلى يمينه ، و لابد أن الكرسي  
المجاور له كان كرسي وليد...

"من كان يجلس هنا؟"

سألت ، بشيء من البلاهة المفتعلة ، فأجابتنني دانة بسحرية و هي ترفع الأطباق:

"ما أدراني ؟ أتصدقين ... لم أكن معهم!

أقصد كنتن أجلس على الكرسي المقابل لكنني لم أنتبه لمن كان يجلس أمامي " !

قلت:

"و ما دمت قد كنتن جالسة معهم ، فلماذا لا أرى أطباقا أمام مقعدك؟؟"

رفعت دانة نظرها عن السكاكين و الملاعق و الأشواك التي كانت تجمعها ، و هتفت بغضب و حدة:

"رغد" !

و هي تحرك يدها مهددة برميي بالسكاكين!

قلت بسرعة:

"حسنا حسنا لن أسأل المزيد"

و صمتنا للحظة

ثم عدت أقول:

"الشخص الذي كان يجلس هنا ... لم يأكل شيئا ! ربما لم يعجب الضيف طعامنا" !

كنت أريد منها فقط أن تقول شيئا يرجح استنتاجي بأن وليد كان هو من يجلس على هذا المقعد ...  
جلست على ذلك المقعد ، و أخذت إحدى الفطائر من الطبق الموضوع أمامي و بدأت بقضمها

التفتت إلى دانة ناظرة باستهجان:

"ماذا تفعلين؟؟" !

مضغت ما في فمي ببطء شديد ثم ابتلعتته ، ثم قلت:

"أرى ما إذا كانت الفطائر في هذا الطبق غير مستساغة ! لكنها لذيذة ! لم لم تعجبه؟؟"

طبعا كنت أتعمد إثارة غيظها ! فأنا أريدها أن تأمرني بالمغادرة فورا لأنجو من غسل عشرات الأطباق  
... فقد تعبت!

دانة كانت على وشك الصراخ بوجهي ، إلا أن والدتنا أقبلت داخله الغرفة لتساعدنا في رفع الأطباق و



تنظيفها ، فأسرعت بالنهوض و عملت بهمة و نشاط خجلا منها!

بعد أن انتهيت من درس الغسيل هذا ذهبت إلى غرفتي و أنا متعبة و أتذمر  
كنت قلقة بشأن بشرة يدي التي لا تتحمل الصابون و المنظفات  
أخذت أتلمسها و شعرت بجفافها ، فأسرعت إلى المرطبات و المراهم ، و دفنت جلدي تحت طبقة بعد  
طبقة بعد طبقة منها!

قلت في نفسي:

"رباه ! إنني لا أصلح لشيء كهذا ! كيف سأصبح ربة منزل ذات يوم ؟ لا أريد أن أفقد نضارتي" !

و تذكرت حينها موضوع زواجنا الذي كدت أنساه!  
لا أعلم ما إذا كان سامر قد تحدث مع والدي بشأن الزواج أم لا ... فقد شغلنا جميعا حضور وليد عن  
التفكير بأي شيء آخر...

اضطجعت على سريري بعد فترة ، و أنا متوقعة أن أنام بسرعة من شدة الإرهاق ... إلا أن أفكارا  
كثيرة اتخذت من رأسي ملعبا ليلتها و حرمتني من النوم! ...  
حتى هذه اللحظة لا زلت أشعر بشيء يحرق داخل عيني ...  
إنها نظرة وليد المرعبة الحادة التي أحرقنتني ...  
تقلبت على سريري كما تُقلّب السمكة أثناء شويها !  
كنت أشعر بالحرارة في جسدي و فراشي ...  
فنظرت من حولي أتأكد من عدم انبعاث الدخان!

لماذا حدّق بي وليد بهذا الشكل؟؟

تحسست يدي اليمنى باليسرى ، و كأنني لا أزال أشعر بالألم فيها بل و توهمت توهجها و احمرارها  
... و حرارتها...

إنه طويل جدا ! لا يزال عليّ رفع رأسي كثيرا لأبلغ عينيه...  
و رفعت رأسي نحو السقف ، أعتقد أنني رأيت عينيه هناك ! معلقتين فوق رأسي تماما ...

بسرعة سحبت البطانية و غطيت رأسي كاملا ... و بقيت هكذا حتى نفذت آخر جزيئات الأوكسجين من تحت البطانية فأزحتها جانبا ، و انتقل الهواء البارد المنعش إلى صدري مختالا ، إلا أن حرارتي أحرقتة ، فخرج حارا مخدولا!

عدت أنظر إلى السقف ، و أتخيل عيني وليد ... و أنفه المعقوف !  
و أتخيله يضع نظارة سامر السوداء التي تلازمه كلما خرج من المنزل ، كم ستبدو مناسبة له!  
لا أعرف كم من الوقت مضى و أنا أتفرج على الأفكار السخيفة و هي تلعب بحماس داخل رأسي!  
كنت أريد أن أنام و لكن...  
نظرت إلى ساعة الجدار و رأيت عقريها الوامضين يشيران إلى الساعة الواحدة ليلا...  
ليس من عادتي أو عادة أفراد عائلتي السهر ... لا بد أن الجميع يغط الآن في نوم عميق فيما أنا مشغولة بعيني وليد!

لدى رؤيتي للساعة تذكرت شيئا فجأة ، فجلست بسرعة:

"الساعة" !

و بسرعة خاطفة ، نهضت عن سريري و خرجت من الغرفة و ركضت نحو غرفة الضيوف...

لقد وجدت الباب مغلقا ، فوقفت حائرة...

ترى هل يوجد أحد بالداخل؟؟

و خصوصا من النوع الذي تتعلق عيناه في الأسقف؟؟

قربت رأسي و تحديدا أذني من الباب ، قاصدة الإصغاء إلى أي صوت قد يدل على وجود شخص ما ، مع أنني واثقة من أن أذني ليستا خارقتين ما يكفي لسماع صوت تنفس بشر ما يفصلني عنه باب و عدة خطوات !

لكنني على الأقل ، لم أسمع صوت المكيف!

لمست مقبض الباب الحديدي ، ولأنه لم يكن باردا اعتمدت على هذا كدليل قاطع يثبت أن المكيف غير مشغل ، و بالتالي فإن أحدا ليس بالداخل!

أعرف!

أنا أكثر ذكاءا من ذلك ، لكن هذه اللحظة سأعتمد على غبائي!  
فتحت الباب ببطء و حذر ... و تأكدت حينها أنه لم يكن هناك أحد...  
أضأت المصباح و توجهت فورا إلى المكان الذي وقعت فيه الساعة بعد ارتطامها بالحائط ... خلف المقعد الكبير...

كانت هناك مسافة لا تتجاوز البوصتين تفصل المقعد الكبير عن الجدار...  
حاولت النظر من خلال هذا المجال الضيق إلا أنني لم أستطع رؤية شيء

صحيح أن حجمي صغير إلا أن يدي أكبر من أن تنحشر في هذه المساحة الضيقة محاولة استخراج الساعة!

"تبا ! ماذا أفعل الآن؟؟"

شمرت عن ذراعي ، و تاهبت ... ثم أمسكت بالمقعد الكبير و حاولت تحريكه للأمام محاولة مستميتة لكن مفاصلي كادت أن تنخلع دون أن يتزحزح هذا الجبل عن مكانه قدر أنملة!

"أرجوك أيتها الساعة أخرجي من هناك " !

ليتها كانت تسمعني ! لماذا لم يصنع الإنسان ساعة تمشي على أرجل حتى يومنا هذا؟؟

شعرت بإعياء في عضلاتي فارتيمت على ذلك المقعد ...

رباه!

ستضطر غاليتي للمبيت بعيدة عني ... مجروحة و حزينة و لا تجد من يواسيها!  
وضعت وسادة المقعد على صدري و أرخيت عضلاتي...  
لم أشعر بنفسي ...

و لا حتى بالحر الذي يكوي داخلي قبل خارجي  
و استسلمت للنوم!

~ ~ ~ ~ ~

و لا للحظة واحدة بعد النبأ القاتل ، استطعت أن أرتاح...  
متمدد على سريرى منذ ساعات ... و أفكر في نهايتي البائسة...  
طلع النهار منذ مدة و امتلأت الغرفة ضوءاً مزعجاً ، أصبحت أكرهه ... بل و أكره الشمس التي  
أجبرت عيني على استقبال النور...

نهضت عن السرير و أنا أحس بالآلام في جميع مفاصل بدني ... و ما أن جلست ، حتى وقعت  
أنظاري التائهة على أشلاء الصورة المبعثرة فوق أرضية الغرفة..

أتيها ، و التقطتها قطعة قطعة و كومتها فوق بعضها البعض و ضممتها إلى صدري...

وضعتها في جيبي ، و هممت برمي أجزاء الورقة الممزقة ، لكنني لم أقو على ذلك...

كيف لي أن أمحو من الوجود شيئاً جاءني منك؟؟

آخر شيء جاءني منك...

و آخر شيء سأستلمه على الإطلاق...

كان الصباح الباكر ... حملت علبة سجائري و خرجت من الشقة و إلى الشارع ، و أخذت أتمشى...

لم يكن هناك سوى بعض السيارات تمر بين الفينة و الأخرى ، و بعض عمال النظافة متناثرين في  
المنطقة بزيمهم المزعج اللون...

لم يكن في المنظر ما يبهب النفس أو يريح الأعصاب ...

بدأت أدخن السيجارة تلو الأخرى ، فهذا هو الشيء الوحيد الذي يشعرني بالراحة المزيفة...

تفكيري لم يكن صافيا ، إلا أنني عزمت على الرحيل عائداً إلى بيتي...

بعد قرابة الساعتين ، عدت للشقة فوجدت سيف و قد خرج توه من دورة المياه بعد حمام منعش ،  
تفوح منه رائحة الصابون...

ألقى علي تحية الصباح بمجرد أن رأيته ، فرددت و أنا أشعر بالخجل من رائحة السجائر المنبعثة مني  
إزاء رائحة النظافة و الصابون الصادرة منه!

"هل نمت جدياً؟؟ لا تبدو نشيطاً!"

قال سيف ذلك ، و هو يدقق النظر في الهالتين السوداوين اللتين تحيطان بعيني الكئيبتين الحمرائين  
...

لم يكن علي أن أجيب ، فقد جاءه الجواب بليغاً من مظهري...

قال سيف:

"أنني أفكر في الطعام ! أ لديكم في البيت ما يؤكل أم أفتش عن مطعم!؟"

كان يقول ذلك بمرح و دعابة ، لكنني كنت في حالة سيئة للغاية ... أسوأ من أن تسمح لي بأي تفكير  
لائق أو ذوق سليم ، قلت:

"دعنا ننطلق الآن"

سيف تسمر في موضعه و حدق بي بدهشة ! لكن إشارات الإصرار الصارخة في عيني طردت من رأسه  
أي شكوك حول جديتي في الأمر من عدمها...

"الآن؟؟؟"

"نعم ... لم علينا الانتظار للغد؟؟ تبدو في قمة النشاط و لا ضير من السفر الآن"

سيف صمت قليلا ثم قال:

"عائلتك ... أتظن أنهم" ....

رفعت زاوية فمي اليمنى باستهتار و سخرية ثم تنهدت تنهيدة قصيرة و قلت:

"لم يعد لي مكان بينهم ... فكما نسوني طوال السنوات الثمان الماضية ، و عاشوا حياتهم دون تأثر ،  
عليهم اعتباري قد مت من اليوم فصاعدا...  
بل من البارحة فصاعدا"

لقد كنت محببا و لا أرى إلا سوادا في سواد...

بقيت واقفا عند الباب أنتظر أن يجمع سيف أشياءه و لم أبادر بمساعدته ، سيف لم يحاول مناقشتني  
في الأمر و إن كنت أرى الاعتراض مختبئا خلف جفونه

كان الوقت لا يزال باكرا ، ركبنا السيارة و انطلقنا...

"سأمر لوداعهم"

نعم وداعهم

بعد كل الذي تكلمت من أجل العودة إليهم

بعد كل تلك السعادة التي عشتها يوم أمس

بعد كل الحرمان و الضياع...

أودعهم!

كيف لي أن أقيم معهم و قد انتهى كل معنى لوجودي؟؟

لم يكن في الشارع غير القليل من السيارات و الناس ... و كان المشوار قصيرا

و حين وصلنا ، ركن سيف السيارة جانبا و نزلنا سوية.

كان والدتي هي من استقبلنا عند المدخل  
و بمجرد أن دخلت ، أقبلت نحوي تعانقني و ترحب بي بحرارة ، و كأنها لم ترني يوم أمس ...

قلت:

" سيف معي " ...

و كان سيف لا يزال واقفا خلف الباب ينتظر الإذن بالدخول

"دعه يتفضل ، خذه إلى غرفة المعيشة حيث والدك ، فغرفة الضيوف حارة الآن"

ثم انصرفت نحو المطبخ ، فيما فتحت الباب لسيف:

"تفضل"

و ذهبنا إلى غرفة المعيشة حيث كان والدي جالسا يقرأ إحدى الصحف ...  
في الماضي ، كنت كثيرا ما أقرأ أخبار الصحف له !

" صباح الخير يا أبي "

والدي قام إلينا مرحبا بحرارة هو الآخر ... و اتخذ كلاهما مجلسه ، فيما استأذنت أنا و خرجت من  
الغرفة قاصدا المطبخ ، و تاركا الباب مفتوحا ، تشيعني نظرات سيف من الداخل!

هناك كانت والدتي واقفة عند الموقد و قد وضعت إبريقا كبيرا مليئا بالماء ليغلي فوق النار...

ابتسمت لدى رؤيتي و قالت:

"لم أعلم أنك غادرت البارحة إلا بعد حين ... اذهبا أنت و سامر اليوم لشراء طقم غرفة نوم جديد ،  
سنعد لك غرفة الضيوف لتتخذها غرفة لك "

طبعاً لم أملك من الشجاعة لحظتها ما يكفي لقول ما أخبئه في صدري ...

قلت - محاولا تغيير سير الحديث:

"هل تناولتم فطوركم؟"

"ليس بعد ، فسامر و الفتاتان لا زالوا نياما!"

و استطرقت:

"سأعد لكم فطورا شهيا ... ، شغل المكيف في غرفة الضيوف الآن ثم خذ الضيف إليها"

"حسنا"

و هممت بالانصراف ، فقالت أمي:

"قل لي ... أي طعام تود تناوله على الفطور يا عزيزي؟؟"

إنني لا أفكر بالطعام و لولا سيف لكنت اختصرت المسافة و ودعتكم و انتهينا...

قلت بلا مبالاة:

"أي شيء..."

ثم خرجت من المطبخ متجها إلى غرفة الضيوف لتشغيل المكيف.

كان الباب مفتوحا ، دخلت و ذهبت رأسا إلى المكيف فشغلته و استدرت لأعود خارجا

فاصطدمت عيناى بشيء جعل قلبي يتدحرج تحت قدمي!

ربما كان صوت المكيف هو الذي جعل هذا الكائن الحي يفتيق فجأة ، و يفتح عينيه ، و يهب جالسا

في فرع!

أخذت تنظر إلي بتوتر و اضطراب و تتلفت يمنة و يسرة ، بينما أنا متخشب في مكاني ... لا أعرف



ماذا أفعل!

ببساطة لا أعرف ماذا أفعل!

ثم ماذا ؟

رفعت الوسادة المربعة الشكل التي كانت موضوعة فوق حضنها و غطت بها وجهها و هبت واقفة مستترة خلف الوسادة ، و ركضت نحو الباب!

"رغد انتظري!"

توقفت ، و هي لا تزال تخبئ رأسها خلف الوسادة و أنا لا أزال واقفا مكاني لا أعرف ما أفعل من المفاجأة!

ربما أخطأت و شغلت المكيف على وضع التدفئة ! الجو حار ... حار ... حار!  
و قطرات العرق بدأت تتجمع على جبيني و شعري أيضا! ...

اعتقد أنه موقف لا يترك للمرء فرصة للتفكير ، إلا أنني تذكرت سيف ، و هو يجلس في موقع يسمح له برؤية العابر في الممر ... و الباب مفتوح!

"أأ ... صديقي هنا ... سأغلق الباب ... لحظة" ...

كانت تقف قرب الباب و حين أتممت جملتي تراجعتم للوراء حتى التصقت بالجدار فسرت أنا نحو الباب و خرجت و عمدت إلى باب غرفة المعيشة فأغلقتة دون أن أرفع بصري نحو سيف الذي و لا شك كان يراني...

عدت بعدها للفتاة الملتصقة بالحائط و الوسادة ... و قلت باضطراب:

"أنا ... آسف ... لم أعلم ... أقصد لم أنتبه ... أأ" ...

و لم أجد كلمة مناسبة!

مسحت العرق عن وجهي وقلت أخيرا:

"يمكنك الذهاب"

وأوليتها ظهري ، و سمعت خطاها تبتعد مسرعة...

تهالكت على نفس المقعد الكبير الذي كانت رغد نائمة فوقه و شعرت بالحرارة تزداد...

لقد كان دافئا بل و حارا أيضا!

ما الذي يدفعك للنوم في هذا المكان و بدون تكييف !؟

و تتدثرين بالوسادة أيضا!

يا لك من فتاة!

لا أعرف كيف تسللت ابتسامه إلى قلبي...

لا ! ليست ابتسامه بل شيء أكبر من ذلك

إنها ضحكة!

لم يكن ظرفا مناسباً للضحك و حالتي كما تعرفون هي أبعد ما تكون عن السعادة ، لكنه موقف أجبر ضحكتي على الانطلاق...

لم يطل الأمر ... ووقفت ، و أخذت أحدق بالمقعد الذي كانت رغد تنام عليه ... ثم أتحمسه بيدي...

عندما كانت رغد صغيرة ، كنت أجعلها تنام فوق سريري و أظل أراقبها بعطف ...

و أداعب شعرها الأملس ...

كانت تحب أن تحتضن شيئاً ما عند النوم ... كدمية قماشية أو بالونة أو حتى وسادة!

وكم كانت تبدو بريئة و ملائكية!

لم يكن لضحكتي تلك أي داع لأن تولد وسط مجتمع الدموع الحزينة ، سرعان ما لقت حتفها بغزو  
دمعة واحدة تسللت من بين حدقتي قهرا ... و حسرة ... على ما قد فقدت...

~ ~ ~ ~ ~

لم أدرك أنني نمت حيث كنت ، على ذلك المقعد الكبير الثقيل ، ( الكنبه ) إلا بعد أن استفتقت فجأة  
فرايت عيني وليد تحدقان بي!

فزعت ، و نظرت من حولي و اكتشفت أنني كنت هنا !

كان جسمي حارا و العرق يتصبب منه ، و جلست مذعورة أتلفت باحثة عن شيء أختفي خلفه ... و  
لم أجد غير وسادة المقعد التي كنت ألتحفها  
غطيت بها وجهي و قمت مسرعة أريد الهروب!

لا أصدق أنني وصلت غرفتي أخيرا بسلام ! يا إلهي ما الذي يحدث معي !  
كيف نمت بهذا الشكل ؟؟ و كيف لم يوقظني الحر ؟؟  
و ما الذي كان يفعله وليد هناك ؟؟؟

كنت لا أزال أحتضن الوسادة و أسند ظهري إلى الباب الموصل ، و ألتقط أنفاسي بقوة!

كانت غرفتي باردة و لكن ليس هذا هو سبب ارتعاش أطرافي !

كم أنا محرجة من وليد!

أمس يراني بقطعة عجيب تغطي أنفي و اليوم بهذا الشكل!  
ماذا سيظنني؟؟

كما تقول دانة .. عليّ ألا أغادر غرفتي بعد الآن!

كنت أشعر بعينيهِ تراقباني ! أحس بهما معي في غرفتي الآن!

ببلاهة نظرت إلى السقف ، في الموضع الذي توهمت رؤيتهما فيه البارحة و تورد خدائي خجلا!

لماذا أشعر بالحرارة كلما عبر وليد عليّ مخيلتي؟؟؟

و لماذا تتسارع دقات قلبي بهذا الشكل؟؟

بعد أن تجمعت الأشياء التي تبعثرت من ذاتي أثر الفزع نعمت بحمام منعش و بارد و ارتديت ملابسني  
و حجابي و ذهبت بحذر إلى المطبخ...

كانت أمي تنظف السمك عند المغسل ، قلت باستياء:

"صباح الخير أمي ! لا تقولي أن غذاءنا اليوم هو السمك " !

ابتسمت والدتي و قالت:

"صباح الخير ! إنه السمك " !

أطلقت تنهيدة اعتراض ، فأنا لست من عشاق السمك كما و أنني لا أريد حصة طبخ جديدة هذا اليوم  
!

"ألم تنهض دانة بعد؟؟"

سألتنني ، قلت :

"ليس بعد " ...

ثم غيرت نبرة صوتي و قلت:

"أ لدينا ضيوف اليوم؟؟"

"إنه صديق وليد ... سيف ... ، لسوف نستضيفه و نكرمه حتى يسافر غدا ، فهو الذي ساعد ابني على " ...

و توقفت أمي عن الكلام...

"على ماذا؟"

قالت بشيء من الاضطراب:

"على ... على الحضور إلى هنا ... فلم يكن يعرف أين نحن " !

أنا تركت رسالة أخبر فيها وليد بأننا رحلنا إلى هذه المدينة ! لا أدري إن كان قد وجدها ! بالطبع لا ... كيف كان سيدخل إلى منزل موصل الأبواب ؟!

كم أنا متلهفة لمعرفة تفاصيل غيابه ... دراسته ... عمله ... كل شيء!

سكبت لي بعض الشاي ، و توجهت نحو الطاولة الصغيرة الموجودة على أحد جوانب المطبخ قاصدة الجلوس و احتسائه على مهل

فيما أنا في طريقي نحو الطاولة ، و إذا بوليد و سامر مقبلين ... يدخلان المطبخ!

ما أن وقع بصري على وليد حتى اضطربت خطاي و اهتزت يدي ، و اندلق بعض الشاي الحار على أصابعي فانتفضت أصابعي فجأة تاركة قدح الشاي ينزلق من بينها و يهوي ... و يرتطم بالأرضية الملساء ساكبا محتواه على قدمي و ما حولها!

"آي "

شعرت بلسعة الشاي الحار و ابتعدت للوراء و أنا أهف على يدي لتبريدها...

سامر أقبل مسرعا يقول:

"أوه عزيزتي ... هل تأذيت؟" !

قلت :

"أنا بخير "

و أنا أتألم...

سامر أسرع نحو الثلاجة و أخرج قطعة جليد ، و أتى بها إلي ، أمسك بيدي و أخذ يمررها على

أصابعي...

لملامسة الجليد لأصابعي شعرت بالراحة ...

قلت:

"شكرا"

و ابتسم سامر برضا.

تركته مشغولا بتبريد أصابعي و سمحت لأنظاري بالتسلل من فوق كتفه ، إلى ما ورائه...

كان يقف عند الباب ، سادا بطوله و عرضه معظم الفتحة ، يحدق بنا أنا و سامر بنظرات مخيفة!

لا أعرف لماذا دائما تشعرني نظراته بالخوف ... و الحرارة!

الجليد أخذ ينصهر بسرعة ....

رفعت أنظاري عنه و بعثرتها على أشياء أخرى ، أقل إشعاعا و حرارة ... كالثلاجة كإبريق الشاي ،

أو حتى ... لهيب نار الموقد!

لكنني كنت أشعر بها تحرقني عن بعد!

أ أنتم واثقون من أنكم لا تشمون شيئاً؟؟

وليد الآن تحرك ، متقدما للداخل ... و مبتعدا عنا ، و متوجها نحو أمي...

قال:

"ماذا تصنعين أماه؟"

"سأحضر لكم السمك المشوي هذا اليوم ... ألم يكن صديقك يحبه في الماضي حسب ما أذكر؟؟"

سكت وليد برهة ثم قال:

"لا داعي ... يا أمي .."

و سكت برهة أخرى ثم واصل:

"سوف يسافر سيف الآن ..."

جميعنا ، أنا و سامر و أمي ، نظرنا إلى وليد باهتمام ...

قالت أمي:

"يسافر؟ ألم تقل أنه سيبقى حتى الغد؟"

"بلى ... لكن خطته تغيرت و سيخرج ... فورا"

قال ( فورا ) هذه بحددة و هو ينظر باتجاهنا أنا و سامر

أمي قالت:

"اقنعه يا وليد بالبقاء حتى وقت الغذاء على الأقل ... اقنعه بني " !

وليد كان لا يزال ينظر باتجاهنا ، و رأيت يده تنقبض بشدة و وجهه يتوهج احمرارا و على جبينه العريض تتلألاً قطيرات العرق ...

لم يكن الجو حارا و لكن...

هذا الرجل ... ناري ... ملتهب ... حار ... يقدح شررا!

نظر إلى أمي نظرة مطولة ثم قال:

"أنا ... ذاهب معه"

سامر ، ترك قطعة الجليد فوق أصابعي و استدار بكامل جسده نحو وليد ، كما فعلت أمي ...

قال سامر:

"عفوا ؟؟ ماذا ؟؟"

وليد لم ينظر إلى سامر بل ظل يراقب تعابير وجه أمي ، المندهشة الواجمة ، و قال:

"نعم أمي ... سأسافر معه ... حالا"

~ ~ ~ ~ ~



لم تجدرِ الدموع و النداءات و التوسلات التي أطلقها أفراد عائلتي في صرف نظري عن السفر...

بل إنني و في هذه اللحظة بالذات ، أريد أن أختفي ليس فقط من البيت ، بل من الدنيا بأسرها  
لقد كانت حالة أُمي سيئة جدا ... و لكن صورة الخائنين و أيديهما المتلامسة ... و قطعة الجليد  
المنزلة بدلال بين أصابعهما أعمت عيني عن رؤية أي شيء آخر...

و أقيم مهرجان مناحة كبير ساعة وداعي...

كان يجب أن أذهب ، و لم يكن لدي أية نوايا بالعودة ... فقد انتهى كل شيء...

تحججت بكل شيء...

أوراقي ... شهادتي ... أشياءي ... و كل ما خطر لي على بال ، من أجل إقناعهم بتسليمي مفاتيح  
المنزل ...

سيف ينتظرنني في السيارة ، و هم متشبثون بي يعيقون خروجي ، محيطون بي من الجهات الأربع ...  
أُمي و أبي ، و أختي و أخي الخائن...

أما الخائنة رغد ... فكانت تراقب عن بعد ... إذ أنني لم أعد شيئاً يجوز لها الاقتراب منه...

للحظة اختفت رغد ، و صارت عيناى تدوران و تجولان فيما حولي...

أين أنت ...؟؟

أين ذهبتي؟؟

أعليها أن تحرمني حتى من آخر لحظة لي معها؟؟

آخر لحظة؟؟

كنت ممسكا بالباب في وضع الخروج ... أردت أن أسير خطوة نحو الخارج إلا أن قبضة موجهة في صدري منعتني من الخروج قبل أن ... أراها للمرة الأخيرة... فقط ... للمرة الأخيرة ...

"أين رغد؟؟"

قلت ذلك ، و عدت نحو الداخل أفتش عنها

وجدتها في غرفة الضيوف و كانت للعجب ... تحاول تحريك المقعد الكبير عن مكانه!

"رغد" ! ...

التفتت إلي ، فرأيت الدموع تغرق عينيها فيما هي تحاول جاهدة زحزحة المقعد

دموع رغد تقطع شرايين قلبي ...

أشعر بالدماء تغرق صدري و رثتي ... و تسد مجرى هوائي....

إنني أختنق يا رغد!

ليتك تحسين بذلك...

"ماذا تفعلين؟؟ ألن ... تودعيني؟؟"

هزّت رأسها نفيا و اعتراضا ...

تقدمت نحوها ، و أمسكت بالمقعد و حركته عن موضعه نحو الأمام بالشكل الذي أرادت ، فأسرعت هي إلى خلفه ، و انحنيت على الأرض و التقطت شيئا ما ، لم يكن غير ساعتني القديمة...

رغد أقبلت نحوي تمد يدها إلي بالساعة و تقول:

"لقد تركت الجميع يسخر مني ... و أنا محتفظة بها و أرتديها في انتظار عودتك كما وعدت ! لكنك كذبت علي ... و لم تعد " !

و رمت بالساعة نحوي فأصابت أنفي...

انحنيت و رفعت الساعة عن الأرض ... و بقينا نحدق ببعضنا لبرهة ، ثم قلت:

"لم تعودني بحاجة للاحتفاظ بها ... فصاحب الساعة ... لم يعد موجودا"

و أوليتها ظهري ، و انصرفت نحو باب المدخل...

لم أعط بصري الفرصة لإلقاء أي نظرة على أي منهم ... لم ألتفت للوراء ... و كنت اسمع نداءاتهم دون أن أستجيب لها ...

تريدون عودتي؟؟

أعيدوا رغد إلي أولاً!

أم تظنون أنني سأحتمل العيش بينكم ، و هي ... خطيبة لأخي؟؟

دون رغد ... فإن وليد لم يعد له وجود على وجه الأرض...

ألا تدركون ذلك؟؟

ألا تدركون ما فعلتم بي؟؟

قتلتموني ...

شر قتلة...

"وليـــــــــــــــد"

كان هذا صوت رغد ... يخترق أذني ... و رأسي ... و قلبي ... و كل خلية ... و كل ذرة من جسدي ...

لم أستطع أن أقاوم ... التفت نحو الورا و لم أر شيئاً ... غير طفلة صغيرة ... ضئيلة الحجم ...  
دائرية الوجه ... واسعة العينين ... خفيفة الشعر ... يتدلى شعرها القصير الأملس على جانبيها بعفوية  
... ترفع ذراعيها نحوي بدلال و تقول:

"وليــــد ... احملني" !

"رغد ... تعالي" !

رأيت شبحها يقبل نحوي ... راكضا ... ضاحكا ... حاملا في يده اليمنى دفتر تلوين ... و في الأخرى  
صندوق الأمانى ... و يمد ذراعيه إلي...  
فأطير به إلى الهواء ...  
إلى الفضاء...  
إلى السماء ...  
إلى حيث ترتفع أرواح الموتى...  
و تصعد دعوات المعذبين...

يا رب...

أتوسل إليك...

أرجوك...

خذني إليك...

الحلقة الرابعة عشر

[color=993399]

طريق العودة لم يكن بأقل مشقة من طريق الذهاب ...  
ألا أنني بسبب التعب و الإجهاد النفسي نمت معظم ساعات النهار الأول.

حطام الأشياء التي أراها من حولي لا يختلف عن حطام قلبي ... إلا أن الجماد لا ينزف دما

التلاوة المنبعثة من مذياع السيارة بصوت قارئ رخم عذب هي الشيء الوحيد الذي خفف على قلبي  
آلام التمزق و التقطع و الاحتراق...

توالت الساعات ، و كنت أتابع باهتمام مزيف كل ما أسمعه من المذياع هروبا من التفكير في الطريق  
الذي ولى ... و الطريق القادم...

في الماضي ... و المستقبل...

بلغنا مدينتنا قبيل غروب الشمس الثالثة التي أنارت درينا...

"خذني إلى بيتي"

قلت ذلك و نحن أمام مفترق طرق ، يؤدي أحدهم إلى بيتي و آخر إلى بيت سيف

"الآن ؟ دعنا ننزل بيتنا و نرتاح من عناء المشوار الطويل " ...

"أرجوك يا سيف ... إلى بيتي " ...

لم أكن هذه المرة أشعر بأي شوق أو حماس لدخول المنزل المهجور

و سيف همّ بالحضور معي أل أنني قلت:

"لا بد أن والديك في انتظارك الآن ... سأشكرك كما ينبغي لاحقا ، بلغهما تحياتي"

كان سيف قلقا بشأنني و لكنني صرفته ، و دخلت المنزل المظلم وحيدا.

رفعت يدي لإنارة المصباح ، بل المصابيح واحدا تلو الآخر فاكشفت أن الكهرباء مقطوعة.

و على الضوء الباقي من آخر خيوط الشمس ، سرت في منزلي الكثيب الساكن و سعدت إلى الطابق

العلوي ...

ذهبت رأساً إلى غرفة نومي ... أخرجت المفاتيح ، ثم فتحت الباب ببطء...

و خطوات خطوة إلى الداخل...

سرعان ما عادت بي السنين إلى الوراء...

حين كنت فتى مراهقاً في بداية التاسعة عشر من العمر ... أجلس على هذا الكرسي أذاكر بشغف ...

يا إلهي!

لا تزال كتبي التي تركتها على المكتب في مكانها!

مفتوحة كما تركتها قبل ثمان سنين!

جلت ببصري في الغرفة ... و فوجئت برؤية الأشياء كما هي...

تقدمت خطوة بعد خطوة...

السريبر ... نفس البطانية و الأغطية التي كانت عليه قبل رحيل...

اقتربت من المكتب ... إنه كتاب الرياضيات الذي كنت أقرأه آخر ليلة قبل الرحيل ، استعداداً

لامتحان الغد!

و قلم الرصاص لا يزال موضوعاً على الصفحة المفتوحة...

و بقية الكتب مبعثرة على الطاولة تماماً كما تركتها منذ ذلك الزمن...

مددت يدي فلمست الغبار الذي يغطي الكتاب ، و كل شيء...

فتحت الأدراج لألقي نظرة ... لا شيء تغير ! لا يبدو أن أحداً قد وطأ أرض هذه الغرفة مذ هجرتها

استدرت نحو سريبري ... لطالما احتضنتني هذا السريبر و امتص تعبتي و أرقبي ... ألا زال يصلح للنوم؟

أ أستطيع رمي أثقال صدري و جسدي عليه؟؟

كان أيضا غارقا في الغبار ... و مع ذلك رميت بجسدي المهموم عليه و سمحت لسحابة الغبار أن تحلق ... و تنتشر ... و تهاجم أنفي و تخنقني أيضا ...

داهمتني نوبة من العطاس إثر استنشاقني لغبار الزمن ، فنهضت و تلفت من حولي بحثا عن علبة المناديل

لا بد أنها ستكون مدفونة تحت طبقات من الغبار هي الأخرى ...

لكن أنظاري التصقت فجأة بشيء يقف على أحد أرفف مكتبتي القديمة...

شيء أسطواني الشكل ، مغطى بطابع و ملصقات صغيرة طفولية...

و من بين تلك الملصقات ، يظهر جزء من كلمة مكتوبة عليه : ( أمانى )

سرت ببطء شديد ، بوصة بوصة ، نحو هذا الصندوق الصغير ...

أكان حلما أم حقيقة؟؟

لقد رأيته أمامي مباشرة ، و لمستته بيدي ... و رججته ، و سمعت صوت قصاصات الورق تتضارب داخله!

صندوق أمانى رغد ... لا يزال حيا؟؟

أمسكت بالصندوق الأسطواني ، و قربته من عيني ، ثم من صدري ، و أرخيت جفني ، و سحبت نفسا عميقا مليئا بالغبار...

رأيت الصغيرة مقبلة نحوي بانفعال و فرح ، حاملة كتابها بيدها:

"وليد اصنع صندوق أمانى لي"

و رأيتها تساعدني في صناعته...

ثم تغطيه بالملصقات الصغيرة...

ثم تجلس هناك على سريري ، قرب المنضدة ، و تكتب أمنيتها الأولى...

((عندما أكبر سوف أتزوج .....؟؟))

عند هذا الحد ... ارتفع جفناي فجأة ، و انقبضت يدي بقوة ... ضاغطة على الصندوق بلا رحمة حتى خنقت أنفاسه...

تدحرجت عبرة كبيرة حارقة من مقلتي اليمنى ، فاليسرى ، تبعها سيل عارم من الدموع الكثيية التائهة ، تغسل ما علق بوجهي و أنفي من الغبار العتيق...

شقت نظرتي طريقا سالكا بين الدموع ، مسافرة نحو صندوق الأمانى المخنوق ... محرصة يديّ على التعاون للفتك به ... و تمزيقه كما تمزقت كل آمالي و أحلامي ... و صورة رغد و رسالتها ... و قلبي و روحي...

لكنني توقفت في منتصف الطريق...

لم أعد أرغب في رؤية ما بداخله...

فأنا أعرف كل شيء...

(أريد أن أصبح رجل أعمال ضخم) !

(أريد أن تصبح ابنة عمي رغد زوجة لي)

(يا رب اشف سامر و أعده كما كان)

(عندما أكبر سوف أتزوج .....؟؟؟)



سامر قطعاً...

كم كنتُ غيبياً !

ضغطت على الصندوق بقوة أكبر فأكبر ... و لو كان شيئاً مصنوعاً من الحديد لتحطم في قبضتي...

"أيتها الخائنة ... رغد"

رميت الصندوق بعنف بعيداً عني ... إلى أبعد زاوية في الغرفة ، ثم خرجت هاربا من الذكرى الموحجة

أول شيء التقيت به في طريقي كان غرفة رغد!

فهني الأقراب إلي...

وقفت عند الغرفة لدقائق ... و يدي تفتش عن المفتاح بتردد...

رفعت يدي ... و طرقت الباب طرقة خفيفاً

ثم مددتها نحو المقبض و أمسكت به و بقيت في هذا الوضع لزمن طويل...

سأفتح الباب ببطء و حذر و هدوء ... قد تكون صغيرتي نائمة بسلام ... لا أريد إزعاجها

أريد فقط أن ألقى نظرة عليها كما أفعل كل ليلة ... لا أحب إلى قلبي من رؤيتها نائمة بهدوء كالملاك .. و ملامسة شعرها الناعم بخفة ...

نظرة أخيرة ... واحدة فقط ... أريد أن ألقبها على طفولتي ...

رغد ... لقد اشتقت إليك كثيراً! ... منذ أن رأيتك و أنت نائمة ... هنا قبل ثمان سنين ، و جفناك

متورمان أثر البكاء الشديد الذي بكيته ذلك اليوم المشؤوم ...

أتذكرين كيف لعبنا يومها ؟؟

أتذكرين البطاطا التي أطعمتك إياها...؟؟

ما كان يدريني أننا لن نلتقي بعد تلك اللحظة ...

و أنها كانت المرة الأخيرة التي أتسلل فيها إلى غرفتك ، و ألقى عليك نظرة ، و أداعب خصلات شعرك ، و أقبل جبينك ...

ارتجفت رجلاي و كذا يداي و جسمي كله ، و فقدت أي قدرة على تحريك أي عضلة في جسدي ، حتى جفوني

لم أجسر على فتح الباب...

عدت أطرقه و أنادي...

"رغد ... صغيرتي ... افتحي ! أنا وليد" ...

لكنها لم تفتح

و أخذت أطرق بقوة أكبر...

"افتحي يا رغد ... لقد عدت إليك"

و بقي الباب ساكنا جامدا ...

لم تعد رغد موجودة

و لم يعد وليد موجودا...

و لم يعد لفتح هذا الباب ... أي داع...

هويت على الأرض ... كسقف أزيلت أعمدته فجأة ... و رفعت ذراعي إلى الباب و صرخت...

"رغد ... عودي إلي" ...



~ ~ ~ ~ ~

من تتوقعون زارنا قبل أسبوع؟؟

إنها عائلة اللاعب الشهير ( نوار! )

و هل استنتجتم ما سبب الزيارة؟؟

أجل!

مشروع زواج!

بصراحة أنا فوجئت بشدة ! لم أكن أعتقد أن الأمر سيسير حسبما كانت دانة ترسم ! و لكن يبدو أن هناك أمور أخرى لا أعلم عنها شيئا...

زيارتهم كانت بعد رحيل وليد بثلاثة أسابيع...

خلال الأسابيع الثلاثة تلك ، كان الجميع يعيش حالة كآبة و حزن مستمرين

لم تطلع أو تغرب علي شمس دون أن أفكر بوليد ... و بلقائنا الحميم ، ثم نظراته القاسية ، ثم رحيله المفاجئ...

والدتي أصابها حزن شديد لازمت بسببه الفراش فترة من الزمن ...

أنا أيضا حزنت كثيرا جدا ...

أنا لم أكد أراه ... لم أكد أشعر بوجوده ... إنني لا أصدق أنه عاد بالفعل ... لقد كبرت على الاعتقاد بأنه لن يعود ...

و حقيقة ... هو لم يعد...

"رغد ! ألم تنهي حمامك بعد؟؟"

جاءني صوت دانة من الخارج ، تحثني على الخروج بأقصى سرعة ... كنت لا أزال أمشط شعري القصير المبلل أمام المرآة المغطاة بطبقة من الضباب!

فتحت الباب فانطلق بخار الماء متسربا للخارج ، و وجدت دانة واقفة و ذراعاها مضمومان إلى صدرها ، تنظر إلي بحنق!

"أهو حمام بخاري ؟ هيا اخرجي يكاد ضيوفي يصلون و أنا لم أستعد بعد" !

سرت ببطء شديد ، متعمدة الإطالة أقصى ما يمكن ... ! دانة تحددق بي بغضب و نفاذ صبر و تصرخ:

"أوه يا لبر ودك ! هيا أخرجي" !

"لم كل هذا الانفعال ؟! كأنك ستقابلين جلالة الملكة" !

"أنت لا تفهمين شيئا ! لا يمكنك أن تحسي بمثل أحاسيسي الآن ! لم تجريبي ذلك و لن تجربيه !"

قالت هذا ثم دفعتني قليلا بعيدا عن الباب ، و دخلت الحمام الغارق في البخار و صفعت بالباب بقوة !

ذهبت إلى غرفتي بكسل ... و أخذت أتابع تمشيط شعري المبلل أمام مرآتي...

هل تحس كل فتاة على وشك مقابلة أهل عريسها بكل هذا التوتر؟؟  
أنهم سيعلمون الموافقة الرسمية و يناقشون شروط العقد هذه الليلة ، و سنقيم حفلة صغيرة بعد أيام لعقد القران...

دانة أصبحت لا تطاق بسبب توترها و عصبيتها ، لكنها سعيدة ! سعيدة جدا...

أنا لم أجرب هذا الإحساس ... و لا أعرف كيف يكون ... إنني فقط أعرف أنني مخطوبة لابن عمي  
سامر لأنني يجب أن أكون مخطوبة له...  
و سأتزوج منه لأنني يجب أن أتزوج منه...

سامر في الوقت الحالي مسافر إلى مدينة أخرى ، من أجل العمل

موضوع زواجنا تم تأجيل النقاش فيه ، بسبب حضور ورحيل وليد الذي أربك الأجواء ، ثم خطبة دانه التي شغلتنا أواخر الأيام...

وليد لم يتصل بنا منذ رحيله ، ووالدي يحاول جاهدا الاتصال به بطريقة أو بأخرى من أجل إبلاغه عن خطبة دانه و حفلة العقد

مجرد تفكيري بهذا الأمر يشعرني بالسعادة ... فوليد سيأتي ولا شك ... لحضور حفلة شقيقته و المشاركة فيها...

ألقيت بالمشط جانبا و خرجت من الغرفة في طريقي إلى المطبخ ، ووصلني صوت دانه وهي تغني داخل دورة المياه!

أنا لم أغنّ عند خطبتي!

حين وصلت ، كانت أمي تتبادل الحديث مع والدي بشأن دانه ... لكنهما توقفا عن الكلام لدى رؤيتي!

"أمي ... ماذا عن وليد؟؟"

فهو كان شغلي الشاغل منذ أن رحل...

بل منذ أن وصل!

أمي و أبي تبادلا نظرة سريعة ، قال والدي بعدها:

"لقد استطعت التحدث إلى سيف ، و أوصيته بزيارة وليد بأسرع ما يمكنه ، و إبلاغه بأننا ننتظر مكالمة ضرورية منه"

فرحت بذلك ، و قلت تلقائيا:

"إذن سأعتكف عند الهاتف " !

في ذات اللحظة رن هذا الأخير ، و قفزت مسرعة إليه!

"مرحبا ! هنا منزل شاكر جليل ... من المتحدث ؟"

كانت ابتسامتي تعلو وجهي ، و حين وصلني صوت الطرف الآخر:

"رغد ! أهذه أنت ؟؟"

تلاشت الابتسامة بسرعة ، و قلت بشيء من الخيبة:

"نعم ... سامر ، إنها أنا"

و بعد بضع عبارات تبادلناها ، دفعت بالسماعة إلى والدي:

"إنه سامر ... لن يحضر الليلة"

و انصرفت عن المطبخ.

حين سافر سامر ... لم أبك كما بكت أمي ...

و كما بكيت لسفر وليد...

لم يكن هناك أي هاتف في غرفة نومي ، لذا جلست في غرفة المعيشة قريبة من التلفاز ، و كلما رن

هاتف بادرت برفع السماعة قبل أن تنقطع الرنة الأولى!

و في كل مرة أصاب بخيبة أمل ....

لكن...

لماذا أنا متلهفة جدا للتحدث إليه ؟؟

بعد فترة ، حضر الضيوف المرتقبون ، العريس و والداه و أفراد أسرته .. لو أوّلف كتابا في وصف دانه

لسببت أزمة ورق !

سألخص ذلك بقول : كانت غاية في الجمال ، و الخجل ، و اللطف ، و السعادة!

تم الاتفاق على كل شيء ، و تعين تحديد ليلة الخميس المقبلة لعقد القران!

لم أجلس مع ضيفاتنا غير دقائق متفرقة ، و تمركزت عند الهاتف في انتظار اتصال من اتصل رجال العالم كلهم ببيتنا سواه!

عند العاشرة و النصف ، استسلمت ...

و ذهبت في اتجاه غرفتي ..

مررت بغرفة دانه ، فوجدتها مشغولة بإزالة المساحيق و الإكسسوارات التي تزين بها شعرها!

"كنت جميلة" !

نظرت إلي بغرور ، و قالت:

"اعرف" !

ثم استطردت:

"و سأكون أجمل في الحفلة ! علي أن أذهب للسوق غدا لشراء الحاجيات " !

"عظيم ! أنا أيضا سأشتري فستانا جديدا و بعض الحلبي " !

ابتسمت دانه بسعادة ، و قالت:

"كم أنا متوترة و قلقة ! ستكون حفلة رائعة"

ثم أضافت ببعض الخبث:

"أروع من حفلتك"

لم أكن في السابق أتضايق كثيرا لتعليق كهذا ، إلا أنني الآن شعرت بالانزعاج ... قلت:

"أنا لم تقم لي حفلة حقيقية ... لم يكن يوما مميزا"



قالت:

"وضعي أنا يختلف ! سأتزوج من أشهر لاعبي الكرة في المنطقة ، و أغناهم أيضا ... شيء مميز جدا  
! ... والدي وعدني بليلة لا تنسى "

أصابني كلامها بشيء من الخذلان و الحزن ، فأنا لم يعمل والدي لأجلي شيئا يذكر ليلة عقد قراني  
... هممت بالانصراف ، توقفت قبل أن أغلق الباب ، و سألت:

"هل سيكون وليد موجودا ؟؟"

شيء ما برق في عينيها و قالت:

"نعم ، بالتأكيد سيكون موجودا .. لا يمكنه أن يتخلى عني أنا" !

ذهبت إلى غرفتي و أنا حزينة...

فوليد لم يتصل

و دانه تسخر مني

و من الطريقة التي تمت خطبتي بها...

رغم أنها كانت أكثر من أقنعني بأنه لا بد لي من الزواج من سامر...

فهو أقرب الناس إلي ، و هو يحبني كثيرا ، و هو مشوه بشكل يثير نفور

بقية الفتيات...

و بسببي أنا...

~ ~ ~ ~ ~ ~ ~

[/size]

فيما كنت أسخن بعض الفاصوليا على لهيب الموقد في المطبخ ، حضر صديقي سيف.

لم أكن أتوقع زيارته ، كانت الساعة السادسة مساءً ، لكنني سررت بها

"تفضل ! إنني أعد بعض الفاصوليا ... عشاء مبكر ! ستشاركني فيه"

قلت ذلك و أنا أقوده إلى المطبخ...

حينما وصل و شم رائحة الفاصوليا قال بمرح:

"تبدو شهية ! سأتناول القليل فقط ، فلدي ضيوف على العشاء هذا المساء"

وضعت مقدارين منها في طبقين صغيرين ، مددت بأحدهما نحو صديقي و قلت:

"جرب طهو - أو بالأحرى تسخين يدي" !

تناول سيف بعضها و استساغ الطعم ... ثم قال:

"لكنها لا تقارن بأطباق والدتي ! يجب أن تشاركنا العشاء الليلة يا وليد"

ابتسمت ابتسامة باهتة ، و لم أعلق...

"هيا يا وليد ! سأعرفك على زملائي و أصدقائي في العمل"

قلت:

"كلا لا يمكنني ، لدي ارتباطات أخرى"

سيف نظر إلي باستنكار ...

"أية ارتباطات ؟؟" !

ابتسمت و قلت:

"سأخذ الأطفال إلى الملاهي ! فقد وعدتهم بذلك"

سيف كان يحرك الملعقة باتجاه فمه ، فتوقف في منتصف الطريق و قال:

"أي أطفال؟؟"

قلت بابتسام و أنا أقلب الفاصوليا في الطبق لتبرد قليلا:

"رغد و دانة و سامر ! سأجعلهم يستمتعون بوقتهم!"

أعاد سيف الملعقة و ما حوت على الطبق ... و ظل صامتا بضع ثوان...

"ما بك ؟ ألم يعجبك ؟"

أعني بذلك الفاصوليا

سيف تنهد ثم قال:

"وليد ... ما الذي تهذي به بريك؟؟"

تركت الملعقة تنساب من يدي ، و قد ظهرت علامات الجدية على وجهي الكئيب و قلت:

"أتخيل أمورا تسعدني ... و تملأ فراغي" ...

هز سيف رأسه اعتراضا ، و قال:

"ستصاب بالجنون إن بقيت هكذا يا وليد ! بل إنك أصبت به حتما ... ينبغي أن تراجع طبيبا"

دفعت بالكروسي للوراء و أنا أنهض فجأة و استدير موليا سيف ظهري...

سيف وقف بدوره ، و تابع:

"لا تفعل هذا بنفسك ... أتريد أن تجن؟؟"

استدرت إلى سيف ، و قلت:

"ما الفرق ؟ لم يعد ذلك مهم"

"كلا يا وليد ... لا تعتقد أن الدنيا قد انتهت عند هذا الحد ... لا يزال أمامك المستقبل و الحياة"

قاطعته بحدّة و زمجرت قائلاً:

"المستقبل؟؟ نعم المستقبل ... لرجل عاطل عن العمل متخرج من السجن لا يحمل سوى شهادة الثانوية المؤرخة قبل ثمان سنين ! و يخبئ بعض النقود التي استعارها من أبيه في جيب بنطاله ليشترى بها الفاصولياء المعلبة فيسد بها جوعه ... نعم إنه المستقبل"

سيف بدأ يتحدّث بانفعال قائلاً:

"تعرف أن فرص العمل في البلد ضئيلة بسبب الحرب ، لكنني سأدبر الأمر بحيث أتيح الفرصة أمامك للعمل معي " ...

قلت بسرعة:

"معك ؟ أم عندك؟؟"

استاء سيف من كلمتي هذه و همّ بالانصراف.

استوقفته و قدمت إليه اعتذاري ...

لقد كان اليأس يقتلني ... و لا شيء يثير اهتمامي في هذه الدنيا...

قال سيف:

"المزيد من الصبر ... و سترى الخير إن شاء الله"

ثم تقدّم نحوي و قال:

"و الآن ... تعال معي ... فالأشخاص الذين سيتناولون العشاء معنا سيهمك التعرف إليهم"

لكنني رفضت ، لم أשא أن أظهر أمام رجال الأعمال و أخرج صديقي ، لكوني شخص تافه خرج من السجن قبل أسابيع ...

"كما تشاء ... لكنك ستحضر غدا ! عشاء خاص بنا نحن فقط" !

أومأت إيجابا ، إكراما لهذا الصديق الوفي ...

قال سيف:

"يا لك من رجل ! لقد أنسيتني ما جئت لأجله" !

"ما هو؟؟"

"تلقيت اتصالا من والدك اليوم ، يريد منك أن تهاتفه للضرورة"

شعرت بقلق ، فلأجل ماذا يريدني والدي؟؟

"أتعرف ما الأمر؟؟"

"لا فكرة لدي ، لكن عليك الاتصال بهم فورا"

و أشار إلى الهاتف المعلق على الجدار...

قلت:

"الخط مقطوع" !

"حقا؟؟"

"كما كانت الكهرباء و المياه أيضا ! تصور أنني عشت الأيام الأولى بلا نور و لا ماء" !

ضحك سيف ثم قال:

"معك أنت يمكنني تصور كل شيء ! هل تريد هاتفي المحمول؟"

"لا لا ، سأتصل بهم من هاتف عام"

سار سيف نحو الباب مغادرا ، التفت قبل الانصراف و قال:

"موعدنا غدا مساء!" !

"كما تريد"

و عدت إلى طبقي الفاصوليا التي بردت نوعا ما ، و أفرغتهما في معدتي...

لم يكن في المنزل أي طعام ، و كنت اشترى المعلبات و التهم منها القدر الذي يبقيني حيا...

تعمدت عدم الاتصال بأهلي طوال الأسابيع الماضية ، و عشت مع أطياهم داخل المنزل

حاولت البحث عن عمل و لكن الأمر كان أصعب من أن يتم في غضون بضعة أسابيع أو أشهر...

في ذلك المساء ذهبت إلى أحد المحلات التجارية لشراء بعض الحاجيات ، قبل أن أجري المكالمة الهاتفية.

حين حان دوري للمحاسبة ، أخذ المحاسب يدقق النظر فيّ بشكل غريب!

نظرت إليه باستغراب ، فقال:

"أست وليد شاكراً؟"

فوجئت ، فلم يبدُ لي وجه المحاسب مألوفاً ... قلت:

"بلى ... هل تعرفني؟"

قال:

"و هل أنساك ! متى خرجت من السجن؟"

عندما نطق بهذه الجملة أثار اهتمام مجموعة من الزبائن فأخذوا ينظرون باتجاهي...

شعرت بالحرَج ، و تجاهلت السؤال ... فعاد المحاسب يقول:

"ألم تعرفني ؟ لقد كنتُ زميلاً للفتى الذي قتلته ! عمّار"

أخذ الجميع ينظر باتجاهي ، و شعرت بالعرق يسيل على صدغي ...

جاء صوت من مكان ما يقول:

"أ تقول أن المجرم قد خرج من السجن؟"

تلفت من حولي فرأيت الناس جميعاً ينظرون إلي بعيون حمراء ، يقدح الشرر من بعضها ، و ينطلق الازدراء من بعضها الآخر...

شعرت بجسمي يصغر ... يصغر ... يصغر ... ثم يختفي...

خرجت من المكان بسرعة ... دون أن آخذ حاجياتي ، و ركبت سيارتي و انطلقت مسرعاً تشيعني  
أنظار الجميع...

لقد أصبحت ذا سمعة سيئة تشير إلي أصابع الناس بلقب مجرم...

توقفت عند أحد الهواتف العامة ، و اتصلت بمنزل عائلتي في المدينة الأخرى...

كانت الساعة حينئذ الحادية عشر ... و رن الهاتف عدة مرات و لم يجب أحد...

و أنا واقف في مكاني أراقب بعض المارة ، تخيلتهم ينظرون إلي و يتحدثون سرا...

ربما كانوا يقولون : إنه وليد المجرم!

و مرت مني سيارة شرطة تسير ببطء ...

شعرت برعشة شديدة تسري في جسدي لدى رؤيتها ، كانت النافذة مفتوحة و أطل منها الشرطي و

أخذ ينظر باتجاهي

كدت أموت فزعا ... و تخيلته مقبلا نحوي ليقبض علي و يزج بي في السجن من جديد...

شعور مرعب مفرع...

ظلت يدي تضغط على أزرار عشوائية ، تتصل ربما بالمريخ أو المشتري ، دون أن أملك القدرة على

التحكم بها ... حتى ابتعدت السيارة شيئا فشيئا و استعدت بعض الأمان...

أعدت الاتصال بمنزل عائلتي و بعد ثلاث رنات أو أربع ، أجاب الطرف الآخر...

"نعم؟"

لم أميز الصوت في البداية ، لكنه عندما كرر الكلمة أدركت أنها كانت رغد...

"نعم؟ من المتحدث؟"

كان فكي الأسفل لا يزال يرتجف أثر رؤية سيارة الشرطة ... و ربما سمعت رغد صوت اصطكاك



أسناني بعضها ببعض...

قربت السماعة من فمي أكثر ، و بيدي الأخرى أمسكت بفكي و طرف السماعة كمن يخشى تسرب  
صوته للخارج ...

ربما سمع رجال الشرطة صوتي و عادوا إلي!

قلت:

"أنا وليد"

لم أسمع أي صوت فظننت أن الطرف الآخر قد أقفل السماعة ، قلت:

"رغد ألا زلتِ معي؟؟"

"نعم"

ارتحت كثيرا لسماع صوتها

أو ربما ... تعذبت كثيرا...

"وليد كيف حالك؟"

"أنا بخير ، ماذا عنكم؟"

"بخير . كنت أنتظرك ، أقصد كنا ننتظر اتصالك"

قلت بقلق:

"ما الأمر؟؟"

رغد قالت:

"لقد نام الجميع ، والدي يريد التحدث معك ، يجب أن تحضر"

أفلقني حديثها أكثر ، سألت:

"ما الخطب؟؟"

"إنه موضوع زواج دانه ! لن أخبرك بالتفاصيل و إلا وبختني ! يجب أن تحضر قبل مساء الأربعاء المقبل"

كان أمرا فاجأني ، و هو أكبر من أن أناقشه مع رغد و رغد بالذات على الهاتف في مثل هذا الوقت ... و المكان...

لذا اختصرت المكالمة بنية الاتصال نهار اليوم التالي لمعرفة التفاصيل...

"حسنا ، سأتصل غدا ... إلى اللقاء"

"وليد" ...

حينما سمعت اسمي على لسانها ارتجف فكي أكثر مما كان عند رؤية سيارة الشرطة....

خرجت الكلمة التالية مبعثرة الحروف...

"ن ... عم ... ص ... غيب ... رتي؟؟"

"عد بسرعة" !

و التي عادت بسرعة هي ذكريات الماضي...

و الذي طردها بسرعة هو أنا

لم أكن أريد لشيء قد مات أن يعود للحياة...

قلت:

"سأرى ، وداعا"

و بسرعة أيضا أغلقت السماعه...

كم شعرت بقربها ... و بعدها...

حينما عدت إلى المنزل ، وقفت مطولا أمام غرفة رغد أحدق ببابها ... حتى هذه اللحظة لم أجرؤ على فتحها هي بالذات من بين جميع غرف المنزل الموحش...

دخلت إلى غرفتي الغارقة في الظلام ، و تمددت على سريري بهدوء...

(عد بسرعة ... عد بسرعة ... عد بسرعة) ...

ظلت تدور برأسي حتى حفرت فيه خندقا عميقا!

سمعت طرقا على الباب ... طرقا خفيفا ... جلست بسرعة و ركزت نظري ناحية الباب ... كان الظلام شديدا ...

شيئا فشيئا بدأ الباب ينفتح ... و تتسلل خيوط الضوء للداخل

و عند الفتحة المتزايدة الحجم ، ظهرت رغد!

رغد وقفت تنظر إلي و وجهها عابس ... و الدموع منحدره على خديها الناعمين ...

هتفت...

"رغد" !

بدأت تسير نحوي بخطى صغيرة حزينة ... مددت ذراعي و ناديتها:

"رغد تعالي" ...

لكنها توقفت ... و قالت:

"وليد ... عد بسرعة"

ثم استدارت عائدة من حيث أتت

جن جنوني و أنا أراها تغادر

قفزت عن سريري و ركضت باتجاهها و أنا أهتف:

"رغد انتظري..."

رغد لقد عدت...

رغد لا تذهبي"

لكنني عندما وصلت إلى الباب كانت قد اختفت...

أسرعت إلى غرفتها أطرق بابها بعنف ...

كدت أكسره ، أو أكسر عظامي ... لكنه ظل موصدا ...

كما هي أبواب الدنيا كلها أمام وجهي...

أفقت من النوم مذعورا ، فوجدت الغرفة تسبح في الظلام و الباب مغلق...

لم يكن غير كابوس من الكوابيس التي تطاردني منذ سنين...

و رغم أنها تعذبني ، إلا أنها تمنحني الفرصة لرؤية صغيرتي التي حرمت منها منذ سنين ... و لم يعد

لها وجود...

في اليوم التالي ، اتصلت بوالدي و عرفت منه تفاصيل الموضوع ... و لكم أن تتصوروا الالهفة التي كان

هو و أمي و دانة أيضا ... يخاطبوني بها

أختي الصغيرة ... التي كبرت بعيدا عن أنظاري و رعايتي و اهتمامي ، أصبحت عروسا

"وليد يجب أن تحضر و تجلب لي هدية أيضا" !

و الآن ... و بعد مرور شهر واحد من هروبي منهم ، و عزلتي في المنزل ، صار علي أن أعود إليهم من جديد ... أجز أذيال الخيبة و الفشل...

في المساء ، ذهبت لسيف و أخبرته بما جد من أمري ، و أخبرني بأنه استطاع تدبير وظيفة لي في الشركة التي يعمل فيها و يملك جزءا منها

و بدأ أول أبواب الدنيا ينفتح أمامي أخيرا...

"يجب أن تعود بأسرع ما يمكن لتباشر العمل"

الحلقة الخامسة عشر

أكاد أطيح من الفرع ... لأن وليد سيأتي اليوم ...

إنني منذ وقعت عيناى عليه يوم حضوره قبل شهر ، و أنا أحس بشيء غريب يتحرك بداخلي!

أهي كريات الدم في عروقي؟؟

أم شحنات الكهرباء في أعصابي؟؟

أم تيارات الهواء في صدري؟؟

بين الفينة و الأخرى ، أخرج إلى فناء المنزل ... و أترقب حضوره

متى سيصل؟؟

سامر أيضا سيعود هذه الليلة ، فمنذ سافر للمدينة الأخرى قبل أسابيع من أجل العمل لم نره...

استدرت للخلف ، فإذا بأمي واقفة عند المدخل الرئيسي ، تنظر إلي!

"رغد ... ما ذا تفعلين؟؟"

اضطربت قليلا ، ثم قلت:

لا شيء...

والدتي ابتسمت ، وقالت:

"لقد قال سامر إنه سيصل ليلا ! لا تُقلقي أعصابك !"

شعرت بغصة في حلقي وكدت أختنق !

إنني لم أر سامر منذ أسابيع ... و أعلم أنه سيعود ليلا ... لكنني ... لكنني كنت أرتقب وليد!

كان هذا يوم الأربعاء ... ، وفي هذا المساء سيتم عقد قران دانة...

إنها مشغولة جدا هذا اليوم ، وكذلك هي أُمي ... و الاضطراب يسود الأجواء...

"تعالى و ساعدينا !"

ألقيت نظرة على الباب الخارجي للمنزل ، و مضيت مذعنة لطلب أُمي!

كانت دانة تجفف شعرها بمجفف الشعر الكهربائي المزعج ، قلت:

"فيم أساعدك؟؟"

و يبدو أن صوته الطاغي منعها من سماعي ، فكررت بصوت عال:

"دانة فيم أساعدك؟؟"

انتبهت لي أخيرا ، و قالت:

"تعالى رعد و جففى هذا المتعب" !

دانة كان لها شعر طويل و كثيف مع بعض التموج ، على العكس من شعري القصير الأملس الناعم!

تناولت المجفف الساخن من يدها و بدأت العمل!

صوت هذا الجهاز قوي و أخشى أن يعيق أذني عن سماع صوت جرس الباب !

مرت الدقائق و أنا أحاول الإسراع من أجل العودة للفناء!

"رعد ! جففى بأمانة" !

قالت ذلك دانة و هي تنظر إلي عبر المرآة ... فابتسمت!

فستان دانة كان جميلا و أنيقا جدا ، و موضوعا على سريرها بعناية

لدانة ذوق رائع جدا في اختيار الملابس و الحللي و أدوات التجميل !

لدى عبور هذه الفكرة برأسي تذكرت طقم الحللي الذي رأيته ليلة أمس و أثار إعجابي الشديد و أردت

اقتنائه ، غير أن نقودي لم تكن كافية فأجلت الأمر لهذا اليوم

"يجب أن أذهب مع آبي لشراء ذلك الطقم قبل أن يحل الظلام" !

"حقا ستشترينه ؟ إنه باهظ الثمن" !

"طبعا سأشتريه ! ماذا سأضع هذه الليلة إذن؟؟"

"لم لا تضعين العقد الذي أهدتك إياه والدتي قبل أسابيع؟؟"

لم تعجبني الفكرة ، فلقد رأته لمياء - شقيقة نوار ، خطيب دانة - يوم حفلة تخرجي!

إنها أمور نكثرث لها نحن الفتيات!

أو على الأقل ، معظمنا!

قلت:

"بل سأشتري شيئًا جديدًا ! يليق بقرائك!"

و ضحكنا!

لمحت والدتي مقبلة من ناحية الباب فأوقفت تشغيل الجهاز و قلت بسرعة:

"هل حضر؟"

ثم أضفت بسرعة ، تغطية على الحقيقة:

"أقصد والدي ؟ أريد أن يصحبني لسوق المجوهرات!"

قالت والدتي:

"ماذا تودين من سوق المجوهرات؟؟"

"سأشتري عقداً جديداً أرثديه الليلة!"

بدا على والدتي بعض الاستياء ... ثم قالت:

"أليس لديك ما يناسب ؟ سأعيرك مما عندي إن شئت"



عرفت من طريقة كلامها أنها لا تريد مني شراء المزيد.

أعدت تشغيل الجهاز وواصلت تجفيف شعر دانة الطويل حتى انتهيت ... بصمت...  
بعدها خرجت من الغرفة قاصدة الذهاب إلى غرفتي ، إذ أن بي شحنة استياء أريد إفراغها ...

و أنا أمر من والدتي قالت:

"رغد اذهبي للمطبخ و أتمي تحضير الكعك ، سأوافيك بعد قليل"

أذعنت للأمر ... و قضيت قرابة الساعة في عمل المطبخ الممل ، حتى أتت والدتي وتقاسمنا العمل...

بعد فترة همت بالانصراف ، فبالى مشغول بانتظار وليد ، و حين رأته أمي سائرة نحو الباب:

"إلى أين رغد؟؟"

"سأذهب للاستحمام!"

"انتظري ! تعرفين ما من مساعد لي غيرك اليوم ! ... اغسلي الأطباق و الصواني و رتبي الأواني في  
أماكنها ، ثم تولي كي و طي الملابس ! العمل كثير هذا اليوم!"

شعرت بالضيق ! لم أكن أحب العمل في المطبخ و كنت أتولى أقل من ثلث العمل المقسم بيننا نحن  
الثلاث ، أمي و دانة و أنا ، لكنني اليوم مضطرة للتضحية بنعومة يدي !

أثناء ترتيبى للأواني سمعت صوتا مقبلا من جهة مدخل المنزل الرئيسي

ربما يكون وليد!

أسرعت بوضع الأواني على عجل فانزلق من يدي بعضها و تحطم على الأرضية الملساء الصلبة!

"أوه رغد ! ماذا فعلت!"

والدتي نظرت إلي بانزعاج ، فزاد ضيقي ..

"انزلقت من يدي" !

و تركت كل شيء و هممت بالانصراف

"إلى أين؟؟"

"سأرى من عند الباب أُمي" !

و لم أكد أغادر ، إذ أن والدي قد وصل ، و دخل المطبخ يحمل الكثير من الأغراض

عدت إلى الأواني المحطمة أرفعها عن الأرض و أنظف الأرضية من شظايا الزجاج

ثم كان علي ترتيب الأغراض التي جلبها أبي في أماكنها المخصصة ... و الكثير الكثير قمت به فيما دانة في غرفتها ، تسرح شعرها و تترزين !

حالما انتهيت من جزء من عمل المطبخ ، قلت لوالدي و الذي كان يجلس على المقعد عند الطاولة يكتب بعض الملاحظات على ورقة صغيرة:

"أبي ... هل لا اصطحبتني إلى أحد محلات الحلبي ؟ لي حاجة سأشتريها و أعود "

أُمي نظرت إلي و قالت مباشرة:

"عدنا لذلك ؟ خذي ما تشائين من حلبي و لا داعي لإضاعة المال و الوقت ! لدينا الكثير لنفعله الآن  
!"

قلت:

"و لكن ... إنه جميل جدا و أريد أن أرتديه الليلة" !

قالت :

"هيا يا رغد ! عوضا عن ذلك رتبي الملابس أو غرفة الضيوف و الصالة ... النهار يودعنا"

لم أناقش أمي ، بل نظرت إلى أبي و هو منهمك في تدوين كلمات على الورقة و قلت:

"أبي ... لن أتأخر ! سأشتريه و نعود فورا" !

والدي قال دون أن يرفع عينيه عن الورقة:

"فيما بعد رغد ، لدي مهام أخرى أقوم بها الآن"

خرجت من المطبخ و أنا أشعر بالخيبة و الخذلان ... و ذهبت إلى الغرفة الخاصة بالملابس ، أكويها و أطويها و أرتبها ، و دمعة تتسلل من بين حدقتي من حين لآخر...

كنت أكوي فستاني الجديد الذي سأرتديه الليلة بشرود و أسى...

لماذا علي أن أعمل بهذا الشكل ؟!

لماذا لا يجلب والدي خادمة للمنزل ؟؟

هنا سمعت صوت جرس الباب يقرع...

لا بد أنه وليد!

تركت كل شيء بإهمال و طرت نحو باب المخرج ، في نفس اللحظة التي أقبل فيها والدي نحو الباب

...

قال:

"اذهبي و ارتدي الحجاب ، قد يكون وليد" !

رجعت فورا إلى غرفة الملابس و سحبت حجابا لي من كومة الملابس

(المجعدة ) و لبسته كيفما اتفق ، و هرعت نحو المدخل...

فتحت باب المدخل لأطل على الفناء الخارجي ، و أرى أبي و وليد متعانقين عند البوابة الخارجية...

أقبلت أُمي مسرعة و فتحت الباب و خرجت مهرولة إلى وليد...

وقفت أنا عند الباب الداخلي أنظر و دموعي تفيض من عيني رغما عنها...

لقد كان وليد واقفا بطوله و عرضه و جسده العظيم ، يحجب أشعة الغروب عن وداع ما غطاه ظله الكبير ، يضم والديه إلى صدره و ينهال برأسه البارز على رأسيهما بالقبيل ...

وقفت أراقب ... و أنتظر ...

لقد طال العناق و الترحيب ... و لم يلتفت أو لم ينتبه إلي!

و فيما أنا كذلك ، و إذا بالباب يفتح ، و تنطلق منه دانة مسرعة كالقذيفة الموجهة نحو وليد!

تعانقا عناقا حميما جدا ، و دانة تقول بفرح:

"كنت واثقة من أنك ستحضر ! كنت واثقة من ذلك"

و وليد يضمها إلى صدره ثم يقبل جبينها و يقول:

"طبعا سآتي ! كم شقيقة لدي ؟؟ ... ألف مبروك عزيزتي"

كل هذه الحرارة المنبعثة من اللقاء الحميم أمام عيني جعلتني أنصهر!

و بدا أن دموعي على وشك التبخر من فرط حرارة خديّ

وليدي!

من أي طينة خلقت أنت ؟؟ و لماذا تنبعث منك حرارة حارقة بهذا الشكل!

ألا تحس الأشجار أن الشمس قد ارتفعت بعد الغروب !؟

و أخيرا ، تحرك الثلاثة مقبلين نحوي ... نحو المدخل...

أخيرا لامست نظراتي الجمرتين المتقدتين ، المتمركزتين أعلى ذلك الرأس ... مفصولتين بمعقوف حاد ، يزيدهما شرارا ... و حدة ... و اشتعالا!

توهج وجهي احمرارا و تلعثم قلبي في نطق دقاته المتراكضة ... و شعرت بجريان الأشياء الغريبة في داخلي...

الدماء

سيالات الأعصاب

و الأنفاس!

و هو يخطو مقتربا ، و حجمه يزداد ... و رأسه يعلو ... و عنقي يرتفع!

سقطت أنظاري فجأة أرضا و كأن عضلات عيني قد شلت ! لم أستطع رفعهما للأعلى لحظتها ...

و جاء صوته أخيرا يدق طبلتي أذني...

بل يكاد يمزقهما!

"كيف حالك صغيرتي؟؟"

و كلمة صغيرتي هذه تجعلني أحس أكثر و أكثر بصغر حجمي و ضآلتي أمام هذا العملاق الحارق!

رفعت عيني أخيرا ببعض الجهد و أنا أضم شفتي مع بعضهما البعض استعدادا للنطق!

"بخير" ...

و لكن ... حين وصلت عيناى إلى جمرتيه ، كانتا قد ابتعدتا...

لم يكن وليد ينظر إلي ، و لا حتى ينتظر جوابي!

لقد ألقى سؤاله بشكل عابر و أشاح بوجهه عني قبل أن يسمع حتى الإجابة ... و هاهي دانة تفتح

الباب ... و هاهو يدخل من بعدها ... و يدخل والداى من بعده ... و ينغلق الباب من بعدهم!

وقفت متحجرة في مكاني لا شيء بي يتحرك ... حتى عيناى بقيتا معلقتين في النقطة التي ظننا أنهما ستقابلان عيني وليد عندها...

مرت برهة ... و أنا أهدق في الفراغ!

هل كان وليد هنا ؟؟

هل مر وليد من هنا ؟؟

هل رآته عيناى حقا ؟؟؟

لم أجد جوابا حقيقيا...

بدا كل شيء كالوهم و الخيال!

أفقت من شرودي و استدرت ، و فتحت الباب فدخلت ... و وصلتني أصوات أفراد أسرتي من غرفة المعيشة...

حركت قدمي بإعياء شديد متجهة إلى حيث هم يجلسون ...

كان وليد يجلس على مقعد كبير ، و هم إلى جانبه ... لا أظن أن أحدا انتبه لوجودي ! وقفت عند مدخل الغرفة أراقبهم و جميعهم مسرورون و أنا تعيسة!

بعد قليل ، أمي قالت فجأة:

"أتشمون رائحة شيء يحترق ؟؟"

الشيء الذي قفز إلى رأسي هو المقعد الذي يجلسون عليه ! ربما احترق من حرارة وليد!

و بالفعل شممت الرائحة!

"إنها قادمة من هناك" !

و أشارت والدتي نحوي ... طبعاً كانت تقصد من خارج الغرفة إلا أنني ألقيت نظرة سريعة على  
ملابسي لأتأكد من أنها لا تقصدني !

وقفت أُمي وكذلك وقف الجميع ، و أقبلت هي مسرعة قاصدة التوجه نحو المطبخ...

لم تجد ما يحترق هناك ... ثم سمعت صوتها تنادي بقوة:

"رغد تعالي إلى هنا"

ذهبت إليها ، كانت في غرفة الملابس ... تفصل سلك المكواة عن مقبس الكهرباء!

صحت:

"أوه ! يا إلهي" !

و أسرعت إلى الفستان الذي نسيت المكواة فوقه و خرجت مسرعة لاستقبال وليد!

"انظري ما فعلت ! سترتدينه الليلة محروقاً بهذا الشكل" !

أخذت الفستان و جعلت أدقق النظر في البقعة المحروقة ، و أعض شففتي أسفاً و حسرة ...

"ماذا سأفعل الآن؟؟"

قلت بيأس ... فأجابت أُمي بغضب:

"ترتدينه محروقاً ! فنحن لم نشتره لنرميه"

عند هذا الحد ... و لم أتمالك نفسي...

و انخرطت في بكاء شديد رغماً عني...

في نفس اللحظة التي كانت أمي تغادر فيها الغرفة كان البقية مقبلين يتساءلون عما حدث و ما احترق

...

والدي قال:

"ماذا حصل؟؟"

أمي أجابت باستياء:

"تركت فستانها يحترق ! و قبل قليل كسرت الأطباق ! لا أعرف متى ستكبر هذه الفتاة "

كان الأمر سيغدو مختلفا لو أن وليد لم يكن موجودا يرى و يسمع...

كم شعرت بالحرج و الخجل ...

إنني لست طفلة و مثل هذه الأمور لم تكن لتحدث لو أنني لم أكن مضطربة و مشتتة هذا اليوم ... كما

و أن أمي لم تكن لتصرخ بوجهي هكذا لو لم تكن هي الأخرى مضطربة و قلقة ، بسبب الليلة...

رميت بالفستان جانبا و أسرعت الخطى قاصدة الهروب و الاختفاء عن الأنظار...

كان وليد يقف عند الباب و يسد معظمه ، و حين وصلت عنده لم يتحرك...

كنت أنظر إلى الأرض لا أجرؤ على رفع نظري إلى أي منهم ، إلا أن بقاء وليد واقفا مكانه دون أن

يتزحزح جعلني أرفع بصري إليه....

الدموع كانت تغشي عيني عن الرؤية الواضحة ...

وليد نظر إلي نظرة عميقة دون أن يتحرك...

"إذا سمحت" ...

قلت ذلك ، فتنحى هو جانبا ، و انطلقت أسير بسرعة نحو غرفتي...



في غرفتي ، أطلقت العنان لدموعي لتفيض بالقدر الذي تريد  
كان يومي سيئا ! كم كنت سعيدة في البداية !  
و الآن...

حزينة ... محرجة ... مجروحة خاطر ... مخذولة ...  
بدموع جارية ... و قلب معصور ... و فستان محروق ! و بلا حلي!

أكثر ما أثر بي ... هو الاستقبال البليد الذي استقبلني به وليد ...  
و أنا من كنت أحترق شوقا لرؤيته!

غمرت و سادتي البريئة من أي ذنب بالدموع الحارة المألحة ... و بقيت حبيسة الألم و الغرفة فترة  
طويلة....

بعد مدة سمعت طرق الباب ... قمت بتململ و فتحته ، فرأيت أمي...

تحاشيت النظر إليها ، فأنا خجلة منها و لست مستعدة لتلقي أي توبيخ هذه الساعة...

أمي قالت:

"رغد ! على الأقل ابدئي الاستعداد ! ألم تستحي بعد ؟؟"

وجدت نفسي أقول بغضب و انفعال:

"لن استحم ، و لن أحضر معكم و سأنام حتى الغد"

أمي صمتت قليلا ثم قالت بنبرة عطوفة:

"يا عزيزتي لم أقصد توبيخك ، لكنك تتصرفين بشكل غريب اليوم ! هيا ابدئي الاستعداد " ...

رفعت رأسي إليها و قلت:

" بم ؟ لا فستان ولا حلي " !

تنهدت أمي و قالت:

" ارتدي أي شيء ! ما أكثر ما لديك "

لم اقتنع ، فأنا أريد أن أظهر جديدة في كل شيء الليلة ! أليست ليلة مميزة؟ إنه عقد قران أختي دانه !

قلت:

" لن أحضر دون فستان جديد و مجوهرات ! دعوني أبقى في غرفتي فهذا أفضل و متى ما انتهيتم سأساعدكم في تنظيف المنزل "

و بكيت

بكيت بشدة ، و ليس سبب بكائي هو الفستان أو الأواني المكسورة ! إنه قلبي الذي يعتصر ألما من تجاهل وليد لي بهذه الطريقة!

لماذا فعل ذلك ؟؟

ألم أعد مهمة لديه ؟؟

ألم يعد بالأا يسمح لدموعي بالانهيار ؟؟

إنه الذي يفجرها من عيني بغزارة هذه اللحظة...

أعرف أن أمي تحبني و تدلني ، مثل أبي ... و هذا ما اعتدته منهما ... لذلك حين قالت:

" حسنا ... اذهبي بسرعة مع أبيك لشراء شيء مناسب على عجل "

لم أفاجأ ، بل مسحت دموعي مباشرة خصوصا و هي تنظر إلى الساعة بقلق...

أخرجت حقيبتي من أحد الأدراج ... و قلت:

"لا أملك مبلغا كافيا "

ذهبت أمي و عادت بعد قليل تحمل بعض الأوراق المالية ، و قالت:

"سأخبر أبك كي يشغل السيارة ، أسرعي رغد"

و ذهبت ، و ارتديت عباءتي و خرجت بعدها...

و فيما أنا أجتاز الردهة ، إذا بها مقبلة نحوي تقول:

"لا فائدة يا رغد لقد خرج والدك " !

كان والدي مشغولا طوال اليوم ، و ها قد غادر من جديد ...

أطلقت تنهيدة يأس مريرة و رميت بالحقيبة جانبا و قلت:

"قلت لك أنني لن احضر ... دعوني و شأني "

و أوشكت على البكاء

أمي قالت:

"قد يعود بعد قليل " ...

لكنني كنت قد فقدت الأمل!

جلست على المقعد و أسندت خدي إلى يدي في أسي...

"أيمكنني فعل شيء ؟؟"

كان هذا صوتا رجاليا جعلني أسحب يدي فجأة من تحت خذي فينحني رأسي للأسفل ثم يرتفع للأعلى...

لأعلى...

لأعلى!

العملاق وليد!

أمي و وليد تبادلنا النظرات ، ثم قالت أمي:

"ننتظر أن يعود والدك ليصحبها إلى السوق" !

قال:

"لدي سيارة ... إذا كان الأمر طارئا" ...

الأشياء الغريبة الثلاثة بدأت تجري في داخلي و تتسابق!

أمي قالت:

"أنت ... قدمت لتوك ! اذهب و نم قليلا في غرفة سامر" ...

"لست متعبا جدا"

... "ثم أنك لا تعرف المنطقة" !

قال و هو ينقل بصره بيني و بين أمي:

"لكنكما تعرفان" !

أي نوع من الأفكار تعتقدون أنني رأيتها؟؟

مجنونة !

قالت أمي بتردد:

"إنني مشغولة في المطبخ"

فاستدار وليد إلي و قال:

"و أنتِ ؟ أ تحفظين الطريق؟؟"

ربما كان سؤاله عاديا

أو ربما استهانة بي ! فهل أنا طفلة صغيرة لا أعرف الطرق؟؟

قلت:

"نعم ! طبعاً"

ثم نظرت إلى أمي أحاول قراءة رأيها من عينيها...

أمي بدت مترددة ... لكنها قالت بعد ذلك موجهة كلامها لي أنا:

"ما رأيك رغد؟؟"

أنا أقرر قبل أن أفكر في أحيان ليست بالقليلة ! قلت:

"حسناً"

و وقفت و سحبت حقيبتتي...

التفتت أمي نحو وليد و قالت:

"انتبه لها"

وليد دخل إلى غرفة المعيشة و أحضر مفتاح سيارته ، و الذي كان قد تركه على المنضدة...

تقدمت نحو باب المنزل و وقفت في انتظاره ، حتى إذا ما أقبل فتحت الباب و خرجت قبله!

خطواتي أنا قصيرة و بسيطة ، كيف لها أن تضاهي خطواته الواسعة الشاسعة!؟

سبقني و خرج من البوابة الخارجية لفناء المنزل ... و سمعت صوت باب سيارة ينفتح...

ما إن خرجت من البوابة ، حتى وقعت عيناى على سيارة وليد ... نفس السيارة التي كان يقودها منذ سنين...

المرّة الأخيرة التي ركبت فيها هذه السيارة كانت في أسوأ أيام حياتي...

شعرت بقشعريرة شديدة تجتاحني و ثبت في مكاني و لم أجرؤ على المضي خطوة للأمام...

وليد شغل السيارة و انتظرني ... و طال انتظاره!

التفت نحو الباب فوجدني واقفة هناك بلا حراك

ضغط على بوق السيارة لاستدعائي لكنني لم أتحرك

الشيء الذي تحرك هو شريط الذكريات القديمة البالية ... الموحشة البائسة ... التي طردتها من خيالي عنوة...

وليد فتح الباب و خرج من السيارة و نظر باتجاهي و قال:

"ألن تذهبي؟؟"

تحركت قدماي دون إدراك مني و اقتربت من السيارة

مددت يدي فإذا بها تلقائيا تتوجه إلى الباب الأمامي ، فأجبرتها على الانحراف نحو الباب الخلفي ،  
فتحتته و جلست على المقعد الخلفي

فيما وليد يجلس في المقدمة و إلى اليسار مني ... يكاد شعره الكثيف يلامس سقف السيارة !

عندما كنا صغارا ، أنا و دانة ... كنا نتشاجر من أجل الجلوس على المقعد الذي أجلس خلفه مباشرة  
الآن!

وليد انطلق بالسيارة نحو الشارع الرئيسي ثم سألني و هو يراقب الطريق:

"أين نتجه؟"

سار وليد ببطء نسبيا يسألني عن الطرق و المنعطفات ، و أرشده إليها حتى بلغنا المكان المطلوب.

كان سوقا صغيرا مليئا بالناس...

أوقف وليد السيارة ، ففتحت الباب و خرجت و تقدمت للأمام

وليد لم يخرج ، و سمعت صوته عبر نافذة الباب الأمامي المفتوحة يقول:

"كم ستبقين؟؟"

تعجبت ، فقلت و أنا أقرب وجهي من النافذة بعض الشيء:

"ألن تأتي معي؟؟"

وليد صمت قليلا ، و ربما ارتبك ، ثم قال:

"و هل يجب أن آتي معك؟؟"

قلت:

"نعم" !

قال:

"سأنتظر هنا ... هذا أفضل"

بقيت واقفة في مكاني لحظة ، فعاد يقول:

"هل يجب أن أرافقك؟؟"

قلت:

"أو تعيدني للبيت"

و تراجع للوراء و مددت يدي قاصدة فتح الباب الخلفي...

وليد فتح بابه و نزل و دار حول السيارة نصف دورة حتى صار إلى جانبي

قلت:

"من هنا"

و سرنا نحو بوابة المجمع الصغير ، هو مجمع اعتدنا أنا و دانة و أمي شراء حاجياتنا منه

حينما بلغنا المتجر المقصود ، و هو متجر للملابس ، و كان يعج بالكثيرين ، دخلته و توجهت نحو



زاوية معينة...

التفت إلى الخلف فوجدت وليد واقفا في الخارج ينظر من خلال زجاج المتجر...

عدت أدراجي إليه بسرعة ... ثم قلت :

"ألن تدخل معي؟؟"

وليد بدا مترددا حائرا ... ربما هو غير معتاد على ارتياد الأسواق !

لذا تحرك ببطء ...

لأنني قمت بزيارة المتجر يوم أمس فأنا أعرف ما يوجد و ما يناسب ، لذا لم استغرق سوى دقائق حتى اشتريت فستانا مختلفا عن فستاني المحروق !

إنه أجمل و أغلى!

حينما هممت بالمحاسبة أخرج وليد محفظته ، و دفع الثمن !

كم أنا خجلة منه ! آمل ألا يفعل ذلك في متجر المجوهرات !

لم يكن وليد يتحدث ، بل كان يسير على مقربة مني بصمت و اضطراب...

أنا أيضا كنت خرساء جدا !

أقبلنا نحو متجر المجوهرات ، و كان الآخر مزدحما بالناس ، و معظمهم سيدات

دخلناه و أخذت عيناى تفتشان عن الطقم الجميل الذي أغرمت به يوم أمس ... لم يكن موجودا في مكانه فخشيت أن تكون سيدة ما قد سبقتني بشرائه!

جلت ببصري في المتجر حتى وجدت ضالتي ، التفت للوراء فلم أجد وليد...

تلفت يمناً و يسرة و لم أجده ...

أقبل صاحب المتجر يسألني:

"ماذا أعجبك سيدتي؟"

أسرعت مهرولة نحو الباب و نظرت من حولي فوجدت وليد واقفا يتأمل بعض التحف المعروضة في متجر مجاور...

"وليد"

نادينه و أنا مقبلة إليه أحث الخطى...

التفت إلي:

"هل انتهيت؟"

"لا"

تعجب ! و قال:

"إذن؟؟"

قلت:

"لا تبتعد عني"

بقي متعجبا برهة ثم أقبل معي و عدنا لذلك المتجر...

اشتريت الطقم الباهظ الثمن و حين سمع وليد بالسعر اضطرب قليلا

فتح محفظته ليلقي بنظرة على ما بداخلها إلا أنني أسرعت بإخراج النقود من حقيبتي و دفعتها إليه

قبل أن نغادر المتجر قال وليد:

"أي شيء يصلح هدية صغيرة لدانة؟ فأنا لا أعرف ماذا تحب!"

أما أنا فأعرف ماذا تحب!

اعتقد أن الرجال لا يختارون كثيرا في اختيار هدية لامرأة! لأن المجوهرات موجودة دائما... و تتجدد دائما... و غالية دائمة... و نعشقها دائما!

اخترت شيئا جميلا و بسيطا ، و معتدل السعر ، فاشترته وليد دون تردد

خرجنا بعد ذلك من المتجر متجهين نحو البوابة ، و أثناء ذلك عبرنا على أحد محلات الأحذية الرجالية فقال وليد:

"سألقي نظرة"

و سار خطى سريعة نحو المدخل...

كان في المتجر عدد من الرجال و الأطفال ...

و أنا أرى وليد يبتعد ... و يهم بدخول المتجر ... و المسافة بيننا تزداد خطوة بعد خطوة ... و الناس يتحركون من حولي ... ذهابا و إيابا...

و رجال يدخلون ... و رجال يخرجون ... و وليد يكاد يختفي بينهم ، ناديت بصوت عال:

"وليد"

و رغم الازدحام و الضوضاء الصادرة من حركة الناس و كلامهم ، سمعني وليد فالتفت إلي ...

أنا أسرعت الخطى المضطربة باتجاهه ... وهو اقترب خطوتين ... و حين أصبحت أمامه قلت:

"لا تتركني وحدي"

وليد يعلوه الاستغراب ، قال مبررا:

"سألقي نظرة سريعة فحسب ... لدقيقة لا أكثر"

عدت أقول:

"لا تتركني وحدي"

عدل وليد عن فكرة إلقاء تلك النظرة ، و قال:

"هل تريد شيئا آخر؟؟"

قلت:

"كلا"

قال:

"إذن ... هيا بنا"

عندما عدنا إلى المنزل ، و قبل أن يفتح لنا الباب بعد قرع الجرس ، التفت إليه و قلت:

"شكرا ... وليد"

لكن أذهلني الوجوم المرسوم على وجهه!

كأنه مستاء أو أن مرافقتي قد أزعجته

إنني لم أطلب منه ذلك بل هو من عرض المساعدة !

دخلنا إلى الداخل ، فتوجه هو تلقائيا نحو المطبخ ، فسرت خلفه...

والدتنا كانت لا تزال منهمكة في العمل ، حين رأتنا بادرت بسؤالي:

"هل وجدت ما أردت؟؟"

و أخذت تنظر إلى الكيس الذي أحمله...

"نعم"

و فتحت الكيس ، و أخرجت منه كيسا آخر صغير يحتوي على علبة المجوهرات ...

ما أن رأتها أمي حتى هزت رأسها اعتراضا و استنكارا ... فهي لم تكن تشجعني على شراء المزيد ، فقلت بسرعة مبررة:

"إنه طقم رائع جدا ! انظري" ...

و قربته منها فتأملته و قالت:

"نعم رائع و لكن" ...

لم تتم الجملة ، بل قالت:

"و لكنك اشتريته على أية حال" !

ابتسمت ابتسامة النصر!

و التفت نحو وليد الذي كان يتابع حديثنا و قلت:

"أليس رائعا ؟ ما رأيك ؟؟"

وليد بدا مضطربا بعض الشيء ، ثم قال:

"لا أفهم في هذه الأمور ، لكن ... نعم رائع "

و توجه نحو أحد المقاعد و جلس باسترخاء...

أمي قالت:

"بني ... اذهب و استرخ في غرفة سامر لبعض الوقت ! إنك مجهد"

الآن وليد ينظر باتجاه والدتي ، و لا أقع أنا في مجال الرؤية لديه ... باستطاعتي أن ادقق النظر في أنفه المعقوف دون أن يلاحظ!

ما حكاية هذا الأنف يا ترى ؟!

أخذت أتخيل شكل وليد قبل أن يسافر ... كم يبدو مختلفا الآن !

"رغد ألن تستعدي ؟؟"

انتبهت على صوت والدتي تكلمني ، أجبت باضطراب و كلي خشية من أن تكون شاهدتني و أنا أتأمل ذلك الأنف!

"حاضر ، نعم سأذهب "

و انطلقت نحو غرفتي...

~ ~ ~ ~ ~ ~ ~ ~ ~ ~

بعد أن غادرت رغد ، هممت بالذهاب إلى غرفة أخي سامر و تأدية الصلاة ثم الاسترخاء لبعض الوقت

...

إنني متعب بعد مشوار الحضور الطويل

نظرت إلى فتحة الباب لأتأكد من أن رغد قد ابتعدت ، ثم قلت:

"أمي ... لم كانت رغد تبكي؟؟"

أمي كانت تزين قالب الكعك بطبقة من الشيكولا ، و كانت الكعكة شهية المنظر !

قالت أمي:

"لأنها أحرقت فستانها كما رأيت ! تصور ! لقد اشترته يوم أمس بمبلغ محترم" ! ...

صمت برهة ثم قلت :

"و الآخر أيضا غال الثمن ، و حتى هذا الطقم"

ابتسمت والدتي و قالت:

"إنها تبذر النقود ، هذا أحد عيوبها " !

أوه هكذا ؟ جيد! ...

لقد عرفت شيئاً جديداً عن طفلي ... أصبحت مبذرة للمال أيضاً ؟؟ و ماذا بعد ...؟؟

قلت بتردد:

" هل ... هل ... تحسنون معاملتها ؟؟ "

رفعت أمي بصرها عن الكعكة و نظرت نحوي باستغراب ... ثم قالت:

" طبعاً ! بالتأكيد ! بل إننا ... ندللها كثيراً ! "

تنهدت بارتياح نسبي ، و عدت أقول:

" إذن ... لماذا كانت تبكي ؟؟ "

أمي تعجبت أكثر ، و قالت:

" قلت لك ... بسبب الفستان ! "

قلت:

" لا أُمي ... أعني قبل ذلك "

" قبل ذلك ؟؟ "

" عندما خرجت لاستقبالي فور وصولي ... "



في غرفة أخي سامر ، و الذي سيصل بعد قليل قادما من المدينة الأخرى حيث يعمل ، اضطجعت على السرير و سبحت في محيط لا نهائي من الأفكار...

الشيء الذي أثار قلقي هو الطريقة التي وبخت فيها والدتي رغد بعد وصولي بقليل ...

فهل حقا يحسن الجميع معاملتها و يدللها؟؟

لم أتحمل رؤيتها تبكي ...

عندما كنا في منزلنا القديم ، لم أكن لأسمح لأحد بأن يحزنها بأي شكل من الأشكال ، مهما فعلت

كانت دانه دائما تتشاجر معها أو تضربها ، و كنت دائما أقف في صف صغيرتي ضد أي كان... ترى ... هل تذكر هي ذلك؟؟ أم أنني أصبحت من الماضي المنسي ... و الأحلام الوهمية ... و الذكريات المهجورة؟؟

حاولت النوم و لم استطع ، لذا عدت إلى غرفة المعيشة فوجدت والديّ و رغد هناك...

تبادلنا بعض الأحاديث عن عريس دانه ، و هو لاعب كرة ذاع صيته و اشتهر في الآونة الأخيرة ...

قلت:

" و لكن ألا تفكر في متابعة دراستها؟ إنها لا تزال صغيرة على الزواج " !

قال أبي:

" لا تريد الدراسة ، و هو عريس جيد ! كما و أنها في سن مناسب ! فليوفقهما الله " !

لحظات و إذا بسامر يحضر ، و يحظى بترحيب لا يقل حرارة عن ترحيبهم بي...

بدأ سامر بأكبرنا ، ثم حين جاء دوري ، صافحني بحرارة و شوق كبيرين جدا ... و أطال عناقي  
الأخوي...

أشعرتني هذا بقربه مني ، بعدما فرقت السنين بيننا ... و بأنتي لازلت أملك عائلة تحبني و ترغب في  
وجودي في أحضانها...

شيء رفع من معنوياتي المتدهورة

لكن...

سرعان ما انحطت هذه المعنويات و اندفنت في لب الأرض تحت آلاف الطبقات من الحجر و الحديد و  
الفولاذ ، حين أقبل إلى رغد يصافحها و يضمها إلى صدره و يقبل جبينها بكل بساطة...

لو كنت بركانا ... أو قنبلة ... أو قذيفة نارية ، لكنت انفجرت لحظتها و دمرت كوكب الأرض  
بأسره و نسفته نسفا و حولته إلى مسحوق غبار

لكنني كنت وليد

أو بالأصح...

شبح وليد ...

ما الذي دعاني لتمالك نفسي؟؟ لا أعرف...

لقد كان باستطاعتي أن أحطم رأس أي مخلوق يقف أمامي شر تحطيم

و لو ضربت الجدار بقبضتي هذه لسببت زلزالا مدمرا و لهوى السقف و قضى علينا جميعا ...

لكنني اكتفيت بان أحفر أسناني من شدة الضغط ، و أمزق أوتار يدي من قوة القبض...

ليت أمي لم تلدك يا سامر

ليتك تتحول إلى أي رجل آخر في العالم ، لكنك استأصلت روحك من جسدك و مزقتك خلية خلية ...

"أين العروس؟؟"

سأل أخي و هو لا يزال ممسكا بيد رغد ...

"في غرفتها ! تتزين !"

قالت رغد ، فقال:

"سأذهب لرؤيتها"

و شد رغد يحثها على السير معه ... و ذهب الاثنان و غابا عن ناظري...

ليتنني لم أعد

أي جنون هذا الذي جعلني أعود فاحترق؟؟ إنني أكاد انفجر

هل يحس أحد بي؟؟

سمعت أمي تقول:

"ما بك وليد ؟ أ أنت متعب بني؟؟"

متعب؟؟

فقط متعب؟؟

ابتعدوا عني و إلا فأنتي سأحرقكم جميعا!

رمىت بجسدي المشتعل على المقعد و أخذت أتنفس بعمق أنفاس متلاحقة عل الهواء يبرد شيئاً مما في داخلي

مرت لحظة صامته إلا عن تيار الهواء المتلاعب في صدري

أمي و أبي لا يزالان واقفين كما هما ... و أنا أشعر بحر شديد و أكاد أختنق....

رفعت رأسي فإذا بهما يراقبانني ... أظن أن وجهي كان شديد الاحمرار و يتصبب عرقا...

القلق كان باد على وجهيهما

قلت:

"الجو حار" ...

أمي سارت نحو المكيف و زادت من قوة دفعه للهواء ...

التفت إلى أبي و قلت:

"و هذان؟؟ متى ارتبطا؟؟"

لم يجب أبي مباشرة ، ثم قال:

"عقدنا قرانهما قبل ما يزيد عن السنوات الثلاث"

مزيد من الاحتناق و الضيق ... كأن الهواء قد سحب من الغرفة تماما ...

قلت:

"ألا ترى يا والدي أنهما لا يزالان صغيرين؟ على الأقل رغد... صغيرة جدا"

أبي قال:

"إننا لن نزوجهما قريبا على أية حال، فرغد تود الالتحاق بالجامعة أولا ولا أدري إن كان سامر سيفلح في إقناعها بغير ذلك"

أثارت الجملة اهتمامي، قلت:

"غير ذلك؟؟"

قالت أمي:

"قد نزوج الثلاثة في ليلة واحدة قريبا!"

وابتسمت، ثم قالت:

"و يأتي دورك!"

وقفت مساءً، ويممت وجهي شطر المطبخ فأنا أحس بعطش شديد و بحاجة لنهر كامل ليرويني و يخمد نيراني... و تركت والدي في حيرة من أمرهما...

~ ~ ~ ~ ~ ~ ~ ~

تم عقد القران و انتهت الليلة بسلام أخيرا!

لقد بذلت جهودا مضاعفة في تنظيف المنزل بعد مغادرة الضيوف!

أما دانه فكان القلم مرفوعا عنها هذا اليوم!

طلبت من أمي أن تذهب للراحة و توليت أنا ، مع سامر تنظيف الأطباق...

أما الرجل الناري فلا علم لي بأي أرض يحترق هذه الساعة!

كنت واقفة أمام صنبور الماء البارد أغسل الأطباق ، و سامر إلى جانبي...

سألته:

"كيف بدا العريس؟؟"

أجاب:

"مهذبا و خلوقا و بشوشا" !

قلت:

"لا يعجبني" !

ابتسم سامر و قال:

"و لكن لم؟؟"

أجبت:

"لا أعرف ! لكنني أجده ثقيل الظل ! إنه مغرور و يتحدث عن نفسه بزهو و خيلاء أمام الكاميرات

! كيف تتحمل دانه زوجا كهذا؟؟"

سامر ضحك ، فضحكت معه...

قال :

"ليس المهم رأيك أنت به ! المهم رأي العروس به " !

ثم غير نبرة صوته حتى غدت أكثر لطفًا و رقة ، و قال:

" و رأيك بي أنا " ...

ارتبكت .. و اضطربت تعبيرات وجهي ، و أخفيت نظراتي في حوض الغسيل!

وصلنا هذه اللحظة صوت حركة عند الباب ، فالتفتنا للخلف فإذا به وليد...

و صدقوني ، شعرت بماء الصنبور يحرقني !

تبادلنا النظرات...

قال وليد:

" هل لي بلحاف ؟ سأنام في غرفة الضيوف "

نظف سامر يده و استدار نحو وليد قائلاً:

"أوه كلا يا أخي ، بل ستنام في غرفتي و على سريرتي ، سأنام أنا على الأرض أو في غرفة الضيوف  
أو أي مكان " !

لم يظهر على وليد أنه يرحب بالفكرة أو حتى سماعها !

قال:

"أريد لحافًا لو سمحت "

كان وجهه جامدًا صارمًا ، و رغم أن سامر كان يبتسم ، ألا أن وليد كان عابسًا ...

قال سامر:

"أرجوك استخدم غرفتي ! أنا سأسافر بعد الغد على أية حال"

قال وليد:

"و أنا كذلك . هل لا أحضرت لحافا الآن؟؟"

وليد شخص غريب ... نعم غريب!

نحن لا نعرفه ! و لا نعرف كيف هي طباعه و لا كيف كانت حياته في الخارج ... ربما كان صارما جدا ... قلما رأيتته يبتسم مذ عودته !

انتهى الأمر بأن نام وليد في غرفة الضيوف ، على المقعد الكبير ، الذي نمت عليه ذلك اليوم !  
أتذكرون؟؟

توقعت أن أجد صعوبة في النوم ... طالما تفكيري مستعمر من قبل وليد ... ألا أنني نمت بسرعة مذهشة!

في اليوم التالي ، اجتمعت العائلة في غرفة الطعام لتناول الفطور الصباحي ، في ساعة متأخرة من الصباح !

أعددتنا الأطباق في غرفة المائدة ، و جاء الجميع ليتخذوا مقاعدهم...

كالعادة جلس والداي على طرفي المائدة ، و دائرة إلى يمين أبي ، و سامر إلى يساره ، و هممت بالجلوس على مقعدي المعتاد يمين أمي ، لكنني انتظرت وليد...

وليد حرك ذات المقعد و قال:

"مقعدك" ...



و تركه و ذهب للجهة المقابلة و جلس إلى يسار أمي...

جلست أنا على مقعدي المعتاد ، و صار وليد مواجهها لي ... وضع يسمح للأشعة المنبعثة من ناحية  
لاختراقي مباشرة !

فجأة ، وقف وليد ... و خاطب دانة قائلاً:

"هل لا تبادلنا؟؟"

و تبادلنا المعقدين...

ربما رأى الجميع هذا التصرف عاديا ... و فسروه بأن وليد يرغب بالجلوس قرب والده .... أو أي  
تفسير آخر ... ألا أنني فسرتة بأن وليد لا يرغب في الجلوس مقابلا لي ...

صار هذا الوضع هو الوضع الذي نجلس عليه خلال الأيام التي قضاها وليد معنا...

وليد كان يلتزم الصمت ، و أنا أريد أن أسمع منه أخباره ، و لا أجرؤ على طرح الأسئلة عليه ...

بين لحظة و أخرى ، ألقى نظره باتجاهه ، لكن أعيننا لم تلتق مطلقا...

بعد الفطور ، ذهب الجميع إلى غرفة المعيشة ، والدي يطالع الصحف و سامر يقلب قنوات التلفاز ، و  
دانه شاردة الذهن ... فيما وليد و أمي يتبادلان الحديث ، يشاركهما البقية بتعليق أو آخر من حين  
لآخر

تركنا الجميع كما هم ، و ذهبنا إلى غرفة الضيوف لرفع اللحاف و ترتيب ما قد يكون مضطربا...

دخلت الغرفة ، فوجدت اللحاف مطويا و موضوعا على المقعد الكبير ، و على المنضدة المجاورة وجدت  
سلسلة مفاتيح وليد ، و محفظته...

مشيت بخفة حتى صرت أمام المنضدة و جعلت أحرق في المحفظة بفضول!

و انتقل فضولي من عيني إلى يدي ، فمددتها و نظرت من حولي لأتأكد من أن أحدا لا يراقبني!

انفتحت المحفظة المثنية ، فظهرت بطاقة وليد الشخصية و فيها صورة حديثة له !  
بأنفه المعقوف!

و الآن ... ما هي الفكرة المجنونة التي قفزت إلى رأسي ؟  
سأرسمه!

لم أدع أي فرصة لعقلي ليفكر ، و أخذت المحفظة و طرت مسرعة إلى غرفتي

و بدأت أرسم رسمة سريعة خفيفة لمعالم وجهه و أنظر للساعة في وجس و خوف ...

ما أن انتهيت ، حتى أسرعت الخطى عائدة بالمحفظة إلى غرفة الضيوف ... و توقفت فجأة و اصفر وجهي و ارتجفت أطرافي ... حين رأيت وليد في الغرفة مقبلا نحو الباب ، يحمل في يده سلسلة المفاتيح...

أول شيء وقعت عينا وليد عليه هو محفظته التي تتربع بين أصابع يدي !

رفع وليد بصره عن المحفظة و نظر إلي ، فأسرعت بدفن أنظاري تحت قدمي قال باستنكار:

"أظن أنها ... تشبه محفظتي المفقودة تماما" !

ازدردت ريقني و تلعثمت الكلمات على لساني من شدة الحرج و الخجل...

قال وليد:

"خائنة ... مبدرة ... و ماذا بعد ؟ هل تسرقين أيضا ؟؟"

رفعت نظري إليه و فغرت فاهي بذهول ... من هول ما سمعت!

الحلقة السادسة عشر

لقد قضيت خمسة أيام في بيت عائلتي ، كان يمكن أن تكون من أجمل أيام حياتي ... لكنها كانت من أسوأها

كنت أود الرحيل عنهم في أقرب فرصة ، لكنني اضطررت كارها للبقاء بإلحاح من أبي و أمي

سامر غادر يوم الجمعة ، و قد ودعته وداعا باردا ... و غادرت أنا صباح الثلاثاء التالي باكرا.

خلال تلك الأيام الخمسة...

كنت أتحاشى الالتقاء برغد قدر الإمكان و لا أنظر أو أتحدث إليها إلا للضرورة و هي الأخرى ، كانت تلازم غرفتها معظم الوقت و تتحاشى الحديث معي ، خصوصا بعد أن قلت لها:

"هل تسرقين؟"

اعترف بأنني كنت فظا جدا ألا أنني لم أجد طريقة أفضل لأعبر بها عن غضبي الشديد و مرارتي لفقدتها

في آخر الأيام ، طلبت مني والدتي اصطحاب رغد إلى المكتبة لتشتري بعض حاجياتها.

لم أكن لأفعل ذلك ، غير أنني شعرت بالحرج ... إذ أن والدي كان قد عاد قبل قليل من العمل و يسترخي ... فيما أنا أنعم بالراحة و الكسل ، دون مقابل... و ربما كان ذلك ، نوعا من الاعتذار ...

في ذلك اليوم كان نوار في زيارة مطولة لشقيقتي ، و مدعو للعشاء معها!

ذهبنا أنا و رغد إلى تلك المكتبة العظمى المترامية الأطراف...

رغد توجهت إلى الزاوية الخاصة ببيع أدوات الرسم و التلوين و خالفها ... و بدأت تتفرج و تختار ما تريد...

و على فكرة ، علمت أنها رسامة ماهرة...  
لكم كانت تعشق التلوين منذ الصغر !

أخذت أتفرج معها على حاجيات الرسم و التلوين ... ثم انعطفت في طريقي ، مواصلا التفرج ... و لم يعد باستطاعتي رؤية رغد أو باستطاعتها رؤيتي

شغلت بمشاهدة بعض الرسوم المعلقة أعلى الحائط و ما هي إلا ثوان حتى رأيت رغد تقف بجواري!

قلت:

"رسوم جميلة" !

"نعم . سأشتري الألوان من هناك"

و أشارت إلى الناحية الأخرى التي قدمنا منها ... فعدت معها ...  
انهمكت هي باختيار الألوان و غيرها ، فسرت أتجول و أتفرج على ما حولي حتى بلغت زاوية أخرى فانعطفت...

مضت ثوان معدودة ، و إذا بي أسمع صوت رغد يناديني مجددا...

استدرت للخلف فرأيتها تقف قربي!

و بيني و بينها مسافة بضعة خطوات

تخيلت أنها تريد قول شيء ، فسألتها:

"هل انتهيت؟؟"

قالت:

"لا"

تعجبت !

قلت :

"إذن ؟؟"

قالت :

"لا تبتعد عني"

يا لهذه الفتاة!

قلت :

"حسنا" !

و مضيتُ معها إلى حيث كانت أغراضها موضوعة على أحد الأرفف  
رأيتها تأخذ أغراضا أخرى كثيرة ، فتلفت من حولي بحثا عن سلة تسوق ، و لم أجد . ذهبت لأبحث  
عن سلة فإذا بي أسمعها تناديني :

"وليد"

قلت :

"سأحضر سلة لحمل الأغراض"

فإذا بها تترك ما بيدها و تأتي معي !

عدنا مجددا للأغراض ، و تابعت هي اختيار ما تشاء، و تجولت أنا حتى بلغت ناحية الكتب ...

الكثير من الكتب أمام عيني !

يا له من بحر كبير ! كم أنا مشتاق للغطس في أعماقه!  
لم أكن قد قرأتُ كتابا منذ مدة طويلة ... أخذت أنفرج عليها و أتصفح بعضها ... و انتقل من رف إلى آخر ، و من مجموعة إلى أخرى ... حتى غرقت في البحر حقا!

كانت أرفف الكتب مصفوفة على شكل عدة حواجز تقسم المنطقة...  
و الكثير من الناس ينتشرون في المكان و يتفرجون هنا أو هناك...

دقائق ، و إذا بي أسمع صوت رغد من مكان ما!  
كان صوتها يبدو مرتبكا أو قلقا ... لم أكن في موقع يسمح لي برؤيتها ... فسرت بين الحواجز بحثا عنها و أنا أقول:

"أنا هنا "

و لم أسمع لها صوتا!  
أخذتُ ألقى نظرة بين الحواجز بحثا عنها  
ثم وجدتتها بين حاجزين...

"أنا هنا" !

حينما رأتهني رغد أقبلت نحوي مسرعة تاركة السلة التي كانت تحملها تقع على الأرض و حين صارت أمامي مباشرة فوجئت بها تمسك بذراعي و ترتجف !

كانت فزعة!!

وقفت أمامي ترتعش كعصفور مذعور!

نظرت إليها بذهول ... قلت:

" ما بك ؟؟ "

قالت و هي بالكاد تلتقط بعض أنفاسها:

"أين ذهبت؟"

أجبت:

"أنا هنا أتفرج على الكتب ... ! ما بك؟؟"

رغد ضغطت على ذراعي بقوة ... و قالت بفرع:

"لا تتركني وحدي"

نظرتُ إليها بشيء من الخوف ، و القلق ... و الحيرة ...

فقال:

"لا تدعني وحدي ... أنا أخاف"

لكم أن تتصوروا الدهول الذي علاني لدى سماعي لها تقول ذلك ... و رؤيتها ترتجف أمام عيني بذعر

...

لقد ذكرني هذا الموقف ، باليوم المشؤوم ...

قلت :

"أ أنتِ ... بخير؟؟"

فعدت تقول:

"لا تتركني وحدي ... أرجوك" ...

لم يبدو لي هذا تصرفا طبيعيا ... توترتُ خوفا و قلنا ... و تأملتها بحيرة...

سرنا باتجاه السلة ، فأردت سحب ذراعي من بين يديها لحمل السلة و إعادة المحتويات إلى داخلها  
... لكنها لم تطلقها بسهولة ...

و عوضا عن ذلك تشبثت بي أكثر ثم بدأت بالبكاء...

لم يكن موقفا عاديا ، لذا فإن أول شيء سألت أمي عنه بعد عودتنا للبيت:

"ما الذي جعل رغد تفزع عندما تركتها في المكتبة و ابتعدت قليلا؟؟"

أمي نظرت إلي باهتمام ... ثم قالت:

"ماذا حدث؟؟"

"لا شيء ... ذهبت ألقى نظرة على الكتب و بعد دقائق وجدتها ترتجف ذعرا!"

عبس وجه والدتي ، و قالت:

"و لماذا تتركها يا وليد ؟ قلت لك ... انتبه لها"

أثار كلام أمي جنوني ، فقلت:

"أمي ... ماذا هناك ؟؟ ما لأمر؟؟"

قالت أمي بمرارة:

"لديها رهبة مرضية من الغرباء ... تموت ذعرا إذا لم تجد أحدا إلى جانبها ... إنها مريضة بذلك  
منذ سنين ... منذ رحيلك يا وليد!"

لقد صدمت بالنبا صدمة هزت كياني و وجداني ...

أخبرتني أمي بتفاصيل حدثت للصغيرة بعد غيابي ... و الحالة المرضية التي لازمتها فترة طويلة و  
الذعر الذي ينتابها كلما وجدت نفسها بين غرباء...



لم يكن صعبا علي أن أربط بين الحادث المشؤوم و حالتها هذه  
و كم تمنيت...

كم تمنيت...

لو أن عمّار يعود للحياة ... فأقتله ... ثم أقتله و أقتله ألف مرة...  
إنه يستحق أكثر من مجرد أن يقتل....

قالت أمي:

"و عندما توالى الهجمات على المنطقة ، اشتد عليها الذعر و المرض ... و وجدنا أنفسنا مضطرين  
للرحيل مع من رحل عن المدينة ... لم يكن الرحيل سهلا ، لكن العودة كانت أصعب ... قضيت معها  
فترات متفرقة في المستشفى ... لم تكن تفارقني لحظة واحدة ! بمشقة قصوى ذهب والدك و شقيقك  
لزيارتك في العاصمة ، تاركين الطفلة المريضة و أختها في رعايتي في المستشفى ، إلا أنهما منعا من  
الزيارة و أبلغا أن الزيارة محظورة تماما على جميع المساجين !"

و أمي تتحدث و أنا رأسي يدور ... و يدور و يدور ... حتى لف المجرة بأكملها  
تساؤلات كان تملأ رأسي منذ سنين ، و جدت إجابة صاعقة عليها دفعة واحدة...  
أسندت رأسي إلى يدي ...

رأيتني أمي أفعل ذلك فقالت:

"بني ... أ أنت بخير؟؟"

رفعت يدي عن رأسي و قلت:

"و لماذا ... لماذا زوجتموها لسامر و هي بذلك السن المبكر جدا؟؟"

قالت:

"لم كنت تظننا سنسلم ابنتنا؟؟ إنها تموت ذعرا لو ابتعدت عنا ... هل تتصور أنها تستطيع  
الخروج من هذا المنزل؟؟ لا تخرج في مكان عام إلا بوجود أبيك أو سامر ... كانت ستتزوج إن عاجلا

أم آجلا ... فرفعنا الحرج عنهما لبقائهما في بيت واحد"

قلت:

"لكن يا أمي ... إنها ... إنها" ....

و لم تخرج الكلمة المعنية...

أتممت:

"إنها صغيرة جدا ... ما كان يجب أن تقرروا شيئا كهذا " ...

و تابعت:

"كان يجب ... كان يجب ... إن " ...

و لم أتم...

ماذا عساي أن أقول ...؟؟ لقد فات الأوان و انتهى كل شيء...

لكن الأمور بدت أكثر وضوحا أمامي...

هممت بالذهاب إلى غرفة سامر التي أستغلها ، من أجل تنفس الصعداء وحيدا...

توقفت قبل مغادرتي لغرفة المعيشة حيث كنا أنا و أمي ...

التفت إليها و قلت:

"أ لهذا لم تخبروها بأنني دخلت السجن؟؟؟ هل أخبرتموها أنني ... لن أعود؟؟"

والدتي قالت:

"أخبرناها بأنك قد تعود ... و لكن ... بعد عشرين عاما ... و قد لا تعود " ...

كانت أمي تبكي...

بينما قلبي أنا ينزف...

قلت:

" و لكنني عدت " ...

والدتي مسحت دموعها وابتسمت ، ثم تلاشت الابتسامة عن وجهها ... و نظرت إلي باهتمام و قلق

...

قلت:

" و يجب أن أرحل "

و تابعت طريقي إلى غرفة سامر...

فضول لم استطع مقاومته ، و قلق شديد بشأنها دفعني للاقتراب من غرفة رغد المغلقة ... و من ثم

الطرق الخفيف...

"أنا وليد "

بعد قليل ... فتح الباب...

كنت أقف عن بعد ... أطلت رغد من الداخل و نظرت إلي

رأيت جفونها الأربعة متورمة و محمرة أثر الدموع

قلت:

"صغيرتي ... أنا آسف " ...

ما إن قلت ذلك ... حتى رفعت رغد يديها و غطت وجهها و أجهشت بكاء  
زلزلي هذا المشهد ... كنت أسمع صوت بكائها يذبذب خلايا قلبي قبل طبلتي أذني

قلت بعطف:

" رغد " ...

رغد استدارت للخلف و أسرع نحو سريرها تبكي بألم...

بقيت واقفا عند الباب لا أقوى على شيء ... لا على التقدم خطوة ، و لا على الانسحاب...

" رغد يا صغيرتي " ...

لم تتحرك رغد بل بقيت مخفية وجهها في وسادتها تبكي بمرارة ... و يبكي قلبي معها...

" رغد ... أرجوك كفى " ...

ثم قلت:

" توقفي أرجوك ... لا احتمل رؤية دموعك " !

و لم تتحرك رغد...

تقدمت خطوة واحدة مترددة نحو الداخل ... و نظرت إلى ما حولي بقلق و تردد...

المرآة كانت على يميني ، و حين تقدمت خطوة رأيت صورتي عليها ... و حين التفت يسارا ...  
رأيت صورتي أيضا!

فوجئت و تعلقت عيناى عند تلك الصورة!

لقد كانت رسمة لي أنا على لوحة ورقية ، لم تكتمل ألوانها بعد !

نقلت بصري بين رغد الجالسة على السرير تغمر وجهها في الوسادة ، و صورتني على الورقة!  
كيف استطاعت رسمي بهذه الدقة !؟ و بمظهري الحالي ... فأنفي محفور كما هو الآن!  
كيف حصلت على صورة لي لترسمها ، أم أنها رسمتها من خلال المرات القليلة العابرة التي نظرت  
فيها إلي! ... ؟

" يشبهني كثيرا ! أنت بارعة " !

ما إن أنهيت جملتي حتى قفزت رغد بسرعة ، و عمدت إلى اللوحة فغطتها بورقة بيضاء بسرعة و  
ارتباك !

ثم بعثت أنظارها في أشياء كثيرة ... بعيدا عني ... و أخذت تفتح علب الألوان الجديدة التي اشترتها  
من المكتبة باضطراب...

رجعت للوراء ... لم أكن أملك فكرة لما علي فعله الآن ! ماذا علي أن أفعل ؟؟  
أظن ... أن علي الخروج حالا

الجملة التي ولدت على لساني هذه اللحظة كانت:

"أحب أن أتفرج على رسوماتك" !

و لكن أهذا وقته !

رجعت خطوة أخرى للوراء و أضفت:

"لاحقا طبعاً ... إذا سمحت"

رغد توجهت نحو مكتبتها و أخرجت كراسة رسم كبيرة ، و أقبلت نحوي و مدتها إلي...  
في هذه اللحظة التقت نظراتنا  
كان بريق الدموع لا يزال يتلألأ في عينيها الحمرابين ، ينذر بشلال جارف...  
أخذت الكراسة ....  
و قلت و قلبي يتمزق:

"لا تبكي أرجوك " ...

لكن الدمعة فاضت ... و انسكبت ... و انجرفت ... تقود خلفها جيشا من الدموع المتمردة...

"رغد ... سألتكِ بالله كفى ... أرجوك " ...

"لا أستطيع أن أتغلب على ذلك ... كلهم مرعبون ... مخيفون ... أشرار ... يريدون اختطافي"

و انفجرت رغد في بكاءٍ مخيف ... هستيري ... قوي ... و ارتجفت أطرافى ذعرا و غضبا و قهرا كدت  
أصرخ بسببه صرخة تدوي السماء...

أراها أمامي كما رأيته ذلك اليوم المشؤوم ... و أضغط على الكراسية في يدي و أكاد أمزقها...  
تمنيت لو أستطيع تطويقها بين ذراعي بقوة ... كما فعلت يومها ... لكنني عجزت عن ذلك  
تمنيت لو...

لو أخرج جثة عمار من تحت سابع أرض ... و أقتله ، ثم أمزقه قطعة قطعة ... خلية خلية ... ذرة  
ذرة...

لو يعود الزمن للوراء ... لكنك قتلته في عراكي معه آخر مرة ... و لم أدع له الفرصة ليعيش و يؤذيك  
...

إنني كنتُ السببُ...

نعم أنا السبب...

و قد انتقم مني أبشع انتقام ...

و أي انتقام؟؟

ثمن بقيت أدفعه منذ ذلك اليوم ، و حتى آخر لحظة في حياتي البائسة ...

ما ذنب صغيرتي في كل هذا ...؟

خسئتُ أيها الوغد ...

هنا أقبلت أُمي التي يبدو أنها سمعت بكاء رغد ... و وقفت إلى جانبي لحظة تنقل نظرها بيني و بين

رغد ، ثم تقدمت إلى رغد

"عزيزتي؟؟"

رغد ارتمت بقوة في حضن والدتي ... و هي تبكي بألم صارخ ... و تقول بين دموعها:

"لا تتركوني وحدي ... لا تتركوني وحدي " ...

أمي طوقت رغد بحنان و أخذت تربت عليها بعطف و تهدئها ...

ثم نظرت إلى باستياء و قالت:

"لماذا يا وليد؟؟"

في غرفة سامر ، أجلس على السرير ، أقلب صفحات كراسة رغد...  
الكثير من الرسومات الجميلة... لأشياء كثيرة ... ليس من بينهم صورة لأحد أفراد العائلة غير دانة!  
صورة لها و هي صغيرة و غاضبة !  
و العديد من صور أشياء خيالية ... و أشباح !  
لا أعرف ما الذي تقصده بها...  
كانت ساعتان قد انقضتا مذ خرجت من غرفتها تاركا إياها تهدأ في حضن والدتي  
الآن أسمع طرقا على الباب

"تفضل"

و دخلت والدتي

"وليد ... العشاء جاهز"

تركت الكراسة على السرير و خرجت مع أمي قاصدين غرفة الطعام . قبل أن نصل ، همست أمي لي:

"وليد ... لا تثر ذلك الأمر ثانية رجاء!"

فأومات برأسي موافقا.

و لم أسمح لنظراتي أن تلتقي بعيني رغد أو للساني أن يكلمها طوال الوقت .

بعد ذلك ، ذهبت مع أبي نتابع آخر الأخبار عبر التلفاز ، في غرفة المعيشة

لا يزال الدمار ينتشر ... و الحرب التي هدأت نسبيا لفترة مؤقتة عادت أقوى و أعنف ... و أخذت  
تزحف من قلب البلدة إلى الجهات الأربع...

تم غزو مدينتين أخريين مؤخرا ، لم تكن الحرب قد نالت منهما حتى الآن ... و تدرج المدينة  
الصناعية التي نحن فيها الآن ، في قائمة المدن المهددة بالقصف...

كنت مندمجا في مشاهدة لقطات مصورة عن مظاهرات متفرقة حدثت صباح اليوم في مدن مختلفة من  
بلدنا .... و رؤية العساكر يضربون المدنيين و يقبضون على بعضهم...

منظر مربع جعل قلبي ينتفض خوفا ... و أثار ذكريات السجن المؤلمة المرعبة...

في هذا الوقت ، أقبلت رغد تحمل مجموعة من الكراسيات و اللوحات الورقية ، و جاءت بها إلي!

"تفرج على هذه أيضا ... هذا كل ما لدي "

وضعتُ الكراسيات على المنضدة المركزية ، و جلست رغد على مقعد مجاور لمقعدني ... تراقبني و تنتظر  
تعليقاتي حول رسوماتها الجميلة...

إن عيني كانت على الرسومات ، إلا أن أذني كانت مع التلفاز!

بعدها فرغت من استعراض جميع الرسومات قلت:

"رائعة جدا ! أنت فنانة صغيرتي ! أهذا كل شيء ؟؟"

رغد ابتسمت بخجل و قالت:



"نعم ... عدا اللوحة الأخيرة"

و أخفت أنظارها تحت أظافر يديها!

لماذا قررت رعد رسمي أنا ؟ و أنا بالذات !؟؟

إنها لم ترسم أحدا من أفراد عائلتي ... فهاهي الرسومات أمامي و لا وجود لسامر مثلا فيما بينها!

قلت:

"متى تنهينها؟"

لا زالت تتأمل أظافرها و كأنها تراهم للمرة الأولى !

قالت:

"غدا أو بعد الغد" ...

قلت:

"خسارة ! لن أراها كاملة إذا" !

رفعت رعد عينيها نحوي فجأة بقلق ، ثم قالت:

"لماذا؟"

أجبت:

"لأنني ... سأرحل غدا باكرا ... كما تعلمين" !

اختفى صوت الأخبار فجأة ، التفت إلى التلفاز فإذا به موقف ، ثم إلى أبي ، و الذي كان يحمل جهاز

التحكم في يده ، فرأيته ينظر إلي بعمق ... و إلى أمي فوجدتها متسمة في مكانها ، تحمل صينية

فناجين و إبريق الشاي...

و كنت شبه متأكد ، من أنني لو نظرت إلى الساعة لوجدتها هي الأخرى متوقفة عن الدوران!

حملق الجميع بي ... فشعرت بالأسى لأجلهم ... كانت نظرات الاعتراض الشديد تقدح من أعينهم

أول من تحدث كان أمي:

"ماذا وليد؟؟ و من قال أنك سترحل من جديد؟؟"

صمت قليلا ثم قلت:

"قلت ذلك منذ أتيت ... انتهت الزيارة و لا بد لي من العودة"

قال والدي مقاطعا:

"ستبقى معنا يا بني"

هزرت رأسي ، و قلت:

"و العمل؟؟ ماذا أفعل ببقائي هنا؟؟"

و دار نقاش طويل حول هذا الموضوع ، و بدأت أمي بالبكاء ، و رغد كذلك !

و حين وصلت دانة - و التي كانت لا تزال تتناول العشاء مع خطيبها في غرفة الضيوف ، و جاءت تسأل أمي عن الشاي ، و رأيت الوجوم على أوجهنا ثم عرفت السبب - بكث هي الأخرى!

أردت أن أختصر على نفسي و عليهم آلام الوداع .. سرعان ما قلت:

"سأخذ للنوم"

و ذهبت إلى غرفة سامر

أخذت أقلب كراسة رغد مجددا ...

كم أثارت ذكريات الماضي ... كم كانت شغوفة بالتلوين ! لقد كنت ألون معها ببساطة ! كم أتمنى لو  
... تعود تلك الأيام ...

جمعت أشياءي في حقيبة سفري الصغيرة التي جئت بها من مدينتي  
ضبطت المنبه ليوقظني قبل أذان الفجر بساعة...

كنت أريد أن أخرج دون أن يحس أحد بذلك ، لثلا تبدأ سلسلة عذاب الفراق و ألم الوداع ... كالمرّة  
السابقة...

و حين نهضت في ذلك الوقت ، تسللت بهدوء و حذر خارجا من المنزل...

كان السكون يخيم على الأجواء ... و الكون غارق في الظلام الموحش ... إلا عن إنارة خافتة منبعثة من  
المصباح المعلق فوق الباب

خرجت إلى الفناء الخارجي ، و كان علي أن أترك الباب غير موصل ... و سرت إلى البوابة الخارجية  
... فإذا بي أسمع صوت الباب يفتح من خلفي..

استدرت إلى الوراء ... فإذا بي أرى رغد تطل من فتحة الباب!

صمدت في مكاني مندهشا !

رغد أخذت تنظر إلى و إلى الحقيبة التي في يدي ... ثم تهز رأسها اعتراضا ... ثم تقبل إلي مسرعة...

"وليد ... لا ... لا ترحل أرجوك"

حرت و لم يسعفني لساني بكلمة تناسب مقتضى الحال ... سألتها:

"لم ... أنت مستيقظة الآن؟؟"

رغد حدقت بي مدة ، و بدأت الدموع تنحدر من محجريها...

"أوه ... كلا أرجوك !"

قلت ذلك بضيق ، فأنا قد خرجت في هذا الوقت خلسة هروبا من هذا المنظر...

إلا أن رغد بدأت تبكي بحدة ...

"لا تذهب وليد أرجوك ... أرجوك ... ابق معنا"

قلت:

"لا أستطيع ذلك ... أعني ... لدي عمل يجب أن أعود إليه "

وفي الحقيقة ، لدي واقع مريع أمامي ... علي أن أهرب منه...

رغد تهز رأسها اعتراضا و استنكارا ... ثم تقول:

"خذني معك"

ذهلت لهذه الجملة المجلجلة ! و اتسعت حدقتا عيني دهشة...

رغد قالت:

"أريد أن أعود إلى بيتنا"

"رغد" !!

دخلت رغد في نوبة بكاء متواصل ، خشيت أن يخترق صوتها الجدران فيصل إلى البقية و يوقظهم ...  
و نبدأ دوامة جديدة من الدموع...

قلت:

"رغد ... أرجوك كفى " ...

رغد قالت بانفعال ، و صوتها أقرب للنوح منه إلى الكلام:

"أنا ... وفيت بوعدى ... و لم أحن اتفاقنا ... لكنك كذبت علي ... و لم تعد ... و الآن بعد أن عدت ... تبادر بالرحيل ... و تنعتني أنا بالخائنة ؟ إنك أنت الخائن يا وليد ... تتركني و ترحل من جديد"

كالسّم ... دخلت هذه الكلمات إلى قلبي فقتلته ... و زلزلتني أيما زلزلة...

قلت مندهشا غير مستوعب لما التقطت أذناي من النبا الصاعق:

"لم ... لم ... تخبري أحدا ... ؟؟"

رغد هزت رأسها نفيا...

قلت بذهول:

"ولا ... حتى ... سامر ؟؟"

و استمرت تهز رأسها نفيا و بألم...

فشعرت بالدنيا هي الأخرى تهتز و ترتجف من هول المفاجأة ... تحت قدمي

قالت:

"كنتُ أنتظر أن تعود ... لكنهم أخبروني أنك لن تعود ... و لا تريد أن تعود ... و كلما اتصلت بهاتفك ... وجدته مقفلا ... و لم تتصل لتسأل عني و لا مرة طوال هذه السنين ... لماذا يا وليد ؟؟"

لحظتها تملكنتني رغبة مجنونة بأن أضحك ... أو حتى أن أتقيأ من الصدمة!  
لكن...

ما الجدوى الآن ...

كبت رغبتي في صدري و معدتي ، و رفعت نظري إلى السماء ... أشهد ملائكة الليل على حالٍ ليس

لها مثيل...

و حسبي الله و نعم الوكيل...

سمعت صوت تغريد عصفور شق سكون الجو ... و نبهني للوقت الذي يمضي...

و الوقت الذي قد مضى...

و الوقت القادم المجهول...

كم سخرت الدنيا مني ... فهل من مزيد ؟؟؟

"صغيرتي ... أنا ذاهب "

رغد ظلت تنظر إلي و تبكي بغزارة ... و لم يكن باستطاعتي أن أمسح دموعها...

استدرت موليا إياها ظهري ... لكن صورتها بقيت أمام عيني مطبوعة في مخيلتي...

سرت خطى مبتعدا عنها ... نحو البوابة الرئيسية للفناء ، و فتحتها...

قلت:

"اقفلي الباب من بعدي "

دون أن التفت نحوها ... فهو دوري لأذرف الدموع ... التي لا أريد لأحد أن يراها و يسبر غورها...

"وليــــد"

و كعصفور يطير بحرية ... بلا قيود و لا حدود ... و لا اعتبار لأي شيء ... أقبلت نحوي...

استدرت ... و تلقيت سهما اخترق صدري و ثقب قلبي ... و بعثر دمائي و مشاعري في لحظة انطلقت

فيها روحي تحلق مع الطيور المرفرفة بأجنحتها ... احتفالا بمولد يوم جديد...

منذ الساعة التي أجريت فيها المقابلة الشخصية ، و طرح علي السؤال عن خبراتي و مؤهلاتي و عملي في السابق ، أدركت أن الأمر لن يكون يسيرا...  
حصلت على الوظيفة رغم ذلك بتوصية حادة من صديقي سيف ، الذي ما فتئ يشجعني و يحثني على السير قدما نحو الأمام

و خلال الأشهر التالية ، واجهت الكثير من المصاعب ... مع الآخرين.

بطريقة ما انتشر نبأ كوني خريج سجون بين الموظفين ، و تعرضت للسخرية و المعاملة القاسية من قبل أكثرهم

كنت أعود كل يوم إلى المنزل مثقلا بالهموم ، و عازما على عدم العودة للشركة مجددا ، إلا أن لقاء قصيرا أو مكالمة عابرة مع صديقي سيف تنسيني آلامي و تزيح عني تلك الهموم...

أصبح صديقي سيف هو باختصار الدنيا التي أعيشها ...

توالت الأشهر و أنا على هذه الحال ، و كنت أتصل بأهلي مرتين أو ثلاث من كل شهر ... اطمئن على أحوالهم و أحيط علما بآخر أخبارهم

علمت أن رغد التحقت بكلية الفنون و أن دانه قد حددت موعدا لزفافها بعد بضعة أشهر .. و أن والديّ يعتزمان تأدية الحج هذا العام...

أما سامر ، فقليلًا جدا ما كنت أتحدث إليه ، حين أتصل و يكون صدفة متواجدا في المنزل ، إذ انه كان يعمل في مدينة أخرى...

في الواقع ، أنا من كان يتعمد الاتصال في أيام وسط الأسبوع أغلب الأوقات.

لقد تمكنت بعد جهد طويل ، من طرد الماضي بعيدا عن مخيلتي ، إلا أنني لازلت احتفظ بصورة رغد  
الممزقة موضوعة على منضدتي قرب سريري - إلى جانب ساعتني القديمة - ألمها ثم أبعثرها كل ليلة!  
حالتي الاقتصادية تحسنت بعض الشيء ، و اقتنيت هاتفا محمولا مؤخرا ، إلا أنني تركت هاتف  
المنزل مقطوعا عن الخدمة.

أما أوضاع البلد فساءت عما كانت عليه ... و أكلت الحرب مدنا جديدة ...  
و أصبح محظورا علينا العبور من بعض المناطق أو دخول بعض المدن...

في مرات ليست بالقليلة نتبادل أنا و سيف الزيارة ، و نخرج سوية في نزهات قصيرة أو مشاوير طويلة  
، هنا أو هناك ...

في إحدى المرات ، كنت مع صديقي سيف في مشوار عمل ، و كنا نتأمل مشاهد الدمار من حولنا...

الكثير الكثير من المباني المحطمة ... و الشوارع الخربة...

مررنا في طريقنا بأحد المصانع ، و لم يكن من بين المباني التي لمستها يد الحرب ... فتذكرت مصنع  
والذي الذي تدمر ...

قلت:

"سبحان الله ! نجا هذا من بين كل هذه المباني المدمرة ! ألا يزال الناس يعملون فيه ؟؟"

أجاب سيف:

"نعم ! إنه أهم مصنع في المنطقة يا وليد ! ألا تعرفه ؟"

"كلا ! لا أذكر أنني رأيته مسبقا !"

ابتسم سيف و قال:



"إنه مصنع عاطف ... والد عمّار ... يرحمهما الله !"

دهشت ! فهي المرة الأولى التي أرى فيها هذا المبنى! ...

أخذت أتأمله بشرود ... ثم ، انتبهت لكلمة علقت في أذني...

"ماذا ؟ رحمهما الله؟؟"

سألت سيف باستغراب ، معتقدا بأنه قد أخطأ في الكلام ... قال سيف:

"نعم ... فعاطف قد توفي العام الماضي ... رحمه الله"

الحلقة السابعة عشر

بين يوم و آخر ، يحضر نوار لزيارة دانة أو الخروج معها للعشاء في أحد المطاعم أو للتنزه ... أو شراء مستلزمات الزفاف و عس المستقبل!

"إلى أين ستذهبان اليوم؟؟"

سألتهما ، وهي ترتدي عباةتها استعدادا للخروج ، قالت:

"إلى محلات التحف أولا ، ثم إلى الشاطئ ! سأعود ليلا!"

قلت:

"الشاطئ؟ رائع! كم أشتاق الذهاب إليه!"

قالت بمكر:

"تعالى معنا!"

نظرت إليها باستهتار ثم أشحت بوجهي عنها... قلت:

"كنت سأفعل لو أن خطيبك لم يكن ليرافقنا!"

قالت بخبث:

"نذهب وحدنا؟ أنا وأنت؟؟"

"نأخذ أبي وأمي! ما رأيك دانة؟؟ اصرفيه ودعينا نذهب نحن الأربعة!"

"لا تكونى سخيفة!"

وانصرفت عني ترتب عباءتها أمام المرأة...

قلت:

"في كل يوم تخرجين معه! لم لا تتنازلين عن هذا اليوم لنخرج معا؟؟ إنني أشعر بالملل"

قالت:

"غدا يعود سامر و اذهبي معه حيث تريدن!"

و غدا هو موعد زيارة سامر ، الذي يأتي مرة أو مرتين من كل شهر ... ليقضي عطلة نهاية الأسبوع

معنا...

لكن...

لكنني لا أشعر بالحماس للذهاب معه...

حين أقارن بين وضعي و وضع دانه أشعر بفارق كبير ... إنها منذ لحظة ارتباطها تعيش سعادة و بهجة متواصلة ... و تستمتع بحياتها كل يوم

خطيبها رجل ثري و يغدق عليها الهدايا و الهبات !

كل يوم أذهب أنا للكلية ثم أعود و أقضي وقتا لا بأس به في الواجبات و في الرسم ، بينما تستمتع دانه بالنزهات و الرحلات مع خطيبها المغرور ...

و في أحيان أخرى تقضي ساعات طويلة في التحدث معه عبر الهاتف !

حين يتصل سامر فإن حديثنا لا يستغرق غير دقائق...

فهل كل المخطوبين مثل دانه سواي أنا؟؟

قلت أستفزها:

" و على كل ... فخطيبك شخص مغرور و بغيض ! لا أعرف كيف تحتملين البقاء معه كل هذه الساعات " !

التفتت دانه نحوي و نظرت إلي بخيلاء و قالت:

"مغرور؟ و حتى لو كان كذلك ! يحق له ... فهو أشهر و أغنى لاعب في المنطقة ! أما بغيض ... فلا تعني شيئا ! فهو رأيك في جميع الرجال " !

و صمتت لحظة ثم قالت:

" و ربما حتى سامر ! أنت خالية من الرومانسية يا رغد ! و لا تعرفين كيف تحبين أو تدلين خطيبك " !

و هنا سمعنا صوت جرس الباب ، فانطلقت دانه مسرعة تحثني على الخروج من غرفتها ، ثم تقلق الباب ... و تغادر...

ربما نسيت دانه ما قالت حتى قبل أن تغادر ، لكن كلماتها ظلت تدق مسمارا مؤلما في قلبي لوقت طويل...

أنا فعلا لا أشعر باللهفة للقاء سامر ! لكنه دائما يشتاق إلي ... و في الآونة الأخيرة ، بعد أن انتقل إلى مدينة أخرى ، صار يعاملني بطريقة أشد لطفًا و حرارة كلما عاد

ذهبت إلى غرفتي و أنا متأثرة من جملة دانه الأخيرة هذه ... فهل أنا فعلا خالية من الرومانسية؟؟ و هل بقية الفتيات يتصرفن مثل دانه؟؟

أنا لم أحتك مباشرة بصديقة مخطوبة فأنا أول من خطبت من بين صديقاتي رغم أنني أصغرهن سنًا!

أردت طرد هذه الأفكار عن رأسي ، فعمدت إلى كراساتني ... و أقبلت على الرسم...

شيء ما دعاني لأن أفتش بين لوحاتي المتراكمة فوق بعضها البعض عن صورة وليد!

لا تزال الصورة كما هي ... منذ رحل ... لم أملك أي رغبة في إتمام تلوينها...

لست من النوع المتباهي بنفسه ، لكن هذه اللوحة بالذات ... رائعة جدا!

وليد ... له وجه عريض ... و جبين واسع ... و شعر كثيف ... و عينان عميقتا النظرات ... و فك عريض منتفخ العضلات ... و أنف معقوف حاد !

إنه أكثر وسامة من نوار الذي تتباهى دانه به!

و من سامر المشوه طبعًا...

لم أكن لأرسم شيئًا مشوها كوجه سامر ... إنه لا يصلح عملاً فنياً ...

في لقائي الأخير بوليد .. عند رحيله ليلاً ... بكيت كثيرا جدا ... ربما أكثر مما بكيت يوم علمت أنه سافر للدراسة دون وداعي قبل سنوات...

أوصدت الباب و دخلت ، و العبرات منزلقة بانطلاق على خدي الحزين

فوجئت برؤية والدتي تقف عند النافذة المشرفة على الفناء ، و التي تسمح للناظر من خلالها أن يرى البوابة ، و من يقف عند البوابة ، و ما يحدث قرب البوابة!

لم أعرف لحظتها ما أفعل و ما أقول ... أصابني الهلع و الخرس ... أمي اكتفت برشقي بنظرات مخيفة و حزينة في آن واحد ، ثم انصرفت...

منذ ذلك الحين و هناك شيء ما يقف بيني وبينها ... لا أعرف ما كينونته و لا أجله

في المساء ، زارتني ابنة خالتي نهلة ، و طبعا سارة معها فهي تلازمها كالذيل ليلا و نهارا!

كنت أرغب في التحدث مع نهلة عن أمور تشغل تفكيري و تحيرني ... و أشياء لا أستطيع التحدث عنها لشخص آخر ... و لكن كيف لي أن أصرف هذه الصغيرة المتطفلة؟؟

"ساره ... هل تحبين الذهاب إلى غرفتي و التفرج على رسوماتي؟؟ يمكنك أيضا رسم ما تشائين!"

"سأذهب حين تذهب أختي"

أوه ... كيف لي أن أصرفها...؟؟

"إن ... ما رأيك بمشاهدة فيلم هزلي جديد مدهش ... أحضره أبي يوم أمس ؟ اذهبي لغرفة المعيشة و تفرجي مع أمي!"

"سأبقى معكما"

نهلة نظرت إلي نظرة استنتاج ، ثم قالت لشقيقتها:

"عزيزتي ساره ... شاهدي الفيلم و نحن سنأتي بعد قليل!"

"سأذهب حين تذهبان"

يا لها من فتاة مزعجة ! ألا أستطيع أن أنفرد بصديقتي لبعض الوقت؟؟

قالت نهلة:

"لا بأس رغد ! فهي لا تكثرث لما نقول ... ! أهنأك شيء ؟؟"

ترددت ، و لكنني بعد ذلك أطلقت لساني لقول أمور لم أظن أن سارة ستفهمها ... فهي إلى كونها لا تزال صغيرة ، و غبية لحد ما !

قلت:

"سامر سيأتي غدا" !

قالت:

"و ...؟؟"

قلت:

"سيفتح موضوع زواجنا من جديد ، كما في كل مرة ! إنه يريد أن نتزوج مع دانه ... و يبدو أن والدتي اقتنعت بالفكرة و صارت تشجعني عليها" ...

قالت:

"و أنت ؟؟"

تنهدت ثم قلت:

"تعرفين ... إنني أريد أن أنهى دراستي أولا ... و ... و ... أعرف رأي وليد"

نهلة ترفع حاجبا ، و تخفض آخر ... و تميل إحدى زاويتي فمها بمكر !

"و أعرف رأي وليد ! و إذا قال وليد : الزواج ممنوع !؟"

قلت بسرعة:

"لن أتزوج" !

قالت:

"وإن قال : الزواج واجب؟! "

لم أرد ... نهلة تأملتني برهة ، ثم قالت:

"رغد ! ولماذا تنتظرين رأي وليد؟؟ إنه ليس ولي أمرك أو المسؤول عنك" !

استأثرت من هذه الحقيقة الموجهة...

فلطالما كان وليد مسؤولا عني منذ الصغر ... و لطلما قال أنه لن يتخلى عني ... و لطلما اعتبرته أهم شخص في حياتي ... إلى أن غاب...

قلت:

"لكنه ... لكنه ... أكبرنا ... و أنا أحترم رأيه كثيرا ... و ... سأعمل بما يقول"

نهلة قالت:

"ألا يزال كما كان في الماضي؟ أذكر أنه كان طويلا و قويا ! كان يلعب معك كثيرا سابقا" !

ابتسمت ، و توسعت الشعيرات الدموية في وجهي ! و قلت بخجل:

"إنه كذلك ! لكن ... لا مزيد من اللعب فقد أصبح رجلا كبيرا" !

قالت:

"صحيح ! على فكرة هل تزوج؟؟"

الشعيرات التي كانت متفتحة قبل ثوان انقبضت و خنقت الدماء في داخلها ...

أيقظت جملة سارة في نفسي شيئاً كان نائماً بسلام ... قلت بارتباك أمحو السؤال و أطرده من الوجود:

"لا ... لا "

قالت نهلة:

"إن لابد أنه يفكر في الزواج الآن ! بعدما عاد للوطن و استقر في العمل " !

ثم أضافت مداعبة:

"هل تريدان عروسا له ؟؟ جميلة و جذابة و رائعة مثلي ؟!"

قلت بحنق بدا معه جليا استيائي من الفكرة:

"لا تكوني سخيصة يا نهلة " !

استغربت نهلة استيائي هذا ، ثم قالت:

"إنه كبير على أية حال ! و لا يناسب فتاة تصغره بتسع سنين " !

فكرة أخرى - أن يتزوج وليد - رافقت الفكرة الأولى - خالية من الرومانسية - في اللعب بالمضرب و الكرة في رأسي طوال الساعات التالية!

قلت:

"إنه ... لا يفكر في الإقامة هنا ... أتمنى لو نعود إلى بيتنا السابق ... معه "

قالت:



"ماذا عن خطيبك؟؟ هل سيستقر هو الآخر في المدينة الأخرى؟؟"

قلت:

"لا أعرف ... ! عمله هناك ... و لا بد له من البقاء هناك"

"و إن تزوجتما؟؟؟ سنتنقلين للعيش معه حتما" !

لم تعجبني الفكرة!

لا أريد أن أبتعد عن أهلي ... إنني لا أستغني عنهم ... أريد البقاء في بيتهم ...

"سأنتظر رأي وليد"

تقوس حاجبا نهلة دهشة و قالت ببلاهة:

"رأي وليد؟؟ في أن تقيمي مع زوجك أو مع والديك؟؟"

قلت بغضب:

"حمقاء ! أعني في أن نؤجل موضوع الزواج لوقت لاحق ... فربما تتغير الأوضاع" ...

"عليكم أن تقررروا بسرعة ! فموعد زواج دانه يقترب ! أين هي على فكرة؟؟"

"دانه ؟ خرجت كالعادة تتنزه مع خطيبها" !

ابتسمت نهلة ... لكنني أزحت ابتسامتها جانبا بسؤالني:

"نهلة ... هل يشعر جميع المرتبطين بسعادة مميزة عندما يتنزهون مع بعضهم البعض ... أو يتبادلون

الهدايا ... أو المكالمات الهاتفية؟؟"

طبعا نهلة اندهشت ، و قالت:

"أكيد ! طبعاً !"

صمت لثوان ، ثم قلت:

"لكنني لا أشعر بشيء كهذا ! إنني أتحدث معه كما أتحدث معك ! لا شيء مميز ... ليس كما تكون دانه حين تتحدث مع خطيبها أو تخرج معه ! غاية في السرور !"

فوجدت نهلة بكلماتي هذه ... قالت:

"أنتِ ... لا تحبينه ؟؟"

قلت بسرعة:

"بالطبع ... أحبه !"

نظرت نهله نحو سارة البليدة ... ثم قالت:

"كما تحب دانه خطيبها ؟؟"

"لا ! كما تحبين أنتِ حسام !"

دانة عادت تسأل:

"ليس كما تحب امرأةً رجلاً ؟؟"

توترت من سؤالها ... وبعثرت نظراتي فيما حولي ... ووقع سهم منها على سارة ، والتي كانت تنظر إلينا ببلادة و غباء مزعجين !

قلت بعصبية:

"و كيف يجب أن تحب امرأة رجلاً ؟؟"

قالت نهلة بأسى:

"أوه يا عزيزتي ! رغد ! إنك لا تزالين طفلة" !

عادت دانه من سهرتها الخارجية عند العاشرة و النصف...

كنت أشاهد الفيلم الذي أحضره والدي مؤخرا ، و حين دخلت غرفة المعيشة رمت بحقيبة يدها على المقعد و تهالكت عليه بتنهد...

"لم تنامي بعد رغد ! عادة ما تنامين باكرا جدا" !

لم ألتفت إليها ، و أجبت:

"سأتابع الفيلم حتى النهاية"

صمتت لحظة ، ثم قالت:

"سأريك شيئا"

و سحبت حقيبتها ، و منها أخرجت علبة مجوهرات صغيرة ، و فتحتها لتريني الخاتم الذهبي الرائع الذي بداخلها...

"رائع ! كم ثمنه ؟؟"

رفعت رأسها و نظرت إلي من طرف عينيها و قالت:

"كم ثمنه ؟؟ لا أعرف طبعاً ، و لكن بالتأكيد باهظ ... أهداني إياه خطيبي الليلة ! كم هو رائع" !

قلت و أنا أتأمل هذه التحفة المبهرة:

"نعم ! رائع هنيئًا لك" !

قالت دانة:

"حقًا ! هل غيرت رأيك فيه أخيرًا" !

قلت:

"الخاتم؟؟"

"بل خطيبي يا نبيهة" !

حدقت بها قليلا ثم قلت:

"بغيض و مغرور" ...

ثم أشحت برأسي عنها...

و إن كان بغیضا في عيني ، فهو في عينيها شيء رائع ... و مميز!

لم تكثرث دانة لقولي ، و أخذت تنقل الخاتم من إصبع لإصبع بسرور و دلال!

"دانه" ...

"نعم؟"

كنت أريد أن أسألها ... و شعرت بالخجل ... و لزممت الصمت !

دانة نظرت إلي باستغراب:

"نعم رغد؟؟ ماذا أردت القول؟؟"

ترددت قليلا ثم قلت بحياء و بصوت منخفض و نبرة متوترة:

"هل ... تحبين نوار؟"

دهشت دانة من سؤالي ، لذا حملت بي وهلة ، ثم قالت:

"ما هذا السؤال؟!"

ندمت لأنني طرحته ! إنه موضوع حساس لم أجرؤ من قبل على التحدث فيه مع أي كان...  
ولما لاحظت دانة تراجع الخجل ، قالت:

"نعم أحبه ! إنه شريك حياتي ... ! نصفني الآخر" !

صمت قليلا ثم سألت:

"إذن ... كيف تشعرين حين يكون معك؟؟"

أنا بنفسني لاحظت ذلك ... رغم المساحيق التي تغطي وجهها إلا أن اللون الأحمر المتوهج طلى وجهها  
و هي تجيب على سؤالي:

"أشعر ...؟؟ ... بالحرارة" !

و أشارت إلى قلبها بيديها كلتيهما...

الحرارة ... في صدري و جسيمي كله ، هي شعور لم أحس به في حياتي ... إلا عندما اقتربت من  
شخص واحد فقط ...  
هو وليد! ...

~ ~ ~ ~ ~ ~ ~

"وليد ! هل فقدت صوابك!!؟؟"

قال سيف و هو فاغر فاه لأقصى حد من هول المفاجأة ...  
لقد أخبرته بخبر فعلتي الجنونية الأخيرة...

"نعم يا سيف ! استقلت و انتهى الأمر"

أخذ يهز رأسه و يضرب يدا بالأخرى من الغيظ و الأسف...

"أرجوك يا سيف ... قضي الأمر ... لم أكن لأستطيع الاستمرار و الجميع ينظر إلي و يعاملني بهذا الشكل ... يحتقروني و يتحاشون الاقتراب مني و كأنني وباء خطير"

"و ما لك و لهم ؟ وليد ! لم يكن الحصول على هذه الوظيفة بالأمر السهل ... لقد تسرعت"

استدرت بغضب ، و قلا بانفعال:

"فليذهبوا بوظيفتهم للجحيم"

أعرف أن العثور على عمل هو من أكثر الأمور صعوبة في الوقت الحالي ، لكنني ضقت ذرعا بالهمزات و اللزمات التي يرمي بها الآخرون علي بقسوة ، لكوني قاتل و خريج سجون...

كما و أنني سمعت بعضهم يذكر صديقي سيف بالسوء بسبب علاقته الوطيدة معي...  
بقائي في العمل بشركته صار يهدد سمعته هو ... و أنا لم أكن لأرضى عليه بأي أذية...  
أليس هو الباقي لي من الدنيا؟؟

تلا هذا صمت مغدق...

سيف استاء كثيرا جدا من إقدامي على هذه الخطوة التي وصفها بالتهور ... ألا أنني كنت أراها حلا  
لابد منه

قال:

" ما أنت فاعل الآن؟؟ "

ابتسمت ابتسامة سخرية...

"أفتش من جديد"

نعم ... عدنا للصفحة!

لو أنني أتممت دراستي ، مثلك يا سيف ، لكنت الآن ... رجلا محترما مهابا ... أتولى إدارة إحدى الشركات كما كنت أحلم منذ الصغر...

و فشلي في تحقيق أي من أحلامي ، هو أمر لا يجب أن تتحمل أنت مسؤولياته ، أو ينالك سوء بسبب علاقتك بي

سيف كان قلق ... أردت أن أغير الموضوع ، فقلت:

" أخبرني ... ما النبأ الجميل الذي تحمله؟؟ "

و كان سيف قد أبلغني بأن لديه خبر جميل ، عندما وصل إلى بيتي قبل دقائق!

سيف قال:

" لقد ... عزمت على إتمام نصف الدين " !

فاجأني الخبر ، و أسرني كثيرا ، فأمطرت صديقي بالتهاني القلبية ! إنه أول خبر سعيد أسمعه منذ شهور...

" أخيرا يا رجل ! فليبارك الله لك " !

"شكرا أيها العزيز ... العقبة لك ! متى يحين دورك؟؟"

دوري أنا!

إن مثل هذا الموضوع لم يكن ليخطر على بالي !

و هل يفكر في الزواج رجل خرج من السجن قبل شهر ، و بالكاد بدأ يتنفس الهواء ... و كان و عاد عاطلا عن العمل... !

و فوق كل هذا ... ذو جرح لم يبرأ بعد...

قلت:

"قد تمضي سنوات و سنوات قبل أن تعبر الفكرة على رأسي مجرد العبور" !

"لم يا رجل !؟ إننا في السابعة و العشرين ! وقت مناسب جدا" !

قلت:

"لأجد ما يعيلني أولا ! كيف لي أن أتحمل مسؤولية زوجة و أطفال" !

قال سيف:

"إنك تحب الأطفال يا وليد ! أأنت كذلك؟"

"بلى ... !

"ستكون أبا عطوفا جدا" !

و ضحكنا!

يمكنني أن أضحك بين حلقات سلسلة همومي التي مذ بدأت لم تنته...



قضيت أسابيع أفتش عن عمل ... و فشلت  
حتى أقاربي الذين لجأت إليهم طالبا الدعم ، خذلوني  
لو كان سبب دخولي السجن شيء آخر ، لربما عاملني الناس بطريقة أفضل...  
كرهت الدنيا و كرهت نفسي و كرهت كل شيء من حولي ...  
و بدأت نقودي التي جمعتها خلال الأشهر الماضية تنفذ ... و أعود للفقير من جديد...  
كنت جالسا في حديقة المنزل الميتة ... أدخن السيجارة تلو الأخرى ... غارقا في التفكير و الهموم...  
كانت الأرض أمامي قاحلة ... لا زرع فيها و لا حياة ...  
تماما مثل حياتي...

تزوج صديقي سيف بعد بضعة أشهر خطوبة ... و ينعم الآن بحياة جديدة ، و يتولى مسؤوليات أكبر  
... و لم يعد متفرغا لي...

حصلت على عمل بسيط جدا في أحد المحلات التجارية ... إلا أنني لم استمر فيه بسبب المشاكل التي  
واجهتني ، لكوني موصوم بالإجرام و القتل...

أصبحت بإحباط شديد ... و أنا أفقد القليل الذي كنت قد حصلت عليه ... و ضاقت بي الدنيا ...  
كما و داهمني الإعياء و المرض ... فقررت الهروب من مدينتي إلى مكان ألقى فيه شيء من الاحترام و  
المودة

بعيدا عن السمعة المجروحة ... إلى حيث يوجد من يحبني و يرغب بوجودي و يتقبلني على ما أنا  
عليه من عيوب و وصم عار ...  
إلى أهلي....

كانت شهور عشرة قد انقضت منذ رحلت عنهم ...  
كلما اتصلوا بي أو اتصلت بهم ، أخبرتهم بأنني في أحسن حال ، بينما أنا في أسوأه  
انفث الدخان السام من صدري ... و أفكر ... أ أعود إليهم؟؟ أم لمن أُلجأ؟؟  
أتخيل نفسي بينهم من جديد ... فتظهر صورة رغد لتحتل منطقة الخيال من رأسي ... فأبعدها و أبعدها

الفكرة ...

"لا ... لن أعود"

و أرمي بالسيجارة على الأرض ، و أدوسها بحذائي فتندفن تحت الرمال ... إلى جانب شقيقاتها ...  
في قبور متجاورة و مزدحمة...

لماذا لا أموت أنا مثلها؟؟

إلى متى أستمر في تدخين هذه الأشياء القذرة؟؟

ألا يكفي السجن أن لوث سمعتي و ضيع مستقبلي؟

أ أترك دروسه و مخلفاته تلوث صدري و تفسد صحتي؟؟

أتذكر قول نديم لي ... لا تدع السجن يفسدك يا وليد...

هل أنا شخص فاسد الآن؟؟

نديم...

ليتك معي الآن ... ..

فجأة ... تذكرت شيئاً غاب عن مذكرتي تماما!

يوم وفاته ، نديم أوصاني بشيء...!

طلب مني أن أزور عائلته و أطمئن عليهم!

وقفت منفعلا ... يا للأيام ! لم يخطر هذا الأمر ببالي من ذي قبل...

و كيف له أن يجد فرصة للظهور فيما يحتل تفكيري أمور أخرى...

ربما وفاءً لذكرى صديق عزيز لظالما كان يدعمني في أسوأ أيام حياتي ...

أو ربما كان فراغا طويلا لم أجد معه ما أفعله

أو حتى هروبا من هذه المدينة و سمعتي المنحطة فيها

أيا كان الدافع ، فقد قررت يومها زيارة عائلة نديم!

نديم أخبرني بأنه يملك مزرعة في المدينة الشمالية ، و هذه المدينة بعيدة عن مدينتي و هي أقرب إلى  
المدينة الصناعية حيث يعيش أهلي...

جمعت كل ما أحتهجه و ما قد أحتهجه ، و عزمت الرحيل...

الهدف لم يكن زيارة عائلة نديم تنفيذا لوصيته التي ماتت يوم وفاته ، بقدر ما كان الفرار من الفشل  
الذريع الذي أعيشه في هذه المدينة

الآن أدرك لم قرر والدي الرحيل ، و لم لا يفكر في العودة

لا بد أنه تعرض لمثل ما تعرضت له ... بسبب جريمتي النكراء...

ذهبت لزيارة سيف في مسكنه الجديد ، و أبلغته أنني راحل...

كان وداعنا مؤلما إلا أنه قال:

" في أي وقت ... و كل وقت ... تشعر بأي حاجة لأي شيء ، تذكر أنني موجود "

و دفع إلي مبلغا من المال قبلته على شرط أن أردده له في أقرب فرصة ... و لا أعلم كم تبلغ المسافة بيني و بين هذه الفرصة!

أقفلت أبواب المنزل الكئيب ... و تركت الذكريات القديمة سجيئة ... تغط في سبات أبدي...  
بما فيها صندوق الأمانى المخنوق ، و الملقى بلا اهتمام عند إحدى زوايا الغرفة  
إن كتب لي أن أعود يوما ... فسأفكر في فتحه !

انطلقت مستعينا بالله و متوكلا عليه ... متجها إلى المدينة الشمالية ... لم أكن قد زرتها في حياتي من قبل ، إلا أنني أعرف أن الطريق إلى المدينة الصناعية يؤدي إليها ، و أنها لا تبعد عن الأخيرة إلا قليلا

وصلت إلى المدينة الصناعية ... و شوقي سحبني نحو بيت عائلتي سحبا ...  
كيف لي أن أعبر من هنا ... ثم لا أمر لألقي و لو نظرة عابرة على أهلي ..؟؟

كان الوقت عصرا ... أوقفت سيارتي إلى جانب سيارة أبي ، و السيارة الأخرى التي تبدو جديدة و آخر طراز!

مؤخرا صار سامر يأتي إلينا مرة واحدة في الشهر ... أصبح يعمل عملا مضاعفا و قلت حتى اتصالاته !

و حين جاء البارحة ، طلبت منه أن يصطحبني إلى الشاطئ هذا اليوم!

طبعا سامر فرح كثيرا بهذا الطلب ... و أنا كنت أريد أن أرفه عن نفسي و أفلد دانة!

إنها دائما تشعرني بأنني لا أصلح امرأة!

الجميع من حولي يعاملونني على أنني لا أزال طفلة!

إنني الآن في الثامنة عشر من العمر ... و أحس بأنني خلال الأشهر الماضية كبرت كثيرا!

لقد بدأت استخدم المساحيق بكثرة مثلها ، و أشتري الكثير من الحلي و الملابس... بالرغم من أنني لا أجهز للزفاف مثلها!

فكرة الزواج الآن لم أقتنع بها ... و لسوف أنتظر حتى أنهى دراستي و أكتسب صفات المرأة التي تعرف كيف تحب و تدلل شريك حياتها!

أليس هذا هو المطلوب؟؟

"هيا رعد ! الوقت يمضي " !

سامر يناديني ، و هو يقف خلف الباب ، ينتظر خروجي...  
أجبت و أنا ارتدي شرابي ثم حذائي الجديد ذا الكعب العالي ، على عجل:

"قادمة ... لحظة"

و في ثوان كنت أفتح الباب...  
حين صرت أمامه راح يحدق بي باستغراب ، ثم قاد بصره إلى حذائي!

"رعد ! لقد طلعت بسرعة ! لم تكوني هكذا البارحة" !

ابتسمت و قلت و أنا أظهر حذائي الطويل من خلف عباءتي:

"إنها الموضة" !

سامر ضحك و قال:

"و لكن يا عزيزتي هل ستسيرين بحذاء هكذا على الشاطئ؟؟"

"لا يهم ! أنا أريد أن أظهر أطول قليلا حتى لا يظنني الناس طفلة" !

"كما تشائين ! هيا بنا"

و خرجنا ، و مررنا بالمطبخ حيث وضعت سلة صغيرة تحتوي بعض الحاجيات فحملها سامر و هممنا  
بالانصراف....

و إذا بدانة تقول:

"هل آتي معكما؟؟"

أنا و سامر تبادلنا النظرات ...

طماعة ! ألا يكفيها أنها تخرج مع خطيبها كل يوم فيما أنا جالسة وحيدة في المنزل؟؟

قلت:

"لا ! إنها رحلة خاصة" !

سامر ابتسم بخجل ، و دانه نظرت إلي من طرف عينها مع ابتسامة خبيثة أعرفها جيدا ... و أعرف  
ما تعنيه منها !

تجاهلتها و سرت مبتعدة...

"انتبهني لئلا تنزلقي زرافتي" !

و أخذت تضحك!

قلت بحنق:

"ليس من شأنك"

و خرجت مسرعة....

دانه تتعمد التعليق على أي شيء يخصني ... و دائما تعليقها عنه يوحي بعدم رضاها أو سخريتها منه  
!

إلا أنها تشعر بالغيرة من طولي الذي يسمح لي بارتداء أحذية كهذه ، و هي محرومة منها !

خرجنا على الفناء الخارجي و سامر يبتسم بسرور !

حتى و إن كانت نظارته السوداء الكبيرة تخفي عينيه ... كنت أعرف أنه يحدق بي !

اعتقد أنه سعيد جدا ... السعادة المميزة ... التي لم أذق لها أنا طعما حتى الآن...

فيما نحن نقترّب من الباب ، قرع الجرس!

تقدم سامر و فتحه...

و توقفت الكرة الأرضية عن الدوران!

اعتقد أن شهابا قد ارتطم بها ... هنا خلف هذا الباب!

شعور مفاجئ ... و اصطدام مجلجل ... و حرارة محرقة شاوية ... و حمم ... و ضباب ... و اختناق  
... و ارتجاف ... و عرق ... و ذهول ... كلها مجتمعه انبثقت فجأة من عند الباب و اجتاحتني...

هل أصدق عيني ! ؟

هل يقف أمامي المارد الناري الضخم المرعب ... متمثلا في صورة ... وليد؟؟؟

هتف سامر بذهول و بهجة عارمة:

"أخي وليد" !!

و تعانقا عناقا طويلا ...

يا لها من مفاجأة مذهلة!

اعتقد أنه كان علي الأخذ بنصيحة سامر و تغيير حذائي ... إنني أوشك على الانزلاق ! لماذا فقدت توازني بهذا الشكل ؟؟

بعد لقائهما الحميم ... استدارا نحوي ...

حينما وقت عيناه على عيني ، طردهما بسرعة و غض بصره ... و قال بهدوء لا يتناسب و الحمم و البركاين و الانفجار و النيران الذي تولدت لحظه ظهوره من فتحة الباب:

"كيف حالك صغيرتي؟"

لقد حاولت أن أحرك لساني لقول أي شيء ... لكن بعد احتراقها ، فإن كلماتي قد تبخرت و صعدت للسماء !

طأطأت رأسي للأرض خجلا ... حين عبرت ذكرى لقائنا الأخير سريعة أمام عيني ... !

الرجلان يقتربان ...

رفعت رأسي فإذا بعينييه تطيران من عيني إلى الشجرة المزروعة قرب الباب الداخلي...

سمعته يقول:

"ألا يبدو أنها كبرت !؟"

التفت إلى الشجرة ... صحيح ... لقد كبرت خلال الشهور الطويلة التي غاب فيها وليد عنا !

لكني سمعت سامر يضحك و يقول:

"إنه الكعب " !



أدركت أنه كان يقصدني أنا ! كم أنا غبية!

قال وليد:

"أ كنتما ... خارجين؟؟"

قال سامر:

"أوه نعم ... لكن يمكننا تأجيل ذلك لما بعد ... تعال للدخل ستطير أومي فرحا" !

قال وليد:

"أرجوكما امضيا إلى حيث كنتما ذاهبين ! إنني سأبقى في ضيافتكم فترة من الزمن" !

مدهش!

عظيم!

ممتاز!

و أقبلنا نحو الباب الداخلي ، و دخلنا نحن الثلاثة...

كانت مفاجأة مذهلة أحدثت في بيتنا بهجة لا توصف ...

عشر شهور مضت ... و هو بعيد ... لا يتصل إلا قليلا ... و حين يتصل يتحدث مع الجميع سواي

... و إن تحدث معي صدفة ، ختم جملة المعدودة بسرعة ...

لكنه الآن موجود هنا !

أنا فرحة جدا!

علمنا في وقت لاحق أنه مر منا قبل ذهابه إلى المدينة الشمالية لأمر خاص ...

"كم ستظل هناك؟؟"

سألته أمي ، فأجاب:

"لا أعرف بالضبط ، ربما لبعض الوقت ... سأفتش عن عمل هناك فقد أجد فرصة أفضل " !

دانة قالت:

"و ماذا عن عملك في المدينة؟؟"

وليد اضطربت تعبيرات وجهه ، و قال:

"تركته"

ثم غير الموضوع لناحية أخرى...

فجأة سألني:

"كيف هي الكلية؟؟"

أنا تلفت من حولي بادئ الأمر ... كأنني أود التأكد من أن وليد يتحدث إلي أنا!

بالطبع أنا !

لا يوجد من يدرس بالكلية غيري الآن!

قلت بصوت خفيف خجل:

"الحمد لله ... تسير الأمور على ما يرام"

قال سامر:

"أنها مجتهدة و نشيطة ! و مغرمة بالفن أكثر من أي شيء آخر ! حتى مني " !

الجميع أخذوا يضحكون...

سواي أنا و وليد...

أنا لم تعجبني هذه الجملة ... أما وليد ... فلا أعرف لم اكفهر وجهه هكذا ...؟؟

قالت دانة:

"إذن فقد أفسدت رحلتك الخاصة أيتها البيغاء الصغيرة " !

و استمرت في الضحك...

أنا استأنت أكثر ...

وليد سأل دانة:

"أية رحلة؟"

أجابت:

"كانا يودان الذهاب للشاطئ ! سامر لا يأتي غير مرة في الشهر و خطيبته متلهفة لقضاء وقت ممتع و متميز معه ! إنها تغار مني " !

و رفعت رأسها بتباهي...

ربما كانت تقصد مداعبتي ، لكنني حملتها محمل الجد ... و وقفت فجأة ، و استأذنت للانصراف

...

ذهبت إلى غرفتي مستاءة ... و غاضبة...

~ ~ ~ ~ ~

قلت :

" يبدو أنها تضايقت " ...

فجميعنا لاحظ ذلك ... أما زالت دانه على ما كانت عليه منذ الطفولة؟؟

نظرت إلى شقيقتي باستياء ... و كذلك كان سامر ينظر إليها...

قالت:

"كنت أداعبها فقط" !

سامر قال:

"لكنها انزعجت منك ! سأذهب إليها"

و غادر من فوره...

أنا طبعا لم أملك من الأمر من شيء...

قلت لدانة:

"أحقا كانا يودان الذهاب للشاطئ؟ أنا آسف أن حضرت و أفسدت مشروع نزهتهما" !

"لا تكثرث وليد ! فهي فكرت في الذهاب فقط لأنني أوحيت لها بأن تذهب ! إنها لا تحب الخروج من المنزل خصوصا للأماكن العامة"

التزمت الصمت و لم أعلق على جملتها الأخيرة...

قالت:

"ما رأيكم أن نذهب جميعا غدا لنزهة عند الشاطئ ! كم سيكون ذلك رائعا" !

نزهة عند الشاطئ ؟ يبدو حلما ! إنني لم أقم بكهذه نزهة منذ سنين !

و يبدو أن الفكرة قد راققت للجميع ...

سألت:

"و ماذا عن نوار ؟؟"

قالت:

"في البلدة المجاورة ! إنها مباريات حاسمة ! ألا تتابع الأخبار ؟؟"

في الواقع ، أخبار كرة القدم ليست من أولويات اهتماماتي!

تحدثنا عن أمور عدة ... و شعرت براحة كبيرة ... هنا حيث أحظى باهتمام أناس يحبونني و يعزوني ...

أنا أرغب في العيش مع أهلي فقد سئمت الوحدة ... ألا يكفي أنني حرمت منهم كل هذه السنين ؟؟

خرجت من كنفهم و أنا فتى مراهق ... مليء بالحماس و الحيوية و مقبل على الحياة ... طموح و ماض في طريق تحقيق أحلامه...

و عدت إليهم ... و أنا رجل كئيب محبط مثقل بالهموم ... فاقد الاهتمام بأي شيء ... صقلني الزمن  
و شكلتني الأقدار ...

لكنهم لا زالوا يحترموني ...

بعد مدة ، عاد سامر لينضم إلينا ... لم تكن رغد معه

كنت أريد أن أسأله عنها ، و لم أجرؤ !

إنها لم تعد طفلي ... لم يعد لي الحق في الإهتمام بها...

"إذن فتلك السيارة الرائعة في الخارج هي لك يا سامر" !

سألته ، فأجاب:

"نعم ! اشتريتها مؤخرا ... ما رأيك بها ؟؟"

"مظهرها رائع" !

"و مزاياها كذلك ! كلفتني الكثير" !

مقارنة بسيارتي القديمة فإن أي شيء في سيارة سامر سيبدو مدهشا!

إذن ... فأحوال أخي المادية جيدة ...

كم أبدو شيئا صغيرا أمامه ... كم خذلت والديّ الذين كانا في الماضي ... يعظمان من شأني و يتوقعان  
لي مستقبلا مشرفا ...

شعور جديد تولد هذا اليوم ، يزيدني رغبة فوق رغبة في الرحيل العاجل ...

ففي الوقت الذي يتمتع فيه سامر بعمل جيد و دخل وفير و مستقبل مضمون ... افتقر أنا لكل شيء

...

حتى رغد...

أصبحت له...

ألم شديد شعرت به في معدتي هذه اللحظة ، كان يتكرر علي في الآونة الأخيرة و لكنني لم أزر أي طبيب...

استمر معي الألم فترة طويلة و لم أشعر معه بأي رغبة لتناول الطعام المعد على مائدة العشاء...

لذا ، ذهبت إلى غرفة شقيقي ناشدا الراحة و الاسترخاء

في صباح اليوم التالي أردت الذهاب إلى المطبخ حيث يجلس الجميع...

قبل دخولي تنحنحت و أصدرت أصواتا من حنجرتي حتى أثير انتباههم لوصولي ، اقصد انتباه رغد لوصولي...

"تفضل بني"

قالت أمي ... فدخلت و أنا حذر في نظراتي ... لم أكن أريد أن أراها ... لكنني رأيتها!

"صباح الخير جميعا"

ردوا تحية الصباح و طلبوا مني الجلوس إلى مائدة المطبخ الصغيرة التي يجتمعون حولها

"تعال وليد ! إننا نخطط لرحلة اليوم ! هل تحتمل الرحلة أم أنك لا تزال متعبا ؟؟"

التفت إلى دانة التي طرحت السؤال ، و لم يكن بإمكانني منع عيني من رؤية رغد التي تجلس إلى جوارها

"أحقا قررتم ذلك ؟ سيكون ذلك رائعا" !

أمي قالت و هي تشير إلى المعقد الشاعر:

"تعال عزيزي ... أعددتُ فطورا مميذا من أجلك" !

نظرت باتجاههم ، لقد كانوا جميعا ينظرون إلي ، بلا استثناء ...

قلت:

"س ... أذهب إلى غرفة المعيشة"

و انسحبت من المطبخ...

وافتني أمي بعد قليل إلى غرفة المعيشة تحمل أطباق الفطور...

"شكرا" ...

ابتسمت أمي ، و بدأت أنا في تناول وجبتي بهدوء ، بينما هي تراقبني !

"أمي ... أهنك شيء ؟؟"

سألتها بحرج ، قالت بابتسامة:

"لا عزيزي ... فقط أروي ناظري برؤيتك" ...

شعرت بالطعام يقف في بلعومي ...

برؤية من تودين يا والدتي الارتواء ؟؟

برؤية الخذلان و الفشل ؟؟ الحطام و البقايا ؟؟

برؤية رجل موصوم بالجريمة ؟؟



كم خذلتك ! كم كنت فخورة بي في السابق ! إنني الآن شيء يثير النفور و الازدراء في أعين الجميع

...

"الحمد لله"

حمدت ربي ، و وضعت الملعقة على الطبق ...

"لم توقفت ! ألم يعجبك ؟؟"

"بلى أماه ... لكني اكتفيت"

"عزيزي سأخرج إن أزعجك وجودي ... أرجوك أتم وجبتك"

"لا يا أمي ، لقد اكتفيت و الحمد لله"

أمي بعد ذلك ، عادت بالأطباق إلى المطبخ ، ثم أقبل الجميع إلى غرفة المعيشة و حاصروني بنظراتهم ... و أسألهم حول أموري ...

أنا كنت اكتفي بإجابات مختصرة ... فلا شيء فيما لدي يستحق الذكر و الاهتمام...

و كالبقية كانت رغد تتابعني بعينيها و أذنيها ، في صمت...

"ما رأيك بتجربة سيارتي يا وليد ! لنقم بجولة قصيرة!"

بدت فكرة ممتازة و منقذة ، فوافقت فورا و نهضت مع سامر ، و خرجنا ...

~ ~ ~ ~ ~ ~ ~ ~ ~

"هل غضبت مني أمس حقا ! أنا آسفة يا رغد ! كنت أمازحك "

نظرت إلى السقف و قلت:

"حسنا ، انتهى الأمر الآن"

ثم إليها و قلت:

"و لكن لا تنعتيني بالبيغاء ثانية ... خصوصا أمام وليد"

قالت دانة باستغراب:

"وليد؟؟"

فاضطربت ...

قالت:

"تعنين سامر!؟"

قلت:

"وليد أو سامر أوأي كان ... أمام أي كان " !

و أشحت بوجهي بعيدا عنها

فعادت تبرد أظافرها بالمبرد و تغني!

كنا نجلس في المطبخ ، و للمطبخ نافذة مطلة على ساحة خارجية خلفية تنتهي بالمرآب

مرآب منزلنا مفتوح من ثلاث جهات ، و يسد جهته الخارجية بوابة كهربائية ...

أقبلت أُمي تحمل سلة الملابس المغسولة و دفعت بها إلي:

"رغد ... انشريها على الحبال"

أوه ... يا لعمل المنزل الذي لا ينتهي!

أردت أن أعترض و أوكل المهمة إلى دانة ، التي تجلس أمامي تبرد أظافرها بنعومة!

"انشريها أنت يا دانة!"

هزت رأسها اعتراضا ، فهممت أن أتذمر!

لكنني لمحت من خلال النافذة بوابة المرآب تنفتح ، و أدركت أنهما قد عادا!  
و بسرعة ابتلعت جملة التذمر قبل أن أتفوه بها و قل متظاهرة بالاستسلام:

"حسنا ... لن أؤذي أظافرك ! سأنشرها أنا!"

و حملت السلة ، و خرجت للفناء الخلفي...

وليد ركن السيارة في المرآب ثم خرج منها هو و سامر...

و هاهما الآن يقبلان باتجاهي...

سامر نزع نظارته السوداء...

و سارا متوازيين جنباً إلى جنب يسبقهما ظلاهما ... و يدوسان عليهما...

وليد ... بطوله و عرضه و بنية جسده الضخم ... و الذي اكتسب عدة أرتال مذ لقائي الأخير به قبل  
شهور ... زادت وجهه امتلاء و جسده عظمة ... و كتفيه ارتفاعا ... و صار يشغل حيزا محترما من  
هذا الكون و يفرض وجوده فيه!

يخطو خطا أكاد أسمع صوت الأرض تتألم منها !

سامر ... بجسمه النحيل ... و قوامه الهزيل... و وجهه الطويل ... المشوه ...  
و خطاه الهادئة البسيطة ... و أنظاره الخجلة التي غالبا ما تكون مدفونة تحت الأرض ...

شيء ما أحدث في نفسي توترا و انزعاجا ...

إنهما مختلفان ...

لماذا تنجرف أنظاري لا إراديا نحو وليد؟؟؟

لماذا يشدني التيار إليه هو؟؟

حين صارا أمامي مباشرة ، توقف سامر و قال:

"أ أساعدك؟؟"

بينما تابع وليد طريقه مرورا بي ... ثم ابتعد دون أن ينظر إلي...

لكنني كنت أراقبه...

توقف برهة و استدار مادا يده نحو سامر قائلا:

"المفتاح"

مفتاح السيارة كان يسبح في كفه كسمكة في البحر!

تناول سامر المفتاح منه ، ثم أخذ يساعدني في نشر الملابس على الحبال ... في الحقيقة قام هو بالعمل  
... فأنا كنت شاردة و سارحة أفكر...

هل هذا هو شريك حياتي حقا؟؟

لماذا علي أنا أن أتزوج رجلا مشوها؟؟

لقد شغلت الفكرة رأسي حتى ما عدت بقادرة على التركيز في شيء آخر...

هل حقا سأتزوج سامر؟؟

كم كانا مختلفين ... و يهما يسيران جنبا إلى جنب...

في وقت الغداء ، لم أساهم في إعداد المائدة و وافيت البقية متأخرة بضع دقائق...

أتدرون ماذا حدث عندما دخلت غرفة المائدة و جلست على مقعدي المعهود؟؟

قام وليد ... و غادر الغرفة!

تلوت معدتي ألما حين رأيته يذهب ... إنه لا يريد أن يجلس معي حول مائدة واحدة!

الجميع تبادلوا النظرات و حملقوا بي...

أمي تبعته ، ثم عادت بعد أقل من دقيقة و قالت:

"رغد ... خذي أطباقك إلى المطبخ"

صدمت و اهتز وجداني ... و شعرت بالإهانة ... و بأنني أصبحت شيئا

لا يرغب وليد في وجوده ... شيئا يزعجه ... و يتحاشى اللقاء به...

نعم فأنا ابنة عمه التي كبرت و أصبحت ... شيئا محظورا..

رفعت أطباقي و ذهبت إلى المطبخ و انخرطت في بكاء مرير ...

بعد قليل أتتني دانة تحمل أطباقها هي الأخرى:

"رغد ! و لم هذه الدموع أيتها الحمقاء" !

لم أعرها أذنا صاغية ، فقالت:

"إنه يشعر بالحرج و الخجل ! تعرفين كيف هو الأمر ! هذا من حسن الأدب " !

قلت:

"لكنني كنت معكم العام الماضي"

قالت:

"ربما لم يكن قد اعتاد فكرة أنك ... كبرت " !

ليتنني لم أكبر!

تركت أطباقي غير ملموسة و خرجت من المطبخ متوجهة إلى غرفتي ،  
و دانة تشيعني بنظراتها...

في الغرفة ... تأملت صورة وليد التي رسمتها قبل شهر ... و انحدرت دموعي...

أخذت أتخيله ... و هو واقف إلى جوار سامر ... يفوقه في كل شيء يعجبني ...

ثم...

ثم...

أتزوج سامر ! ! ؟؟

لماذا أقارن بينهما هكذا ؟؟

وفي العصر ، أتتني دانة..

"الم تستعدي بعد ؟ سننطلق الآن " !

"إلى أين؟؟"

"أوه رغد هل نسيت ! إلى الشاطئ كما اتفقنا !"

بالفعل كنت قد نسيت الفكرة ... و بالرغم من أنني كنت مسرورة جدا بها مسبقا ألا أنها الآن ... لا تعجبني!

"لا أريد الذهاب"

حملت دانة بي و قالت:

"عفوا ! ألم تكوني أنت المشجعة الأولى ! هل ستبقين في البيت وحدك؟؟"

قلت:

"هل سيذهب الجميع؟؟"

"بالطبع ! إنهم في انتظارنا فهيا أسرعي !"

و ذهبت إلى غرفتها تستبدل ملابسها...

أن أبقى وحدي في البيت هي فكرة غير واردة ... لم يكن أمامي إلا الذهاب معهم...

توزعنا على سيارتي أبي و سامر...

جلس وليد على المقعد المجاور لسامر ، و أنا خلفه ، و دانه إلى جانبي ، و تركنا والديّ معا في

السيارة الأخرى...

وليد و سامر كانا يتبادلان الأحاديث المختلفة تشاركهما دانة ، أما أنا فبقيت صامتة ... أراقب و  
استمع ... و أشعر بالألم...

لم تفتني أي كلمة تفوه بها وليد ... او أي ضحكة أطلقها

كنت أضغي إليه باهتمام بالغ ! حتى كدت أحفظ و أردد ما يقول!

عندما وصلنا ، فرشنا بساطا كبيرا و وضعنا أشياءنا و جلسنا عليه ، إلا أن وليد ظل واقفا ... ثم ابتعد  
... و سار نحو البحر...

إنه لا يرد الجلوس حيث أجلس...

لماذا يا وليد؟؟

هل تعرفون كم دقيقة في الساعة؟؟

ستون طبعا!

و هل تعرفون كم مرة في الساعة فكرت به ؟

ستون أيضا !

و هل تعرفون كم ساعة بقينا هناك؟؟

ست ساعات !

هل أحصيتكم كم وليد جال برأسي خلال الرحلة؟؟



الثلاثة ، أبي و وليد و سامر ذهبوا للسباحة ، أمي تصف قطع اللحم في الأسياخ و دانة تساعدنا...

و أنا ، معدتي تنن!

"رغد ! لم لا تبتلعين أي شيء ريثما يجهز العشاء؟؟ لم تضرم النار بعد و سنستغرق وقتا طويلا!"

نظرت إلى دانة و قلت:

"لم لا تسرعان؟"

"لا يزال الوقت مبكرا ! أنت من فوّت وجبة الغداء!"

لقد كنت جائعة بالفعل ! و فتشت في السلّات فلم أجد شيئا يستحق التهامه حتى يجهز طعام العشاء المشوي !

نظرت من حولي فرأيت مقصفا صغيرا على مقربة منا...

"أريد الذهاب إلى هناك!"

قالت دانة:

"أذهبي!"

قلت:

"تعالا معي!"

ابتسمت دانة ابتسامتها الساخرة التي تعرفون و قالت:

"نعامتي الصغيرة ... تخشى من الظلام ...  
و ترجف خوفا ... من فئران نيام" !

و هو مطلع أغنية للأطفال !

غضبت منها فاسترسلت في الضحك...

تجاهلتها و خاطبت والدتي:

"تعالى معى" ...

أمى مدت يديها الملتختين بعصارة اللحم ، تريني إياهما و قالت:

"فيما بعد رغد"

نظرت نحو الشاطئ فوجدت وليد يجلس على أحد المقاعد ... و والدي و سامر لا يزالان يسبحان...

التفت إلى دانة و قلت:

"دعينا نقترب من الشاطئ ... أريد أن أبلل قدمي" !

دانة قالت:

"أنا لا أريد ! اذهبي أنتِ"

"لا أريد الذهاب وحدي"

و عادت تغني:

"نعامتني الصغيرة ... تخشى من الظلام" !!

أصبحت لا تطاق! ...

و أمي منهمكة في إعداد أسياخ اللحم...

" اذهبي رعد ... إنهم هناك ! اذهبي عزيزتي " ...

قالت أمي مشجعة إياي...

لم يكن هناك الكثيرون على مقربة منا ... و لكنني ترددت كثيرا...

في النهاية أقنعت نفسي بأنهم قريبون من الساحل ، كما و إن وليد يجلس هناك ... و لا داعي لأي خوف...

سرت نحوه و أنا أحس بنظرات أمي تتبعني ... فهي تريد لي التخلص من خوفي المبالغ به ... من أماكن لا تستوجب أي خوف أو حذر...

كانت أمواج البحر تتلاطم بحرية ... و نسמת الهواء باردة منعشة تغزو صدري الضائق منذ ساعات ... فتفتح شعبه و توسعه...

اقتربت من وليد ... و لم يشعر بي

تجاوزته نحو الماء ... فلم أحس بحركة منه .. التفت فرأيته مغمض العينين ، و ربما نائم!

سمحت للماء البارد بتبليل قدمي ... و شعرت بانتعاش!

لوح سامر لي ... فشعرت بأمان أكثر و تجرأت على خطو خطوتين يميناً و يساراً ... إلا أنني لم ابتعد أكثر من ذلك ... لم أخرج عن الحيز الذي يحيط بوليد و يشعرني بالطمأنينة...

و الآن تجرأت على خطوة أكبر ... و جلست على الرمال المبللة و مددت يدي لألامس الأمواج...

كان شعورا رائعا!

أقبل مجموعة من الأطفال بألعابهم و أطواق نجاتهم ، و بدؤوا يلعبون بمرح ... كنت أراقبهم بسرور!

ليتنى أعود صغيرة لألهو معهم!

التفت للوراء ... إلى وليد ... استعيد ذكريات ظلت عالقة في ذاكرتي ...

كان وليد يلاعبني كثيرا حينما كنت صغيرة ! و في المرات التي نقوم فيها برحلة إلى الشاطئ ... كان

يبقى حارسا لي و لدانة!

عدت بنظري للأطفال ... أتحسر!

يبدو أن أصواتهم قد أيقظت وليد من النوم ... سمعت صوته يتنحى ثم يتحرك ، استدرت للخلف

فوجدته يقف و ينظر إلى ما حوله...

وليد تحرك مقتربا من البحر ... فنهضت بسرعة و قلت:

"إلى أين تذهب؟؟"

وليد توقف ، ثم ... قال:

"لأسبح "

قلت:

"انتظر ... سأعود لأمي "

في نفس اللحظة أقبل سامر يخرج من الماء نحو اليابسة...

"وليد ... تعال يا رجل ! يكفيك نوما" !

قال سامر ، فرد وليد:

"أنا قادم ... لكن ألا يجب أن نشعل الجمر الآن؟؟"

"لا يزال الوقت مبكرا" !

و التفت سامر إلي و قال:

"رغد أخبرني أمي بأننا سنقضي ساعات أكثر في السباحة" !

قلت:

"حسنا" !

بينما تصرخ معدتي : كلا!

سامر خرج من الماء ، و صار واقفا إلى جوار وليد ... و قام ببعض التمارين الخفيفة...

التفت إلى ناحية البساط الذي نفترشه ، و خطوت متجهة إليه...

مجموعة من الناس كانوا يلاحقون كرة قدم ... فيضربها هذا و يركلها ذاك ... يتحركون في طريقي...

وقفت في منتصف الطريق لا أجرؤ على المضي قدما...

التفت إلى الوراء فوجدت الاثنان يراقباني...

و إلى حيث تجلس أمي و أختي ... فإذا بهما أيضا تراقباني...

الآن ... تدرجت الكرة نحوي و اقتربت من قدمي ... و أقبل اللاعبون يركضون نحوها ...

وصل إلي أحدهم و قال:

"معدرة يا آنسة"

أصبت بالذعر ... فجأة...

خطوة للوراء...

ثم خطوة أخرى...

ثم أطلقت ساقى للريح راكضة باضطراب و فزع ...

إلى حيث جرفني التيار...

نحو وليد!

الحلقة الثامنة عشر

أفقت من غفوتي القصيرة...

كنت أجلس على أريكة بمحاذاة الشاطئ ، تتدلى قدمي في مياه البحر و تعانقان أمواجه الراقصة...

الهواء كان منعشا جدا و البحر غاية في الجمال ... منظر لم تره عيناى منذ سنين  
إنها المرة الأولى منذ تسع سنين ، التي يبتهج فيها صدري و أنا بين أهلي و أحبابي...

أصوات مجموعة من الأطفال تغلغت في أعماق أذني و أيقظتني من راحتي النادرة

ما إن فتحت عينيّ الناعستين حتى تلقنا منظرا جعلني أقف منتصبا فورا !

كانت رغد ... صغيرتي الحبيبة ... خطيبة أخي الوحيد ... تجلس على الرمال المبللة تعبت بالماء ...  
إلى جوارى تماما!

نهضت و قد أصابني الروع!

و سرعان ما هبت هي الأخرى واقفة ، تنظر إلي...

وجّهتُ سهام بصري إلى البحر ... ليبتلع أي شعور يفكر في الاستيقاظ في داخل قلبي ... و خطوات  
مبتعدا عنها

استوقفتني ، فأخبرتها بأنني ماض للسباحة فقالت بسرعة:

"انتظر ! سأعود لأمي " ...

لم أعرف ما إذا كانت تقصد مني مرافقتها أو مراقبتها تحديدا ، إلا أنها حين سارت مبتعدة بقينا أنا  
و سامر - و الذي خرج من الماء للتو و وقف إلى يساري لا يفصلني عنه غير شبرين - نراقبها و هي تبتعد  
...

و حين ظهر فتى في طريقها يريد أخذ كرة القدم التي تدرجت منه نحوها ، اضطربت صغيرتي ... و  
استدارت نحونا ... و أقبلت مسرعة و أمسكت بذراعي اليمنى و اختبأت خلفها!

أنا طبعا وقفت كالجدار لا أحس بشيء مما حولي و لا أعرف ماذا يحدث و ماذا علي أن أفعل!

أردت أن أسحب ذراعي لكنها غرست أظافرها بي و آلمتني...

الفتى ذاك كان يحمل الكرة و ينظر بتعجب نحونا

و أمي و دانه أيضا تنظران بتعجب

أما النظرات التي لم أعرف ما طبيعتها هي نظرات أخي سامر...

"صغيرتي ... صغيرتي ... لا بأس عليك ... اهدئي أرجوك"

رغد الآن تنظر إلى و قد اغرورقت عيناها بالدموع ، و قالت بانفعال و اضطراب:

"لماذا لم تأتِ معي ؟ لماذا تركتني وحدي ؟ هل تريد أن يؤذيني أحد بعد ؟"

كلمتها هذه جعلت عضلاتي تنقبض جميعها فجأة ، و لا شعوريا مسكت أنا بيديها و شددت عليهما بقوة...

لحظة جحيم الذكرى ... و أعيينا تحديق ببعضها البعض بحدة ... من عيني يقده الشر الحارق ... و من عيناها تنسكب الدموع المجروحة ... و في بؤبؤيها أرى عرضا للشريط المشؤوم اللعين ... و صورة لعمّار يبتسم ... و الحزام يتراقص...

"لكنك قتلته"

نطقت بهذه الجملة لا إراديا و أنا أهدق بها في نظرات ملؤها الشر ... و القهر...

لقد شعرت بأشياء تتمزق بداخلي ... و أشياء تعتمر ... و أشياء تتوجع و تصرخ...

كيف لي أن أتحمل موقفا كهذا؟؟

لو ظل سامر صامتا ، ربما بقيت شهورا واقفا عند نفس النقطة ، إلا أن صوته قطع الحبال المشدودة و أرخى العضلات المنقبضة

"رغد" ...

أطلقنا نظراتنا المقيدة ببعضها البعض و سمحنا لها بالانتقال إلى عيني سامر ...

لا يخفى عليكم الذهول و الحيرة و الدهشة التي كانت تغلف وجه سامر الواقف ينظر إلينا...

قال:



"رغد ... عزيزتي " ...

و لم ينطق بعدها بجملة واضحة تفسر التعبيرات الغامضة المرسومة على وجهه الحائر...

رغد الآن بدأت تمسح دموعها و قد هدأت نوعا ما...

الآن ... تصل أمي و أختي ... و تستدير رغد إليهما ، و تنطق بمرارة:

"قلت لك لا أستطيع ... لا أريد المجيء ... لا أستطيع ... لا تتركوني وحدي"

و انخرطت في مزيد من البكاء المؤلم

أمي أحاطتها بذراعيها و أخذت تتمتم بكلمات لم استطع استيعابها من هول ما أنا فيه ...

ثم رأيتهن هن الثلاث ، رغد و أمي و دانة ، يبتعدن عائذات من حيث أتين...

سامر ظل واقفا لثوان أخرى ، ثم هم باللحاق بهن ... و حانت منه التفاتة إلي ... فرآني و أنا أنهار على الرمال و أضغط بيدي على معدتي و أتأوه ألما...

لقد شعرت بأشياء تتمزق و تعصر في أحشائي ... و دوار داهمني دون إنذار مسبق ... و خور و وهن مفاجئ في بدني ... فهويت أرضا ...

كنت أعرف أن قلبي ينزف من الداخل ، كما تنزف أنسجة جسدي كله من شدة الموقف و قسوته ... و شعرت بالدماء تجري بكل الاتجاهات في جسمي ... و أحسست بها تصعد من جوفي ... و تملأ فمي ... ثم تخرج و تنسكب على الرمال ملونة إياها هي و يدي المرتكزة عليها باللون الأحمر...  
الآن ... تستطيع عيناى رؤيتها بوضوح ... تماما كما ترى النور ...

دماء حقيقية خرجت من جوفي ممزوجة بعصارة معدتي المتلوية ألما...

"وليد" !

رفعت رأسي ، فإذا بي أرى سامر ينظر إلى موضع الدماء بذعر ...

"ما هذا؟؟"

ما هذا ؟ أظن أنها دماء ! وهي المرة الأولى التي تخرج فيها دمائي من جوفي ... و أنا أشعر بألم حاد  
جدا في معدتي ...

ما هذا ؟

أظن أن هذا عرضٌ لمرضٍ ما...

بعد فترة ... كنا نجلس قرب موقد الجمر ، نستنشق الأدخنة المتصاعدة من المشويات ... و نتلذذ  
برائحتها الشهية...

كان والدي يقلب الأسياخ و يهف الجمر ... و كلما نضج اللحم في أحد الأسياخ دفعه إلى واحد منا ،  
فيلتهمه بشهية كبيرة...

و الآن جاء دوري...

"تفضل يا وليد"

كنت أود مشاركتهم هذه الوجبة اللذيذة التي لم أذق لها مثيلا منذ سنين ... لكن الآلام الحادة في  
معدتي حالت دون إقبالي على الطعام...

"شكرا أبتاه ... لا أستطيع التهامها فمعدتي مضطربة جدا"

قال سامر:

"لقد تقياً دما قبل قليل"

الجميع ينظر إلى الآن بقلق ...

ابتسمت و قلت:

"ربما أكلت شيئا لم تتقبله ! لا تكثرثوا"

أمي قالت بقلق:

"بني ... عساه خيرا؟؟"

"لا تقلقي أماه ... ستهدأ بالصيام لبعض الوقت"

ثم حاولت تغيير مجرى الحديث...

أبي مد سيخ اللحم المشوي نحو الشخص التالي قائلا:

"نصيبك يا رغد"

رغد كانت تجلس على مؤخرة البساط ، بعيدة عن موقد الجمر الذي نجتمع قربه...

رغد نهضت ، و أقبلت نحونا و مدت يدها و أخذت السيخ ، ثم همت بالعودة إلى المؤخرة...

نهضت أنا و قلت:

"تفضلي هنا ... أنا سأتمشى قليلا"

و ابتعدت كي أدع لها المجال لتجلس مكاني ، قرب الجميع ... و تستمتع معهم بوجبة الشواء الشهية...

ذهبت أولا نحو سيارة أخي ، و استخرجت علبة السجائر التي كنت أضعها في جيب بنطالي الذي

استبدلته بملابس السباحة ... ثم انطلقت إلى البحر ... و جلست على الرمال ... أدخن بشرود

صوت أبي الجمهور كان يصلني خافتا ضاحكا ... إذن فالجميع يستمتعون بوقتهم ... كم أتمنى لو  
أعود للحياة الدائمة معهم ... ليتني أستطيع ذلك...

ليتني أستطيع رمي الماضي في قلب البحر ... و نسيانه ...

بعد قرابة النصف ساعة جاءتني دانة

ابتسمت عند رؤيتي لها ، فابتسمت هي الأخرى إلا أنها سرعان ما حملت بي بتعجب ...

"أنت تدخن؟؟"

مرّغت السيجارة التي كانت في يدي في الرمل المبلل ، إلى جوار أختها السابقة ... و ابتسمت ابتسامة  
واهنة تنم عن الاستسلام و القنوط..

"عادة سيئة ... لا خلاص منها" !

دانه جلست إلى جانبي و أخذت تراقب الأمواج المتلاطمة ... ثم قالت:

"لم أكن أعلم بذلك ! لو كان نوار يدخن لرفضت الارتباط به ! لا أطيع رائحة هذه المحروقة السامة  
!"

قلت ببعض الخجل:

"معدرة"

ثم أضافت مداعبة:

"و على فكرة ... فإن جميع الفتيات مثلي أيضا ! و إن استمررتم في التدخين فسوف تسببون أزمة  
عزّاب و عوانس" !

أطلقتُ ضحكةً عفويةً على تعليقها خرجت من أعماق صدري ممزوجة ببقايا الدخان !

قلتُ بعد ذلك :

" إذن ... هل استعدتتما للزفاف ؟؟ "

بشيء من الخجل قالت :

" تقريبا ... إنه يريد أن نتزوج بعد عودة والديّ من الحج مباشرة ! أبي يود تأجيل ذلك شهرين أو ثلاثة ... أما والدتي فتراه موعداً مناسباً جداً ، و تريد أن يتزوج سامر و رغد معنا دفعة واحدة " !

و هذا خبر ليس فقط يحبس الأنفاس في صدري و يعصر معدتي ، بل و يستل روحي من جسدي ... و لن أعجب إن رأيتها تنسكب على الرمال أمامي كما انسكبت دمائي قبل قليل !

في هذه اللحظة أقبل سامر و رغد ... لينضموا إلينا

قال سامر :

" هل لنا بالانضمام إليكما ؟ تركنا الوالدين يشويان السمك " !

قالت دانة ضاحكة :

" أوه أمي ! من سيلتهم المزيد ؟ أخبرتها ألا تحضر السمك و لكنها مولعة به كثيرا " !

و استدارت نحوي :

" وليد كيف معدتك الآن ؟ ألا تحب أن تتناول بعض السمك المشوي ؟؟ "

" كلا ، لا طاقة لي بالطعام هذه الليلة "

و جلس سامر إلى جانبي الآخر ، و رغد إلى جانب دانة...

قال:

"فيم كنتما تتحدثان؟؟"

قالت دانة:

"فيكما أنت و رغد ! كنت أخبر وليد أنكما حتى الآن لم تتخذا قرارا نهائيا حاسما بشأن موعد الزفاف!"

سامر ابتسم و قال:

"أنا جاهر و في انتظار أوامر العروس!"

العروس هي رغد ! و رغد هي صغيرتي الحبيبة ... التي كنت أحلم بالزواج منها ذات يوم ... ثم فقدتها للأبد ... فهل لكم أن تتخيلوا حالي هذه اللحظة؟؟

قالت دانة:

"هيا يا رغد ! قولي نعم و دعينا نحتفل سوية!"

ثم غيرت النبرة و قالت مداعبة:

"و لكن كوني واثقة من أنني سأكون الأجل بالتأكيد!"

أذناي طارتا نحوها ، حتى كادتتا تلتصقان بشفتيها أو حتى تخترقان أفكارها لأعلم ما ستقوله قبل أن تقوله ... تكلمي رغد؟؟

رغد ظلت صامتة ... و أنا أذناي تترقبان بصبر نافذ ... هيا يا رغد قولي أي شيء ... ارمني بسهام الموت واحدا بعد الآخر...

اطعنيني بخناجر الغدر و حطمي قفصي الصدري و مزقي الخافق الذي ما فتئ يحبك مذ ضمك إليه

طفلة يتيمة وحيدة ... توهم أنها خلقت من أجله فجاءت قذائفك تدمر قلعة الوهم التي بنيتها و عشت  
بداخلها ١٥ عاما ... أو يزيد...

و أقسم ... أقسم أنك لو تزوجت مع شقيقتي في نفس الليلة ، فإني سأتحلى عنها و أخذلها و أدفن  
نفسي بعمق آلاف الأميال تحت الأرض ، لئلا أحضر أو أشارك أو أبارك ليلة تزفين فيها إلى غيري ...  
مهما كان ...

بعد كل هذه المشاعر التي تصارعت في داخلي في ارتقاب كلمتها التالية ... و أذاني تصغيان باهتمام و  
تركيز شديدين أكاد معهما أسمع دبيب النمل ...

بعد كل هذا ... جاءني السهم المباغت التالي:

"وليد ... ما رأيك؟؟"

أنى لي أن أصف ما أود وصفه و أنا بحال كهذه؟؟

تسأليني أنا عن رأيي؟؟ رأيي في ماذا؟؟

في أن تتزوجي شقيقي اليوم أو غدا أو بعد قرن؟؟

في أن تذبحيني اليوم أو غدا ... أو بعد قرن؟؟

أتشهد أيها البحر؟؟

ألا يا ليتك تبتلعني هذه اللحظة ... فأواجك العاتية ستكون أكثر لطفا و رحمة بحال رجل تسأله

حبيبة قلبه : ما رأيك بموعد زفاني!

تحركت يداي إلى علبة السجائر الموضوعة على الأريكة الجالسة خلفي ، و تناولت واحدة و أشعلتها في  
محاولة مستميتة للفرار من جملة رغد ، التي كنت قبل ثواني أتوق لسماعها و أرسل أذني نحو لسانها  
لالتقاط الجملة بسرعة فور خروجها...

بدأت اللحظة التالية كالساعة بل كالقرن في طولها..

سحبت نفسا عابقا بالدخان المنبعث من السيجارة المضغوطة بين شففتي...

وأطلقت زفرة قوية ... حسبت معها أن روحي قد انطلقت ، و الدخان قد لوث الكرة الأرضية بكاملها  
...

قلت ... بعدما عثر لساني على بضع كلمات مرمية على جانبية:

"الأمر عائد إليكما"

و وقفت...

و قلت:

"معدرة ... سأدخن في مكان آخر"

و انصرف عنهم...

سرتُ مبتعدا ، و وقفت موليا إياهم ظهري ... انفث السموم من و إلى صدري و أقاوم آلام قلبي و معدتي ... و أحترق.

بعد فترة ، انتهت رحلتنا و آن أوان العودة إلى البيت...

لم أكن أريد أن أركب سيارة سامر ... فقربه و قربها مني يعني مزيدا من الألم و الاحتراق ، لكنني حين رأيت دانة تركب سيارة والدي ، و رغد تقف عند سيارة سامر ... توجهت تلقائيا و جلست على المقعد الأمامي ، لأمنعها من الجلوس عليه!

مشوار العودة كان طويلا مملا ... فقد التزمنا الصمت ... و رغد نامت!

"وصلنا عزيزتي" !



قال سامر ذلك و هو يلتفت إلى الوراء ، ليوقظ رغد ...

كنا قد وصلنا قبل الآخرين...

فتحت أنا الباب و هبطت من السيارة ، و رأيت رغد تستفيق...

ذهبت إلى مؤخرة السيارة أفرغ حقيبتها من حاجيات الرحلة ، ثم أحملها إلى داخل المنزل ...

و أقبل سامر يساعدني ، و حين وصلت إلى الباب ، جاءت رغد بمفتاح سامر و فتحتة لي ... و انطلقت مسرعة نحو الباب الداخلي تفتحه على مصراعيه لأدخل بما تحمل يداي ، و أتجه نحو المطبخ...

وضعت الأشياء في المطبخ و استدرت راغبا في العودة لجلب البقية ... رغد واقفة عند باب المطبخ تراقبني...

حين مررت منها...

"وليد"

وقفت ... و عاودني الشعور بالألم في معدتي فجأة ... يكفي أن أسمعها تنطق باسمي حتى تنهيج كل أوجاعي...

لم أرد ، و لكنني توقفت عن السير منتظرا سماع ما تود قوله...

"وليد"

عادت تنادينني ... تعصرني...

"نعم؟؟"

قالت:

"ألم يعد يهملك أمري؟؟"

فوجئت بسؤالها هذا فالفت إليها مندهشا ...

كانت عيناها حمراوين ربما من أثر النوم ... و لكن القلق باد عليهما...

"لم تقولين ذلك؟! "

قالت:

"لم لم تبدِ رأيك بشأن زوجي؟؟"

تصاعدت الدماء المحترقة إلى شرايين وجهي و ربما إلى حلقي لكنني ابتلعتها عنوة

قلت:

"إنه أمر يخصكما وحدكما ... و لا شأن لي به"

رغد هزت رأسها اعتراضا ثم قالت:

"لكن وليد ... أنا" ...

و لم تتم الجملة ، إذ أن أخي سامر أقبل يحمل بعض الأغراض ، فسرت أنا خارجا لجلب المتبقي منها...

فيما بعد ، و سامر يحمل بطانية و وسادة قاصدا الذهاب للنوم في غرفة الضيوف و تركي أنام في غرفته ، كما أصر ... و قبل أن يخرج من الغرفة توقف و قال:

"وليد ... هل لي بسؤال؟"

"تفضل؟؟"

تأملني لحظة ثم قال:

"وليد ... لماذا ... قتلت عمّار؟؟"

~ ~ ~ ~ ~ ~ ~ ~

ذهبت مباشرة إلى غرفتي ، قبل أن تحضر أمي و دانه ثم تطلبان مني مساعدتهما في الغسل و التنظيف  
...

فأعمال المنزل هي آخر شيء أفكر بالقيام به في هذه الساعة ، و هذه الحال

يكاد قلبي ينفطر أسي ... لحقيقة مرة أتجرعها رغما عني

وليد لم يعد يهتم لأمرى ... و لم أعد أعني له ما كنت و أنا طفلة صغيرة...

ربما ظن الجميع أنني أويت لفراشي و نمت ... فعادتي أن أنام مبكرة ، إلا أنني قضيت ساعات  
طويلة في التفكير و الحزن ... و الألم و الدموع أيضا

لماذا يعاملني وليد بكل هذا الجفاء و يبتعد كلما اقتربت؟؟

و دليل آخر ... تكرر صباح اليوم التالي...

فقد نهضت متأخرة ... و وجدت الجميع مجتمعين في غرفة المعيشة يتناقشون حول أمور شتى...

دخلت الغرفة فتوقف الجميع عن الحديث ، و ألقيت تحية الصباح ... ثم خطوت باتجاه أحد المقاعد  
راغبة في مشاركتهم أحاديثهم...

و الذي حدث هو أن وليد نهض ، و هم بالمغادرة...

شعرتُ بألم حاد في صدري ...

قلت:

"كلا ... ابق حيث أنت ... أنا عائدة إلى غرفتي ... اعتذر على إزعاجكم"

و استدرت بسرعة مماثلة للسرعة التي بها انهمرت دموعي...  
و غادرت المكان...

ذهبت إلى غرفتي و سبحت في بحر دموعي ...

وافتنني أُمي بعد قليل و رأنتني على هذه الحال

"رغد يا عزيزتي ... لا تأخذي الأمر بهذه الحساسية ! إنه لا يقصد شيئاً ... لكنه الحياء" !

انفجرت و تفوهت بجمل لم أفكر فيها إلا بعد خروجها ، من شدة تأثري...

قلت:

"إذا كان وجودي في هذا البيت يزعجه فأنا سأرحل إلى بيت خالتي ... ليأخذ حريته التامة في  
التجول حيثما يريد"

أُمي صدمت بما قلت ، و حملقت بي باندهاش...

"رغد ! كيف تقولين ذلك؟؟"

"إنه يتعمد تجاهلي و تحاشي ... كأنني فتاة غريبة و موبوءة ... أ لهذا الحد لم يعد يطيقني ؟ ألم  
أعد أعني له شيئاً؟؟ ألم يكن يعني لي كل شيء في الماضي؟؟"

و سكتٌ ، التقط بعض الأنفاس و أمسح الدموع بكومة من المناديل متكدسة في يدي ... كنت أبكي بانفعال...

والدتي قالت فجأة:

"و الآن؟؟"

نقلت بصري من كومة المناديل المبللة في يدي ، إلى عيني أُمي و نظراتها المقلقة ...

و الآن؟؟

أعتقد أن أُمي كانت تلمح إلى شيء ، لم تجرؤ على التصريح به ... و إن قرأت بعض معالنه في عينيها ...

إنها نفس النظرة التي رمقتني بها تلك الليلة ، ليلة رحيل وليد السابق ، قبل أذان الفجر...

و خفت ... من الحقيقة التي لا أريد أن أكتشفها أو يكتشفها أي كان ... حقيقة الشعور بالحرارة التي تتأجج داخلي كلما كان وليد على مقربة..

في ذات اليوم ، أصرت على الذهاب إلى بيت خالتي و تناول الغذاء مع عائلتها

كنت أريد أن أبتعد مسافة تسمح لي بالهدوء ، فنبضاتي لا يمكن أن تهدأ و وليد في مكان قريب...

هناك فوجئت بأمر آخر!

خالتي انفردت بي لبعض الوقت في إحدى الغرف و بدون أية مقدمات سألتني:

"هل صحيح أنك ... أنك لا ترغبين في الزواج من ابن عمك سامر؟؟"

دهشت و هالني ما سمعت ... قلت بذهول:

"أنا ؟ من ... قال ذلك؟؟"

خالتي كانت تحدثني بجدية و قلق واضحين ...

قالت:

"لقد سمعتك سارة تخبرين نهلة بهذا ذات مرة ... و ذكرت الأمر على مسمع مني و من حسام ... و من حينها و هو و أنا معه في جنون!"

لم أعِ الأمر بالسرعة المفروضة ، بل بقيت أحملق بدهشة و بلاهة في عيني خالتي ... و ربما هي فسرت صمتي موافقة على ما تقول...

"رغد ... أخبريني بكل شيء ... فإن لم تكوني ترغيبين في الزواج من ذلك المشوه فنثقي بأنني لن أسمح لهذا الزواج بأن يتم أبدا"

فيما بعد ، كنت أجلس مع نهلة في غرفتها دون وجود سارة - لوحدنا أخيرا!

قلت:

"و تقولين أنها لا تعي شيئا؟ إنها أخطر مما ظننت! يا لجرأتها ... كيف تخبر خالتي و حسام بأمر كهذا؟! هل أنا قلت ذلك؟؟"

نهلة تنهدت و قالت:

"هذا ما ترجمه دماغها الصغير ! لقد قلت أنك لا تريدين الزواج الآن ! أخضعتني أمي لاستجواب مكثف ، و أخي حقق معي مطولا بسبب هذا الأمر " !

"يا إلهي " !

ابتسمت نهلة ابتسامه سخرية ماكرة ، ثم وقفت فجأة و نفخت صدرها هواءً ، و رفعت كتفيها عاليا ، و قطبت حاجبيها و عبست بشكل غريب مرعب و قالت بنبرة خشنة - تقلد حسام:

"أمي يجب أن تتأكدي من الأمر لأنني إن اكتشفت أنهم أرغموها على هذا الزواج أو استقلوا كونها يتيمة و صغيرة و ضعيفة ، فأقسم بأنني سأشوه النصف الآخر من وجه ذلك اللئيم الماكر "

قفزت أنا واقفة بغضب...

"نهلة " !

ألا أنها تابعت تمثيل المشهد:

"قلت لك يا أمي ... تدخلني و امنعي هذا الارتباط منذ البداية ... أترين أن فتاة في الرابعة عشر هي مدركة بالقدر الكافي لتحديد مصيرها في أمر كهذا ؟؟ كيف تجرءوا على فعل هذا كيف ؟؟ كيف ؟؟ ويل لذاك المشوه مني "

"يكفي نهلة " ...

قلتُ بعصبية ، فعادت نهلة إلى شخصيتها الطبيعية ، و قالت:

"هذا ما كان يحصل كل يوم ! تعرفين أن حسام يبغض خطيبك من ذلك الحين " !

قلت:

"لا أقبل أن ينعت أحد بالمشوه ... و تشوه وجهه ليس شيئا يستحق أن يعير عليه "

نهلة جلست على السرير ، و قالت:

"ليس بسبب التشوه هو ناقم منه ! تعرفين ! إنه بسببك أنت ! لازال مولعا بك" !

انزعجت من هذا ... فقد كنت أظن أن الأمر قد انتهى ... لكن ...

"أرجوك نهلة لتغير الموضوع ... لقد أكدت لوالدتك أن سارة فهمت خطأ ... و إن بدا عليها عدم الاقتناع ... لكن لنعد الأمر ينتهي الآن" ...

و أتيت و جلست قريبا ... ثم اضطجعتُ مسترخية على السرير...

"إذن ... ماذا قررت ؟ مع دانة أم بعدها؟؟"

تنهدت بانزعاج من الموضوع برمته ... قلت:

"لم أقرر يا نهلة ... لماذا يطاردني الجميع بهذا السؤال؟؟"

نهلة أمسكت بيدي اليمنى و أخذت تحرك خاتم الخطوبة حول إصبعي البنصر و تقول:

"لأن هذا الخاتم سئم البقاء حول هذا الإصبع ! إنها أربع سنوات يا رغد" !

قلت:

"لكنني لا أزال صغيرة ! ألا ترين ذلك؟؟ أريد أن أخرج من الجامعة أولا ..و أريد أن ... تتغير علاقتي بسامر فأنا لا أشعر بشيء مميز تجاهه"

كنت أنظر إلى السقف ، و لكن رأس ابنة خالتي ظهر أمامي فجأة ... و أجبرني على النظر إلى عينيها ...

قالت :



"تقصدين لا تحبينه" ...

و كان تقريرا إجباريا لا سؤالا ...

التفت يمينا فأمسكت هي بوجهي و أعادته حيث كان و أجبرتني على النظر إلى عينيها الناطقتين  
بالحق...

"لا تهربي رعد ! أنت لا تحبينه" !

استسلمت ... و غضت بصري ... أتحاشى تلك النظرة الثاقبة الفاهمة...

نهلة هي أكثر شخص يفهمني و أبوح إليه بأسراري و كل ما يختلج مشاعري...

نهلة مسحت على رأسي بعطف و قالت:

"رعد ... لا تتزوجيه إذا لم تكوني ترغبين في ذلك ... إنه كالأخ بالنسبة إليك ! أبقيه أبا فأنت  
بحاجة إليه كأخ لا كزوج" !

"نهلة" ... !

و ضربت أنفي بإصبعها ضربة خفيفة و هي تقول:

"أليس كذلك؟؟"

عدت أهدق بها ... في حيرة من أمري ...

قلت:

"من أتزوج إذن؟؟"

هي ابتسمت و قالت بمكر:

"أخي حسام" !

رفعت رأسي و صدمت جبينها بجبيني عمدا ثم جلست و أخذت هي تمثل دور المتألمة!

"آه ... رأسي ! كسر في الجمجمة ! انجدوني" !

قلت بنفاز صبر:

"قلت لكِ ! لا تتوبين" !

قالت و قد بدت عليها الجدية الآن:

"صدقيني يا رعد ... إنه مهووس بك" !

قلت:

"و الآخر كذلك ! لم تظنينه يلح علي بالزواج ؟ إما أن نتزوج أو يفتش عن وظيفة أخرى تبقيه قربي  
!"

قالت ، تنظر إلي بعين شبه مغمضة و حاجبيها مرفوعين أقصاهما:

"من مثلك ! عاشقان في وقت واحد ! يا للحظ ! كم أنا مسكينة" !

"قلت لك لا تتوبين ! أوه نهلة ! لسوف أطلب من خالتي التفتيش عن عريس لك حتى أتخلص منك  
كما تخلصت من دانة" !

ضحكت نهلة و قالت:

"سأتزوج من شقيق زوجك حتى آتي للعيش معك ! لن تتخلصي مني" !

و استمرت في الضحك...

الجملة أثارتنني كثيرا ... غضبت و قلت بانفعال لا يتناسب و دعابتها العفوية:

"قلت لك دعي وليد و شأنه ... لا تأتي بذكر هذا ثانية أ فهمتِ؟؟"

نهلة ابتلعت ضحكاتها و نظرت إلي بشيء من التعجب و الحيرة...

"ما الأمر رغد ! كنت أمزح ... لم انفعلت هكذا؟؟"

خجلت من نفسي فأنا لا أعرف لم انفعلت بهذا الشكل بينما هي تمزح ليس إلا...

بل ، و حتى لو كان كلامها غير مزاح ... لم علي الانفعال هكذا؟؟

اعتقد أن وجهي تورد ... فنظرات نهلة توحى بأنها تلاحظ شيئا غريبا على وجهي...

التفت نحو اليسار أخفي شيئا مما قد يكون ظاهرا على وجهي دون أن أملك القدرة على مواراته لكن

توتري كان أوضح و أفصح من أن يغيب عن ذهن نهلة ... التي تعرفني عز المعرفة...

"رغد ... ماذا دهك؟؟"

"أنا ؟ لا شيء ... لا شيء"

و الآن استدرت كليا ، و أوليتها ظهري ... بل و سرت نحو المجلة الموضوعة على المنضدة قرب سرير

نهلة ... متظاهرة بالبرود...

قالت تحاصرني:

"وليد غائب الآن؟؟"

قلت:

"لا ... عاد إلينا منذ يوم أمس الأول " ...

و أمسكت بالمجلة ، و جلست على السرير ، و أخذت أقلب صفحاتها و ألهي نفسي بالتفرج على الأزياء و المساحيق و العطور ... و حتى الأخبار السياسية و الرياضية ... و صور اللاعبين!

"أوف " !

أغلقت المجلة بسرعة ، بعد أن وقعت عيناى على صورة نوار يبتسم!

يا إلهي ! كم أنفر من هذا الشخص ! رغم أنه محبوب من قبل الكثيرين و الكثيرات !

"ماذا دهاك؟؟"

"إنه ذلك المغرور ! من أمنيات حياتي ... أن أتصفح مجلة ذات يوم ثم لا أجد صورة له فيها ! يا له من شخص بغيض ! أتساءل ما الذي يجذب هؤلاء البشر إليه؟؟ دانة المسكينة " !

"و لم مسكينة ..؟ ألسنت تقولين أنها تحبه؟؟"

"كثيرا ! إنه سيعود الليلة من رحلته و ستقيم الدنيا و تقعدها من أجله ! لا بد أنها الآن تعد أطباق العشاء و الكعك من أجله ! الحمد لله إنني لست معها في المطبخ هذه الساعة" !

و ضحكنا بمرح...

ثم قالت:

"و خطيبك سيرحل اليوم؟"

"نعم ... خلال ساعتين"

"إذا ... ألا يجدر بك أن تكوني معه الآن؟؟"

وقفت ... و سرت في الغرفة بضع خطوات حائرة ... فقد خرجت من منزلي منذ الصباح ، و هاهي الساعة تتجاوز الثالثة ظهرا ... و لا بد أن سامر ينتظر عودتي الآن...

قلت:

"إنه مع وليد ... الكل محتفٍ بعودته و مشغول به ! من سيذكرني هذه اللحظة؟؟"

قالت:

"هل سيرحل وليد عاجلا؟"

"لا .. على ما أظن و أتمنى"

"تتمنين؟؟"

وقعتُ في شركي ! قلت محاولة التصحيح و التعديل:

"أقصد نتمنى جميعا ... فلا أحد يود رحيله و والداي سيحزنان كثيرا جدا كالمرّة السابقة و التي سبقتها إن رحل ... أتمنى أن يستقر هنا و يريح الجميع"

ربما كان الحمرة تعلقو وجهي هذه المرّة أيضا...

و الآن ... إي شيء أشغل يدي به تغطية على اضطرابي هذا ؟ ألا يوجد في الغرفة مجلة أخرى ...؟؟

وقع بصري على مجموعة زجاجات العطر أمام مرآة الغرفة ، فذهبت أليها أشمها واحدة تلو الأخرى  
...

أقبلت نهلة و وقفت إلى جانبي...

قالت:

"ربما لديه ارتباطات هامة هناك ! عمل ... منزل ... عائلة ... زوجة" !

استدرت إليها و قد اكفهر وجهي ... و قلت بسرعة:

"إنه غير متزوج"

"أحقا؟؟"

كانت نظراتها تشكيكية مخيفة ! قلت:

"طبعاً ! و هل تظنين أنه سيتزوج دون إبلاغنا ! مستحيل ! ما يبقيه هناك هو العمل ... لبيته يجد فرصة للعمل هنا و يستقر معنا " ...

قالت:

"لتضمنوا عدم رحيله ... زوجته" !

و أضافت و هي تبتسم بمكر:

"أنتم الثلاثة في ليلة واحدة ! و نتخلص منكم" !

رفعتُ إحدى زجاجات العطر أمام وجهها بغتة و تأهبتُ لرش العطر على عينيها!

"أوه لا لا رغد كنت أمزح" !

و فرّت و صرت أطاردها حتى جلسنا على السرير نضحك بشدة!

بعد قليل ... قلت:

"علي العودة للبيت ! سامر ينتظر اتصالي" !

وقمت ، متوجهة إلى الهاتف الموضوع على مكتب نهلة...

و اتصلت بالمنزل ... و إذا بالدماء تتصاعد من جديد و بغزارة إلى وجهي ... و نهلة تقترب مني و تراقبني...

"وليد ؟ إنها أنا"

( "مرحبا ... رغد" )

"إمم .. أود التحدث إلى سامر"

( "سامر ... أظنه يستحم الآن ! هل تريدين شيئا؟" )

"أأأ ... أريد أن يأتي إليّ ... هل لا أبلغته بأنني أنتظره؟"

( "حسنا" )

"شكرا"

"العفو ... صغيرتي"

و أغلقت السماعة بصعوبة ... فقد كانت يدي ترتجف!

و بدأت أتنفس بعمق و أشعر بالحر ... و أيضا ... أتصبب عرقا !

نهلة وقفت أمامي مباشرة تشاهد الاضطراب الذي اعتراني فجأة ... بحيرة و فضول

"رغد" ...

"نعم؟؟"

"لماذا تنفعلين كلما جيء بذكر وليد!؟"

"أنا؟؟ من قال ذلك!؟"

و مدت نهلة يدها و تحسست جيبيني براحتها ...

"إنك تغلين ! وجهك أحمر ناضج و جبينك مبلل بالعرق" !

أربكتني كثيرا كلمات نهلة ... و حاولت التملص من نظراتها لكنها حاصرتني...

ابتعدت عنها و ذهبت إلى حيث أضع عباءتي لأرتديها استعدادا للمغادرة!

"و لكن خطيبك لم يحضر بعد" !

"سأستعد" ...

كنت أريد أن أنشغل بشيء بعيدا عن نظرات نهلة التي تخترق أعماقي...

كنت أضبط حجابي مولية إياها ظهري ...

قالت:



"خطيبك شاب جيد يستحق فتاة رائعة مثلك" !

تابعت ترتيب حجابي دون أن أعير جملتها هذه اهتماما...

قالت:

"و أخي شاب جيد و يستحق فتاة رائعة مثلك" !

و لم ألتفت إليها ! حتى لا أدع لها مجالا لفتح الموضوع مجددا !

و تابعت ارتداء عباءتي...

"و وليد شاب جيد و يستحق فتاة رائعة مثلي" !

استدرت فجأة نحو نهلة ... باضطراب و توتر و انزعاج جلي شديد ... !

اصطدمت نظراتنا الحادة العميقة ... و بقينا لبضع ثوان نحملق في بعضنا البعض...

نهلة أوقعت بي...

إنها خبيثة!

كنظراتها التي ترشقني بها الآن...

أنت نحوي ... و رفعت يدها و أمسكت بعباءتي و سحبتها...

"رغد يا ابنة خالتي العزيزة ... لن تخرجي من هنا حتى أعرف ما حكايتك مع وليد" !

بعد عشر دقائق كنت أجلس في السيارة إلى جانب سامر...

"هل تحبين أن نتجول قليلا قبل العودة؟؟"

"كما تشاء"

قضينا قرابة الساعة نجول في شوارع المدينة ... و نتبادل الأحاديث...

سامر ... و الذي لم يجد الفرصة السانحة قبل الآن لفتح الموضوع ، سرعان ما تطرق إليه...

"الوقت يمضي يا رغد ... لقد بدأت أضيّق ذرعا بالوحدة هناك ... لا أريد أن أخسر وظيفة ممتازة كهذه ، لكنني لا أريد أن أبقى بعيدا أطول من ذلك" ...

حرت و لم أجد تعقيبا ملائما ... و ربما صمتي أحبط سامر ... ففقد حماسه للمتابعة بعد بضع جمل  
...

حينما وصلنا إلى المنزل ، وجدنا والديّ و وليد يجلسون في الفناء الخارجي ، حول الطاولة الصغيرة القريبة من الشجرة الطويلة ، بجانب الباب الداخلي...

كان الجو جميلا ... و العصافير تغرد بحماس على أغصان الشجرة ... و الدخان يتصاعد من أقذاح الشاي الموزعة على الطاولة...

سامر كان يمسك بيدي ، ثم أطلقها و سار نحوهم بسرعة ...

"شاي أم وليد ! أين نصيبي؟؟"

و انضم إليهم...

ألقيت نظرة على وليد فرأيتَه ينظر نحوي و لكن سرعان ما بدد نظراته نحو الفراغ ... لم يكن يريد النظر إلي ...

علي أن أنصرف قبل أن ينهض مغادرا ظانا بأنني سأنضم إليهم...

توجهت نحو الباب و دخلت إلى الداخل...

كنت بالفعل أتمنى أن أشاركهم ! و لكن لو فعلت ... فبالتأكيد سيغادر وليد...

ما أن دخلت حتى وصلتني رائحة الكعك الشهية ! و سرت إلى المطبخ!

"دانه ! رائحة كعكتك زكية جدا ! دعيني أذوقها" !

"عدت أخيرا ! لا يا عزيزتي ! هذه لنوار و نوار فقط" !

"و هل سيأكل الكعكة كاملة ! مسكين ! كيف سيلعب إذا انفجرت معدته ؟"

نظرت إليّ بانزعاج و صرخت:

"رغد ... انصرفي فورا" !

ضحكت و خرجت ، متوجهة إلى غرفتي حيث وضعت حقيبتني و عباءتي ، و وقفت أمام المرآة أتأمل

وجهي...

لم يكن الإفلات من محاصرة نهلة سهلا ... أي حكاية لي مع وليد ؟؟؟ ما أكثر الحكايات!

أريد أن أنضم إليهم!

على الأقل ... سأراقبهم من النافذة !

و بسرعة خرجت من غرفتي قاصدة الذهاب إلى النافذة المشرفة على الفناء الأمامي ... حيث هم  
يجلسون...

من تتوقعون صادفت في طريقي؟؟

نعم وليد!

دخل للتو ... و حينما رأني توقف برهة ... ثم سار مغيرا طريقه...

ربما كان يود القدوم من ناحيتي إلا أنه غير مساره و انعطف ناحية المطبخ...

أ لهذا الحد لا يريد أن يراني أو حتى يمر من ممر أقف أنا فيه؟؟

"وليد"

ناديته بألم ... إذ أن تصرفه هذا جرحني ...

لم يلتف إلي ، و رد ببرود:

"نعم؟"

تحشرج صوتي في حنجرتي ... و بصعوبة نطقت ، فجاء صوتي خفيفا ضعيفا لم أتوقع أنه سمعه ...  
لكنه سمعه!

"أريد أن أتحدث إليك"

"خيرا؟"

كل هذا و هو مدير ظهره إلي ... أمر ضايقني كثيرا...

"وليد ... أنا أحدثك ! أنظر نحوي " !

استدار وليد بتردد ، و نظر إلى عيني نظرة سريعة ثم طارت أنظاره بعيدا عني...

كم آلمني ذلك ...

قلت:

"لماذا لا تود التحدث معي؟؟"

بدا مضطربا ثم قال:

"تفضلي ... قللي ما عندك "

و تنهد بضيق ...

قلت بمرارة:

"إذا كنت لا تود الاستماع إلي ... و لم يعد يهملك أمري ... فلا داعي لقول شيء "

وليد التزم الصمت...

ثم و بعد أن طال الصمت بنا ، استدار راغبا في الانصراف...

أنا جن جنوني من إهماله لي بهذا الشكل ... و أسرعته نحوه و قبضت على يده و قلت بحدة و مرارة

:

"انتظر" ...

وليد سحب يده و استدار نحوي بغضب ... و رأيت النار تشتعل في عينيه ... كان مرعبا جدا ...  
الدموع تغلبت علي الجفون ... و تحررت من قيودها و شقت طريقها بإصرار و شموخ على الخدين...  
وليد توتر ... و تلفت يمنة و يسرة ... ثم قال:

"لماذا تبيكين الآن؟؟"

قلت بعدما أغمضت عيني أعصر دموعها ... ثم فتحتها :

"لماذا لم تعد تهتم بي ؟ لماذا تتحاشاني ؟ لماذا تعاملني بهذه الطريقة القاسية و كأنني لا أعني لك  
شيئا؟؟"

الرعب ... و الذعر و الهلع ... أمور أثارتها نظراته الحادة المخيفة التي رماني بها بقسوة ... قبل أن  
يضربني بكلماته التالية:

"يا ابنة عمي ... لقد كبرت و لم تعودي الطفلة المدللة التي كنتُ أرهاها ... أنتِ الآن امرأة بالغة  
... و على وشك الزواج ... لدي حدود معكِ لا يجوز تخطئها ... و لديك سامر ... ليهتم بأمرك من  
الآن فصاعدا "

و تركني ... و سار مبتعدا إلى الناحية التي كان يريد سلكها قبل ظهوري أمامه...

اختفى وليد ... و اختفت معه آمال واهية كانت تراودني ... وليد الذي تركني قبل تسع سنين ، لم يعد حتى الآن..

مسحت بقايا دموعي و آثارها ... و خرجت إلى حيث كان والديّ و سامر يجلسون حول الطاولة ...

أقبلت نحوهم فوقف سامر مبتسما يزيح الكرسي المجاور له إلى الوراء ليفسح المجال لي للجلوس...

سامر ... كان دائما يعاملني بلطف و اهتمام بالغ ، و يسعى لإرضائي و إسعادي بشتى الوسائل...

اقتربت من سامر و نقلت بصري منه ، و إلى والديّ ، ثم إلى أكواب الشاي و الدخان الصاعد من بعضها ... ثم إلى الخاتم المطوق لإصبعي منذ سنين ... ثم إلى عيني سامر اللتين تراقباني بمحبة و اهتمام ... ثم قلت:

" سامر ... لقد اقتنعت ... سنحتفل مع دانه "

الحلقة التاسعة عشر

\*\*\*\*\*

كنت قد دخلت إلى داخل المنزل لإحضار سيجارة...

فكلما شعرت بالضيق ، عكفت على التدخين بشراهة...

و رؤية رغد و سامر يقبلان نحونا ... و أصابعهما متشابكة جعلت شعبي الهوائية تنقبض و تنسد...

سامر جلس معنا ، و ذهبت رغد إلى الداخل ...

بعد قليل دخلتُ قاصداً الذهاب إلى غرفة سامر و إحضار السجائر ، فرأيتها أمامي...

الغضب الذي كان يسد شعبي مع ذلك الهواء خرج فجأة بانديفاع مصبوبا عليها ... فتحدثت معها بقسوة رافضا الإصغاء إلى ما كانت تود إخباري به...

الآن أنا في الغرفة أشعر بالندم...

لماذا أصبحت أعاملها بهذه الطريقة؟؟

أليست هذه هي رغد ... طفلي الحبيبة المدللة؟؟

رغد...

أتسمعون؟؟

أتدركون؟؟

إنها رغد ! رغد!

حملت سجائري و ذهبت في طريقي إلى الخارج...

عند عبوري الممر قرب المطبخ لمحت أختي دانه ، و كانت ترتدي مريلة خاصة بالمطبخ و توشك على المسير نحو الباب...

"وليد ! ... أوه سجائر" !

ثم مسكت أنفها بإصبعيها كمن يمنع رائحة كريهة من اقتحام أنفه!

"لن أدخن هنا" !



قالت:

"أنا أيضا ذاهبة لوداع سامر ! رغد الكسولة تركتني أعمل وحدي " !

و خرجنا سوية...

رغد كانت تجلس قرب سامر ... الذي يبدو على وجهه الانفعال و السرور!

قالت دانة:

"آسفة سامر سأودعك الآن و أعود للمطبخ " !

و وجهت كلامها إلى رغد:

"فالكسالى يجلسون هنا ! و لكن بعد أن أتزوج سنتفع على رؤوسهم أعمال المنزل رغما عنهم " !

سامر ضحك ، و كذلك والدي ... أما رغد فألقت نظرة لا مبالية على دانة ثم أخذت تشرب الشاي...

والدتي قالت:

"بل على رأسي أنا ! فأنتما ستخرجان من هنا في ليلة واحدة" !

أنا صعقت ... و اكفهر وجهي ... و حملقت في رغد ... أما دانة فقالت:

"ماذا ... أمي ؟؟ هل ...؟؟"

سامر قال:

"قررنا أخيرا" !!

دانة سارت نحو رغد ببهجة فوقفت الأخرى و تعانقتا...

"أيتها الخبيثة ! هل تريدين سرقة الأضواء مني؟؟"

و ضحكتنا بمرح...

ثم عانقت دانة سامر و تمتمت ببعض الكلمات ، ثم ودعته و عادت إلى الداخل...

"يجب أن أغادر الآن" !

قال ذلك سامر ... فوقف والداي ، فاحتضنهما و قبل رأسيهما ...

ثم أمسك بيدي رغد ، و ضمها إليه في عناق طويل...

كل هذا و أنا واقف كالشجرة التي إلى جانبي ... أشعر بالصواعق تضربني من كل جانب ، و أعجز

عن فعل شيء...

و الآن ... يقبل الخائن نحوي أنا ... يريد توديعي ...

ابتعد يا سامر فأنا أشعر برغبة جنونية في ضربك ! و لا أعرف أي قوة امتلكت لحظها و منعت يدي

من أن تحطم وجهه...

صافحته و عانقته عناقا باردا خال من أية مشاعر ... و تركته يذهب...

بعدها خرج ، تجاوزت الطاولة و من يجلس حولها ، و وقفت بعيدا لئلا أزعج أحدا بدخان سجائري

...

كنت أسمع أصوات الثلاثة ، أبي و أمي و الخائنة يتحدثون عن أمور الحفلة و الإعداد لها...

و كنت أشعر بأن طبقة سميكة من الإسمنت قد صبت على صدري و يبست و كتمت أنفاسه...

أمي ذهبت بعد ذلك للمطبخ لتساعد دانة ، و بقي والدي مع رغد ...

كنت أختلس نظرة ناحيتهما من حين لآخر ... والدي كان يجلس موليا ظهره إلي أما الخائنة فكانت

تواجهني

و لم يحدث أن التفتُ إلا و اصطدمت نظراتنا ، فزادت الإسمنت على صدري طبقة بعد طبقة...

والدي تلقى مكالمة عبر هاتفه المحمول ، ثم انصرف إلى الداخل...

و بقيت صغيرتي وحدها تشرب الشاي ... توقفت عن الالتفات إلى الورا ... و شردت في اللاشيء

الذي لا أراه أمامي ...

و الآن شعرت بحركة خلفي ... و بقيت كما أنا أرتقب ... و ظهر ظل أمامي يكبر و يكبر ... و الفتاة

الواقفة خلفي تقترب و تقترب ... و الآن توقفت ...

لثوان معدودة ... ظلت رغد واقفة خلفي و أنا لا أملك من الشجاعة و القوة ما يمكنني من الاستدارة

إليها ... و لكنني أرى ظلها أمامي ... و أرى يدها تتحرك نحوي ... ثم تتراجع ... ثم تستدير ... ثم

تنسحب ...

عندما ابتعدت استدرت أنا للخلف و رأيتها و هي تسير مبتعدة و يدها تمسح ما قد يكون دموعا

منسكبة على وجهها ...

مددت يدي ... أريد أن أمسك بها ... أمسك بظلها ... أمسك بطيفها ... أمسك بدمعها ... أمسك

بذرات الهواء التي لامستها ... و اختفت رغد ... و عادت يدي فارغة لم تجني غير الحسرة و الألم

...

عندها ، تلوّت معدتي أيما تلوي ... و عصرت كما تعصر الملابس المبللة باليدين ...

في تلك الليلة ، حضر نوار خطيب شقيقتي و قد جالسته لبعض الوقت...

و رغم أنه دمث الخلق ، إلا أن نفسه لا تخلو من الغرور و التعالي ... و قد أخرجني لدى سؤاله لي  
عن دراستي المزعومة و أعمالتي و خبراتي المدومة !

و كنت أختصر الإجابات ببعض جمل غامضة ، و سرعان ما انسحبت تاركا الخطيبين يستمتعان  
بعشائهما...

و لشدة الآلام - الجسدية منها و النفسية - فإنني اكتفيت بقدر يسير من الطعام ... و ذهبت إلى غرفة  
سامر متحججا بالنعاس...

رغد لم تكن قد شاركتنا الوجبة ، فلا أظنها تفكر في فعل ذلك بعد الطريقة الفظة التي عاملتها بها ...

الندم يقرصني و يوخز جميع أعصابي الحسية ... إضافة إلى آلام المعدة الحادة...

و مرة أخرى خرجت الدماء من جوفي و زادت قلقي ... لا بد أنني مصاب بمرض ... و لا بد لي من  
مراجعة الطبيب...

على السرير تلويت كثيرا حتى قلبت المفارش و البطانيات و الوسائد رأسا على عقب ...

أفكاري كانت تدور حول رغد ... كيف لي أن أهدأ لحظة واحدة ... و موعد زفافها قد تحدد !

لو كان باستطاعتي تأجيله قرنا بعد ... فقط قرن واحد ... أضمن فيه أنها تبقى معزولة عن أي رجل  
... و تموت دون أن يصل إليها أحد ...

أخرجت صورة رغد الممزقة و جعلت ألملم أجزائها ، و أتأملها ، ثم أبعثرها من جديد  
و أعود لتجميعها كالمجنون ...

نعم مجنون ... لأن تصرف كهذا لا يمكن أن يصدر من كائن عاقل...

تركبتها ملمومة على المنضدة التي بجواري ... و قمت أذرع الغرفة ذهابا و جيئة كبندول الساعة !

اقتربت الساعة من الواحدة ليلا ... و أنا ما بين آلم معدتي الحارق و ألم قلبي المحترق ... حتى  
رغبت في تناول أي شيء من شأنه أن يهدئ الحريق المشتعل بداخلي ...  
و تنفُسُ أي شيء يطرد الضيق من صدري...

أخذت علبة سجائري ... و خرجت من الغرفة ... تاركا الباب مفتوحا...

ذهبت أولا إلى المطبخ و حملت علبة حليب بارد معي فقد لاحظت تأثيره المهدئ على معدتي ، و  
خرجت إلى الفناء ... و بدأت بشربه و التدخين معا...

~ ~ ~ ~ ~

لا أستطيع أن أنام و أنا أفكر ... و أفكر و أفكر ... فيما قاله وليد لي ... و الصداق يشتد لحظة بعد  
أخرى...

كم آلمني ... أن أكتشف أنه لم يعد يهتم بي أو يرغب في رعايتي كالسابق...

لقد تغير وليد ... و أصبح قاسيا و مخيفا ... و غريبا...

كنت أبكي حسرة و مرارة ... فأنا فقدت شيئا كان يشغل حيزا كبيرا من حياتي ...  
و منذ ظهوره ، و أنا في صراع داخلي ...

بقيت فترة طويلة أتأمل صورته التي رسمتها قبل شهور ... و لم أتمها...

و إذا بي أرى نفسي ألون بياض عينيه باللون الأحمر الدموي ... ! غضبا و حسرة ...

صار مخيفا ... مرعبا...

دانه كانت تمضي وقتا غاية في السعادة و المتعة مع خطيبها الذي تحبه ... و هذا يجعلني أتألم أكثر ... لأنني لا أحظى بالسعادة التي تحظى بها ... و لا أشعر بالمشاعر التي تشعر هي بها تجاه خطيبها ...

غدا هو يوم دراسة ، و يجب أن أنام الآن و إلا فإنني سأنام في القاعة وسط الزميلات !

خرجت من غرفتي و في نيتي ابتلاع قرص مسكن من الأقراص الموجودة في الثلاجة ، و فيما أنا أعبّر الردهة لاحظتُ باب غرفة سامر مفتوحا...

تملكني الفضول!

سرت بحذر و هدوء نحو الغرفة !

وقفت على مقربة و أصغيت جيدا ... لم أسمع شيئا ...

اقتربت أكثر خطوة بعد خطوة ، حتى صرت عند فتحة الباب ، و أطلت برأسي إلى الداخل بتهور ... لكنني لم أجد أحدا!

عندها فتحت الباب على مصراعيه بسرعة ... و بذعر و هلع صحت:

"وليد" !

قفزت و أنا أركض كالمجنونة ... أجول في أنحاء المنزل و في رأسي الاعتقاد الصاعق بأن وليد قد فعلها و رحل خلسة...

الدموع تسلتت من عيني من شدة ما أنا فيه ، و شعرت برجليّ تعجزان عن حملي فصرت أترنح في

مشيتي مخطوفة الفؤاد ... منزوعة الروح...

و انتهى بي الأمر إلى باب المدخل...

وقفت عنده و مسكت قبضته و ركزت كل ثقلي عليها لتدعمني لئلا أقع ... فإن انفتح الباب ... فلا شك أن وليد قد غادر و تركه مفتوحا...

و انفتح الباب و انهرت أنا مع انفتاحه...

لقد فعلها و فر خلسة دون وداعي ... خارت قواي و أخذت أبكي و أنحب بصوت عال...

"لماذا ؟ لماذا يا وليد لماذا؟؟"

فجأة ... ظهر شيء أمامي!

كنت أجلس عند الباب بلا حول و لا قوة ... و شعرت بشيء يتحرك فأصابني الذعر الشديد ... فإذا به وليد يظهر في المرأى...

"رغد!!؟"

لم أصدّق عيني ... هل هذا شيخ؟؟ أم حقيقة؟؟

جسم كبير ... طويل عريض ... متخف في الظلام ... يتقدم نحوي ... لا يُرى شيءٌ منه بوضوح غير لهيب السيجارة التي بين إصبعيه ...

"رغد ... ما ... ماذا تفعلين هنا...؟؟"

و كدمية كهربائية قد فصل سلكها عن المكبس ، شللتُ عن الحركة...

حتى رأسي الذي كان ينظر إلى الأعلى ... الأعلى .. حيث موضع عيني وليد ، هوى إلى الأسفل ...  
متدلّيا على صدري سامحا للدموع بأن تبلل الأرض...

لم أجد في بدني أي مقدار من القوة لتحريك حتى جفوني ...

وليّد وقف مندهشا متوجسا برهة ... ثم جلس القرفصاء أمامي ... و قال بصوت حنون جدا...

"صغيرتي ... ؟؟"

الآن ... كسبت من الطاقة ما مكنتني من رفع رأسي للأعلى و النظر إليه...

و بقيت أنظر إلى عينيه و تحجبني الدموع عن قراءة ما فيهما...

"ما الذي تفعلينه هنا ؟؟"

"هل تريد الرحيل دون وداعي ؟؟"

لم تخرج الكلمات كالكلمات ... بل خرجت كالبكاء الأجهش...

"الرحيل ؟؟ من قال ذلك ؟؟"

"ألست ... ألست تريد الرحيل ؟؟"

"لا ... خرجتُ أدخّن ! ... لكن ... ما الذي تفعلينه أنت هنا في هذا الوقت ؟؟"

أخذت نفسا عميقا و أطلقت الكلمات التالية باندفاع و بكاء:



"ظننت أنك رحلت ... دون علمي و وداعي ... كما فعلت قبل سنين ...  
تركتني وحيدة ... في أبشع أيام حياتي " ...

مد وليد يده فجأة و بانفعال نحوي ، ثم أوقفها في منتصف الطريق ، و سحبها ثانية ...

قلت:

"حتى لو لم أعد أعني لك شيئا ... لا ترحل دون علمي يا وليد ... أرجوك لا تفعل ... عدني بذلك  
..."

وليد ظل صامتا لا يجرؤ على شيء سوى الإصغاء إلي...

قلت:

"عدني بذلك وليد أرجوك " ...

هز رأسه إيجابا و قال:

"أعدك " ..

نظرت إليه بتشكك ... كيف لي أن أثق بوعوده ... ؟؟ ...

قلت:

"اقسم "

وليد تردد قليلا ثم قال:

"أقسيم ... لن أرحل دون علمك ... صغيرتي " ...

شعرت بالراحة لقسمه ... و سحبت نفسا عميقا ليهدئ من روعي...

وليد حمله بي قليلا ثم وقف ... و رفع سيجارته إلى فمه و سحب بدوره نفسا عميقا...

وقفت أنا ، و سمحت للباب الذي كنت أستند عليه و أحول دون انغلاقه أن ينغلق

نفث هو الدخان للأعلى ، ثم قال و هو لا يزال ينظر عاليا:

"لم استيقظت الآن؟؟"

قلت ، و أنا أراقب الدخان يعلو و ينتشر ...

"لم أنم بعد"

قال:

"لم ؟ ألن تذهبي غدا إلى الكلية؟"

قلت:

"بلى ... لكن ... لدي أرق"

و صمت...

ثم سألته:

"و أنت؟"

قال:

"كذلك ، لذا خرجتُ أدخن ... في ساعة كهذه"

قلت:

"هل ... يريحك التدخين؟؟"

وليد لم يجب مباشرة ، ثم قال:

"نعم ... إلى حد ما ... يرخي الأعصاب" ...

قلت:

"دعني أجرب" !

وليد التفت إلي بدهشة و نظر باستغراب!

"ماذا؟؟"

"أريد أن أجرب" !

اعتقد أنها ابتسامة تلك التي ظهرت على إحدى زاويتي فمه !

قال:

"هل تعنين ما تقولين؟؟"

"نعم ... أتسمح؟؟"

وليد هز رأسه اعتراضا و قال:

"لا ... لا أسمح"

"لم؟"

"لا أسمح لشيء كهذا بدخول صدرك" ...

"لكنه يدخل صدرك" !

قال:

"أنا صدري اعتاد على حمل السموم و الهموم" ...

ثم رمى بالسيجارة أرضا و سحقها تحت حذائه...

و علت وجهه علامات التألم ، و ضغط بيده على بطنه و قال:

"لندخل"

و حينما دخلنا ، قال:

"تصبحين على خير"

و اتجه نحو المطبخ...

أنا تبعته إلى هناك فرأيته يخرج علبة حليب بارد و يجلس عند الطاولة و يرشف منها...  
و بعد رشفة أو رشفتين سمعته يتأوه ... و يسند رأسه إلى الطاولة في وضع يوحي للناظر إليه بأنه يتألم

...

دخلت المطبخ ... فأحس بوجودي ... فرفع رأسه و نظر إلي...

"ألن تخلدي للنوم ؟ الوقت متأخر"

شعرت بقلق شديد عليه ... قلت:

"ما بك؟؟"

أبعد نظره عني و قال:

"لا شيء"

لكنني كنت أرى الألم باد على وجهه ... و عاد يشرب الحليب جرعة بعد جرعة...

"وليد ... هل أنت مريض؟؟"

تنهد بنفاذ صبر و شرب بقية الحليب دفعة واحدة ، ثم نهض ... و خطا نحوي...

"تصبحين على خير"

و تجاوزني ، و ذهب إلى غرفة سامر ... و أغلق الباب...

~ ~ ~ ~ ~

صحوت من النوم على صوت والدتي توقظني من أجل تأدية صلاة الفجر...

كنت قد نمت قبل ساعة و نصف ، و أشعر بإعياء شديد...

أفقت من النوم فوجدتها واقفة قربي ... نهضت و ذهبت للتوضؤ ، و عندما عدت وجدتتها لا تزال واقفة عند نفس المكان تنظر إلى المنضدة...

ما إن أحست بوجودي حتى استدارت نحوي بسرعة ، و قالت:

"والدك ينتظرك" ...

ثم خرجت من الغرفة....

ألقيت نظرة على المنضدة التي كانت أمي تراقبها قبل مجيئي ... فإذا بي أرى صورة رغد الممزقة ... التي نسيتهُ إعادتها إلى محفظتي ليلاً...

شعرت بالقلق ... لا بد أن أمي رأته الصورة واضحة ... و لا بد أن شكوكا قد راودتها إلا إذا كان احتفاظ رجل بصورة ممزقة لطفلة كان متعلقا بها بجنون ... هو أمر مألوف و مشهد تراه كل يوم! ...

أدينا الصلاة في مسجد قريب و عدت إلى السرير و نمت بسرعة قياسية...

عندما نهضت ، كان ذلك قبيل الظهر و لم يكن في البيت غير والدتي ، فوالدي في مكتبه ، و رغد في الكلية ، و دانه مدعوة للغداء في مطعم ، مع خطيبها...

أمي لم تشر إلى أي شيء بحيال تلك الصورة ... لذا ، تجاهلت الأمر ... و أقنعت نفسي بأنها نسيتهُ أمرها...

لم أرَ صغيرتي ذلك النهار ، إذ يبدو أنها عادت من الكلية عصرا و ذهبت للنوم مباشرة في وقت كنت أنا فيها مشغول بشيء أو بآخر....

و في الليل ... و قبل ذهابي إلى غرفة المائدة لتناول العشاء ، مررت بالمطبخ فرأيت صغيرتي تأكل وجبتها منفردة هناك...

عندما رأنتني توقفت عن الأكل و انخفضت بعينيها إلى مستوى الأطباق ... في انتظار مغادرتي...

آلني أن أراها وحيدة هكذا فيما نحن مجتمعون معا ... قلت:

"تعالى و انضمى إلينا"

رغد حملقت بي قليلا متشككة ثم سألت:

"ألا يزعجك ذلك؟؟"

قلت:

"لا ... صغيرتي"

و سرعان ما حملت أطباقها و طارت إلى غرفة المائدة ... بمنتهى البساطة!

فيما نحن نتحدث عن أمور شتى ، قال والدي:

"أيمكنك يا وليد اصطحاب رغد من و إلى الجامعة يوميا؟؟ إن تفعل تزيج عن عاتقي مشوارا مربكا "

ولأنه لم يكن لدي ما أقوم به ، لم أجد حجة تمنعني من الموافقة ... لكن بعض الاستياء ظهر على وجه والدتي ... أنساني إياه البهجة التي ظهرت على وجه رغد ... أو ربما توهمت أنها ظهرت على وجه رغد !

في اليوم التالي كان علي أن أنهض باكرا من أجل هذه المهمة ، و رافقتنا والدتي هذه المرة....

المشوار كان يستغرق قرابة العشرين دقيقة.

رغد كانت تتركب المعقد الخلفي لي ، ذهابا و إيابا ... و كانت تلتزم الصمت معظم المشوار إلا عن تعليقات بسيطة عابرة...

في المساء ، كنا نقضي أوقاتا ممتعة في مشاهدة أحد الأفلام ، أو مزعجة في متابعة الأخبار و ما آلت إليه الأوضاع الأخيرة ، أو محرقة في الحديث عن الزفاف المرتقب...

أتناول وجباتي معها ... آخذها إلى الجامعة أو أي مكان تود ... أتبادل بعض الأحاديث معها بشأن دراستها و ما إلى ذلك ... أتفرج على لوحاتها الجديدة...

أرافقها هي و دانة و أمي إلى الأسواق ... أنصت باهتمام كلما تحدثت و أراقبها دون أن أشعر كلما تحركت...

كل هذا ... قد أثار جنوني ... و ذكريات الماضي ... فصرت أشعر بأنها عادت لي ... طفلتي الحبيبة التي أعشقها و أعشق رعايتها...

أخذني جنوني إلى التفكير بعدم الرحيل...

كيف لي أن أبتعد عنها و أنا متعلق بها بجنون ...

كيف لي أن أسمح للمسافات و الزمن بتفريقنا؟؟؟  
إنني سأبقى حيث تكون رغد ... لأنه لا شيء في هذه الدنيا يهمني أكثر منها هي...  
سأبحث عن عمل ، و استقر هنا إلى جانبك ...

سأبقى قربك يا رغد ... نعم قربك يا صغيرتي الحبيبة...

ثم ... و باتصال هاتفي واحد من سامر ... يتحطم كل شيء ، و أسقط من برج الأوهام الطرية ، إلى أرض الواقع القاسية الصلبة ... و يتدمر كل شيء...

لم تكن صغيرتي تملك هاتفا في غرفتها ، لذلك فإن مكالماتها تكون على مرأى و مسمع من الجميع ...  
و كلما تحدثت إلى سامر غمرتني رغبة في تقطيع أسلاك الهاتف و الكهرباء ... في المنزل برمته!



في أحد الأيام ، كنت ذاهبا لإحضارها من الجامعة ، وصادف أن الشارع كان مزحوماً و شبه مسدود بسبب حادث مروري ...

طال بي المشوار و أنا أسير ببطء شديد بسبب الحادث ... و عوضاً عن الوصول خلال ٢٠ دقيقة وصلت بعد ٤٠ دقيقة على الأقل...

عادة ما تكون صغيرتي تنتظرنني عند الموقف حيث تقف الطالبات ، إلا أنني الآن لم أجدها...

انتظرت بضع دقائق ، لكنها لم تخرج ... وقفت في مكاني حائراً

ثم اتجهت إلى الحارس و أخبرته بأنني أنتظر قريبتي و لم أرها ، فطلب اسمها ثم اتصل برقم ما ، و بعدها بدقيقتين رأيت رعد تخرج من البوابة ... مع بعض الفتيات...

كنت لا أزال واقفاً قرب الحارس ، نظرت هي باتجاهي و ظلت واقفة حيث هي ... و تتحدث إلى زميلاتها ...

شكرت الحارس ثم تقدمتُ إليها فودعتهن و أتت نحوي...

"أنا آسف ... تأخرتُ بعض الشيء"

"بل كثيراً"

قالت بغضب ... ثم سارت نحو السيارة...

بعدها اتخذنا مقعدينا ، و قبل أن ننطلق عدتُ أقول:

"آسف صغيرتي ..."

و لكنها لم تجب ، و فتحت نافذة السيارة لأقصى حد ... يبدو أنها مستاءة و غاضبة!

و نحن نسير بالسيارة مررت من حارس الأمن ذاته فألقيت التحية عبر النافذة و انطلقت...

"كيف تلقي تحية على شخص بغيض و غير مهذب كهذا؟؟"

تعجبت من سؤالها ! قلت:

"لم تقولين عنه ذلك؟؟"

"كلما خرجتُ لأرى ما إذا كنتَ قد وصلتَ أم لا ، وجدته ينظر باتجاه المدخل ... كان أجدر بك أن تصفحه ... لقد كنت أخرج فأجد والدي في انتظاري هنا كل يوم ... إياك و أن تتأخر ثانية"

يا له من أسلوب!

قلت:

"حاضر ... أنا آسف"

صمتت برهة ثم قالت:

"و كذلك ابق هاتفك المحمول مشغلا ، كلما اتصلت وجدته مغلقا"

و أخرجت هاتفي من جيبي فاكتشفت أنه كان مغلقا سهوا...

"حسنا ... لم انتبه له"

و أيضا صمتت برهة ثم عادت تقول:

"و لا تخرج من السيارة ... ابق حيث أنت و أنا سأتي إليك"

عجبا لأمر هذه الفتاة ! قلت:

"و لم ؟؟"

قالت بعصبية:

"افعل ذلك فقط ... مفهوم ؟؟"

قلت باستسلام:

"مفهوم ... سيدتي !!"

لحظتها اجتاحتني رغبة بالضحك ، كتمتها عنوة!

و توقفت عن الكلام...

و طوال الوقت ظلت صامتة بشكل لم يرحني ... لا بد أنها لا تزال غاضبة لأنني تأخرت...

حينما شارفنا على بلوغ المنزل ... راودتني فكرة استحسنها قلبي و استسحفها عقلي ... لكنني قبل أن أقع في دوامة التردد طرحته السؤال التالي:

"هل ... هل ترغبين ببعض البوضا ؟؟"

طبعا السؤال كان غاية في السخف و حماقة ... لكنني كنت أسيرا للذكريات ... ففي تلك الأيام ... كنت أغدق العطاء بالبوضا و غيرها على صغیرتي كلما غضبت لإرضائها !

شعرت بالندم لأنني تفوهت بهذه الجملة الغبية ... و كنت على وشك الاعتذار إلا أن رغد قالت بمرح و على غير ما توقعت:

"نعم ... بالتأكيد !"

أوقفت السيارة عند محل لبيع البوزا ، قريب من المنزل ... و سألتها:

"أي نوع تفضلين؟؟"

قالت:

"هل ستتركني وحدي؟؟ سأتي معك"

و فتحت الباب هامة بالنزول

دخلنا المحل ، و كان يحوي عددا من الناس ، ما جعل رغد تسير شبه ملتصقة بي...

بعد ذلك ... انتهى بنا المطاف إلى المنزل ، و لو تركت الساحة لأحلامي لأخذتني مع صغيرتي في نزهة ... كما في السابق...

إلا أنني طردتها بعيدا و عدت بالصغيرة إلى المنزل ... و أنا مسرور و مرتاح ... فرائحة الماضي أنعشت رثتي ...

ليت الأقدار لم تفرقني عنك يا رغد...

ليتك تعودين إلي !

ليتنا نتناول البوزا أو البطاطا المقلية سوية ... كل يوم ...

ما أجملها من لحظات ...

و نحن نحمل البوزا اللذيذة برضا و سرور دخلنا إلى داخل المنزل ، ثم إلى غرفة المعيشة ... حيث فوجئت بالنار تصهر ما بيدي ... و ما بصدري ... و ما بجوفي و داخلي...

هناك كان سامر يجلس مع والديّ و دانة...

حضر على غير توقع و دون سابق إبلاغ...

حينما رأنا نهض بسرور و جاء يرحب بنا...

نصيبي من الترحيب كان محدودا ... مقابل نصيب الفتاة التي تقف إلى جوارى ... تحمل البوضا في يد ، و الحقيبة في اليد الأخرى...

السعادة المؤقتة التي أوهمت نفسي بها تلاشت نهائيا ... و أنا أرى سامر يطوقها بذراعيه...

"اشتقت إليك عروسي" !

البوضا وقعت و لوثت الأرض...

بل قلبي هو من وقع أرضا و لوثت دماؤه الكرة الأرضية بأكملها ...

انثنيت نحو البوضا المنصهرة أود التقاطها...

"دعها بني ، أنا سأرفعها"

و أقبلت أمي لتنظف ما تلوث...

"ملابسك تلوثت وليد"

"حقا ؟ سأذهب لتغييرها"

أهي ملابسي من تأذت؟؟

و انصرفت مسرعا ... لا يحركني شيء غير الغضب و الغيرة المشتعلة في صدري ... و رغبة مجنونة في أن أوسع سامر ضربا ... إن بقيت انظر إليه دقيقة أخرى بعد...

محال أن أبقى في هذا المنزل ليلة أخرى ... و الليلة بالذات ... سأرحل و بلا عودة.

~ ~ ~ ~ ~

بدأت أشعر بأن وليد يهتم بي ... إلى حد ما ... و هو شعور جعلني أحلق في السماء...

و اليوم ، تأخر عن موعد حضوره للجامعة عصرا ، و بعدما وصل خرجت أنا و بعض زميلاتني كل واحدة في طريقها لسيارتها...

وليد كان يقف قرب حارس البوابة ... و هو شخص غير محترم ... نبغضه جميعنا..

رأتني إحدى زميلاتني أنظر ناحية وليد فسألتنني:

"إلى من تنظرين ؟!"

قلت باستياء:

"من تظنين ؟ الحارس ؟ طبعاً إلى ابن عمي"

قالت و هي تنظر إليه:

"تعنين هذا الرجل ؟؟"

"نعم"

قالت:

"واو ! كل هذا ابن عمك !؟ حجم عائلي " !

و ضحكت هي و فتيات أخريات ضحكات خفيفة!

و قالت أخرى:

" ما شاء الله ! مع أنك صغيرة الحجم ! أنت و ثلاث أخريات معك مطلوبات من أجل التوازن " !

و ضحكن كلهن!

قلت بغضب:

"مهلا فليس هذا هو خطيبي"

ثم ودعتهن على عجل و سرت نحوه...

عندما عدنا إلى البيت و نحن نأكل البوضا باستمتاع ، وجدت سامر هناك فدهشت...

لم يكن قد أبلغنا بأنه قادم ، كما و أنه غير معتاد على الحضور نهاية أسبوعين متتاليين!

أخبرني في وقت لاحق بأنه اشتاق إلي .. و يريد أن نتحدث عن الزفاف المرتقب ، و الذي لم يسعه الوقت للحديث حوله في المرة الماضية...

قضينا أمسية عائلية هادئة لم يشاركنا فيها وليد معللا بالأم معدته المزعجة...

أظن أن السبب هو التدخين!

في اليوم التالي ، أيقظتني أمي لتأدية صلاة الفجر ...

عندما رأيتُ عينيها حمراوين متورمتي الجفون ، سألت بقلق:

"أمي .. ماذا هناك؟؟"

أمي مسحت براحتها على رأسي و قالت بحزن:

"رحل وليد"

جن جنوني...

وقفزت ... و ركضت خارجة من غرفتي ... إلى غرفة سامر ... فوجدتها خالية ... و جلست بأنحاء  
المنزل غير مصدقة و غير مقتنعة ... لا يمكن أن يكون قد رحل!

لقد وعد بالألّا يرحل دون وداعي...

أقسم على ذلك ...

تدفقت دموعي كمياه السد المتهدم ... تجري بعنف و تدمر كل أمل تصادفه في طريقها ... باب المنزل  
كان موصدا... والدي و سامر قد ذهبا للمسجد ... فتحت الباب ... و خرجت للفناء مندفعة ... ثم إلى  
البوابة الخارجية ... فتحت منها القدر الذي يكفي لأن أرى الموقف خالٍ من أي سيارات ...  
استدرت ... و هرولت أقصد المرآب ... والدتي أوقفني ... و أمسكت بكتفي...

"لا داعي يا رغد ... لقد ودعنا قبل قليل" ...

لا !

لا يمكن أن يفعل ذلك!



لا يمكن أن يختفي من جديد...

صعقت ... و انفضت أطرافي ... و صحت:

"لماذا لم يودعني؟؟"

أمي هزت رأسها بأسى ...

صرخت:

"لماذا يفعل بي هذا؟؟ لماذا؟؟ لماذا؟؟"

و مسكت بعضدي أمي بقوة و انفعال ... و زمجرت بقوة و عصبية و بكاء أجش:

"لماذا يعاملني بهذا الشكل؟؟؟ لقد وعد بألا يرحل دون وداعي ... إنه كاذب ... كاذب ... كان

يسخر مني ... كان يستغفني و يهديني البوضا ! ... كما فعل سابقا

أنا أكرهه يا أمي ... أكرهه ... أكرهه ... أكرهه " ...

الحلقة العشرون

\*\*\*\*\*

لم يكن العثور على مزرعة نديم بالأمر السهل ... قضيت وقتا لا بأس به في التفتيش ، خصوصا و أنا أقدم إلى هذه المدينة للمرة الأولى.

المدينة الشمالية هي مدينة زراعية تكثر فيها الحقول و المزارع ، و بها من المناظر الطبيعية الخلابة ما يبهج النفس المهمومة و يطرد عنها الحزن...

كان الوقت ضحى عندما وصلت أخيرا إلى مزرعة نديم بعد مساعدة البعض.

كنت مرهقا جدا ، فأنا لم أنم لحظة واحدة منذ نهضت صباح أمس ... و لم أهدأ دقيقة واحدة مذ رأيت الخائنين يتعانقان أمامي ...

عدا عن هذا ، فإن معدتي لم ترحم بحالي و عذبتني أشد العذاب طوال هذه الساعات

كانت مساحة المزرعة صغيرة ، محاطة بالسياج ، و بها الكثير من الأشجار المثمرة...

ركنت سيارتي جانبا و دخلت عبر البوابة الكبيرة المفتوحة...

كنت أسير ببطء و أراقب ما حولي ، و رأيت منزلا صغيرا في آخرها.

فيما أنا أسير نحو المنزل لمحت سيدة تقف عند الأشجار ، و إلى جانبها عدة صناديق خشبية مليئة بالثمار..

كانت السيدة تقطف الثمار و تضعها في تلك الصناديق . و كانت ترتدي جلبابا واسعا و تلف رأسها بوشاح طويل...

اقتربت ببطء من السيدة و أصدرت نحنحة قوية للفت انتباهها.

السيدة استدارت نحوي و نظرت إلي بتساؤل ، و من الوهلة الأولى توقعت أن تكون امرأة أجنبية ، في الأربعينات من العمر.

قلت:

"معذرة سيدتي ، إنني أبحث عن مزرعة السيد نديم وجيه و عائلته"

قالت السيدة:

"من أنت؟؟"

أجبت:

"أنا صديق قديم له ، أدعى وليد شاكر"

تهلل وجه السيدة ، و قالت:

"أنت صديق نديم؟؟"

قلت:

"نعم ... في الواقع كنت زميلا له في " ...

و صمتّ لحظة ، ثم تابعت:

"في السجن" ...

علامات الاهتمام ظهرت جلية على وجه السيدة و أخذت تحديق بي ، فخجلت و غضضت بصري ...

قالت:

"أنا زوجة نديم ... أحقا تعرفه؟"

"نعم ... سيدتي و هو من دلّني إليكم"

قالت:

"و أين هو الآن ؟؟ ألا يزال في السجن ؟؟"

صعقت لدى سماعي هذا السؤال و رفعت بصري إليها فوجدتها تكاد تخترقني بنظراتها القوية المهمة جدا و القلقة ...

عادت تكرر بخشبية:

"أما زال في السجن ؟؟"

رباه ! لقد قتل نديم قبل سنين ! ألم يخبروا أهله بذلك ؟؟ بم أجيب هذه السيدة الآن ؟؟

السيدة رفعت يدها إلى صدرها كمن يتوقع خبرا سيئا ، قرأته في عيني ...

أنا هربت بعيني ... نحو أشياء عدة ... إلا أنني في النهاية عدت أواجه نظراتها الملهوفة ... و قلت بنبرة حزينة:

"البقاء لله"

السيدة هلعت ... و انفتحت حدقتها على مصراعيهما و انفغر فاهها ...

ثم ضربت على صدرها ... و رأسها ... و صرخت:

"يا ويلي"

أنا كنت أريد أن ... أعتذر عن نقل خبر مفجع كهذا ... و لكنني لم أعتذر على الكلمات الملائمة ...

كما و أنني شغلت بحالة السيدة المفجوعة ...

فجأة ... ترنحت السيدة و هوت أرضا!

اقتربت منها و قلت بصوت خائف قوي:

"سيدتي" !

و ظهر لي أنها فقدت الوعي...

عدت أنادي دون جدوى ... ارتبكت و لم أعرف ما أفعل...

تلقت يمناً و يسرة و لم أجد أحدا ، و ناديت بأعلى صوتي:

"أسمعني أحد؟؟ ساعدوني" ...

و لم أسمع أو أرى أي تجاوب ... لم يكن في المزرعة على ما يبدو غير هذه السيدة...

ركضت بسرعة نحو ذلك المنزل و أنا أنادي:

"أمن أحد هنا ؟ أرجوكم ساعدوني"

وقفت أمام المنزل ثانية ، ثم اقتحمته!

كنت أنادي و استنجد ... و كانت أبواب المنزل مفتوحة ...

فجأة وصلني صوتٌ من خلف أحد الأبواب:

"من هناك؟؟"

قلت بسرعة و اضطراب:

"أسرعوا ... السيدة في الخارج فقدت وعيها"

اندفع الباب منفتحا فجأة و بقوة كادت تصدع الجدار الذي اصطدم به ، و انطلق من الداخل شهابٌ

ذهبي !

"أمي" !

صرخت الفتاة الشقراء التي ظهرت بسرعة و ركضت بسرعة كالبرق نحو الخارج و أنا ... أتبعها...

وصلنا إلى حيث السيدة ، و بدأت الفتاة تصيح و تصرخ بذعر ...

"أمي ... أمي ... ردي علي أرجوك" ...

و هوت إلى جانبها تحاول إيقاظها

أنا وقفتُ مذهولا مسلوب الإرادة و التفكير ...

الفتاة أخذت تنادي بصوت قوي:

"خالي ... تعال بسرعة"

تلفت أنا من حولي و لم أر أحدا ...

نهضت الفتاة الشقراء بسرعة و ركضت مبتعدة و هي تنادي

"خالي ... أسرع"

يا إلهي ... هل ماتت السيدة؟؟

إنني من تسبب في موتها...

ماذا أفعل الآن؟؟

لحظة شعرتُ فيها برغبة قوية في الهروب ...

إلا أن رجليّ لم تسعفاني...

ظهرت الآن الفتاة الشقراء ، تمسك بيد رجل عجوز أشقر ، تجبره على الركض ، وهو لا يقوى عليه  
...

وأخيرا وصلا إلينا ... في نفس اللحظة التي بدأت فيها السيدة تفتح عينيها...

أقبلت الفتاة بسرعة لمساعدة أمها في الجلوس وهي تقول بفرع:

"أمي ... ماذا جرى لك؟؟"

السيدة بدت متعبة و منهارة ، وضعت رأسها على صدر ابنتها و أغمضت عينيها...

الفتاة نظرت الآن و لأول مرة نحوي أنا!

"من أنت؟؟ ماذا حدث؟؟"

أنا ارتبكت و بدأت أتأتئ....

الرجل العجوز اقترب من السيدة و قال:

"ليندا ! ماذا جرى لك؟؟"

قالت الفتاة:

"يجب أن نأخذها إلى المستوصف يا خالي هيا بسرعة"

و تعاونوا الاثنان على إسنادها ...

قال العجوز:

"السيارة في المؤخرة" !

قالت الفتاة:

"أوه كلا" !

حينها أنا تدخلت و قلت:

"أيمكنني المساعدة؟؟ لدي سيارة تقف بالخارج ... على مقربة"

نظر العجوز إلى ، و كأنه ينتبه لوجودي الآن فقط ، و قال :

"من أنت؟؟"

قلت:

"أنا ... وليد شاعر ... صديق نديم"

الفتاة نظرت إلي باهتمام ، إلا أن والدتها تأوهت ، فأهملت الفتاة نظراتها إلي و نادت:

"أمي ... تماسكي أرجوك" ...

قلت:

"تعالوا معي" ...



و لم يتردد الآخرون كثيرا ، بل ساروا خلفي مباشرة...

وُضعت السيدة في السيارة ، و جلس الرجل العجوز إلى جانبي ، ثم ذهبت الفتاة مسرعة و عادت خلال ثواني ، و جلست إلى جانب أمها في على المقاعد الخلفية

تولّى العجوز إرشادي إلى أقرب مستوصف من المزرعة ، و هناك تم إسعاف السيدة و إجراء اللازم...

الأحداث جرت بسرعة مدهشة ، حتى أنني لا أذكر بقية التفاصيل!

قال الطبيب:

"نوبة قلبية ... يجب أن تنقل للمستشفى من أجل الملاحظة و العلاج"

رباه !

هل تسببتُ دون قصدٍ مني في نوبة قلبية لزوجتي صديقي؟؟

كم أنا نادم على الحضور ... بل نادم على تذكر وصيتك يا نديم ... فعوضا عن مساعدة عائلتك هاأنا أتسبب بمرض زوجتك!

الذي حدث هو أن صحة السيدة تحسنت شيئا فشيئا ، و رفضت هي الذهاب للمستشفى و أصرت على العودة إلى البيت...

بصعوبة أقنعتها ابنتها بالبقاء بعض الوقت ، حتى تتحسن أكثر...

تُركت السيدة في غرفة للملاحظة ، و بقينا أنا و العجوز في على مقربة...

الآن تخرج الفتاة من الغرفة ، و تأتي نحونا

العجوز يبادر بالسؤال:

"كيف هي؟؟"

"نائمة ، لكنها أفضل"

و بعدها تنظر إلي أنا... .

غضضت أنا بصري ... فسألتنني:

"من أنت؟؟"

أجبت:

"وليد شاكر ... كنت أحد أصدقاء السيد نديم وجيه"

قالت:

"إنه والدي"

قلت:

"نعم ... عرفت"

قالت:

"و لم جئت لمزرعتنا ؟ ألا تعرف أن أبي في السجن منذ زمن؟؟"

صمت ... ما ذا بإمكانني القول؟؟

قالت:

" بم أخبرت أمي؟؟ "

و أيضا بقيت صامتا ...

قالت:

"والدي قُتِل ... أليس كذلك؟؟"

رفعت نظري إليها مندهشا ... و متنمدا ... و أسفا ... و كم كانت تعبيرات وجهها تنم عن القوة و الجرأة...

ثم نظرت إلى الرجل العجوز ... فرأيته هو الآخر يحملق بي ...

قلت:

"أنا ... آسف" ...

خشيت أن تأتي ردة فعل الفتاة كأمرها لكنني عجبت من هذه القوة و الصمود اللذين تملكها ... قالت :

"كنت أتوقع ذلك" ...

ثم انصرفت عائدة نحو الغرفة ...

بعد ذلك بدأ العجوز يستجوبني ... و سردت عليه بعض أخبار نديم و أوضاعه في السجن قبل موته ... و علمت أنهم منعوا من زيارته و لم يبلغوا بوفاته ...

و كم أثار ذلك حزني و حنقي...

أبعد العذاب الذي صبوه عليه كل تلك المدة ، يقتلونه و يدفنونه ثم لا يبلغون أهله حتى بأنه مات! ؟

أ تركوا العائلة تعيش مرتقبة عودته فيما هو رميم تحت الأرض..؟؟

طال الانتظار ، و لم أعرف ... أعلي الذهاب و تركهم؟؟ أم علي البقاء و مساعدتهم؟

و لكنني آثرت البقاء ... من باب الأدب و الوفاء لصديقي الراحل...

بعد فترة ، اشتد علي الألم ، و التعب و بدأت أحس بالدوار ...

لم أكن قد تناولت شيئاً بعد تلك البوذا الأخيرة ... لذلك أحس باضطراب...  
و قد لاحظ العجوز اضطرابي و وهني ، إذ كنت أسند رأسي إلى الحائط القائم خلف المقعد الذي أجلس عليه..

"هل أنت علي ما يرام؟؟"

سألني العجوز ... أجبت:

"أشعر بالإعياء" ...

قمت بصعوبة ، بالكاد أحمل نفسي و سرت خطي متعثرة حتى وصلت إلى عيادة الطبيب ...

انهزت على السرير هناك و قلت:

"أنا مرهق ... ساعدني" ...

اشتد بي الدوار و بدأت أتقيأ ... عصارة ممزوجة بالدم ...

بعد أربعين دقيقة من العلاج شعرت بتحسن كبير ... و شكرت الطبيب...

الطبيب سألني عدة أسئلة عرف منها عن آلام معدتي المتكررة و الدماء التي تخرج من جوفي ،  
فأجرى لي بعض الفحوص ثم رتب لإرسالني إلى قسم المناظير لإجراء منظار لمعدتي ...

الرجل العجوز كان يأتي للاطمئنان علي بين الفينة و الأخرى ...

"أ أنت بخير يا هذا ؟"

"أنا بحال أفضل الآن . شكرا لسؤالك أيها العم ، ماذا عن السيدة ؟"

"لا تزال نائمة و يريد الطبيب نقلها إلى مستشفى أكبر ، لكن ظروفنا لا تسمح بذلك"

و الآن دخلت الممرضة في الغرفة التي كنت أنا فيها و قالت:

"هيا يا سيد ، سنأخذك إلى قسم المناظير"

الرجل العجوز نقل بصره بيني و بينها في تساؤل ، فقلت:

"سأعود بسرعة"

و ذهبنا إلى قسم المناظير و تم إجراء منظار لمعدتي ... و بعد الفراغ من ذلك قال لي الطبيب:

"إنها قرحة نازفة ... في معدتك أيها السيد"

خمس ساعات مضت و نحن في ذلك المستوصف ، ننتظر تحسن السيدة زوجة نديم كي نغادر

وصف لي الطبيب أدوية اقتنيتهما من صيدلية مجاورة ، بسعر باهظ ... كما و أنني دفعت مبلغا كبيرا

نسبيا من أجل مستحقات الطبيب و الفحوص و المنظار

أتساءل ، أي مبلغ خسرت عائلة نديم يا ترى ؟؟

أقف الآن عند المخرج ، و أرى الفتاة ابنة نديم تدفع كرسي العجلات الذي تجلس عليه والدتها ، و إلى جانبهم العجوز الطيب.

حينما صاروا قربي ، انطلقت نحو السيارة و أنا أقول:

" من هنا رجاءً "

أخذ الثلاثة يتبادلون النظرات ، ثم نظروا إلي...

في أعينهم كانت آثار الدموع واضحة ، كما علامات الحيرة و التردد...

قلت:

" سأوصلكم إلى المزرعة ... إن لم يكن لديكم مانع ؟؟ "

وصلنا إلى المزرعة و طلب مني العجوز أن أوقف السيارة في الداخل ، إمام المنزل مباشرة

قام الاثنان بمساعدة السيدة على السير حتى دخلوا المنزل ، و أنا واقف أراقب إلى جانب سيارتي ...  
بعد قليل حضر العجوز و ناداني:

" تفضل بالدخول يا ... ما قلت اسمك ؟ "

" وليد ... وليد شاكر أيها العم "

" تفضل يا وليد شاكر "

ترددت قليلا ، إلا أنني آثرت البقاء معهم لبعض الوقت ، إذ لابد أنهم يودون معرفة شيء من تفاصيل موت نديم ، رحمه الله

المنزل كان صغيرا و بسيطا ، و أثاثه عادي و قديم ، ما يعطي الزائر انطباعا عن المستوى المادي البسيط الذي تعيش به هذه العائلة الصغيرة.

أخذني العجوز إلى الصالة الرئيسية في المنزل ، و بعد أن جلست بدأ يرحب بي...

" أهلا بك ... نحن شاكرون لك صنيعك النبيل"

قلت:

" لا داعي لأي شكر أيها العم ، لم أفعل شيئا"

قال:

" و كيف تشعر الآن ؟؟ هل تحسنت ؟؟"

"كثيرا و لله الحمد ، كل ما في الأمر أنني قضيت ساعات طويلة بلا نوم و لا طعام لذا داهمني الدوار و الإعياء" !

قال :

" نعم أجل ... الطعام"

و نهض و ذهب إلى غرفة مجاورة ، و عاد مع الفتاة...

الفتاة ألفت تحية علي ، و نطقت ببعض كلمات الترحيب ، ثم استأذنت...

و أخذنا أنا و العجوز نتحدث عن أمور متفرقة ، أتى ذكر نديم و مأساة وفاته في معرضها...

"لقد كنا نتوقع ذلك ، فجميع من سجنوا معه بلغتنا أنباء وفاتهم ، كل هذه السنين و نحن لسنا على يقين من حياته أو موته ... ليندا لم تفقد الأمل في عودته ذات يوم"

كم شعرت بالأسى ... لأجل هذه العائلة البائسة ... التي عاشت محرومة من معيها كل تلك السنين ، و بعد كل هذا الانتظار تكتشف أنه مات!

كيف يفعلون هذا ؟؟ يسجنونه و يعذبونه و يقتلونه ، ثم لا يخبرون أهله بأنه مات ؟؟

قلت:

"يوم وفاته ... طلب مني نديم أن أزور عائلته و أطمئن على أحوال أهله ... كان ذلك قبل سنين ... أربع تقريبا ... إلا أنني " ...

العجوز كان يراقبني باهتمام شعرت معه بالخجل ، و برغبة في الاختفاء في الحال!

قال:

"هانحن نعيش حياتنا و الحمد لله .. أدعوه أن يحفظ لي صحتي و قوتي لأرعى أختي و ابنتها"

و هنا دخلت ( ابنتها ) تحمل صينية مملأ بالطعام ...

وضعت الصينية على الطاولة المائلة أمامي و عادت ترحب بي ... ثم قالت:

"تفضل يا سيد وليد"

و انصرفت

شعرتُ بالخجل ... فأنا وسط عائلة غريبة علي ... أناس لم يسبق لي رؤيتهم قبل اليوم ... و هم على ما يبدو كرماء!



"تفضل يا بني ... طعام خفيف لحين موعد العشاء"

دهشت ! قلت:

"العشاء!؟"

"نعم .. فأنت ستتناول عشاءك معنا هذه الليلة"

"أوه كلا ... إنني ... إنني سأنصرف بعد قليل"

و أصر العجوز على استضافتي ليس فقط على العشاء ، بل و للمبيت عندهم هذه الليلة !

العشاء كان لذيذا جدا ، علمت أن الفتاة هي التي أعدته ! كما علمت أن حالة السيدة قد تحسنت كثيرا ، و لذا فإنها و ابنتها كذلك شاركتانا الجلسة و الأحاديث بعد الوجبة.

الثلاثة يبدون متشابهين في المظهر ! جميعهم من السلاسة الشقراء !

السيدة كانت تمطرني بالأسئلة عن نديم و ما حصل معه ، و أنا أحاول الإجابة بالقليل الذي لا يسبب لها انتكاسة ، إلا أنها مع ذلك أخذت تبكي ، و تبعثها ابنتها...

قالت الابنة بانفعال و هي لا تملك منع نفسها عن البكاء:

"أرجوك يا أمي توقفي عن البكاء ... كنت تعرفين أنه لن يعود ... جميعنا نعلم أنهم و لا شك قتلوه ... الظلمة القساة الحقرة ... الأوغاد المجرمون ... احرقهم يا رب جميعا ... انتقم منهم فأنت العزيز ذو الانتقام ... و افعل بهم ما فعلوه بنا ... و أفضع"

أما أنا فقد كنت أردد دعوتها عليهم في صدري...

يا رب انتقم منهم جميعا...

عاد بي شريط الذكريات إلى سنين السجن ... و عذاب السجن ... و الزنزانة ... و الطعام الرديء ...  
و الأسرة المهترئة ... و الحشرات ! ... و الرائحة العفنة ... التي اختزنت في ذاكرة أنفي ! أكاد  
أشمها!

رفعت يدي إلى أنفي كمن يريد منع رائحة كريهة من التسلل إلى تجويف أنفه ، فلامست أصابعي  
الحفرة الصغيرة التي تركها السجن علامة عليه ... شعرت بنار تتأجج في صدري ... نار كنت أخالها  
قد خدمت بعد هذه الشهور التي قضيتها خارج السجن ... إلا أنني ... و أنا أرى المناحة و البؤس و  
الدموع المنسكبة من أعين الأرملة و اليتيمة ... و أتذكر نديم و هو يحتضر ... و الكدمات و الجروح  
التي كانت تغطي جسمه أكثر من شعيرات جلده ... عقدت العزم على ألا تواتيني فرصة للنيل منهم  
إلا و اقتنصتها...

و من خلال الساعات التي قضيتها في تبادل الأحاديث معهم ، شعرت بقربي لهم و قربهم مني ... و  
كأنني وسط عائلتي ، و كأنني أعرفهن من سنين...

لقد ألفتُ هذه العائلة و أحببتها في الله !

في اليوم التالي ، و رغم أنني نمت باكرا كما نامت العائلة ، استيقظت قرابة الساعة الحادية عشرة...

كنت قد نمت في غرفة صغيرة في الطابق السفلي للمنزل مفترشا فراشا أرضيا بسيطا و ملتحفا ببطانية  
ثقيلة .

على الأقل ، وفرت كلفة ليلة واحدة كنت سأبيتها في فندق أو ما شابه...

نهضت و خرجت من الغرفة و أنا أتحنح...

بعد قليل ، كنت أقف في الصالة الرئيسية وحيدا ، تلفت من حولي فلم أشعر بأي حركة توحى بوجود  
كائن حي على مقربة مني!

مضيت نحو المخرج ، و خرجت من المنزل راغبا في استنشاق الهواء العليل العابق برائحة الأشجار و  
الزهور...

كم كان منعشا و باعثا للنشاط!

أخذت أتجول سيرا حول المنزل و في ممرات المزرعة ... و أتأمل الجمال الطبيعي من حولي ، و أستمع  
إلى غناء العصفير و أشاهد استعراضاتها الجميلة في السماء...

المكان كان غاية في الروعة ... و أي امرئ يقضي هنا سويعات معدودة ، لا شك أنه سيخرج بنفس  
مبتهجة و نفسية مرتاحة !

فيما أنا أسير ... وجدت السيدة و الفتاة على مقربة...

كانتا ترتديان ملابس سوداء ... ربما حدادا على تأكيد موت نديم ، رحمه الله ... و كانتا تسحبان  
صناديق مليئة بالثمار ... تجرانها جرا ... إلى حيث تقف سيارة حوض زرقاء ، يعلو حوضها الرجل  
العجوز ، و يقوم بترتيب صناديق الثمار المكشوفة ، التي ترفعها السيدة و الفتاة متعاونتين و تضعانها  
في الحوض.

تفعلان ذلك ، ثم تعودان لجر المزيد من الصناديق...

اقتربت من السيارة و ألقيت التحية على العجوز المنهمك في ترتيب الصناديق ، و يبدو أنه لم يسمع!

تبعث السيدتين إلى حيث وجدت مجموعة من الصناديق المليئة بالثمار تنتظر دورها للشحن في السيارة

...

و هاهما تسييران نحوي و تجر كل واحدة منهما صندوقا جديدا...

"صباح الخير"

حييتهما فتركنا الصندوقين و ردتا التحية ، ثم قالت السيدة:

"هل نمت جيدا ؟ أتمنى ألا يكون الفراش قد أتعبك؟؟"

قلت:

"على العكس ... نمت بعمق ... شكرا لكم جميعا"

السيدة قالت مخاطبة ابنتها:

"أروى اذهبي و أعدي الفطور لضيفنا"

الفتاة نظرت إلى الصندوق ثم إلى أمها و قالت:

"حسنا"

و همت بالذهاب...

أنا قلت:

"شكرا لكن لا داعي لذلك ... لا أشعر بالجوع الآن"

قالت السيدة:

"بلى ! سيكون فطورك جاهزا خلال دقائق ، و معذرة فأخي مشغول الآن لكن تصرف بحرية"

ثم التفتت إلى الفتاة و قالت:

"هيا أروى"

الفتاة ذهبت في طريقها إلى المنزل ... و السيدة تابعت سحب صندوقها ...

سرت أنا نحو الصندوق الآخر ، و حملته و نقلته إلى حوض السيارة ... فيما هي لا تزال تجر صندوقها  
!

الآن انتبه العجوز إلي!

"صباح الخير أيها العم"

"أوه ! شاكر ... نهضت إذن ! لا بد أنك كنت متعبا جدا ! صباح الخير"

وضعت الصندوق في السيارة و قلت:

"كنت ، لكنني الآن بحالة ممتازة و الحمد لله . شكرا لكم . اسمي وليد أيها العم!"

سحب العجوز الصندوق ليصفه بنظام قرب أخوته ثم قال:

"أجل تذكرت ! وليد . سأخذ هذه إلى السوق ، أتفضل انتظاري أو مرافقتي؟"

نظرت ناحية السيدة المقبلة تجر الصندوق ، ثم إلى العجوز و قلت:

"أفضل مساعدتكم !"

ثم بدأت بنقل الصناديق واحدا تلو الآخر ... و طلبت من العجوز أن يطلب من السيدة أن ترتاح ، فقد  
عاشت أزمة قلبية يوم أمس !

أقبلت الفتاة بعد ذلك ، و رأيتني أحمل أحد الصناديق ... فتعجبت ! ثم قالت:

"طعامك جاهز أيها السيد ... تفضل إلى المنزل"

و مضت نحو ما تبقى من الصناديق و جرّت أحدها ...

وضعت ما بيدي في حوض السيارة ، و عدت ناحية الصناديق...

كانت الفتاة تجر صندوقها بجهد ... قلت:

"دعي الأمر لي سيدتي أستطيع نقلها جميعا وحدي دون عناء"

فتركت صندوقها و تنحت جانبا ، فحملته و نقلته إلى السيارة ، و سارت هي من بعدي حتى صارت واقفة إلى جوار والدتها ...

انتهيت من مهمتي ، فشكرني الجميع ثم قالت السيدة الأم:

"لقد برد فطورك ! أرجوك تفضل لتناوله"

شعرت بالخجل ، و نظرت نحو الأرض بحياء ، فنادت السيدة على العجوز

"إلياس ... تعال لتكرم ضيفنا !"

نزل العجوز أرضا ، و رافقتنا نحو المنزل...

هناك جلست عند المائدة أتناول فطوري الشهوي ، و إلى جانبي العجوز يشرب الشاي ، بينما السيدة و ابنتها تراقباننا عن بعد و تتابعان أحاديثنا !

في معرض الحديث ، قال العجوز:

"ليتني أعود لمثل شبابك و قوتك ! اخبرني ... ماذا تعمل ؟؟"

توقفت عن مضغ اللقمة الموجودة في فمي ، و ابتلعتها كما هي!

قلت:

"في الواقع أيها العم الطيب ... أنا عاطل عن العمل" !

دهش العجوز ، فأخبرته بأن تخرجي من السجن حال دون قبولي في الوظائف التي حاولت الالتحاق بها ، و أخبرته إنني هنا في المدينة الشمالية للبحث عن عمل...

قال:

"شبان هذه الأيام يحبون الوظائف المكتبية و الإدارية التي لا تتطلب منهم سوى الجلوس و تقليب الأوراق ! سيصعب عليك العثور على وظيفة كهذه في هذه المدينة" !

قلت:

"سأجرب ! فإن فشلت ، عدتُ من حيث أتيت" !

قال:

"إذن ... ما هي خطتك الآن؟؟"

قلت:

"سأذهب إلى قلب المدينة ، استأجر شقة صغيرة ، و أبحث عن وظيفة ... عسى الله أن يوفقني هذه المرة"

بعد ذلك رافقت العجوز إلى السوق ، حيث قام ببيع الثمار على أحد تجار الخضار و الفاكهة ، ثم عدنا إلى المزرعة....

حينما وصلت ، و فيما أنا في طريقي إلى سيارتي ، لمحت السيدتين واقفتين عند الأشجار ، تقطفان الثمار و تجمعانها في السلات و الصناديق...

نظرت إلى العجوز السائر جوارى و قلت:

"ألا يساعدكم أحد في العناية بهذه المزرعة؟؟"

قال :

"كلا ! نحن الثلاثة من يعتني بها ، لكننا نستأجر بعض العمال لقطف الثمار أو التنظيف أو ما إلى ذلك من حين لآخر " !

يا للحياة الشاقة التي تعيشها هذه العائلة !

لو تعلم يا نديم! ...

قلت:

"دعوني أساعدكم قبل المغادرة" !

و بدأت العمل!

قطفنا كميات كبيرة من الثمار ، و وزعناها على الصناديق ، و تركناها قرب بعضها البعض ، لحين الغد ، حيث سيتم نقلها إلى السيارة من جديد...

بعد ذلك قمنا بجمع الأوراق و الثمار المتساقطة و تنظيف الأرض!

كل ذلك استغرق منا ساعات من العمل ، و كلما حاول العجوز ثنيي أو الاعتذار ، قلت له:



" هذا واجبي ، و نديم يستحق أكثر من ذلك "

بعد ذلك ، دخلنا إلى المنزل و من ثم تناولت وجبة الغداء المتأخرة مع العجوز الطيب ... ، شكرته على حسن ضيافته و وعدته بالعودة لزيارتهم كلما أمكنني...  
و خرجت من المنزل و ركبت سيارتي الواقفة أمام المنزل ، و سرت بها...

عبرت على مجموعة الصناديق ، و فكرت ... في العناء الذي ستلاقيه السيدتان غدا في نقلها إلى السيارة الزرقاء ... غدا و بعده و كل يوم ... اعتقد أن من واجبي تقديم المزيد من المساعدة لهذه العائلة التي أوصاني صديقي الراحل بها خيرا

أوقفت السيارة و عمدت إلى الصناديق و جعلت انقلها إلى السيارة الزرقاء المركونة على مقربة ، واحدا تلو الآخر ... دون علم أحد !

الشمس كانت على وشك المغيب ... لم أكن أشعر بأي تعب أو إعياء يذكر ، كما و أن آلام معدتي قد اختفت تقريبا بعد العلاج السحري الذي وصفه لي الطبيب ! أو ربما العلاج السحري في هذه المزرعة الجميلة و مناظر الطبيعة الخلابة ، و الهواء المنعش...

كم أنا سعيد لأنني استطعت خلال الساعات الماضية طرد آلامي الجسدية و النفسية ... و أفكاري المهمومة ... بما فيها الخائنة رغد !

رغد...

ما تراك تفعلين الآن ؟؟؟

و ما تراك فعلتِ بعد علمك برحيلتي ؟؟

ما تراك فاعلة إن علمتِ أنني لن أعود إليك مرة أخرى ... و أنني في سبيل الابتعاد عنك مستعد لهجر أهلي للأبد ؟؟؟

"ماذا تفعل" !

روعتُ فجأة حين سمعت صوتا آتٍ من خلفي ، و استدرت بفرع!

كانت ابنة نديم !

كنت أحمل الصندوق على ذراعي و أسير نحو السيارة الزرقاء ، و أفكر برغد!

ثم وجدت نفسي في موقف لا أحسد عليه ، أمام ابنة نديم ... تنظر نحوي بدهشة!

تتأتأتُ في الحديث ، قلت:

"أأ ... فكرت في ... بما أنني لازلت هنا ... يمكنني المساعدة قبل ... معذرة فأنا لم أقصد سوءا !  
"

و خفضت بصري نحو الأرض...

شعرت بثقل الصندوق فوق يدي ، فرفعته أكثر ، ثم اعتذرت ، و ذهبت إلى السيارة لأضعه فيها...

الفتاة تبعتني ، و أخذت تنظر إلى الصناديق الموضوعة في السيارة بتعجب !

قالت :

"لم كلّفت نفسك عناء كل هذا ؟! لم يكن واجبا عليك ذلك" !

قلت:

"بلى ... من واجبي و من دواعي سروري أيضا ! نديم كان صديقي الحميم في السجن ... ليتني أملك

أكثر من هذا لأفعله من أجله ... و أجل عائلته "

الفتا قالت بعد صمت قصير:

"شكرا لك ... أنت رجل نبيل "

و صمتت تارة أخرى ، ثم قالت:

"لماذا دخلت السجن؟؟"

و لما لم تجد مني جوابا ، قالت:

"اعتذر ... تجاهل سؤالي إن كان يزعجك " ...

أنا كنت في غاية الاضطراب ، هناك مواقف كثيرة في الحياة لا أعرف التصرف حيالها ، و هذا أحدها  
!

سرت إلى الصناديق و تابعت عملي بصمت و هدوء ، و إن كان داخلي متوترا مضطربا ، و الفتاة واقفة  
على مقربة!

متى تنقشعين ؟!

يبدو أنها امرأة قوية و جريئة !

ربما لأن أمها - و كذلك خالها - من أصل بلدة أخرى ... ذات طباع و شخصيات أخرى ... غريبة و  
مختلفة عما تعودت أنا عليه !

بعد فراغي من نقل الصناديق ، قالت لي:

"شكرا لك يا سيد وليد ... والدي يعرف كيف يختار أصدقاءه" ...

قلت بخجل:

"العفو ... سيدتي"

ثم ابتعدت و أنا أقول:

"مع السلامة"

~ ~ ~ ~ ~

[color=cc6699]

"وقعت أخيرا!"

صاحت نهلة بصوتها العالي و هي تشير بإصبعها نحوي ، و تضيق الحصار علي!

تلقت من حولي و قلت:

"نهلة أرجوك ! اخفضي صوتك ! لا بد أن أمي تسمعه في المطبخ!"

نهلة أقبلت نحوي و هي لا تزال تمد بسبابتها نحوي حتى تكاد تفتقأ عيني!

قالت بحدة و مكر:

"اعترفي يا رغد ... لن يجدي الإنكار أو المواراة ! أنت مهووسة بابن عمك!"

مددت يدي و أمسكت بعنقها و ضغطت عليه!

"سأخنقك يا نهلة"

نهلة الأخرى طوقت عنقي بيديها و قالت تمثل دور المخنوقة:

"سأنطق بالحق حتى النفس الأخير ... رغد تحب ابن عمها وليد... دون أن تدرك اللهم إني بلّغت  
، اللهم فاشهد "

و بالفعل كدتُ أخنق هذه الفتاة!

طرقُ على الباب منع جريمتي من الوقوع !

تركت عنق ابن خالتي و مضيتُ لفتح الباب ... كانت دانه !

"رغد ... وليد على الهاتف ! إن كنتِ ترغبين بإلقاء التحية "

حدّقتُ بها لثوان شبة واعية لما قالت ، ثم انطلقت مسرعة إلى حيث كانت والدتي تمسك بسماعة  
الهاتف و تتحدث إلى وليد...

عندما رأنتني أمي قالت له:

"بني ... هذه رغد ترغب في التحدث معك"

و مدت السماعة إلي...



و مضيت إلى سريري فجلست و سحبت الوسادة ، و غمرت وجهي فيها ... حتى كدت اختنق!

بعد قليل ، نهلة ربتت على كتفي و قالت:

"نعم ... مفهوم"

أبعدت أنا الوسادة عن وجهي و تنفست الصعداء ... و سمحت لنظرات نهلة باختراقي مباشرة ...  
الدموع كانت تجري بانسياب مبللة كل ما تصادفه في طريقها...

"عزيتي" ...

ما أن قالت نهلة ذلك حتى انهزت تماما ... و رميت برأسي في حضنها و طوقتها بذراعي باستسلام و  
أسى ... قلت و أنا في غمرة الحزن ... في لحظة صدق و اعتراف

"لماذا رحل دون وداعي؟؟ لماذا كذب علي؟؟ لماذا كذبوا كلهم علي؟؟ أخبروني بأنه لن يعود ...  
لكنه عاد ... لكنه تركني ... لم يعد يهتم بي ... لأنني سأتزوج سامر ... لكنني لا أحب سامر ... لا  
أحبه" ...

و أبعدتُ وجهي عن حضنها و نظرت إليها باستنجاد مريب...

"نهلة ... أنا ... لا أحب سامر ... أنا ... لا أريد أن أتزوج منه"

نهلة وضعت يدها بسرعة على فمي لكتم كلماتي ، و تلفتت ، ثم عادت تنظر إلي...

قالت:

"اخفضي صوتك" ...

شعرت باليأس و فقد الأمل ... و طأطأت برأسي أرضا باستسلام لحكم القدر...

كيف لي أن أقول هذا ... و لا تفصلني عن موعد الزفاف غير أسابيع؟؟

لا يحق لي حتى مجرد التفكير ... فقد قضي الأمر ... و انتهى كل شيء...

بعدها هدأت من نوبة بكائي ... و لزمت و نهلة الصمت لعدة دقائق ، قالت هي:

"رغد ... لم يفت الأوان بعد ... دعي أُمي تتدخل و توقف هذا الزواج في الحال"

هزرت رأسي نفيا و اعتراضا و قلت بعدها:

"لا ... كلا كلا ... نهلة إياك و الإقدام على هذا" ...

"لكن يا رغد" ...

"أرجوك نهلة ... لا تفسدي علي الأمور ... لقد فات الأوان ... و انتهى كل شيء ... لا تضعيني في موقف كهذا مع أُمي و سامر و الجميع" ...

نهلة أمسكت بيدي و قالت:

"لكن... أنت لا تحبين سامر ! إنك لا ترغبين في الزواج منه ! كيف تربطين مصيرك به ؟"

"قدري و نصيبي"



" و وليد؟؟"

وقفت ببطء ... و استسلام ... و أنا أتذكر تلك الليلة ، حين وعدني و أقسم بألا يرحل دون علمي ،  
ثم نقض الوعد و القسم ... مستغفلا إياي بعلبة بوضا !

قلت:

"لم يعد له وجود ... أو داع للوجود"

طُرق الباب مجددا ، فتوجهت لفتحه فإذا بها أمي...

أمي حملقت في عيني المحمرتين برهة ثم قالت:

"رغد ... أهنك شيء؟؟"

واريت أنظاري تحت الأرض ، و قلت:

"لا ... لا شيء"

و حين رفعت نظري إليها وجدتها تنظر إلي بتشكك ...

هربت من نظراتها و نظرت إلى ابنة خالتي ... و التي بدورها قالت:

"يجب أن أذهب الآن" ...

و ذهبت إلى المرأة ترتب حجابها و عباؤها ...

قلت:

" نهلة ! كلا لن تذهبي الآن " !

قالت:

"لدى سارة دروس تستصعبها و هي تنتظرنى لتعليمها الآن " ... !

قالت أمي:

"لا يزال الوقت مبكرا ... ابقى للعشاء معنا"

ابتسمت نهلة و قالت و هي تحرك يدها عند نحرها:

"ستذبحني سارة إن تأخرت أكثر " !

رافقتها إلى الباب الخارجي ، و قلت لها قبل أن تنصرف:

"نهلة ... لا تذكرى ما دار بيننا على مسمع من أحد ... أرجوك"

نهلة ابتسمت ابتسامة مطمئنة ، ثم غادرت...

عندما عدت إلى غرفتي وجدت دانة هناك!

ما أن رأته حتى بادرت بسؤالى:

"بربك رغد ! ماذا تقصدين من تصرفك الأحمق هذا ؟؟ لقد كادت السماعة أن تتصدع من صرختك !

أخشى أن تكونى قد أحرقت الأسلاك بين المدينتين " !

لم يكن لدي مزاج مناسب للجدال مع دانة هذه الساعة ، قلت بنفسٍ متضايقَةٍ:

"أخرجي دانة ، أريد البقاء وحدي"

دانة نظرت إلي باستنكار ، ثم قالت:

"لا تطاقين يا رغد ! متى أتزوج و أتخلص منك" !

ثم مضت مغادرة ، و قبل أن تخرج قلت:

"قريبا يا ابنة عمي ... ماذا بعد ؟؟ أهذا يكفي ؟؟"

و صغعتُ الباب خلفها...

اعتقد أن تصرفاتي لم تكن لائقة لهذا اليوم ، بل و منذ رحيل وليد و أنا في حالة عجيبة ... عصبية دائما ، حزينه دائما ، ضائقة الصدر ... منعزلة في غرفتي ... فاقدة الاهتمام بأي شيء من حولي حتى الرسم...

و مع مرور الأيام ازدادت حالتي سوءا ... و بدأ العد التنازلي لموعد الزفاف ... لموعد النهاية ... لموعد الحلقة الأخيرة من مسلسل حياتي التعيسة...

لو كان لي أم ... لو كان لي أم تخصني أنا ... لا تكون هي أم سامر ... لكنك أخبرتها بكل ما يختلج صدري من مشاعر...

لكنك أخبرتها بما أريد و ما لا أريد...

أمي هذه ، أم سامر خطيبي ... العريس المتلهف للزفاف ، و إن حاولتُ التحدث معي ، أتحاشاها و اخفي في صدري ما لم أعد قادرة على كتمانها...

كيف لي أن أخبرها بأنني لا أريد أن أتزوج من ابنها ، الذي خطبتُ له منذ أربع سنين !؟

كيف سيكون موقفني من سامر ... و أبي... و الجميع ...

و لماذا أفعل هذا بهم ؟؟

أ يكون هذا جزاء من آووني و رعوني كل هذه السنين ، التي لم أشعر فيها أبدا بأنني يتيمة الأبوين ؟؟...

عدا عن ذلك ...

فأي رجل سأزوج ما لم أتزوج سامر ؟؟ من سأعطيه ثقتي المطلقة مثله ... ؟

حسام الذي لا يختلف عنه كثيرا ؟؟

أم ... وليد ... الذي...

الذي ... لم أعد أعني له شيئا ... ؟؟

وليد ... الكذاب !

~ ~ ~ ~

كذاب!

كلمة قاسية هزنتني و أربكتني حتى كدت معها أوقع هاتفني من يدي...  
لها الحق بنعتي بهذه الصفة .. ألم أعدها ألا أرحل بدون علمها ثم رحلت ؟؟؟  
لكن لماذا تأثرتُ هي كثيرا من ذلك ؟؟

ماذا كان يفرق لديها ... بقائي من رحيلي؟؟  
أم تظنني سأبقى أرهاها و أدللها كما كنت في السابق ، فيما هي زوجة لأخي!

الخائن!

كنت في سيارتي في طريقي إلى الشقة الصغيرة التي استأجرتها ، و دفعت مبلغا لا بأس به لأجل ذلك ،  
على الرغم من نقودي المحدودة التي تتضاءل يوما بعد يوم.

بحثت جاهدا عن وظيفة في هذه البلدة ، و كلما صادفت أعلانا عن وظيفة شاغرة في الصحف بادرت  
بالاتصال ، رغم أنني لا استوفي شيئا من الشروط المطلوبة...

كانت أيام سبعة قد انقضت منذ وصولي إلى هذه البلدة ، و هي فترة قصيرة طبعاً ، إلا أنني شعرت  
بملل و وحدة قاتلين ... و فكرت في العودة إلى مزرعة نديم!

إنني أشعر بأن أهل نديم هم أهلي ... و إن لهم حق واجب علي ... و علي تأديته...

لذا ، فإنني غادرت الشقة ، ذهبت إليهم ... في اليوم التالي.

عندما وصلت ، كانت ابنة نديم هي أول من التقيت به...

الفتاة كانت جالسة بين مجموعة من الصناديق الخشبية ، منهمة في إصلاح و تجبير كسورها بالمطرقة  
و المسامير!

ألقيت التحية فلم تسمعني ، فعدت أحبي بصوت مرتفع فانتبهت لي...

رمت الفتاة بالمطرقة جانبا و نهضت واقفة و قالت:

" مرحبا بك أيها السيد النبيل " ...

هبطت ببصري أرضا و قلت:

"كيف أحوالكم؟"

"الحمد لله . ماذا عنك؟"

"بخير سيدتي ... هل العم إلياس موجود؟"

"خالي ذهب لجلب بعض الأشياء ... سيعود قريباً ... تفضل "

و أرادت مني أن اتبعها إلى المنزل ، لكنني قلت:

"سوف أنتظر العم ... إذا لم يكن في ذلك ما يزعجكما؟"

قالت:

"لا بأس ، أهلاً بك ... سوف أخبر والدتي عن مقدمك"

و ذهبت مسرعة إلى المنزل...

أنا جعلت أتأمل طاوور الصناديق المكسورة التي تنتظر دورها في التجبير!

إنها مهمة شاقة لا تناسب المرأة!

أليس كذلك؟؟

بعد قليل أتت السيدة الأم مع ابنتها ، ترحب بي بحرارة و كأنها تعرفني منذ زمن!

شعرت بالخجل من ذلك ، و لكن يبدو أنه وضع مألوف لدى هذه العائلة الغريبة!

قلت و أنا أنظر ناحية الصناديق:

"دعاني أتولى ذلك"

طبعا السيدتان اعترضتا ألا أنني قلت:

"ريثما يعود العم إلياس"

و رغم أنها المرة الأولى التي أقوم فيها باستخدام المطرقة و المسامير ، ألا أنني أتقنت العمل!

في الواقع ، شعرت بالخزي من نفسي ... فأنا عاطل عن العمل أتسكع في المدن و الشوارع ، بينما تقوم فتاة شابة في العشرينات بإصلاح كسور صناديق خشبية ، و قطف الثمار ، و حمل الصناديق الثقيلة ، و الحرث و الزرع و ما إلى ذلك ...

أمر مخز بالفعل !

بعد قليل وصل العم إلياس و ما أن رأيته حتى أسرع نحو ي يريد أخذ المطرقة مني يدي...

قلت:

"مرحبا أيها العم الطيب ! لا تقلق ... إنه عمل يسعدني كثيرا" !

اعتقد أنه شعر بالخجل ، و رحب بي بحرارة تفوق حرارة ترحيب الآخرين ، و تمتم بعبارات الشكر و بسيل من الدعوات و الأمان!

أنهيت عملي خلال ساعة ... أمطرتني الجميع بكلمات الشكر اللانهائية ... شعرت حينها بأنني شخص ذو قيمة و أهمية و قدرة على العمل و إفادة الآخرين ... بعد شهور التفاهة و البطالة و التشتت التي قضيتها ...

قال العجوز:

"أعطاك الله القوة و الصحة يا بني ، آمل أن تكون قد وفقت في العثور على وظيفة تلائمك؟؟"

قلت:

"ليس بعد" !

قال:

"إذن؟؟"

قلت:

"هل ... أجد عندكم عملا مقابل المأوى و الطعام فقط ، إلى أن أجد وظيفة ملائمة؟؟"

سنة أسابيع مضت منذ أن اقتحمت عالم الفلاحة ، و أصبحت مزارعا!

شيء لم أكن أحلم به أو أتخيله حتى يمر ببالي مرورا عابرا ... فقد كنت أحلم بأن أصبح رجل أعمال مهم ... مثل صديقي سيف ...

في كل صباح ، كنت أقوم بحرث الأرض ، و زرع البذور ، و قطف الثمار و تنظيف المزرعة ، و إصلاح كل مكسور ، الصناديق ... أنابيب المياه ، الأغصان !  
و قبيل الظهر أذهب لبيع ثمار اليوم في سوق الفاكهة ، و حين أعود أتابع العمل في هذا الشيء أو ذاك ... عمل شبه مستمر حتى غروب الشمس...

وجباتي الثلاث كنت أتناولها إما مع العم إلياس أو في الغرفة الجانبية التي خصصت لي ، خارج المنزل...

رغم أنه كان عملا شاقا ألا أنني سررت به كثيرا بل و وجدت فيه ذاتي التائهة ... و تعلقت بعائلتي الجديدة كما تعلقنت هي بي ...



أما عن صحتي ، فقد تحسنت كثيرا مع تحسن نفسيتي ، و اختفت الآلام تقريبا و كسبت عدة أرطال من الوزن!

و أفضل ما في الأمر ... أنني تقريبا أقلعتُ عن التدخين !

اليوم تلقيت اتصالا من والدي يخبرني فيه بأنه و أمي سيسافران لأداء الحج بعد الغد ، و يرغبان في رؤيتي ... أمر يتطلب مني العودة إلى المنزل رغما عني...  
أمرٌ و إن كان صعبا فإن علي تحمله من أجل رؤيتهما ... ليلة واحدة فقط ثم أرحل عن ذلك المنزل و من به!

هكذا كان تفكيري قبل أن يقول أبي:

" و لأن سامر لا يستطيع أخذ إجازة لكونه حجز أجازته بعد عودتنا من أجل الزواج ، فلا بد من بقائك هنا حتى نعود " !

قلبت الأفكار في رأسي و وجدتها مهمة يصعب علي تحملها ، فقلت:

" لا أستطيع ذلك يا أبتني ... سأتي من أجل تحيتكما فقط " ...

قال:

" و من يبقى لرعاية المنزل و الفتاتين إذن ؟؟ "

أنا ؟؟

أ أعود أنا لأرعى تلك الخائنة من جديد ، و أعيش معها أيام استعدادها للزفاف ؟؟  
لم تبق غير أسابيع ثلاثة عن ذلك الموعد المشؤوم ! إنني أفضل السفر إلى المريخ أو المشتري على العودة إليها ... ومشاهدتها عروسا تودع العزوبية!

"لا يمكنني ... يا أبي" ...

"في حال كهذه ... لا أملك غير تأجيل حجي للعام المقبل" !

"أوه كلا أبي ... مادمتما قد عقدتما العزم ... فتوكلا على الله" !

"و الفتاتان؟؟ أ أتركهما وحدهما في البيت؟؟ مستحيل طبعاً"

أشياء كثيرة تبدو مستحيلة جدا ، ألا أنك حين توضع في وجه التيار ، تجد نفسك مضطرا لتنفيذها  
رغما عن أنفك ، مستقيما كان أو معقوفا !

خلاصة القول ، رضخت للأمر ... و وافقت على العودة إلى جهنم...

كنت أرتب أشياءي في حقيبة سيارتي حين أقبل العم و معه الأنسة أروى ، ابنة نديم و وقفا يراقباني  
...

قال العم:

"نحن محزونون لفراقك ... أرجوك أن تعود إلينا من جديد فوجودك عنى الكثير"

ابتسمت له بفرح ، و قلت:

"بالطبع سأعود يا عمي ، إن شاء الله ... ما أن يعود والداي من الحج حتى أوافيكم من جديد ...  
هنا عملي و في أي قطر من أقطار الأرض لن أجد الراحة كما أجدها هنا"

و هي حقيقة أدركها ... تماما

قالت أروى:

"نتمنى أن تحضر عائلتك لزيارتنا ذات يوم ! هلاًّ فعلت؟؟"

قلت:

"سأرى ما إذا كان ذلك ممكناً ..."

قالت:

"أ لديك شقيقات؟؟"

قلت:

"نعم ، واحدة فقط ، و شقيق واحد فقط أيضا"

قالت:

"أحضرها لزيارتنا ذات يوم ... سيعجبها المكان كثيراً"

"أنا واثق من ذلك ..."

و أغلقت حقيبة سيارتي ، ثم فتحت الباب و قلت مودعا:

"نلتقي على خير إن شاء الله بعد أسبوعين ... دعوا الأعمال الشاقة لأنجزها حين أعود"

و ابتسم العم ، و كذلك ابتسمت أروى ... ثم لوّحت بيدها مودعة! ...

أروى نديم ... فتاة قوية ... شخصية مميزة تستحق التقدير! ...

أجلس أمام التلفاز في غرفة الضيوف أشاهد برنامجا ترفيهيا ، علّ ذلك يفيد في طرد الأفكار التعيسة

من رأسي...

تركزت الجميع مجتمعين في غرفة المعيشة يتناقشون بشأن العرس ، و أنا أشاهد برنامجا سخيفا لا  
أهدف منه إلا شغل نفسي بشيء أبعد ما يكون عن ... وليد.

في أي لحظة قد يصل ...

لا لست أرتقب حضوره ، فلم يعد يهمني ذلك ، بل على العكس ، لازلت ألح على سامر ليبقى هو  
معنا خلال الأسبوعين اللذين سيغيبهما والداي ... في الحج...

أقبل سامر الآن يحمل كأس عصير برتقال ، يقدمه لي!

"عروسي ... تفضلي هذا"

أخذت العصير و شكرته و قلت:

"لم تحضره بنفسك ! ؟"

ابتسم و قال:

"عروسي و أحب تدليلها ! لم تجلسين وحدك هنا ؟ إننا نشرب العصير في غرفة المعيشة و نتحدث  
بشأن الحفلة" !

ازدردت شيئا من العصير ، ثم وضعته على المنضدة التي بجانبني و عدت أتابع البرنامج متظاهرة  
بالاهتمام و الاندماج...

سامر جلس على المقعد المجاور و أخذ يشاهد البرنامج بضع دقائق ، و أظنه استسخفه !

قال:

"لو كان باستطاعتي الحصول على إجازة أطول ، لكنك بقيت هذين الأسبوعين معك " ...

قلت في نفسي:

ألا يكفي أنني عشت منذ طفولتي معك ، و سأقضي بقية حياتي معك ... ؟؟ إنها أسبوعان ليس إلا !  
ألا تسأم مني!! ؟؟

الآن أمسك بيدي و قال:

"ثلاثة أسابيع فقط ... كم أنا متلهف لذلك الحين " !

سحبت يدي من بين يديه و أمسكت بكأس العصير ، و رشفت رشفتين ، و أبقيته بين يدي حتى لا يعود لمسكي !

قال:

" فيم تفكرين ؟؟ "

التفت إليه أخيرا ... إذ أنني طوال الوقت كنت أظهار بمتابعة البرنامج ، قلت:

"مندمجة مع التلفاز" !

سامر هز رأسه تكذيبا ، و قال:

" بل أنت في مكان آخر " !

لم أستطع نفي الحقيقة ... فنظرت إلى كأس العصير ، و جعلت أهزه بعض الشيء...

قال سامر:

"تختلفين عن دانة ... فهي متحمسة جدا للعرس ! أهنك ما يقلقك عزيزتي؟؟"

التزمت الصمت ، ما عساي أن أقول؟؟؟

نعم هناك ما يكاد يخنقني!

أنا لا أريد الزواج منك ! هلاّ أعفيتني من هذه المهمة الأبدية لو سمحت؟؟

سامر أمسك بيدي المسكتين بكأس العصير و قال:

"لا تقلقي ! كل شيء سيكون على ما يرام ! و ستكونين أجمل من دانه حتما "

في هذه اللحظة سمعنا تنحنحنا فالتفتنا ناحية الباب ، و رأينا دانة تقف و تراقبنا باستنكار! ...

بمجرد أن نظرنا إليها قالت بحنق:

"سامر ! الويل لك ! من هي الأجمل مني؟؟ سأريك "

سامر ضحك و سحب يديه عن يدي و قال:

"إنا أعني فتاة أخرى تدعى دانة ستتزوج في نفس ليلتنا "

قالت دانة:

"آه نعم صدقتك ! أجل أعرفها ... و لها شقيق اسمه سامر ستقتله بعد دقيقتين ، و آخر اسمه وليد

وصل إلى البيت قبل دقيقتين " !

جفلت ، و توجس فؤادي خيفة ... قال سأل سامر منفعلا:

" هل وصل وليد حقا ؟؟ "

قالت :

" نعم وصل ! إنه في غرفة المعيشة " !

عادةً ما أحس بالحرارة لدى ذكر وليد على مسمعي أو في خاطري ، إلا أنني الآن شعرت بالبرودة !

البرودة في رجلي بالتحديد ... لأن كأس العصير البارد انزلق من يدي المرتعشتين و انسكب محتواه على ملابسي و رجلي !

دانة لاحظت وقوع الكأس من يدي ، قالت:

" ماذا فعلت ! أوه ... العصير الذي تعبتُ في إعدادهِ " !

وقفت أنا و وقف سامر و أخذت أحدق في البقعة التي ظهرت على ملابسي !

أهذا وقته ؟؟

سامر قال:

" فداك " !

ثم التفتت إلى دانة و قال ...

"إلى وليد" !

و ذهب مسرعا ليحيي شقيقه ...

دانة قالت و هي تنظر إلى ملابسي بشيء من السخرية:

"ألن تأتي لتحيته؟؟"

قلت:

"سأبدل ملابسي" ...

و مضيت نحو الباب فلما صرت قريبا قلت:

"أرجو أن تغلقي باب غرفة الضيوف فأنا لا أضع حجابي"

دانة ذهبت إلى غرفة الضيوف ، فدخلت و أغلقت الباب ، بينما سعدت أنا ليس فقط لتبديل ملابسي ، بل و للاستحمام ، و غسل ملابسي ، و غسل عباةتي أيضا ، و عصرها ، و كيها كذلك !

شغلت نفسي بكل شيء و أي شيء يؤجل موعد اللقاء المحتوم ...

من قال أنني أريد أن أذهب للقائه؟؟ من قال أنني أتحرق شوقا لرؤيته؟؟

أنا لا أريد رؤية وجهه ثانية ... أبدا!

مضت ساعة و نصف ، و أنا في غرفتي أؤدي كل ما تقاعست عن تأديته خلال الأسابيع الماضية !

ألستُ عروسا على وشك الزواج؟؟

لا ألام إذن إن أنا اعتنيت ببشرة وجهي ، و وضعت عليها الكريمات و المرطبات و المعالجات كلها



واحدًا تلو الآخر !

و بعدما فرغت منها ، و قفت أمام المرأة ... مصرة على تجريب علبة الماكياج الجديدة التي اقتنيتها مؤخرًا !

أليس هذا من حقي ؟؟؟

طرق الباب و سمعت صوت دانة تناديني فأذنت لها بالدخول...

دخلت و فوجئت بما كنت أصنع ! نظرت إلي بتعجب ... و قالت:

" بربك ! ما ذا تفعلين ؟؟ "

قلت و أنا أمشط رموش عيني بدقة:

" أتزين ! ما تزين !؟ "

قالت:

" تتزينين ! الآن ؟؟ "

قلت:

" ماذا في ذلك ؟؟ "

قالت:

" ألن تأتي لإلقاء التحية على وليد ؟؟ إنه يسأل عنك ! "

قلت:

" و أنا هكذا ؟ لا طبعًا ... بلغيه تحياتي ... "

ثم انغمست في تلوين وجهي كما ألون لوحة أرسمها ... بمهارة...

دانة كانت تحدثني باستنكار ، إلا أنها في النهاية تركتني و انصرفت ، و بمجرد ذهابها أفتلت الباب ، و رميت بالفرشاة جانبا و ارتميت على سريري....

لماذا أتصرف بهذا الشكل الغبي؟؟

لم أعد أفهم نفسي ... ألم أكن متلهفة لرؤيته؟؟

ماذا جرى لي الآن؟؟

جلست ، و نظرت من حولي فوجدت لوحات رسمي المتراكمة فوق بعضها البعض ... ذهبت إليها و استخرجت منها صورة وليد ... ذي العينين الحمرابين و الأنف المعقوف ...

لماذا لا يزال هنا معي؟؟ لمَ لم أتخلص من هذه الصورة؟؟

لماذا لا أحس بالحرارة الآن؟؟

كم كان شعورا جميلا ... رائعا...

و انتهى...

و إن هربت كل تلك المدة لم يكن باستطاعتي البقاء حبيسة الغرفة دون أن يستغرب البقية ذلك و يقلقون...

أتت أمي إلي ، فتحت الباب لها فنظرت إلي ببعض الدهشة !

"رغد ... أتتوين استقبال أو زيارة إحدى صديقاتك؟؟"

"أنا؟؟ لا أبدا"

"إذن ... لم هذه الزينة!"

حتى أنت يا أمي؟؟

هل يجب أن أتزين فقط و فقط حين أقابل صديقاتي؟؟ لماذا تبقى دانة بكامل زينتها معظم الأوقات!

أهي أفضل مني؟؟

قلت:

"هل هذا عيب!؟ أم ممنوع؟؟"

قالت:

"لا لم أقصد ، لكنك لا تفعلين هذا في العادة إلا لسبب!"

قلت"

"كيف أبدو؟؟ إنها ألوان الموضة!"

قالت:

"جميلة طبعا ... لكن ... ألن تتناولي العشاء معنا؟؟"

"كلا ، لا أشعر بأي رغبة في الطعام" ...

"حسنا ... و لن تأتي للانضمام إلينا؟؟"

"لا أشعر بمزاج جيد للحديث يا أمي"

صمتت أمي قليلا ، ثم قالت:

"و لن تأتي ... لتحية وليد؟؟"

صمت أنا لبرهة ثم قلت:

"لم يرغب في وداعي ... إذن ... لا أرغب في استقباله ... أنا ... لا أطيع مجالسة الكذابين"

الحلقة الواحدة والعشرون

\*\*\*\*\*

عندما اقتربت من المنزل اتصلت بهاتفه فأجابني والدي ، و أخبرته أنني قد وصلت...

والدي خرج لاستقبالي عند باب السور الخارجي للمنزل ، و طبعا استقبلني استقبالا شديدا للحرارة!

بعدها ذهبت معه إلى غرفة المعيشة حيث وجدت أمي و أختي دانة ، و اللتين بدورهما رحبتا بي

ترحيبا حميما ...

ثم ذهبت دانة لإبلاغ البقية عن وصولي

و البقية تعني : سامر + رعد...

قالت:

"إنهما يختبئان في غرفة الضيوف ! سأفاجئهما!"

كانت مزحة ، أو ربما جادة ، في كلا الحالتين هذا يشعرني بالانزعاج ... من أول لحظة!

جلست مع والديّ و سكبت لي أمي عصير البرتقال الطازج في أحد الكؤوس و قدمته لي...

"تفضل بني ... هذا نصيبك"

نصيبى؟؟ هل كانوا يحسبون لي حسابا؟؟ إنني أرى أربعة كؤوس شُرب محتواها ، و هذا كأسى  
الخامس ...

بعد قليل أقبل أخي سامر فاتحا ذراعيه ...

قمت و عانقته ، و منها شعرت بأول آلام المعدة!

قال:

"ما شاء الله ! ماذا كنت تأكل يا رجل ! إنك تنتفخ مرة بعد مرة "

الجميع ضحك ، و تمتمت والدتي بعبارات التهليل و التكبير و الصلوات !

قلت:

"هل أبدو سميئا لهذا الحد؟؟"

قال سامر:

"سمين؟ لا ! بل عظيم البنية و مفتول العضلات ! يا رجل هل كنت تمارس رياضة حمل الأثقال أم

ماذا؟؟"

قلت:

"كنت آكل بقرة مشوية كاملة كل يوم" !

و هنا أقبلت دانة فدخلت و أغلقت الباب من بعدها و قالت مداعبة و موجهة حديثها إلى أبي:

"سيسبب لنا الإفلاس ! هات مصروفا آخر" !

أبي قال و هو يضحك:

"أفلستُ بسببك يا ابنتي ! أما كفاك كل ما أخذت ؟؟"

قالت و هي تضحك:

"من قال لك أن تزوج ثلاثة أبناء دفعة واحدة ! ؟"

قال سامر :

"ما ذا لو انضم الكبير إلينا ! ؟"

يقصدني بذلك !

أمي ابتسمت و نظرت إلي و قالت:

"دعوا الكبير لي ! لن أسلمه لامرأة ما و أنا لم أتهنى بعد به " !

و ضحكنا جميعا ...

ربما هم يضحكون من قلوبهم لكنني أضحك مجاراة لهم...

و أدور بعيني فيما بينهم ... و أشعر بشيء ناقص...

طبعاً تعرفون ما أعني!

الصغيرة المدللة لم تأت لتحييتي ولا للعشاء معنا ، و الساعات تمر و هي في غرفتها و حين كررت  
سؤالها عنها لوالدتي بعد العشاء قالت:

"إنها منزعجة منك" !

قلت:

"مني أنا؟؟"

"نعم ! فأنت على ما يبدو كنت قد وعدتها بألا تسافر دون وداعها ثم خرجت خلسة" !

قالت دانة:

"دعك من هذه الفتاة المتدللة يا وليد ! لها ألف مزاج في اليوم الواحد ! يا إلهي كيف سأتحمل  
تصرفاتها وحدي طوال هاذين الأسبوعين" !

سامر قال:

"حذار من القسوة على عروسي يا دانة ! و إلا حبستك في المطبخ ليلة زفافك" !

الجميع كان يضحك بمرح ، إلا أنني كنت أشعر برغبة في غرس الشوكة التي أمسك بها في صدر  
شقيقي ...

توقفوا عن الحديث عن الزفاف المشؤوم هذا ... أفرغت الدنيا من المواضيع؟؟

قلت مغيرا مسار الحديث الذي كان متمركزا حول الزواج المترقب:

"متى ستعودان من رحلة الحج تحديدا ؟"

قال أبي :

"ليلة السابع عشر من شهر الحج إن شاء الله "

إنها فترة طويلة سأضطر لتمضيته مع رغد تحت سقف واحد !

ليت الأيام تنقضي بسرعة!

رغد لم تظهر حتى الآن ... حقيقة هي أنني أنظر ناحية الباب بين الفينة وأختها و أرتقب طلوعها  
...

كم اشتقت إليها ... ! هكذا بدون أي تكلف و ادعاء ، أنا اشتقت إليها!

مرت الساعات و لم تظهر فتملكني الضيق و الانزعاج ... و لولا الحياء و الحرج لذهبت بنفسي إليها  
... أهي غاضبة مني لهذا الحد حقا؟؟

و الشخص الذي ذهب إليها كان بطبيعة الحال شقيقي...

و بعد أن ذهب لم يعد ...

على الأريكة الضيقة رميت بجسدي فغرقت في أعماقها ... في غرفة الضيافة.

و للعجب نمت بسرعة لم أتوقعها ! و حين نهضت وجدت جسدي غارقا في العرق!

ساعات الصباح انقضت و الصغيرة لم تظهر ، أكاد أجن ... لم تأت لتحيتي و لو بشكل عابر؟؟

على مائدة الغذاء انتظرت حضورها فلما لم أجدها سألت:

"أين رغد؟؟ ألن تشاركنا؟؟"



دانة بدأت بالضحك ، قم قالت:

"إنها ثقلي البطاطا ، فأطابقنا اليوم لم تعجبها و ستأكل البطاطا المقلية كالعادة" !

نظرت نحو أمي و قلت:

"أرجو ألا أكون السبب في" ...

أمي هزّت رأسها نفيا و قالت:

"لا أبدا بني ! إنها لا تحب السمك كما تعلم كما و أنها كثيرا ما تتغيب عن المائدة خصوصا في الفترة الأخيرة" !

قالت دانة بحدّة:

"تتدلّل" !

قال أبي:

"دعوها تفعل ما تشاء"

قال سامر:

"سأستدعيها"

وقفت أنا و قلت:

"أنا سأستدعيها"

و تحركت فورا لأسبق سامر ...

حين وصلت إلى المطبخ وجدت الباب شبه مغلق . طرقته و قلت:

"أيمكنني الدخول؟؟"

سمعت صوت رغد يرد علي...

"من أنت ! ؟"

عجبا ! من أنا؟؟ من عساي أكون !؟ بالطبع وليد ! قلت:

"وليد" !

قالت:

"وليد ؟ لا" !

ثم إذا بي أرى الباب يغلق بدفعة قوية!

تراجعتُ للخلف خطوة و بقيت محدقا في الباب ...

هل تقصد أنها لا ترتدي الحجاب ؟

قلت:

"هل أذهب؟؟"

قالت:

"ماذا تريد؟"

"فقط ... أن ألقى التحية و ... أسأل عن الأحوال"

"بخير و شكرا و اذهب"

شعرت بالحرج من ردها هذا ، فقلت معذرا:

"سأذهب ، أنا آسف"

و استدرت منصرفا ...

فجأة سمعت الباب ينفتح من خلفي ، فالتفت إلى الورااء...

هناك عند الفتحة ، رأيت عيني رغد تطلان علي!

ظهرت رغد واقفة أمامي ... بحجمها الصغير و وجهها الطفولي و حجابها الطويل الذي يكاد يصل إلى ركبتها!

لدى رؤيتي لها بعد كل تلك المدة من الغياب شعرت بأن قلبي قد تخذّر و أعصابي قد تبلّدت ... و عضلاتي استرخت لبرهة كادت تفقدني توازني.

قلت بصوت خفيف و بابتسامة تفجرت على وجهي رغما عني:

"كيف حالك صغيرتي؟؟"

صغيرتي كانت تنظر إلي بنظرات ملؤها الغضب و الانزعاج ... كأنني أقرأ في وجهها كلمات اللوم و التأنيب و التوبيخ ... و الشتم أيضا!

قلت:

"أنا آسف" !

رغد أشاحت بوجهها عني ، و استدارت و دخلت المطبخ ، تاركة الباب مفتوحا.

توجهت رغد نحو الموقد ، تحرك أصابع البطاطا في المقلاة ...

تجرات و خطوات خطوة للداخل ، و خطوة أخرى فأخرى حتى صرت على مقربة من الوعاء الذي أعدته لوضع البطاطا المقلية فيه...

هاهي الآن تضع أول دفعة من البطاطا فيه ... دون أن تلتفت إلي...

قلت:

"تبدو شهية" !

لم تعلق!

قلت:

"أسمحين لي بتذوقها؟؟"

قالت:

"تفضل"

طبعا دون أن تلتفت إلي ...

ولأنني كنت مخدّر الإحساس فأنا لم أشعر بحرارة البطاطا المقلية لا بين أصابعي و لا في فمي!

بل حتى طعمها لم أشعر به ، إلا أنني قلت:

"لذيذة" !

قالت:

"خذها إن شئت"

"شكرا ، سأتناول الغذاء الآن"

بقيت صامتة و هي تخرج دفعات البطاطا واحدة بعد الأخرى حتى انتهت ...

ثم رفعت الطبق و وضعته على المائدة و سحبت الكرسي استعدادا للجلوس...

قلت:

"ألن تأتي معنا؟؟"

قالت:

"لن آكل من أطباقكم"

قلت:

"تعالى بطبقك"

"لا داعي"

و جلست على الكرسي ، و انتظرت مغادرتي!

و عوضا عن الانصراف اقتربتُ من الطاولة قليلا و قلت:

"صغيرتي ... هل أنتِ غاضبة مني؟؟"

لم تجب...

قلت :

"أنا آسف ... سامحيني"

رغد الآن رفعت بصرها إلى و قالت بحنق:

"أطلب السماح ممن استهنت بعظمته لخداعي ... يا كذاب"

كأنها خنجر مسموم طعنت كلماتها صدري بعنف ...

لم يكن أمامي إلا الانسحاب مخذولا...

عدت وحيدا إلى من كانوا ينتظرون عودتي برغد ... و حين رأيت أعينهم جميعا تحديق بي بتساؤل ،  
قلت:

"لا تود الحضور" ...

و جلست على مقعدي و بدأنا تناول وجبتنا ...

لم يكن مضغ الطعام و بلعه من السهولة بمكان ... لقد اشتد علي الألم، لا أدري أ بسبب الطعام الغير  
مهضوم ، أم بسبب الخناجر التي طعنت أحشائي؟؟

ربما لاحظت والدتي شيئا فقد كانت تعلق:

"كل يا وليد ! ما بك لا تأكل؟؟"

من حين لآخر ...

هل يطيب لي الطعام و صغيرتي متخذة مني هذا الموقف؟؟

في وقت لاحق ، اجتمعنا كلنا في غرفة المعيشة ، عدا رغد ...

والدي طلب من دانة استدعائها فهو يود قضاء الوقت معنا جميعا قبل السفر ... ذهبت دانة ثم عادت تقول:

"لا تريد الحضور ! و عندما قلت لها أنها تتصرف كالأطفال صرخت في وجهي ثم بدأت بالبكاء !  
أوه خذاها معكما و خلصاني من سخافتها يا والدي "

جميعنا تبادلنا النظرات ...

والدي قال:

"دانة ... تحاشي الاصطدام بها يا بنيتي ، دعيها تفعل ما تشاء"

دانة قالت:

"كالعادة يا أبي ستقول لي ذلك ، حسنا، أنا لا شأن لي بهذه الطفلة الكبيرة ... أترك الأمر لوليد  
بالكامل حتى لا يتهمني أحد بأنني متعجرفة معها"

همّ سامر بالنهوض إلا أن أمي استوقفته و قامت هي ، و ذهبت إلى رغد...

قال أبي موجهها كلامه لي:

"اعتني بشقيقتيك جيدا يا بني ، دانة لن تتعبك في شيء ، فهي معتمدة على نفسها في تصريف  
أمورها ، لكن رغد ... معتمدة علينا كثيرا ... و طلباتها لا تنتهي "

قالت دانة معقبة:

"هذا لأنك تدللها كثيرا يا أبي ! كما الأطفال تماما !"

والدي قال:

"دانة إياك و تعمّد مضايقتها ... رجاء"

سامر قال:

"إياك" !

دانة نقلت بصرها بين الاثنين ثم قالت:

"لا تخشيا على مدلتكما الصغيرة" !

و التفتت نحوي و قالت:

"ألقي عليك المسؤولية كاملة" !

أنا وجدت الثلاثة يحملقون بي بمختلف التعبيرات المتقلبة على أوجههم...

قلت بتردد:

"لا تقلقوا ... سيسير كل شيء على ما يرام" ...

بينما أنا في الداخل شديد القلق ...

~ ~ ~ ~ ~

أنا مستاءة بشكل لا يمكنكم تصوّره!



سأتزوج بعد ثلاثة أسابيع من سامر ، فيما يقف وليد إلى جانبي ليعتني بي أثناء ابتعاد أمي عني...

ثلاثة أمور جعلتني في غاية التوتر خصوصا هذا اليوم ، و آخر شيء كنت لأتقبله هو كلمات السخرية من دانة التي ترددها منتقدة إياي...

لم أحتمل كل ذلك و بدأت بالبكاء بشكل غريب!

هم يجلسون الآن معا يودعون بعضهم البعض و أنا قابضة هنا أبلل المناديل بالدموع المالحة المتدفقة بغزارة ...

أريد أن أبقى مع والديّ قبل رحيلهما !

ليت وليد يختفي !

ليتنني أنا من يختفي!

ليتكم أنتم أيضا تختفون!

سمعت صوت والدتي تناديني ، من خلف الباب المغلق...

"نعم أمي"

والدتي فتحت الباب و دخلت قبل أن تدع لي الفرصة لمسح دموعي ، و التي و إن مسحتها لا أسهل عليها من أن ترى آثارها مطبوعة على وجهي...

أمي نظرت إلى بقلق و حيرة و قالت:

"و بعد ؟؟ ما نهاية حكايتك هذه ؟؟ ما بك يا رغد أخبريني ؟؟"

"لا شيء أمي"

"إذن ... لم تحبسين نفسك في غرفتك و تسبحين في بركة الدموع هذه؟؟"

قلت بانفعال:

"لا شيء أمي لا شيء ... لا شيء ... لا شيء" ...

و انخرطت في البكاء باستسلام...

لم أقاوم أو أوارى أي دمعة تحدثني بالظهور ... بكيت بحرقة ... لم أعهدا من قبل ... لم أكن أشعر  
بمثل هذه الأشياء تتحرك في صدري قبل الآن ... لكنني أشعر الآن بصرخة كبيرة تود الانطلاق رغما  
عني ... إنني منهارة و أريد من يواسيني...  
من يسندني ... من يساعدني ... من ينقذني مما أنا مقبلة عليه...

من ؟

من؟؟

أمي أقبلت نحوي ، و مسحت بيدها الحنونة على رأسي و ربتت على كتفي بلطف

قالت:

"بنيتي ... أخبريني ما بك ... إنني قلقة عليك و لا أريد السفر قبل أن أطمئن ... ما بك؟؟ مم أنت  
مستاءة؟"

أنظر إلى أمي ، فأرى في عينيها عالما كبيرا محيرا ... أرى فيها أكواما من القلق و الخوف ... و  
الخشية و الاضطراب ...

ليتك يا أمي تدخلين إلى أعماقي و ترين بنفسك ...

أترين يا أمي؟؟

إنني لا أريد أن تسافري و تتركيني...

أيقظك ذلك؟؟

إنني لا أريد الزواج من سامر...

أيفجعك ذلك؟؟

إنني أريد أن استعيد وليد ...

أيزهك ذلك؟؟

إنني أريد أن تعود أُمي للحياة...

أيقظك ذلك؟؟

إنني أموت ببطء يا والدتي...

أيرضيك ذلك؟؟

أموت و أنا لم أحيَ بعد...

لم أولد بعد!

أترين كل ذلك يا أُمي؟؟

"لا شيء أُمي ... لا شيء" ...

برقت دموع في عيني والدتي لتأثرها بحالتي هذه ، و الدموع في عين أُمي هي شيء لا أحتمله مطلقا...

مطلقا

مسحت دموعي بسرعة و قلت:

"أمي ... لا شيء صدقيني ، أنا فقط متأثرة لسفركما ، فهي أول مرة في حياتي تبتعدان فيها عني  
... لا أتصور حياتي بدونكما"

والدتي ضمتني إلى صدرها و قالت:

"ستعيشين حياتك بسعادة و راحة مرضية ... لا تقلقي ... فأبني سيعتني بك جيدا كما نفعل نحن  
... الله قسم هكذا"

رفعت رأسي و نظرت إليها بشيء من الحيرة ... فكلماتها بدت غامضة ، فقالت هي:

"و الآن عزيزتي ... أئن تأتي لمجالسة والدك ؟ إن هي إلا فترة قصيرة ثم نسافر" !

أجبت بإذعان:

"بلى"

و استدركت:

"وليد معكم؟؟"

قالت:

"بالتأكيد" ...

طبعا هو معهم ! أين يمكن أن يكون؟؟

أخذت حجابي و سرت نحو المرأة لارتدائه ، و هالني منظر عيني الحمراءوين و جفوني المتورمة!

تركزت الحجاب جانبا و مضيت لأغسل وجهي...

عندما خرجت من دورة المياه وجدت أمي تنتظرني ...

قالت:

" هيا عزيزتي " ...

ارتديت حجابي على عجل و أقبلت نحوها...

قالت:

" سيسير كل شيء على ما يرام ، و إن احتجت شيئا لا تترددي في طلبه من دانة أو وليد أو سامر ...  
سنبقى على اتصال دائم "

بعدها ذهبنا إلى غرفة المعيشة...

كانوا جميعهم مندمجين في الأحاديث المختلفة ، و ما أن رأونا حتى قال سامر:

"تعالى رعد ! كنا نوصي الكبير و العروس بك خيرا " !

والدي قال موجها حديثه إلي و هو يبتسم بابتهاج:

"أهلا بالعزيزة المدللة ! تعالى و اجلسى قرب أبيك ليرتوي منك قبل السفر"

سرتُ كالألة نحو المقعد الذي يجلس عليه أبي و جلست إلى جواره ، ففتح ذراعه و أحاطني بها...

قال:

" ما بك صغيرتي ؟ على الوجبات لست معنا ، و في الجلسات لا تشركينا ! ألن تشتاقي لشيبتي هذه

"؟؟"

سامر ضحك ، و دانة نظرت إلى السقف باستنكار ... و أمي ابتسمت ، أما الكائن الأخير فلم ألتفت نحوه لأعرف ما فعل !

قلت:

"بلى ... كثيرا جدا ! خذاني معكما" !

قال سامر مداعبا:

"و أنا أيضا" !

قالت دانة:

"ماذا عنِّي ؟؟"

قلت:

"نتركك مع المغرور" !

ضحك من ضحك ، أما صوت وليد - و الذي كان خفيفا و مع هذا تمكنت مجسات أذني من التقاطه - فجاء في الكلمتين التاليتين:

"تقصدينني أنا ؟؟"

و أجبرني سؤاله على الالتفات إليه...

لقد كان ينظر إلي بغرابة...

لم أرد عليه ، بل التفت إلى أبي

و دانة تولت الإيضاح بنفسها إذ قالت:

"بل تقصد خطيبي ... فهي لا تطيقه و تنعته بالمغرور دوما "

الآن أنا التفتت إلى دانة و قلت بصوت حاد:

"على الأقل ... خير من الكذابين "

بعض الصمت خيم علينا لبعض الوقت ...

و بعض الندم شعرتُ به لبعض الوقت !

قال أبي:

"و من الكذابون بعد يا ترى؟؟"

قلت:

"بعض معارفي يا أبي ! لا يطاقون " ... !

و الآن تكلم وليد و قال:

"المغرورون ، و الكذابون ، و الخونة كذلك ... كلهم لا يطاقون " !

التفتت إلى وليد و قلت:

"من تقصد؟؟"

قال:

"بعض معارفي يا ابنة عمي ... لا يطاقون " !

بدا كل هذا سخف ! أليس كذلك؟؟

قال سامر:

"دعونا من هذا ... و لنعد إلى موضوعنا .. لدينا عروسان ، بالتالي موكبا زفاف ... أبي و وليد ، من سيقود موكب من؟؟ دعونا نحدد الآن"

قلت أنا بسرعة:

"أنا أريد أبي"

التفت سامر نحو دانة و قال:

"إذن أنت مع وليد"

دانة نظرت إلى وليد و قالت:

"إذن يجب أن تستأجر سيارة فخمة من أجلي ! أفخم من سيارة سامر" !

والدتي ضحكت و قالت:

"يا لتفكيركن العجيب يا فتيات هذا الزمن" !

قالت دانة:

"لن أقبل بسيارة قديمة كهذه" !

و وجهت كلامها إلى وليد قائلة:

"لم لا تستبدل سيارتك يا وليد؟؟ لقد عثى عليها الدهر" !



قال وليد:

"سأفعل ... عندما تتحسن الأحوال" !

الأحوال بالتأكيد يقصد بها الأحوال المادية!

و لكن هل ابن عمي هذا ضئيل المال؟؟ ألم يذهب للدراسة في الخارج؟ لا بد أن لديه شهادة عظيمة  
تمكنه من احتلال وظيفة مرموقة... ذات دخل محترم!  
مثل سامر!

لا أدري ما كان يقصد بتحسين الأحوال هذه!

وليد قال:

"أ لديك دراسة هذه الفترة؟"

طبعاً كان يقصدني ! لكنني تظاهرت بأنني لم أنتبه!

لذا قال والدي:

"نعم لمدة خمسة أيام قبل إجازة العيد ... ، ستأخذها للجامعة خلال هذه الأيام"

قال وليد:

"حسناً ، أهنك أي تغيير في مواعيدك؟؟"

الكل ينظر إلي بانتظار جوابي!

قلت بنفور:

"لا ، و لكنني أفكر في عدم الذهاب هذه الأيام"

قال وليد:

"لم؟؟"

قلت باستياء:

"ليس من شأنك"

بعض الصمت سكن الغرفة تلاه صوت أبي:

"لم لا تودين الذهاب رغد؟؟"

قلت:

"لا أريد ترك دانة وحيدة معظم النهار"

دانة نظرت إلي بتشكك و قالت:

"لا تكثرني بشأني ! سأقضي الوقت في إعداد الطعام و العناية بالمنزل " !

ثم أضافت بجرأة:

"و التنزه مع نوار " !

قالت أمي:

"على ذكر الطعام ... ماذا عن كعكتك يا دانة؟؟"

قامت دانة و قالت:

"آه نعم ... سأحضرها لكم الآن" ...

و ذهبت إلى المطبخ ، فقامت أنا و لحقت بها...

~ ~ ~ ~ ~ ~ ~ ~

عادت دانة و رغد بعد قليل تحملان الكعكة و كؤوس العصير ... و قامتتا بتوزيعها علينا جميعا...

الذي آلمني هو أنها - أي صغيرتي رغد - كانت تعاملني بنفور شديد ... حتى أنها حين جاء دوري لأخذ كأس عصيري لم تدع لي المجال لأخذه ، بل أمسكت هي به و وضعته على المنضدة المائلة أمامي بسرعة كادت تدلق محتوياته فوقها!

كانت الكعكة لذيذة جدا ... قلت:

"ما أألها ! سلمت يدك يا دانة ! أنت ماهرة"

قالت دانة بزهو:

"شكرا يا أخي ، سترى ! سأديك أصنافا لذيذة من الحلويات فأنا ماهرة في إعدادها" !

قلت:

"عظيم ! فأنا أحب الحلويات" !

و التفتت نحو رغد و قلت:

"و أنت؟؟"

رغد رفعت بصرها عن قطعة الكعك التي بين يديها ببطء ، و نظرت إلي بنفاذ صبر و قالت:

"أنا لا أحب الحلويات"

قلت:

"أقصد ماذا ستذيقيننا من صنع يدك؟؟"

لم يبد على رغد أنها تريد تبادل الأحاديث معي ... قالت بضجر:

"لا شيء" ...

قالت دانة:

"إنها كسولة ! لا تحب الطهو و لا تجيده ! لا أعرف كيف ستتولى مسؤولية بيتها المستقبلي !

مسكين سامر" !

ضحك سامر و قال:

"سأعود لأمي كلما قرصني الجوع" !

و أخذ الجميع يضحكون عدانا أنا و هي...

قالت دانة و هي تضحك:

"أو صبر معدتك بالبطاطا المقلية المقرمشة" !

و استمروا في الضحك بمرح...

رغد وقفت الآن بغضب و قالت:

"أنتم تسخرون مني"

الجميع توقف عن الضحك ، و نظروا إليها باهتمام ... كانت منفعلة...

قال سامر:

"لا عزيزتي نحن نمزح فقط" !

قالت:

"بل تسخرون مني"

و توجهت وجهها بما يوحي بدموع على وشك الانهيار...

وقفت أنا و قلت:

"معذرة ... صغيرتي"

التفتت رغد نحوي بعصبية و قالت بحدة:

"أنت أسكت ... آخر من يُسمح له بالكلام"

صعقت بهذا الرد الجارح و علاني الصمت العميق...

الجو صار مشحونا بتيارات متعارضة متضاربة ، و النظرات أخذت تصطدم ببعضها محدثا فرقة!

و الآن؟؟

خرجت رغد مسرعة من الغرفة في غضب و استياء...

بقينا بعد خروجها بعض الوقت صامتين منصتين لفرقة نظراتنا الحائرة!

وقف سامر هاما باللاحاق بها ، ألا أن أمي طلبت منه أن يلتزم مكانه...

"دعوها فهي اليوم في مزاج شديد التعكر"

قالت هذا أمي ، فعقبت دانة:

"اليوم فقط؟؟ بل كل يوم ! لا أدري ما ذا جرى لهذه الفتاة مؤخرا "

كنت أنا لا أزال واقفا أنظر ناحية الباب...

قالت أمي:

"اجلس بني "

فجلست على طرف المعقد مشدود العضلات ... على أهبة النهوض!

تنهد أبي و قال أبي:

"أمرها يقلقني "

قالت أمي:

"و أنا كذلك ، لست مطمئنة للسفر و تركها "

قالت دانة:

"خذاها معكما ! أنا لا أطيق تصرفاتها هذه "

أبي التفنت إلي و قال:

"أحرص في التعامل معها ... كن حليماً" ...

قالت دانة:

"إنها لا تزال غاضبة منك ! كان الله في عونك على مراسها هذا" !

بعد قليل آن أوان مغادرة والدي و سامر ، الذي سينقلهما إلى المطار ثم يذهب إلى شقته في المدينة الأخرى...

أخذت أحمل الحقائب و أنقلها إلى سيارة أخي ، و عندما انتهيت من وضع الحقيبة الأخيرة و دخلت المنزل وجدت والدتي تقف عند الباب الداخلي...

قالت:

"أعطاك الله العافية يا بني"

"عافاك الله أماه"

هممت بالدخول إلا أن أمي أمسكت بذراعي و استوقففتني...

"وليد"

نظرت إليها بحيرة ... قلت:

"نعم أمي؟؟"

أمي تحدثت بصوت منخفض ، و بنبرة جدية ... و تعبيرات قلقة ، قالت:

"انتبه لرغد جيداً يا بني"

تعجبت ! قلت:

"بالطبع أمي" !

أمي بدا المزيد من القلق جليا على وجهها و قالت:

"كنا سنؤجل حجنا للعام التالي لكن ... كتبه الله لنا هذا العام ... هكذا قضت الظروف يا بني"

و هذا زادني حيرة !

قالت:

"لو أن الظروف سارت على غير ذلك ... لكانت الأوضاع مختلفة الآن ... لكنه قضاء الله يا ولدي ...  
سأدعوه في بيته العظيم بأن يعوّضك خيرا مما فاتك ...  
فلنحمده على ما قسم و أعطى"

قلت:

"ال ... حمد لله على كل شيء ... أمي أنتِ تلمحين لشيء معين؟؟"

قالت:

"لم تتغير هي عمّا تركتها عليه قبل سنين ... كما لم تتغير أنت "

ثم أضافت:

"إلا أن الظروف هي التي تغيرت ... و أصبح لكل منكما طريقه "

توهج وجهي منفلا مع كلمات أمي و الحقيقة الصارخة أمامي ...

لم أستطع البنس ببنت شفة أمام نظرات أمي التي كشفت بواطن نفسي ...



قالت:

"اعتن بها كما يعنني أي شقيق بشقيقته ... كما تعنني بدانة ، و ادع معي الله أن يسعدهم هم  
الثلاثة ، و أنت معهم"

في هذه اللحظة فتح الباب و ظهر بقية أفراد عائلتي بما فيهم رغد ، و خرجوا واحدا تلو الآخر ... و  
اجتمعنا قرب بعضنا البعض في وداع مؤلم جدا...

بالنسبة لي ، فقد اعتدت فراق أحبتي و جمدت عيناى عن أي دموع

أما البقية فقد كانت الدموع تغرق مشاعرهم...

كلمات أمي...

و كلمات أبي كذلك

و توصيتهما الشديدة على الفتاتين

و خصوصا رغد ، جعلتني أشعر بالخوف ...

فهل أنا أهل لتحمل مسؤولية هذا البيت و من به في حين غياب والدي؟؟

و هل هي مسؤولية خطيرة تقتضي منهما كل هذه التوصيات و التنبيهات؟؟

خرج الثلاثة ، فعدنا نحن الثلاثة إلى الداخل ... و قضيت وقتا لا بأس أراقب دموع الفتاتين...

كنا نجلس في غرفة المعيشة ... و الحزن يخيم على الأجواء فشعرت بالضيق

قمت بتشغيل التلفاز فرأيت مشهدا مريعا لآثار قصف تعرضت له إحدى المدن هذا اليوم ... فزاد ذلك ضيقي...

كم كنت مرتاحا هائئا في مزرعة نديم !

ليتنني أعود إلى هناك!

قلت - في محاولة لتغيير الأجواء و طرد الكآبة -

" ما رأيكما بالذهاب في نزهة بالسيارة؟؟ "

دانة تفهمت و قدّرت الأمر ، فقالت:

" نعم يا ليت ! هيا بنا "

نظرت إلى رغد أنتظر جوابها ، لكنها ظلت صامتة...

قلت:

" ما رأيك ؟ "

قالت بصوت حاد و نبرة جافة مزعجة:

" لا أريد الذهاب لأي مكان "

دانة قالت:

" إذن سنذهب و أنت ابقني هنا "

رغد بسرعة التفتت إلى دانة و قالت:

"تتركاني وحدي؟؟"

قالت دانة:

"ما نضع معك؟؟ أنا بحاجة لبعض الهواء المنعش ... أما أن تأتي معنا أو ابقني مخنوقة وحدك"

وقفت رغد منفعة و قالت:

"كان عليّ أن أذهب معهما ... كم كنت غبية ... ليتني ألحق بهما الآن"

وقفت أنا و حاولت تهدئة الوضع فقلت:

"لا بأس ... سنؤجل نزهتنا لوقت لاحق ... لا تنزعجي هكذا صغيرتي"

رغد التفتت نحوي بعصبية و قالت صارخة:

"لا شأن لك أنت بي ... مفهوم؟؟ لا تظن أنك أصبحت مسؤولا عني ... لا تزعج نفسك في تمثيل دور المعتني فهذا لم يعد يناسبك ... يا كذاب"

اللهم استعنا بك على الشقاء!

ذهبت الصغيرة الغاضبة إلى غرفتها ... و بقيت مع دانة التي بدت مستاءة جدا من تصرف رغد ... اقترحت عليها بعد ذلك الجلوس في الفناء الخارجي فرحبت بالفكرة

خرجنا معا و جلسنا على المقاعد القريبة من الشجرة ... و بدأنا نتحدث عن أمور شتى...

أخبرت دانة عن مزرعة صديق لي قمت بزيارتها مؤخرا و أعجبتني ... و عن متفرقات من حياتي ... ألا أنني لم أشر إلى السجن ، و لا ما يتعلق به...

شقيقتي بدت متلهفة لمعرفة كل شيء عني ! و كأنها اكتشفت فجأة أن لديها شقيق يستحق الاهتمام و  
الفخر !

اعتقد أنها كانت تنظر إلي بإعجاب و فخر بالفعل !

بعد مدة حضرت رغد...

كانت عيناها حمراوين...

قالت:

" دانة ، مكالمة لك "

أجابت دانة:

" من؟؟ "

قالت رغد:

" من غيره ؟ خطيبك المبجل "

دانة نهضت بسرور و استأذنت للدخول ...

و لحقت بها رغد بعد ثوان ، و بقيت وحيدا إلى أن سمعتُ الآذان يرفع...

دخلتُ بعدها و استعددت للخروج لتأدية الصلاة في المسجد المجاور . كانت دانة في غرفتها أما رغد  
فأظنها في غرفة المعيشة!

خرجت إلى الفناء و فيما أنا أعبره نحو البوابة الخارجية سمعت صوت نافذة يفتح و نداء باسمي

" وليد "

التفت نحو الصوت فإذا بها رغد تطل من النافذة المشرفة على الفناء و تقول:

"إلى أين تذهب؟؟"

قلت:

"إلى المسجد"

قالت:

"ستتركنا وحدنا؟؟"

حرت في أمري!

قلت:

"هل هناك مشكلة؟؟ سأصلي و أعود فورا ... تعالي و أوصدي البابين" ...

وافتني بعد قليل و وقفت عند البوابة و بيدها المفتاح .

قالت:

"لا تتأخر"

قلت:

"حسنا"

و عندما عدت بعد أداء الصلاة كانت هي من فتح الباب لي...

قدّمت لي مفتاحين و قالت:

" هذا لبوابة السور و هذا للباب الداخلي ، احتفظ بهما "

" شكرا لك "

تولت رغد قاصدة دخول المنزل فناديتها

" رغد "

التفتت إلي ، و قالت بنفس ضائقة:

" نعم؟؟ "

قلت:

" أما زلتِ غاضبة مني؟؟ كيف لي أن أكسب عفوك؟؟ "

قالت:

" لا يفرق الأمر معي شيئا "

و همّت بالانصراف ، قلت:

" لكنه يفرق معي كثيرا "

توقفت و قالت:

" حقا؟؟ "

" نعم بالتأكيد ... "

" هذا شأنك ... لا دخل لي به "

و انصرفت...

الواضح أنني سألاقي وقتا عصيبا ... كان الله في عونني...

بعد ساعات ، أعدت دانة مائدة العشاء و لم تشاركنا رغد فيه ... لقد مضت الليلة الأولى من ليالي  
توليّ مسؤولية هذا المنزل على هذه الحال..

في الصباح التالي كنت أجلس مع دانة في المطبخ ، و رغد على ما يبدو لا تزال نائمة...

قلت:

"أخبريني دانة ... كيف أقدم المساعدة؟؟ فأنا أجهل الأمور المنزلية!"

ضحكت دانة و قالت:

"لا تهتم ! أنا أستطيع تولي الأمور وحدي!"

"أرغب في المساعدة فأنا بلا شاغل ! أخبريني فقط بما علي فعله!"

و باشرت المساعدة في أعمال المنزل!

ليس الأمر سيئا كما قد يظنه البعض ، كما أنه ليس من تخصص النساء فقط!

كنت أرتب الأواني في أرففها الخاصة حين دخلت رغد إلى المطبخ...

كانت دانة آنذاك تفتش في محتويات الثلاجة...

قالت رغد:

"صباح الخير"

التفتنا لها ورددنا التحية . الحمد لله ، تبدو أكثر هدوءاً هذا الصباح!

قالت دانة:

"تناولنا فطورنا قبلك" !

قالت رغد:

"غير مهم"

قالت دانة و هي لا تزال تقلب بصرها في محتويات الثلاجة:

"إنني حائرة ما أطهو للغذاء اليوم !؟ ماذا تودان؟؟"

و نظرت باتجاهي ، فقلت:

"أي شيء ! كما يحلو لك"

ثم نظرت باتجاه رغد و سألتها:

"ما ذا تقترحين؟؟"

قالت رغد:

"لا شيء"

"لا شيء؟؟"

"لا عملي لي حساباً فأنا حين أرغب بشيء سأصنعه بنفسني"



قالت دانة بعد تنهد:

"أما زلتِ علي ذلك ! أفٍ منك " !

رغد انسحبت فورا من المطبخ...

وضعت أنا الأواني في أماكنها و قلت لدانة:

"دانة ... لا تكوني فظة معها" !

"أنا يا وليد؟؟ ألا ترى كيف ترد علي بنفس مسمتزة؟؟"

"لكن .. أرجوك لا تعاملها بخشونة .. لحين عودة والدي" ..

"لا تقلق . لن أتعمد إزعاجها .. تصرف أنت معها "

مضت ساعات و الفتاة حبيسة غرفتها ... الأمر ضايقني كثيرا ... و قبل ذهابي لتأدية صلاة الظهر في المسجد طلبت من دانة أن تذهب لتفقدتها ، و عندما عادت سألتها عنها فقالت:

"لم تفتح لي الباب ! عنيدة" !

الأمر زاد من قلقي و خوفي ... و بعدما عدت ، سألتها عنها فكررت الإجابة ذاتها...

"حسنا ... سوف ... سوف أحاول التحدث معها ... أيمكنني ذلك؟؟"

"حاول وليد !علك تحرز نجاحا" !

ذهبت بعد تردد ، و طرقت باب غرفتها...

"هذا أنا وليد"

لم ترد علي ... شعرت بخوف ... فعدت أطرق الباب طرقا أقوى و أنادي:

"رغد ... صغيرتي هل أنت بخير؟؟"

ولما لم تجب أصابني الجنون ... ماذا لو أن مكروها قد حل بها و نحن لا نعلم؟؟

طرقته الآن بقوة و عصبية...

"رغد افتحي الباب أرجوك" ...

كدت أفقد السيطرة على نفسي لو لم ينفتح الباب في اللحظة الأخيرة!

ظهرت رغد ... و راعني المظهر الذي كانت عليه...

كيف لي أن أتحمل رؤية ذلك؟؟

صغيرتي أنا ... مدلتني الغالية ... تتبعثر دموعها الغالية سدى لتشربها المناديل ... و ينتهي مصيرها

إلى سلة المهملات؟؟

"ماذا تريد؟"

قالت بصوت حزين مخنوق ... التف حول عنقي أنا و خنقني حتى الموت...

قلت:

"ما بك صغيرتي؟؟"

قالت و تعبيرات وجهها تزداد حزنا و كآبة:

"ماذا تريد قل لي؟؟"

قلت:

"صغيرتي ... أريد أن تتوقفي عن البكاء و الحزن أرجوك ... أنا قلق عليك"

قالت:

"قلق علي؟"

"نعم يا رغد" ...

"و لم ؟ هل يهملك أمري؟؟"

"و هل هذا سؤال ؟ طبعاً يهمني ! لم أنا هنا الآن؟؟"

"لأن والدي طلب منك ذلك ، و وجدت نفسك مضطراً للحضور . لم تكن لتحضر لأجل أحد ...  
خصوصاً فتاة غبية تصدق قسم الكذابين و تُستغفل بعلبة بوزا يشتريه لها رجل مثلك ليلهيها بها قبل  
الرحيل"

صعقت لسماعي كلماتها ...

قفزت الدموع من عينيها قفزا و قالت و هي آخذة في البكاء بانفعال :

"تسخر مني؟؟ أتظنني تلك الطفلة اليتيمة الوحيدة التي تخلت عنها قبل سنين و هي في أحوج  
الأوقات إليك؟؟"

"رغد"

"أسكت" ! ...

صمت ، و أنا في قلبي صرخة لو أطلقتها لحطمت زجاج المنزل...

"لا تدعي القلق علي يا كذاب ... لا أريدك أن تعتني بي ... فلدي خطيب يهتم لأمرى و يحرص علي ... أفضل منك .... أليس هذا هو كلامك ؟ يا ابن عمي الكذاب ؟؟"

لا إراديا رفعت يدي و ضربت الباب بقوة و انفعال من فرط الغضب ...

عندها ، توقفت رغد عن الكلام و عن البكاء أيضا ... و نظرت إلي بفزع...

كانت النار تتأجج في صدري و لو لم أمسك أعصابي ، لكنت أحرقت المنزل بمن فيه

قلت بعصبية لم أملك إخفاءها:

"لا تتحدثي معي بهذه الطريقة ثانية يا رغد ... فهمت ؟؟"

رغد كانت تبدو مذعورة و تنظر إلي بدهشة...

قلت:

"إنك لا تعرفين شيئا ... لا تقلبي عليّ المواجه و دعي هذه الأيام تمر بسلام ... أسمعيني ؟؟"

و أوليتها ظهري و انصرفت عنها...

جلست في الردهة ... و جلست معي و تحديدا في رأسي كلمات رغد الأخيرة...

(لدي خطيب يهتم لأمرى و يحرص علي أفضل منك)

تبا لك يا سامر!

بعد نصف ساعة رأيت رغد تعبر الردهة ... في طريقها إلى المطبخ...

ألقت عليّ نظرة غريبة ، ثم تابعت سيرها...

لحقت بها أنا بعد قليل ، فرأيتها تقشر البطاطا و تقطعها ... كانت دانة قد انتهت من إعداد المائدة

...

قالت:

"الغذاء جاهز ... تفضل وليد"

رافقت دانة و أنا أسير ببطء و تردد ... إلى غرفة المائدة حيث الوجبة اللذيذة التي أعدتها...

"قل لي ما رأيك؟؟"

"أنت ماهرة يا دانة ! محظوظ هو نوار !"

ابتسمت بخجل و قالت:

"شكرا لك" ...

ثم قالت:

"على فكرة دعاني للعشاء في مطعم هذه الليلة !"

"جميل !"

ثم استدركت و قلت:

"ماذا قلت؟؟ للعشاء في مطعم؟؟"

"نعم"

"و ... نحن؟؟"

قالت:

"هل تودان مرافقتنا؟؟"

ابتسمت و قلت:

"لا ، لا أقصد .. لكن .."

"آه فهمت ! لا تقلق ! سأعد لكما طعاما قبل انصرافي !"

"أوه لم أقصد هذا دانة ! إن ذهبت ستبقى رغد وحدها !"

دانه رفعت نظرها نحو السقف لتفكر ، ثم قالت:

"لكن غدا السبت و سوف تنام مبكرة ! أنت من ستظل وحيدا !"

"لا يفرق الأمر معي كثيرا" ...

فلطالما عشت وحيدا ... لا تشاركني أيامي سوى الهموم و الذكريات ...

"فيم شردت أخي؟"

سألتنى دانة حين رأتنى سارحا ... قلت:

"دانة ... اذهبي و استدعي رغد لتجلس معنا"

"لن تفعل ! أعرفها !"

"إذن ... دعينا نذهب نحن إليها !"

و قرنت القول بالعمل!

رفعت الطبق الرئيسي و حملته إلى المطبخ ، و وضعته وسط الطاولة ... بينما رغد تجلس على أحد المقاعد و تأكل أصابع البطاطا من طبق أمامها

حين رأته نظرت إلي بدهشة ، فقلت:

"أنا أيضا أحب البطاطا المقلية ! هل لي بمشاركتك؟؟"

و للمرة الأولى منذ عودتي للمنزل أرى ابتسامة على وجهها - و إن كانت ابتسامة سطحية...

جلست على أحد المقاعد ، فقرّبت هي طبق البطاطا مني و تناولت بعضها...

أقبلت دانة تحمل بقية الأطباق و ترتبها أمامنا واحدا بعد الآخر...

صحيح أن رغد لم تشاركنا طعامنا و لا حتى الحديث إلا أنها على الأقل شاركتنا المائدة ، و التنظيف أيضا !

بعد عدة ساعات حضر نوار و جالسته بعض الوقت قبل أن يخرج هو و دانه للاستمتاع بسهرة خاصة ...

نوار شخص مغرور بالفعل و اتفق مع رغد في حكمها عليه !

بعدها خرجت دانة أدركت أنني أصبحت في البيت منفردا مع رغد!

هي كانت تجلس في غرفتها منذ ساعات ، و أنا أتجول في المنزل بملل لا أجد ما أفعله! ...

رن الهاتف فأسرعت إليه ... لأشغل نفسي به ... كنت انتظر اتصالا من والدي لكن الذي اتصل هو آخر شخص كنت أود سماع صوته ... أخي سامر!

سأل عن أحوالنا و ما إلى ذلك ، ثم طلب مني أن استدعي رغد...

ألکم أن تتصوروا ذلك؟؟

أستدعي رغد لكي يتبادل الأحاديث معها هو ...

رغد لم تكن تملك هاتفها في غرفتها لذلك حين أخبرتها أتت معي و جلست في نفس الغرفة تتحدث معه !

في وضع كهذا ، فإنه لمن اللياقة و الذوق أن أنصرف ... لكنني لم أرغب في الانصراف...  
بل على العكس ... استرقت السمع عمدا لأعرف ما يدور بينهما من أحاديث ...

"ذهبت مع خطيبها و تركتني وحدي ! لكنني كنت أدرس ، و بعد قليل سأوي للنوم ... لا تقلق  
علي عزيزي"

عزيزي؟؟

عزيزي؟؟

لا يمكنني تحمل المزيد ... ألقيت بالصحيفة التي كنت أظهار بقراءتها و نهضت مستاءً و ذهبت إلى  
غرفة سامر ، و زرعتها جيئة و ذهابا حتى صدعت أرضها!

تناولت إحدى السجائر - و التي كنت على وشك الإقلاع عنها - و خرجت من الغرفة ، و من المنزل ،  
إلى الفناء الخارجي رغبة في التدخين ...

إلى أن تنتهي الأيام المتبقية لي في هذا المنزل فإنني بالتأكيد سأتهور و أعود إلى الصفر ...

سمعت الباب يفتح بعد خروجي ببرهة ... و أتت رغد

"إلى أين تذهب؟؟"

التفت إليها و قلت:

"ليس لأي مكان ... سأدخل هنا فقط"



قالت:

"لا تخرج وليد ، أنا وحدي"

وحدك ؟ أليس ( عزيزك ) معك ؟؟ عودي إليه!

"أعرف"

توقعت بعد ذلك أن تعود للداخل لإتمام مكالمتها ، لكنها على العكس من ذلك خرجت ووقفت قرب الباب ... تراقبني!

قالت:

"يجب أن أخلد للنوم الآن ... أغادر عند الساعة و النصف صباحا"

"حسنا . اطمئني ، سأنهض في الوقت المناسب"

صمتت قليلا ، ثم قالت:

"ألن تنام الآن ؟؟"

"لا ! لا يزال الوقت مبكرا بالنسبة لي ، كما و أنني سأنتظر دانة ... اذهبي أنت"

و ظلت واقفة مكانها...

و حين رأت علامات التعجب فوق رأسي قالت:

"ألن تأتي معي ؟؟"

"إلى أين ؟؟"

"إلى الداخل"

"سأبقى هنا لبعض الوقت " !

و لم أر منها أي بادرة تشير إلى أنها تعتزم الدخول !

"ما المشكلة؟؟"

"لا تخرج وليد رجاء"

"لا أنوي الخروج أبدا" ...

"إذن أدخل"

يا لهذه الفتاة ! ألم تعد تصدقني أبدا ؟؟ أم تظن أنني سأرحل و أتركها و دانة هكذا ؟؟

تخلصت من سيجارتي ، و دخلت معها . هي ذهبت للنوم و أنا بقيت أشاهد التلفاز لساعتين ، حتى عادت دانة من سهرتها!

"وليد سأذهب و نوار غدا لشراء بعض حاجيات منزلنا عصرا و قد أغيب حتى الليل"

"و رغد ؟؟ تتركينها وحدها ؟؟"

"لا ! أتركها معك " !

في صباح اليوم التالي نهضت باكرا و استعددت لمرافقة رغد إلى الجامعة ...

كنت في المطبخ و قد أعددت بعض الشاي و جعلت أحتسيه ببطء .. و أراقب عقربي الساعة اللذين يقتربان من الساعة و النصف...

و أخيرا ظهرت رغد!

أهناك أجمل من أن تستقبل صباحك برؤية وجوه من تحب؟؟

قلت:

"صباح الخير ... صغيرتي"

ردت بشيء من الخجل! ...

قلت:

"أأ ... أ نذهب الآن أم .. ترغيبين بتناول الفطور؟؟"

نظرت رغد نحو إبريق الشاي الذي أعدته ، و قالت:

"هل من مزيد؟؟"

قلت متوترا:

"نعم ، أعتقد ، أجل ... تفضلي"

و أنا في خشية من ألا يعجبها طعم الشاي البسيط الذي أعدته !

سكبت لها قليلا منه في أحد الأكواب و رشفت منه قليلا

لم يظهر على وجهها أي استياء

الحمد لله ! فشايي مقبول الطعم !

و بعدها شربت المقدار كاملا ، ثم غادرنا المنزل

الجو كان منعشا جدا و من خلال نوافذ السيارة النصف مفتوحة تتسلل تيارات الهواء الباردة عابثة

بشعري!

رغد كانت تجلس خلفي ملتزمة الصمت ... و رغم برودة الجو ، ألا أن مجرد وجودها في الصورة يكفي  
لجعل الحريق ينشب في داخلي....

في عصر ذلك اليوم و بعدما خرجت دانة مع خطيبها بقينا وحدنا في المنزل ، هي في غرفتها كالعادة ،  
و أنا لا أجد ما أفعله!

شعرت بممل شديد و أجريت عدة مكالمات مع بعض معارفي من أجل تضيئة الوقت ألا أن الساعات  
مرت بطيئة جدا...

لم لا أخرج في نزهة بسيطة ... و آخذها معي؟؟

أتراها ترحب بذلك؟؟

أ أكون مجنوناً إن طلبتُ هذا؟؟

لم لا أجربُ؟!

ذهبت إلى غرفتها و طرقت الباب ، و بعد قليل فتحتة...

"هل أنت مشغولة؟؟"

"أهناك شيء؟؟"

"كنت ... أرغب بالخروج للتنزه لبعض الوقت و شراء بعض الحاجيات"

و بدا على وجهها الاعتراض و قالت بسرعة:

"و تتركني وحدي؟؟"

قلت:

"لا ، لا ... أصطحبك معي ... إن كنت لا تمانعين؟"

ترددت رغد قليلا ثم قالت:

"حسنا و لكن لفترة قصيرة فأنا أريد أن أذاكر"

"نعم ، لساعة لا أكثر"

و خرجنا معا...

حينما مررت قرب إحدى الصيدليات أوقفت سيارتي و هممت بالنزول قائلا:

"سأشتري بعض الأشياء و أعود سريعا"

رغد فتحت الباب مباشرة و هي تقول:

"سأتي معك"

قلت:

"لن أتأخر!"

قالت:

"ليكن ، سأتي معك"

كنت أنوي شراء ما نفذ من أدويتي ، و بعض الأشياء الأخرى ...

تجولت بالسيارة على الشوارع الداخلية للمدينة ... و مررنا بعدة محلات و متاجر...

سألتها بعد ذلك عما إذا كانت ترغب في شراء أي شيء ، أجابت بالنفي ، قلت:

"ولا حتى ... بعض البوضا؟؟"

قالت:

"البوضا ثانية؟؟ لم ؟ هل قررت الرحيل هذه الليلة؟؟"

انزعجت من كلامها فقلت:

"و هل أنا مجنون لأرحل و أترككما وحدكما؟؟"

قالت:

"لا ... لست مجنوناً"

ثم أضافت:

"إنما كذاب"

عند هذه اللحظة قررت إنهاء جولتنا القصيرة ، و عدت إلى البيت.

لم أنطق بكلمة بعد ، و دخلنا المنزل و ذهبت هي مباشرة إلى غرفتها و بقيت أنا في الردهة ، أكثر ضيقاً مما كنت عليه قبل خروجي...

لماذا لا تتوقف عن نعتي بهذا؟؟

ألا تدرك أنها تجرحني؟؟

يجب أن أضع نهاية لهذا الموقف...

فيما بعد ... ذهبت لأسألها عما إذا كانت ترغب في أن نحضر عشاءً من أحد المطاعم ، بما أن دانة

ستتناول عشاءها مع خطيبها ...

كان باب الغرفة مفتوحا و كانت هي تستعرض بعض لوحاتها ...

"أيمكنني أن أتفرج عليها؟؟"

"حسنا ... هذه الجديدة"

كانت الرسومات جميلة و متقنة ... و فيما أنا أتفرج عليها واحدة تلو الأخرى رأيت شيئا أذهلني!

أذكرون صورتي التي رسمتها رغد في السابق ! كانت ضمن المجموعة ... إلا أن شيئا قد تغير!

كانت العينان حمراوين!

عندما وقعت يدي و عيني على هذه الصورة ، أسرعت رغد بسحبها مني!

قلت:

"دعيني أرى" !

قالت بارتباك:

"هذه لا" !

قلت:

"ماذا فعلت بعيني؟؟"

قالت:

"لا شيء" !

"لكن لم طليتهما باللون الأحمر؟"

نظرت نحوي بحدة و قالت:

"هكذا هي عيون الكذابين"

اشتططت غضبا و رميت ببقية اللوحات على المكتب و خرجت من الغرفة...

و نسيت أمر العشاء و كل أمور الدنيا عدا موقف رغد المزعج مني ...

و من حينها بدأت أعاملها بالمثل ... ببعض الجفاء.

توالت الأيام ، و الأجواء بيننا متنافرة ، أقوم بواجباتي بمصمت و لا أتبادل أحاديث تذكر معها ...

حتى أقبل يوم الأربعاء ، و هو اليوم الذي يأتي سامر فيه لقضاء عطلة نهاية الأسبوع معنا...

مع اقتراب موعد حضوره تعمدت ملازمة الغرفة فأنا لا أريد أن أشهد استقبالا حميما من النوع الذي

يقترح المعدة ... بين الخطيبين....

و أول حديث دار بينه و بيني:

"ألا يمكنك أخذ إجازة من الآن يا سامر؟"

"لا أستطيع ! و لكن ... هل واجهت أي مشاكل؟؟"

"لا ، غير أنني سئمت و أود المغادرة" !

و انتهزت فرصة تواجد سامر و قضيت معظم الوقت خارج المنزل...

ليس لأنني أرغب في الترويح عن نفسي بل لأنني لا أرغب في التواجد في مكان يجمعهما...

و مهما توهمت أنها عادت لي ، في النهاية ... استيقظ على الواقع المر ... أنها أصبحت له.



أخبرني سامر بأن وليد أبلغه عن سأمه من رعايتنا أنا و أختي دانة !

الأمر أزعجني كثيرا ... رغم أنني أعرف أنه لا يهتم بنا .. أو على الأقل لا يهتم بي.

لم تكن بالفترة الهينة تلك التي قضيتها مع وليد تحت سقف واحد !

كنت أجبر نفسي على التظاهر بالاستياء و الانزعاج منه لأكتم حقيقة تصرخ في داخلي ... أنا سعيدة بوجوده و أكاد أطير فرحا...

و فرحتي هذه تنتهي في الليل ببحر من الدموع و الآهات ، للمصير الذي ينتظرنى

ليت أحدا يشعر بي!

ليت أحدا ينقذني!

سامر كانت يتحدث معي بلهفة و شوق ... و كلما رأيت منه هذه المشاعر كرهت نفسي و كرهت الدنيا أكثر فأكثر...

لم يكن لدي سوى نهلة أبتها همومي ...

و سأدعوها الليلة لقضاء بعض الوقت معي بعد أن يغادر سامر

وليد كان قد خرج منذ الصباح و لم يعد حتى الآن!

إنها الرابعة عصرا و سامر يريد الذهاب ...

ألهذا الحد هو - أي وليد - متضايق من وجوده معنا و لم يصدق أن جاء سامر ليخرج دون عودة!

"تأخر وليد ! سأتصل به"

قال سامر ، فعقبت:

"ربما رحل" !

نظر إلى سامر باستغراب و قال:

"رحل ! مستحيل طبعا ! كيف يرحل هكذا؟؟"

قلت:

"إنه يرحل هكذا دون مقدمات ! أم نسيت ذلك؟؟"

"لكن الآن مستحيل"

و ذهب للاتصال به.

عندما فرغ من مكالمته قال:

"إنه في طريقه إلى هنا"

و شعرت بالاطمئنان ...

قلت:

"متى ينقضي هذا الأسبوع" ...

كنت أعني أن تعود أمي و يعود أبي ، و تعود الأمور إلى أماكنها ، إلا أن سامر فهم حسب مزاجه!

ابتسم ابتسامة لطيفة و أمسك بيدي و قال بصوت حنون:

"أنا أيضا أنتظر على نار ! متى يا رغد ! متى ينقضي" !

و لم ينقذني من نظراته تلك غير رنين الهاتف...

أسرعت إليه و كان والدي على الطرف الآخر...

كان والداي يتصلان من حين لآخر خلال الأيام المنصرمة ، و هذه المرة تعمدت الإطالة في الحديث معهما و استدعيت دانة من أجل وضع حواجز بيني و بين نظرات سامر...

أنا لم أعد أحتمل ... ليتني أستطيع قول شيء ... سامر ... سامحني ... لكنني لا أحبك ... و لا أريد الزواج منك ! ألا تلاحظ ذلك؟؟  
بعد قليل وصل وليد...

قال سامر مباحا:

"ما هذا يا رجل ! أخبرني أين كنت تتسكع كل هذه الساعات !؟"

وليد لم يبد عليه أي علامات المرح ! بل كان عابسا!

قال سامر:

"عليّ أن أذهب الآن" ...

ثم أضاف و هو ينقل بصره بيني و بين دانة:

"اعتني بشقيقتي و عروسي جيدا" !

قال وليد بنبرة حادة تنم عن الاستياء:

"لست بحاجة لتوصية ، ماذا تظنني كنتُ أفعل ؟ أتركهما و أتسكع في الشوارع؟؟"

فوجئنا أنا و سامر و دانة بالنبرة الغريبة التي تحدثت بها وليد ، و كلماته الجدية القوية !

سامر قال:

"كنت أمزح يا رجل ما بك !؟؟"

لم يرد وليد ... بل جلس على المقعد ، و نزع ساعته و أخرج هاتفه المحمول و محفظته و مفاتيحه من جيبه و وضعها جميعا على المنضدة و أسند رأسه إلى المسند بشكل يفهم الناظر إليه بأنه مستاء جدا...

تبادلنا نحن الثلاثة النظرات ... المتعجبة

قال سامر:

" ما بك وليد ؟؟"

" لا شيء"

"تبدو مستاءً ... هل حدث شيء ما ؟؟"

"قلتُ لك لا شيء ! ألا تسمع ؟؟"

صمت الاثنان قليلا ، ثم قال سامر:

"إن كان البقاء هنا يزعجك لهذا الحد" ...

و لم يتم إذ أن وليد قال مقاطعا:

"أنا هنا الآن ... انصرف مطمئنا على عروسك و أختها ... إن هي إلا أيام فقط و ينتهي كل شيء"

لم يجروا أحدا على النطق بكلمة بعد...

رافقنا سامر إلى البوابة الخارجية و قبل انصرافه قال:

"هل هناك شيء؟؟ هل هو عصبي هكذا معكما؟؟"

دانة قالت:

"لا مطلقاً ! على العكس تماماً ، لكن ... اعتقد أن شيئاً ما حدث معه و هو في الخارج " !

عندما عدنا للداخل ، وجدنا وليد و قد اضطجع على المقعد و غطى عينيه المغمضتين بذراعه...

شعرتُ بالقلق الشديد عليه ... إذ يبدو من تصرفه و منظره الآن أن شيئاً ما قد ضايقه كثيراً ... فهل هو مستاء من البقاء معنا؟؟

قالت لي دانة:

"سيمر نوار لاصطحابي إلى السوق بعد قليل"

"ماذا؟؟ ستخرجين و تتركيني؟؟"

"ألن تأتي نهلة لزيارتك الليلة؟؟"

"بلى و لكن إلى ذلك الحين ، هل سأظل وحدي؟؟"

"وحدك؟؟ و معك كل هذا؟؟"

و أشارت بيدها نحو وليد

قلتُ بقلق:

"إنه يبدو مخيفاً !"

ضحكت دانة و قالت:

"حتى وليد؟! أخشى أنك تشعرين بالخوف من زوجك أيضاً !"

و انصرفت إلى غرفتها تستعد للخروج...

بقيتُ أنا واقفة أراقب وليد الذي يبدو أنه نام!

خطوة خطوة ، بهدوء تام اقتربتُ منه!

كان لدي فضول لألقي نظرة عن كثب على الأشياء التي وضعها على المنضدة!

يبدو شكل ميدالية المفاتيح جذابا ! مع أنه قديم!

مددت يدي بحذر حتى أمسكتُ بالميدالية و حركتها ببطء فأصدرت صوتا خفيفا ، راقبت وليد بتمعن ، و لم ألحظ عليه أي حركة...

الآن الميدالية في يدي ! ما أكثر المفاتيح!

و الآن ، هل أستطيع أن ألقي نظرة على الهاتف أيضا ؟؟ إنه من طراز مختلف عن هاتفي سامر و أبي !

مددت يدي نحو الهاتف و لم أكد ألمسه!

"ماذا تفعلين ؟!"

قال وليد فجأة وهو يزيح ذراعه عن عينيه و ينظر إلي!

جفلتُ و أصبتُ بالروع فانتفضتُ فجأة!

وقعت المفاتيح من يدي على المنضدة

هم وليد بالجلوس و رأيت وجهه شديد الإحمرار و زخات من العرق تلمع على جبينه...

شعرتُ بارتباكٍ شديد و قبل أن يستوي جالسا أطلقت ساقلي للريح و فررت هاربة!

في غرفتي بعد ذلك تنفست الصعداء!

كم يبدو مخيفا هذا الرجل !

هل ظن أنني أحاول سرقة؟؟

ما الذي دفع بي إلى حماقة كهذه!

عندما أخبرتُ نهلة بالأمر لاحقا انفجرت ضاحكة

كنت قد اصطحبتُ نهلة إلى غرفتي كالعادة ، و تركت وليد في البداية مع حسام ثم وحيدا بعد انصرافه

عادة ما تطول جلساتنا أنا و نهلة و بالتالي سيظل وليد وحيدا في المنزل ، و أخشى أن يخرج...

"سوف أذهب لأتأكد من وجوده" !

"هيا رغد ! لا أظنه سيغادر و هو يعلم أنك وحدك" !

"بل أنتِ معي" !

قالت نهلة و هي تنفخ صدرها و تقطب حواجبها و ترفع كتفيها - كعادتها حين تتقمص شخصية رجل :

"ما دمتُ معكِ فلسنا بحاجة لوجود أي وليد" !

خرجتُ من الغرفة لهدفين : لجلب بعض العصير ، و لتفقد وليد!

و الهدفان وجدتهما في المطبخ!

واحد بارد

و الثاني حار!

هو يجلس على المقعد يقلّب صفحات إحدى الصحف ، لكنني متأكّدة من أن عينيه تخترقان الأوراق!

تناولت ثلاثة كؤوس و ملأت اثنين منها بالعصير البارد الذي أعددتَه قبل ساعة و وضعتهما في صينية

...

ثم قلت:

"أترغب ببعض العصير؟؟"

قال دون أن يرفع عينيه عن الصحيفة:

"نعم ، شكرا"

سكبتُ العصير في الكأس الثالث و حملته إليه...

وضعتَه قربه على المنضدة ، و سرعان ما أمسك به و دلق نصف محتواه في جوفه دفعة واحدة!

كان باردا جدا ، و يكاد يتجمد!

كيف استطاع شربه بهذا الشكل!؟؟

كل هذا و عيناه محدقتين في الصحيفة!

حملتُ الصينية و سرت نحو الباب...

"رغد"

نطق باسمي بغتة كدت معها أترنح و أسقط الصينية من يدي بما حوت!



التفت إليه فرأيته ينظر إلي... .

قلت:

"نعم؟؟"

فجاء صوتي أشبه بصوت تلميذة نسيت حل الواجب و تقف بذعر أمام معلمتها!

قال:

"هل أجلب لكما طعاما للعشاء من أحد المطاعم؟؟"

قلت بسرعة:

"ماذا؟؟؟ لا!"

قال:

"و لكن هل ستتركين ضيفتك دون عشاء؟"

"لا تهتم ، إنها نهلة لا غير " ... !

"و لكن ... حسنا ... كما تشائين"

و عاد يطالع الصحيفة...

هممت أنا بالإنصراف ، ثم توقفتُ و قلت:

"لا تخرج وليد"

فرأيت عينيه تنظران إلي من فوق الصحيفة ... بحدّه!

أسرعتُ خطاي نحو غرفتي حيث نهلة ، دفعت إليها بالصينية فأمسكت بها و أنا تهالكت على السرير!

"حمدا لله على السلامة" !

ضحكت من تعليق نهلة رغم أنني لا أجد الوقت مناسباً للضحك!

قلت:

"مرعب يا نهلة ! اليوم يبدو مخيفاً جداً ! كالفهد الأسود" !

"صحيح؟؟ دعيني أرى" !

"أوه نهلة ! توقفي عن ذلك" !

ضحكت نهلة و وضعت الصينية على المنضدة و أحضرت لي العصير و هي تقول:

"خذي اشربي ، فأنتِ تبدين كاللبؤة الحمراء" !

أخذت منها الكأس و رشفت رشفة صغيرة...

"بارد جداً" !

قالت نهلة:

"أنت حارة جداً ! هيا اشربيه" !

بعدها فرغنا من شرب العصير ... قلت:

"اليوم ... بدا مستاءً من شيء ما ... عندما يكون مغتاضاً فإنه يصبح ... يصبح ... جذاباً جداً" !

نهلة كتفت يديها و قالت:

"رغد ! عدنا للجنون؟؟" !

كلمتها هذه أيقظتني من غفوتي القصيرة في عالم الوهم...

و حين رأّت نهلة تعبيرات الأسي تعود للظهور على وجهي قالت بعطف:

"عزيتي ... أنا قلقة بشأنك و أخشى ... أن تحطمي نفسك بهذا الشكل"

وقفت كشخص يخرج من البحر ... و يرفع رأسه للأعلى محاولا الفرار من الأمواج التي لا شك مهلكة إياه ... و قلت:

"إن كان علي أن أعيش مع شخص لا أحبه طوال عمري ، فهل كثير علي أن أسعد نفسي بأوهام عابرة قبل الغرق في بحر الواقع؟؟"

وقفت نهلة ازائي و قالت:

"لم يفت الأوان بعد ... إن أردت أن تتشبثي بطوق النجاة" ...

طردت الأفكار السخيفة التي غزت رأسي لحظتها ، و هززت رأسي لأتأكد من نثرها خارجا...

ثم قلت:

"دعينا من ذلك ، ما رأيك بالخروج معي إلى السوق غدا سأشتري ملابس للعيد !؟؟"

نهلة استجابت لرغبتني في محي الألم ، و قالت مشجعة:

"فكرة رائعة" !

بعدها انصرفت نهلة ، و كان ذلك قرابة العاشرة مساءً ، بحثت عن وليد فوجدته يشاهد التلفاز في غرفة الضيوف...

"وليد"

لم يجب ، فقط نظر إلي...

"أنا آسفة لكنني أحشى البقاء في البيت مع ابنة خالتي وحدنا"

لم يعلّق!

قلت:

"دانة لم تعد"

"أعرف"

"أأ ... أردت أن أطلب منك شيئاً ... إن سمحت"

"تفضلي؟؟"

"غدا أود الذهاب إلى بيت خالتي لأصطحب نهلة إلى السوق ... ممكن؟؟"

"حسنًا"

و أبعء نظره عني ، إلى التلفاز!

قلت:

"أترافقنا إلى السوق؟"

قال بنفاذ صبر و ضيق:

"ألم أقل حسنًا؟؟ إذن حسنًا"

لم تعجبني الطريقة التي تحدث بها ... و لكنني أردت أن أوضح الأمر أكثر:

"أعني أن تلازمنا أثناء التسوق ... يمكنك ذلك؟؟"

قال بنبرة ضايقتني كثيرا جدا:

"نعم ، كما تأمرين يا ابنة عمي ... ألسن هنا لحراستك ؟ سأنفذ وصايا خطيبك و والديه بدقة ،  
ماذا بعد؟؟"

وقفت مذهولة من جملته هذه ... فهل يظن هو أن وجوده يعني فقط مهمة حراسة و خدمة موكلة إليه  
سينتهي منها و يختفي من جديد؟؟  
هل أعني أنا له فقط مهمة مؤقتة مجبور على تنفيذها كارها؟؟

قلت بانفعال:

"انس الأمر ، لن أذهب معك لأي مكان"

و خرجت من الغرفة بسرعة ، و إلى غرفتي ... و إلى دموعي!

دقائق و إذا به يقف عند الباب...

"أنا آسف رغد ! أرجوك لا تبكي بسببي"

مسحت دموعي و قلت بعصبية:

"أنا الآسفة لأنني حملتك ما لا ترغب في تحمله ! و لكن من كان ليرافقني و أبي و سامر غائبان؟؟  
من كان سيهتم لأمرني و أنا لا أهل لي سواكم؟؟"

قال:

"لم أقصد ... أرجوك لا تسيئي فهمي"

قلت:

"حسام لا يوافق أبداً على مرافقتنا إلى السوق وإلا لكنا ذهبنا معه ... إن هي إلا أيام و تتخلص من هذا العبء الثقيل و مني"

وليد قال بعصبية:

"قلت لك لم أقصد هذا .. سأرافقتكما إلى حيث تشاءان توقي عن البكاء الآن"

وليد كان مستاءً جداً كما ظهر من تعبيرات وجهه و انفعاله

كتمت دموعي رغماً عنها ، و أنهيت المشادة بسلام ...

في اليوم التالي رافقتنا إلى السوق و اشتريت الكثير من الحاجيات .. و الأسواق كانت مزدحمة جداً بالناس ! فعدا هو عيد الحجاج!

و كان من بين ما اشتريت هدية لدانة و أخرى لوليد ! طبعاً لم أدعه يلحظهما...

كان يسير إلى جانبنا و يساعدنا في حمل الأكياس ! و نهلة بين حين و آخر تلقي بتعليقاتها المداعبة حوله!

اعتقد أنني بالغت كثيراً في تسوقي ! و بالتأكيد شعر وليد بالضجر ... إلا أن وجوم وجهه منعني من تقديم أي اعتذار!

عندما أوصلنا نهلة إلى بيتها دخلت معها لبعض الوقت لألقي تحياتي على العائلة ، و خرج حسام و تحدث مع وليد ...

اخترت هدية لدانة هذه المرة علبة أنيقة لحفظ المجوهرات ، أما لوليد - ولأنني لا أفهم في هدايا الرجال و قلما أهدي أبي أ و سامر شيئاً - فقد اشتريت له ميدالية مفاتيح أكثر جمالاً و أناقة من ميداليته الحالية !

كنت سعيدة بما اشتريت ! هل ستعجبه هديتي ؟؟

عندما عدنا للبيت وجدنا دانة و قد دعت خطيبها لقضاء أمسية معها في المنزل ...

ما أن علم وليد بوجود نوار حتى سأل دانة:

"متى سيغادر ؟؟"

قالت:

"منتصف الليل ! لم ؟؟"

قال:

"مادام موجودا هنا إذن أستطيع الخروج قليلا" !

و نظر باتجاهي ...

لم يكن باستطاعتي منعه ... لكنني اغتظتُ من إثباته مرة بعد أخرى بأنه يفتش عن أقل فرصة ليغادر المنزل ... و يبتعد عني ...  
هذا أثار جنوني و سخطي الشديد!

و مرت الساعات و أنا وحيدة في غرفة المعيشة ... دانة تستمتع بوقتها مع خطيبها المغرور في ليلة العيد و وليد يتجول في مكان ما ... و أنا مرغمة على مشاهدة التلفاز وحيدة!

أف ... متى يعود هذا ؟؟

و اقتربت الساعة من الثانية عشر منتصف الليل ... أنا أشعر بالنعاس و لكنني لا أستطيع النوم قبل أن يعود!

لماذا لم يعد حتى الآن؟؟

هل فعلها ورحل؟؟

طبعا مستحيل...

كنتُ على وشك الاتصال به حين سمعت صوت الباب ينفتح ، فأسرعت نحو المدخل ورأيت وليد يدخل و يغلق الباب خلفه

حين رأني قال:

"ألا زلتِ مستيقظة!؟"

قلت بتوتر:

"لماذا تأخرت؟؟"

قال:

"هل حدث شيء؟"

قلت:

"و هل كنت تنتظر أن يحدث شيء حتى تعود؟؟ لا تدعني وحيدة هكذا ثانية"

و زادني حنقا البرود الذي قابلتني به نظراته !

و ببساطة قال:

"حسنا"

ثم سار ذاهبا إلى غرفة سامر!



لماذا يعاملني بهذا البرود؟؟ أكاد أجن ... لم لا يدع لي فرصة لأعطيته هديته؟؟

بعد نصف ساعة غادر نوار ، و تعجبت دانة لدى رؤيتي ساهرة لهذا الوقت أمام التلفاز!

"متى ستنامين؟؟"

"متى ما شعرت بالنعاس!"

و تركتني هي و أوت إلى فراشها ... ففكرت في إهدائها الهدية غدا...

الساعة الثانية عشر و النصف ، رأيت جاء وليد يقدم إلى غرفة المعيشة...

كان شعره مبللا ... لا بد أنه كان يستحم!

قال:

"ألم تنامي بعد؟؟"

قلت:

"لا أشعر بالنعاس ... أصابني الأرق و الإجهاد!"

لم يكثر لي ، بل ذهب إلى المطبخ ، ثم عاد و مر بي قبل ذهابه للنوم ... قال:

"تصبحين على خير"

و أولاني ظهره...

سيطر علي الغضب من إهماله لي ! قبل أن ينصرف ناديته بسرعة:

"وليد"

استدار إلي و لم يتكلم بل انتظر سماع ما سأقوله ...

أنا فقدت شجاعتني التي كنت أتوهم امتلاكي لها ... و وقفت بخجل و ارتباك و أنا اخفي العلبة  
خلف ظهري !

وليد راقبني بحيرة و ضجر !

اقتربت منه شيئاً فشيئاً و أنا مطأطئة الرأس خجلاً و بالتأكيد وجنتاي متوهجتان احمراراً !

رفعت بصري بحياء و قلت:

"كل عام و أنت بخير"

ثم أظهرت الهدية و قدّمتها إليه:

"هذه لك "

لقد كانت يداي ترتجفان و أنا أقدمها نحوه ، و بالتأكيد لحظ هو ذلك ...

نظراتنا الآن متشابكة ... كنت أبحث عن أي كلمة شكر أو إشارة سرور...  
و أخيراً ابتسم وليد ابتسامة جميلة مذهلة و قال بارتباك...

" و ... أنت بخير ! ... أأ ... شكراً !

وليد مدّ يده و أمسك بالهدية...

قال:

"هل أفتحها ؟؟"

غضضتُ بصري حياءً و قلت:

"كما تشاء"

و هم هو بفتحها ، بينما قلبي أنا يخفق بشدة !

لكن الصوت الذي سمعته ليس صوت انفتاح العلبة ، بل صوت انفتاح باب...

رفعت نظري إليه و حدقنا ببعضنا برهة ، و نحن نسمع صوت باب المدخل ينفتح...

شعرت بذعر ...

قلت:

"ما هذا؟؟"

وليد سار ببطء و حذر ذاهبا ناحية الباب و تبعته أنا بخوف ...

قال وليد قبل أن يصل إلى المدخل:

"من هناك؟؟"

أنا أردت أن أمسك بيد وليد من الذعر ... ربما يكون أحد اللصوص ...

وليد أشار إلي أن أأزم مكاني ، و تقدم هو نحو المدخل ...

أوشك قلبي على الوقوع أرضا ...

و للمفاجأة المذهلة رأينا سامر يظهر أمامنا!

وقفنا متسمرين في مكانينا في زهول !

قال وليد:

"سامر" !!

سامر نظر إلينا بدهشة هو الآخر ، و قال:

"آه ! أنتم مستيقظون؟"

قال وليد:

"هل هناك شيء؟؟"

قال سامر:

"أردتُ أن أفاجنكم بظهوري غدا ! لكن أفسدتُ المفاجأة" !

الآن سامر نظر إلي و ابتسم ، و قال:

"لم أشأ أن يمر العيد و أنا بعيد جئت أشارككم" !

و أقبل نحوي ، و أمسك بيدي و قال:

"عروسي ... كل عام و أنت بخير" !

الحلقة الثانية والعشرون

\*\*\*\*\*

لم تمر ليلتي بسلام...

ورغم أنني نمت متأخرة على غير العادة إلا أنني نهضت باكرا...

لم يكن أحدهم قد نهض آنذاك ، و بعد قليل نهضت دانة و ذهبنا للمطبخ لإعداد كعكة العيد!

دانة كانت مفعمة بالحيوية و النشاط أما أنا فكانت في غاية الكسل و الملل و الكآبة أيضا...

بعد مدة اجتمعنا نحن الأربعة حول مائدة الفطور ... و تناولنا حصصنا من الكعكة...

سامر كان متحمسا جدا و منفعلا ، و يتحدث عن النزاهات التي ينوي القيام بها هذا اليوم ...

قالت دانة:

"أنا لن أشارككم فأنا سأخرج مع خطيبي" !

قال وليد:

"و أنا سأخرج الآن"

و نهض مباشرة...

سامر قال:

"إلى أين؟؟"

"سأتجول في المنطقة"

و سرعان ما غادر

قال سامر:

"ما به ؟ لا يبدو طبيعيا" !

قلت:

"إنه يريد الرحيل"

قال:

"لن يغادر قبل زفافنا على أية حال" !

ثم ابتسم ابتسامته التي تزعجني و هو يقول:

"بعد أيام فقط" ...

أهداني سامر زوجا من الأقراط الذهبية ، أما أنا فأهديته إحدى لوحاتي!

لم تكن لدي فكرة عن شيء جديد أهديه إليه !

قضينا نهار العيد ، أنا و سامر نتجول من مكان لآخر...

و عند العصر ، و نحن في الطريق إلى البيت قال سامر:

"حصلت على هذا اليوم بصعوبة ، لا زال أمامي مشوار العودة الطويل"

قلت:

"أنت تكلف نفسك مشقة ! ما كان يجدر بك الحضور" !

سامر التفت إلي باستغراب و قال:

"لا أحضر؟؟ في يوم مميز كهذا؟؟"

قلت:

"أفصد .. مشقة السفر ... حضورا و ذهابا" ...

قال:

"لأجلك أنتِ"

صمت ، و أخذت أراقب الأشياء المتحركة من حولي من خلال النافذة...

بعد قليل ، قال سامر:

"لم كنت ساهرة لذلك الوقت المتأخر ... البارحة؟؟"

التفت نحوه بتعجب !

قلت:

"لم أشعر بالنعاس قبلها" ...

و أضفت:

"كما و أن ... وليد كان قد عاد قبل ذلك بقليل من الخارج ، و لم أشعر بارتياح للنوم و هو خارج

المنزل"

قال:

"هل ... يسهر بعيدا كل ليلة؟؟"

"لا! أبدا... فقط البارحة ، ربما حضر أحد احتفالات العيد!"

عندما عندنا للمنزل كنا أول الواصلين

تجازوت الساعة السادسة و لم يعد لا وليد و لا دانة ... سامر بدأ يلقي بنظرة بين حين و آخر عليها في اضطراب...

"تأخرا ! يجب أن أغادر الآن فأمامي مشوار طويل"

و المشوار بين المدينتين يستغرق ساعات يقضيها سامر في قيادة السيارة

لابد أنه متعب الآن ! فقد قضينا ساعات أيضا في السيارة...

قام سامر و اتصل بوليد ، و يبدو أن هذا الأخير أخبره بأنه لن يعود قريبا

لذا أتى سامر و قال:

"أأخذك إلى بيت خالتك؟؟"

لم أحبذ الفكرة و مع ذلك اتصلت بهم ، و لم أجد أحدا ... لابد أنهم ذهبوا أيضا للتمتع بيوم العيد

...

قلت:

"أين هو وليد؟؟"

"يقول أنه في مكان بعيد ، و قد يتأخر في الحضور" ...



و تنهد سامر باستياء!

إنها المرة الأولى التي يكون فيها معي و يرغب في الذهاب !

قبيل الثامنة ، خرجنا مجددا و اشترينا عشاء خفيفا من مطعم قريب و عندنا للمنزل

و أيضا لم نجد أحدا هناك...

عاود سامر الاتصال بوليد بعد العشاء...

"إن عليّ الذهاب الآن ... فمتى ستعود؟؟"

و من خلال تعابير سامر المستاءة استنتجت رد وليد!

قال سامر:

"و الآن هل لا حضرت؟؟"

بعد أقل من ساعة من المكالمة وصل وليد...

بادره سامر بالعتاب:

"تأخرت يا وليد كثيرا .. متى سأصل إلى شقتي؟؟"

قال:

"شاركت الآخرين مهرجانات العيد ... لا أحد يبقى في المنزل في يوم كهذا"

فهمت أنه يقصد أن وجودي يعيقه عن الترفيه عن نفسه في يوم مميز...

التزمت الصمت ... قال سامر:

"سأذهب الآن" ...

و صافحني ، ثم صافح وليد و قال:

"تصبحان على خير"

بقيت مع وليد ... وحيدين في المنزل ...

حينما رأيت الضجر باد عليه قلت:

"إن كنت تود الذهاب لمتابعة سهرتك في مكان ما ... فخذني إلى بيت إحدى صديقاتي ثم اذهب"

و ببساطة تجاهلني !

قلت بغضب:

"وليد أنا أتحدث معك !"

الفت إلي و قال:

"أسمعك ، لكنني لست أبلها لأفعل ذلك"

صمت قليلا ، ثم قلت:

"أنا آسفة ... للتسبب بإزعاجك طوال هذه المدة ... بقيت بضع أيام"

لم يرد...

قلت:

"أنا أستطيع المكوث في بيت خالتي ، لكن المشكلة مع دانة ... و إلا لكنا وفرنا عليك عناء البقاء معنا "

رمانى وليد بنظرة مخيفة أخرجت لساني!

لم أشأ أن أتركه وحيدا و أنعزل في غرفتي ... أحضرت كراستي و عدّة الرسم إلى غرفة المعيشة ، حيث يجلس هو ، و بدأت أرسم!

وليد كان يتصفح قنوات التلفاز و لا يجد فيها من يجذبه للمتابعة

لكنه مهووس على ما يبدو بالأخبار...

بعد قليل ، أوقف وليد التلفاز و أخذ الهاتف ، و طلب أحد الأرقام...

أنا لم أكن أرسم بقدر ما كنت أراقب تحركاته ...

و هاهو يتحدث إلى الطرف الآخر:

"مرحبا ، أنا وليد شاكر"

( ..... )

"أهلا بك آنسة أروى ، كل عام و أنتم بخير ، كيف هي أموركم؟؟"

تركتُ القلم من يدي و أصغيتُ باهتمام...

"ماذا؟؟ متى حدث ذلك؟؟"

(.....)

"أوه... أنا آسف... وكيف حالتها الآن؟؟ أهي أفضل؟؟"

(.....)

"لا تقلقي ، بلغيتها و العم سلامي ... و أخبريهما بأنني سأعود في أقرب فرصة إن شاء الله"

(.....)

"شكرا لكِ ، وافوني بأخباركم أولا بأول ، تصبحين على خير"

و أنهى المكالمة...

و عاد و شغل التلفاز ، إلا أنه كان شاردا...

من تكون أروى هذه؟؟

تركتُ اللوحة جانبا ، و قلتُ بعد ترددٍ قصيرٍ ضعيفٍ غلبه الفضول الشديد:

"وليد"

"نعم؟؟"

"من كنت تحدّث؟؟"

بدا عليه الاستغراب ، ثم قال:

"لم السؤال؟؟"

"لاحظت ... استيائك من خبر وصلك من الطرف الآخر ... خيرا؟؟"

قال:

"زوجة صديقي رحمه الله تعرضت لنوبة قلبية و ترقد في المستشفى"

صمت قليلا ثم سألته:

"و هي من كنت تتحدّث معها؟؟"

"كلا . هذه ابنتها "

ابنة صديقه ؟ إذن لابد أنها مجرد طفلة !  
بعد قليل أوقف وليد التلفاز و نهض هاما بالمغادرة

قلت:

"إلى أين؟؟"

التفت إلي بانزعاج و قال:

"سأذهب للنوم ، إلا إذا كنت تريدين من حارسك البقاء ساهرا لحين نومك؟"

لم أجب ، فأنا لم أجد الكلمات المناسبة ... و هو لا يدرك كم هي جارحة كلماته و قاسية معاملته...

ليته يعرف !

استدار ليخرج فعدت أناديه:

"وليد"

تنهّد و هو يلتفت نحو ي قائلاً:

"ماذا الآن؟؟"

تقدمت نحوه قليلا ، و فتشت في وجهه عن أي ملامح تشجعني على سؤالي ، لكنني لم أجد ...  
فبقيت صامتة...

"نعم؟؟ ماذا لديك؟؟"

توترت ، لكنني بعدها جمعت غبار شجاعتي و قلت:

"هل أعجبتك؟؟"

"ما هي؟؟"

"الهدية" !

وليد بعثر نظره هنا و هناك ، ثم قال:

"لا أذكر أين تركتها ... آسف" !

هنا عند هذه اللحظة تمرّقت أوهامي ...

فإن كان قد أضع هدية أعطيتها له مساء أمس ... قبل أن يفتحها ... فكيف بماض ولى منذ تسع  
سنين؟؟

و إدراكي لحقيقة أن وليد لم يعد وليد ... قتل كل رغبة في الحياة و السعادة لدي...

الأيام التالية قضيتها حبيسة الغرفة في أنهار من الدموع ... حتى أن دانة و التي عادة ما تتهمني بأنني

أبدل بدموعي هذه بدأت تغلق بشأنني و صارت تحضر لي الطعام إلى غرفتي...

زارتني نهلة ، و خالتي ... الجميع يحاول التحدث لي عرف سبب حزني إلا أنني لم أكن أدع الفرصة لهم...

و عندما تتصل أمني أكتفي بكلمات بسيطة معها أو مع أبي ، و أعود إلى غرفتي...

أما سامر ، فقد كنت أتخاشى الحديث معه قدر الإمكان...

في إحدى الليالي ، جاءني دانة و قالت بمرح - محاولة بث البهجة في قلبي -

"رغد ! أنت مدعوة على العشاء معي و مع وليد في أرقى مطاعم المدينة ! هيا بسرعة وليد ينتظرنا"

هي نظرة عابرة ألقيتها على دانة ثم أشحت بوجهي عنها و قلت:

"لن أذهب"

"ماذا رغد ! هيا لا تدعي الفرصة تفوتنا !"

"لا أريد دانة رجاءً دعيني وحدي"

دانة اقتربت مني ... و قد غطت وجهها تعبيرات القلق و قالت:

"هيا رغد !"

هزرت رأسي اعتراضاً ، فقالت:

"إذن سنذهب و نتركك وحدك !"

كانت تعرف أن نقطة ضعفي هي الوحدة ... و أنت تستخدمها كسلاح لجبري على الذهاب معهما...

حدقت بها لبرهة ثم قلت:

"أفعلا ما تشاءان"

رفعت حاجبيها دهشة و قالت:

"رغد ! معقول ! هل تخلّصت من الخوف" !

قلت بعصبية:

"اذهبا و اتركاني وحدي ... دعيني وحدي يا دانة ... دعيني وحدي" ...

و انخرطت في بكاء مرير...

دانة خرجت ... و بعد قليل عادت مع وليد...

~ ~ ~ ~ ~ ~ ~ ~

أحوال صغيرتي كانت غريبة ، و أصبحت مقلقة آخر الأيام...

في الواقع هي كانت مستاءة جدا منذ أن قدمت ، إلا أن استيائها ازداد مؤخرا...

كانت تحبس نفسها في الغرفة ، و لا تشاركنا لا الطعام و لا الكلام.

قررت أن نخرج معها لتناول العشاء في أحد المطاعم و من ثم التنزه فعلّ ذلك ينعشها ... إلا أن دانة

أخبرتني بأنها رفضت القدوم معنا و قالت لها

(اذهبا و دعوني وحدي )



في السابق كانت دانة تترجم تصرفات رغد على أنها تدلل ، فهي متدللة جدا ... إلا أنها الآن قالت:

"أنا قلقة يا وليد ... هناك شيء تخفيه عنا ... لا أعرف ما الذي يحزنها هكذا"

كنت خلال الفترة الأخيرة أتحاشى اللقاء بها ، فلا قلبي ولا معدتي بقادرين على تحمل المزيد ... إلا أنني هذه اللحظة لم أتمالك نفسي و ذهبت مع دانة إلى رغد...

الأخيرة كانت في غرفتها تبكي بغزارة تفتقر قلب الحجر ... فكيف بقلبي أنا؟؟ حاولت التحدث معها إلا أنها لم تستجب لي ، و قالت بعصبية:

"اخرجوا و دعاني و شأني"

بقيت أيام على موعد عودة والديّ من رحلة الحج ... ربما يعود كل شيء على ما كان بعد عودتهما ...

و لكن إلى ذلك الحين يجب أن أفعل شيئاً!

صبرت ساعة أو ما شابه ، ثم عدت إليها بمفردي ... و للأسى وجدتها لا تزال تبكي...

"رغد ... انهضي ... دعينا نذهب لأي مكان تحبين!"

ما وصلني منها أي جواب...

كانت تجلس على السرير و تضع الوسادة في حضنها...

"رغد ... ما بك؟؟ أخبريني؟؟"

"لا شيء"

"إذن لم تبكين؟"

"لا لسبب"

"أرجوك ... أبلغيني بما يزعجك؟؟"

"قلت لا شيء"

"ربما أنا؟؟"

حين قلت ذلك نظرت إلي رغد نظرة غريبة مليئة بالمعاني ...

"إن ... كنتِ منزعجة بسببي ... فأنا آسف ... ما هي إلا أيام معدودة و يعود والداي و سامر" ...

عندها أغمضت رغد عينيها و ارتفع صوت بكائها المرير...

كيف لي أن أحتمل رؤيتها هكذا؟؟

بصعوبة بالغة منعتُ يدي من التربيت على كتفيها ... و لكنني لم أستطع منع نفسي من قول:

"صغيرتي الغالية كفى أرجوك ... لا أحتمل دموعك"

رغد قالت:

"أخرج"

و كررت الكلمة مرتين ، فغادرت الغرفة و أنا في قعر التعاسة و الكآبة...

عند الفجر كنت في طريقي للخروج من المنزل قاصدا المسجد...

فيما أنا أمر من غرفة المعيشة سمعت صوتا يصدر من هناك...

سرت بحذر حتى دخلت الغرفة ، و أذهلتني رؤية رغد تبكي و تنحب هناك

"رغد" !

التفتت إلي رغد بذعر إذ يبدو أنها لم تنتبه لقدمي ... ثم نهضت واقفة بارتباك...

تقدمت منها ، و قلت:

" بالله عليك أخبريني ... ما بك؟؟ "

رغد أرادت الخروج لكنني وقفت سادا فتحة الباب مانعا إياها من الخروج

" أخبريني ما بك أولا "

" دعني و شأني "

" لن أدعك حتى تخبريني "

" و لمَ تود أن تعرف؟؟ ماذا يهمك أنت؟؟ "

" يهمني كل شيء يتعلق بك ... كل شيء "

" كذّاب "

انقبضت عضلاتي استياءً ... و استدرت للمغادرة...

خطوت خطوتين ، و توقعت أن تخرج رغد من بعدي ، إلا أنها لم تخرج...

عدت إلى الغرفة فرأيتها جاثية على الأرض باستسلام تام للدموع ...

نفس الجلسة التي كانت تجلسها و هي طفلة ، حين يعتصرها الألم...

دنوتُ منها حتى صرت ازاءها مباشرة ، و انحنيت و قلت بصوت أجش:

"أرجوك يا رغد .. أرجوك توقفي عن هذا وأخبريني بما يزعجك ، و أيا كان ... أنا سأزيحه عنك نهائيا"

رغد رفعت نظرها ... كأنها تطلب التأكيد...

قلت:

"أي شيء يضايقك و يحزنك لهذا الحد ... أبلغيني و أنا أبعده عنك" ..

"صحيح؟؟"

"نعم يا رغد ، لا تظني أنني فقط أكذب و أدعي ... لا تعرفين كم هي غالية دموعك عندي" ...

"مهما كانت غالية ... هناك ما هو أغلى ... و هناك ما لا يمكن فعله أبدا"

"أخبريني أنت فقط ، و سترين"

رغد هزت رأسها نفيا ... و قالت:

"لا لن تفعل ! لن تستطيع شيئا" !

"أخبريني ماذا تريدين؟؟"

"أريد أمي"

قلت بتعجب:

"تريدن أمي!؟؟"

هزت رغد رأسها اعتراضا و قالت في صيحة قاتلة:

"أريد أمي أنا ... لا أمك أنت ... أنا أريد أمي ... فهي من يستطيع مساعدتي ... لو بقيت حية ... لا أحد منكم يستطيع ... هل يمكنك إحضارها إلي؟؟"

فوجئت بقولها هذا و شعرت بشرايين قلبي تتفجر بعنف...

أيعقل أنها لا تزل تفكر في أمها - التي لم تعرفها يوما - حتى الآن؟؟

أتقصّر أمي في شيء للحد الذي يجعل رغد تبحث عن المساعدة من أمها الراحلة منذ ١٥ عاما؟؟

بعدها انتهت من نوبة بكائها قالت بتحدٍ:

"هل تستطيع إحضار أمي إلي؟؟"

وجدت نفسي أقول:

"اعتبريني أنا أمك" ...

ثم أضفت:

"ألم أكن كذلك ذات يوم؟؟"

نظرت إلي رغد بيأس ...

قلت:

"لطالما كنتِ تعتمدين علي و تثقين بي" ...

ولما لم أجد منها تفاعلا ... نهضت و أنا أقول:

"سأذهب لتأدية الصلاة"

عدتُ من الخارج بعد قليل ، و لم أجدها ... ذهبت إلى غرفة سامر و اضطجعت على سريره و أخذتني دوامة الأفكار إلى عالم من المتاهات و الدهاليز...

تذكرت ... يوما كنت فيه في غرفتي بمنزلنا القديم ، و سمعت طرقا خفيفا على الباب ... و حين فتحته ، وجدت رغد تبكي بألم ... مليئة بالخدوش و الكدمات...

أعتقد أنني تعلقت بها ابتداءً من ذلك اليوم ... و لا أعلم انتهاءً بأي يوم؟؟

فجأة ... سمعتُ طرقات خفيفة بالكاد التقطتها أذناي ، ما يدل على تردد اليد الطارقة...

قمت و فتحت الباب ... و وجدت رغد تقف عنده ...

كانت عيناها شديدي التورم و الاحمرار ، و وجهها شديد الحزن و الكآبة ...

قلت:

"صغيرتي" ...

ما أن نطقت بذلك حتى قفزت الدموع من عينيها ... حاولتُ تهدئتها ... فمسحتُ الدموع و لملتُ شيئا من شتات قوتها و همت بالكلام ... لكن التردد كان مسيطرا عليها...

قلت مشجعا:

"نعم صغيرتي ... قللي ما تودين؟"

ازدردت ريقها و سحبت عدة أنفاس ... ثم نظرت إلي نظرة مريرة...

تراجعت ، و خطت خطوة للوراء لكنني استوقفتها:

"هيا رغد ... أنا أسمعك"

"لن تستطيع مساعدتي"

"بلى سأفعل ... قل لي ماذا يحزنك؟؟"

هنا انفجرت بالبكاء و غطت وجهها بيديها و قالت بصوت متقطع:

"أنا ... أنا ... لا أريد أن ... أتزوج سامر"

لقد كان ذلك هو آخر شيء أتوقعه على الإطلاق ... الذهول الذي أصابني و هول المفاجأة لم يدع لي فرصة للتفكير ... أو حتى استيعاب الموقف إلا أن الألم و المرارة التي رأيتها في عيني رغد وهي تستنجد ... و تبحث بيأس عن شخص ينقذها رغم كل اعتبار ... و القنوط الذي دفعها للتفكير في أمها المتوفاة منذ إن كانت هي طفلة صغيرة ... و شعوري بالمسؤولية عليها ... كلها أمور امتزجت مع بعضها البعض و دفعتني في النهاية لقول:

"اطمئني ، لن يكون لك إلا ما تريد"

الآن ، دخلتُ مرحلة جديدة ... و بدأت الحلقة الأولى من سلسلة المصاعب التي واجهتها فيما بعد...

حين سألتها ساعتها:

"تقصدين ... تأجيل الزفاف؟؟"

قالت و هي تنفي:

"لا أريده ... أنا لا أريده"

و عندما سألتني قبل انصرافها:

"أحقا؟ تستطيع فعل شيء لأجلي؟"

أجبتها:

"أي شيء... مهما كان.. ثقي بي"

فأي شيء أغلى وأهم عندي من راحة وسعادة رغد؟؟

في النهار التالي بدت هي أكثر راحة و ابتهاجا ، و خرجت من عزلتها و بدأت تعود للحياة...

شاركتنا الوجبات و الجلسات ، و النزعات ... و بدت لحد ما راضية...

حتى أن دانة قالت لي تعليقا على تقلب أحوال رغد:

"أ رأيت ! قلت لك ! سبحان مقلب الأحوال !"

في يوم الأربعاء التالي ، يوم حضور سامر للزيارة ، بدت في غاية التوتر و القلق ...

طلبت منها أن تذهب إلى بيت خالتها ، كما صرفت دانة مع خطيبها بشكل ما ، و بقيت وحدي في

البيت أنتظر...

عندما حضر سامر استقبلته استقبالا طبيعيا ، و حين سأل عن الاثنتين أبلغته عن أمرهما...

تركته له فرصة ليرتاح من عناء السفر ... و بعدها أخبرته بأن هناك ما يجب أن يعرفه...



التوتر تملكه بطبيعة الحال ... أما أنا فتظاهرت بالبرود بينما النيران تأكل أحشائي...

أخي لم يكن يتحدث عن شيء غير الزواج المرتقب ... إنني أدرك كم هو مولع برغد و يحبها بشغف ... و أدرك معنى أن يجد المرء نفسه فجأة محروما ممن يحب و يتمنى ... كيف لي ألا أدرك هذا و أنا صاحب التجربة المرة القاسية ... ؟

لكن ... بالنسبة لي أنا ... فلا شيء يهم بعد رغد ... و كل شيء يهون من أجل رغد...

و إن كنتُ ارتكبتُ جريمة من أجلها ... فهل سيصعب علي تحطيم قلب أخي في سبيل راحتها؟؟

" خيرا يا وليد؟؟"

خير !؟ أتظنه خيرا يا سامر ! سامحني يا أخي فأنا ... أنا كنتُ ولا زلتُ مجرما...

قلت بدون مقدمات:

"إنه بشأن زواجك"

"ماذا بشأن زواجي؟؟"

نظرت إليه بجديّة و قلت بصوت قوي و ثابت:

"يجب تأجيله"

نظر إلي ببلاهة و عدم استيعاب:

"تأجيله؟؟"

"أنا جاد يا سامر . ركّز معي . زواجك سيتأجل إلى أجل غير مسمى"

"وليد ... هل لك أن تتحدّث بوضوح أكثر؟؟"

"بوضوح أكثر يا أخي ... العروس لا ترغب في الزواج الآن و إلى أن تحدد هي الوقت الملائم سيتم تأجيل كل شيء"

كانت هذه الجرعة الأولى التي لم استطع سقيه أكثر منها...

سامر هاج و ماج و غضب و ثار و تخبط بجمل متعارضة متناقضة ... ثم قرر الذهاب لإحضارها من بيت خالتها

قلت له:

"ليس الآن ... سأحضرها أنا بعد قليل"

حدثت بيننا مشادة قال فيها سامر:

"أريد التحدّث معها مباشرة:

قلت:

"أنا أتحدّث نيابة عنها"

قال:

"بل سأتحدّث إليها هي ، فهي صاحبة الشأن"

قلت:

"و أنا المسؤول عنها الآن"

قال بعصية:

"مسؤول عنها في حال غيابي لكنني موجود و أنا زوجها ... فلماذا تخبرك أنت و لم تخبرني؟؟"

قلت:

"كيف ستخبرك بشيء كهذا؟! إنها مرعوبة من الفكرة فهي تدرك أن الأوان قد فات للتراجع ... و الزفاف بعد أيام" ...

"و ما الذي جعلها تغير رأيها هكذا فجأة؟؟؟ إننا كنا معا يوم العيد و لم تأت بذكر شيء عن هذا مطلقا"

"بل كان الموضوع يشغلها منذ فترة ... و أنتم من ضغط عليها ... لكن الفتاة بحالة سيئة تزداد يوما بعد يوم بسبب اقتراب الموعد ... ألم تلاحظ ذلك؟؟"

قال سامر:

"تبا"

و سار بانفعال نحو المخل يريد الذهاب لإحضارها...

"انتظر يا سامر"

لم يكن يصغي إلي ، و لكنه و بمجرد أن فتح الباب وقف متسمرا في مكانه...

و ظل ممسكا بالباب المفتوح و ينظر إلى الخارج...

ثوانٍ و إذا بي أرى رغد تدخل المنزل ، يتبعها ابن خالتها حسام!

أول ما نظرت ، نظرت إلي ... تود استنباط مكنون ما حصل ... ثم نظرت إلى سامر و من التعبيرات

الكاسية لوجهه المكفهر أدركت أنني تحدّثت معه ...

حسام كان أول من تحدّث إذ ألقى التحية ... فرددناها ، و دعوته للدخول ...

قال:

"أوصلتُ ابنة خالتي و أردتُ أن ألقى التحية" ...

رحبت به ، و دعوته للدخول إلى غرفة الضيافة ، و حدّثت رغدا قائلاً:

"أذهبي إلى غرفتك"

سامر قال:

"انتظري رغدا"

فقلت مقاطعاً:

"فيما بعد ، رغدا أذهبي إلى غرفتك"

دخلت مع الضيف إلى غرفة الضيوف .

قال حسام ، و هو يلحظ شحنات غريبة في الجو:

"أهناك شيء؟؟"

قلت:

"كلا!"

ثم فتحت موضوعاً للحديث ...

بالي كان مشغولا هناك مع رغد ... دقائق و استأذنت الضيف و ذهبت أبحث عنها...

وجدتها و سامر في الردهة ، و هي مطأطئة الرأس و تبكي ، فيما سامر يتحدث بعصبية ، بل بصراخ

...

قلت:

"كفى سامر ، لنؤجل ذلك قليلا "

"لا تتدخل أنت ! دعنا نناقش أمرنا وحدنا "

نظرت إلى رغد فرأيت الاستنجاد و الخوف يملأ أن عينيها ...

سامر كان منفعلا جدا ... قال:

" و الآن يا رغد أخبريني ما الذي جعلك تغيرين رأيك بعدما رتبنا كل شيء ؟؟ هل أنا أجبرتكم على

هذا ؟؟ ألم أترك تحديد الموعد لك ؟؟ ألسنت من قرر الزواج مع دانة في النهاية ؟؟ "

رغد لم تتكلم ، بل انحنيت برأسها على ذراعها و استرسلت في البكاء...

سامر قال:

" سيتم كل شيء كما خططنا له تماما "

رفعت رغد رأسها و تنقلت ببصرها بيننا و حاولت النطق:

" لكن " ...

قاطعها سامر صارخا:

"كما خططنا يا رغد ... فلا مجال للتراجع الآن "

قلتُ بعصبية و غضب:

"سامر كفى ... كيف تجرؤ على الصراخ عليها؟؟"

زمجر سامر بغيظ:

"وليد لو سمحت لا تتدخل أنت"

قلت:

"بل سأتدخل ... لا أسمح لأحد بمخاطبة رغد بهذا الشكل"

قال:

"و من ينتظر الإذن منك ؟ من تظن نفسك ؟ انسحب رجاءً"

لكني بقيت واقفا في مكاني...

سامر تقدم من رغد و أمسك بذراعها يحثها على السير قاصدا الذهاب إلى غرفتها ...

رغد حاولت التملص ، إلا أن سامر أطبق عليها بقوة قائلا:

"تعالى إلى الداخل"

قلت بانفعال:

"أتركها يا سامر"

نظر إلي بانزعاج و سار معها خطوتين نحو الغرفة...

قلت:

"اتركها يا سامر قبل أن أفقد أعصابي"

زمجر بصوت عال:

"قلتُ انصرف أنت"

وفي هذه اللحظة ... فقدت بالفعل السيطرة على أعصابي ، و التي كنت كابحا إياها منذ زمن...

اندفعت نحو سامر بلا تفكير و أمسكت بذراعه و سحبته بعنف حتى تحررت رغد من قبضة يده ، و

قلت:

"قلت دعها و شأنها أيها الجبان"

و سددت إلى بطنه لكمة قوية من قبضي جعلته يترنح ... و يهوي ... و يتلوى...

انقضضت عليه و هو على الأرض و أمسكتُ بكتفيه و جعلت أهرهما بعنف و عصبية و أقول:

"حين تقول أنها لا تريد الزواج الآن فهذا يعني أنها لن تتزوج الآن ... أفهمت؟؟"

نهضت ، و قلت لرغد:

"أذهبي إلى غرفتك"

رغد نظرت إلى سامر ... فقلت لها:

"هيا" ...

في نفس اللحظة ، حضر حسام و الذي على ما يبدو أنه سمع شجارنا فأقبل متعجبا...

"ماذا يحدث؟؟"

رغد حين رأت حسام أقبلت نحوه و هو تقول:

"أعدني إلى خالتي ..."

نهض سامر ... و نادى:

"رغد"

رغد و هي مذعورة و تبكي قالت لحسام:

"أعدني إلى خالتي ... لا أريد العيش هنا"

سامر الآن يسير نحو رغد ، و حسام ينظر إليها و يسأل:

"ماذا حدث رغد؟؟"

سامر قال بحدة:

"الأمر لا يعنك يا هذا"

حسام قال بانفعال:

"إذن فهي حقيقة ... أنتم من تجبرونها على هذا الزواج ..."

سامر وقف مصعوقا يحدق برغد ... و أنا مصعوق أحدق بحسام ...

قال حسام موجهها الحديث إلى رغد:



"أليس كذلك؟؟"

رغد قالت بانهييار:

"دعوني و شأني ... دعوني و شأني " ...

و ركضت نحو غرفتها و أغلقت الباب ...

سامر همّ باللحاق بها إلا أنني اعترضته و قلت:

"دعها وحدها ... لا تضطرنني لفقد أعصابي من جديد"

سامر حينها غير اتجاهه و دخل غرفته و صفع الباب بقوة

بقينا أنا و حسام ...

قال:

"ماذا حصل؟؟"

لم أجبه ... لذا قال:

"أنا استأذن " ...

و هم بالمغادرة...

استوقفته و سألته:

"حسام ... لم استنتجت أن هناك من يجبر رغد على الزواج؟؟"

قال:

"أنا لم أستنتج ، أنا أعرف ذلك"

دهشت لقوله ، فسألته:

"و من أخبرك؟؟"

تردد قليلا ، ثم قال:

"شقيقتي"

بعدها غادر ، صبرت قليلا ثم ذهبت إلى رغد...

كانت غارقة في الدموع ... قالت:

"أ رأيت؟؟ لقد قضي الأمر ... لن تستطيع شيئا"

قلت:

"لماذا لم تخبريني بذلك قبل الآن؟؟"

رغد نظرت إلي بألم و قالت:

"ما الفرق؟؟ النتيجة واحدة ... إنه نصيبي"

قلت بإصرار:

"لا أحد سيستطيع إرغامك على ما لا تريد ... و أنا على قيد الحياة...

و بمجرد أن يعود والداي ... هذا الزواج سيلغى تماما"

## الحلقة الثالثة والعشرون

\*\*\*\*\*

خرجت لإحضار بعض متطلبات المنزل في صباح اليوم التالي ، و قضاء بعض الحوائج.

نمت الليلة الماضية على مقعد في الردهة ... بعدما أعياني التفكير المتواصل.

عندما عادت دانة و أرادت الذهاب إلى سامر لتحييه منعتها ، و بنبرة حادة طلبت منها أن تلزم غرفتها حتى الصباح...

لم أكن أريد لشجار أن ينشب تلك الليلة ، أردتُ فرصة يتمكن فيها الجميع من ترتيب أفكارهم و استيعاب حقائق الأمور.

حين عدتُ إلى المنزل وجدت أختي دانة جالسة في المطبخ في وضع يقلق...

قلت:

" خيرا ؟ هل حصل شيء ؟؟ "

قالت:

" رغد المجنونة ! قررت تأجيل زفافها ! لا يفصلنا عن ليلة الزفاف غير ليال معدودة "

صمت ، و لم أعقب.

قالت:

"ألن نفعل شيئاً؟؟"

قلت:

"دعيها هي تفعل ما تريد"

تعجبت و استاءت في آن واحد ، و قالت:

"تعني أن الأمر لا يزعجك؟؟"

"ليس للحد الذي تتوقعين ... لا أريد أن يضطرها أحد لفعل مالا تريد"

"لكن الزفاف بعد أيام ! سامر مستاء جدا ... إنه مشتعل كالبركان"

شعرت بالضيق ، قلت:

"هل تحدّثتِ معه؟"

"لم أكد ، تحدّثتُ مع رغد ، ثم جاء و طلب منّي تركهما بمفردهما" ...

انزعجت من الفكرة ، قلت:

"أين؟"

"في غرفتها"

تركت الأكياس التي كنت أحملها تنساب من يدي و ذهبت إلى هناك.

عندما اقتربت من الباب ، سمعت صوت أخي .

كان يتحدث بعصبية ... أصغيت فإذا بي أسمع رغد يتحدث باكية .

لم أحتمل ، طرقت الباب و قلت بحدة :

" سامر "

ثوانٍ و إذا بالباب ينفتح و يخرج أخي .

كان مكفهر الوجه مقطب الحاجبين متورم الأوردة .

" نعم ؟ "

نظرت إلى ما ورائه فرأيت رغد ، و وجهها الكئيب المبلل بالدموع .

قلت :

" أرغب في التحدث معك "

" فيما بعد يا وليد "

ألقيت نظرة أخرى على رغد فطأطأت الأخيرة برأسها بأسى و استسلام . قلت :

" الآن يا سامر "

قال بعصبية :

" ألا ترى أنني مشغول بالنقاش مع خطيبتي ؟ "

و مجرد نسبها إليه يحرض شياطين رأسي على الشر و القتال .

قلتُ و الدماء تصعد إلى وجهي و النار تشتعل شيئاً فشيئاً:

"حسنا ، لكن ... بهدوء ... لا أريد لأي دمعة أن تراق"

و انصرفت.

بقيتُ جالسا على مقربة ... أضرب أخماسا بأسداس ... و أشد قبضتي و أرخيها بين فينة و أخرى

بعد قرابة الساعة ، سمعتُ الباب يفتح فنهضت مسرعا ... رأيت سامر يمشي أمامي فلما رأني قال:

"سوينا الأمور"

قلتُ بذهول و خوف:

"ماذا تعني؟"

قال:

"سنتم الزواج كما خططنا له"

أدق الشعيرات الدموية في وجهي أحسست بها تتفجر فجأة.

قلت:

"و رغد؟؟"

قال:

"أقنعتها"

قلت:

"أقنعتها؟؟ أم أجبرتها؟؟"

قال بعصبية:

"اذهب و اسألها لتتأكد بنفسك"

سرت من فوري نحو غرفة رغد . طرقت الباب و قلت:

"أنا وليد"

لم أسمع جوابا . قلت:

"أ أدخل؟"

"نعم"

سامر كان يقف خلفي .

فتحت الباب و رأيت رغد تجلس على السرير تخفي نظرها تحت قدميها .

قلت:

"صغيرتي"

ترددت قليلا ثم رفعت رأسها و نظرت إلي . كنتُ أرى في عينيها نظرات الخوف و الاستسلام . ربما هذا ما جعلها تتردد في النظر نحوي . قلت:

"هل كل شيء على ما يرام؟"

نظرت نحو سامر ثم نحوي و قالت:

"نعم"

لم أرتح للإجابة مطلقا ، قلت:

"و الزفاف؟؟ نؤجله أو نقيمه؟"

قالت:

"نقيمه"

صمت برهة ثم قلت:

"أ واثقة من ذلك ..؟ أخبريني بما تريدينه أنتِ لا ما يريد سامر و الجميع"

رغد نظرت نحو سامر ثم قالت:

"نعم . واثقة"

قلت:

"إذن لماذا أخبرتني بأنك لستِ مستعدة للزواج الآن؟؟ لماذا غيرت رأيك بهذه السرعة؟؟"

لم تجب . قلت:

"هل يجبرك سامر على شيء؟"

سامر قال بعصبية:

"و لماذا أجبرها؟ برّيك يا وليد دع الأمور تسير كما هي"



التفت إليه و قلت:

"ابتعد أنت ، و دعني أتحدث معها بحرية "

قال:

" بل ابتعد أنت ، لاحظ أنك تتحدّث إلى خطيبتي أنا "

هيجتني الكلمة مرة أخرى و أيقظت من كان نائما من شياطيني ... قلت بانفعال:

"ابتعد يا سامر و لا تدعني أفقد أعصابي من جديد "

و التفت إلى رغد و قلت:

" اسمعي يا رغد ، لن يحدث شيء لا تريدينه أنت . إياك و الخوف من شيء . فإن كنت ترغبين في تأجيل الزواج فأخبريني الآن بصراحة ... هل تريدين الزواج الآن أم أنك مضطرة إليه ؟؟ "

رغد طأطأت برأسها من جديد و أخفت وجهها خلف يديها و أجهشت بكاءً .

ثار جنوني و أنا أراها هكذا ... التفت نحو سامر الذي لا يزال يقف خلفي و قلت:

"لن يقام هذا الزفاف و أنا حي أرزق "

سامر صاح بعصبية:

"وليد لا شأن لك بهذا "

"لن أسمح لأحد بأن يرغم صغيرتي على شيء مطلقا "

"من قال أننا نرغمها ؟؟ "

و التفتت نحو رغد و قال بعصبية:

"هل أنا أرغمتك؟؟ أخبريه"

رغد وقفت و أولتنا ظهرها و صاحت:

"دعاني و شأني . سأفعل ما تريدون جميعا . دعوني وحدي"

قلت :

"أ رأيت؟"

سامر دخل الغرفة و اتجه نحوها و أمسك بكتفيها و أدارها باتجاهنا و هو يقول:

"واجهينا يا رغد ... قللي له أنك قررتِ ذلك و لم يجبرك أحد"

رغد قالت بعصبية:

"بل أجبرتموني"

حملقنا كلانا فيها ، و قال سامر:

"من أجبرك؟"

قالت:

"كلكم . و إن ليس بشكل مباشر. ليس أمامي إلا الرضوخ لقدري . لما تريدون أنتم جميعا .. لما

تخططون أنتم جميعا .. كلكم"

أنا و سامر تبادلنا النظرات الحادة...

قال:

"إذن فأنتِ لا تريدين الزواج الآن؟؟"

قالت بعصبية وهي تصرخ في وجه سامر:

"لا ... لا ... لا"

كان سامر يمسك بكتفيها ، لكن يده تحركت الآن ... و فجأة سددت صفة إلى وجهها ... أمام عيني ...

ربما لم يكن في الصفة من القوة ما يحدث الألم الجسدي بمقدار ما كان فيها من إيلام معنوي ...  
صاحت صغيرتي:

"آي"

و وضعت كفها على خدها المتألم...

أنا .. أرى صغيرتي .. مدلتني .. حبيبتي رغد .. تتلقى صفة على وجهها من يد كائن بشري ... أي  
كان .. أمام عيني هاتين؟؟

"سامر ! أيها الوغد ... كيف تجرؤ؟؟"

و قبل أن أدع له الفرصة حتى ليالتفت إلي قفزتُ قفزة واحدة باندفاع إليه و انقضت عليه ، و  
ووجهت لكمة قوية فتاكة نحو وجهه...

تلاها سيل متواصل من القذائف التي أشبعت بها جسد أخي من رأسه حتى إخمصي قدميه ...

الرغبات التي كبتها في صدري منذ الطفولة و حتى الآن ... و لم أجرؤ على التعبير عنها خرجت كلها  
من داخلي دفعة واحدة...

ضربته بوحشية و عنف لم أضرب بهما سواه ، و لم أضرب بهما مثيله منذ سنين

صرت أرفع فيه و أخفض ... و أهز و أرمي ... و ألكم و أرفس .. و ألوي و أثنى .. و أمارس كل أنواع الضرب المبرح التعذيبي الذي تلقيته في السجن على أيدي العساكر ... في جسد أخي...

جن جنوني و لم أتمالك نفسي .. لم أملك منعها أو إيقافها ... ضربت و ضربت حتى أصاب عضلاتي الإعياء و تصبب العرق من جسدي كله ... و نفذ الهواء من غرفة رغد فما عدت بقادر على التنفس...

و لم يكن أخي يقاوم أو يدافع ... بل استسلم لضرباتي.. لا أدري أمنعه من صدها الذهول أم العجز؟؟

لم أنته من درس الضرب هذا إلا بعد أن فرغت شحناتي كلها .. و تطايرت شياطيني من رأسي واحدا بعد الآخر...

يदाي كانتا تطوقان عنقه بينما كنت أجتو على صدره ... أكاد أخنقه...

لا أعرف ما الذي جعلني أتوقف...

قلت و أنا أشد الضغط على عنقه تارة و أرخي قبضتي تارة:

"ألا تعرف ما الذي أفعله بمن يتجرأ على إيذاء صغيرتي ...؟؟"

شددت الضغط و سامر ينظر إلي بفزع و خوف ...

قلت:

"أقتله" ...

و تراءت لي صورة عمّار و هو يبتسم ابتسامته الأخيرة للعالم ... قبل أن أكسر جمجمته بالصخرة...

حررت عنق أخي من قبضتي فجأة ... و نهضت كالمجنون ... أتلفت يمينا و يسارا ... كأنني أبحث  
عن عمّار ... خيّل إلي أنه معي الآن...

لكن عينيّ وقعتا على أربع أعين تنظر إلي بذعر و فزع و ذهول

اثنتان منها تخصان أختي دانة ، و الأخريان المغمورتان بالدموع هما عينا صغيرتي المذعورة رغد...

مشيت نحو رغد ، فسارت هي للوراء خوفا ... حتى اصطدمتُ بالجدار...

و لما صرتُ أمامها مباشرة قلت:

"زواجك من هذا المخلوق منته تماما ، و إن حاول أي شخص إرغامك على أي شيء ، فويل له مني  
"

خرجت بعد ذلك من الغرفة و من المنزل و إلى الفناء الخارجي ... أفرغ ما تبقى من غضبي في السجائر  
...

بعد قرابة الساعة و النصف حضرت السيدة أم حسام لزيارة رغد.

~ ~ ~ ~ ~ ~ ~

كنت أعلم أن الأمر لن ينتهي بسلام.

ها قد أقيمت خالتي و تعقدت الأوضاع أكثر فأكثر...

خالتي تحدّثت مباشرة إلى سامر و قالت له أن أقل ما يجب فعله هو تأجيل موعد الزفاف حتى تستقر الأمور.

سامر و الذي كان مثخنا بالكدمات محمر الوجه متهيج الأعصاب طلب منها بنبرة حادة ألا تتدخل ، إلا أن خالتي قالت:

"لن أدعكم تتحكمون في مصير ابنتي كيفما شئتم"

ثم نظرت إليّ و قالت:

"سأخذها معي إلى أن تعود أم وليد و نضع حدا لهذا الزواج"

سامر اعترض و كذلك دانة ، إلا أنني تشبثت بخالتي و خرجت معها رغم ذلك.

حين كنت أعبّر الفناء الخارجي وجدت وليد هناك..

قال:

"إلى أين؟"

خالتي تولت الإجابة:

"سأخذها معي لبعض الوقت"

لم أر في عيني وليد أي اعتراض ، فخرجت معها ...

في غرفة نهلة ذرفت الكثير من الدموع و أنا أروي لها ما حدث و أصف الهجوم الوحشي الذي قام به

وليد ... و أرعيني .

"كنت أعرف أن هذا ما سيحدث ... الآن أنا أحدثت شرخا في العائلة ... ماذا سيفعل والداي حين يعودان؟؟ أنا نادمة على تهوري ... كان يجب أن أرضخ لقدري " ...

"يكفي يا رغد ... أنت لم ترغبي في الزواج منه ، هذه الحقيقة إذن دافعي عنها"

قلت:

"لأجل ماذا أذافع عنها؟ ماذا سأريح إن تخلصت من سامر و جعلت الجميع يتخذ مني موقفا معاديا؟ ثم ماذا؟ هل تتخيلين كيف سأعيش بينهم و قد حصل ما حصل؟"

"ابقي معنا هنا"

"مستحيل ... عمي هو ولي أمري ... إنه أبي و لا يمكنني العيش في غير بيته "

"ستعيشين في بيت زوجك" !

"أي زوج هذا؟؟"

"الذي تحبين" !

قلتُ بألم و يأس:

"و هل تعتقدين أنه بعد أن أنفصل عن أخيه سيكون من الطبيعي أن أرتبط به هكذا ببساطة ! أم هل تظنين أن وليد يفكر بي؟"

"إذن لماذا ساندك في موقفك؟"

"لأنه يشعر بالمسؤولية تجاهي .. كما لو كنت واجبا عليه تأديته لا أكثر" ...

و هي حقيقة مرة أتجرعها لحظة بعد لحظة ... رغما عني.

ساعات طويلة قضيتها في التفكير ... إلام سيؤول أمري بعد الذي حصل ؟

و كلما تخيلت الوحشية التي طغت على وليد هذا الصباح شعرت بالخوف و الفزع .. أهذا هو ابن عمي  
الذي كنت أعرف ؟؟

أهذا هو الرجل الذي أحببت ؟

إنني حتى لا أجرؤ الآن على مجرد النطق باسمه ...

عندما عدتُ إلى البيت في المساء لم يكن هو موجودا ، استقبلتني دانة بوجه عابس مليء باللوم و  
العتاب ...

قالت:

" هل أنت راضية عما فعلتِ ؟ أي جنون هذا الذي أصابك ؟ "

كنت أريد الهروب منها إلا أنها لحقتني و تابعت كلامها بكل إصرار و قسوة:

" رغد اخبريني ماذا جرى لك ؟ إن سامر حزين جدا فهل يرضيك هذا ؟ ألا تشعرين بما يحس به ؟  
ألا تعلمين أنه متلهف للزواج منك منذ زمن ؟ إنه يحبك بجنون .. أنتِ خالية من المشاعر تماما  
كالجدار الذي خلفك "

قلت بعصبية:

" حلِّي عني ! اتركوني و شأني "

" لا لن أدعك و شأنك و أنا أراك تحطمين أخي بهذا الشكل . ستتزوجين منه و ينتهي الأمر كما



رسمنا له "

قلت:

" و ماذا عن مشاعري أنا؟؟ ألا يحق لي الزواج من الرجل الذي اختاره؟ "

نظرت إلي دانة بدهشة و قالت:

" ماذا تقصدين؟؟ أنك لا تريدين أخي؟ "

التزمت الصمت ، قالت:

" لا تحبين أخي؟؟ "

قلت بانفعال:

" بلى أحبه ... تماما كما تحبينه أنتِ .. كأخي الذي تربيته معه ... فهل علي أن أتزوج من أخي  
؟؟ "

دانة بدت مذهولة و قالت بتردد:

" رغد ... ما الذي تعنيه؟؟ أتعنين أنك ... تحلمين بالزواج من شخص آخر؟؟ "

فاجأني سؤالها و أربك تعبيرات وجهي ، ما جعل الشكوك تكبر في رأسها ...

صمتت برهة ثم قالت:

" لقد فهمت ... فهمتك أيتها الخبيثة ... إذن فقد أقنعتك خالتك و عائلتها ... تبا لكم جميعا "

لم استطع قول كلمة بعد .. بقيت أحملق في دانة بذهول و تشتت ، أما هي فقالت:

" سأخبر والدتي بكل شيء ... سترين "

و تركتني و انصرفت.

لازمت غرفتي لبعض الوقت ثم ذهبت إلى غرفة سامر ... حينما طرقت الباب و ذكرت اسمي لم يأذن لي بالدخول ... إلا أنني فتحت الباب و تركته نصف مغلق .. و تقدّمت إلى الداخل .

سامر كان يجلس على كرسي مكتبه في شرود و حزن ... حينما وقعت عيناه علي رأيت فيهما بحرا من الآهات و الألم...

سامر نهض و وقف ليواجهني ، كنت أعرف أنني لا أستطيع مواجهته .. إلا أنني لا أستطيع أيضا تركه هكذا ..

تقدم سامر نحوي و قال بصوت كئيب:

"لماذا يا رغد؟"

لم أقوَ على إبقاء عيني مركّزتين في عينيه بل هويت بهما نحو الأرض في خجل و خذلان .. و شعور بالذنب و الإثم...

اقترب مني أكثر و أمسك بوجهي و رفعه إليه ليَجبرني على النظر إليه .. و قال:

"أخبريني .. لماذا ؟ هل فعلت ما ضايقتك مني ذات يوم؟"

هززت رأسي نفيا ... أبدا ... مطلقا ... كلا .. إنه لم يكن هناك من يهتم بي و يحرص على مشاعري و يحسن معاملتي بمقدار ما كان سامر يفعل..

قال:

"إذن لماذا ؟ أن .. تؤجلي الزفاف ربما بعد عسر كبير أجد له مبررا أو آخر .. أما أن .. أن .. تهدمي جسر الوصل بيننا هكذا فجأة .. فجأة و دون سابق تلميح .. و تعلني أنك أجبرتِ علي

الارتباط بي .. و أنك لم ترغبي في ذلك يوما .. بعد كل هذه السنين يا رغد .. بعد كل هذه السنين ..  
فهذا ما لا أستطيع أن أجد له أي تفسير أو سبب مهما فتشت .. لماذا أخبريني؟؟"

فاضت الدموع من عيني جوابا على سؤال لم يعرف لساني له إجابة .. سامر أخذ يمسح دموعي .. و  
قال بعطف:

"أنا آسف لما حصل هذا الصباح .. كنت مجنوناً .. سامحيني"

أغمضت عيني إشارة إلى أنني قد نسيت الأمر .. و حين فتحتهما رأيت لمعان دموعه محبوسة في عين  
سامر المشوهة .. يخشى إطلاق سراحها..

قال:

"لا تفعلي هذا بي يا رغد .. تعلمين كم أحبك" ..

و طوّقني بين ذراعيه بعاطفة حميمة ...

فتحت المجال أمام سامر للتعبير عن مشاعره ، و بقيت أسيرة بين ذراعيه فترة من الزمن .. لم أتحرك  
إلا حين سمعت صوتاً قادماً من ناحية الباب فالتفت كما التفت سامر .. و رأينا وليد يقف هناك.

لا أستطيع أن أصف لكم النظرات الوحشية المرعبة التي كان يرمينا بها .. لقد كنت أشعر بها تلسعني  
و تحرقني ..

تقدّم خطوة بعد خطوة ، تكاد خطواته تهز الأرض من قسوتها .. كان الشرر يتطاير من عينيه و هو  
يحملق في سامر و يعض على أسنانه ..

شعرت بالخوف .. تراجع للوراء .. اختبأت خلف سامر .. امتدت يدا وليد و أمسك بتلابيب سامر  
بعنف و قال:

"قلت لك لا تحاول استدراج تعاطفها ثانية .. حدّرتك من الاقتراب منها حتى يعود والدي .. ألم  
تفهم ؟"

ثم سحبه و دفع به نحو الجدار ..

سامر رفع رجله و سدّد ركله بركبته إلى وليد ، فقام هذا الأخير بلكم سامر بعنف على خدّه المشوه..

وليد قال و هو يلصق سامر بالجدار بقوة:

"لن أسمح لرغد بالزواج منك .. أفهمت ؟ لا تستحق رجلا مشوها مثلك"

قال سامر:

"نعم ، فالأفضل لها الزواج من القتلة المجرمين"

و ما إن قال سامر ذلك حتى تحوّل وليد إلى وحش .. نعم وحش .. فهو أقل وصف يمكنني نعته به ..

صرخت :

"توقفا"

إلا أن الاثنين دخلا في عراق مميت...

أسرعت أجري بحثا عن دانة .. فوجدتها في غرفتها تتحدث إلى خطيبها .. صرخت:

"أسرعي دانة .. يتقاتلان مجددا"

دانة تركت السماع و جاءت تركض معي..

حاولنا التدخل لفض العراك الجنوني إلا أننا فشلنا تماما .. و أخذت كل واحدة منا تصرخ من جهة

دون جدوى..

يد الغلبة كانت بطبيعة الحال لوليد الذي كان يفوق سامر بدانة وبنية و قوة ..

استمر العراك فترة من الزمن .. كنت أصرخ و أنا أبكي

"توقفا .. يكفي "

إلا أن أحدهما لم يكن ليستجب لي...

قلت:

"أنا سأتزوج من سامر .. سأفعل ما تريدون .. هذا يكفي .. يكفي "

إلا أن ذلك لم يزد الحرب إلا وطيسا..

دانة التفتت نحوي و صرخت بوجهي:

"هذا كله بسببك أنت .. أيتها اللعينة رغد ابتعدي عن وجهي الآن "

و دفعت بي نحو الخارج عنوة..

ركضت أنا نحو غرفتي و جعلت أبكي بصراخ .. و أنادي أمي و أبي ..

~ ~ ~ ~ ~

لو لم يكن أخي .. ابن أمي و أبي .. شقيقي .. من تجري دماؤه في عروقي و يختزن حبه في قلبي ..

لكنت قضيت على هذا الرجل المشوّه الذي كان يعانق رغد قبل قليل  
و أرسلته إلى العالم الآخر..

لقد جنّ جنوني .. و فقدت أدنى معاني الرأفة و الإنسانية .. و أوسعته ضربا أشد و أقسى و أعنف من  
الدرس الذي لقنته إياه صباح هذا اليوم..

إنه جزاء من يقترب من صغيرتي أنا..

نعم ، إنها فتاتي أنا .. و لن أسمح لأي رجل مهما كان .. بأن يقترب منها مسافة تقل عن ميل كامل  
.. من الآن فصاعدا

لقد كانت دانة تقف قربنا محاولة حشر نفسها بيننا و لو لم أسيطر على نفسي لدفعتها بقوة هي  
الأخرى..

إنني الآن في أشد لحظات عمري جنونا و ثورة .. و إن يقع في يدي أي سلاح ، فسأفتك بكل من  
يعترضني بدون تفكير..

و الشيء الذي وقع في يدي كان مجرد علبة حديدية وقعت من على المكتب أثناء عراكننا...

كنت مطبقا على سامر الواقع على الأرض ، و عائقا إياه عن الحركة .. بثقل جسمي الضخم..

رفعت يدي بما حملت ، بالأداة الحديدية على أهبة ضرب رأسه بها..

سامر كان يحاول التملص مني دون جدوى ، و ينظر إلى العلبة الحديدية و يصرخ

"ماذا ستفعل يا مجنون؟"

قلت:

"سأحطّم جمجمتك .."

قال بذعر:

"وليد ... ستقتلني؟"

دانة أقبلت مسرعة و أمسكت بذراعي تعيقني عما كنت بجنون مقدا عليه ...

تركتُ العلبة تسقط من يدي ...

و قلتُ مهدداً أخي:

"سأقتلك .. إن حاولت الاقتراب منها ثانية" ..

و ألصقتُ رأسي برأسه و قلت:

"أنا لم أقتل ذلك النذل .. و أضيع من عمري كل تلك السنين مرميا في السجن .. و أخسر ماضي و مستقبلتي ... لأخرج و أراك تتزوج من صغيرتي رغما عنها .. و إن حاولت الاقتراب منها ثانية .. فسأرسلك إليه .. لأن هذا هو جزاء من يؤدي صغيرتي بأي شكل من الأشكال .. أفهمت يا سامر؟ سأقتلك .. و أقتلكم جميعا إن تجرأتم على إيذاء صغيرتي و لو حتى بمجرد الكلام.. أفهمت؟؟"

و سددت إلى وجهه اللكمة الأخيرة .. ثم نهضت..

ترنحت في مشيتي من شدة الإعياء .. و توجهت نحو الباب سائرا على غير هدى

وقعت عيناى على دانة التي كانت تنظر إلي بذهول و فزع ...

قالت و حدقتا عينيها مفتوحتان لأقصى حد:

"وليد .. ما الذي تقوله؟؟"

قلت مزمجرا:

"نعم .. في السجن .. و لن يهمني العودة إليه إذا ما تعلق الأمر برغد .. و لن أسمح لأحد بإجبارها على الزواج من شخص لا تريده .. و لن أدع أي رجل يتزوج منها إلا إذا أخبرتني هي بأنها هي ترغب في الزواج منه و تريده ... مفهوم؟؟"

و خرجت من الغرفة تاركا المذهول مذهولا ... و المجروح مجروحا ... و المحطم محطما...

ذهبت رأسا إلى غرفة رغد و التي قفزت مذعورة ما أن رأتهني ... و صارت ترتجف بخوف ...

لحظتها فقط أدركت أنني خرجت من طوري .. و أنني لم أكن في وعيي و رشدي .. و أنني شوّهت أي صورة حسنة يمكن أن تكون لا تزال باقية في رأس رغد عني..

قلت:

"رغد"

سماعها لكمتي جعلها تنتفض خوفا .. ربما كان صوتي مرعبا .. ربما كان شكلي مفزعا .. ربما كنت أشكل بالنسبة إليها هذه اللحظة مصدر روع و وجل..

وقفتُ متسمرا في مكاني أراقب صغيرتي المذعورة ..

سمحت للأرض التي تلامس قدميَّ بامتصاص الباقي من غضبي و ثورتي و تنفست أنفاسا عميقة تطرد الشر من صدري .. و أرخيت ما كنت أشده من الأعصاب و العضلات .. و قلت بصوت حاولت جعله حنونا بقدر ما أمكنني في ساعة الوحشية تلك:

"صغيرتي رغد .. لا تفزعي مني .. أنا آسف"

لكن القشعريرة و الرعدة لم تفارقا يديها و فكها الأسفل..

قلت بألم:



"آسف لإرعابك يا رغد .. أرجوك لا تفزعي مني .. أخبريني فقط بما تودين مني القيام به و أنا رهن إشارتك "

رغد تكلمت بارتجاف قائلة:

"دعني وحدي"

وقفت لحظة في مكاني عاجزا على تحريك قدمي ، بعد كل تلك القوة التي أفرغتها في بدن شقيقي...

قلت:

"سامحيني يا رغد .. أنا وليد كما تعرفيني"

قالت:

"أنت لست وليد .. غادر غرفتي .. دعني وحدي"

آلمني طلبها هذا فقلت بانكسار:

"كما تأمرين .. سأخرج لكنني سأعود .. و سأفعل أي شيء ترغبين فيه بنفسك .. حتى و إن رغبت الزواج من سامر مجددا .. لكنني متى ما شعرتُ بأن أحدا يضطرك لفعل ما لا تريدين .. فلن أبقى مكتوف اليدين مطلقا "

و غادرت غرفة رغد بل و المنزل أيضا ...

عندما عدت إلى هناك ، كان ذلك في عصر اليوم التالي و رأيت سيارة نوّار عند باب المنزل إلا أن سيارة سامر لم تكن موجودة.

حينما دخلت ، وجدته و دانة يجلسان في غرفة المعيشة ...

ألقيت التحية ، فرد نوار بينما أشاحت دانة بوجهها عني.

سألت:

"أين سامر؟"

لم تجب ، فرد نوار:

"عاد إلى شقته"

سألت:

"متى غادر؟؟"

قال:

"اعتقد عند الظهر"

قلت موجهها كلامي إلى دانة:

"و أين ابنة عمك؟"

لم تجب..

كررت سؤالي:

"أين ابنة عمك يا دانة؟؟"

التفتت إلي دانة بغضب و قالت:

"لو سمحت .. لا تتحدّث معي بعد الآن "

نوّار بدا محرجا و قال بصوت خافت:

"دانة .. أعصابك!"

إلا أن دانة صرخت:

"أنا بريئة من هذا الرجل و لا أريد أن يتحدّث معي من الآن فصاعدا "

تركتهما و ذهبت لأفتش عن رغد.

لم أجدها في أي مكان ، فعدتُ إليهما مجددا و سألت:

"أين ابنة عمك؟"

لم تجبني دانة ، فتدخّل نوّار قائلا:

"أظن أنها ذهبت إلى بيت أقاربها ... فقد جاء حسام قبل فترة و اصطحبها معه"

انزعجت من ذلك ، و قلت:

"وحده؟"

قالت دانة بحدّه:

"نعم وحده . اتصلت به و طلبت منه الحضور ليأخذها إلى بيته .. ماذا بعد؟"

قلت:

"لمَ لم تنتظري؟"

قالت دانة بعصبية:

"و لماذا عليها أن تنتظر؟ لقد ذهبت مع ابن خالتها و انتهى الأمر"

قلت بغضب:

"دانة .. كيف تتركينها تخرج هكذا؟"

قالت بنفور:

"و هل كنت تنتظر مني أن أذهب معهما أم ماذا؟؟"

ثم أضافت:

"ليس عليك أن تقلق فهي في المكان الذي تحب التواجد فيه .. مع أحبائها"

قلت:

"إلام تشيرين؟؟"

قالت بنفاذ صبر:

"ماذا؟؟ ألم تخبرك أيضا بأنها تخلت عن شقيقي و سببت كل هذا من أجل ابن خالتها العزيز؟  
فلتشبع به إذن"

فوجئت .. ذهلت .. أصبت بالهول لدى سماعي ما قالت دانة .. و انفجر فوهي عن كلمات مبعثرة:

"من؟ ماذا؟ ما الذي تقولينه؟"

دانة عضت على أسنانها و شدت على قبضتيها و قالت حانقة:

"اللعينة .. لن أسامحها على ما فعلت بأخي أبدا .. لن أسامحك أنت أيضا .. عسى الله ألا يوفّقها في الزواج ممن حطّمت قلب شقيقي من أجله ... أبدا ... أبدا يا رب"

الحلقة الرابعة والعشرون

\*\*\*\*\*

كلما تذكّرت الدمعة الحبيسة في عين سامر، التي كاد يطلقها لحظة عناقنا الأخير.. تفجرت عوضا عنها عشرات الدموع من محجري.

لم يكن ما فعلته شيئا يغتفر.. إنه سامر رفيق الطفولة و الصبا و المراهقة.. إنه أعز إنسان لدي.. لكنه ليس الأحب..

في صباح اليوم، عندما رأيته.. تلوّت أمعائي و أصابني مغص شديد مفاجئ للكدمات التي شوهت ما لم يكن مشوها من جسده النحيل .

حين حاولت التحدّث إليه لم يرد علي، حتى بدأت أفنع نفسي بأن اللكمات التي تلقاها فكه قد أعجزته عن النطق، إلا أنه تحدّث مع دانة التي انفردت به مطولا في غرفتها.

بالتأكيد كان حوارهما يدور حولي و حول ما سببته من مشكلة معقدة بغبائي و تهوؤري...

و كل هذا، لأنني اكتشفت أنني أحب وليد!

أحب رجلا وحشا مفترسا... لم يسبب لي منذ ظهوره في حياتي من جديد غير الألم و المعاناة ...

و لو استهلكت كل كلمات الندم الموجودة على وجه الأرض، ما كفاني ذلك لأعبر عما أشعره هذه اللحظة من الذنب...

الآن، أنا فتاة طائشة ناكرة للجميل و المعروف، حطمت قلب الرجل الذي يحبها و يتلهمف لإسعادها، من أجل رجل لم تعرف عن حقيقته شيئا أكيدا، غير أنها تحبه.. وتتمناه.. و حينما يعود والداي، و يرحل وليد، كما رحل سامر، فإن كل شيء سينتهي.. و أفقد عائلتي.. و أعود يتيمة وحيدة كما قدمت إليهم قبل ١٥ عاما...

بين الفينة و قرينتها تجيء ابنة خالتي نهلة لتتفقدني، فتراني كما تركتني.. أهيم في أفكار بائسة لا نهائية.. في ضياع و تشتت .

كنت أحاول النوم على سريرها، إذ أنني قضيت الليلة الماضية ساهرة سهر النجوم.. وحيدة وحدة القمر.. باكية بكاء المطر.. تعيسة تعاسة السواد المخيم على السماء.. تتلاعب بي الأفكار تلاعب الرياح بورقة شجر صفراء جافة.. فقدت فرعها و أصلها و جذرها و تاهت في صحراء لا نهاية ل.. و لا بداية.

"أما زلتِ مستيقظة؟"

سألتنني نهلة و القلق الشديد يملكها و يحول وجهها البشوش الصريح إلى مغارة من الغموض و الحيرة..

قلت:

"أنى لعيني النوم يا نهلة، و قد فعلتُ ما فعلت ؟ .. غدا مساء سيعود والداي.. ماذا أقول لهما ؟ يا إلهي لا أريد أن أريهما وجهي " ..

"هوني عليك يا رغد، لست أول و لا آخر فتاة تحل ارتباطها من خطيبها بعد سنين من الخطوبة ! لا عليك يا ابنة خالتي.. هل تعتقدين أنهم سيتردونك من المنزل مثلا من جراء فعلتك هذه؟؟"

قلت:

"لا أستحق العيش تحت كنفهم بعد الآن... بل لا أجرؤ على العودة إليهم ! أوه لو رأيت الطريقة التي خاطبتني بها دانة هذا اليوم" ..

و تذكرت كلماتها القاسية التي وجهتها إلي بعد مغادرة سامر، مكسور الخاطر...

قالت نهلة:

"و منذ متى كانت طيبة معك ! إنها دائما قاسية عليك، دعك منها.. لكن عندما تعود أمك يا رغد، أخبريها بحقيقة الأمر.. أخبريها أنك لم تحبي سامر يوما و أنك... تحبين وليد!"

قلت بأسى و اعتراض:

"مستحيل ! لا يمكن أبدا... و لا بشكل من الأشكال ! كيف يا نهلة كيف؟؟ و ماذا سأجني من قول هذا ؟ أم تظنين أنها ستقول : لا بأس ، ننقلك من سامر إلى وليد ، بهذه البساطة؟؟"

و جعلت أندب حظي الذي أوقعني في مأزق كهذا ..

"ليته لم يسافر و يتركني.. ليته لم يعد ! ليتني أستطيع التوقف عن التفكير به ! ليته يحس بي... ليت معجزة سماوية تجعله يرتبط بي و تجعل سامر ينساني.. ليته يختفي من حياتي و قلبي.. ليته يظهر الآن و ينتشلني من كل هذا" !

و حشود من الأمنيات تمنيتها في عجز عن تحقيق أي منها... أو حتى تخيل تحقيقها.. إلا أن واحدة منها تحققت فورا !

طرق الباب هاهنا و دخلت سارة و قالت:

"قريبك الكبير أتى يا رغد"

نظرت نحو سارة بقلق مفاجيء و انعقد لساني ، فتحدّثت نهلة بالنيابة و قالت :

"من تعنين سارة؟؟"

قالت:

"وليد الطويل!"

أنا و نهلة تبادلنا النظرات ذات المعنى ، ثم قلت:

"ماذا يريد؟؟"

سارة قالت وهي مبتهجة:

"سأل أولا عن والدي و أخي ، و كلاهما غير موجود ! ثم قال : ( هل ابنة عمي رغد هنا ؟ ) قلت ( نعم ) قال : ( هل لا استدعيتهما من فضلكِ يا آنسة؟).. قال عني آنسة!"

و بدت مسرورة بهذا الاكتشاف العظيم ! إنها آنسة ! ما أشد فراغ رأس هذه الفتاة!  
يبدو أنها المرة الأولى التي تسمع فيها أحدا يطلق عليها هذا اللقب!

قلت:

"أين هو؟"

قالت:

"في الخارج ! عند الباب"

نظرت إلى نهلة و قلت:

"لا أريد العودة إلى البيت.. لابد أنه جاء لاصطحابي إلى هناك. لن أذهب"



و سرعان ما كانت سارة على وشك الذهاب إليه و هي تقول:

"سأخبره بذلك"

نهلة صرخت:

"انتظري سارة ! ما بالك ما أن تلتقط أذنك كلمة حتى أسرع لسنك ببثها ؟ اذهبي و أخبري أمي عن قدومه حتى تتصرف" !

و انصرفت سارة مذعنة للأمر ! و بكل سرور!

بعد ثوان حضرت خالتي، و قالت:

"سأذهب للتحدث إليه، لا تقلقي"

إلا أن قلقي بدأ يتضاعف هذه اللحظة...

ذهبت خالتي ثم عادت بعد دقيقتين تقول:

"يرغب في التحدث معك، تركته واقفا في الحديقة"

هممت بالنهوض، فقالت:

"ما لم ترغب في ذلك فسأصرفه"

قلت:

"لا داعي خالتي. سأصرفه بنفسه"

و تلوتُ بعض الآيات في صدري لتمنحني القوة على الوقوف أمامه من جديد!

في الحديقة الصغيرة الأمامية للمنزل ، وجدت وليد واقفا على مقربة من الباب. سرت إليه أجر قدميّ جرا... في خوف و اضطراب.

كنت أعلم أن خالتي و ابنتيها يراقبني من النافذة !

حينما صرتُ أمامه ، بادر هو بإلقاء التحية ، ثم سألني:

"أ أنت بخير؟؟"

إنه سؤال عادي جدا يتداوله الناس عشرات المرات في اليوم لعشرات الأسباب ، إلا أنني احتجت وقتا قياسيا للتفكير في الإجابة !

هل أنا بخير؟؟

لما رأى وليد ترددي و حيرتي قال:

"تبددين بحال أفضل" ..

نطقت لا إراديا بصوت خفيف:

"نعم"

قال:

"هل نعود إلى البيت إذن؟؟"

هنا تحدثتُ بصوت عال مندفع:

"لا" !

فوجيء وليد بردي فقال:

"لم ؟ إنها الثامنة ..هل تودين البقاء أكثر؟؟"

قلت:

"نعم"

"إلى متى ؟ تأخر الوقت ، دعينا نعود فقد تركتُ دانة وحدها"

"لا" !

بعد وهلة واصل وليد كلامه:

"هل تنوين المبيت هنا؟؟"

"نعم"

"هذه الليلة فقط؟"

"لا"

"كل ليلة؟؟"

"نعم"

"أتمزحين؟؟"

"لا"

"إذن فأنت جادة؟؟"

"نعم"

"و هل تظنين أنني سأسمح بهذا؟"

"لا"

لم أكن أنظر إلى وليد بل إلى الحشيش الأخضر المغطي للأرض... في تشتت.. لكنه حين قال:

"لا أم نعم؟؟"

انتبهتُ لسؤاله الأخير، و لجوابي الأخير... و رفعت عيني إليه بارتباك و قلت:

"نعم.. أعني بالطبع نعم"

قال:

"بالطبع لا"

كانت نظرتة مليئة بالإصرار.. ، قال:

"فلنعد إلى البيت يا رغد"

قلت:

"لا"

قال:

"أليس لديك تعليق غير نعم و لا ؟ دعينا نذهب الآن لأنني لا أريد ترك دانة بمفردها أطول من هذا"

"لا أريد العودة، سأبقى هنا"

"لماذا؟"

"أريد البقاء مع خالتي.. أريد بعض الهدوء و الطمأنينة بعيدا عنكم"

يبدو أن كلماتي قد ضايقته وليد لأن تعبيرات وجهه الآن تغيرت .. قال:

"غدا سيعود والداي و نضع حدا لكل شيء. ستسوى الأمور بالشكل الذي تريدينه أنتِ .. لا تقلقي و لا تضطري نفسك للتوضيح" ..

قلت:

"لكن سامر لا يستحق.. لا يستحق ما سببته له ، و لا ما فعلتَ أنتِ به.. مسكين سامر" ..

و حتى تعاطفي مع سامر أزعجه و زاد من حدة تعبيرات وجهه الغاضبة.. قال:

"ستسوى الأمور غدا أو بعده. لن أسافر قبل أن أتأكد من أن كل شيء يسير على خير ما يرام"

و كلمة أسافر هذه دقت نواقيس الخوف في صدري... قلت بسرعة:

"تسافر؟ هل ستسافر؟"

قال:

"سيعود والدي و تنتهي مهمتي"

و كم قتلتنني جملته هذه... ألا يكفيني ما أنا به حتى يزيدني هما فوق هم؟؟

قلت:

"و زفاف دانة؟"

تنهّد و نظر إلى السماء.. و لم يجب .

قال بعدها:

"هيا رغد"

لم أشأ العودة... فلأجل أي شيء أعود؟ لأجل أن أذرف المزيد من الدموع.. لأجل أن أعيش المزيد من الحسرة؟؟ لأجل أن أراه و هو يرحل من جديد؟؟ نعم، فهو قد جاء في مهمة محددة أنجزها و سيغادر ..

كرر:

"هيا يا رغد!"

قلت باعتراض:

"لن أذهب معك. سأبقى هنا لحين عودة أمي"

ازداد استياؤه و قال بما تبقى له من صبر:

"رجاء يا رغد.. هيا فأنا لا أحبذ أن تباتي خارج المنزل"

"لكنه بيت خالتي و قد اعتدت على هذا"

"عندما يعود أبي افعلي ما تشائين و لكن و أنتِ تحت رعايتي أنا، لا أريد أن تباتي في مكان بعيد عني"

"لماذا؟"

"لن أشعر بالراحة لذلك و أنا متعب بما يكفي، و لا ينقصني المزيد من القلق. تعالي معي الآن"

شعرت بالغیظ من كلامه. من یظن نفسه لیتحكم بي هكذا؟ إذا كان أبي لا یمانع من مبيتی في بيت

خالتي من حين لآخر فما دخله هو؟؟

"لن آتي"

قلتها بتحدٍ ، فنظر إلي بعصبية و صرخ بحدّة:

"رغد" !

انتفضتُ من جراء صرخته المخيفة هذه.. و حدّقت به مذعورة.. تتسابق نبضات قلبي لدفع الدماء خارجة عشوائياً..

عيناه كانتا متمركزتين على عيني و حاجباه مقطبين و وجهه غاضب عابس مرعب.. يثير الفزع في نفس من لا يهاب الوحوش !

تراجعت إلى الوراء خطوتين في هلع.. كنت أتمنى لو تستطيع رجلاي الركض، إلا أن الفزع صلّب عضلاتهما و جمّد حركاتهما..

وليد مد يده نحوي فارتعدت.. في خشية من أن يلطمني.. لكن يده توقفت في منتصف الطريق... قلتُ باضطراب و ارتجاف:

"س.. أحضر... ح.. قبيتي"

و استدرتُ مرعوبة و جريت بضع خطوات فارة، إلا أنه ناداني مجددا:

"رغد"

تصلبتُ في مكاني و رجلي معلقة فوق الأرض.. ثم

التفت إليه بخوف يفوق سابقه.. ماذا الآن؟ هل ينوي صفعي أو ماذا؟؟

أراه يقترب مني أكثر و لا أقوى على الفرار.. حين صار أمامي مباشرة نظر إلي بعمق.. و قال:

"رغد.. ما بالك فزعتِ هكذا؟؟"

لم أنطق و لم يخرج من فمي غير تيارات الهواء السريعة اللاهثة..

وليد حدّق بي بانزعاج و مرارة و قال:

"رغد ! هل تظنين أنني سأؤذيك بشكل من الأشكال؟؟"

ثم تابع:

"أنتِ مجنونة إن فكّرتِ هكذا"

نظر إلى أصابعي المتوترة المرتعشة، ثم إلى عيني المفروعة ثم تنهد بضيق و قال:

"حسنا، سوف أمر بك غدا قبل أن نذهب لاستقبال والدي.. لكن إذا أردت الحضور قبل ذلك فأعلميني و لا تطلبي ذلك من ابن خالتك" ..

ما زلت أحدّق به نصف مستوعبة لما يقول...

قال بصوت خفيف دافئ:

"اعتني بنفسك.. صغيرتي"

ثم ختم:

"تصبحين على خير"

و استدار.. و سار مبتعدا.. و غادر المكان.

بقيت أنا أراقبه حتى غاب... و غاب معه قلبي و حسّي...



سرت ببطء عائدة إلى الداخل فوجدت الثلاث في انتظاري.. سألت خالتي:

"إذن ماذا؟"

قلت:

"سيأتي غدا" ...

و سعدتُ أنا و نهلة إلى غرفتها من جديد...

قالت:

"بدوت مضطربة رغد ! ماذا قال لك؟؟"

أمسكت بيديها و قلت:

"نهلة.. سأجن.. لا أعرف لم أصبح هكذا ؟ إنه مخيف !"

"رغد ! ماذا قال؟؟"

"لا أذكر ما قال ! ماذا قال؟؟ لا أدري نهلة إنني أفقد تركيزي حين يكون على مقربة ! لا أعرف ما

الذي يصيبني؟؟"

و لم أتمالك نفسي... تفجرت عيناى بسيلين متوازيين من الدموع الدافئة تسابقا على تبليق خديّ

الحرينين ...

"رغد.. عزيزتي تماسكي"

"إنه سيسافر.. من جديد يا نهلة سأحرم من وجوده.. من رعايته.. من أن أراه.. و أتعلق به ..و

اسمعه يناديني ( يا صغيرتي ) كما كان يفعل منذ طفولتي.. لا أحد يناديني هكذا حتى الآن.. كيف

سأتحمل عودة حياتي خالية منه و قلبي أجوف لا يسكنه أحد ؟ سأجن يا نهلة إن تركني و غادر.. لا

أحتمل ذلك .. أنا أحبه كثيرا يا نهلة كثيرا.. إنه كل شيء بالنسبة لي.. ما أنا فاعلة من بعده ؟  
أخبريني ماذا أفعل ؟ ماذا ؟"

و لم أر غير الظلام و السواد الذي غلّف حياتي و بطنها أسفا على وليد قلبي ...  
و رغم الآلام و التعب.. و الإعياء الذي أعانيه.. ضل النعاس طريقه إلى عينيّ حتى ساعة متأخرة من  
تلك الليلة المشؤومة...

~ ~ ~ ~ ~

كنت أتمنى الذهاب إلى مكان واسع .. رحيب .. تعبت تيارات الهواء في سمائه بحرية ..  
إلى البحر.. حيث أرمي بأثقال جسدي و هموم صدري الضائق الحزن...  
إلا أنني عدت إلى المنزل الكئيب و جدرانه العائقة.. لأبقى رفيقا لشقيقتي الغاضبة...  
كانت في غرفتها، حمدت الله أن لم تسنح الفرصة للقائنا مجددا، فبعد الذي أثارته هذا اليوم، كرهت  
نفسي و كرهت انتسابي لهذا البيت..

بعدها رحل نورعند المغرب، أتتني و مزيج من الشرر و الغضب و الذهول و عدم التصديق يتربع على  
وجهها..

"سؤال واحد، أجبني عليه.. و بعدها انس أن لك أختا.. يا وليد، قل لي.. أنت.. كنت في السجن  
؟؟"

و تلا السؤال ( الواحد ) عشرات الأسئلة.. أسئلة بدا أنها عرفت الإجابة عليها من سامر، و الذي  
بالتأكيد خضع لاستجواب مكثف من قبلها قبل رحيله ..

و أسئلة أخرى تهربت من الإجابة عليها.. فما رأيته في عينيها من الغضب و الاحتقار كان كاف لقتل أي رغبة في الدفاع أو التبرير في نفسي..

"لا أصدّق ذلك ! أخي أنا.. قاتل خريج سجون؟؟ و أنا من كنت أظنه رجل أعمال كبير درس في الخارج ! أنا من كنتُ أتباهى بك بين رفيقاتي ..! كيف أواجه خطيبي و أهله بحقيقة خاذلة كهذه ؟ لذلك كنت تتحاشى الحديث عن نفسك ! كم أنا مصدومة بحقيقتك" !

عندما صوّبتُ نظري إليها، أشاحت بوجهها الباكي و ركضت إلى غرفتها توارى الألم.. و تدفن الواقع المخزي..

و هاهي الآن.. منعزلة في ذات الغرفة منذ ساعات...

و بدوري، انزويت في غرفة حسام مع حشد من الأفكار الكئيبة.. تولى قيادتها و سيادتها..صغيرتي رغد..

و كلما تذكرت الخوف الذي تملكها و هي تقف أمامي.. أكره نفسي و وجودي و كياني...

إذا لم أكن على الأقل أمثل مصدر الطمأنينة و الأمان لصغيرتي.. فماذا يعني وجودي في هذا الكون؟؟

ماذا تبقى لي..؟ هاقد خسرت أهلي أيضا.. سامر و تشاجرت معه و حطمت قلبه و علاقتي به .. و دانة و وقعت من عينيها و صارت تزديني.. و رغد.. رغد الحبيبة.. تنفر مني و ترتجف خوفا؟؟

كيف جعلتها تذعر مني هكذا و تفقد ثقتها بي؟؟

ما عساها تظن بي الآن؟؟

أي موقف ستتخذ مني متى عرفت عن سجني و جريمتي؟؟

هل ستحتقرني مثل دانة؟؟ لا يا رغد أرجوك..

فأنا لن أحتمل ذلك أبدا.. و أفضل الموت على العيش لحظة واحدة تنظرين فيها إلي بذرة ازدراء  
واحدة.. مهما كانت جريمتي و آثامي..

ليتكِ لا تعلمين..

يا رعد.. سامحيني..

ربما لم أعد وليد الذي عرفته و تعلقت به صغيرة، بفخر و معزة و ثقة.. لكنني لا أزال وليد الذي  
يحبك و يتوق إليك.. يهتم بكل شؤونك بهوس ...

ليتكِ تعلمين ...

نمت أخيرا على خيال الذكريات الجميلة الماضية.. فهي الشيء الوحيد الجميل في حياتي.. و الذي  
يمكن لقلبي المنفطر الشعور بالسعادة و الراحة حين تذكره...

فجأة...

صحوتُ من النوم مفزوعا على دوي شديد زلزل الغرفة بما فيها..

فتحتُ عينيَّ فإذا بي أرى الليل نهارا.. و السواد نارا.. و السكون زلزالا.. و الهدوء ضجيجا  
عظيما...مهولا..

و أرى الأشياء من حولي تهتز و تقع أرضا و سريري يتذبذب..

للوهلة الأولى لم أستوعب شيئا، أهو كابوس أم ماذا؟؟

و سرعان ما صدر صوت انفجار مجلجل حرك جدران المنزل...

قفزت من على سريري أترنح مع الاهتزازات ، و خرجت مسرعا من الغرفة و إذا بي أرى شقيقتي تأتي  
مسرعة نحوي و هي تصرخ

" ما هذا ؟ قنابل " !

و للمرة الثالثة دوي صوت انفجار ضخم و أضيئت الدنيا بشعاع النيران .. و عبقت الأجواء بالدخان و  
روائح الحريق ..

كانت الأرض تهتز من تحتنا فأسرعت بالإمساك بشقيقتي و انبطحنا أرضا.. و شهدنا زجاج النوافذ  
يتحطم و تقتحم ألسنة النيران المنزل... و تتوزع حارقة كل ما تقع عليه...

اندلع الحريق من حولنا في أماكن متفرقة فجأة.. و توالى أصوات الانفجارات مرة بعد أخرى بعد  
أخرى .. بشكل متواصل و مندفع..

شيء ما اخترق السقف فجأة و هوى أرضا، و انفجر...

ركضت أنا و دانة مبتعدين بسرعة عن ذلك الشيء و هي تصرخ... و بدأ السقف يهوي فوق رأسينا..

هربنا فزعين مسرعين ناجيين بنفسينا متجهين نحو المدخل.. لا يعرف أحدا أين تطأ قدماه..

و نحن نعبر الردهة.. توقفتُ فجأة و صرخت:

" رغد " !

قفزت قفزا نحو غرفة رغد و صرخت:

" رغد.. رغد "

و دون أن أنتظر فتحتُ الباب بسرعة و اقتحمت الغرفة و لم أرَ غير النيران تلتهم الأثاث... و تحرق  
السرير..

"رغد" ..

كاد قلبي يتوقف، بل إنه توقّف، وكدت أسلم نفسي للنيران تلتهمني ..إلا أنني فجأة تذكرتُ أنها لم تبت هنا الليلة.. ولا أعرف ما الذي دفعني لنسيان أو تذكر هذه المعلومة.. هذه اللحظة صرخات دانة وصلتي رغم الدوي المجلل الطاغي على أي صوت في الوجود، ووجدتها مقبلة نحوي بذعر تقول:

"تهدّم السقف ..سنموت"

ثم نظرت نحو سرير رغد المشتعل نارا و صرخت:

"رغد"

و بدت و كأنها دخلت في نوبة فزع هستيرية، أمسكت بها و قلت:

"ليست هنا، لنخرج فوراً"

و عوضا عن التوجه إلى الردهة ثم المخرج، توجهت إلى غرفتي إذ أن فكري قادني تلقائيا إلى مفاتيح السيارة..

سحبتها و سحبت المحفظة التي كانت بجوارها و أطلقت ساقى للرياح، ممسكا بيد شقيقتي الصارخة بذعر..

فتحنا الباب و خرجنا إلى الفناء و خرجت معنا الأدخنة التي نفثها الحريق داخل المنزل... و رأينا السماء تسبح في الدخان، و الليل نهارا ملتهبا..أحمر.. و الحجر يتساقط من حولنا كالطرر.. بينما تعج الدنيا بأصوات انفجارات متتالية.. و تتزلزل الأرض مع كل انفجار..أيما زلزلة

و عندما فتحت الباب الخارجي، رأيت ما لم تره عيناى من قبل.. و لا من بعد..

رأيت النيران مندلعة في كل الأنحاء.. و المنازل تتهدّم.. و الأرض تتصدع و تتشقق.. و الناس..

يركضون في كل الاتجاهات فارين صارخين مذعورين.. يصطدم بعضهم ببعض و يدوس بعضهم على بعض..

و من السماء المشتعلة، كانت تتساقط صواريخ و قنابل أشبه بالشهب و النيازك، ترتطم بأي ما يعترض طريقها، و تدمره..

لقد كانت المرة الأولى التي أشهد فيها قصفا جويًا.. وجهها لوجه..

كنا في موعد مع الموت...

وقفت دانة مذعورة فزعة.. ترقب شعلة نارية تهوي من السماء ثم تسقط فوق منزلنا ..

شدت على يدها و سحبتها مسرعا إلى خارج المنزل، نحو السيارة.. و نحن حافبي الأقدام و مجردين إلا من لباس النوم..

ما كدت أفتح باب السيارة حتى تفجّر المنزل.. و هطلت الحجارة و الشظايا و الشرار فوق رأسينا...

"اركبي بسرعة"

دفعت بشقيقتي إلى داخل السيارة و توجّهت إلى الباب الآخر، ركبت و انطلقت مسرعا مبتعدا عن المنزل.. في عكس اتجاه الطريق، أدوس على الأرصفة اصطدم بكل ما يعترض طريقي، و أحطم كل ما يصادفني..

الشوارع كانت تعج بالناس الفارين من النيران.. إلى النيران.. و القليل من السيارات التي تسير باتجاهات مختلفة عشوائية على غير هدى..

سلكتُ أسرع طريق يؤدي إلى منزل أبي حسام، غير آبه بالشهب التي ترمي بها السماء من فوقي و من حولي، لا أرى من الأهوال الدائرة من حولي شيئا.. لا أرى إلا صورة رغد مطبوعة على زجاج النافذة أمامي ..

كل ذلك كان في دقائق لا أعرف عددها و لا أمدّها

وصلت أخيرا إلى منزل أبي حسام و رأيت النار تأكل رأسه...

"رغد...رغد.. لا.. لا" ..

صرخت كالمجنون.. هبطت من السيارة راكضا نحو بوابة سور الحديقة.. ضربته بعنفٍ حطّم زجاجه  
ثم فتحتة و اقتحمت المنزل و أنا أنادي بأعلى صوتي و بكل جنوني:

"رغد.. رغد" ..

كنت متوجها إلى باب المنزل الداخلي و الذي أراه أمامي مفتوحا... تخرج منه ألسنة النار.. و أنا  
أناديها بفزع .. و رهبة.. مما قد تكون الجدران تخبئه خلفها و الأقدار تخفيه على بعد خطوات ..

يا رب لا تفجعني بصغيرتي و احرقني أنا قبل أن تلمس النيران شعرة منها...  
يا رب إن كنت اخترتها فأنزل قنبلة فوق رأسي تفجّرني هذه اللحظة قبل أن أدخل و أراها ميتة..

"رغد.. رغد" ..

صرخت و صرخت و صرخت.. صراخا شعرت به أقوى و أظع من دوي القنابل المتفجرة من حولي ..  
و أنا أركض بلا وعي نحو النيران ..

نحو النهاية..

نحو الجحيم..

نحو الموت..

نحو رغد..

وصلت إلى الباب و استقبلني لهيب النار الحار يلفح وجهي المذعور المفزوع ...كنت على وشك اقتحام  
الحريق، و فجأة حتى سمعت صوتا يناديني..

من عالم الأحياء..

"وليــــد"



التفت يمناً و يسرة أبحث عن مصدر الصوت كالمجنون.. أدور حول نفسي و أصرخ بقوة:

"رغد... رغد"

و عند زاوية في طرف الحديقة، رأيت رغد و عائلة خالتها جميعا مكومين قرب بعضهم البعض متشابكي الأيدي ينتظرون المصير المجهول..

مع الإضاءة التي أحدثها انفجار قنبلة خارج المنزل، استطعت أن أرى رغد جيدا و هي تقف هناك.. ثم تأتي راكضة مسرعة نحوي.....

"رغد.. أنت بخير؟؟ حقا بخير؟؟ الحمد لله.. الحمد لله"

"وليد.. أنتما حيان؟؟"

و التفت للخلف فرأيت شقيقتي تصرخ:

"رغد"

و تتحرر رغد من بين ذراعي و ترتمي في حضن دانة و هي تهتف باكية:

"أنتما حيان.. أنتما حيان"

جذبت الاثنتين و ضمتهما إلى صدري.. لا أعرف من منا نحن الثلاثة كان أكثر فزعا من الآخرين..

انفجار آخر دوي الأجواء، فانبطحنا أرضا و جعلت الأرض تهز أجسادنا كما تهز أفئدتنا المذعورة..

و أخذ الجميع يتصايح و يصرخ.. و امتزجت الأصوات و الهزات و الاصطدامات..

توقفت النوبة برهة، وقفنا و أنا ممسك بكلا الفتاتين و حثثتهما على السير بسرعة نحو المخرج...

صوت حسام يصرخ:

"إلى أين؟؟"

قلت:

"سنغادر المدينة بسرعة"

قال:

"الزم مكانك يا مجنون ! ستقتل"

قلت للفتاتين:

"هيا بنا"

صراخ حسام و عائلته:

"ابقوا مكانكم القصف لم ينته "

لكني مضيت في طريقي..

حسام يصرخ:

"رغد عودي إلى هنا.. عودي يا رغد .."

رغد تتشبث بي أكثر، و أنا أتمسك بيدها بقوة و أمضي بها و بدانة إلى السيارة

بابا السيارة الأماميين كانا مفتوحين، جعلتُ رغد تدخل بسرعة إلى المقدمة ، و أنا أفتح الباب لدانة و أدخلها سريعا، ثم أففز نحو باب المقود، فأجلس و أطيّر بالسيارة حتى قبل أن أغلق الباب..

لم تكن باللحظة التي يستطيع فيها دماغ أي بشر، غبي أو عبقرى، أن يفكر..

انطلقت بالسرعة القصوى للسيارة أجتاز كل ما أعبر به، محاولا تحاشي الاصطدام بما يصادفني قدر

## الإمكان

أرى الناس يخرجون من كل ناحية أفواجا أفواجا ، رجالا و نساء و أطفالا .. متخبطين في سيرهم يركضون باتجاهات عشوائية.. يهيمون على الأرض على غير هدى.. يصرخون و يهيجون و يموجون باعتبار و فوضوية.. و في نواح متفرقة تتناثر مخلفات الدمار .. الحجارة و الأشلاء.. و الجثث.. تحرقها النيران.. و تفوح روائح كريهة لا تستطيع الأنوف إلا استنشاقها مرغمة..

و كلما انفجر شيء جديد، منزل أو مبنى أو شارع أو سيارة.. صرخت الفتاتان و ارتعشت يداي و انحرفت في سيري جاهلا.. أيهما سيكون الأسرع لتحديد مصيرنا .. قنبلة ما ؟ أم اصطدام ما ؟ أم أن النجاة ستكتب لنا بقدرة من لا تفوق قدرته قدرة، و لا يباهي رحمته رحمة..

كنت أشهد أمامي تصادم السيارات المسرعة، التي فرت من الموت.. و إليه و أرى أشياء ترتطم بزجاج سيارتي و تحدث تصدعات و كسور تحول دون وضوح الرؤية أمام عيني ..

لم يكن باستطاعتي إلا الاستمرار في طريقي اللا محدد .. و كما تسير الحية سرنا ذات اليمين و ذات الشمال ننعطف كلما ظهر شيء أماننا و نسلك كل تشعب نلقاه حتى انتهى بنا الطريق إلى شارع رئيسي..

حانت مني الآن التفاتة أخيرا إلى اليمين.. فرأيت الفتاة الجالسة إلى جانبي و قد انثنت بجذعها إلى الأمام حتى لامس رأسها ركبتها و وضعت ذراعيها على جانبي رأسها لتحاشي رؤية أو سماع شيء.. بينما أنفاسها الباكية اللاهثة تكاد تلهب قدمي الحافيتين ..

" رغد " ..

لم تغير من وضعها ..

التفت إلى الورا لألقي نظرة على دائة، فوجدتها هي الأخرى مكبة على وجهها تحتضن المقعد المجاور و تنوح و تصرخ ..

" يا رب.. يا رب.. يا رب " ..

هتفت بأعلى صوتي:

"يا رب.. يا رب.. يا رب"

هتفت رعد بصوتها المبحوح المرتجف:

"يا رب.. يا رب.. يا رب"

لم يكن لدينا أمل في النجاة إلا برحمة الله..

أسير في الشارع بسرعة جنونية دون هدف.. وسط قصف جوي مباغت.. و القنابل و الصواريخ تهوي من السماء كالوابل.. و الأرض تتزلزل من تحتي.. و معي فتاتان مذعورتان تصرخان بفرع و هلع.. و النيران تحاصرني و تحيط بي من جميع الاتجاهات... وسط ليلة غدر عجت سماؤها بألسن النار و الشر.. مخلفا منزلا محترقا متهدما.. و مستقبلا مصيرا مجهولا غامضا..

كم من الوقت مضى.. لا أعرف

كم من المسافة قطعت؟ لا أعرف..

ألا زالت الفتاتان على قيد الحياة؟

لا أعرف

أنجونا من الموت؟

أيضا لا أعرف...

الشيء الذي ألاحظه هو أنني في وسط طريق بري.. و لم أعد أرى السماء متوهجة.. و لم أعد أحس بالأرض ترتعد كما لم أعد أسمع الدوي و لا الضجيج...

"رغد.. دانة" ..

لم تجب أي منهما...

"رغد.. دانة أسمعانني؟؟"

و أيضا لم تردا..

هلعت، رفعت يدي اليمنى عن المقود و مددتها نحو رغد التي لا تزال على نفس الوضع ..

"رغد صغيرتي.. ردي علي "

ببطء تحركت رغد حتى استوت جالسة و هي تخفي وجهها خلف يديها خشية النظر .. و شيئا فشيئا فرقت ما بين أصابعها و سمحت لنظرة منها للتسلل إلى المحيط و رؤية ما يجري..

"لقد ابتعدنا.. أنت بخير؟؟"

نظرت رعد غير مصدقة.. إلى الشارع .. إلى السماء.. إلى الطريق من أمامنا .. إلى دانة من خلفنا.. و إلي..

لم تستطع النطق بأي كلمة.. عادت تنظر إلى الوراء تريد أن تنادي دانة الدافئة وجهها في المقعد المجاور .. إلا أنها عجزت عن ذلك..

نظرت أنا إلى دانة و هتفت بصوت عال:

"دانة.. عزيزتي.. اجلسي أرجوك"

دانة لفت برأسها إلينا و جعلت تنقل بصرها بيننا ..

ثم جلست و نظرت عبر النافذة المغلقة ثم قالت:

"أين نحن؟؟"

قلت و أنا أنظر إليها عبر المرآة:

"الله أعلم"

قالت:

"أين نذهب؟؟"

قلت:

"الله أعلم.. فقط لنبتعد عن منطقة الخطر " ..

نظرت إلى الورا ثم إلي و قالت:

"هل سننجو؟"

أنى لي أن أتنبأ؟؟

الله الأعلم ..

دانة اقتربت من مسند مقعدي حتى التصقت به و مدت يدها عبر الفتحة بين المقعدين إلى ذراعي تمسك

به و تصيح:

"هل هذه حقيقة؟؟ وليد هل أنا أحلم؟؟ ألا زلت نائمة؟؟ هل مت؟؟ هل أنا حية؟؟"

رفعت يدي فأمسكت بيدها، إن لأواسها أو لأطلب منها المواساة .. و كم كانت باردة كالثلج...

"وليد"

هذه كانت رغد التي تنظر إلي ربما طالبة المواساة و الأمان هي الأخرى.. ثم ضمّت يدها إلى أيدينا و

دخلتا في نوبة طويلة و قوية من البكاء و النواح..

لقد كنت أنا أيضا بحاجة للبكاء مثلهما.. فما رأيت كان من الفظاعة و الشناعة ما يجعل الجبال الصخرية تخر منهارة..

إلا أن الدموع ستحول دون الرؤية أمامي ، و أنا أقود وسط الظلام بسرعة رهيبه..  
تماسكت و ركزت على الطريق..

فجأة.. قالت دانة:

"نوار" !

ثم أخذت تلطم على وجهها و تنوح ..

"يا إلهي ماذا جرى لنوار؟؟"

و نظرت إلي و هي تسأل:

"الهاتف؟؟"

و لكن الهاتف لم يكن معي...

إننا نفذنا بجلودنا و الله العالم بما حلّ بمن بقي في المدينة..

لم تهدأ من نوبة النواح إلا بعد زمن... أظن القنوط غلبها و استسلمت لما يخبئه لنا القدر

انتبهت الآن إلى عبوة لمشروب غازي موضوعة إلى جانبي ، و كنتُ قد اشتريتها يوم أمس أثناء تجولي بالسيارة ثم لم أشربها.. مددت يدي إليها و لمست حرارتها التي استمدتها من حرارة السيارة ..

خففتُ السرعةُ وأخذت العبوة و فتحتها بيدي اليمنى ، ثم مددتها نحو رغد..

" اشربي "

إذ لا بد أن حلوقنا جميعا جافة متخشبة من هول ما مررنا به..

رغد أمسكت العبوة بكلتا يديها و قربتها من فمها و رشفت مقدار ما رطب جوفها و أعادتها إلي..

" دانة .. خذي اشربي "

مدت دانة يدها و تناولت العلبة و شربت منها ثم أعادتها إلي .. و جاء دوري لأشرب ..

كان ساخنا غير مستساغ المذاق إلا أن العطش اضطرنا لازدراجه عن آخره دون تذوق.

ساعة السيارة كانت تشير إلى الثالثة و الأربعين دقيقة فجرا.. عندما رأيت أضواء أمامي... و طابور من السيارات الواقفة خلف بعضها البعض.. ظهر لي أنها نقطة تفتيش أو ما شابه..

خففت السرعة تدريجيا حتى انضمت إلى طابور السيارات.. و بدأ القلق يزداد بسرعة في نفسي و نفسي الفتاتين..

بدأ الطابور يتحرك ببطء.. لا يتناسب و تسارع نبض قلبي و أنفاسي ..

و أخيرا حان دوري..

فتحت نافذة بابي فقرب الشرطي رأسه منها و طلب البطاقة و الاستمارة و رخصة القيادة

بعدها بدأ بطرح الأسئلة.. عن مكان قدومي و وجهتي ..

" لقد فررت بعائلتي من المدينة الصناعية... حيث القصف المباغت.. سأنزل أقرب مكان آمن " ..

و يبدو أنها كانت إجابة معظم من في السيارات السائرة قبلي ..



"من معك؟"

"شقيقتي و ابنة عمي"

"أليك بطاقتيهما؟"

"لا، لم أفكر في إحضار شيء كهذا فقد نفذنا بجلودنا فقط"

الشرطي أطل برأسه من النافذة ناظرا نحو من يركب السيارة معي.. ثم طلب مني إيقاف السيارة جانبا و النزول.

ركنتُ السيارة جانبا، و هممت بالنزول.. الفتاتان هتفتا في وقت واحد:

"وليد"

بخوف و وجل..

إن نسيتم فسأذكركم بأنني ارتعد خوفا من الشرطة و العساكر.. بعد الذي لاقيته في السجن تلك السنين.. و إن كنت سأطمئن الفتاتين فإن على أحدهم طمأنتي بادية ذي بدء ..

قلت بصوت مضطرب :

"لا تقلقا.. سأرى ما يريدون"

نزلت من السيارة و وطأت قدمي الحافيتين الشارع.. و ذهبت إلى حيث كان رجال الشرطة يقفون مع مجموعة من سائقي السيارات المركونة إلى جانب سيارتي ..

الجو كان باردا و كذلك الأرض.. لكن رعدة جسدي الحقيقية كانت من أثر القصف و منظر رجال الشرطة المهاب ..

هناك ، استجوبني الرجال و دونوا المعلومات ثم طلبوا مني فتح السيارة لتفتيشها

عدت إلى السيارة و معي اثنان منهم بعد قرابة العشرين دقيقة.. و فتحت الباب المجاور لرغد أولا و قلت:

" يريدون تفتيش السيارة، اهبطا"

لم تتحرك الفتاتان مباشرة، تلفتت رغد من حولها فرأت شماغا لي ملقى على مقعدي يظهر أنني نسيتته في السيارة يوم أمس ، فأخذته و تلثمت به.. ثم هبطت حافية القدمين أيضا و وقفت إلى جوارى مباشرة و حين فتحت الباب الخلفي لدانة أبت الخروج.. و أشارت إلى شعرها..

لم تكن دانة ترتدي حجابا

نظرت من حولي فلم أجد شيئا أعطي به رأس شقيقتي.. فضلا عن قدميها.. فيما الشرطيان يقفان على مقربة و الناس من حولي كثر..

نزعت قميص نومي و قدّمته لها لتختمر به.. و بعدما نزلت التصقت بي من جهة بينما رغد من الجهة الأخرى..

أمسكت بيدي الفتاتين و سرت مبتعدا عن السيارة بعض الشيء لأفسح المجال لرجلي الشرطة للتفتيش.

بعد فراغهما من المهمة سألتهما:

"أيمكننا الذهاب؟؟"

قال أحدهما:

" ليس بعد. فمغادرة هذه المنطقة محظورة لحين إشعار آخر "

ثم أشار إلى الناحية الأخرى من الشارع و قال:

"ابقوا هناك" ..

نظرت إلى تلك الناحية فرأيت مجموعة من الناس الذين أوقفهم رجال الشرطة مثلنا يقف بعضهم و يجلس البعض الآخر على حافة الشارع، متفرقين..

شدت الضغط على يدي الفتاتين و عبرت الشارع معهما تطأ أقدامنا الحافية العارية الأرض الجرداء و تستقبل أجسادنا تيارات الهواء البارد فتتشعر.. و يزداد اقترابنا من بعض و تشبثنا ببعض والناس في شغل عن النظر إلينا.. بأنفسهم و ذويهم .. و إلى السماء يرتفع البكاء و العويل و الصراخ و النواح.. من كل جانب.. و إليها أرفع بصري فأرى بدر الليلة السادسة عشر من شهر الحج يشهد فاجعة شعب غدر به عدوه و انتهك حرمة في غفلة من أعين الناس.. و عين الله فوق كل عينٍ شاهدةٍ.. شاهدة.

الحلقة الخامسة والعشرون

\*\*\*\*\*

على الرمال الناعمة بمحاذاة الشارع جلست بين الفتاتين بعدما أعيانا طول الوقوف و الانتظار..

و من حولنا أناس كثر متفرقون .. نسمع بكاء النساء و الأطفال ..

أرى رغد تفرك يديها ببعضهما البعض بقوة و باستمرار و تهف عليهما طالبة شيئاً من الدفء . لقد كانت ترتجف بردا.. أكاد أسمع اصطكاك أسنانها بعضها ببعض..

أما دانة فكان وجهها مغمورا تحت ثنايا القميص و مستسلمة لصمت موحش..

لم تكن الشمس قد أشرقت بعد ..و كان التعب قد أخذ منا ما أخذ و نرى رجال الشرطة يجولون ذهابا

و جيئة و أعيننا متشبثة بهم..

التفت ناحية رغد و سألتها:

"أتشعرين بالبرد؟"

الصغيرة أجابت بقشعريرة سرت في جسدها ..

أنا أيضا كنت أشعر بالبرد لا يدفىء جدعي سوى سترتي الداخلية الخفيفة..

لكن إن تحمّلت أنا ذلك ، فأنتى لفتاة صغيرة تحمّله؟؟

ألقيتُ نظرةً على مجموعة من رجال الشرطة المتمركزين قرب السيارات ثم قلت:

"دعانا نذهب إلى السيارة"

ووقفت فوقفت الفتاتان من بعدي و سرت فسارتا خلفي تمسك كل منهما بالأخرى حتى صرت قرب رجال الشرطة..

نظروا إلى بتشكك.. و سألني أحدهم عما أريد

"أود البقاء في سيارتي فقد قرصنا البرد"

"عد من حيث أتيت يا هذا"

"لكن الجو باردٌ جدا لا تتحمل قسوته الفتاتان"

الشرطي نظر إلى الفتاتين و لم يعلّق.

فقال آخر:

"ابقوا حيث الآخرين"

قلت بإصرار:

"ستموتان بردا" !

ثم أضفت:

"هل تعتقدون أننا سنهرب؟ سأعطيك مفتاح السيارة لتتأكد"

و أدخلت يدي في جيبي و استخرجتُ مفاتيحي و مددتها إليه...

الشرطي تبادل النظرة مع زملائه ثم همَّ بأخذ المفاتيح بما احتواها.

لقد كانت المفاتيح مضمومة في ميدالية أهدتني إياها رعد ليلة العيد.. انتزعت مفتاح السيارة من بينها و قدّمته إلى الشرطي و احتفظت بالميدالية و بقية المفاتيح.

حين أعطيته المفتاح ، سمح لنا بالتوجه إلى السيارة.

عندما فتحت الباب الأمامي الأيمن و قفت الفتاتان عنده تنظران إلى بعضهما البعض ، ثم تنحنت رعد جانبا سامحة لدانة بالدخول .. و فتحت هي الباب الخلفي.

حينما جلسنا في السيارة ، أخذنا الصمت فترة طويلة.. و بدأت أجسادنا تسترد شيئا من دفئها المفقود...

لم يكن أحدها يعرف كيف يفكر ، كنا فقط في حالة ذهول و عدم تصديق .. منتظرين ما يخبئه لنا القدر خلف ظلام الليل..

أسندنا رؤوسنا إلى المقاعد علّما تمتص شيئا من الشحنات المتعاركة في داخلها..

و من حين لآخر ، ألقى نظرة على الفتاتين أطمئن عليهما ..

رعد اضطجعت على المقاعد الخلفية و ربما غلبها النوم...

أطل من خلال النافذة على السماء فأرى خيوط الفجر تتسلل خلسة.. فيلقي الله في نفسي ذكره..

"الصلاة"

قلتُ ذلك و التفت إلى دانة التي تجلس إلى جوارى ملقبة بثقل رأسها على مسند المقعد. نظرت إلي، ثم أغمضت عينيها.

أما رغد فلم تتحرك.

نظرت إلى الناس فوجدت بعضهم يركعون و يسجدون..على الرمال

قلت:

"سأذهب لأصلي"

فتحت عينيها مجددا ثم أغمضتهما.

"توخيا الحذر ، دقائق و أعود"

و مددتُ يدي إلى مقبض الباب ففتحته و خرجت.. أغلقت الباب و مشيت بضع خطى مبتعدا قبل أن أسمع صوب باب ينفتح بسرعة و أسمع من يناديني..

"ولييد"

التفت إليها فرأيتها تخرج من السيارة مسرعة ، تقصدني

أتيت إليها فأبصرت في وجهها الفزع المهول

"إلى أين تذهب؟"

قالت لاهثة ، فأجبت مطمئنا:

"سأصلي مع الناس"

و أشرت إلى الطرف الآخر من الشارع حيث المصلين..

رغد هتفت بسرعة:

"لا تذهب"

قلت:

"سأصلي و أعود مباشرة"

"لا تذهب ! لا تتركني وحدي"

قلت مطمئنا:

"دانة معك ، لحظة فقط"

رغد حركت رأسها اعتراضا و إصرارا و هي تقول:

"لا تذهب .. ألا يكفي ما نحن فيه ؟ لا تبتعد وليد أرجوك"

لم أستطع إلا أن أعود أدراسي ، و أتييم و أؤدي الصلاة ملتصقا بالسيارة.

ما إن فرغت من ذلك ، حتى سمعنا ضجيجا يقتحم السماء..

نظرنا جميعنا إلى الأعلى فأبصرنا طائرة تخترق سكون الفجر ...

صرخ بعض الموجودين:

"قنابل !"

و هنا .. بدأ الناس يتصايحون و يصرخون و يركضون فارين .. محدثين ضجة و جلبة شديدين..

رأيتهم جميعا يجرون على الشارع مبتعدين.. فتحتُ بابي السيارة بسرعة و هتفت

"هيا بنا"

و أمسكت بيدي الفتاتين و جررتهما ليركضا معي بأسرع ما أوتينا من قوّة..

"أركضا.. أركضا بسرعة"

اقتحمنا أفواج الهاربين الصارخين المستصرخين .. هذا يدفع هذا و هذا يسحب هذا و ذلك يصطدم بالآخر .. و آخر يدوس على غيره.. و الحابل مختلط بالنابل..

نحن نركض و نركض دون التعقيب.. دون أي التفات إلي الوراء.. و دوي الطائرة يعلو سماءنا.. و يجلجل أرضنا المهترزة تحت أقدامنا الراكضة.. الحافية.. أسمع صراخا من كل ناحية.. أسمع صراخ دانة و رغد.. و صراخي أنا أيضا.. و أشد قبضي عليهما و أطلق ساقِي للريح..

يتعثر من يتعثر.. ينزلق من ينزلق.. يتدحرج من يتدحرج.. يقع من يقع و ينكسر ما ينكسر و يداس ما يداس.. لا شيء يستدعيني لأوقف انجراف رجليّ .. أسابق الزمن.. و أكاد أسبقه..

كان ذلك من أشد الأوقات هولا و فظاعة.. لن يفوقهما شدة إلا هول يوم الحشر...

سيارات الشرطة و سيارات أخرى رأيناها تشق الطريق فرارا سابقة إيانا.. و سمعنا أصوات رشق ناري زادنا رعبا على رعب و صراخا فوق صراخ..

قطعت مسافة لا علم لي بطولها، أسحب الفتاتين خلفي و هما عاجزتان عن مجاراة خطواتي الواسعة ، تقفزان قفزا بل تطيران طيرانا..



فجأة وقعت رغد أرضاً فصرت أسحبها سحباً إلى أن تمكنتُ من إيقاف اندفاعي الشديد في الركض..

و أقبل الناس من خلفنا يرتطمون بنا و داسها أحدهم في طريقه..

صرخت:

"قومي رغد"

إلا أنها كانت تمسك بقدمها و تتلوى ألماً و تصرخ:

"قدمي .. قدمي .."

جثوت نحوها و أمسكت بقدمها الحافية فإذا بقطعة من الزجاج مغروسة فيها و الدماء تتدفق من الجرح..

لابد أنها داست عنوة على كسرة الزجاج هذه أثناء جرينا المبهم ..

أمسكت بقطعة الزجاج بين إصبعي و انتزعتها بعنف و رغد تصرخ بشدة.. بعد ذلك سحبتها من يدها لنستوي واقفين و طرت راكضاً ممسكاً بالفتاتين.. عنوة..

رغد كانت تصرخ ألماً و تركض على أطراف أصابع قدمها المصابة فيما الدماء تقطر منها و تهتف:

"لا أستطيع .. آي .. لا أستطيع"

مما أبطأ سرعة انطلاقنا..

ثم عادت و هوت أرضاً من جديد.. و ضغطت على قدمها المصابة بيدها الحرة..

"انهضي رغد بسرعة"

"لا أستطيع .. قدمي تؤلي .. آي .. تؤلني بشدة .. لا أستطيع"

"هيا يا رغد لننجُ بأنفسنا "

"لا أستطيع .. كلا"

لأن أفكر، لا مجال .. ، لأن أتردد .. لا مجال .. ، لكي أنجو بحياتي و حياة شقيقتي و حبيبتي ..  
سأقدم على أي شيء..

انتشلت صغيرتي من على الأرض بذراعي و حملتها على كتفي .. وجهها إلى ظهري و قدمها إلى أمامي  
.. منكبة على رأسها..

هتفت:

"تشبثي بي جيدا"

و أنا أطبق عليها بقوة بإحدى يديّ خشية أن تنزلق، فيما أمسك بشقيقتي باليد الأخرى ، ثم أسابق  
الريح...

تارة أزيد و تارة أخفف السرعة.. ألتقط بعض الأنفاس و أسمح لشقيقتي بتنفس الصعداء..

كان الإعياء قد أصابنا و نال منا ما نال حين رفعت بصري إلى السماء فلم أبصر أية طائرة و أصغيت  
أذني فلم أسمع أي ضجيج... و تفلت من حولي فوجدت الناس متهاكين على الشارع و معظمهم  
مضطجعين هنا أو هناك.. من فرط التعب و نفاذ الطاقة..

انحرفت يسارا و خرجت عن الشارع إلى الرمال على حافته.. و هويت جاثيا على الأرض..

حررت رغد و دانة من بين يدي و ارتميت على الرمال منكبا على وجهي و أخذت أتنفس بقوة ..  
تجعل ذرات الرمل و الغبار المتطايرة من حولي تقتحم فمي مع تيارات الهواء...

أخذت أسعل و أتحشرج.. و قد أغلقت عيني لأحميهما من الغبار..

لزمت وضعي هذا لدقيقتين دون حراك.. فجسدي كان منهكا جدا و بحاجة إلى كمية أكبر من الأوكسجين ليطرد غازاته الضارة خارجا..

عندما فتحت عينيّ و نظرت يمنا و يسرة رأيت الفتاتين مرتيميتين على الرمال مثلي.. دانة متمددة على ظهرتها تتنفس بسرعة ، و رغد جالسة تمسّد قدمها المصابة و تئن ألما..

لم أجد في جسدي من الطاقة ما يمكنني الآن من النهوض..

الشمس كانت قد أرسلت أول جيوش أشعتها الذهبية الباهتة لتغزو السماء و تطرد الظلام .. و شيئا فشيئا بدأت تحتل السماء.. و تنير الكون.. و تكشف ما كان خافيا و تفضح ما كان مستورا..

جلست بعدما استرددت بعض قواي.. وأنا أراقب رغد المتألّمة.. المكشوفة الرأس.. يتدلى خمارها ( شماغي ) على كتفيها...

كان الجرح لا يزال ينزف.. و الدماء سقت الرمال.. كما لطخت ملابس رغد بل و وجدت بقعا منها على ملابسي أنا أيضا..

فقد كانت تقطر و أنا أحملها..

"دعيني أرى"

قلت ذلك و قرّبت وجهي من قدمها أتأمل الجرح العميق.. و ما علق به من الرمال و الشظايا و الأتربة ..

مسحت ما حولي بنظرة سريعة فلم أجد ما أعطي به هذا الجرح النازف ..

نفس القميص الذي كانت دانة تختمر به ، نزعته أحد كميّيه و لففته حول قدم رغد..

كما لففت خمارها حول رأسها بنفسي...

دانة قالت بعد ذلك بانهيبار:

"ماذا يحدث برب السماء؟؟ فليخبرني أحد.. هل هذه حقيقة؟؟ لماذا فعلوا هذا بنا؟؟ ما حلّ بنوّار؟؟  
و سامر؟؟"

و أجهشت بكاء و نواحا.. فضممتها إلى صدري أحاول تهدئتها .. و أبقيتها بين ذراعي مقداراً من الزمن.. بينما رغد تراقبنا..

بعد ذلك رأينا الناس ينهضون و يسيرون في نفس الاتجاه.. فوجا بعد فوج.. و جماعة بعد أخرى..

قلت:

"هيا بنا"

قالت دانة:

"إلى أين؟؟"

"لا أعرف.. سنسير مع الآخرين"

قالت:

"سنموت في الطريق"

قلت:

"لو لم توقفنا الشرطة و تخرجنا من سياراتنا لربما كنا الآن قد بلغنا مكاناً آمناً.. لا أريد العودة للوراء  
و لا التخلف عن الآخرين.. كما أنهم أخذوا مفاتيح سيارتي.. أظننا على مقربة من إحدى المدن"

فقد كانت اللافتة على جانب الطريق تشير إلى ذلك..

نهضت معهما و سرنا على مهل ، و رغد تعرج و تستند إلى دانة... و تتوقف من حين لآخر..

قطعنا مسافة طويلة بلا هدف ... نسير زما و نرتاح فترة .. و تعامدت الشمس فوق رؤوسنا و نحن  
تائهون في البر ..

كنا نشعر بتعب شديد.. و مهما نسير نجد الطريق طويلا .. و لا تعبته أية سيارات..

توقفنا بعد مدة لنيل قسطا من الراحة.. و أي راحة؟؟

قالت رغد:

"أنا عطشى" ...

و نظرت إلي باستغاثة ..

ماذا بيدي يا رغد؟؟ لو كانت عيني عينا لسقيتك منها و إن شربتها كلها و أبقيتني جافا .. أو  
أعمى.. لكنني مثلك ، يكاد العطش يقتلني و ما تبقى من طاقتي لا يكفي لقطع المزيد من الطريق ..  
إننا سنموت حتما إذا بقينا هنا.. أنا أرى الناس ينهارون من حولي من التعب و العطش و الجوع.. و  
يتخلف من يتخلف منهم بعد مسيرتنا..

يجب أن نسرع و إلا هلكنا..

"هيا بنا"

قالت دانة:

"أنا متعبة ، دعنا نرتاح قليلا بعد"

قلت بإصرار:

"كلا .. يجب أن نسرع بالفرار قبل أن يدركنا حتفنا"

و أجبرت الفتاتين على النهوض و السير مجددا و بأسرع ما أمكنهما..

قوى رغد يبدو أنها انتهت.. إنها تترنح في السير.. تمشي ببطء.. تجر قدميها جرا.. تئن و تلهث..  
تسير مغمضة العينين متدلّية الذراعين.. ثم أخيرا تقع أرضا..

أسرعت إليها و أمسكت بكتفيها و هزتها و أنا أقول:

"رغد .. رغد تماسكي .."

رغد تدور بعينيها الغائرتين النصف مغلقتين و تنطلق حروف من فيها الفاجر مع أنفاسها الضعيفة  
السطحية:

"ماء.. عطشى.. سأموت.. وليد.. لا تتركني"

ثم تغيب عن الوعي..

أخذت أهبها بقوة أكبر و أصرخ:

"رغد .. أفيقي.. أفيقي .. هيا يا رغد تشجعي .."

فتفتح عينيها لثوان ، ثم تغمضهما باستسلام...

ثم أسمع صوت ارتطام فالتفت ، فأرى شقيقتي تهوي أرضا هي الأخرى..

أسرع إليها و أوقظها:

"دانة انهضي... هيا قومي سنصل قريبا"

"متعبة.. دعني أرتاح.. قليلا"

و انظر إلى الشمس فأراها تقترب من الأفق.. و تنذر بقرب الرحيل.. و ختم النهار..

تركتهما ترتاحان فترة بسيطة ، ثم جعلتهما تنهضان .. دانة تسحب قدميها سحبا .. و رغد مستندة إلي.. أجرها معي..

وصلنا بعد ذلك إلى محطة وقود .. و صار من بقي من الناس يركضون باتجاهها و يقتحمون البقالة الصغيرة التابعة لها كالمجانين بحثا عن الماء..

أسرعت أنا أيضا بدوري إلى هناك .. أسحب الفتاتين و حين اقتربت من الباب و رأيت الناس تتعارك يصرّ بعضهم بعضا قلت للفتاتين:

"انتظراني هنا"

و حررتهما من يدي وأنا أقول:

"لا تتحركا خطوة واحدة"

و هممت بالذهاب لمزاحمة الآخرين ..

رغد صرخت صرخة حنجرة ميته:

"لا تذهب"

قلت:

"سأجلب الماء .. انتظريني"

و حين سرت خطوة مدت هي يدها و أمسكت بذراعي تسحبني تجاهها و تقول في زعر:

"لا تذهب وليد .. كلا .. كلا" ..

حررت ذراعي من يدها و زمجرت:

"دعيني أدرك الماء قبل أن يدركنا الموت .. ستموتين إن لم ألحق"

"سأموت إن ذهبت"

لا أعرف كيف أصف الشعور الذي انتابني لحظتها..

في قعر الضعف و اليأس و الاستسلام.. أرى صغيرتي متشبثة بي في خشية من أن الوحدة.. بينما الموت أولى بأن تخشاه و تهرب منه ..

قلت موجهها كلامي لدانة:

"أمسكي بها"

و دفعت بيدها بعيدا عني و أسرعرت إلى البقالة.. تلاحقني صيحاتها..

غصت وسط الزحام و لم استطع نيل أكثر من قارورتي ماء صغيرتين و علبة عصير انتشلتها انتشالا و ركلت من حاول سلبها مني..

خرجت بغنيمتي من المعركة و جريت نحو الموضع الذي تركت الفتاتين فيه فلم أجدهما..

تلفت يمنا و يسرة فلم أجدهما...

جن جنوني و رحمت أهتف مناديا:

"رغد... دانة... أين أنتما؟؟"

ثم سمعت صوت دانة تهتف:



"وليد .. هنا"

ووجدتها تجلس عند خازنات الوقود و رغد ملقاة أرضا إلى جوارها..

ركضت نحوها فزعا ..

"ماذا حدث ؟؟"

"ربما ماتت ؟ لا أعرف إنها لا تستفيق"

مسكت رغد و هزتها بقوة و أنا أصرخ:

"رغد .. أفيقي .. لقد جلبت الماء .. أفيقي هيا" ..

بالكاد ترمش بعينيها.. فتحت علبة العصير و أدخلت طرف الماصة بداخلها و الطرف الآخر في فم رغد و ضغطت على العلبة حتى يتدفق العصير إلى فم رغد.. رغد حركت شفيتها قليلا.. ثم أخذت تبلع العصير.. ثم تشربه..

"اشربي .. اشربي"

أما دانة فأخذت إحدى قارورتى الماء و شربتها كاملة دفعة واحدة.. و تقاسمت أنا و رغد القارورة الأخرى..

"اشربي المزيد.. اشربيه كله"

الناس كانوا يدخلون و يخرجون من البقالة كل يحمل الطعام و الشراب.. دون مراعاة لأي حقوق.. و أي لياقة.. ففي وضع كالذي كنا عليه.. ينسى المرء نفسه..

استردت رغد و عيها الكامل .. و شيئا من قوتها..

"أأنت بخير الآن رغد؟؟ أيمكنك النهوض؟"

أومأت برأسها إيجابا فنهضنا نحن الثلاثة و أنا مسندا إياها..

قلت:

"سأجلب طعاما يمنحنا القوة لتابعة السير"

رغد قالت:

"أنا متعبة.. لا أستطيع السير بعد.. لا أستطيع"

و نظرت إلى دانة ، فقالت هي الأخرى:

"و لا أنا.. دعنا نرتاح ساعة"

وفي الواقع ، جميع من كانوا يسيرون جلسوا للراحة و تناول ما امتدت إليه أيدهم من الطعام..

اخترنا نحن بدورنا موضعا لنجلس فيه .. بعيدا بعض الشيء عن الآخرين .. ذاك أني لم أشأ جعل الفئتين عرضة لأعين الغير..

بعدها استقرنا هناك ، أردت العودة إلى البقالة و إحضار أي طعام ..إلا أن رغد منعتني .. فالتزمت مكاني..

كنت أراها تضغط على جرحها من حين لآخر.. و تعبيرات وجهها تتألم و أسمعها تنن ..

قلت:

"أهو مؤلم جدا؟ تحملي صغيرتي.. قليلا بعد"

و لا يزيدا ذلك إلا أنينا..

"أنا متعبة"

قالت و هي بالكاد قادرة على حمل رأسها و تكاد تسقطه .. و تدور بعينيها في المكان .. و تفرك يديها من البرد ..

تفطر قلبي لرؤيتها بهذا الشكل .. و لم أعرف ما أفعل؟؟ إن صغيرتي تتألم و على حافة الموت .. ماذا أفعل ؟

هي رأني أراقب تحركاتها و تمللمها .. قالت:

"أريد أن أنام"

قلت:

"اضطجعي و نامي صغيرتي " ..

حركت رأسها اعتراضا .. بينما عيناها تكادان تنغلقان رغما عنها..

رأفت بحالها البائس .. و قلت بعطف:

"اضطجعي رغد.. أنت متعبة جدا .. استرخي هيا" ..

رغد نظرت إلى دانة .. ثم إلى الناس ، ثم إلي بتردد..

قلت مشجعا:

"هيا صغيرتي .. لا تخشي شيئا"

و بادرت دانة بالاضطجاع .. بدورها.. فتشجعت رغد.. و همت بالانبطاح .. لكنها قالت قبل ذلك:

"لا تذهب إلى أي مكان وليد أرجوك"

قلت مطمئنا:

"لا تقلقي ، أنا باقٍ هاهنا"

ثم تمددت على الرمال.. و أغمضت عينيها..

أنا أيضا استلقيت على الرمال المجردة.. طالبا بعض الراحة .. و سرعان ما رأيت رغد تجلس و هي تنظر إلي و تقول:

"هل ستنام؟"

قلت:

"كلا.. سأسترخي قليلا"

و بدت مترددة ..

قلت:

"عودي للنوم رغد .. اطمئني"

فعادت و استلقت على الأرض .. و سكنت قليلا .. قم عادت فجلست و ألقنت نظرة علي !

قلت:

"ماذا؟؟"

قالت:

"لا تنم وليد أرجوك"

جلست مستويا ، و قلت:

"لن أنام صغيرتي .. نامي أنت و أنا سأبقى أراقب ما حولنا .. اطمئني"

و أخيرا اطمأن قلبها أو ربما تغلب عليها النعاس و التعب ، فاستسلمت للنوم بسرعة..

في العراء.. ننام مفترشين الأرض الجرداء... ملتحفين السماء .. تهب علينا التيارات الباردة تجمّد  
أطرافنا .. فنرتجف .. و تقشعر أجسادنا و قلوبنا .. ثم لا تجد ما يدفئها و يهدئ روعها..

كان الليل يمر ساعة بعد أخرى.. دون أن نحسب الزمن..

عاد البدر يراقبنا و يشهد تشردنا .. و حال لم يخلق الله مثلها حالا..

أراقب الفتاتين فأجدهما مستغرقتين في النوم .. و أنا شديد الإعياء .. و السكون و الظلام مخيم على  
الأجواء.. و معظم الناس رقود..

النعاس غلبني أنا أيضا.. فقد نلت ما نلته من الإجهاد.. لكنني كنت أقاومه بتحدٍ .. كيف لعيني أن  
تغفوا و فتاتاي نائمتان في العراء.. عرضة لكل شيء .. و أي شيء؟؟

وقفت كي أترد سلطان النوم ، و جعلت أحوم حول الفتاتين و أذرع المكان ذهابا و جيئة.. و أقترب  
منهما كل حين أراقب أنفاسهما.. و أطمئن إلى أنهما نائمتان و على قيد الحياة ..

أنا متعب.. متعب.. أكاد أنهار.. رأسي دائخ و الكون يدور من حولي.. و عيناوي تزيغان..  
يا رب.. إن عينك لا تغيب و لا تغفل.. و لطفك و رحمتك وسعا كل شيء.. فاشملنا تحت حفظك..

أغمض عيني لحظة واحدة؟ فقط لحظة.. أهدئ من تهيجهما و حرارتهما.. لحظة واحدة يا رب..

و لم تطعني عيناوي كما أبتى قلبي أن يغفل عنهما طرفة عين...

فيما أنا بهذه الحال.. بعد مضي فترة من الزمن.. أبصرت نورا يقترب منا قادما من آخر الشارع..

إنها سيارة ! السيارة الأولى التي تعبر هذا الشارع مذ تشرّدتنا فيه..

لم تكن سوى سيارة حوض.. ما أن رآها بعض الناس حتى أسرعوا راكضين إليها طالبين النجدة..

أسرعت إلى الفتاتين و أيقظتهما:

"رغد.. دانة .. هيا بنا بسرعة"

فتحتا أعينهما مذعورتين ، و مددت يدي و أمسكت بيديهما و سحبتهما لتنهضا جالستين ثم واقفتين في فرع..

قلت:

"لنلحق بالسيارة"

و ركضت ساحبا إياهما حتى أدركنا السيارة و انضممنا إلى أفواج الناس الذين ركبوا حوضها

سائق السيارة كان يهتف:

"انتظروا لأعبي خزائنها وقودا"

إلا أن الناس تشبثوا بها بجنون ..

بعد ذلك انطلقت السيارة بمن حملت تسير بسرعة لا بأس بها.. كان بعضنا جالسا و البعض واقفا ، و كنا نحن الثلاثة ضمن الوقوف.

كنا واقفين عند مقدمة الحوض، الفتاتان ملتصقتان برأس السيارة و أنا أكاد ألتصق بهما، فاتحا ذراعيّ حولهما أصد الناس عن ملامستهما..

بعد مسيرة ساعة أو أكثر .. لا أعلم تحديدا.. بلغنا مشارف إحدى المدن.. و أوقف السائق السيارة و قال:

"امضوا في سبيلكم"

هبطنا جميعا و تفرقنا .. هذا هنا و هذا هناك .. باحثين عن ملاجئ لهم..

وقفت أنا حائرا.. إلى أين أذهب في هذا الليل الكئيب ..و معي هاتان الفتاتان المنكوبتان؟؟

و تلفت من حولي فرأيت لا فتة تدل إلى طريق المدينة الشمالية الزراعية ، و الكائنة على مقربة..

نجحت بعد جهد في إقناع السائق بإيصالنا إلى هناك ، و تحديدا إلى مزرعة نديم ،

فهي الفكرة التي طرأت على رأسي المرهق هذه اللحظة ، .. بمقابل ..

و شكرت الله أن جعلني أحمل محفظتي في جيبتي مع المفاتيح..

ولم تكن المسافة طويلة ، وصلنا بعد فترة قصيرة إلى هناك..

هبطنا من السيارة و شكرت السائق .. و حثت الفتاتين على السير معي..

قالت دانة:

"إلى أين؟"

قلت:

"تقطن عائلة صديقي هنا، سأسألهم استضافتنا لهذه الليلة.. فنحن متعبون جدا"

لقد كان كل ما سبق أشبه بالكابوس .. إلا أنه كان الواقع..

بوابة المزرعة كانت مفتوحة كالعادة ، مشينا متجهين نحو المنزل.. دانة تمسك بقميصي الموضوع حول

رأسها، و رغد تجر قدمها المصابة.. و كلاهما تمسكان بيدي من الجانبين..

عند عتبات باب المنزل.. تركتاني لأصعد العتبات ، ثم أقرع الجرس، ثم ينفتح أسمع صوتا يسأل عن الطارق ، فأجيب:

"وليد شاكِر"

ثم أرى الباب ينفتح ، و تظهر من خلفه ... أروى نديم.

~ ~ ~ ~ ~ ~ ~ ~

اتسعت حدقتنا الفتاة التي أطلت من فتحة الباب ... و ألقَت علينا جميعا نظرة مذهولة و قالت:

"سيد وليد" !

وليد قال:

"مساء الخير.. هل العم إلياس موجود؟؟"

ردت الفتاة:

"خالي في طريقه إلى هنا" ..

ثم عاودت النظر إلينا أنا و دانة ، ثم قالت:



"ما الأمر؟؟"

قال وليد:

"فررنا من القصف الجوي... نجونا بأعجوبة"

الفتاة وضعت يدها على صدرها و شهقت .. ثم قالت:

"أ ... أنت ... تقيم في المدينة الصناعية؟؟"

أجاب وليد:

"نعم ، مع عائلتي " ..

و أشار إلينا..

ثم قال:

"تدمرت مدينتنا.. و الآن.. أصبحنا بلا مأوى " ..

سرعان ما فتحت الفتاة الباب على مصراعيه و قالت:

"هلموا بالدخول"

وليد قال:

"سننتظر العم إلياس " ..

إلا أن الفتاة أصرت:

"تفضلوا رجاء" ...

ثم التفتت إلى الداخل و أخذت تنادي:

"أمي" ...

وليد الآن التفت إلينا و قال:

"تعالا"

ترددنا قليلا إلا أننا سرنا معه إلى الداخل...

و في النور استطعت أن أرى وجه الفتاة الذي لم يكن جليا قبل قليل...

فتاة شديدة البياض و الشقرة... زرقاء العينين حمراء الخدين..أجنبية الملامح..

أقبلت سيدة أخرى نحونا و حين رأته وليد تهللت و رحبت به بحرارة..

السيدة كانت شديدة الشبة بالفتاة..

قالت الفتاة:

"هربوا من المدينة الصناعية يا أمي" !

امتقع وجه السيدة ثم قالت:

"أوه ربّاه ! حمدا لله على سلامتكم"

و أخذت الفتاة تكرر ذلك أيضا..

قال وليد:

"سلمكما الله ، شكرا لكما و أعتذر على حضوري إلى هنا.. لكننا بحاجة لمكان آمن نبات فيه ليلتنا  
هذه"

السيدة الكبرى أشارت إلى وليد بالتوقف عن الحديث و عادت ترحب من جديد .. و التفتت إلينا أنا و  
دانة..

وليد قال:

"شقيقتي و ابنة عمي"

قالت السيدة:

"و أين أبواك؟"

قلت:

"لم يعودا من الحج بعد .. أو .. لا أعرف ما حصل معهما" !

قالت السيدة و هي تشير بيدها نحو المقاعد:

"تفضلوا رجاء .. تفضلوا"

أنا و دانة كنا ممسكتين بيد بعضنا البعض .. واقفتين بحذر و تردد ..

وليد تحدّث إلينا قائلاً:

"تعالا .. لنجلس هناك"

و سرنا معه إلى المقاعد..

و جلست دانة ملتصقة به و أنا ملتصقة بها..

وليد ألقى نظرة علينا ثم قال مخاطبا الفتاة:

"هل لنا ببعض الماء من فضلك؟؟"

"فورا"

وذهبت الفتاة وعادت تحمل قارورة كبيرة من الماء المعدني و كأسين اثنين..

ملأتهما ماء و قدّمت الأول إلي و الثاني إلى دانة.. فشرينا بنهم شديد... المزيد و المزيد و المزيد... و وليد و الفتاة و السيدة يراقبوننا بشفقة!

ذهبت الفتاة و أحضرت قارورة أخرى و كأسا ثالثا و دفعتهما نحو وليد...

"تفضل"

وليد تناولهما و بدأ يشرب الكأس بعد الآخر حتى أفرغ معظم محتويات القارورة في جوفه..

أيكم جرّب عطشا كهذا العطش؟؟

ألا لعنة الله على الظالمين...

قالت السيدة مخاطبة الفتاة:

"انذهبي و حضّري بعض الطعام.. حضّري الحساء و الشطائر"

و أسرعت الفتاة منصرفة إلى حيث أمرت..

وليد قال:

"نحن آسفون يا سيّدة ليندا .. إنّنا"

فقاطعته السيّدة و قالت:

"لا .. لا داعي لقول شيء يا بني .. ألف حمد لله على نجاتكم" ..

ثم سمعنا صوت الباب ينفّتح ، و يدخل منه رجل عجوز...

ما إن دخل حتى وقف وليد فوقفنا أن و دانة تباعا..

الرجل ذهل ، و قال بتعجب:

"وليد؟؟"

و أقبل وليد نحوه فصافحه ثم أخبره عما حصل معنا و ما دعانا للحضور إلى هنا..

و العجوز لم يقلل كرما عن السيّدة و الفتاة .. بل رحب بوليد و عانقه و حمد الله كثيرا على سلامته..

حتى هذه الساعة لازلت بين الإدراك و إلا إدراك .. بين الحقيقة و الحلم ، و التصديق و التكذيب...

ولازلت أشعر بتعب لا يسمح لي بالوقوف أكثر من ذلك .. خصوصا على قدم جريحة متألّمة .. لذا فإنني

هويت على المقعد و ألقيت برأسي على مسنده..

دانة جلست إلى جوارني و ربتت على كتفي و قالت:

"رغد ..أأنت بخير؟؟"

أنا تنهّدت و أننت .. وليد أقبل هو الآخر نحوي قلّقا .. و قال:

"أأنت على ما يرام؟؟"

أشرت إلى قدمي .. أنا أتألم..

وليد قال مخاطبا الرجل العجوز:

"أوجد لديكم مطهرا و ضمادا للجروح؟؟"

السيدة غابت ثوان ثم عادت تحمل ما يلزم .. وليد قال:

"يجب غسلها أولا" ..

السيدة قالت:

"دورة المياه من هنا"

إلا أنني هزت رأسي ممانعة.. و لزممت مكاني..

دانة قالت بصوت هامس تكلم وليد:

"أنا أريد استخدام دورة المياه"

وليد استأذن أصحاب المنزل ، ثم نهضت دانة واقفة ، تغطي معظم وجهها بالقميص الموضوع على رأسها...

اعتقد أن الرجل العجوز انصرف هذه اللحظة .. أما السيدة الأخرى فعادت تشير إلى ناحية الحمام:

"من هنا" ..

ذهبت دانة إلى دورة المياه ، و السيدة استأذنت و غادرت لدقائق.. و بقيت أنا متهالكة على المقعد و وليد واقف إلى جواربي..

قال:

"أأنت بخير صغيرتي؟؟"

لا ! كيف لي أن أكون بخير؟؟ إنني في حال من أسوأ الأحوال التي مرت عليّ ... بدأت بالبكاء إلا أن دموعا لم تخرج من عيني...

وليد جلس بقربي و قال:

"ستكونين بخير.. نجونا من الموت .. الحمد لله"

شعرت لحظتها برغبة في الارتقاء في حضنه.. و البكاء على صدره.. و الاسترخاء بين ذراعيه.. أنا متعبة و أتألم.. أريد من يواسيني و يشجعني.. أريد حضنا يشملني و يدا تربت علي.. أريد أمي.. أريد أبي.. أريد وليد.. و لم أنل منه غير نظرات مشجعة ..

أقبلت السيدة تحمل معها وشاحين.. قدّمتها إلي..

نزعتُ عن رأسي ما كنت أتحدّب به، و لففت أحد الوشاحين حول رأسي ، على مرأى من وليد ... !

و عندما عادت دانة ، و قد غسلت وجهها و قدميها الحافيتين أعطيتها الوشاح الآخر...

قالت:

"تعالى لأغسل جرحك رغد"...

و أيضا لم أتحرك .. ففوق تعبى و إعيائى و الدوار الذي أشعر به .. أنا خائفة..  
نعم خائفة..

السيدة قامت بنفسها بإحضار وعاء يحوي ماء .. و وضعته عند قدميَّ و قالت:

"هل أساعدك؟"

دانة قالت:

"شكرا لك ، سأفعل ذلك"

ثم أخذت تحل الضماد - و الذي هو عبارة عن كم قميص وليد - من حول قدمي .. و غمرتها بعد ذلك في الماء النظيف الدافئ..

بدأت الأوجاع تتفاقم و تتزايد.. و أخذت أئن و أصبح .. لكنني لم أقاوم.. و استسلمت لما فعلته دانة بقدمي.. و أنا مغمضة العينين..

عندما فتحتهما كانت قد انتهت من لف قدمي بالضماد ... كما أن السيدة أحضرت ماء نظيفا لأغسل قدمي الأخرى ...

كل هذا و أنا ملتزمة الصمت و السكون إلا عن أنات و صياح ألم..

و الآن، جاءت الفتاة تحمل صينية مملآ بالشطائر بينما يتبعها العجوز حاملا صينية أخرى رُصّت علب العصير الورقية فوقها...

و وضعوا الطعام و الشراب أمامنا و الفتاة تقول:

"تفضلوا هذا لحين نضج الحساء"

لم يمد أحدنا يده.. ما الذي يجعلنا نفكر بالطعام في وقت كهذا؟؟ فراح أصحاب المنزل يحثوننا على الطعام ..

وليد تناول اثنتين من علب العصير و قدمهما لي و لدانة، فأخذت علبتي و شربت ما بها ببطء...

أصحاب المنزل الثلاثة استأذنوا منصرفين عنا، ربما لنتصرف بحرية أكبر..



وليد أيضا وزع الشطائر علينا إلا أنني رفضت تناولها..

"خذي يا رغد.. لا بد أنك جائعة جدا.. كلي واحدة على الأقل"

"لا أريد"

"هيا أرجوك .. ستموتين إن بقيت بلا طعام ساعة بعد"

و لم يفلح في إقناعي.. لكنه و دانة تناولوا شيئاً من الطعام بصمت..

لحظات و إذا بالفتاة تقبل بأقداح الحساء الساخن.. و تقدمها إلينا ثم تنصرف..

أجبرت نفسي على رشف ملعقتين من الحساء.. ثم أسندت رأسي إلى المقعد و أغمضت عيني..

كنت أسمع أصوات الملاعق .. و حركة الأواني .. و ربما حتى صوت بلعهما للطعام و هضم معدتيهما له ! و أسمع كذلك صوت نبضي يطن في أذني.. و أنفاسي تنحشر في أنفي.. و الآن .. صوت وليد يناديني..

"رغد"

فتحت عيني فوجدته ينظر إلي بقلق.. و يعيد السؤال:

"أأنت بخير؟؟"

قلت:

"أنا متعبة"

قال:

"سأتحدّث معهم" ..

ثم نهض و نادى:

"أيها العم الطيب" ..

ظهر الثلاثة من حيث كانوا يختبئون عنا..

قال وليد:

"اعذرونا رجاءً .. إننا في غاية التعب فقد قضينا ساعات طويلة نسير في الخلاء.. أين يمكننا المبيت بعد إذنكم؟؟"

قالت السيدة:

"ستنام ابنتي معي في غرفتي و يمكن للفتاتين المبيت في غرفتها.. سنعد فراشا أرضيا إضافيا"

و قال العجوز مخاطبا وليد:

"و أنت غرفتك كما هي"

قال وليد:

"هذا جيّد" ...

ثم أضاف:

"أشكركم جميعا جزيل الشكر.. إنني" ...

و مرة أخرى قاطعته السيدة و قالت:

"لا داعي لكل ذلك يا سيد وليد، ألم نكن كالعائلة؟ جميعكم أبنائي" ..

ثم أضافت مخاطبة الفتاة:

"خذي الفتاتين إلى غرفتك"

الفتاة أقبلت نحونا و هي تبتسم و تقول:

"تفضلا معي" ..

كلانا نظرت إلى وليد بتردد.. فقال الأخير:

"هيا عزيزتاي"

و هز رأسه مطمئنا.. يبدو أنه على علاقة وطيدة بهم.. و يثق بهم كثيرا ..

وقفت دانة و وقفت معها .. ثم قلت لوليد:

"و أنت؟"

قال:

"سأبات في غرفة في الخارج تابعة للمنزل"

هزرت رأسي اعتراضا شديدا ... مستحيل ! و عوضا عن مرافقة الفتاة اقتربت منه هو ، و قلت:

"لن تذهب و تتركنا"

قال:

"إنها غرفة خارجية اعتدت المبيت فيها.. ملاصقة للمنزل تماما"

هززت رأسي بإصرار أشد:

"لا .. لا"

وليد نظر إلي بضيق و تعب و أسي .. كأنه يرجوني أن أطلق سراحه و أدعه يرتاح قليلا..

قال:

"ستكونين بخير.. هذه عائلتي"

إلا أنني ازددت إصرارا و رفضا و قلت:

"سأذهب معك"

وليد و دانة تبادلوا النظرات .. و لم يعرف أي منهما ما يقول ..

مددت يدي فأمسكت بيده مؤكدة أكثر و أكثر بأنني لن أسمح له بالابتعاد عني..

أخيرا تكلم وليد مخاطبا أصحاب المنزل:

"إن لم يكن في ذلك ما يزعجكم .. فسنبيت في الغرفة الخارجية نحن الثلاثة.. و نحن آسفون لكل ما سببناه لكم من إزعاج" ..

العجوز تكلم و قال:

"كما تشاءون يا بني.. سأجلب المزيد من الفرش و البطانيات لكم"

و تحرك الثلاثة ، و أحضروا البطانيات و حملوها سائرين نحو الباب، و سرنا معهم إلى خارج المنزل ..

كانت الغرفة المقصودة هي غرفة تابعة للمنزل مفصولة عنه بجدار مشترك.. و كانت صغيرة نسبيا و بداخلها سرير صغير و أثاث بسيط ، و تتبعها دورة مياه صغيرة قريبة من الباب..

الثلاثة و معهم وليد تعاونوا في تحضير فراشين أرضيين على المساحة الحرة من الغرفة.. و حالما انتهوا ، قال العجوز..

"أتمنى لكم نوما هائئاً"

و عقبّت السيدة:

"تصبحون على خير"

أما الفتاة فقد أسرعت بالذهاب ثم العودة بصينية الشطائر و بعض العصائر .. و وضعتها على المنضدة الصغيرة التابعة لأثاث الغرفة و هي تقول:

"فيم لو احتجتم أي شيء فلا تترددوا في طلبه!"

وليد قال:

"شكرا جزيلاً.. هل نستطيع استخدام الهاتف؟"

قال العجوز:

"بكل تأكيد" ..

فشكرهم كثيرا و كذلك فعلت دانة ، ثم انصرفوا...

و فور خروجهم أقفل وليد الباب و أقبل إلى الهاتف .. و اتصل بأحد الأرقام .. و كان أول ما نطق به بعدها و بلهفة شديدة:

"سامر يا عزيزي .. أأنت بخير؟؟"

الحلقة السادسة والعشرون

\*\*\*\*\*

مضطجعة على السرير.. في غرفة أناس غرباء..

مكان مظلم و بارد.. ألتحف لحافا و بطانية خفيفين.. لا يكادان يدفئان أطرافي كما ينبغي.. أتقلب  
يمينا و يسارا.. محاولة ضبط جسدي في وضع يريحه و يخفف آلام قدمي الممتدة لكامل الرجل و الظهر  
أيضا..

و كلما التفتُ يمنا .. وقع نظري على تلك الكومة من اللحم و الشحم البشري المتمددة على فراش  
أرضي.. و المدثرة بلحاف و بطانية شبيهين باللذين يغطيانني ، يخفيان الرأس و لا يكادان يغطيان  
القدمين اللتين تبرزان من تحتهما.. بحجميهما الكبيرين و شكليهما الأشبه بالسفينة!

مسكين وليد!

لا بد أن عدد الخلايا الحسية في قدمه هو أكثر بكثير من قدمي أنا.. و لا بد أنه تألم كثيرا و هو يركض و  
يمشي حافيا عليها!

أوه و لكن لم علي التفكير بقدم وليد في ساعة كهذه و حال كهذه؟؟

أم أن الآلام التي أشعر بها في قدمي أنا جعلتني مهووسة بالأقدام؟؟

أكثر شيء أراحمي ، و جعلني أستلقي بطمأنينة على هذا السرير هو تحدّثي إلى والديّ و اطمئناني  
عليهما ، و كذلك على سامر و خالتي و عائلتها..

الحمد لله إنهم جميعا بخير...

و رغم التعب الذي كنت أعانيه ، لم أنم مباشرة مثلما نام وليد و دانة على فراشيهما الأرضيين.. لقد

كنت أشعر بالبرد... رغم أن جسدي متعرق..

جلست.. و أخذت أنظر نحوهما..

كانا مستغرقين في نوم عميق .. لا تصدر عن أي منهما أي حركة...

نهضت عن سريري و توجهت نحو الخزانة الصغيرة الموجودة في الغرفة، و أنا أعرج .. بحثا عن بطانية أخرى...

فتحت الخزانة و ألقيت نظرة على ما بداخلها، لم أجد أي بطانية أو لحاف..

أثناء إغلاقي لها أصدرت صوتا ... فالتفت مباشرة إلى النائمين أستوثق من عدم استيقاظهما بسبب الصوت.. دانة لم تتحرك البتة ، أما كومة الشحم و اللحم البشرية تلك فقد تحركت .. و أزيحت البطانية قليلا.. فظهر الرأس .. و العينان.. و الأنف المعقوف .. و الشفتان.. و الذقن الملتحى أيضا!

وليد نظر إلي برهة نظرة ساذجة، ربما كان نصف نائم.. ثم بدأ تركيزه يحتد و يشتد .. ثم حملق بي في قلق و استوى جالسا

"ما الأمر؟"

سألني ذلك ، فقلت:

"آسفة.. كنت أبحث عن بطانية أو ما شابه"

نظر وليد نحو السرير ليتأكد من وجود بطانية معدة لي ، ثم إلي .. فقلت موضحة:

"إنها خفيفة" ..

قال:

"أتشعرين بالبرد؟"

"نعم" ..

ثم رأيته ينهض ، و يحمل بطانيته و يضعها فوق بطانيتي ...

قال:

"ستدفئين هكذا"

شعرت بالخجل من تصرفه و الحرج .. قلت بسرعة:

"أوه كلا وليد" ..

قال:

"إنني لا أشعر بالبرد على أية حال.. اللحاف هذا يكفيني"

طأطأت رأسي خجلا و أنا أنطق بحروف الشكر ... وليد عاد إلى فراشه الأرضي و غطى جسده كاملا باللحاف!

رجعت أعرج نحو السرير و تذررت بالبطانيتين مع اللحاف... و استمد جسمي الحرارة ، لا من الأغطية المنشورة فوقي ، بل من المدفئة المتهبة التي تبعث حرارة و تقدح لهيبا في الغرفة ... مكومة هناك.. على ذلك المفروش الأرضي ، ملفوفة باللحاف كالشرنقة !

يا إلهي ما أجمله من شعور!

ولأنه لم يعد باستطاعتي رؤية أية أقدام كلما تلفت ، فإن هوس التفكير بها غاب عني .. و سمح لدماغي بالصفاء.. و بالتالي بالاستسلام للنوم...

نومتي لم تكن بالنومة الطبيعية على الإطلاق.. رأيت كوابيس مزعجة جدا و استيقظت عدّة مرات



فزعة.. أرى نفسي في العراء.. و الناس تركض ...و النار تحيط بنا..

أسمع صراخ الناس.. و دوي الانفجارات.. و أرى جنودا يركضون نحوي..

أحاول الوقوف لأهرب، لكن قدمي المصابة تعيقني...

أصرخ و أصرخ ... و أرى وليد يركض مع دانة مبتعدين .. فأمد يدي طالبة العون.. و ما من معين..

ثم تقترب النيران مني و تلسعني ألسنتها... فأصرخ بأعلى صوتي.. ثم يظهر سامر لا أعلم من أي مكان.. و وجهه يحترق.. و يقول:

"لماذا فعلتِ هذا بي؟؟"

استيقظ من النوم فزعة مرعوبة ، أتلفت إلى ما حولي ، فأجد نفسي في غرفة صغيرة مظلمة ...

مضطجعة على سرير .. و أرى وليد و دانة نائمين على مقربة مني...

أنهض عن سريري و اقترب منهما لأتأكد .. أهما وليد و دانة؟؟ أنا في حلم؟؟ فأرى وجه دانة الغارق

في النوم .. و شعرها المبعثر على الوسادة... نعم هي دانة..

و هي حية .. و تتنفس..

ثم التفت ناحية وليد.. المغطى باللحاف كليا ، فلا أجد ما يثبت أنه وليد..

و أنه حي .. و يتنفس!

أبقى أراقبه بتركيز حتى ألاحظ حركة طفيفة يصدرها صدره .. فيطمئن قلبي إلى أنه حي .. و يتنفس ..

لكن .. هل هذا وليد؟؟

أمد يدي بحذر و ببطء.. و جنون.. نحو طرف اللحاف فأزичه قليلا عن قدمه..

كبيرة كالسفينة!

لا شيء يدعو للشك!

إنه وليد حتما!

يطمئن قلبي و أعود أدراجي إلى سريري الدافئ... نعم أنا بخير.. نعم لقد نجونا.. نعم كان كابوسا..  
نعم أنا متعبة.. و بالتأكيد سأنام...

في المرة الأخيرة التي نهضت فيها.. كانت حالتي سيئة جدا...

~ ~ ~ ~ ~

كنت غارق في النوم لأبعد الحدود ، بعد العناء الذي مررنا به .. توقعت ألا أنهض قبل مضي ٢٠ ساعة  
على الأقل!

إلا أنني نهضت على صوت ما...

فتحت عيني و بقيت لحظة في سكون ، إلى أن أفاقت جميع خلايا الوعي النائمة في دماغي ، ثم  
بدأت حواسي تعمل بشكل جيد ، و تميز الصوت و معناه ...

كان صوت رغد.. و كانت تناديني..

التفت ناحية السرير الذي كانت رغد تنام فوقه فرأيتها تجلس على حافته في إعياء شديد ، بالكاد  
تسند جدها

كانت عيناها شديديتي الإحمرار .. و وجهها شديد الشحوب .. تعبيراتها تنم عن التألم و الإرهاق

اجتاحني القلق بغتة ، وقفت بسرعة و قلت:

"رغد .. ما بك ؟؟"

نبست شفتاها عن أنة .. تلتها تنهيدة وجع ... ثم قالت بوهن:

"متعبة.. دوار" ..

ثم رأيت القشعريرة تسري في جسدها...

اقتربت منها قلقا .. و أبصرت زخات من العرق تبلل وجهها

قلت:

"سلامتك"

قالت:

"أظن أنني محمومة .. أريد مسكنا"

ثم ارتمت على السرير بضعف...

رغد تبدو مريضة جدا..

قلت:

"أ نذهب إلى الطبيب؟"

رغد أنت.. أنين مريض مرهق.

قلت:

"استعدي للذهاب . سأعود في الحال"

و توجهت نحو الباب ، فنادتني بوهن:

"وليد"

التفت إليها فوجدتها عاجزة عن رفع رأسها عن السرير .. قلت:

"سأطلب من العم إعارتنا سيارته"

وقبل خروجي نظرت إلى دانة ، و ناديتها عدة مرات إلا أنها كانت في نوم عميق..

عندما خرجت من الغرفة و سرت باتجاه باب المنزل لمحت العم إلياس على مقربة .. و كان يزيل بعض الأوراق و الأغصان المتساقطة من على الأرض..

إنه الصباح الباكر و هذا الرجل معتاد على النهوض باكرا من أجل العمل...

اقتربت منه و أنا أقول:

"صباح الخير أيها العم الطيب"

التفت إلي و ابتسم ابتسامة جميلة و رحب بي بكل بشاشة و بشر...

قال:

"نهضت باكرا ! هل اكتفيت من النوم بهذه السرعة؟؟"

قلت:

"لازلت متعبا أيها العم ، بصعوبة أدت صلاتي قبل فوات وقتها" ..

"إذن لم قمت باكرا هكذا؟"

قلت:

"ابنة عمي متعبة.. أريد أخذها إلى المستوصف القريب.. فهل تسمح بإعارتي سيارتك؟؟"

العم قال بسرعة:

"أيعقل أن تسأل هذا يا وليد؟ بل أنا من سيوصلكما إلى هناك.. أنسييت يوم اصطحبتنا نحن إلى هناك؟  
جاء وقت رد الجميل!"

قلت:

"لا أريد إزعاجك أيها العم"

"عن أي إزعاج تتحدث؟ كما وأن لي حاجة من مكان قريب من المستوصف ، أنا ذاهب لجلب  
السيارة أمام المنزل"

و ولى مسرعا...

لم يكن لدى العائلة سوى سيارة حوض .. زرقاء اللون ، يستخدمونها رئيسيا لنقل الثمار إلى سوق  
الخضار..

و هي سيارة لا تتسع لأكثر من ثلاثة أشخاص...

قبل أن أعود إلى الغرفة ، ظهرت الأنسة أروى خارجة من المنزل ، تحمل طبقا مسطحا كبيرا حاويا  
كمية من حبوب الأرز...

أروى حالما رأتني بادرت بالتحية:

"صباح الخير يا سيد وليد"

قلت ببعض الحرج:

"صباح الخير سيدتي"

قالت:

"أنتمتم بشكل جيد؟"

"الحمد لله"

"هل نهضت الفتاتان؟"

"كلا ، أعني نعم ..أقصد واحدة نعم و واحدة لا "

قالت:

"الباب مفتوح لكم لدخول المنزل أنى شئتم.. ساعد لكم طعام الفطور بعد قليل"

"شكرا لكم. غمرتمونا بكرمكم"

"إنه واجبنا بل من دواعي سرورنا" ..

و هنا أقبل العم يقود سيارته... و أوقفها على مقربة..

سألت الفتاة:

"إلى أين يا خالي؟؟"

قال:

"إلى المستوصف"

"المستوصف؟؟"

قلت موضحا:

"لأخذ ابنة عمِّي فهي متعبة"

قالت:

"سلامتها"

"سلمكم الله"

شكرتها و استأذنت و عدت إلى الغرفة..

كانت رغد لا تزال على نفس الوضع الذي تركتها عليه... و مغمضة العينين

حين أحسَّت باقترابي فتحتهما بإعياء...

"صغيرتي .. هيا بنا"

بصعوبة بالغة تحركت.. و مشت خطواتها العرجاء فلما صارت قربي التفتت إلى دانة..

حرت في أمري...

فمن جهة ، لا أريد ترك دانة وحدها هنا.. و من جهة أخرى لا أريد إفساد نومها العميق ، كما و أنا

السيارة لا تتسع لها..

في النهاية قلت:

"سندعها نائمة" ..

و لولا التعب لنطقت رغد بكلمات الاعتراض المرسومة على وجهها ، إلا أنها سارت باستسلام و عجز...

أغلقت الباب تاركا المفتاح في الداخل.. و حين أصبحنا قرب السيارة قلت مخاطبا الأنسة أروى:

"من فضلك سيدتي.. هل لا تفقدت شقيقتي بين حين و آخر؟ إنها لا تزال نائمة هناك .. و لا تعرف عن خروجنا"

أروى قالت:

"اطمئن .. لسوف أذهب و أأزم الغرفة لحين عودتكما" !

قلت:

"شكرا لك ، أخبريها أننا ذهبنا للمستوصف القريب و سنعود قريبا"

التفتت بدورها إلى رغد و قالت:

"سلامتك"

رغد لم تجب و اكتفت بنظرة كئيبة نحو الأنسة أروى.

قلت أنا:

"شيء آخر يا سيدتي و استميحك عذرا على ثقل ظننا" ...

"تفضل دون حرج يا سيد وليد"

نظرت إلى رغد في خجل و قلت:

"عباءة .. إذا أمكن"



الآنسة أروى قالت:

"بالتأكيد"

وأسرعت إلى داخل المنزل ، و عادت تحمل عباءة .. و زوجين من الأحذية المطاطية ، التي يرتدونها عادة أثناء العمل...

انتبهت حينها فقط إلى أنني و رغد كنا لا نزال حافيين أيضا!

بعدها ارتدينا الأحذية المطاطية تلك ، و ارتدت رغد العباءة ، تقدمنا نحو السيارة فصعدت أنا أولا ثم رغد من بعدي... و قد كادت تتعثر .. إن من شدة التعب و الدوار ، أو من علو عتبة السيارة ، أو من طول العباءة التي ترتديها!

حينما بلغنا المستوصف ، دخلته و رغد فيما ذهب العم لقضاء حاجاته على اتفاق بالعودة فور فراغه منها..

هناك ، استلقت رغد على سرير الفحص و أقبلت الممرضة لقياس العلامات الحيوية لها ، ثم قالت:

"حرارتها مرتفعة جدا! أربعون درجة و نصف!"

و أحضرت كيسا يحوي مجروش الثلج و وضعته على رأس رغد ، بينما قامت ممرضة أخرى باستدعاء الطبيب المسؤول.

ثوان و إذا بالطبيب يحضر ..

و هو رجل في نحو الثلاثين من العمر.. ما أن أقبل حتى استوت رغد جالسة..

اتخذ الطبيب مجلسه على مقعده الوثير خلف المكتب ، و أمسك بالقلم و إحدى الأوراق بين يديه و بدأ يسأل:

"مم تشكو الفتاة؟"

توليت أنا شرح حالتها مجملا .. و أخبرته عن الجرح العميق في قدمها.

الآن .. يقف الطبيب و يقبل نحو سرير الفحص و يقول:

" بعد إذنك "

وقفت أنا دون حراك ، بينما حاولت المريضة إغلاق الستارة حول السرير.. لتحول بيني و بينه..  
و بادرت المريضة الأخرى بفتح الضماد من حول قدم رغد المصابة...

في هذه اللحظة هتفت رغد:

" وليد "

لم أتحرك من مكاني ، لا للأمام و لا للخلف .. و المريضة تنظر إلي منتظرة ابتعادي ..

قال الطبيب:

" أنت شقيقها ؟ "

قلت:

" تقريبا... ، ابن عمّها "

و نظرت إلى رغد فقرأت على وجهها الفزع المهول...

قال الطبيب:

" استلقي يا آنسة "

و الذي فعلته رغد هو أنها همت بالنهوض فجأة...

اقتربت أنا منها فأمسكت بذراعي ...لأساعدها على النهوض...

قلت:

"رغد" ..

رغد هزت رأسها نهيا بإصرار...

قال الطبيب:

"ألا تريدين مني أن أفحصك؟"

رغد قفزت من السرير واقفة على قدميها ، ثم صرخت تألماً...

قلت:

"رغد اصعدي .. دعيهم يرون الجرح على الأقل"

لكنها عوضاً عن ذلك تشبثت بي أكثر و قالت:

"لا"

التفت إلى الطبيب الواقف جوارنا ينظر باستغراب و قلت:

"إنها خجولة جداً"

ثم أضفت:

"ألا يوجد طبيبة امرأة؟"

قال:

"للأسف لا "

ثم تنحى جانبا .. وابتعد..

تحدثت إلى رغد الواقعة على قدمها بألم و قلت:

"أرجوك صغيرتي ، لندع المريضة تعقم الجرح"

و لم تقتنع بسهولة..

بعدها صعدت على السرير ، و هي لا تزال متشبثة بي ، و كشفت المريضة عن الجرح.. تأملته ثم قالت  
موجهة الحديث إلى الطبيب:

"دكتور.. إنه ملتهب جدا"

الطبيب أقبل من جديد يريد إلقاء نظرة على الجرح فرفضت رغد ذلك و دلت رجليها أسفلا..

قال الطبيب يحدث المريضة:

"خراج؟"

"نعم يا دكتور.. ملوث جدا"

الكلمات أفلقتني.. قلت مخاطبا رغد:

"دعيه يلقي نظرة"

لكنها أصرت على موقفها بل و همّت بالنهوض...

"هيا رغد فنحن جئنا للعلاج " ..

و خاطبتُ الطبيب:

"أرجوكم طهروه و اعتنوا به كما يجب"

بصعوبة بالغة سمحت رغد للطبيب فقط بإلقاء نظرة عن كثب على الجرح.. و ما أن رآه حتى قال:

"بحاجة إلى تنظيف جراحي"

قلت قلنا:

"تنظيف جراحي؟؟"

"نعم ، في غرفة العمليات الصغرى.. و لابد من أدوية قوية لأن الجرح ملتهب للغاية"

الخوف تملكني أنا ربما أكثر من رغد المذعورة بين يدي...

رغد .. جرح .. التهاب .. عملية .. أدوية ..؟؟

ألف يا رب.. أطف يا رب..

قلت:

"ماذا علينا فعله؟؟"

"ننقلها إلى غرفة العمليات الصغرى الآن ، و تحت المخدر الموضعي يقوم الجراح بتنظيف الجرح و

تعقيمه "

نظرت إلى رغد .. و الذعر المخيم على وجهها .. و الرفض الصارخ من عينيها.. فقلت:

"رغد"

و لم أتم ، إذ أنها هتفت فجأة مقاطعة:

"لا"

واجهت وقتا عصيبا مع هذه الفتاة حتى وصلنا إلى غرفة العمليات المعنية ، و خرقت القوانين بدخولي  
رغم عدم السماح بذلك..

أنى لي أن أترك صغيرتي وحدها هكذا ؟! مستحيل

و رغم المخدر الموضعي الذي حقنت به ، إلا أنها تألمت بشدة و صرخت بعنف و هي تستنجد:

"وليد.. وليد" ..

كانت تمسك بي بقوة، تغرس أظافرها في ذراعي.. و كلما لمست قدمها ، صرخت و أو عضت على  
أسنانها..

و كلما فعلت ذلك صرخت أنا بهم:

"على مهلكم إنها تتألم .. أي مخدر هذا؟؟"

أنظر إليها و أهدىء و أشجع ، و أنظر إليهم و أصرخ و أعنف .. و أنظر إلى نفسي فأرى النار تكاد  
تندلع من أعصابي و تشب في جسدي من صراخ رعد...

كم تمنيت.. لو أن الجرح كان في قدمي أنا.. في قدميّ الاثنتين .. في كل جسدي .. يقطعني و  
يحرقني و يكويني .. و لا أن يصيب خدش واحد حتى أحد أظافر قدمها..

كم كنت قاسيا يوم جعلتها تركض حافية القدمين و عرضتها لكل هذا...

أما كان باستطاعتي حملها طوال المشوار؟؟ أعجز عن رفع صغيرتي عن أذى الأرض.. و هي التي  
تربت متعلقة بعنقي؟؟

ما ينفعني الندم الآن .. و قد سمحت للآه بالانطلاق من صدر فتاتي .. و للدموع بالانسكاب من

محجريها .. و للألم باعتصار قدمها و تعذيبها كل هذا الوقت ..  
يا رغد..

إنك إن تصرخين مرة تصرخ شرايين قلبي ألف مرّة ... و إن تبكين دمة يبكي قلبي بحرا من الدم ...  
و إن تتلوين ألما فإن أحشائي في داخلي تتمزق إربا إربا ..  
و إن تغرسين أظافرك في بدني فأنا مغروس في حبك بعمق طبقات الأرض كلها...

في نهاية الأمر اضطر الطبيب لحقنها بمخدر منوم... ثوانٍ و إذا بي أشعر بأظافرها تخرج من  
جسدي.. و قبضتها تخف الضغط علي .. و عضلاتها ترتخي .. و شيئا فشيئا تسقط يديها على  
جانبيها و يترنح رأسها للأسفل...

فزعت ، رفعت رأسها و ناديت:

" رغد ؟؟ "

لكنها كانت غائبة عن الوعي ..

التفت إلى الطبيب الجراح و المرضات و قلت:

" ماذا حدث لها ؟؟ "

قال إحداهن:

" نامت تحت تأثير المخدر "

لم أشعر بالطمأنينة ، قلت موجهها كلامي إلى الطبيب:

" أهى بخير يا دكتور ؟؟ "

قال:

"نعم ، إنه مجرد مخدر .. ستنام لساعة أو أكثر ..."

أسندت رأس صغيرتي إلى الوسادة.. و تأملت وجهها ببقايا من القلق.. كانت هناك دمعتان معلقتان على خديها .. آخر السيل ... و ببساطة ...مددت يدي و مسحتهما...

بعد ذلك ظللت أراقب الطبيب و من معه و هم يعقمون الجرح ... و حالما فرغوا قال الجراح:

"أنصح بنقلها إلى مستشفى حيث يتم إدخالها و إعطائها الجرعات اللازمة من الأدوية الضرورية لفترة من الزمن"

ذهلت و تملكني الهلع ، فقلت:

"لم يا دكتور ؟ ما بها ؟؟"

قال:

"الجرح ملتهب بشكل سيء .. نحن نظفناه و عمقناه جيدا و حقناها بمضادات السموم و لكنها بحاجة إلى أدوية أخرى لإتمام العلاج"

زاد قلقي

"هل هناك خطر عليها ؟ أخبرني رجاء ؟"

"الخشية من أن ينتشر الالتهاب أعمق من ذلك . جرح عميق .. قدم حافية .. شارع طويل .. خطورة أكبر"

فيما بعد ، نقلت رغد إلى غرفة للملاحظة .. إضافة إلى جرحها المتهب ، هي مصابة بجفاف و انخفاض في سكر الدم..

كانت غرفة صغيرة حاوية سريرين تفصل بينهما ستارة قماشية



لم تحس رغد بالدنيا من حولها مذ حقنت بالمخدر.. وضعناها على السرير و استبدلت الممرضة قارورة  
السائل الوريدي الفارغة بقارورة أخرى أكبر حجماً.. ثم انصرف الجميع تاركينها نائمة و أنا جالس  
على مقعد إلى جوارها...

كانت هادئة جداً.. و غارقة في النوم لأبعد الحدود.. كطفل بريء ..

رؤيتها هكذا قلبت في رأسي ذكريات الماضي ...

كم و كم من المرات... كنت أتسلل خلسة إلى غرفة طفلي ألقى عليها نظرة و هي نائمة بسلام... و  
أحياناً أجلس بقربها .. و أداعب خصلات شعرها الأمس...  
و في أحيان أخرى.. كنت أطبع قبلة خفيفة على جبينها و أهمس في أذنها:

"أحلاما سعيدة صغيرتي"

لم أحتمل ألم هذه الذكرى...

انطلقت دموعي رغماً عني .. شاقة طريقها النهائي إلى الموت.. لو كان الزمان يعود للوراء تسع سنين  
فقط.. تسع سنين فقط.. لكنت اقتربت من صغيرتي أكثر.. و أخذتها بين ذراعي .. و ضممتها إلى  
صدري بقوة .. بقوة.. أواسيها .. أشجعها.. أشعرها بالأمان و الطمأنينة.. و الحنان و الحب.. بالدفء  
و الحرارة..

آه لو يرجع الزمان للوراء...

آه لو يرجع...

و فيما أنا أبكي في نوبة الذكرى الجنونية هذه ، طرق الباب ثم أقبلت إحدى الممرضات تقول:

"معذرة هل اسمك السيد وليد شاكر؟؟"

مسحت دموعي بسرعة و هببت واقفا مجيبا:

"نعم"

قالت و هي تنظر إلى بشيء من الاستغراب:

"هناك رجل عجوز يسأل عنك في الخارج"

و تذكرت لحظتها إلياس و اتفاقي معه!

خرجت معها فرأيت العم إلياس يقف عند الممر .. ما أن رأني حتى بادر بسؤالي عن حال قريبتني..

"الحمد لله.. ستتحسن"

قال:

"هل تحتاج للبقاء هنا؟"

"أنا آسف لأنني عطّلت مشاغلك يا عمي ، إنها تتلقى سائلا ويريدوا الآن.. و قد يطول هذا لساعة أو ربما أكثر" ...

قال:

"لا بأس عليكم . أ هناك ما تود مني فعله يا بني؟؟"

"شكرا لك عمّاه ، فعلت الكثير .. أرجوك انه مشاغلك و أنا سأبقى معها لحين تحسنها.. سأستقل سيارة أجرة أو أتصل بكم حين فراغنا"

و على هذا افترقنا . عمدت إلى هاتف وجدته أمامي فاتصلت بمنزل نديم و اطمأننت على دانه ، و التي  
كما أُخبرتُ كانت لا تزال نائمة!

عدت من ثم إلى صغيرتي فوجدتها كما تركتها ، نائمة كالملاك... غير أنها رفعت ذراعها فوق الوسادة  
، في وضع اعتقدت أنه يعيق جريان السائل الوريدي إلى عروقهها..

لذا اقتربت منها و ببطء و هدوء و حذر شديد حرّكت يدها و مددت ذراعها إلى جنبها..

في هذه اللحظة فتحت رغد عينها نصف فتحة .. فوقعتُ في أمري و تسارعت ضربات قلبي فجأة...  
دافعة الدماء إلى وجهي بعنف و غزارة!  
تركتُ يدها تنزلق من بين أصابعي خجلا..

رغد قالت بصوت خفيف غير طبيعي:

"وليد.. أنت لم تُضِعِ الميدالية أليس كذلك؟؟"

اضطربت .. و لم استوعب ما قالت ...

قلت:

"ماذا؟"

لكن رغد أغمضت عينيها و بدت غارقة في النوم!

"رغد..؟؟"

لم تجبني .. ما جعلني استنتج أنها ربما كانت تحلم .. و أنها لم تكن واعية .. و أنها لن تتذكر هذا  
!

الحمد لله!

ضبطت البطانية لتشمل ذراعها تحتها .. و عدت إلى مقعدي المجاور..

مرت الدقيقة بعد الأخرى.. شعرت بالإعياء و عاودتني الأوجاع الجسدية التي تجاهلتها منذ نهوضي  
على صوت رغد هذا الصباح .. و غزاني النعاس...  
و النوم سلطان على من لا سلطان عليه !

~ ~ ~ ~ ~

كأنني أحلق في عالم جميل... أطيّر فوق السحاب.. في قمة الراحة و الاسترخاء.. لا ألم .. لا ضيق ..  
لا شيء سوى شعور بالدغدغة في داخلي!

فتحت عيني لأرى الجنة التي أحس بنفسي أنعم فيها.. فرأيت جنة مختلفة لا تتفق و الشعور الجميل  
الذي أحسه..

أنام على سرير أبيض الألفحة.. تحيط بي الستائر البيضاء.. و تتدلى قارورة ما من أعلى عمود ما..  
موصولة بأنبوب طويل ينتهي طرفه الثاني داخل وريدي!

جلست بسرعة أتلفت من حولي.. إنني في المستشفى راقدة على سرير المرض!

متى وصلت إلى هنا؟؟ كيف وصلت إلى هنا؟؟

أين وليد؟؟

أصابني الروع ، دفعت باللحاف بعيدا عني و قفزت من على السرير .. و طأت الأرض مرتكزة على  
قدمي المصابة ، فشعرت ببعض الألم..

سحبت ذلك العمود الحديدي ذا العجلات معي و سرت خطوة و أنا حافية ، و فتحت الستارة.. كنت

أتوقع رؤية وليد خلفها.. لكنه لم يكن هناك

تزايدت خفقات قلبي و تزامنت أنفاسي و هي تعبر مجرى هوائي ...

توجهت إلى الباب مسرعة ، أعرج بشدة.. و فتحتته باندفاع.. و صار مشرعا أمامي كاشفا ما خلفه ..  
ممر .. غرف ..انعطافات.. أناس يمشون إلى اليمين ، و أناس إلى الشمال.. و ممرضة تقف في الجوار ..  
تنظر إلي.. و تتحدث إلى طبيب ما .. آخرون يقفون على مبعده.. أناس كثر..كثري.. إلا أن وليد ليس  
من بينهم..

كدت أنهار.. كدت أصرخ.. كدت أهتف.. لكن الشهقة التي انحشرت داخل صدري حُبست عن  
الخروج..

المرضة و الطبيب الآن يقتربان نحوي ..أنا أتراجع .. داخل الغرفة.. يصلان عند الباب و يوشكان  
على الدخول .. تبتسم الممرضة و تقول:

"هل أنت أفضل حالا الآن؟؟"

يسأل الطبيب:

"كيف تشعرين؟"

أنا أنظر إليهما بذعر .. يداي ترتعشان.. و رجلاي أيضا.. أفقد توازني و أقع أرضا ... و يينشد  
الأنبوب الموصل بوريدي خارجا من يدي.. و يترنح في الهواء راشا السائل من حولي..

المرضة تنحني مادة يدها إلي..

أنا أصدها و أصرخ:

"ابتعدا عني"

يتبادلان النظرات .. ثم يقولان معا:

"أ أنت بخير؟"

أنا أصرخ مستغيثة:

"وليد .. وليد"

يتبادلان النظرات ، ثم تقول المريضة و هي تشير بيدها نحو الستارة:

"قريبك هناك" !

التفت نحو ما أشارت إليه ، السرير الثاني في الغرفة و شبه المحجوب بالستارة..

أنظر إليها ، ثم أحاول النهوض و جسدي ترتجف..

تحاول هي مساعدتي فأصرخ:

"لا"

أهب واقفة قافزة نحو الستارة .. أمسك بها و أفتحها باندفاع.. فتقع عيناى على وليد نائما فوق السرير! ...

"وليد" !

اقتربت منه أكثر و أكثر... و هتفت:

"وليد" ..

وليد لم يفتق ، أمسكت بكتفه و هزته و أنا أناديه لأوقظه...

وليد أحس أخيرا ، و فتح عينيه و نظر إلي...

الذعر كان محفورا على وجهي مما جعل وليد يجلس بسرعة متوترا و يقول باضطراب:

"صغيرتي ماذا جرى؟"

بجنون التصقت بذراعه و أنا أرتجف خوفا.. كنت خائفة حد الموت..

صرخت بوجهه:

"لماذا تركتني وحيدتي؟"

و قفزت دموعي من عيني ..

"لماذا وليد؟ إنهم يريدون إيذائي .. لماذا تتركني وحدي؟"

وليد أمسك بيدي و حاول تهدئتي:

"بسم الله الرحمن الرحيم ، صغيرتي أنا هنا معك "

نظرت إليه وسط الدمع و صرخت:

"لماذا تركتني وحدي؟"

"أنا هنا رغد.. معك ! غلبني النعاس فنمت على هذا السرير.. لا تفزعني أرجوك "

قلتُ مجهشة باكية:

"أنا أخاف من البقاء وحيدة.. متى تدرك ذلك؟ لماذا تباعد عني ؟ أتريد أن تقتلني؟"

وليد جعلني أجلس على السرير .. و وقف هو أمامي يردد عبارات الأسف و التهدئة و الطمأنة ... كل

هذا و الطبيب و الممرضة لا يزالان واقفين مندهشين في مكانيهما..

بعدها سكنت روحي من روعها و استرددت طمأنة نفسي .. سألني وليد:

"أتشعرين بتحسن؟"

"نعم"

وليد نظر إلى الساعة المعلقة على الحائط المقابل ، و كانت تشير إلى الحادية عشرة و النصف ..

ثم وجه خطابه إلى الطبيب قائلاً:

"أيمكننا الانصراف الآن؟"

قال الطبيب:

"نعم ، سأكتب للمريضة وصفة أدوية ، إلا أنني أفضل نقلها للمستشفى"

وليد نظر إلي.. ثم إلى الطبيب و قال:

"لا يمكننا ذلك"

"أحضرها لتطهير الجرح يوميا إذن"

ثم غادرنا المكان..

في الواقع ، لم يكن يفصل بين السريرين في تلك الغرفة سوى ستارة مشتركة ، و بضع أقدام ...

عدنا إلى منزل صديق وليد في نفس السيارة التي قدمنا فيها ..

العجوز أوصلنا و غادر...



حين دخلنا إلى هناك ، و على نفس المقاعد التي كنا نجلس عليها البارحة رأيت دانة جالسة مع السيدة الصغرى ، بينما الأخرى تستقبلنا و ترحب بعودتنا..

وقفت دانة و الفتاة لدى رؤيتنا ..

دانة كانت ترتدي عباءة أشبه بالعباءة التي أجراها حول قدمي!

قالت السيدة الكبرى:

"تفضلا رجاءا"

أقبلنا نحو المقاعد و تبادلنا التحيات ، ثم تقدمت دانة مني و هي تقول بقلق:

"أأنت بخير؟"

قلت بهدوء:

"نعم"

لقد كان القلق الشديد ظاهرا على وجهها.. و هذا ما أدهشني ، فهي المرة الأولى التي أشعر فيها بقلق دانة علي!

تحدثت الفتاة الآن قائلة:

"سلامتك يا رغد"

ألقيت عليها نظرة حاوية لشيء من الاستغراب... فابتسمت هي و قالت:

"اسمك جميل"

تأملتها بعمق.. و حدثت نفسي...

(بل أنت الجميلة ! ما أشد جمال هذه الفتاة !)

قلت:

"شكرا لك" ..

قال وليد مؤكدا:

"شكرا لكم جميعا"

قالت السيدة الأخرى:

"لا شكر على واجب أيها الأعزة ، تفضلوا جميعا بالجلوس"

وجلست قرب دانة.. و التي قالت مخاطبة وليد:

"اتصلت بوالديّ و بسامر و نوار قبل قليل ، الجميع بخير.. لن يُسمح لأبويّ بدخول البلاد لحين من الزمن"

وليد قال بارتياح:

"هذا أفضل ، ليبقيا بعيدا آمنين" ..

و كان والداي و جميع المسافرين قد منعوا من دخول البلدة و ألغيت جميع الرحلات القادمة إليها..

أضافت دانة:

"لكن سامر في طريقه إلينا"

توتر وليد و قال:

"مجنون .. أمرته بأن يلزم مكانه لحين استقرار الأمور.. لماذا يعرض نفسه للخطر الآن؟؟"

قالت دانة:

"فليحفظه الله ... يا رب"

حل الصمت علينا برهة ، ثم قالت السيدة الكبرى:

"سيكون كل شيء بخير إن شاء الله"

ثم التفتت إلى الفتاة و قالت:

"أعدي المائدة الآن بنيّتي و استدعي خالك"

وقفت الفتاة و هي تقول:

"في الحال أمي"

و همّت بالذهاب ...

وليد قال:

"اعتقد أن العم إلياس قد ذهب إلى المسجد ، فهذا ما قاله و نحن في طريقنا إلى هنا "

قالت السيدة:

"هل تحب أن تنتظره أم .. ؟"

قال وليد:

"نعم ، في الواقع سأذهب لأصلي أنا أيضا"

قلت بسرعة:

"وليد ؟؟"

أتم جملته:

"في الغرفة" ..

وقف وليد ، فوقفت معه .. ووقف دانة و السيدة أيضا ..

ثم نطق بعبارات الشكر و الاستئذان و هم بالانصراف ..

قال الفتاة الجميلة مخاطبة إياي بابتسام:

"لقد وضعت بعض الملابس في الخزانة لأجلك"

و التفتت إلى وليد بنفس الابتسام و قالت:

"خالي أيضا ترك بعضها لك يا سيد وليد"

وليد قال:

"نحن ممتنون لكم .. شكرا آنسة أروى"

ثم التفت إلينا أنا و دانة قائلاً:

"أتأتيان ؟"

دانة تحركت مباشرة و سارت نحو وليد الذي سار بدوره نحو الباب .. أما أنا فبقيت محدقة في الفتاة

الحسناء برهة!

(أروى )؟؟

أروى ...

ألم أسمع بهذا الاسم على لسان وليد قبل أيام ؟!

بلى سمعته ...

إنها الفتاة التي اتصل هاتفيا ليبارك لها ليلة العيد !

إذن .. ف ( أروى ) تلك ليست طفلة كما ظننت .. ! إنها فتاة راشدة تكبرني سنا..

فتاة أقل ما يمكن أن أصفها به هو أنها ... فاتنة الجمال!

الحلقة السابعة والعشرون

\*\*\*\*\*

جالس على السرير الوحيد في تلك الغرفة الصغيرة، بعدما فرغت من استحمامي و صلاتي ، أمسك بيدي محفظتي و أعد نقودي..

ليس لدي سوى مبلغ ضئيل لا يكفي لتوفير مأوى آخر أو طعام لنا و لفترة لا يعلم بها إلا الله..

أشعر بخجل شديد من نفسي إذ جنثت بعائلتي إلى هنا ، و رغم أن عائلة إلياس هي عائلة طيبة كريمة لأبعد الحدود إلا أن وجودنا لا يجب أن يطول..

علي التصرف بشكل من الأشكال...

دانة واقفة أمام المرأة ، ثم تلتفت إلي و تراقبني دون أن اهتم لها ، ثم تسألني بقلق:

"ماذا سنفعل؟؟"

أفكر بعمق ، و بصمت .. و في عجز عن إيجاد حل مناسب.. فقد احترق بيتنا بما حوى.. و نحن الآن مشردون و حفاة معدمون..

تكرر دانة سؤالها:

"وليد ماذا سنفعل؟؟"

ارفع بصري إليها ، و أرفع حاجبيّ و أقوسّ فمي للأسفل.. ماذا سنفعل؟؟

رغد كانت في دورة المياه ..

اقتربت مني دانة و قالت:

"نوّار و عائلته سيغادرون البلدة"

و صمتت... و ظلت تراقبيني قليلا ثم قالت:

"و يريدون أخذي معهم"

تغيرت تعبيرات وجهي و قلت باضطراب:

"ماذا؟؟"

قالت بتردد:

"إنه نوّار... يريد أن .. يبعدني عن البلدة و الخطر" ..

قلت:

"و الزفاف؟؟"

تنهّدت دانة و قالت:

"الزفاف؟؟ احترق مع فستانه!"

ثم أخذت تبكي...

و يحق لها أن تبكي بمرارة.. و هي العروس التي كانت تعد لزفافها المرتقب بعد أيام فقط..

شعرت بقهر و غيظ في داخلي فوقفنت و أحطتها بذراعيّ محاولا مواساتها..

بعد قليل قالت:

"دعنا نسافر نحن أيضا"

"إلى أين؟ كيف؟ الرحلات محظورة"

"سيسافرون للبلدة المجاورة بالسيارة، ثم يطيرون إلى بلد بعيد و آمن..دعنا ننضم إليهم وليد"

"كيف يا دانة كيف؟؟ إننا حتى لا نملك جوازات سفر أو بطاقات شخصية! لا أنت و لا رغد على

الأقل"

و هنا سمعنا صوت المفتاح يدار في باب الحمام .. فأسرعت أنا بالخروج من الغرفة لأدع المجال لرغد

للتصرف دون حرج ..

في الخارج صادفت الأنسة أروى مقبلة نحو الغرفة..

قالت:

"مرحبا"

"مرحبا سيدتي"

"لقد أعددتنا المائدة .. هلا استدعيت الفتاتين؟"

"شكرا" ..

"و خالي ينتظرك أيضا في المجلس"

"لا نعرف كيف نفيكم حق الشكر؟"

"لم عليك تكرير ذلك يا سيد وليد؟؟ بل نحن من يتوجب علينا شكرك.. لقد قدّمت لنا الكثير من المساعدات طوال عدّة أسابيع ! أنت شخص نبيل الخلق و تستحق التكريم"

شعرت بالخجل من كلماتها و كلامها معي.. خفضت بصري حرجا نحو الأرض .. و حرت .. ماذا علي أن أقول؟؟

هنا فتح باب الغرفة و ظهرت منه رغد..

رغد وقفت تنظر إلي برهة في صمت ، ثم تنظر إلى الأنسة أروى بوجه جامد

الآنسة أروى ابتسمت و قالت:

"كيف حالك ألان يا رغد؟؟"

و لم يبد أن الصغيرة عازمة على الإجابة!

لكنها قالت أخيرا:

"بخير"



قالت أروى:

"المائدة جاهزة... أين أختك؟"

قالت رغد:

"دانة أخت وليد.. ابن عمي"

و لم أجد الرد مناسباً للسؤال ! قالت أروى:

"نعم أعرف ! ولكنها كانت تتحدث عنك بوصف أختي !"

ظهرت دانة الآن من خلف رغد .. فحيتها أروى و كررت دعوتنا إلى المائدة..

ذهبنا إلى المنزل ، أنا و العم إلياس في المجلس ، و النسوة في غرفة المائدة ، و تناولنا وجبة شهية مغذية بعد طول الجوع و العطش..

بعد ذلك تحدثت و إلياس ساردا ما حصل لنا بشيء من التفصيل.. فأبدى تعاطفه الشديد و رحّب ببقائنا في ضيافته إلى أن نجد حلاً آخر.. و أنا وعدته بأن أبدأ العمل في المزرعة منذ اليوم... و رغم اعتراضه ، إلا أنني أصرت على ذلك و نفذته

كان ذلك بعد الغداء بثلاث ساعات.. تركت الفتاتين نائمتين في الغرفة ، تعوّضان حرمانهما السابق من النوم ، و خرجت إلى ساحة المزرعة و باشرت العمل...

كانت هناك شتلات شجيرات صغيرة جديدة مطلوب غرسها في الأرض.. و توليت أنا هذه المهمة .. أحفر الأرض ، و أغرس الشجيرات ، و أسوي التراب...

العم إلياس و كذلك أروى كانا أيضاً يعملان من حولي..

كنت أشعر بالتعب و الإعياء فأنا لم أنل قسطي الوافي من النوم و الراحة بعد ، إلا أنني لم أطق تأجيل

العمل إلى الغد ..

أروى كانت تساعدني .. و تتحدث معي من حين لآخر ..

إنها فتاة جريئة بالفعل!

فيما أنا جاثٍ على الأرض أغرس إحدى الشجيرات و أهيل عليها التراب.. و أروى واقفة قربي و ممسكة بالطرف العلوي لتلك الشجيرة .. سمعتها تقول:

"أهلا رغد" !

رفعت رأسي إليها فرأيتها تنظر في إتجاه معين...

التفت إلى ذلك الاتجاه فرأيت رغد واقفة تنظر إلي.. و لم تكن تعبيرات وجهها مريحة... البتة

وقفت ببطء .. و نفضت يدي و ثيابي مما علق بها من التراب .. ثم قلت:

"أهلا صغيرتي" ..

النظرات التي رشقتني بها رغد جعلتني انصهر حرجا .. و أهرب ببصري بعيدا عنها..

كانت مذهولة مصعوقة.. تحدق بي بدهشة لا تضاهيها دهشة..

آلمتني نظراتها و غرست في صدري ألف خنجر.. لم أجرؤ على إعادة بصري إليها من جديد...

سألت بدهشة:

"وليد.. ماذا تفعل؟؟"

ماذا أفعل؟؟ ماذا أفعل يا رغد؟؟

ألا ترين؟؟

أزرع الأرض .. ألوث يدي و ملابسي و جسدي بالأتربة و السماد.. و الوحل أيضا..

نعم .. أجتو على الأرض ضئيلا منخفضا وضيع الشأن.. بسيط الحال .. عوضا عن علو السماء و المركز و المنصب..

احتقرت نفسي لحظتها أيما احتقار..

و تمنيت لو أنني دفنت نفسي عوضا عن الأشجار ..

ماذا تظنين يا رغد ؟؟

أنني أصبحت شخصا مرموقا عالي الشأن ؟ هذه هي حقيقتي .. مجرد مزارع بسيط يعمل بجد فقط من أجل وجبة طعام و مأوى...

"وليد .. ماذا تفعل ؟؟"

أجبرتُ عيني على النظر إليها ، فهالني ما رأيت على وجهها ...

أرجوك كفى يا رغد.. أنت تذبحينني .. كفى ... كفى...

اعترفت بخجل:

"أفلم الأرض .. فهذا هو عملي منذ زمن"

و لن أصف لكم كيف تحوّل وجه رغد إلى غابة زهول مخيفة...

من منكم جرّب هذا ؟؟ دعوه يصف لكم إذن ما أعجز أنا عن التعبير عنه...

رغد تراجعت للوراء .. ربما لتبتعد عن صفة الواقع الذي تكتشفه للمرة الأولى..

سارت إلى الورااء بعرج.. و عيناها المفتوحتان أوسعهما لا تزالان ترميان سهام الذبح نحو جسدي... من أعلاه إلى أسفله...

و فيما هي تسير إلى الورااء بهذا الذهول و أنا ساكن في مكاني ، رأيت العم إلياس يقبل من ناحيتها و يشير إليّ بيده مخاطبا الرجل الذي معه:

" هذا هو شقيقك " !

~ ~ ~ ~ ~

لدى سماعي صوت الرجل العجوز قادما من خلفي ، التفتت إلى الورااء بسرعة ، فرأيت سامر يقف أمام عيني...

شهقت:

" سامر " !

قال:

" رغد " !

و أسرع نحوي و جذبني إلى صدره بقوة و عانقني بحرارة شديدة ... جدا!

"أوه رغد يا حبيبتي... لا أصدق عيني .. الحمد لله .. أنت حية؟؟ شكرا لك يا رب .. شكرا لك يا رب"

و صار يبكي و أنا أبكي معه ..

و أخذ يقبّل يديّ و جبينني بلهفة .. لم أعهد لها عليه من ذي قبل..

"لقد نجونا يا سامر ! كدنا نموت لكننا نجونا بأعجوبة" !

أقول ذلك و أتذكر ما مررنا به ، فأدفن رأسي في صدره و أغلق حصار ذراعي حول جدعه...

بعدهما فرغ من نوبة الشوق هذه ، التفت إلى وليد...

"وليد" ..

أقبل وليد إليه و فتح كل منهما ذراعيه للآخر و تعانقا بحمية...

سامر بملابسه الأنيقة و هندامه المرتب النظيف ، و وليد بلباسه الملوّث و يديه المتسختين بحبيبات الرمال...

الناظر إليهما يجد فرقا كبيرا...

و أنا وجدت ذلك الفرق أيضا...

كان لقاء دانة بسامر دراميا...

دانة تحب سامر أكثر من وليد.. السبب في ذلك أن وليد غاب عنا لسنين .. سنين لا أعرف أين كان فيها و لا ما عمل؟؟

إذا كانت الحقيقة التي أراها أمام عيني .. هي حقيقة رجل يعمل في فلاحه الأرض!

بعد فترة ، كنا نحن الأربعة في تلك الغرفة ...

وليد لم يتحدّث إلي بل لم ينظر إلي مذ رأيتّه يغرس الشجرة قبل ساعات... و أنا بدوري تحاشيته .. و ركزت اهتمامي على سامر و ما يقوله..

"سنذهب إلى شقتي ، سأستأجر شقة أكبر حجما تسعنا و والديّ جميعا"

كانت هذه فكرته ، و دانة رحبت بها بشدة:

"إذن هيا بنا الآن"

قالت ذلك ، إلا أن وليد قال:

"اصبروا قليلا .. إنه المساء و لا يصلح للسفر.. كما أن المسافة ليست قصيرة و لا بد أنك متعب الآن يا سامر"

قال سامر:

"مطلقا ، رؤيتكم أزالّت عني أي أثر للتعب " ...

ثم نظر نحوي و قال:

"ألف حمد لله على نجاتكم أيها الأحبة "

قال وليد مؤكدا:

"كما أن الطريق غير آمن.. و لم يكن يجدر بك الحضور يا سامر و تعريض نفسك للخطر"

قال سامر:

"و هل تعتقد أنه كان باستطاعتي البقاء هكذا؟؟"

قال وليد:

"على كلٍ .. سنبقى هنا الليلة"

قال سامر ، بعدما جال ببصره في أنحاء الغرفة بشيء من الإستهانة و أشار إلى الأرض:

"هنا؟؟"

قال وليد:

"معدرة فأنا لم أملك من النقود ما يكفي لاستئجار شقة"

قال سامر بثقة:

"لا تقلق بهذا الشأن" ..

قالت دانة:

"إذن لم لا نعجل الخروج؟ هيا سامر دعنا نبحث عن شقة مناسبة"

جميعنا ننظر إلى وليد و الذي يُظهر استياءً في غير محله !

أليس من الطبيعي أن نغادر هذا المكان شاكرين للعائلة كرم ضيافتهم؟؟

قال وليد أخيرا:

"كما تشاءون"

و من ثمّ غادر الغرفة...

أخذنا نحن الثلاثة نتحدّث عما مررنا به .. و عما نحن مقبلون عليه.. في الحقيقة ، التزمت أنا جانب الصمت و الاستماع معظم الوقت... فتفكيري كان قد خرج مع وليد لحظة خروجه..

رؤيته بالشكل الذي رأيته عليه صدمتني كثيرا...

وليد .. ذلك العملاق الضخم .. الذي أرفع رأسي عاليا إذا نظرت إليه.. الذي أشعر به سمائي .. و نجمتي.. و شمسي .. و جبلي أيضا.. أراه جاثيا على التراب يحفر الأرض.. و يغرس الشجر.. و

يلوث يديه بالطين !؟

وليد ؟؟

لطالما كنت أراه عظيما عاليا.. شيئا معلقا في السماء ..

أما أن تغوص يده في الأرض.. فهذا أشبه بالكابوس الذي مررت به يوم القصف..

فيما نحن كذلك رن هاتف سامر المحمول ، فتحدث إلى الطرف الآخر .. و من حديثه معه استنتجت أنه صديق وليد ( سيف )

أراد سامر أخذ الهاتف إلى وليد، فلما غادر الغرفة غادرت من بعده..

كان الظلام قد حل .. و ما أن فتحنا الباب حتى تدفقت أنسام عطرة منعشة قادمة من بين الأشجار و الزهور الفواحة..

لحظتها فقط التفت إلى جمال المكان الذي كنا فيه...

تماما كجمال أصحابه ... شكلا على الأقل!

في الخارج ، في الساحة الواسعة أمام المنزل ، رأينا أفراد العائلة المضيئة يجلسون جميعا على بساط أرضي ، و وليد معهم...

الإنارة كانت خفيفة صفراء منبعثة من مصباح المنزل الخارجي ..

كان الرجل العجوز يجلس إلى جانب وليد و يمسك في يده سلة سعفية نصف مكتملة الصنع ، و يظهر أنه يشرح له كيف يصنع مثلها..

و إلى الجانب الآخر من وليد تجلس أروى الحسناء .. تصنع سلة أخرى هي بدورها.. و تلقي بالملاحظات على الاثنين ، أما أم أروى فكانت منشغلة بتكسير بعض الثمار الصلبة ، و استخراج بذورها ..



تنحنح سامر فالتفتوا نحونا.. وقف وليد و أقبل إلينا.. مد سامر الهاتف نحوه و قال:

"صديقك الحميم يود الاطمئنان عليك"

"سيف؟"

"نعم ! اتصل عدة مرات " ...

أخذ وليد الهاتف و تحدث معه محادثة استمرت عدة دقائق..

و حالما انتهى و أعاد الهاتف إلي سامر قال الأخير:

"فلنذهب الآن يا وليد " ...

وليد التفت ناحية العائلة و قال:

"سأشكرهم و أودعهم " ...

نحن الثلاثة أقبلنا إليهم فوقفوا... و بدأ وليد يكرر عبارات الشكر و الامتنان ، و هم يعبرون عن سرورهم باستضافتنا بل و يصرون على بقائنا بعد..

قالت أروى:

"إذن لن تبقى معنا؟؟ أ لن تعود إلينا؟"

و كان ظاهرا على وجهها الأسف ...

وليد قال:

"بلى.. سأعود حالما اطمئن على سير الأمور كما يجب " ..

ثم أضاف:

"أنتم عائلتي و هنا عملي"

أروى ابتسمت بسرور... أما أنا فشعرت بغصة في حلقي...

قالت:

"مكانك محجوز لك و غرفتك جاهزة فأهلا بك في أي وقت"

شكرها وليد .. ثم استدار نحونا و قال:

"أ ننتقل؟"

قال أروى:

"لحظة"

و ذهبت إلى المنزل و عادت تحمل كيسا قدمته إلى وليد و قالت:

"ملا بسكم .. نظيفة و مطوية"

فتناول وليد الكيس من يدها و كرر شكرها..

كل هذا أمام عيني .. و يشعرني بالغضب!

واضح أنها معتادة على وليد و تخاطبه و كأنه أحد أقاربها ، لا رجلا غريبا...

لا يعجبني ذلك أبدا...

بعد وداع العائلة ، ذهبنا إلى شقة قريبة قضينا فيها ليلتنا تلك ، و من الصباح الباكر غادرنا المدينة

متجهين إلى مقر سامر...

طول تلك الفترة و أنا في حالة من الذهول... لم استفق منها بعد..

و وليد لم يكن يكلمني.. بل أنه كان يتحاشاني عن عمد.. و كأن شيئاً لم يكن...

استأجر سامر شقة متوسطة الحجم في نفس المبنى الذي كان يقطنه .. شقة جمعتنا نحن الأربعة تحت سقف واحد..

والداي كانا يتصلان مرة أو مرتين في اليوم بنا ليطمئنا على أحوالنا، و الحظر عن دخول المسافرين الى البلد استمر عدة أسابيع...

شفي الجرح الذي في قدمي شيئاً فشيئاً.. و قد كان سامر يصطحبني كل يوم إلى المستشفى من أجل تطهيره..

كنت على اتصال مستمر بعائلة خالتي ، و التي بقيت في المدينة تعيش على ما تبقى من حطامها..

في أحد الأيام ، جاءنا نوار خطيب دانة، يطلب أخذ دانة معه إلى الخارج.. حيث سيستقر هو و عائلته عدة أشهر إلى أن تهدأ الأوضاع..

نوار كان قد تحدّث بهذا الشأن إلى والدي و الذي يبدو أنه أيد الفكرة من باب إبعاد دانة عن البلدة .. كما أيدها سامر و تحمّست لها دانة كثيراً ، إلا أن وليد كان معارضا

"كيف يا دانة ؟ دون زفاف ؟ دون عرس ؟؟ دون وجود والدي ؟؟"

"و هل تعتقد أنني سأعيد شراء كل ما احترق من جديد ؟ دعونا نقيم حفلة بسيطة خاصة بنا.. أنا أريد أن أغادر هذه البلدة و التعاسة المخيمة عليها "

"و والداي ؟؟"

"إنهما يؤيدان الفكرة .. و سوف نذهب إليهما أولاً ثم نغادر"

"كلا.. سنتنظر حتى يسمح لهما بالعودة ، ثم نقيم حفلة عرس متواضعة.. لن ننقص من قدرك أمام ذلك المغرور"

حينما قال وليد ذلك ، اغتازت دانة و قالت بحدة:

"من هو المغرور؟"

لزم وليد الصمت ، فقالت:

"لا أسمح لك بإهانة خطيبي ! أي قدر هذا الذي تتحدّث عنه؟؟ أ بعد حطّتي في القدر باكتشاف حقيقة مخجلة مخزية عنك ، تجرؤ على الحديث عن القدر!"

نشبت مشاحنة حادة بين الاثنين ، و أنا و سامر نتفرج بصمت..

قال وليد في معرضها:

"لن تفعلي ما يحلو لك .. و أنا المسؤول عنك في غياب والدي شئت أم أبيت"

دانة ردت بحدة:

"و من قال أنني أنتظر الإذن منك أو أتشرف بمسؤوليتك هذه؟؟ سأسافر مع نوار يعني سأسافر معه.. و أنت عد من حيث أتيت فذلك أنسب لحالك و مثلك"

وليد رفع يده و كاد يصفعها ، إلا أنه توقف في منتصف الطريق.. و كتم غيظه..

لم أتمالك أنا نفسي ، فقلت غاضبة:

"ألا تحترمين شقيقك الأكبر؟!"

قالت:

"أخرسي أنت.. إنه شخص لا يستحق الاحترام"

جميعنا ننظر إلى دانة بغضب .. و هي تدور ببصرها حولنا ..

سامر نطق أخيرا و قال غاضبا:

"دانة ! يكفي"

"أجدر بك ألا تخشى على مشاعره ! أنسيت ما فعل بك؟"

هتف وليد:

"دانة"

صرخت هي:

"اضربني ! أليس هذا ما يتعلمه المجرمون في السجون؟؟"

وليد أمسك بكتفي دانة و هزها بعنف و هو يصرخ:

"يكفي.. إياك و قول المزيد.. أتفهمين؟؟ إن نطقت بحرف بعد فسأقطع لسانك .. أنا خارج من حياتك فاهنئي بمن تريدين"

و حررها من بين يده و قال مخاطبا سامر:

"افعلوا ما تشاءون .. فأنا لم يعد يهمني من أمركم شيئا"

ثم التفت إلي ففرعت من نظرتة المرعبة ... و زمجر هو:

" و هذه أيضا.. تزوجها بالمرّة و خلصوني منكم جميعا" ..

و أسرع خارجا من الشقة...

مرت الساعات و لم يعد.. و انتصف الليل و لم يعد.. قلقت كثيرا عليه.. خرجت من غرفتي في قلق  
فإذا بي أرى سامر يجلس في الصالة أيضا...

"ألم تنم؟"

"أشعر بالأرق"

"هل عاد وليد؟"

"كلا"

"إلى أين ذهب؟"

"لا علم لي" ...

"ربما عاد للمزرعة" !

قلتها و أنا أضع يدي على صدري خوفا من أن تكون حقيقة...

سامر نهض واقفا .. و اقترب مني و قال:

"ما رأيك بما قال؟"

"ما ذا تعني؟؟"

أمسك بيدي و قال:

"بأن .. نتزوج نحن أيضا" ..

هنا احتقنت الدماء في وجهي و اضطربت تعبيراته... رأى سامر الرفض على وجهي و قال:

"أرجوك .. رغد" ..

هويت بنظري أرضا ...

لماذا يعود لفتح الموضوع الآن ؟ لماذا يا سامر لا تعتقني ..

سامر رفع وجهي بيديه كليتهما و قال بصوت شديد الدفء و الحنان:

"كدت أجن .. لما حصل معك .. لا أريد أن تفترقني عني لحظة واحدة .. أحبك بجنون"

أبعدت وجهي عنه و استدرت و أنا أقول:

"كفى .. أرجوك" ...

و انهمرت دموعي ...

حاصرني سامر .. حاولت الفرار إلا أنه لم يدع لي المجال..

"رغد .. لماذا ؟ بالله عليك أخبريني بصدق .. لماذا؟"

أردت أن أعود إلى غرفتي إلا أنه منعني ... كان مصرا على مواجهتي...  
قرع الجرس الآن... لا بد أنه وليد...

فتح سامر الباب فإذا به وليد بالفعل...

كان وجهه حزينا كثيبا مهموما.. منظره يثير القلق و الحيرة ..

لم يتكلم .. نظر إلينا قليلا ، ثم ذهب إلى غرفته..

ثوان و إذا به يخرج ثانية ، ممسكا بمحفظته و مفاتيحه..

و سار نحو الباب..

سامر استوقفه سائلا:

"إلى أين ... وليد؟"

استدار وليد إلى سامر و قال بنبرة نامة عن الحزن و الاستسلام:

"إلى المزرعة"

دهشنا و اشرأب عنقانا عجباً..

قال سامر:

"ماذا؟؟"

قال وليد:

"فقد انتهى دوري"

و فتح الباب و همّ بالخروج...

أسرع سامر إليه و أوقفه:

"وليد ! هل تعني ما تقول؟؟ إلى المزرعة في هذا الوقت؟؟"

استدار إليه و قال:

"نعم ، فهي المكان الذي يناسب أمثالي"

و خرج ...

و رغم نداءات سامر و محاولاته المستميتة لإيقافه إلا أن وليد أبعدته ، واستمر في طريقه...



الجنون أصابني أنا لحظتها... ركضت نحو الباب و صرخت:

"وليد .. لا تذهب"

إلا أن وليد لم يلتفت إلي .. و تظاهر بعدم سماعه لي..

"وليد ... وليد عد" ..

هتفت و هتفت ، إلا أنه ابتعد... و اختفى عن أنظاري...

سامر أغلق الباب.. و تنهّد بأسف...

قلت بعصبية:

"ماذا تنتظر؟ الحق به ! امنعه" !

إلا أن سامر هزّ رأسه بقلة حيلة..

تفجرت دموعي و أغرقت وجهي كما الطوفان ، و زمجرت:

"الحق به يا سامر دعه يعود"

"لن يفعل يا رغد.. لن يفعل"

رفعت يدي و أمسكت بذراعي سامر و صحت:

"كيف تتركه يذهب ؟ ماذا إن أصابه مكروه ؟ الحق به سامر أرجوك"

سامر قال بضيق:

"ألم أفعل ؟ لا جدوى من ذلك .. أنا أعرفه"

هززت رأسي باعتراض شديد و صرخت:

"كلا .. كلا كلا" ...

نظر إلي باستغراب ...

قال:

"رغد ! ؟"

قلت بانفعال:

"سأذهب معه"

ذهل سامر ، و قال:

"ماذا ؟؟"

صحت:

"سأذهب معه ... لا أريد البقاء هنا .. لا أريد البقاء هنا .. لماذا ذهب و تركني .. لماذا ؟"

سامر أمسك بذراعي بقوة و بذهول قال و هو يحدّق بي:

"تذهبين معه .. و تتركيني ؟؟"

ابتلعت لساني و لم أنطق بأي كلمة ... سامر كان يحملق بي بحدة .. نظرات فاحصة مدققة مدركة مستنتجة .. قارئة لما اعترى وجهي من تعبيرات صارخة...

"رغد ... تتركيني من أجله ؟؟ أليس كذلك ؟؟"

صعقت .. و توقف قلبي عن الخفقان ... و لم أشعر بالدنيا من حولي سوى عيني سامر اللاسعتين .. و يديه القابضتين علي بعنف..

قال:

"تكلمي يا رغد؟؟ أهذا هو السبب؟؟"

لم أجبه..

بدأ يهزني بقوة .. و ألمني كثيرا...

"رغد تكلمي ... قولي ما تخفينه .. اعترفي هيا"

"دعني سامر"

لكنه هزني بعنف أقوى و بحدة صاح بوجهي:

"تكلمي يا رغد هيا.. ماذا لديك؟ انطقي بسرعة.. لماذا قررتِ التخلص مني؟ قولي هيا؟"

فقدت السيطرة على نفسي و صرخت:

"لأنني لا أحبك .. لا أحبك يا سامر .. هل ارتحت الآن ؟"

سامر دار بي حتى رطمني بالبواب .. و هتف صارخا:

.. "وليد؟؟"

تفجرت لحظتها و صرخت بأعلى صوتي مطلقة سراح ما حبسته في صدري عنوة:

"نعم أحبه.. أحبه هو .. أحبه هو .. أحبه هو .. هو .. هو"

بعد هذا الانفجار .. و الذي خرج من صدري دون شعور و إدراك .. و وعي ، و عيت على الواقع

بصفتين قويتين تلقيتهما من كف سامر الثائر..

أفقت فجأة فرأيت نفسي أقف مسنودة إلى الباب .. و دموعي تجري كشلال ضخم.. و سامر يقف أمامي كأسد ثائر ... يكاد يفترسني ...

لم أدرك أنني أفصحت عما في قلبي إلا بعد حين...

توقفت أنفاسي .. في حالة من الذهول مما أنا فيه...

كالجمرة المتقدة كان وجه سامر محمرا متوهجا .. و كانت يدها توشكان على الانقضاء علي...

قال:

"لقد كنتُ أحمقا إذ لم أعر شكوكي اهتماما يومها ... كم كنتُ غيبيا ... لقد كنتُ تحببته كل ذلك الوقت و تستغفليني؟"

لم أستطع النطق بأي كلمة..

تابع هو:

"نعم .. فأنتِ ركضتِ نحوه هو يوم كنا عند الشاطئ.. و تركتني أنا واقفا كالأبله جواره تماما" ..

ثم أطبق عليّ بيديه و قال:

"لهذا تريدان التخلص مني؟؟ لن تفعلني هذا بي يا رغد.. لن أسمح لكِ بهذا أبدا"

و سحبني بعنف .. و سار بي يجرنني إلى غرفتي ، و دفع بي بقوة نحو السرير ... فارتطمت به بأهة

...

زمجر:

"لن أسمح لكما بذلك .. أتفهمين؟؟ أبدا يا رغد"

و خرج من الغرفة و هو يصفع بالباب...

~ ~ ~ ~ ~

حينما وصلتُ إلى المزرعة.. كان ذلك قبيل أذان الفجر...

دفعت مبلغا كنتُ أنا الأوحج إليه إلى السائق الذي أوصلني... و أخذتُ أعد ما تبقى لدي من جديد...

لذمت المسجد لحين ارتفاع الشمس في صدر السماء... و ناجيتُ الله طويلا .. شاكيا له حالي و باثا إليه همومي و سائلا إياه الرحمة و اللطف...

ذهبت إلى المزرعة بعد ذلك و استقبلني العم الطيب و ابنة أخته استقبالا حافلا ... و علمتُ منهما أن السيدة ليندا عادت إلى المستشفى من جديد ، في نوبة جديدة...

كلما تذكرت أنني كنت السبب في المرض التي اعترى قلب هذه السيدة كرهتُ نفسي أكثر .. و شعرت بمسؤولية أكبر تجاهها و تجاه المزرعة و من فيها...

قمنا بزيارتها مساء ذلك اليوم.. ففرحت هي بزيارتي و طلبت مني مساعدة أخيها و ابنتها في العناية بالمزرعة..

عملت بجد و اجتهاد في الأيام التي تلت .. و لم أتصل بأهلي إلا اليوم..

كان العم و أروى قد ذهبا لزيارة السيدة ليندا ، وأنا بقيت في المنزل وحيدا...  
تحدّث سامر إلي و طمأنني على أحوالهم ، و أخبرني أنه و رغد ، كما نوار و دانة سيحتفلون بزواجهم بعد ليلتين...

أفقلتُ السماعة ، و حاولتُ منع رأسي من التفكير في أي شيء...

فبعد اللقاء الحميم الذي جمعهما في المزرعة أول وصوله ، فقدتُ أي اهتمام يذكر بشأن عرقلة هذا الزواج .. سواءً كان برضا من رغد أو باضطرار منها..

أنى لها أن تجد الزوج الأنسب؟؟

و كيف أسمح لنفسي بالتفكير بها .. و ما أنا إلا رجل فقير معدم .. لا يملك مأوى و لا قوتا ؟

و إن عشت ألف سنة بعد ، لن أنسى نظرة الازدراء التي رمتني بها يوم كنا في المزرعة...

صدقتَ يا سامر

رغد لا تستحق الزواج من مجرم قاتل .. فقير معدم .. وحيد منبوذ مثلي..

عاد العم و أروى من المستشفى فرأيتني شاردا سارحا تائها في أفكاري...

كما رأيا الدمعة التي هربت من مقلتي..

رأيت في عينيها القلق .. و سألاني عما إذا كان شيء ما قد حصل ، فأجبتهما:

"لا شيء"

الفتاة ذهبت إلى المطبخ أما العجوز فعاد يسألني:

"ما بك يا بني ؟ تبدو في غاية الحزن؟؟"

قلت:

"و هل ترى في حالي ما يدعو للسرور أيها العم ؟ إنني في أسوأ حال"

"قل الحمد لله يا ولدي" ..

"الحمد لله"

تنهدت ، ثم قلت بمرارة...

"إلى متى سيظل حالي هكذا ؟؟ لسوف أبحث عن عمل من جديد .. إنني بحاجة للمال .. لتكوين نفسي و بناء مستقبلي"

"ماذا عن .. العمل معنا ؟؟"

نظرت إلى الرجل العجوز نظرة امتنان و قلت:

"لكن إلى متى ؟؟.. إنني تأئه ! بلا بيت و لا أهل " ...

"و نحن ؟؟"

"أنتم .. عائلتي حتما و لكن " ..

و صمت...

العم قال:

"و لكن لا يربطنا نسب أو دم " ..

لم أعلّق ، قال:

"مشكلة سهلة الحل"

نظرت إليه بحيرة ...

ابتسم العجوز و قال:

"إن كنت تريد لها هذا الحل"

قلت:

"عفوا؟؟"

العم إلياس أمسك بيدي و ظهر الجد على تعبيرات وجهه و قال:

"أزوجك ابنة أختي!"

تملكني الذهول و المفاجأة .. رمقته بنظرة بلهاء غير واعية لحقائق الأمور ..

"ماذا؟"

أجاب العم:

"إذا كنت ترى ذلك طبعاً ... مثلما نراه نحن" ..

تلك الليلة لم تسمح لي الفكرة هذه بالنوم.. خرجت من غرفتي أحمل علبة سجائري التي اشتريتها مؤخراً... و التي عدت استهلكها بشراهة .. سرت متجولاً في المزرعة في تفكير عميق...

قضيت وقتاً في الخارج ، و لما عدت .. لمحت أروى جالسة على عتبات المنزل...

لما رأته نهضت واقفة ... و ألقته علي التحية..

ارتبكت.. و رددت باضطراب..

قالت و هي تنظر إلى السيجارة في يدي:

"ألم تقلع عن التدخين؟؟"

"أأ .. صعب" ..



قالت:

"أنت تضر بصحتك ! لا تستحق هذه التافهة الاهتمام !"

تنهّدت .. و نظرت إلى السماء ثم قلت:

"لا شيء في حياتي يستحق الاهتمام ... و لا حتى أنا"

"أنت مخطئ !"

و ندمت على مقولتي هذه !

و رأيت نظرات الاهتمام في عينيها...

غضضت بصري و قلت:

"بعد إذنك .. سأعود إلى غرفتي"

و خطوات بضع خطوات مبتعدا ، و أنا أحس بها تراقبني...

التفت للوراء فوجدتها بالفعل تراقبني ... و تبتسم!

لا أعرف من أين استمددت هذه الجرأة و الجنون لأسألها:

"آنسة أروى .."

"نعم؟"

"تتزوجيني؟؟"

الحلقة الثامنة والعشرون

\*\*\*\*\*

"تتزوجيني؟؟"

أروى حملقت بي لبرهة ، ثم ابتسمت و نظرت إلى الأرض بخجل!

العرق صار يتصبب مني و ملابسي تحترق من حرارة جسدي.. أما لساني فانعقد تماما!

أي جنون هذا؟؟

ظللنا واقفين فترة هكذا ، أنا لا أجرؤ على قول شيء و لا الانصراف ، و هي لا ترفع عينيها عن الأرض...

نفحات الهواء الباردة أخذت تصافح جسدي و تطفئ اشتعاليه.. و هبت على الوشاح الذي تلفه أروى حول رأسها فتطايرت أطرافه.. كاشفة عن خصلات ذهبية ملساء انطلقت تتراقص مع النسيم..

غضضتُ بصري بسرعة ، و استدرتُ جانبا و قلت:

"أنا آسف"

"لم؟؟"

قالتها بتعجب ، فكساني تعجبها تعجبا !

أعدت النظر نحوها فوجدتها واقفة في مكانها و قد ضبطت الوشاح حول رأسها بإحكام...

و لا تزال تبتسم بخجل!

تشجعت حينها و قلت:

"ألا تمانعين من الزواج من رجل مثلي؟"

قالت دون أن تنظر إلي:

"مثلك .. يعني ماذا؟؟"

قلت:

"فقير.. مشرد .. خريج سجون.. عاطل!"

قالت:

"لكنك .. رجل نبيل يا وليد"

ثم ألقنت عليّ نظرة خجولة ... و انصرفت مسرعة!

في صباح اليوم التالي ، كنا أنا و العم إلياس ننظم أغصان بعض الأشجار...و كان الموضوع يلعب برأسي منذ الأمس... و كنت أحاول التقاط أي خيط من الكلام لفتحه أمام العجوز..

و ربما هو لاحظ ارتباضي إلا أنه لم يعلّق..

قلت:

"أليس لديكم أقارب آخرون يا عمي؟"

قال:

"هنا؟ لا يوجد . إنني و أختي كما تعلم من خارج البلدة و لا أهل لنا هنا . نديم رحمه الله كان يقطن المدينة الساحلية هو و عائلته قبل استقراره هنا في هذه المدينة قبل زمن طويل .. و هو الآخر لم

يكن لديه أقارب كثير"

و المدينة الساحلية هي مدينتي الأم

قلت:

"و ماذا عنك ؟ ألم يكن لديك زوجة و أبناء ؟"

قال:

"زوجة رحمها الله. لم أرزق الأبناء بقضاء من الله. الحمد لله"

ثم أضاف:

"لذلك أحب ابنة أختي حبا جما .. و أسأل الله أن يرزقها زوجا صالحا أطمئن إلى تركها معه بعد  
فنائي"

قلت بسرعة:

"أطال الله في عمرك عمّاه"

قال:

"فقط إلى أن أزوجهها و أرتاح"

و غمز إلي بنظرة ذات معنى!

احمر وجهي خجلا.. فصمت ، أما هو.. فنظر بعيدا مفكرا و قال:

"أنا قلق عليها و على مستقبلها .. إنها فتاة بلا سند.. أريد أن أزوجهها بسرعة لرجل جدير بالثقة..  
أأتمنه عليها "

و نظر نحوي.... يقصدني!

قلت متلعثما:

"أأ أحقا لا تمانع من زواجها من .. من" ..

أتم العم الجملة:

"منك يا وليد؟ مطلقا.. فأنت رجل خلوق و مهذب . بارك الله فيك"

قلت مترددا:

"لكنني .. كما تعرف"

قاطعني:

"لا يهم ، فهاهي المزرعة أمامك اعمل بها عملا شريفا نظيفا و إن كان بسيطا.. و إن كنت تود العمل في مكان آخر فاسع يا بني و الله يرزقك"

طمأنني قوله كثيرا .. تماما كما كانت كلمات نديم رحمه الله تبعث في نفسي الطمأنينة في سني السجن  
...

قلت أخيرا:

"لكنني.. خرجت من السجن"

قال:

"نديم كان في السجن أيضا ، و لم أر في حياتي من هو أشرف منه و لا أحسن خلقا"

ابتسمت .. للتقدير و الاحترام اللذين يكنهما هذا الرجل لي.. و اللذين رفعا من معنوياتي المحطمة بعد  
كلمات دانة الجارحة...

العم ابتمسم أيضا و قال و هو يصافح يدي:

"أ نقول على بركة الله؟؟"

~ ~ ~ ~ ~

"ماذا عنِّي أنا؟؟ تتركيني وحدي؟؟"

سألتُ دانة التي تقف أمام المرأة تجرّب ارتداء فستان السهرة الجديد ، الذي اشترته لارتدائه في الحفلة البسيطة ... يوم الغد

لم تكن تعيريني أي اهتمام.. و خلال الأيام الماضية عوملت معاملة جافة من قبلها و قبل سامر ..  
بتهمة الخيانة!

"دانة أحدثك ! ألا تسمعين؟؟"

"ماذا تريد يا رغد؟"

"لا أريد البقاء وحدي هنا"

"سامر معك"

قلت باستياء:

"لا أريد البقاء مع سامر بمفردنا"

الآن التفتت إلي و قالت:

"إنه خطيبك .. فإن كنت لا تثقين به فهذه مشكلتك" !

شعرت بضعف شديد و قلة حيلة .. فوليد ، الشخص الذي كان يقف إلى جانبي و يتولى الدفاع عني  
قد اختفى .. و لابد لي من الرضوخ لقدري أخيرا...

خرجت من غرفتها و ذهبت إلى غرفتي ، و من هناك اتصلت بوالديّ و طلبت منهما أن يعودا بأبي  
وسيلة .. لأنني وحيدة و تعيسة جدا..

و يا ليتني لم أفعل...

بعد ذلك ، جاء سامر إلى غرفتي يحمل علبة هدية ما...

كان يبتسم .. اقترب مني و حاول التحدث معي بلطف و كرر الاعتذار عما بدر منه تلك الليلة ، إلا  
أنني صددته بجفاء.

"وفر هداياك يا سامر .. فأنا لن أقتنع بفكرة الزواج بهذا الشكل مطلقا" ..

غضب سامر و تحوّل لطفه إلى خشونة و نعومة حديثه إلى قسوة..

قال:

"حين يعود والداي سيتم كل شيء"

قلت:

"حين يعود والداي سينتهي كل شيء"

سامر فقد السيطرة على أعصابه و زمجر بعنف:

"كل هذا من أجل وليد؟؟"

ونظرت إليه نظرة تحدٍ لم يستطع تجاهلها..

أطبق علي بقسوة و قال:

"وإن تخليت عني ، لن أسمح له بأخذك مطلقا .. أتفهمين؟؟"

"بل سأطلب منه أن يأتي لأخذي فأنا لن أعيش معك بمفردي"

"رغد لا تثيري جنوني.. لا تجعليني أؤذيك .. إنني أحبك .. أتفهمين معنى أحبك؟"

هتفت:

"لكنني أحب وليد .. ألم تفهم بعد؟؟"

سامر دفع بي نحو السرير ، و تناول علبة الهدية و رطمها بالجدار بقوة...

قال:

"ماذا تحبين فيه ؟ أخبريني؟؟ ماذا رأيت منه جعل رأسك يدور هكذا؟؟"

ثم أقبل نحوي و هزني بعنف و هو يقول:

"أ تحبين رجلا قاتلا ؟ مجرما ؟ سفاحا؟؟"

صرخت بفزع:

"ما الذي تقوله؟؟"

قال مندفعاً:

"ألا تعلمين؟؟ إنها الحقيقة أيتها المغفلة .. كنتِ تظنين أنه سافر ليدرس في الخارج .. طوال تلك

السنين .. أتعلمين أين كان وقتها؟؟ أتعلمين؟؟"



كان الشرر يتطاير من عيني سامر .. المرة الأولى في حياتي التي أرى فيها عينيه بهذا الشكل ...  
أصابني الروع من نظراته و كلماته ..

أتم جملته:

"لقد كان في السجن"

صعقت ، و لم أصدق ... هززت رأسي تكذيبا ، إلا أن سامر هزني و قال بحدة:

"نعم في السجن .. ثمان سنوات قضاها مرميا في السجن مع المجرمين و القتلة .. ألا تصدقين ؟ أسألي  
والدي .. أو أسأليه هو.. في السجن يا رغد.. السجن.. و قد أخفينا الأمر عنكما أنت و دانة لصغر  
سنكما"

صرخت غير مصدقة..

"كلا .. كلا .. أنت تكذب" !

قال بحدّة :

"تأكدي بنفسك.. و لسوف تندمين على صرف مشاعرك على قاتل متوحّش"

دفعت سامر بعيدا عني و ركضت مسرعة نحو غرفة دانة ، التي كانت لا تزال أمام المرأة...

"دانة"

هتفت بقوة أجبرتها على الالتفات إلي بشيء من الدهشة و الخوف...

قلت:

"وليد .. وليد" ...

فزعت دانة ، قالت:

" ما به ؟؟ "

قلت:

" كان في السجن ؟؟ "

دانة تحملق بي في دهشة و عدم استيعاب .. صرخت:

" وليد كان في السجن ؟؟ أخبريني ؟؟ "

ظهر سامر من خلفي فنظرت إليه دانة

قال:

" أخبريها فهي لا تصدقني "

دانة جالت ببصرها بيننا ثم قالت:

" أجل... لثمان سنين " ..

صرخت:

" لا " !

قالت:

" بلى ، و بجريمة قتل "

" مستحيل " !

لم أشأ أن أسمع .. أن أفهم .. أن أصدق .. أن أدرك..

دارت بي الدنيا و تراقصت الأرض و تمايلت الجدران.. و أظلمت الأنوار.. و لم أشعر بنفسي إلا و  
سامر يمسكني بسرعة و يجلسني أرضا...

بدأت الأنوار تضاء.. و بدأت أسمع نداءاتهما و أرى أعينهما القلقة حولي.. و أحس بأيديهما المسكة  
بي...

"رغد حبيبتي تماسكي"

"رغد ماذا جرى لك؟؟"

"ابقي مسترخية"

"اسم الله يحفظك"

حينما وعيت تماما وجدت نفسي ممددة على الأرضة و رأسي في حضن سامر و يدي بين يدي دانة ... و  
كنت أشعر ببلل الدموع الجارية على وجنتي...

قال سامر:

"أ أنت بخير؟"

أغمضت عيني بمرارة و تركت المجال لدموعي لتتدفق كيفما شاءت...

قالت دانة:

"رغد" ...

فتحت عيني و حاولت أن أتكلم، و عجزت إلا عن إصدار أنات متلاحقة... لا معنى لها و لا تفسير..

ساعدني الاثنان على النهوض و التوجه إلى غرفتي حيث استلقيت على سريري.. و جلس الاثنان قربي.. سامر يمسح على رأسي و دانة تشد على يدي..

قالت:

"لا بأس عليك.. كانت صدمة بالنسبة لي أنا أيضا"

تحشرج صوتي في حنجرتي ثم انطلق ناطقا:

"لماذا أخفيتم عني؟؟"

دانة نظرت إلى سامر.. كأنها تنقل السؤال إليه..

نظرت إلى سامر فرأيت وجهه متجهما حزينا..

"لماذا؟"

سامر حار في أمره .. و بعثر أنظاره فيما حولي ثم قال:

"كنتما صغيرتين .. ثم .. لم نشأ تقليب المواجه بعد خروجه "

"لا أصدق .. لا أصدق .. لا يمكن "

و انفجرت في بكاء أبكى دانة.. و كاد يبكي سامر أيضا..

قلت مخاطبة دانة:

"لماذا فعل ذلك؟؟"

و أيضا أحالت السؤال إلى سامر ..

قلت مخاطبة سامر:

"لماذا؟؟"

هذه المرة سامر دقق النظر إلي .. نظرات عميقة غريبة ، ثم قال:

"ألا تعرفين؟؟"

"أنا؟؟"

سامر قال:

"لا نعرف الحقيقة بالضبط، لكن " ...

"لكن ماذا؟؟"

تردد سامر ثم قال:

"إنه يخفي سرا" ..

صمت ثوان ثم قال:

"سر على ما يبدو .. له علاقة ب" ...

و تراجع عن إتمام جملته..

"بماذا؟؟"

سألت ، فظل ينظر إلي بتمعن .. وكأنه يشير إلي!

"بي أنا؟؟!!"

و لم ينف كلامي ، فسألته دانة باستغراب:

"و ما علاقة رغد بالأمر؟؟"

سامر تردد و من قال بنبرة غير الواثق من كلامه:

"لا أدري .. القضية غامضة .. و حزام الزي المدرسي الذي كانت رغد ترتديه ذلك اليوم – وهي نائمة في سيارة وليد – .. وجد للغرابة في مسرح الجريمة قرب القتل مباشرة!"

ما إن أتم سامر جملته .. حتى تهدم في رأسي سد الذكريات فجأة .. و تدفقت شلالات الذكرى المفزعة .. و انتفضت و شهقت ثم هتفت بغتة:

"عمار!!؟؟"

الاثنان نظرا إلي بتعجب ..

جلست فجأة و وضعت يدي الاثنتين على صدري فاتحة عيني و فاغرة في بذهول ما بعده زهول...

"رغد؟؟"

ناداني سامر ، فالتفت إليه .. ثم إلى دانة .. ثم إلى سامر فدانة بشكل تثير الشكوك ..

عاد سامر يقول:

"رغد..؟؟"

صرخت:

"لا"

"رغد .. هل رأيت شيئا؟؟"

صرخت بفرع:

"لا"

قال:

"أتذكرين شيئا؟؟"

"لا .. لا كلا" ..

و جذبت دانة نحوي و وضعت رأسي في حضنها و لففت ذراعيّ حولها و أنا أصرخ بجنون:

"كلا .. كلا .. وليد.. وليد" ..

حتى غشي علي...

~ ~ ~ ~ ~ ~ ~

في نفس اليوم ، و الذي عادت فيه السيدة ليندا من المستشفى ، عقدنا قراننا أنا و أروى..

العائلة كانت سعيدة و مبتهجة ... و قد صنعت أروى كعكتين لذيتين و عشاء مميزا ، احتفالا بالمناسبة ..

لم يشاركنا الحفلة الصغيرة سوى سيدة واحدة هي صديقة للسيدة ليندا ، و ابناها اللذين شهدا على العقد..

بالنسبة لي ، كان حدثا غريبا و أشبه بالوهم.. نعم الوهم.. لقد كنت هناك ، لكنني لم أكن.. و انتظرت

أن أصحو من هذا الحلم الغريب.. إلا أنني لم أصحُ..

بعد تناولنا العشاء.. أوحى إلينا السيدة ليندا بأن نخرج للتجول في المزرعة.. أنا كنت أتصيب عرقا و في غاية الخجل.. و لا أجرؤ على النظر نحو أروى.. و لا أعرف كيف هي حالتها و تعبيراتها!

خرجنا معا إلى المزرعة، و سرنا صامتين لا يلتفت أحدهما إلى الآخر..  
قطعنا شوطا طويلا في السير.. و كان الجو باردا فسمعت صوت كفي أروى يحتكان ببعضهما.. و هنا التفت و نظرت إليها لأول مرة مذ فارقتها البارحة..

قلت بتلعثم:

"أشعرين بالبرد؟؟"

أروى ابتسمت و نظرت للأسفل و قالت:

"قليلا"

"أتودين أن .. نعود؟"

رفعت نظرها إلي و قالت:

"لا" ..

هربت أنا بنظري إلى الأشجار و أنا أتنحنح و ألمس عنقي بيدي.. و أشعر بالحر!

حقيقة أنا لا أعرف ما أقول و لا كيف أتصرف!

و لا حتى كيف أفكر ! و اسمعوا ما قلت:

"هذه الأغصان بحاجة إلى ترتيب" !



و أنا أشير إلى الشجرة التي كنت أنظر إليها..

أروى قالت:

"نعم"

"سوف أقوم بتنظيمها غدا"

"نعم"

لا أزال أهدق في الشجرة.. كأنني أفتش عن المفردات بين أوراقها!

كيف يجب أن يتصرف رجل عقد قرانه من فتاة قبل قليل؟؟

أنا لا أعرف بالضبط، فهي تجربتي الأولى، و لكن بالتأكيد.. ليس التحديق في أغصان الأشجار و

أوراقها!

"وليد"

نادتني أروى.. فاقشعر جسدي خجلا ، التفت إليها بحرج .. و أنا أمسح قطيرات العرق المتجمعة

على جبينني:

"نعم؟"

قال بخجل:

"هل أنت .. سعيد بارتباطنا؟؟"

تسارع نبض قلبي.. توترت كثيرا إلا أنني قلت أخيرا:

"نعم، و .. أتمنى أن تكوني أنت سعيدة" !

ابتسمت هي مومئة إيجابا..

ثم قالت و هي تعبت بأصابعها بارتباك:

"أنا.. معجبة بك"

أنا سكنت تماما عن أي حركة أو كلام.. تماما كسيارة نفذ وقودها كليا ! صامت جامد في مكاني بينما الأشجار تتحرك و الأوراق تتمايل!

الآن رفعت أروى بصرها إلي بابتسامة خجولة لتستشف ردة فعلي...

تسللت من بين شفتي هذه الكلمة:

"معجبة بي .. أنا ؟؟"

ضحكت أروى ضحكة خفيفة و هي تقول:

"نعم أنت !"

قلت متأتئا متلعثما:

"أأ لكن .. أنا.. شخص بسيط أعني.. إنني .. خريج سجون و" ..

لم أتم ، فقد نفذت الحروف التي كانت مخزنة على لساني فجأة!

أروى قالت:

"أعرف، و لا يهمني ذلك" ..

تبادلنا الآن نظرات عميقة .. أمددتني بطاقة أحلت عقدة لساني..

قلت:

"أروى .. ألا يهملك أن تعرفي .. لم دخلت السجن؟؟"

أروى هزّت رأسها سلبا..

لكنني قلت:

"يجب أن تعرفي" ...

ثم قلت:

"دخلت السجن لأنني ... .. قتلت حيوانا"

دهشت أروى و ارتفع حاجباها الأشقرين للأعلى:

"ماذا؟؟"

قلت ، و قد تبدّلت تعبيرات وجهي من الخجل و التوتر ، إلى الجدية و الغضب:

"نعم حيوان.. حيوان بشري.. قدر.. كان يجب أن يموت" ...

~ ~ ~ ~ ~

لا أزال مضطجعة على سريري أذرف الدموع الحزينة المريرة... و أعيد في رأسي تقليب الذكريات... و

قد مضت ساعات و أنا على هذه الحال

كلما دخل سامر أو دانة هتفت:

"دعوني وحدي ... دعوني وحدي" ...

فالصاعقة لم تكن بالشيء الهين...

أعوذ بذاكرتي للوراء.. ذكريات مغبرة غير واضحة ، لا أستطيع سبر غورها و كشف غموضها و فهم أسرارها...

مبهمة الملامح .. لا تتضح لي صورتها كما ينبغي ... فأبعدها بسرعة و أجبر رأسي على التفكير بشؤون أخرى...

مساء الغد.. ستغادر دانة مع عريسها بعيدا.. و أظل أنا و سامر.. في الشقة وحدنا.. و مئات من الشحنات المتنافرة تتضارب فيما بيننا...

تموت الفكرة في رأسي .. تحت أقدام أفكار أقوى .. في وجه إعصار الذكريات التعيسة المشؤومة التي عشتها قبل تسع سنين...

أتخيل نفسي و أنا في تلك السيارة .. أصرخ .. و أصرخ .. و أهتف و استنجد و أستغيث ... و ما من معين..

ما من شيء .. إلا صفعات متتالية على وجهي.. و كف تمتد إلى وجهي و تكتم أنفي و فمي مانعة إياي من الاستغاثة.. و يد تربط أطراف الأربعة بذلك الحزام الطويل... ثم ترميني عند المدوسة .. تحت المقعد..

بح صوتي من الصراخ ... كنت وحيدة .. لا أحد من أهلي حولي.. و لا من الناس ... في طريق بري مخيف موحش...بعيدا عن أدنى معاني الأمان و الطمأنينة و أسمعه يقول:

"سيأتي وليد إليك فاخرسي"

أحاول أن أتحرك من القيد.. أحاول الركل و الرفس.. و العض.. و كل شيء .. دون جدوى.. فقد كنت أضعف و أوهن من أن أتغلب على ذلك الوحش القذر...

حينما ظهر وليد أخيرا .. فتح لي الباب..

قفزت من السيارة راكضة مسرعة نحو وليد.. تعلقت بعنقه.. أردت أن أحتمي داخل صدره.. أردته أن يبعدني بسرعة عن ذلك المكان.. أن يطير بي عاليا .. إلى حيث لا تصلني يد مؤذ و لا نظراته...

وليد...

آه وليد...

وليد...

أخذت أبكي بقوة.. بكل ما أوتي جسدي المنهك المصعوق من قوة ..

سمعتني دانة فوافتنني إلى الغرفة قلقة .. اقتربت مني و هي تراني في حالة انهيار لا مثيل لها.. أبكي دما لا دموعا...

"رغد.. أرجوك يكفي ! إلى متى ستظلين هكذا ؟؟ لم لا تنامين فقد انتصف الليل"

"لماذا لم تخبروني بالحقيقة ؟ لماذا كذبت علي ؟ أعيدوا وليد إلي .. أريد وليد .. أريد وليد"

دانة أمسكت بوجهي في حيرة و اضطراب ، و قالت:

"رغد ! ما الذي تهذين به ؟ أعاودتك الحمى من جديد ؟؟"

قلت و أنا أنظر إليها بعمق و تشتت في آن معا في تخبط و ضياع و تيه:

"لم أعتقد أنه مات .. رأيت يهوي أرضا.. لم أفهم ما حصل .. لكن وليد ضربه بسببي أنا .. أنا ..

أنا"

وانهت باكية بحدة على صدرها...

دانة كانت تحاول إبعادي عنها ليتسنى لها النظر إلى وجهي ، وقراءة ما ارتسم عليه ، إلا أنني كنت أدفن رأسي في صدرها بإصرار...

"رغد .. ما الذي تقولينه؟؟"

صرّحت:

"لم أفهم ذلك .. لم أعِ شيئا.. لا أذكر ماذا فعل بي .. لكنه ضربني كثيرا .. وربطني بالحزام" ..

"عمّ تتحدثين يا رغد بالله عليك أفصحي ما تقولين؟؟"

رفعت رأسي أخيرا ونظرت إليها و انفجرت قائلة:

"عمار .. الحقيير .. الجبان .. اللعين .. القذر .. اختطفني و حبسني في السيارة.. وليد جاء لإنقاذي و ضربه بالصخرة .. أفهمت الآن؟؟ أفهمت؟؟ أفهمت؟؟"

لم أزد على ما قلت حرفا واحدا، إذ أنني انهت كليا .. كما انهت دانة الجالسة قربي.. و عندما طلبت مني سرد الأحداث ، قلت:

"لا أريد أن أتذكر شيئا.. لا أريد أن أتذكر..، وليد .. أريد وليد.. أريد العودة إلى وليد"

~ ~ ~ ~ ~

الآن.. و في هذا الصباح الجميل .. و تحت أشعة هذه الشمس الجديدة ، أشعر بأنني شخص آخر ..  
رجل ولد من جديد...

ابتداءً من هذا اليوم، دخلت عالماً جديداً.. و ودعت عالمي الماضي .. للأبد

أنا اليوم ، وليد .. المزارع البسيط الذي يعمل مع خطيبته و عائلتها في مزرعة صغيرة .. في مدينة بعيدة  
عن مدينته و أصله و أهله..

الحياة الماضية قد انتهت ، لا رغد و لا حب و لا جنون.. لا ألم و لا عذاب و لا معاناة.. و لا  
حرب...

الليلة ، ستدخل رغد عالم المتزوجين، و تصبح زوجة لأخي ، و أقطع آخر خيط أمل في استعادتها  
ذات يوم..

الذكرى الحزينة أجبرتها على مغادرة رأسي ، ، فأنا لا أريد لدمعة واحدة أن تسيل من عيني على ما  
فات.. و لأعش حياتي الجديدة كما قدر الله لها أن تكون...

تخرج أروى من المنزل.. مقبلة نحوي ، تحمل صينية تحوي طعاما...

كنت أقف في الساحة أتنفس الصعداء و أشم رائحة الزهور الفواحة...

إنه مكان يستحق أن يضحى المرء بأي شيء من أجل العيش فيه...

"صباح الخير .. وليد"

تبتسم لي و يتورد خذاها خجلاً.. فيجعلها كلوحة طبيعية بديعة من صنع الإله..

أدقق النظر إليها .. فاكتشف أنها آية في الجمال.. جمال لم ألاحظه مسبقاً و لم أكن لأعره اهتماماً..

ملونة مثل الزهور.. و خصلات شعرها الذهبي تتراقص مع تيارات الهواء.. لامعة مثل أشعة الشمس..

سبحان الله..

أحقا.. هذه الحسنة هي زوجة مستقبلي ؟

تقبل إلي و تقول:

"أعددت فطورا خاصا بنا"

ابتسم ، و أقول:

"شكرا" ..

ثم نجلس على البساط المفروش في الساحة ، و ننعيم بفطور شهوي لذيذ.. فمخطوبتي هذه ماهرة جدا في الطهو!

ميزة أخرى تجعلني أشعر بالزهو...

إضافة إلى كونها طيبة القلب مثل والديها و خالها ..

و أكرر في نفسي:

"الحمد لله"

لقد لعبت الأقدار دورها الدرامي معي.. و حين ألقنت بي في السجن لثمان سنين ، عرّفتني على رجل عظيم ، أصبحت في نهاية المطاف زوجا لابنته!

أظن أن على المرء أن يشكر الله في جميع الأحوال و لا يتذمّر من شيء ، فهو لا يعلم ما الحكمة من وراء بعض الأحداث التي يفرضها عليه القدر...

سبحان الله



أكثر ما شدني في الأمر ، هو أنها اعترفت لي البارحة بإعجابها بي!

برغم كل عيوبي و مساوئي ، و رغم جهلها بالكثير عن ماضي و أصلي .. إلا أنها ببساطة قالت:

"أنا معجبة بك" !

اعتقد أن لهذه الجملة تأثيرها الخاص ... و خصوصا على رجل يسمعها للمرة الأولى في حياته من لسان فتاة!

تحدثنا عن أمور كثيرة... فوجدتها حلوة المعشر و راقية الأسلوب ، و اكتشفت أنها أنهت دراستها الثانوية و درست في أحد المعاهد المحلية أيضا...

قلت:

"كان حلمي أن أدرس في الجامعة" !

"أي مجال؟؟"

"الإدارة و الاقتصاد ، كنت أطمح لامتحان إدارة الأعمال .. تخيلت نفسي رجل أعمال مرموق" !

و ضحكتُ بسخرية من نفسي...

قالت:

"و هل تخليت عن هذا الحلم؟؟"

قلت بأسف:

"بل هو من تخلي عني" ..

ابتسمت أروى و قالت:

"إذن فطارده ! و أثبت له جدارتك " !

"كيف؟؟"

قالت:

"لم لا تلتحق بمعهد إداري محلي ؟ أتعرف.. زوج السيدة التي كانت معنا البارحة يدير أحد المعاهد  
و قد يبسر أمورك بتوصية من أمي " !

بدت لكي فكرة وهمية ... كالبخار.. إلا أن أروى تحدثت بجد أكبر و جعلتني انظر للفكرة بعين  
الاعتبار.. و أنميها في رأسي...

~ ~ ~ ~ ~

أتتني دانة و أنا لا أزال على سريري و قالت:

"أحضر سامر الفطور... ألن تشاركينا؟؟"

لم أجب عليها، فانسحبت من الغرفة..

بعد قليل ، طرق الباب مجددا و دخل سامر هذه المرة ، و أغلق الباب من بعده..

أقبل نحوي حتى صار جواربي مباشرة ، و قال بصوت حنون أجش:

"رغد ... هل ستبقيين حبيسة الغرفة هكذا؟؟"

و لم أجبه...

جلس سامر على السرير و مد يده نحو رأسي ، و أخذ يمسح على شعري بحنان...

"رغد .. بالله عليك" ..

لكنني لم أتفاعل معه..

أدار وجهي نحو وجهه و أجبرني على النظر إليه...

نظراتنا كانت عميقة ذات معنى...

"رغد .. أنا أتعذب برؤيتك هكذا ... أرجوك .. كفى"

و لم أجب..

قال:

"أ تحببينه لهذا الحد؟؟"

لما سمعت جملته هذه لم أتمالك نفسي.. و بدأت بالبكاء...

سامر أخذ يمسح الدموع الفائضة من محجري... بلطف و عطف .. ثم قال:

"أنا .. لا أَرْضَى عليك بالحزن .. لا أقبل أن أكون سبب تعاسة أحب مخلوقة إلى قلبي" ...

اعتري نظراتي الآن بعض الاهتمام..

تابع هو حديثه:

"رغد .. سوف .. اتصل به الآن ، و اطلب منه الحضور .. لأخذك معه"

ذهلت ، و فتحت جفوني لأقصى حد .. غير مصدقة لما التقطته أذناي...

قال:

"لا تقلقي.. فأنا لن أجبرك على الزواج مني.. و بمجرد عودة والديّ .. سأطلق سراحك " ..

شبهت...

نطقت:

"سامر" !! ..

سامر ابتسم ابتسامة واهنة حزينة .. ثم قرب رأسي من شفتيه ، و قبّل جبيبي قبلة دافئة طويلة...

بعد ذلك قال:

"سأتصل به في الحال..، هيا.. فدانة تنتظرك على المائدة" ..

و قام و غادر الغرفة...

~ ~ ~ ~ ~

ما كدت أنتهي من وجبة فطوري اللذيذة الطويلة ، حتى أقبلت السيدة ليندا تستدعيني...

"وليد يا بني ، اتصال لك" ..

تبادلت و أروى نظرة سريعة ، ثم وقفت و الاضطراب يعتريني...

قلت:

"من؟؟"

"شقيقك"

و زاد اضطرابي...

أسرعت إلى الهاتف و التقطت السماعة و تحدثت بقلق:

"نعم ؟ هنا وليد"

"مرحبا يا وليد.. كيف أنت؟"

"بخير" ..

و صمت قليلا.. كنت متوجسا من سماع شيء سيئ ، فقد كان اتصالنا الأخير قبل ليلة فقط...

"ما الأمر سامر؟؟"

"لا تقلق ! إنني فقط أريد أن أؤكد عليك الحضور الليلة" ..

فكرت في نفسي .. و من قال إنني أود الحضور؟؟؟ لم يكن ينقصني إلا أن أشهد يوم تزف فيه رعد..

حبيبتي الغالية.. معشوقة قلبي الصغيرة إلى أخي .. و أنا واقف أتفرج و أبارك؟؟

"آسف، لن يمكنني الحضور"

"لماذا؟؟"

"لدي ارتباطات أخرى.. كما أنني متعب و لا طاقة لي بالسفر" ..

"و دانة؟؟ ألا تريد رؤيتها قبل رحيلها؟؟"

لم أجد الجواب المناسب...

ثم قلت:

"إنها لن تتشرف بوجودي على أية حال"

"سأجعلها تحدّثك بنفسها"

ثم ناول الهاتف إلى دانة .. فسمعت صوتها يحييني و يسأل عن أحوالي ، ثم تقول:

"تعال يا وليد.. يجب أن تحضر عرسي"

"آسف .. لا أريد إحراجك أمام زوجك و أهله .. بانتسابك إلى رجل مجرم و خريج سجون"

هنا بدأت دانة بالبكاء و هي تقول:

"أرجوك وليد.. سامحني.."

لم أعقب .. قالت:

"سأكون أتعس عروس ما لم تحضر .. من أجلي"

"ستكونين أسعد بدون حضوري"

عادت تبكي ثم قالت:

"حسنًا ، ليس من أجلي .. بل من أجل رغد"

و شعرت برغبة مفاجئة في التقيؤ .. أ أحضر من أجل زف حبيبتي إلى عريسها؟؟

إنني إن حضرت سأرتكب جريمة ثانية ، لا محالة...

زمجرت:

"لن أحضر"

"ولا من أجلها؟؟"

"ولا من أجل أي كان" ...

"لكنها تريدك أن تحضر .. وليد .. أرجوك"

"يكفي يا دانة" ..

"وليد.. رغد مريضة"

هنا.. تفجر قلبي نابضا بعنف و توترت معدتي و تصلبت عضلاتي و اندفعت أنفاسي بقوة و هتفت:

"ما بها رغد؟؟"

إلا أن دانة لم تجب .. بل أجهشت بكاء..

و يظهر أن سامر تناول السماعة من يدها

كنت أهتف:

"دانة اخبريني ما بها رغد؟؟ تكلمي؟؟"

جاءني صوت سامر قائلا:

"لا تقلق ، إنها متوترة بعض الشيء"

هتفت بقوة:

"سامر اصدقني القول .. ما بها رغد؟؟"

"لا تخشى شيئا يا وليد" ..

"إياكما أن يكون أحدكما قد أذاها في شيء أو أجبرها على شيء؟؟"

"لا ، شقيقك ليس وغدا ليجبر فتاة على الزواج منه ، وهي كارهة"

كأن كتلة كبيرة من الثلج وقعت فوق رأسي .. أفقدتني السيطرة على لساني و على أطرافي بل و عيني كذلك...

كأنه أغشى علي ... كأنني فقدت الوعي و الإدراك .. كأنني سبحت في فضاء رحيب من الوهم و الخيال...

إنني فعلا على وشك إفراغ كل ما ابتلعتة على الفطور خارجا من معدتي... و من فمي...

و الشيء الذي خرج من فمي كان صوتا مبوحا ضعيفا مخنوقا سائلا:

"ألن .. تتزوجا الليلة؟"

سامر لم يجب مباشرة ، ثم قال:

"إلا إذا عادت العروس و غيّرت رأيها قبل المساء" ...

بعدها أنهيت المكالمة تهالكت على معقد قريب.. و أغمضت عيني ..

كنت أريد فقط أن أتنفس .. كان صدري يتحرك بقوة ، تماما كقوة اندفاع الدم خارجا من قلبي...



رغد لن تتزوج الليلة...

رغد لا تزال طليقة..

رغد لا تزال بين يدي...

و شعرت بشيء يلامس يدي...

فتحت عيني و لساني يكاد يصرخ:

"رغد" !

فوقعت عيناى على أروى .. واقفة أمامى مباشرة تلامس يدي .. و تقول بابتسامة ممزوجة ببعض القلق :

"ما الأمر وليد؟؟"

كدت أضحك!

نعم إننى أريد الآن أن أضحك لسخرية القدر منى!

بل بدأت بالضحك فعلا...

و أروى ضحكت لضحكي .. و هي تجهل ما حقائق الأمور...

قالت:

"ما يضحكك وليد ؟ أضحكني معك؟؟"

حدّقت بها فرأيت ما لم أتمنى أن أراه...

قلت:

"أختي دانة ستتزوج الليلة" ..

اتسعت ابتسامتها و قالت:

"صحيح؟ أين؟ مبروك!"

هزئت رأسي ساخرا من حالي المضحك ، و قلت:

"حفلة صغيرة جدا ، في الشقة التي يسكنون فيها.. و هي تريد مني الحضور"

اتسعت ابتسامتها أكثر و قالت مبتهجة:

"عظيم! رائع! أيمكنني الذهاب معك؟؟"

الحلقة التاسعة والعشرون

\*\*\*\*\*

أعد الدقائق واحدة تلو الأخرى ، في انتظار وصول وليد...

رغم أنها مجرد أيام، تلك التي فصلت بيننا مذ لقائنا الأخير ، إلا أنني أشعر بها كالشهور... لا بل كالسنين... نعم كالسنين التي قضيتها محرومة من رؤيته ، و معتقدة بأنه سافر يدرس.. بينما كان...

كلما جالت هذه الخاطرة برأسي طردتها مسرعة ، و أجبرت نفسي على الفرح.. فهو سيصل اليوم في

أية لحظة...

سامر تحاشى الحديث معي منذ الصباح ، إنه فقط مهتم بالإعدادات للحفلة البسيطة ، و قد قام هو و دانة بترتيب مائدة في الصالة ، لاستقبال الرجال ، و أخرى في غرفة المجلس ، لاستقبال السيدات.

حاولت مساعدتهم إلا أنني كنت متعبة من آثار الصدمة التي تلقيتها مؤخرا و لم تسعفني قواي البدنية على فعل شيء أكثر من المراقبة عن كثب..

بعد تأدية صلاة العشاء ، أتتني دانة لتتحدث معي الحديث الأخير... قبل فراقنا..

ابتداء من هذه الليلة ، سوف لن يكون لدي أختٌ أشاجر معها ! من سيعلق علي مظهري كلما ارتديت شيئا جديدا ، من سيوبخني كلما أخطأت ! من سيغار مني و أغار منه؟؟

من سيعلمني أشياء أجهلها و يفتح عيني على الحياة... دانة كانت بالنسبة لي .. الباب إلى الحياة ، فأنا لم أعرف من هذه الدنيا شيئا إلا عن طريقها...

و رغم أن الفرق بين عمرينا هو سنتان و نصف ، إلا أنني أشعر بنفسي صغيرة جدا أمامها .. و أحسها أختي الكبرى و معلّمتي الحبيبة...

لذا ، عندما دخلت الغرفة و أنا لا أزال مرتدية حجاب الصلاة و قالت:

"سأتخلص منك أخيرا" !

انفجرنا ضحكا ، ثم بكاء... شديدا جدا .. جعل سامر يقف عند الباب مذهولا حائرا!

"لمن ستتركيني دانة ؟ سأبقى وحيدة منعزلة عن العالم من بعدك" !

"هنيئا لك ! ستفردين برعاية أبي و تدليله ! أنت مثل القطة رغد ! مهما كبرت تظلين تعشقين الدلال ! كان الله في عون الرجل الذي ستتزوجينه" !

الآن صارت تشير إليه بالمجهول ! لم تذكر اسم سامر .. فهي إذن اقتنعت أخيرا بأن سامر لم يعد لي

...

نظرت أنا نحو سامر فوجدت وجهه المشوه غارقا في الحزن ... و كرهت نفسي ...  
كرهت قدرتي .. و ظروفي التي انتهت بي و به إلى هذه الحال...

أعدت نظري إلى دانة .. نظرة استغاثة ..استنجاد.. أريد من ينقذني من هذا كله.. فوجدت علي  
وجهها ابتسامة خفيفة ، و سمعتها تهمس:

"علي كلٍ ، هو يحب تدليكك كثيرا" !

ابتسمتُ ، و ضمنتها إلي ، و أنا أشعر بأنها المرة الأولى التي تفهمني فيها...

رباه ! كيف تغيّرت بهذا الشكل بين ليلة و ضحاها؟؟

هل يعني أنها موافقة علي و راضية عن انفصالي عن سامر ، و ارتباطي بوليد؟؟ هل تدرك هي أنني  
أحب وليد و وليد فقط؟؟

وليد قلبي...

آه كم أنا متلهفة لرؤيتك ...

عد بسرعة .. اظهر فورا .. فقد أضناني الشوق و الحرمان...

قمت بعد ذلك و لبست فستانا أهداني إياه سامر من أجل الحفلة ، و ووضعت بعض الحلبي ، و التي  
أيضا أهداني إياها سامر... و ارتديت حذاء عالي الكعب جدا ، كالعادة ، و بصراحة .. أهداني إياه  
سامر أيضا!

إلا أنني لم أضع أيا من المساحيق علي وجهي ، فأنا أريد مقابلة وليد قلبي وجهها لوجه...  
بدوت مسرورة ، أحوم حولهما كالفراشة ... و عندما حضر الضيوف أحسنت استقبالهم و قدت النساء  
إلى المجلس ... كانت أم نوار و أخواته ، في غاية الأناقة و الجمال .. يرتدين ملابس مبهرة و حلي  
كثيرة .. و قد تلوّنت وجوههن بالماكياج المتقن جدا !

شعرت ببعض الخجل من نفسي لكوني بلا ألوان ! مع ذلك ، أبدو جميلة فلا تلتفتوا لهذا الأمر!

حضرت العروس بعد ذلك ، في قمة الأناقة و الروعة .. و أخذنا نلتقط العديد من الصور التذكارية ، و سأظهر جميلة رغم كل شيء!

مر الوقت .. و مع انقضاء كل ساعة ينقضي خيط أمل في حضور وليد.. لماذا لم يحضر بعد ؟؟ أحقا سيأتي أم أنه...

ذهبت إلى المطبخ لجلب المزيد من العصائر فإذا بي أصادف سامر هناك ، يحمل أطباق الجلي...

قلت:

"ألم يحضر وليد ؟؟"

سامر تظاهر بالابتسام و قال:

"ليس بعد"

قلت:

"هل أنت واثق من حضوره ؟ هل قال أنه آتٍ بالفعل ؟؟"

"قال إن لديه ارتباطات و مشاغل أخرى ، لكنه سيحاول الحضور" ...

نظرت إلى الساعة المعلقة على جدار المطبخ بيأس ...

قال سامر:

"لا يزال الوقت مبكرا ... لا تقلقي" ...

ثم غادر المطبخ...

~ ~ ~ ~ ~

أعتقد إن من حقِّي أن آخذ هذه المساحة بين السطور .. لأصف لكم مشاعري المجروحة...

إذا كان هناك رجل تعيس في الدنيا فهو أنا ..كيف لا و أنا أرى مخطوبتي .. محبوبتي رغد .. تعد الدقائق بلهفة في انتظار عودة وليد ..حبيب قلبها الغالي ..

أصبت بجنون ما بعده جنون ، حين اعترفت لي و بلسانها أنها تحبه هو.. و أنه السبب في قرارها الانفصال عني ، بعد خطوبة استمرت أربع سنوات أو يزيد...

أربع سنوات من الشوق و اللهفة .. و الحب و الهيام .. في انتظار الليلة التي تجمعنا أنا و هي .. عريسين في عش الزوجية .. ثم يأتي وليد .. و في غضون شهور أو ربما أيام .. يسرق قلبها مني!

رغد لم تقل لي في السابق : ( أنا أحبك ) ، و لكنها لم تقل : ( أنا لا أحبك .. ) بل كانت الأمور فيما بيننا تجري على خير ما يرام .. حتى أخبرني وليد نفسه ذات ليلة بأنها ترغب في تأجيل زواجنا ...

الشيء الذي لا أعرفه حتى هذه اللحظة ، ما إذا كان وليد يعرف بحبها له أو يبادلها الشعور ذاته ، أم لا ...

أنا أعرف أنه يحبها و يهتم بها كأخت .. أو ابنة عم .. أما كحبيبة .. كزوجة .. فهذا ما لا أعرفه و لن أحتمل صدمة معرفته ، إن كان يحبها بالطريقة التي أحبها أنا بها ..

أتذكر أنها في اليوم الذي عرض عليها ارتباطنا قبل سنين قالت : ( لننتظر وليد أولاً )

ولأنه كان من المفترض ألا يعود إلا بعد أكثر من عشر سنين من ذلك الوقت ، فإننا عقدنا قراننا بموافقة

الجميع...

و أنا أنظر إليها هذه اللحظة و هي تراقب الساعة ، أشعر بأن خلايا قلبي تتمزق خلية خلية ، بل ...  
و أنويتها تنشط .. و ذراتها تتبعثر حول المجرة بأكملها...

لماذا فعلتِ هذا بي يا رغد؟؟

إن كنت تجهلين ، فأنا أحبك حبا لا يمكن لأي رجل في الدنيا أن يحمل في قلبه حبا مثله..

حبا يجعلني أدوس على مشاعري و أحرق أحاسيسي رغما عنها ، لأجعلك تحيين الحياة التي  
تريدونها مع الشخص الذي تختارينه..

و ليته كان أنا...

و إن اكتشفت أن وليد لا يكثر لك ، فإنني لن أقف صامتا ، و أدعك تبعثرين مشاعرَ أنا الأولى بها  
من أي رجل على وجه المعمورة ، بل سأخذك معي.. و أحيطك بكل ما أودع الله قلوب البشر من حب  
و مودة ، و أحملك إلى السحاب .. و إن شئت .. أتحوّل إلى وليد .. أو إلى أي رجل آخر تريد أن  
تصبي مشاعرك في قلبه ... فقط.. اقبلي بي ...

غادرت المطبخ على عجل ، لئلا أدع الفرصة لرغد لرؤية العبرة المتألثة في محجري...

نعم ، سأبكي لتضحكي أنت ... و سأحزن لتفرحي أنت .. و سأنكسر لتنجبري أنت .. و سأموت ...  
لتحيي أنت ... يا حبيبة لم يعرف الفؤاد قبلها حبيبة .. و لا بعدها حبيبة .. و لا مثلها حبيبة ... و  
سيفنى الفؤاد ، و تبقى هي الحبيبة .. و هي الحبيبة .. و هي الحبيبة...

عندما وصل وليد، كانت الساعة تشير إلى الحادية عشر و خمس و أربعين دقيقة، أي قبل ربع ساعة  
من ولادة يوم جديد.. خال من رغد...

قرع الجرس ، فأقبلت نحو الباب و سألت عن الطارق ، فأجاب:

"أنا وليد"

جمدت مشاعري تحت طبقة من الجليد ، لا تقل سماكة عن الطبقات التي تغطي المحيط المتجمد الجنوبي... وفتحت الباب..

تلك الطبقة انصهرت شيئا فشيئا ، لا بل دفعة واحدة حين وقعت عيناى على الشخصين الواقفين خلفه ، وليد ، و الفتاة الشقراء!

"مرحبا ، سامر" ...

بصعوبة استطعت رد التحية و دعوتهما للدخول...

وليد كان يرى الدهشة الجلية على وجهي مجردة من أي مداراة مفتعلة !

قال ، و هو يشير إلى الفتاة الواقفة إلى جانبه تبتسم بهدوء:

"أروى نديم ، تعرفها"

قلت:

"أأ .. أجل" ...

قال:

"خطيبتي"

و من القطب الجنوبي ، إلى أفريقيا الاستوائية !

اعتقد أنكم تستطيعون تصوّر الموقف خيرا من أي وصف أنقله لكم!

"خ ... طيبتك!!"

"نعم ، ارتبطنا البارحة"



نظرت إلى الفتاة غير مصدق ، أطلب منها تأكيدا على الكلام ، ابتسمت هي و نظرت نحو وليد ..

وليد قال:

"أ لن تبارك لنا؟؟"

"أأ ... نعم ... طبعاً ... لكنني تفاجأت ، تفضلاً على العموم ، مبروك لكما" ..

وقدتها أولاً إلى المجلس ، حيث النسوة...

طرقت الباب و أنا أنادي أختي دانة... ، فتحت هذه الأخيرة لي الباب و خرجت من فتحته الضيقة ، و حالماً أغلقتة انتبهت لوليد...

"وليد" !

أشرق وجهها و تفجرت الأسارير عليه .. ثم فتحت ذراعيها و أطبقت عليه معانقة إياه عناقاً حميماً...

"نعم .. كنت أعلم بأنك ستأتي و لن تخذلني ، فأنت لم تخذلني ليلة خطوبتي.. أنا سعيدة جداً" ..

وليد قال:

"مبروك عزيزتي... أتم الله سعادتك و بارك لك زواجك" ..

بعد ذلك ، رفعت رأسها لتنظر إليه ، ثم دفنته في صدره و هي تقول:

"سامحني... لم أكن أعلم .. سامحني يا أخي الحبيب .. أنا فخورة بك.. و أتباهي أمام جميع المخلوقات .. بأن لي أخاً مثلك ..سامحني" ..

وليد ربت على ظهر دانة بحنان ، و إن كانت الدهشة و الحيرة تعلوان وجهه ، و قال مواسياً:

"لا بأس عزيزتي .. لا تبكي و إلا أفسدت زينتك ، و غير المغرور رأيه بك" !

رفعت دانة رأسها و انفجرت ضحكا ، و وكزته بمرفقها و هي تقول:

"لم تتغير ! سوف أطلب من نوار أن يضربك قبل خروجنا" !

قلت أنا:

"احذري ! و إلا خرج عريسك بعاهة مستديمة" !

و ضحكنا بانفعال نحن الثلاثة...

التفت وليد للوراء حتى ظهرت خطيبته الجديدة ، و التي كانت تقف على بعد خطوات ...

قال:

"اقتربي أروى"

اقتربت الفتاة و هي تنظر نحو العروس ، و تحييها..

"مبروك دانة ! كم أنت جميلة" !

دانة حملقت في الفتاة قليلا ثم قالت محدثة وليد:

"هل حضرت عائلة المزارع؟؟"

وليد قال:

"أروى فقط" ..

فتعجبت دانة ، فوضّح:

"خطيبتي"

طغى الذهول على وجهها ربما أكثر مني ، قالت باستغراب شديد:

"خطيبتك" !!

قال وليد:

"نعم ، عقدنا قراننا البارحة... باركي لنا"

الاضطراب تملّك دانة ، و حارت في أمرها و لزمت الصمت لوهلة ، إلا أنها أخيرا تحدّثت:

"فاجأتُماني... بشدة... ! مبروك على كل حال"

و كان واضحا لنا ، أو على الأقل واضحا لي استياؤها من المفاجأة...

قلت:

"فلتفضل الآنسة" ...

دانة التفتت إلى أروى و قالت:

"تفضلي"

و فتحت الباب لتسمح لها بالدخول ... و قالت مخاطبة إياي:

"رغد في غرفتها .. ذهبت لاستبدال فيلم الكاميرا" ...

و كان القلق جليا على ملامحها ...

قال وليد:

"جيد ! أ أستطيع رؤيتها؟؟"

تبادلنا أنا و دانة النظرات ذات المعنى .. و قالت هي:

"نعم ، سأدخل لأقدم أروى للجميع"

و دخلت الغرفة و أغلقت الباب تاركة إياي في المأزق بمفردتي !

وليد التفت إلي و قال:

"أريد إلقاء التحية عليها.. إن أمكن"

أنا يا من كنت أدرك أنها تنتظره بلهفة منذ ساعات... و أنها ستطير فرحا متى ما رأته .. لم أملك من الأمر شيئا..

قلت باستسلام:

"أجل ، تفضل " ...

و قدتُ بنفسي ، حبيب خطيبتي إلى غرفتها لكي تقابله...

طرقتُ الباب و قلت:

"رغد .. وليد معي"

قاصدا أن أنبهها لحضوره ، لكي ترتدي حجابها..

إلا أنني ما كدتُ أتم الجملة ، حتى انفتح الباب باندفاع سريع ، و ظهرت من خلفه رغد على حالها .. و هتفت بقوة:

"وليد" !

أي رجل في هذا العالم ، يحمل ذرة حب واحدة لخطيبته ، أو حتى ذرة شعور بالملكية و الغيرة ، فإنه

في لحظة كهذه سيرفع كفيه و يصفع وجهي الشخصين الماثلين أمامه في مشهد حميم كهذا ... إلا أنني أنا ... سامر العاشق المسلوب الحبيبة .. المغطّي لمشاعره بطبقة من الجليد .. وقفت ساكنا بلا حراك و بلا أي ردّة فعل .. أراقب خطيبتي و هي ترتمي في حضن أخي بقوة .. و تهتف بانفعال:

"وليد .. لماذا لم تخبرني .. لماذا .. لماذا" ..

~ ~ ~ ~ ~

و إن كنت أتظاهر بالبرود و الصمود ، إلا أن ما بداخلي كان يشتعل كالحمم ...

و إن كنت أتظاهر بأنني فقط أود إلقاء التحية ، فإن حقيقة ما بداخلي هي أنني متلهف لرؤية صغيرتي الحبيبة و الإحساس بوجودها قريبة مني...

لقد كنت أسير خطوة خطوة.. و مع كل خطوة أفقد مقدارا من قوتي كما يفقد قلبي السيطرة على خفقاته ، فتأتي هذه الأخيرة عشوائية غير منظمة .. تسبق الواحدة منها الأخرى...

و حين فتح الباب.. كنتُ قد أحرقت آخر عصب من جسدي من شدة التوتر.. لدرجة أنني لم أعد أحس بشيء ..

أي شيء..

لم أعرِ إلا و قذيفة ملتهبة قوية تضرب صدري .. تكاد تكسر ضلوعي و تخترق قلبي...

بل إنها اخترقته ..

فرغد لم تكن تقف أمامي بل .. كانت تجلس في قلبي متربعة على عرش الحكم.. تزيد و تنقص ضرباته قدر ما تشاء .. تعبت بأعصابه كيفما تشاء.. تسير أحاسيسه حسبما تريد...

ولأنني كنت مذهولا و فاقدًا للسيطرة على حركاتي تماما ، فقد بقيتُ ساكنا.. دون أي ردّة فعل ...

كان صدري مثل البحر .. غاصت صغيرتي في أعماقه و قطعته طولًا و عرضًا .. و خرجت منه مبللة بالدموع و هي تنظر إلي و تهتف:

"لماذا لم تخبرني؟؟ لماذا يا وليد ؟ لم أخفيت عني كل هذه السنين؟؟"

شيء ما بدأ يتحرّك في دماغي المغلق .. و يفتح أبواب الوعي و الإدراك لما يدور من حولي ...

بدأت أنتبه لما تقوله صغيرتي .. و بدأت أحس بأظافرها المغروسة في لوحِي كتفيّ كالمسامير ... و بدأت أرى اللاّليء المتناثرة من محجريها ... أغلى ما في كوني...

لا شعوريا رفعت يدي إلى وجهها أردم سيل العبر...

"لا تبكي صغيرتي أرجوك" ..

فأنا أتحمّل أي شيء في هذه الدنيا ، إلا أن أرى دموع غاليتي تتبعثر سدى...

إنني أشعر بحرارة شديدة أجهل مصدرها الحقيقي...

أهو داخلي ؟ أم حزن صغيرتي ؟ أم الشرر المتطاير من عينيّ أخي ، اللتين تحملقان بنا بحدّة..

رغد أزاحت يديها عني ، و ابتعدت خطوة.. و ذلك أثار توترا في المسافة التي بيننا.. تماما كالتوتر الذي يولده ابتعاد قطعة حديد صغيرة عن مغناطيس!

قالت:

"لقد اكتشفت ذلك الآن فقط .. لماذا لم تخبرني بأنك .. بأنك .. كنت في السجن؟؟"

و إن كانت مشاعري قبل قليل مخدّرة من تأثير قرب رغد ، فإنها استيقظت كلها دفعة واحدة فجأة..

و تهيّجت .. فصرت أشعر بكل شيء ، حتى بحرارة البراكين الخاملة في اليابان!

نقلت نظري من رغد ، إلى سامر ، إلى رغد ، إلى سامر ... و حين استقرت عيناى عليه ، رأيت قنبلة متوهجة ، على وشك الانفجار...

لطفك يا رب! ...

قلتُ أخيرا:

"أنت من أخبرها؟؟"

سامر لم يجب بكلمة ، بل بإيماءة و تنهيدة قوية نفثها صدره .. و شعرت أيضا بحرارتها...

أعدتُ النظر إلى رغد.. فاسترسلت في سؤالي:

"لماذا لم تخبرني؟؟"

أخبرك؟؟ بأي شيء يا رغد؟؟ أ لم تري الطريقة التي عاملتني بها دانة ، بل و الناس أجمعون؟

أتراك تنظرين إليّ الآن مثلهم؟؟

لا يا رغد .. أرجوك لا..

قلت بلا حول و لا قوة:

"ما حصل..، لكن... أرجو ألا يغيّر ذلك أي شيء؟؟"

و انتظرت إجابتها بقلق...

قالت:

"بل يغيّر كل شيء" ...

و أذهلتني هذه الإجابة بوضوحها و غموضها المقترنين في آن واحد...

قالت:

"وليد ... وليد أنا" ...

و لم تتم ، إذ أن دانة ظهرت في الصورة الآن مقبلة نحو غرفة رغد.. و تكسوها علامات القلق...

جالت بمقلتها بيننا نحن الثلاثة و استقرت على سامر ...

شعرت أنا بأن هناك شيء يدور في الخفاء أجهله...

سألت:

"ما الأمر؟؟"

لم يجب أي منهم بادية ذي بدء إلا أن دانة قالت أخيرا، مديرة دفة الحديث لمنعطف آخر:

"رغد ! الكاميرا ! سنستدعي نوار الآن !"

ثم التفتت نحو سامر:

"إنه منتصف الليل ! هيا استدعه !"

و يبدو أن ترتيباتهم كانت على هذا النحو ، أن يدخل العريس إلى تلك الغرفة لالتقاط بعض الصور مع العروس و مع قريباته قبل المغادرة.

سامر نطق أخيرا:

"سأستدعيه... أخبريهن"

و رغد تحركت الآن من أمامي متجهة نحو المنضدة و من فوقها تناولت الكاميرا و أقبلت نحو دانة و



مدّت الكاميرا إليها ، فقالت دانة:

"أعطيها لسامر الآن" ..

التفتت رغد نحو سامر .. وقدمتها إليه...

سامر نظر إلى رغد نظرة عميقة.. جعلتها تطأطأء رأسها أرضا...

أخذ سامر الكاميرا منها.. وقال ..

"سنلتقط له معنا بعض الصور ثم نعيدها إليك" ..

قال ذلك ووجه خطاه نحو الصالة...

هممتُ أنا باللحاق به... إلا أنني توقفت ، و التفتت إلى رغد ... و قلت:

"كيف قدمك الآن؟"

رغد و التي كانت لا تزال مطأطئة برأسها رفعته أخيرا و نظرت إلي مبتسمة و قالت:

"طاب الجرح" ...

قلت:

"الحمد لله"

ثم أوليتها ظهري منصرفا إلى حيث انصرف أخي...

~ ~ ~ ~ ~

كنتُ مجنونةً ، لكنني لم أتمالك نفسي بعدما رأيت وليد يقف أمامي... بطوله و عرضه و شحمه..  
جسده و أطرافه... و عينيه و أنفه المعقوف أيضا...

كأن سنيانا قد انقضت مذ رأيتَه آخر مرة ، ينصرف من هذه الشقة جريحا مكسور الخاطر ...

اندفعت إليه بجنون... و أي جنون!

ظللت أراقبه و هو يولّي .. حتى اختفى عن ناظري.. و بقيت محدّقة في الموضع الذي كان كتفاه  
العريضان يظهران عنده قبل اختفائه ، و كأنني لازلت أبصر الكتفين أمامي!

"رغد" !

نادتني دانة ، فحررت أنظاري من ذلك الموضع و التفت إليها... و رأيتها تحدّق بي و علامات غريبة  
على وجهها...

أنا ابتسمت .. لقد قرّرت عيني برؤية وليد قلبي.. و لأنه هنا ... ، فقط لأنه هنا ، فإن هذا يعطيني أكبر  
سبب في الحياة لأبتسم!

لا أعرف لم كانت نظرة دانة غريبة.. ممزوجة بالأسى و القلق.. قلت:

" ما بك ؟"

" لا ... لا شيء"

" سأغسل وجهي و أوافيكن " ...

و أسرع قاصدة الحمام ... طائرة كالحمامة!

بعد ذلك ، ذهبت إلى غرفة المجلس...مرتدية حجابي ، إذ أنني سأبقى لأنفرج على العريسين و لمياء  
- شقيقة نوار - تلتقط الصور لهما ..

جميعهن كن يجلسن في أماكنهن كما تركتهن قبل قليل، نظرن إليّ جميعاً حالما دخلت.. فابتسمت في وجوههن...

فجأة لمحت وجهها غريباً في غير موقعه!

وجه أروى الحسناء!

دهشت وعلاني التعجب! وقفت هي مبتسمة وقائلة:

"مرحباً رغد! كيف حالك؟ وكيف صحتك؟؟"

"أروى!"

"مفاجأة أليس كذلك؟؟"

اقتربت منها و صافحتها و الدهشة تملكني... و نظرت في أوجه الأخريات بحثاً عن وجه أم أروى ...  
أو حتى وجه العجوز!

قلت:

"أهلاً بك! أحضرت بمفردك؟؟"

ابتسمت و قالت:

"مع وليد"

مع من؟؟ مع وليد؟؟ ماذا تقصد هذه الفتاة؟؟

"مع وليد؟؟"

ازدادت ابتسامتها اتساعاً و حمرة وجنتيها حمرة و بريق عينيها بريقاً ... و التفتت نحو دانة ثم

نحوي و قالت:

"ألم تخبركِ دانة؟؟"

التفت نحو دانة و أنا في غاية الدهشة و القلق.. و رميتها بنظرات متسائلة حائرة ..  
دانة أيضا نظرت إلي بنفس القلق.. ثم قالت:

"إنها ... إنها و وليد" ...

و لم تتم...

نظرت إلى أروى ، فسمعتها تقول متممة جملة دانة ، تلك الجملة التي قضت علي و أرسلتني للهلاك  
فورا:

"ارتبطنا .. البارحة"

عفوا؟؟ عفوا؟؟ فأنا ما عدت أسمع جيدا من هول ما سمعت أذناي مؤخرا ! ماذا تقول هذه الفتاة؟؟

"ماذا؟؟"

و رأيتها تبتسم و تقول:

"مفاجأة ! أ ليس كذلك؟؟"

نظرت إلى دانة لتسعفني...

دانة أنقذيني مما تهذي به هذه ... ما الذي تقوله فلغتها غريبة.. و شكلها غريب.. و وجودها في هذا  
المكان غريب أيضا...

دانة نظرت إلي بحزن ، لا ... بل بشفقة ، ثم أرسلت أنظارها إلى الأرض...

غير صحيح!

غير ممكن .. مستحيل ... لا لن أصدق ...

"أنت و .. وليد ماذا؟؟ ار... تبط.. تما؟؟"

"نعم ، البارحة .. و جنئتُ معه كي أبارك للعريسين زواجهما".

خطوة إلى الورا، ثم خطوة أخرى.. يقترب الباب مني، ثم ينفتح.. ثم أرى نفسي أخرج عبره.. ثم أرى الجدران تتمايل.. و السقف يهوي.. و الأرض تقترب مني.. و الدنيا تظلم.. تظلم.. تظلم.. و يختفي كل شيء...

"سامر .. تعال بسرعة"

هتاف شخصٌ ما.. يدوي في رأسي.. أيدي أشخاص ما تمسك بي.. أذرع أشخاص ما تحملني.. و تضعني فوق شيء ما.. مريح و واسع ..  
أكفف تضرب وجهي.. أصوات تناديني.. صياح.. دموع.. لا ليست دموع.. إنها قطرات من الماء ترش على وجهي.. أفتح عيني.. فأرى الصورة غير واضحة.. كل شيء مما حولي يتمايل و يتداخل ببعضه البعض.. الوجوه، الأيدي.. السقف.. الجدران.. أغمض عيني بشدة.. أحرك يدي و أضعها فوق عيني.. لا أتحمل النور المتسلل عبر جفني.. أشعر بدوار.. سأتقيأ.. ابتعدوا.. ابتعدوا...

~ ~ ~ ~ ~

عندما استردت رغد و عيها كاملا، كان ذلك بعد بضع دقائق من حضورنا إلى الممر و رؤيتنا لها مرمية

على الأرض...

كنا قد سمعنا صوت ارتطام ، شيء ما بالأرض أو الجدران ، ثم سمعنا صوت دانة تهتف:

"سامر .. تعال بسرعة"

قفزنا نحن الاثنان ، أنا و سامر هو يهرول و أنا أهرول خلفه تلقائيا حتى وصلنا إلى هناك..  
دانة كانت ترفع رأس رغد على رجلها و تضرب وجهها محاولة إيقاظها.. و رغد كانت مغشي  
عليها...

أسرعنا إليها ، و مددت أنا يدي و انتشلتها عن الأرض بسرعة و نقلتها إلى سريرها و جميعنا نهتف

"رغد.. أفيقي " ...

صرخت:

"ماذا حدث لها؟؟"

دانة أسرعت نحو دورة المياه، و عادت بمنديل مبلل عصرته فوق وجه رغد، و التي كانت تفتح عينيها  
و تغمضهما مرارا...

استردت رغد وعيها و أخذت تجول ببصرها فيما حولها.. و تنظر إلينا واحدا عقب الآخر...

قال سامر:

"سلامتك حبيبتي... هل تأذيت؟؟"

قالت دانة:

"أأنت على ما يرام رغد؟؟"

قلت أنا:

"ما ذا حدث صغيرتي؟؟"

نظرت رعد إلي نظرة غريبة.. ثم جلست و صاحت:

"سأتقياً"

بعدها هدأت من نوبة التقيؤ ، وضعت رأسها على صدر سامر و طوقته بذراعيها و أخذت تبكي...

سامر أخذ يمسح على رأسها المغطى بالحجاب... و يتمتم:

"يكفي حبيبتي، اهدئي أرجوك.. فداك أي شيء..."

قلت:

"صغيرتي؟؟"

رعد غمرت وجهها في صدر سامر... مبللة ملابسه بالدموع ..

"صغيرتي..؟؟"

"دعوني وحدي.. دعوني وحدي" ..

و أجهشت بكاء شديدا...

لم أعزم الحراك و لم استطعه ، إلا أن دانة قالت لي:

"لنخرج وليد"

قلت بقلق:

"ماذا حدث يا دانة؟؟"

قالت:

"قلت لك... إنها مريضة! هذه المرة الثالثة التي يغشى عليها فيها منذ أمس" ...

صعقتني هذا النبأ ..

قلت مخاطبا رغد:

"رغد هل أنت بخير..؟؟"

لم تلتفت إلي ، بل غاصت برأسها أكثر و أكثر في صدر سامر و قالت:

"دعوني وحدي... دعوني وحدي" ..

يد دانة الآن أمسكت بيدي ، و حثتني على السير إلى الخارج ، ثم أغلقت الباب...

حاولت التحدث معها إلا أنها اعترضت حديثي قائلة:

"سوف أعود لأطمئن ضيفاتي.. وليد استدع نوار" ...

و انصرفت...

بقيت واقفا عند باب غرفة رغد غير قادر على التزحزح خطوة واحدة.. ماذا حلّ بصغيرتي؟؟ و لماذا تتشبث بسامر بهذا الشكل؟؟ هل صحتها في خطر؟ هل عدلت عن فك ارتباطها به ؟ ماذا يحدث من حولي..؟؟

لحظات و إذا بي أرى دانة تظهر من جديد



"وليد أ لم تتحرك بعد ! هيا استدعه"

"حسنا" ..

و عدت إلى صالة الرجال ، و رأيتهم أيضا متوترين يتساءلون عما حدث ، طمأنتهم و استدعيت العريس و قدته إلى مجلس النساء.. حيث قامت والدته أو إحدى شقيقاته بالتقاط الصور التذكارية لهن مع العريسين ...

أروى كانت بالداخل أيضا ..

عدت إلى بقية الضيوف و أنا مشغول البال .. بالكاد ابتسم ابتسامة مفتعلة في وجه من ينظر إلي ...

فيما بعد ، جاء نوار و قال:

"سننطلق إلى الفندق الآن" ..

و كان من المفروض أن يسير موكب العريسين إلى أحد الفنادق الراقية ، حيث سيقضي العريسان ليلتهما قبل السفر يوم الغد مع بقية أفراد عائلة العريس إلى البلدة المجاورة و من ثم يستقلون طائرة راحلين إلى الخارج...

سامر كان من المفترض أن يقود هذا الموكب ..

ذهبت إلى غرفة رغد.. و طرقت الباب..

"سامر.. العريسان يودان الذهاب الآن" ..

فتح الباب ، و خرج سامر.. ينظر إلي بنظرة ريب..

قلت:

"كيف رغد؟؟"

قال بجمود:

"أفضل قليلا"

أردتُ أن أدخل للاطمئنان عليها، لكن سامر كان يقف سادا الباب ..حائلا دون تقدّمي و تخرجت من استئذانه بالدخول..

قلت:

"إنهما يودان الانصراف الآن " ...

سامر نظر إليّ بحيرة .. ثم قال:

"أتستطيع مرافقتكما؟؟"

"أنا؟؟"

"نعم يا وليد، فرغد لن تتمكن من الذهاب معنا و علي البقاء معها"

فزعت، و قلت:

"أهي بحالة سيئة؟"

"لا، لكنها لن ترافقنا ، بالتالي سأبقى هنا"

"إنني أجهل الطريق " ..

"اطلب من أحد أخوته مرافقتكم" ...

لم تبد لي فكرة حسنة، قلت معترضا:

"أذهب أنت يا سامر، و أنا باق هنا مع رغد و أروى"...

أقبلت دانة الآن، و سألت عن حال رغد، ثم دخلت إلى غرفتها...

~ ~ ~ ~ ~

"أنا تعيسة جدا"

كان هذا جوابي على سؤال دانة التي أتتني بقلق لتطمئن علي..

دانة جلست إلى جوارى على السرير و أخذت تواسيني.. إلا أن شيئاً لا يمكنه مواساتي في الصاعقة التي أحلت بي...

"أرجوك يا رغد.. كفى عزيزتي.. ألن تودعينني ؟ إنني راحلة عنك للأبد" !

و جاءت جملتها قاصمة لظهري...

"لا ! لا تذهبي و تتركيني ! سأكون وحيدة ! أريد أمي .. أريد أمي"...

و بكيت بتهيج ..

"يكفي يا رغد ستجعليني أبكي و أنا عروس في ليلة زفافي التعسة" !

انتبهت لنفسى أخيراً.. كيف سمحت لنفسى بإتعاس أختي العروس في أهم ليالي عمرها؟ ألا يكفي أنها حرمت من حفل الزفاف الضخم الذي كانت تعد له منذ شهور... و خسرت كل ملابسها و حليها و أغراض زفافها.. و احترق فستان العرس تحت أنقاب المدينة المدمرة !؟

طردت بسرعة الدموع المتطفلة على وجهي، و أظهرت ابتسامة مفتعلة لا أساس لها من الصحة و قلت :

"عزيزتي سأفتقدك ! ألف مبروك دانة"

تعانقنا عناقا طويلا.. عناق الفراق.. فبعد أكثر من ١٥ عاما من الملازمة المستمرة ٣٠ يوما في الشهر،  
نفترق.. و دموعنا مختلطة مع القبل...

قدم سامر .. و قال:

"هيا دانة" ..

صافحتها و قبلتها للمرة الأخيرة... ثم جاء دور سامر، و من ثمّ الرجل الضخم الذي كان يقف في  
الخارج عند الباب مباشرة...

لم استطع أن ألقى عليه و لا نظرة واحدة.. لم أشأ أن أنهار من جديد.. اضطجعت على سريري، و  
سحبت الغطاء حتى أخفيت وجهي أسفل منه...

سمعت سامر يقول:

"سآخذهما للفندق و أعود مباشرة.. وليد و خطيبته سيبقيان معك"

و لم تهز فيّ هذه الجملة شعرة واحدة ، بل أغمضت عيني و أنا أقول:

"سأنام" ..

أحسست بالجميع يغادرون الغرفة و يغلقون الباب، ثم اختفت الأصوات و الحركات.. لقد غادر جميع  
الضيوف.. و في الشقة لم يبق إلا أنا.. و وليد .. و الأجنبية الدخيلة...

دخلت في نوم عميق أشبه بالغيوبة.. إلا أنني في لحظة ما.. أحسست بدخول شخص ما إلى الغرفة.. و

اقترابه مني.. ثم شعرت بيد تمتد إلى لحافي فتضبطه فوقي ، ثم تمسح على رأسي من فوق حجابي الذي لم أنزعه ، ثم توهمت سماع همس في أذني...

"أحلام سعيدة يا حبيبتي"

و ابتعد المجهول.. و سمعت صوت انغلاق الباب ..

فتحت عيني الآن فوجدت الغرفة غارقة في السكون و الظلام.. هل كان ذلك وهما؟؟ هل كان تهيؤاً؟؟  
حلماً؟؟  
لست أكيدة..

و إن كان حقيقة ، فالشيء الذي سأكون أكيدة منه ، هو أن الشخص كان سامر...

~ ~ ~ ~ ~

استخدمت غرفتي السابقة بينما جعلت أروى تستعمل غرفة العروس ، للمبيت تلك الليلة...

لقد كنت شديد القلق على صغيرتي .. و لم أنم كما يجب..

كنا قد قررنا البقاء ليومين قبل معاودة الرحيل ، و كان هذان اليومان من أسوأ أيام حياتي!

رغد كانت مريضة جدا و ملازمة للفراش ، و سامر كان يمنعني من الدخول إلى غرفتها أغلب المرات ، و في المرات القليلة التي سمح لي بإلقاء نظرة ، كنت أرى رغد شاحبة جدا و مكتئبة للغاية ، ترفض الحديث معي و تطلب منا تركها بمفردها  
ضاق صدري للحالة التي كانت عليها و سألت سامر:

"ماذا حدث لها ؟ هل حدث شيء تخفونه عني؟ لم هي كثيفة هكذا؟؟ هل آذاها أحد بشيء؟؟"

قال سامر:

"إنها كئيبة لفراق دانة ، فكما تعرف كانت تلازمها كالظل " ...

"لكن ليس لهذا الحد.. أنا أشعر بأن في الأمر سر ما " ..

نظر إلي شقيقي نظرة ارتياب و قال:

"أي سر؟؟"

قلت:

"ليتنني أعرف " ...

كنا خلال هذين اليومين نتناول وجباتنا أنا و أروى في المطاعم ، و في الليلة الأخيرة ، عندما عدنا من المطعم ، وجدنا رغد و سامر في غرفة المائدة يتناولان العشاء...

فرحت كثيرا ، فهي علامة جيدة مشيرة إلى تحسّن الصغيرة..

قلت:

"صغيرتي.. حمدا لله على سلامتكَ ، أتشعرين بتحسّن؟؟"

رغد نظرت نحوي بجمود ، ثم نحو أروى ، ثم وقفت ، و غادرت الغرفة ذاهبة إلى غرفة نومها...

وقف سامر الآن و نظر إلي بعصبية:

"أ هذا جيّد؟ ما كدت أصدق أنها قبلت أخيرا تناول وجبة " ..

قلتُ بانزعاج:

"هذه حال لا يصبر عليها، لسوف آخذها إلى الطبيب" ..

و سرتُ مسرعا نحو غرفتها ، فأقبل شقيقي من بعدي مسرعا:

"هيه أنت.. إلي أين؟؟"

التفتُ إليه و قلت:

"سأخذ الفتاة للمستشفى"

قال بغيظ:

"من تظن نفسك؟ ألا تراني أمامك؟؟ خطيبتك هي تلك و ليست هذه"

قلت مزجرا:

"قبل أن تكون خطيبتك هي ابنة عمي ، و إن كنت نسيت فأذكرك بأنها ستنفصل عنك، و لتعلم إن كنت جاهلا بأن أمورها كلها تهمني و أنا مسؤول عنها كليا ، مثل والدي تماما "

و هممت بمد يدي لطرق الباب و من ثم فتحه ، إلا أن سامرثار... و أمسك بيدي و أبعدها بقوة..

تحررت من مسكته و هممت بفتح الباب ألا أنه صرخ:

"ابتعد"

و قرن الصرخة بانقضاض على ذراعي، و سحب لي بقوة...

دفعت به بعيدا عني فارتطم بالجدار، ثم ارتد إلي و لكمني بقبضته في بطني لكمة عنيفة...

اشتعلت المعركة فيما بيننا و دخلنا في دوامة جنونية من الضرب و الركل و اللطم و الرفس.. أتت في

غير أوانها!

أروى واقفة تنظر إلينا بذهول .. و باب غرفة رغد انفتح .. و ظهرت منه رغد مفزوعة تنظر إلينا  
باستنكار و توتر

"سامر... وليد... يكفي" ...

إلا أن أحدنا لم يتوقف...

في العراك السابق كان سامر يستسلم لضرباتي .. أما الآن ، فأجده شانا الهجوم علي و يضربني بغيظ و  
بغض.. كأن بداخله ثأرا يود اقتصاصه مني...

بعد لحظات من العراك، و يد الغلبة لي، و أنا ممسك بذراع أخي ألوبها للوراء و أوله ، جاءت رغد  
تركض نحوي صارخة:

"أترك خطيبي أيها المتوحش"

و رأيت يديها تمتدان إلي ، تحاولان تخليص سامر من بين يدي ...

أمسكت بذراعي و شدتني بقوة، فحررت أخي من قبضتي و استدرت لأواجهها...

صرخت بوجهي:

"وحش.. مجرم..قاتل..أكرهك.. أكرهك.. أكرهك"

و بقبضتيها كلتيهما راحت تضربني على صدري بانفعال ضربة بعد ضربة بعد ضربة... و أنا واقف

كالجبل بلا حراك.. أشاهد.. و اسمع ..و أحس.. و أتألم ..

و أحترق... و أتزلزل ... و أموت....

الحلقة الثلاثون



\*\*\*\*\*

بعد سيل الضربات القوية التي وجهتها إلى صدر وليد ، بانفعال و ثورة.. بغضب و غيظ و قهر.. شعرت بألم في يديّ كان هو ما جعلني أوقف ذلك السيل...

رفعت رأسي إليه ، فرأيته ينظر إليّ بجمود .. لم تهزه ضرباتي و لم توجهه!  
من أي نوع من الحجر أنت مخلوق؟؟ من أي نوع من المعادن صدرك مصنوع؟؟ ألا تحس بي؟؟

عيناك كانتا مغرورقتين بالعبرات الحارقة.. تمنيت لو يمسحها.. تمنيت لو يضمني إلى صدره..

تمنيت.. لو أصحو من النوم ، فأكتشف أن أروى هي مجرد حلم.. وهم .. لا وجود له.. و كم كانت أمانٍ مستحيلة التحقق...

كان وليد ينظر إليّ بعمق ، كانت نظراته تنم عن الحزن.. و الاستسلام... فهو لم يقاومني و لا يبعثني.. بل تركني في ثورة غضبي أفرغ على صدره دون إدراك.. كل ما كتّمته من غيظ مذ علمت بنبأ ارتباطه...

ابتعدت عنه ، التفت إلى سامر ، ثم إلى أروى ، ثم إلى وليد مجددا... ثم ركضت داخله غرفتي و صافعة الباب بقوة...

لم أسمح لسامر بالدخول عندما أراد ذلك بعد قليل ، و بقيت أبكي لساعات ...

في اليوم التالي ، عندما خرجت من غرفتي قاصدة المطبخ ، لمحت غرفة دانة سابقا ، الدخيلة حاليا مفتوحة الباب ...

اقتربت منها بحذر .. و ألقيت نظرة شاملة عليها كانت خالية من أي أحد..

أسرعت نحو غرفة وليد.. فوجدتها الأخرى مفتوحة و لا وجود لأي شيء يشير إلى أن وليد لم يرحل...

ركضت بسرعة نحو الصالة، رأيت سامر يجلس هناك شاردا .. حين رأيته ، ابتسم و وقف و ألقى علي تحية الصباح..

قلت بسرعة:

"أين وليد؟؟"

ألقى علي سامر نظرة متألّمة ثم قال:

"رحل"

صعقت ... هتفت:

"رحل؟؟ متى؟؟"

قال:

"قبل قليل" ..

مستحيل ! لا ... غير ممكن...

صرخت:

"لماذا تركته يرحل؟؟"

نظر إلي سامر بحيرة ..صرخت مجددا:

"لماذا تركته يرحل؟؟"

قال سامر مستاءً:

"و هل كنت تتوقعين مني أن أربطه إلى المقعد حتى لا يذهب ؟ أخذ خطيبته و أغراضهما و ولا خارجين دون سلام "

صرخت:

"كان يجب أن تمنعه ! الحق به.. دعه يعود .. أعدده إلي حالاً"

سامر هتف بعصبية:

"لا تثيري جنوني يا رغد.. ماذا تريدين به ؟ لقد تزوّج من أخرى و قضي الأمر"

صرخت بقوة:

"لا"

"رغد" !

"لن أصدّق.. إنكم تكذبون ... كلكم تكذبون.. وليد لم يرتبط بأحد.. وليد لم يدخل السجن.. وليد لم يقتل أحدا.. وليد لن يتخلّى عني... لن يبتعد عني.. أعدده إلي.. أعدده إلي.. أعدده إلي "

و انهرت باكية.. حسرة على وليد قلبي

و على هذه الحال بقيت أياما... اشتد علي المرض و السقم.. و تدهورت حالتي النفسية كثيرا.. كما ساءت حالة سامر و أصبح عصبيا جدا.. و صرنا نتشاجر كل يوم.. و الحال بيننا لا تطاق..

ما زاد الأمر سوءاً هو أننا كلما اتصلنا بوالديّ وجدنا الهاتف مغلقاً، و عندما اتصلنا بالفندق الذي كانا ينزلان به أبلغنا بأنهما قد غادراه ...

انقطعت أخبارهما عنا عدة أيام و حلّ التوتر الفظيع علينا و امتزجت المشاكل و المخاوف و المشاجرات مع بعضها البعض ، و تحوّلت حياتنا أنا و سامر إلى جحيم... و جحيمنا صار يتفاقم و يتضاعف يوما بعد يوم ، إلى أن طغى الطوفان المدمر و حلّت الصاعقة الكبرى...أخيرا...

~ ~ ~ ~ ~

التحقت بمعهد إداري في مبنى قريب من المزرعة ، و بتوفيق من الله أولا ، ثم بمساعدة من العم إلياس و السيدة ليندا ، أصبحت طالبا رسميا في المعهد.

الحياة بدت مختلفة ، و كل شيء سار على خير ما يرام ، حظيت أخيرا بشيء من الراحة و السعادة.. خطيبتي..كانت إنسان رائع جدا.. في الأخلاق و الطيبة و المشاعر و الجمال و كل شيء... نعمة من رب السماء ..

حاولت جاهدا أن أصرف مشاعري نحوها... و أودع فيها ما يكنه قلبي من الحب و الحنان ، إلا أن رغد.. لم تسمح لي بذلك...

فقد كانت محتلة القلب من أول وريد إلى آخر شريان...و بعدها و صحتها المتدهورة ما زاداني إلا تعلقا بها و لهفة إليها... و كلما تسللت يداي إلى الهاتف ، و أدارتا رقم الشقة ، ذكرني عقلي بكلماتها الأخيرة القاتلة... فوضعت السماعة و ابتعدت...

لم أتصل للسؤال عن أي فرد من أسرتي ، و أقنعت نفسي بأنني لم أعد أنتمي إليهم.. و أن عائلتي الحقيقية هي عائلة نديم رحمه الله...

لذلك ، حين وردتني مكالمة من سامر بعد أيام حاولت اصرافها ، إلا أن أروى ألحت علي بالإجابة .. و هي تقول:

"لو كان لدي أخ أو أخت لكنت فعلت أي شيء من أجلهما مهما تعاركا معي أو حتى قتلاني " !

تناولت السماعة من يدها و أنا أشعر بالخجل من هروبي هذا... قربتها من أذني و فمي و تحدّثت:

"نعم يا سامر؟؟"

"كيف حالك؟"

"بخير" ..

و ساد صمت استمر عدة ثواني...

قلت:

"أهناك شيء؟؟"

فأنا لا أتوقع أن يتصل ليسأل عني فقط ، خصوصا بعد شجارنا الأخير...

قال سامر:

"يجب أن تحضر إلى هنا يا وليد"

ذهلت من عبارته ، قلت متوترا و قد انتابني القلق المفاجئ:

"خير؟ هل حصل شيء؟؟"

"نعم، و لا بد من حضورك"

هوى قلبي على الأرض... من القلق ، قلت و أنا بالكاد أحرك شفتيّ:

"رغد بخير؟؟ أ أصابها مكروه؟؟"

سامر صمت ، ما جعلني أوشك على الموت... قلت:

" ما بها رغد أخبرني؟؟ "

قال:

" على ما هي عليه ، أريدك حضورك فوراً "

التقطت بعض أنفاسي و قلت:

" لم سامر؟ أخبرني ماذا حصل؟؟ "

" لن أخبرك على الهاتف ، تعال بأسرع وقت يا وليد .. الأمر غاية في الأهمية "

لم استطع بعد تلك المكالمة السكون برهة واحدة ، تحركت بعصبية كالمجنون .. و من فوري ذهبت لأبحث عن سيارة أجرة، إذ أنني لم أكن أملك واحدة كما تعلمون...

أرادت أروى مرافقتي إلا أنني عارضت ذلك، و خلال ساعة، كنت أشق طريقي نحو شقة سامر.. و قلبي شديد الانقباض.. لا بد أن مكروها قد حلّ بصغيرتي و إن كان كذلك، فلن أسامح نفسي على البقاء بعيداً بينما هي مريضة...

قطعت المسافة في زمن قياسي، و حين وصلت أخيراً إلى الشقة، قرعت الباب بشكل متواصل إلى أن فتحه أخي أخيراً...

من النظرة الأولى إلى وجهه أدركت أن الموضوع أخطر مما تصوّرت.. كانت عيناه حمراوان و جفونه وارمة، و وجهه شديد الكآبة... و السواد أيضاً...  
منظره أوقع قلبي تحت قدمي في الحال...

و قبل أي كلمة أخرى هتفت مفزوعاً:

" أين رغد؟؟ "

و ركضت إلى الداخل مسرعا و أنا أنادي:

"رغد ... رغد" ...

و حين بلغت غرفتها طرقت الباب بقوة... و أنا أهتف بفرع...

"رغد... أنت هنا؟"

فتح الباب و ظهرت رغد .. و ما أن وقعت أعيننا على بعضها البعض حتى كدت أصرىعا ..

"رغد" !

"وليد" ...

"أنت بخير صغیرتی؟؟ أنت بخیر؟؟"

انفجرت رغد باكية بقوة ، التفت إلى الورااء فإذا بسامر يقف خلفي ، هتفت:

"ماذا حصل؟"

رغد ازداد بكاؤها ..

قلت منفعلا:

"أخبراني ماذا حدث؟؟"

و نظرت إلى سامر في انتظار ما سيقول...

سامر حرّك شفتاه و قال أخيرا:

"أصيب والدانا في الغارة على الحدود"

صعقت ، شهقت:

"ماذا؟؟"

طأطأ سامر رأسه للأسفل ، فقلت بسرعة:

"سامر؟؟"

لم يرفع عينيه في البداية ، إلا أنه حين رفعهما كانتا غارقتين في الدموع ، وقال أخيراً:

"قتلوها" ..

شهر كامل قد مضى ، و أنا مقيم مع أخي و رغد في هذه الشقة... نسبح في بحر الدموع و الألم...

لا يقوى أحدنا حتى على النهوض من المقعد الذي يجلس عليه... أسوأ اللحظات.. كانت تلك اللحظات التي رأيت فيه رغد تلطم وجهها و تصرخ و تنوح و تصيح...

"لماذا كتب علي أن أيتّم مرتين؟؟ من بقي لي بعدهما؟؟ أريد أن ألحق بهما.. أمي .. أبي .. أنا مدللتما العزيزة.. كيف تفعلان هذا بي؟؟ كيف تتركاني يتيمة من جديد؟ و أنا في أمس الحاجة إليكما.. ليتني متّ منذ صغري.. ليتني احترقت مع المنزل و لم أعش هذا اليوم... وا حسرتاه"

كانت تجول في الشقة و تصرخ و تنادي كالمجنونة.. و تصفع رأسها بأي شيء تصادفه في طريقها..

و كنت أمشي خلفها، محاولاً تهدئتها و مواساتها ، بينما أنا الأكثر حاجة للمواساة..



أبعد حرمانني منهما لثمان سنين.. ثمان سنين كان من الممكن أن أقضيها تحت رعايتهما وحبهما..  
الذين مهما كبرت سأبقى بحاجة إليهما، أفقدتهما بهذا الشكل؟؟

حينما أتذكر يوم وداعهما...

آه يا أمي.. و يا أبي..

لو كنت أعرف أنه اللقاء الأخير.. ما كنت تركتكما تخرجان...

أتذكر وصايا أمي... (اعتني بشقيقتيك جيدا لحين عودتنا).. أماه.. هاأنا قد اعتنيت بهما و إن  
قصرت.. فأين عودتك؟؟

لو كنت أعلم أنه آخر العهد لي بكما... ما فارقتهما لحظة واحدة حتى أموت دونكما أو معكما..

لكنه قضاء الله.. و مشيئة الله..

يا رب.. فكما جاءك ملبيين طائفين حول بيتك المشرف، يا رب فأكرمهما بنعيم الجنة التي وعدت  
بها عبادك المؤمنين...

ولا حول و لا قوة إلا بالله...

شهر كامل قد انقضى و لم تتحسن أحوالنا النفسية شيئا يذكر..

و هل يمكن أن يندمل جرح كهذا؟؟

لقد كانا في حافلة مع مجموعة من الحجيج عائدين إلى البلد، بعدما نفذ صبر الجميع و دفعهم الحنين  
لأهلهم للإقدام على السفر برا... و كانت مجازفة أودت بحياتهم جميعا...

نحن.. و يا من كنا غارقين في بحر الحزن و المآسي.. و يا من تشردنا.. و تشتتنا.. و تفرقنا و انتكست

أحوالنا و تنافرت قلوبنا.. و كنا ننتظر عودة والدينا لعلّ الله يصلح الحال.. يأتينا نبأ مصرعهما

المفاجئ المفجع.. و ينسف ما بقي لنا من قوة أيما نسف...

السلطات اتصلت بأخي سامر و أبلغته الخبر المفجع ، ليذهب لاستلام الجثتين من إحدى المستشفيات ،  
التي نقل إليها جميع راكبي الحافلة ، و الذين قتلوا جميعا دون استثناء..

كنت أريد الذهب.. فقط لألقي نظرة.. فقط لأقبل أي شيء منهما.. رأسيهما.. جبينيهما ..  
أيديهما.. إقدامهما.. أو حتى ملابسهما.. أي شيء منهما و لهما.. لكنني بقيت رغما عني ملازما رغد في  
المستشفى.. متوقعا أن أفقدها هي الأخرى.. بين لحظة و أخرى..

كانت أفضح أيام حياتي..

كانت نائمة معظم الوقت ، و كلنا أفاقت سألتني:

"أين أبي؟؟ أين أمي؟؟ ألا أزال حية؟؟ متى سأموت؟؟"

و لا أجد شيئا أواسيها به غير آهات تنطلق من صدري ، و شلالات تتدفق من عيني.. ونيران تحرق  
جسدي و ترديني فتاتا.. رمادا.. غبارا..

عندما عاد أخي.. كنت أنظر إلى عينيه بتمعن.. أحدق بهما بجنون.. علّ صورة والديّ قد انطبعت  
عليهما.. علّني أرى طيف ما رآته..

أخذت أضمه ، و أشمه و أقبله.. فقد كان معهما.. و ربما علق به شيء منهما.. أي شيء... أي شيء...!

و حين سألني عن رغد.. قلت باكيا:

"ستموت! إنني أراها تموت بين يدي.. ماذا أستطيع أن أفعل؟ ليتني متّ قبل هذا"

و حين تحدث معها ، سألته بلهفة:

"أين هما؟؟ هل عادا معك؟؟ هل عادا للمنزل؟ أعدني إليهما.. فأنا أريد أن يشهدا عرسي.. ليس مثل

دانة!"

أي عرس يا رغد.. أي فرح.. أي لقاء تتحدثين عنه؟؟

لقد انتهى كل شيء.. و الحبيبان اللذان كانا يدللانك و يحيطاننا جميعا بالحب و الرعاية.. ذهبنا في رعاية من لا يحمى على مكروه قضى به سواه...

اللهم لا اعتراض على قضائك...

و إنا لله .. و إنا إليه راجعون....

اليوم، و كما قررت أخيرا، سأذهب إلى المزرعة.. فلا بد لي من مواصلة العمل، و الدراسة في ذلك المعهد.. و العودة إلى أهلي بعدما حصل.. أصبحت ضربا من المحال..

فمن يريد العودة إلى جحيم الذكريات...؟؟

سامر.. كان قد أهداني سيارة قبل أيام، جاءت منقذة لي في وقت الحاجة الحقيقية.. شكرته كثيرا.. و أذكر أنه يومها ابتسم ابتسامة واهية و قال:

"و لم كل هذا الشكر ! إنها مجرد سيارة.. بلا روح و لا مشاعر!"

استغربت من رده، إلا أنه غير الحديث مباشرة...

زرت المزرعة مرتين اثنتين فقط مذ قدمت إلى هنا.. فقد كان بقائي قرب رغد هو مركز اهتمامي و بؤرته... أما أحوال العائلة هناك كانت مستقرة..

أجمع أشيائي في حقيبة أضعها على السرير، باب الغرفة مفتوح، يطل منه أخي سامر... و يتحدث

...

"أحقا سترحل وليد؟؟"

استدير إليه و أقول:

"كما ترى"

مشيرا إلى الحقيبة.. و أضيف:

"سأعود إلى عملي، و دراستي"

يظل واقفا عند الباب، ثم يخطو خطوتين إلى الداخل و يقول بصوت خافت:

"أنا أيضا سأعود إلى عملي... انتهت إجازاتي الممددة"

التفت إليه و أنا أدرك ما يعني، بل هو أكثر ما يشغل تفكيري على الإطلاق، لكنني أقول:

"و إذا؟؟"

يقول:

"رغد"...

نعم، لا زلنا و منذ زمن.. نقف عند هذه النقطة.. رغد...

قال:

"لا يمكن تركها وحيدة..، خذها معك"

و فاجأني هذا الطلب، فهو آخر ما كنت أتوقع أن يطلبه أخي مني...

لقد كنت أنا من سيطرح الفكرة، و خشيت أن أعقد الأمور أكثر في وقت نحن فيه في غنى تام عن أي تشويش يزيدنا ألماً فوق ألم...

قلت:

" معي أنا؟؟ "

" نعم يا وليد.. فهناك حيث تقيم، لديك عائلة يمكن لرغد أن تظل تحت رعايتهم أثناء غيابك.. لكن هنا في هذه الشقة"...

لم يتم كلامه..

لقد كان هذا الموضوع هو شغلي الشاغل منذ قررت العودة للمزرعة، ألا أنني لم أكن أعرف الطريق لفتحه أمام سامر، خطيب رغد...

قلت:

" ما كنتَ فاعلاً لو أنكما تزوجتما إذن؟ "

قال:

" ربما .. أتركها في بيتنا مع والدي "

و الكلمة قرصت قلبينا... و عصرت شعورنا...

تابع:

" ألا أنه .. لا والدين لنا الآن .. ولا بيت "

" يكفي أرجوك "

قلت ذلك محاولا إبعاد غيمة الهم عني ، فقد اكتفيت من كل ذلك .. اكتفيت من الهموم التي حملتها على صدري مذ ارتكبت جريمتي و حتى هذا اليوم...

بددت أشباح الذكرى المؤلمة بعيدا عن رأسي.. و قلت:

"أتظنها ترحب بذلك؟؟"

ابتسم ابتسامة مائلة للسخرية و قال:

"جرب سؤالها بنفسك..."

و رمقني بنظرة حادة، ثم غادر الغرفة...

بعدها انتهيت من جمع أشيائي، ذهبتُ إلى غرفة رغد...

طوال الأيام الماضية لم تكن تغادرها .. حتى القليل من الطعام الذي كانت تعيش عليه، تتناوله على سريرها.. حالتها كانت سيئة جدا ولازمت المستشفى وقتا طويلا، و كنا نتناوب أنا و سامر على رعايتها...إلا أنها تحسّنت في الآونة الأخيرة.. و أحضرناها إلى هنا.. و الحمد لله

فلو أصابها شيء..هي الأخرى، فسوف أموت فورا لا محالة...لن يقوى قلبي على تحمّل صدمة أخرى.. و خصوصا للحبيبة رغد..لا قدر الله..

طرقت الباب و ذكرت اسمي، ثوان، ثم أذنت لي بالدخول...

دخلت، فرأيتها جالسة على السرير، كالعادة، إلا أنها ترسم شيئا ما في كراستها...

اقتربت لألقي نظرة على ما ترسم، كانت صورتين وهميتين لوالديّ رحمهما الله.. مرسومتين بالقلم الرصاصي، و بمعالم غامضة مبهمة...

"كيف أنت صغيرتي؟"

لم ترفع عينيها عن الرسمة، قالت:

"كما أنا"

و هو جواب يقتلني... إن كنتم لا تعلمون...

قلت:

"أنت بخير، الحمد لله.."

قالت:

"نعم ، بخير.. يتيمة مرتين، وحيدة و بلا أهل.. و لا من يتولى رعايتي .. عالة على ابن عمي " ...

مرقتني كلماتها هذه، قلت:

"عالة على خطيبك!؟"

قالت مصححة:

"ابن عمي.. فأنا لن أتزوجه.. ما لم يحضر والداي و يباركا زواجنا" ..

كادت الدمعة تقفز من عيني... اقتربت منها أكثر.. و قلت محاولا المواساة:

"حتى لو لم تتزوجه، يبقى ابن عمك و مسؤولا عنك.. فلا تأتي بذكر كلمة عالة هذه مرة أخرى "

الآن، قامت بالخربشة على الصورتين بخطوط عشوائية حادة، ثم .. نزعت الورقة من الكراسية، ثم  
مرقتها ..

أخيرا نظرت إلي:

"لم لا ترسلاني إلى دار لرعاية الأيتام؟"

"رغد بالله عليك.. لم تقولين ذلك؟؟"

"نعم فهو المكان الأنسب لي، سامر يريد العودة للعمل و أنا أعيقه"

قلت بألم:

"و أنا؟"

رمقتني بنظرة مبهمة ، ثم قالت:

"و أنت ستعود إلى عملك، و فتاتك..، و دانة تزوجت و استقرت مع زوجها في الخارج..، بلا بيت و لا والدين .. و لا أهل.. إما أن ترسلاني لبيت خالتي، أو لدار الأيتام"

اغتظت، و قلت بعصبية:

"كفّي عن ذلك يا رغد، بالله عليك... أتظنين أنني سأتحلى عنك بهذه السهولة!"

رغد حدقت بي، متشككة مرتابة...

قلت:

"أبدا يا رغد ! لا تظني .. أنه بوفاة والدي رحمه الله.. لم يعد لك ولي مسؤول.. إنك من الآن فصاعدا، لا .. بل من يوم وفاته فصاعدا... بل و من يوم وفاة والديك الحقيقيين فصاعدا.. تحت مسؤوليتي أنا"

لا تزال تحملق بي بريبة..

قلت:

"و من هذه اللحظة، اعتبريني أمك و أباك و أخاك و كل شيء" ..



شيء من التصديق ظهر على وجهها ..أرادت التحدث إلا أنها منعت نفسها .. قلت مؤكداً:

"نعم صغيرتي، و لتكوني واثقة مائة بالمائة.. من أنك ستبقيين ملازمة لي كعيني هاتين.. و لسوف أفقأهما قبل أن أبعدك عني مترا واحدا" !

الآن رغد راحت تنظر إلى المسافة التي تفصل بيننا، بضع خطوات تتجاوز المتر.. ثم تنظر إلي...

نظرت أنا إلى حيث نظرت، ثم خطوات خطوتين للأمام، و قلت:

"متر ! أليس كذلك؟؟"

هنا .. انطلقت ضحكة غير متوقعة من حنجرة رغد.. ضحكة صغيرة كصغر حجمها و حجم حنجرتها.. و قصيرة كقصر المسافة التي بيننا هذه اللحظة... و مبهجة كبهجة العيد!

لم أستطع منع نفسي من الابتسام.. و هل هناك أجمل من ابتسامه أو ضحكة عفوية تشق طريقها بين الدموع و الهموم؟؟

لما رأيت منها هذا التجاوب، فرحت كثيرا.. فضحكة رغد ليست بالأمر السهل..إنها أعجوبة حصلت في زمن المرض و المآسي...

قلت:

"بما أن سامر سيبدأ العمل و سينشغل ثمان ساعات من النهار خارج الشقة، و أنا لا بد لي من العودة لعملي، فأنا سأخذك معي.. فهل تقبلين؟؟"

قالت:

"و سامر؟ يبقى وحيدا؟"

قلت:

"سنأتي أسبوعيا لزيارته أو يأتينا هو.. ربما تتغير ظروفنا فيما بعد.. و نستقر جميعا في مكان واحد..  
ما رأيك؟"

نظرت إلى الأرض، ثم قالت:

"حسنا"

أثلج صدري، ارتخت عضلاتي و ارتاح قلبي من توتره.. قلت:

"إذن اجمعي أشياءك الآن، سنذهب عصرا"

وقفت رغد مباشرة، و بدأت بجمع قصاصات الورقة التي مزقتها قبل قليل..

أخذت تنظر إليها، و شردت...

قلت مداعبا:

"اطمئني يا رغد.. سترين.. أي نوع من الآباء و الأمهات سأكون!"

ابتسمت رغد، و ألقنت القصاصات في سلة المهملات...

~ ~ ~ ~ ~

لم يكن لدي الكثير من الأشياء، لذا لم احتج أكثر من حقيبة صغيرة جمعت حاجياتي فيها، و وضعتها  
قرب الباب..

وليد ذهب إلى الحلاق، و حينما يعود .. سنغادر..

سوف لن أتحدث عن فاجعة موت والديّ لأنني لا أريد لدموعي و دموعكم أن تنهمر.. فقد اكتفيت.. تشبعت للحد الذي لم تعد فيه الدموع تحمل أي معنى...

لقد كنت أنا من أصرّ عليهما للحضور بأية وسيلة.. فقد كنت في حالة سيئة كما تعلمون.. وربما هذا ما دفعهما لسلك الطريق البري الخطر..

أنا الآن فتاة يتيمة مرتين.. بلا ولي و لا أهل، غير خطيب لن أتزوجه يوما.. و ابن عم لن يتزوجني يوما.. لكنه لن يتخلى عني..

أجهل طبيعة الحياة التي سأعيشها من الآن فصاعدا.. إلا أنني لا أملك من الأمر شيئاً

و إذا ما كتبت لي العودة إلى المدينة الصناعية ذات يوم، فلسوف استقر في بيت خالتي..

حتى يومنا هذا، و الحظر الشديد مستمر على المدينة الصناعية و مجموعة من المدن التي تعرضت أو لا تزال تتعرض للقصف و التدمير من قبل العدو...

أما هذه المدنية، و كذلك المدينة الزراعية، فهما بعيدتان عن دائرة الحرب...

ارتديت عباءتي، مستعدة للخروج.. و لمحت سامر يقبل نحوي..

وقفت أنظر إليه و هو ينظر إلي.. و كانت النظرات أبلغ من الكلمات..

قال:

"سأفتدك"

قلت:

"و أنا كذلك.. سنأتي لزيارتك كل أسبوع"

ابتسم ابتسامة واهنة و من ثم قال:

"هل ستكونين على ما يرام هناك؟؟"

لم أرد.. فأنا لا أعلم ما الذي ينتظرنني..

"أينما كنت يا رغد.. أتمنى لك السعادة و الراحة"

نظرت إليه نظرة امتنان..

أمسك يدي بحنان و قال:

"سأكون هنا.. متى ما احتجتني.. دائما في انتظارك و رهن إشارتك"

لم أملك إلا أن طوّفته بيدي الأخرى.. و قلت:

"يا عزيزي..."

و تعانقنا عنقا هادئا صامتا.. طويلا..

بعد مدّة ، عاد وليد..

ودّعنا سامر.. و ركبنا السيارة، وليد في المقدمة و أنا خلفه.. وانطلقنا...

لكي يقطع الوقت و يقتل الملل، أدار المذيع.. فأخذت أصغي إلى كل شيء و أي شيء.. كما كنت أراقب الطريق... و رغم الصمت الذي كان رفيق لسانينا، إلا أنني شعرت به يكلمني...

أكاد أسمع صوته، و أحس بأنفاسه.. و الحرارة المنبعثة من جسده الضخم... كان هو مركزا على الطريق.. بينما أنا أغلب الأحيان مركزة عليه هو...

الآن، و بعد كل الأحداث التي مررت بها.. أعترف بأنني لا أزال أحبه..

وصلنا إلى نقطة تفتيش.. ما أن لمحتها حتى أصبت بالهلع.. فبعد الذي عشته تلك الفترة.. صرت أرتجف خوفا من مثل هذه الأمور...

الشرطي طلب من وليد البطاقة و رخصة القيادة..

ثم سأله عني..

"ابنة عمي"

"أين بطاقتها؟"

"إنها لا تحمل بطاقة خاصة، فهي صغيرة"

"إذن بطاقة والدها"

"والدها متوف، ووالدي الكافل كذلك، توفي مؤخرا.. إلا أنها مضافة إلى بطاقة شقيقي، خطيبها حاليا"

قال الشرطي متشككا:

"هل هذا صحيح؟؟"

قال وليد:

"طبعا!"

الشرطي التفت إلي أنا و قال:

"هل هذا ابن عمك؟"

قلت بوجل:

"أجل"

"أهو خطيبك؟"

"لا ! شقيق خطيبي" ..

"و أين خطيبك أو ولي أمرك؟"

"لم يأتِ معنا، لكنه على علم بسفرنا"

"صحيح؟"

وليد قال بعصبية وضيق:

"و هل تظنني اختطفتها مثلا ؟ برّبك إنها مثل ابنتي"

ابتعد الشرطي مترددا ثم سمح لنا بالعبور...

أنا كنت أنظر إلى وليد عبر المرآة.. مندهشة و مستنكرة جملته الأخيرة!

ابنته !؟ أنا مثل ابنته؟؟

فارق السن بيننا لا يتجاوز التسع سنين!

وليد أبي !

بابا وليد!

و شعرتُ برغبة مفاجئة في الضحك!

لكن هذه الرغبة تحولّت إلى حرج شديد جدا.. عندما أصدرت معدتي نداء الجوع!  
مباشرة نظر وليد عبر المرآة فالتقت أنظارنا.. و أبعدت عيني بسرعة في خجل شديد...

تكلم وليد قائلاً:

"لم تأكلي شيئاً منذ الصباح.. أليس كذلك؟"

تحرّجت من الرد عليه.. و علتني حمرة الخجل.. لم أكن في الآونة الأخيرة أتناول أكثر من وجبة واحدة  
في اليوم.. و كنت أجبر نفسي على أكلها فقط لأبقى حية..

أتذكر الآن.. الطبخات اللذيذة التي كانت أمي، و دانة تعدّها..  
آه أماه..

إنني مشتاقة لأي شيء من يديك.. حتى و لو كان السمك المشوي الذي تعدّينه، و اهرب أنا من المائدة  
كرها له...

كنت سأدخل متاهة الذكرى المؤلمة، لكن صوت وليد أغلق أبواب المتاهة حين سمعته يقول:

"سأخذك إلى مطعم جيد في المدينة الشمالية الزراعية.. سيعجبك طعامه"

المشوار كان طويلاً.. و الهدوء جعل النعاس يطغى علي.. فمّنت لبعض الوقت..

صحوت من النوم على صوت وليد يهمس باسمي...

"رغد.. رغد صغيرتي"

فتحت عيني.. فوجدته ملتفتاً إلى الوراء يناديني.. و تلفت من حولي فرأيت السيارة واقفة..

قال وليد:

"وصلنا"

قلت:

"المزرعة ؟"

و أنا أطلع ما حولي.. باستغراب..

قال:

"المطعم"

قلت:

"ماذا ؟"

"المطعم صغيرتي.. نتناول عشاءنا ثم نذهب إلى المزرعة"

و تذكرت أنني كنت جائعة ! كانت الوقت لا يزال باكرا..

وليد فتح بابه و خرج من السيارة، ثم فتح الباب لي..

هبطت و صافحتني أنسام الهواء الباردة.. فضممت ذراعيّ إلى بعضهما البعض ..

"أشعرين بالبرد؟"

"قليلا"

"المكان دافئ في الداخل.. هيا بنا"

سرنا جنبا إلى جنب، أنا بقامتي الصغيرة ورأسي المنحني للأسفل، و هو بجسده العملاق.. و رأسه العالي فوق هامته الطويلة ! ثنائي عجيب متناقض ! دخلنا المطعم .. كان تصميم مدخله جميل.. و الكبائن متباعدة و متقنة الهندسة ..



اختار وليد كبينة بعيدة، و جلسنا متقابلين، لكن ليس وجها لوجه!

شغلنا نفسينا بتقليب صفحات الكتيب الصغير، الحاوي لقوائم الأطعمة و المشروبات ...

قال وليد:

"ماذا تودين؟"

في هذه اللحظة، و أنا في توتري الشديد هذا، و الإحساس بقرب وليد يشويني ..قلت:

"دورة المياه"

"عفوا !؟"

تركت الكتيب من يدي، قام وليد و قال:

"تفضلي .."

كانت دورة المياه النسائية في الطرف الآخر..على مقربة من الباب توقّف وليد.. و تركني أمشي وحدي..

التفت إليه ..قال:

"سأنتظر هنا"

لم أشعر بالطمأنينة.. تراجععت .. قلت:

"لنعد"

قال:

"هيا رعد ! سأبقى واقفا في مكاني" ..

"لا" ..

وليد نظر إلى ما حولنا ثم قال:

"حسنا، سأقترب أكثر"

و مشى معي حتى بلغنا الباب...

نظرت إليه بشيء من التردد، إلا أنه قال:

"لا تتأخري رجاءً"

و أنا أفتح الباب قلت:

"إياك أن تبعد" !

قال مطمئنا:

"لا تقلقي" ..

و عندما خرجت وجدته واقفا بالضبط عند نفس النقطة !

عدنا إلى تلك الكابينة و طلب لي وليد وجبة كبيرة، مليئة بالبطاطا المقلية!

لا أعرف أي شهية تلك التي تفجرت في جوفي، و التهمتها تقريبا كاملة! ..

و لو كان طلب طبقا آخر بعد ، لربما التهمته أيضا عن آخره.. يكفي أن يكون وليد قريبا مني ، حتى

أشعر برغبة في التهام الدنيا كلها...

بعد العشاء.. قام وليد بجولة في المنطقة، بين المزارع.. و أراني بعض معالم المدينة، و كذلك المعهد

الذي يدرس فيه ، و السوق الذي تباع فيه الخضراوات...

منذ زمن.. و أنا حبيسة الشقة و المستشفى ، لا أرى الشمس و لا أتنفس الهواء النقي.. لذلك فإن الجولة السريعة هذه روحت عن نفسي كثيرا...

كان كلما تحدّث عن أو أشار إلى شيء ، أصغيت له باهتمام.. ودققت بتمعن ، و كأنه درس علي حفظه قبل الامتحان!

قبيل وصولنا إلى المزرعة ، سألتني:

"أتودين بعض البوضا..؟"

و كان ينظر إلي عبر المرآة...

قلت منفعلة مباشرة:

"ماذا ؟! البوضا مجددا ! كلا أرجوك ! أنا يتيمة بلا مأوى الآن ؟؟!"

وليد ، حدق بي برهة ، ثم انفجر ضاحكا!

أنا كذلك ، لم أقو على كبت الضحكة في صدري ، فأطلقتها بعفوية ...

نعم ! فلن تغريني البوضا مرة أخرى و لن أنخدع بها!

عندما وصلنا إلى المزرعة كانت الساعة تقريبا التاسعة مساءا...

مباشرة توجهنا إلى المنزل ، و قرع وليد الجرس ، ففتح العجوز الباب...

تهلل وجهه لدى رؤية وليد و صافحه و عانقه ، ثم رحب بي ترحيبا كريما...

قال وليد:

"ابنة عمي .. تحت وصايتي الآن.. و إن لم يكن في ذلك أي إزعاج.. فهي ستبقى معي هنا حتى نجد حلا آخر" ..

شعرت أنا بالحرَج ، لكن ترحيب العجوز خفف علي ذلك ، قال:

"عظم الله أجرك يا بنيتي ، على الرحب و السعة ، و إن لم تتسع المزرعة لكما نحملكما على رؤوسنا" ..

ابتسمت للعجوز و شكرته ..

قال العجوز مخاطبا وليد ، الذي كان يجول ببصره فيما حوله:

"في المطبخ.. تفضلا"

لم يتغيّر في ذلك المنزل أي شيء... سرت تابعة لوليد الذي تقدّم نحو إحدى الغرف ، و التي يبدو أنها المطبخ... و العجوز خلفنا

هناك.. وجدنا أروى و أمها تجلسان على الأرض حول سفرة العشاء... و بادرتا بالنهوض بمجرد رؤيتنا...

و حانت اللحظة التي كنت أخشى حينها... ما أن وقع نظري على أروى... حتى شعرت بشيء ما يتفجر في صدري... شيء حارق موجه..

كانت تجلس ببساطة على الأرض ، مرتدية بنظالا ضيقا و بلوزة قصيرة الكمين واسعة الجيب ، و شعرها الذهبي الأملس الطويل مربوط بخصلة منه ، و ينساب على كتفيها و ظهرها كذيل الفرس!

رحبت الاثنتان بنا ، ثم توجهت أروى نحو المغسل ، و غسلت يدها و نشفتها ، ثم أقبلت نحو وليد و

مدّت يدها لتصافحه!

وليد ببساطة مدّ يده و صافحها!

"حمدا لله على سلامتكما ! كيف حالكما؟"

قالت ذلك و هي تشد على يد وليد، و وليد يبتسم و يطمئننها، و أنا أسلط أنظاري على يديهما ، ثم عينيها ، ثم أعود إلى يديهما، ثم أعض على شفتي السفلى بغيظ...

إلى متى ستظل هذه ممسكة بيد ابن عمّي؟؟ هيا ابتعدي!

"مرحبا بك يا رغد، عظم الله أجرك"

رفعت بصري عن يديهما و نظرت إليها ببغض، و مددت يدي لأصافحها.. أعني لأجبرها على ترك يد وليد...

"أجرنا و أجركم، غفر الله لنا و لكم"

قالت:

"كيف صحتك الآن؟"

"بخير و لله الحمد"

عادت تنظر إلى وليد ، و تخاطبه:

"هل كانت رحلتكما متعبة؟"

قال:

"لا ، كانت ممتعة"

نظرت إلى وليد فرأيته ينظر إلي و يبتسم...

قالت أروى:

"تفضلاً.. شاركنا العشاء"

و كررت أمها الجملة ذاتها

قال وليد:

"بالهناء و العافية، تناولنا عشاءنا في أحد المطاعم.. أتموا أنتم طعامكم و نحن سنجلس في المجلس"

و على هذا ذهبنا إلى المجلس، و بقي الثلاثة حول السفرة.. و يبدو أن وليد صار يتحرك في المنزل بحرية كيفما يشاء...

جلس على أحد المقعدين الكبيرين المتقابلين الموجودين في المجلس، فجلست أنا إلى جواره.. و سكنا عن أي كلام أو حركة لبضع دقائق... ثم قال وليد:

"رغد"

نظرت إليه.. فرأيت ملامح الجدية و القلق على وجهه... قال:

"أنا آسف و لكنني في الوقت الحالي لا أستطيع توفير سكن آخر.. كما و أن الظروف لن تمكننا من العيش في شقة مستقلة، لأن عملي هنا و أقضي كل ساعات النهار هنا" ..

لم أعلق، فقال:

"هل هذا يروق لك؟"

قلت:

"أخشى أن يسبب وجودي الضيق لهم" ..

قال:

"لا ، إنهم أناس طيبون جدا.. وكرماء لأقصى حد..، لن يزعجهم وجودك، أريد أن أعرف .. هل يزعجك أنت ذلك؟؟"

قلت:

"سأبقى حيث ما تبقى أنت..، أأست المسؤول عني الآن؟"

بدا الضيق جليا على وليد، مال بجدهه للأمام و قال:

"رغد يا صغيرتي.. الأمر ليس متروكا لظروفي بل هو حسب رغبتك أنت.. إذا رغبت بأي شيء آخر فأبلغيني و سأنفذه حتما"

قلت:

"حقا وليد؟؟"

قال:

"طبعاً، بدون شك.. تعرفين أنني من أجلك أفعل أي شيء" ..

شعرت بالصدق ينبع من عينيه.. و آه من عينيه..

لو تعرف يا وليد.. أنا لا أريد من هذه الدنيا غيرك أنت.. لقد فقدت كل شيء.. والداي ماتا. و تيتمت مرتين.. و أختي رحلت.. و سامر تركته جريحا متألماً.. و خالتي و عائلتها ظلوا بعيدين عني.. لم يبق لي إلا أنت..

أنت الدنيا في عيني..

أنا أريد أن أبقى معك، قريبة منك و تحت رعايتك و حبك ما حبيت.. أينما كنت.. هنا أو في أي مكان في المجرة.. فقط أبقني قريبك.. و أشعري باهتمامك و حبك..

"وليد" ..

همست بصوت أجش... وليد أجابني مسرعا:

"نعم صغيرتي؟"

قلت:

"أنا..أنا"...

و لم أتم، إذ أن أروى أقبلت الآن، تحمل أقداح الشاي...

"تفضلا" ..

لم تكن لدي أدنى رغبة في احتساء الشاي لكنني فعلت من باب المجاملة..

أروى جلست على المقعد المجاور، قرب وليد...

تبادلا حديثا قصيرا، ثم قالت مخاطبة إياي:

"يمكنك استخدام غرفتي، و أنا سأنام مع أمي لحين ترتيب غرفة خاصة بك"

نظرت إلى وليد و قلت:

"و أنت؟"

قال:



"في غرفتي ذاتها"

هزرت رأسي اعتراضا..

وليد قال:

"لا تخشي شيئا يا رعد.. المكان آمن هنا و موثوق كبيتنا تماما"

"لا ! لن أبقى وحدي هنا"

قال:

"يمكن لأروى البقاء معك في الغرفة" ..

قلت:

"إذن خذني لمكان آخر"

تبادل وليد و أروى النظرات، ثم نظر إلى المقعد الذي نجلس عليه، ثم قال:

"حسنا.. سأبات أنا على هذا.. داخل المنزل"

لم تعجبني الفكرة أيضا.. فنظرت إليه باعتراض و عدم اقتناع ..

قال:

"هذه الليلة على الأقل.. ثم نجد حلا آخر"

فاستسلمت للأمر...

ذهبت أروى بعد ذلك لإعداد فراش لي في غرفتها... عندها قلت لوليد:

"وليد.. لا تبتعد عني أرجوك"

وليد نظر إلي بعطف و قال:

"لا تخشي شيئا صغيرتي.. أظنن أنه، لو كان مكانا غير آمن، كنت تركتك تباتين فيه؟"

قلت:

"لكني أخاف.. أخاف كثيرا.. المكان غريب و الناس كذلك.. لا تبتعد عني"

كنت أقول ذلك و أنا متوترة.. و لما لاحظ وليد حركة أصابعي المضطربة ..

قال:

"اطمئني رعد.. و لسوف أبقى الباب مفتوحا"

ذهبنا أنا و وليد و أروى للتعرف على أرجاء المنزل و انتهينا إلى غرفة أروى..

غرفة بسيطة كسائر المنزل، لا تحوي شيئا مميزا...

كان الفراش دافئا.. و جسدي متعبا لكن القلق لم يسمح لي بالنوم..

أروى نامت بسرعة.. أما أنا فتلاعبت بي الهواجس حتى بدأت أوصالي ترتعد خوفا..

ارتديت عباةتي.. و خرجت من الغرفة بحذر.. شققت طريقي بهدوء تام نحو المجلس.. كان الباب

شبه مغلق، و وليد كان نائما على المقعد الكبير.. و بصيص خفيف من الضوء يتسلل إلى الغرفة عبر

فتحة الباب.. و عبرها تسللت أنا أيضا إلى الداخل... و أوصدت الباب من بعدي!

لأنه طويل جدا، فإن قدميه الكبيرتين كانتا تبرزان من فوق ذراع المقعد.. أما ذراعه فقد كانتا مرفوعتين

فوق رأسه، إذ أن مساحة المقعد لا تكفي لضمهما على جانبيه!

مسكين وليد! لا بد أن جسده غير مرتاح في نومته هذه البتة!

و مع ذلك كان يغط في نوم عميق! ...

جلست أنا على المقعد الكبير الآخر... لبضع دقائق.. شاعرة بالأمان و الطمأنينة، و الدفء أيضا ..  
فبقرب وليد يطيب لقلبي البقاء و لعضلاتي الاسترخاء و لعيني الإغماض..  
استلقيت على المقعد.. و سمحت للنوم بالسيطرة علي.. بكل سهولة!

~ ~ ~ ~ ~

وضعت المنبه على المنضدة قرب المقعد، و نمت بعد أرق، لأنني كنت قلقا على رغد.. أفكر.. هل  
ستقبل الحياة هنا..؟! هل ستألف الأوضاع و ترضى بها؟ هل سيسرّها العيش في منزل متواضع، و حال  
متوسطة، و هي ابنة العز و الدلال و الغنى..؟؟  
إن عليّ أن أجد أكثر من أجل تحسين وضعي المالي و العام.. فرغد لم تعد حياة الفقر و الحاجة... و  
لا تستحق حياة كهذه...

استيقظت بسرعة على رنين المنبه المزعج...

كنت قد ضبطته لإيقاظي وقت الفجر لأصلي...

حينما جلست، لمحت شيئاً يتحرك على المقعد الكبير الآخر و الموازي للمقعد الذي نمت عليه..! و  
ذلك الشيء جلس أيضا

دققت النظر فيه..أظنه خيال رغد! أو ربما هوسي بها جعلني أتهياً خيالها في كل مكان؟! في اليقظة  
و المنام!

قلت متسائلا:

"رغد؟"

ذلك الشيء تكلم مصدرا صوتا ناعسا ، يشبه صوت رغد!

"نعم"

قلت:

"رغد صغيرتي ! أهذه أنت؟؟"

"نعم، أريد أن أنام"

و استلقت على المقعد مجددا!

نهضت أنا عن مقعدي و وقفت أمدد أطرافي.. شاعرا بالإعياء ... إن هذا المقعد صغير و لا يتسع لجسد

رجل مثلي!

تقدمت نحوها

"رغد ! ما الذي تفعلينه هنا؟"

قالت وهي شبه نائمة:

"كنت خائفة"

"مم؟"

"من الأشباح"

ماذا !؟ أهى نائمة أم تهذي؟؟

"أي أشباح؟؟"

جلست رعد فجأة و نظرت من حولها يمينا و شمالا... و هي تقول:

"أشباح؟؟ أين ؟ أين؟"

و يبدو أنها استفاقت أخيرا .. ثم نظرت إلي .. ثم قالت:

"وليد" ..

قلت:

"نعم" ..

قالت:

"نحن في منزل أروى أليس كذلك؟"

"نعم صغيرتي، هل كنت تحلمين؟"

أخذت تفرك عينيها ...

قلت:

"لم أنت هنا؟"

قالت:

"لم أشعر بالطمأنينة هناك" ..

"لم صغيرتي؟"

قالت و هي تنظر إلي برجاء:

"أريد أن أبقى معك .. المكان غريب علي .."

"ستعتادينه .. لا تقلقي"

"لكن يا وليد ..."

هنا طرق الباب و سمعت صوت العم يناديني ...

"وليد .. انهض بني .. الصلاة"

و كاد يفتح الباب، إلا أنه كان موصدا ! إنها رعد!

صغيرتي المجنونة!

أجبت:

"نعم عمي أنا مستيقظ"

قال:

"هيا إذن"

قالت رعد:

"إلى أين ؟"

"إلى المسجد"

قالت معترضة:

"و تتركني وحدي؟؟ سآتي معك"

كنت أعرف أنها ستقول ذلك!

ذهبت إلى الباب مسرعا وفتحته فرأيت العم إلياس يسير نحو المخرج... و كنا قد اعتدنا الذهاب للصلاة في المسجد المجاور سيرا على الأقدام...

قلت:

"عمي .. اذهب أنت سأصلي هنا"

تعجب العم و قال:

"لم يا ولدي؟"

"أخبرك لا حقا.. تقبل الله منكم"

جعلت الباب شبه مغلق

و عدت إلى رغد التي بادرتني بالسؤال:

"الحمام قرب الغرفة أليس كذلك؟"

"بلى"

و همّت بالخروج قاصدة إياه...

"انتظري رغد"

نظرت إلي باستغراب...

قلت:

"حتى يخرج العم" ...

و عدت أنظر من فتحة الباب حتى إذا ما غادر العم خارجا، فتحتته و استدرت إلى رغد قائلا:

"تفضلي" ...

رغد سارت ببطء و هي تنظر إلى الأرض بخجل.. تنحييت أنا جانبا .. و لما صارت قربي .. رفعت رأسها إلي و قالت:

"أنا آسفة..."

توترت، و لم يتجرأ لساني على النطق بشيء... فأخفيت نظري تحت الأرض.. منتظرا منها الخروج...

إلا أنها بقيت واقفة قربي هكذا لوهلة... و أنا شديد الحرج، ثم قالت:

"لكنك.. أصبحت أبي الآن ! أليس كذلك" !

رفعت نظري إليها بسرعة مندهشا، و ارتفع حاجبائي تعجبا !

كانت تنظر إلي، و الآن.. ابتسامة مرسومة على شفثيها أستطيع أن أرى عذوبتها رغم الظلام...

قالت:

"بابا وليد" !

و أسرع خارجة من الغرفة ... تاركة إياي في ذهول و جنون!

إذا كانت .. هذه الفتاة.. اليتيمة المدللة.. الحبيبة الغالية.. ستعيش معي و تحت رعايتي أنا في بيت واحد.. فإنني و بدون أدنى شك.. سأفقد عقلي و أتحول خلال أيام، بل خلال ساعات.. إلى مجنون لم يخلق الله مثل جنونه جنونا ...

و أنتم الشاهدون!



## الحلقة الواحدة والثلاثون

\*\*\*\*\*

رغم أنني كنت نعسى في البداية، إلا أن النوم خاصمني ذلك الصباح..  
وليد جلس في الصالة يقرأ القرآن، و جلست أنا على مقربة أنصت إليه..  
إلى أن عاد الرجل العجوز بعد طلوع الشمس.. فختم وليد قراءته و راح يتحدّث معه..

كانا يتحدّثان بشأن المزرعة و ما سيفعلانه هذا اليوم.. و كنت أستمع إليهما ببلاهة ! فأنا لا أفقه كثيرا  
مما يذكرون!

وليد التفت إليّ الآن و قال:

"سوف أخرج للمزرعة الآن، أتأتين معي؟؟"

وقفت من فوري و تقدّمت ناحيته.. قال متما عبارته السابقة ببطء:

"أم.. تفضلين العودة للنوم؟"

"سأتي معك" ..

و خرجت معه إلى المزرعة..

الهواء كان باردا و كنت أرثدي العباءة فوق ملابس النوم، لذا شعرت بالبرودة تخترق عظامي

قال وليد:

"سنبدأ بجولة تفقدية"

حذائي كان عالي الكعب و لا يصلح للسير على الرمال، لذلك طلب مني وليد ارتداء أحد الأحذية المطاطية الموجودة عند مدخل المنزل...

سرنا في اتجاه شروق الشمس.. و كم كان منظرا جميلا لم أر مثله منذ زمن...  
الرياح كانت في مواجهتنا، تغزو أنفي رغما عني ، و تزيد من شعوري بالبرد..

أخذت أفرك يدي بتكرار.. أما وليد فكان يسير بثبات في وجه الريح ، و لا يبدو على جسمه أنه يتأثر بها!

كالجبل تماما!

قال لي:

"الجو بارد.. أتفضلين العودة للمنزل؟"

"ماذا عنك؟"

قال:

"سأبدأ حرث منطقة معينة هنا، سنقوم بزرع بذور حولية جديدة فيها" ..

و أشار إلى المنطقة المقصودة...

قلت:

"أنت تحرثها؟؟"

و يبدو أن سؤالي هذا ضايقه أو أخرجته.. نظر إلي برهة صامتا ثم قال و هو يحدّق في تلك المنطقة:

"نعم أنا يا رعد.. فهذا هو عملي هنا.. و من هذا العمل أعيش و أعيّل نفسي.. و صغيرتي" ..

ثم التفت إلي و قال:

"فهل يصيبك هذا بخيبة أمل أو .. اشمئزاز؟"

قلت بسرعة:

"لا ! لم أقصد ذلك" ..

"إذن؟"

"تعرف يا وليد.. فخلال التسع سنين الماضية كنت أعتقد أنك" ...

و بترت جملتي .. فقد أحسست أن هذا يؤلمه .. و إذا تألم وليد قلبي فأنا أموت ..

قلت:

"لكن ، ألا يمكنك مواصلة الدراسة الآن؟؟"

قال:

"إنني أدرس الآن في معهد محلي ، و إن تخرجت منه بشهادة معتبرة فستكون لدي فرص أفضل للعمل ، لكن إلى ذلك الوقت سأظل مزارعا"

لم يعجبني ذلك ، فأنا لا أريد لوليد أن يغمر يديه في التراب .. ، بل أن يعلو السحاب ، لكنني لم أشأ إخراجهم ، فقلت:

"أتمنى لك التوفيق"

ابتسم وليد ابتسامة رضا ، و تابعنا الطريق ...

بقيت أراقبه و هو يعمل، تارة شاعره بإعجاب به ، و تارة شاعرة بشفقة عليه ، و تارة بغضب من الأقدار التي أوصلت ابن عمي إلى هذا المستوى..

ليتني أستطيع منحه ثمان سنين من عمري، تعويضا عما خسرت.. بل ليتني أهديه عمري كله.. و كل ما أملك..

الحماس الذي تملكني أثناء مراقبة وليد ، و الحرارة التي تنبعث من جسده و هو يعمل بجهد، و من صدره و هو يتنفس بعمق، و من عينيه و هو ينظر إلي ، كل هذه تجمعت معا متحدة مع أشعة الشمس التي ترتفع في السماء، و أكسبتني دفئا و حيوية لا نظير لهما...!

بعد فترة ، أقبلت أروى..

و الآن، لست فقط أشعر بالدفء ، بل و بالاشتعال ، و الاحتراق أيضا...

"صباح الخير رغد ! نهضت باكراً!"

باكراً جداً ! كم تبدين حيوية و نشطة بعد نوم هانئ! أنا لم أنم كما ينبغي..

قلت:

"صباح الخير"

وليد كان موليا ظهره إلينا هذه اللحظة ، رفعت أروى صوتها ، و كذلك يدها و هتفت و هي تلوح:

"صباح الخير يا وليد"

وليد استدار و نظر إليها و رد التحية...

هتفت:

"تعال ، فقد أعددتنا الفطور"

قال:

"حسنا ، أمهليني دقيقتين اثنتين"

و أتم ما كان يقوم به...

أروى التفت إلي و قالت:

"أعددت فطورا مميزا من أجلك ! آمل أن يعجبك طهو يدي ! الجميع يصفني بالطاهية الماهرة ، و وليد يعشق أطباقي " !

وليد ماذا ؟

يعشق أطباقي؟؟ يا للمغرورة !

قلت:

"وليد يعشق أطباق والدتي فهي لا تقارن بشيء" !

أروى قالت:

"رحمها الله"

و تذكرت أنه لم يعد لدي والدة ! و لم يعد بإمكان وليد تذوق تلك الطبخات اللذيذة التي يلتهمها عن آخرها ...

ضاق صدري لهذه الذكرى.. و أحنيت رأسي إلى الأسفل بحزن..

أورى لاحظت ذلك فقالت:

"آسفة" ..

لم أتجاوب معها... ، قالت:

"كم كنت متشوقة للتعرف إليها فقد حدّثني وليد عنها كثيرا.. و كان ينتظر عودتها بفرغ الصبر" ..

رفعت نظري الآن إليها، ليس الحزن هو البادي على وجهي بل الغيظ!

لماذا تتحدّث عن وليد أمامي؟؟ و لماذا يتحدّث إليها وليد عن أمي؟ أو عن أي شيء آخر في الدنيا؟؟  
هذه الدخيلة لا تمت إلينا بصلة و لا أريد لمواضيعنا أن تذكر على مسمع منها...

وليد كان يمشي مقبلا نحونا.. و حين وصل ، شبكت أروى ذراعها اليمنى بذراعه اليسرى و هي تبتسم بسرور...

وقفت أنا أنظر إليهما بغيظ و تحذير ! ما لم تفرقا ذراعيكما عن بعض فسأقطعهما !

لم يفهما تحذيري، بل سارا جنبا إلى جنب على هذا الوضع.. سرت أنا إلى الجانب الأيمن من وليد...  
و سرنا و نحن ندوس على ظلالنا.. و التي يظهر فيها جليا تشابك ذراعيهما..

حسنا ! من تظن هذه نفسها؟ وليد ابن عمّي أنا و ولي أمري أنا!

و بدون تفكير، رفعت أنا ذراعي و أمسكت بذراع وليد اليمنى بنفس الطريقة ، و بكل تحدي!

وليد نظر إلي بسرعة و بنفس السرعة أضع أنظاره في الرمال التي نسير فوقها... و بدا وجهه محمرا!  
لكنه لم يسحب ذراعه مني..

تابعنا السير و أنا أراقب الظل أمامي... و لم أترك يده حتّى فعلت هي ذلك! ...

صحيح أن الفطور كان شهيا إلا أنني أصبت بعسر هضم من مشاهدة العلاقة الحميمة بين وليد و  
أروى.. كانا يجلسان متقابلين، و تجلس أم أروى على رأس المائدة، و أنا إلى جانب وليد، أما العجوز  
فلم يكن معنا بطبيعة الحال...

لا أريد منهما أن يجلسا متقابلين، ولا متجاورين، ولا في نفس المنزل، ولا حتى على نفس الكوكب ..

فيما بعد، عاد وليد للعمل في المزرعة و أروى تشاركه ، و أنا أتفرّج عليهما بغضب.. و أحاول الإنصات جيدا لكل ما يقولان ..

أراد وليد بعد ذلك الذهاب إلى مكان ما لإحضار بعض الأشياء، و سألني إن كنت أرغب في مرافقته، أجبت بسرعة:

"طبعاً سأذهب معك ! هل ستتركني وحدي؟؟"

أذكرون سيارة الحوض الزرقاء التي ركبتها ذات يوم، للذهاب إلى المستوصف ؟ إنها هي.. نفس السيارة التي يحتاجها وليد في مشواره. فيما كنا نقترّب منها أقبلت أروى مرتدية عباءتها و وشاحها الملون، قائلة:

"أوصلني للسوق سأشتري بعض الحاجيات"

و اقتربت من الباب و فتحته، فسار وليد نحو باب المقود.. و قبل أن ترفع أروى رجلها إلى العتبة، أسرعرت أنا و ركبت السيارة لأجلس فاصلا بينهما! هذا ابن عمي أنا.. و أنا الأقرب إليه من كل بنات حواء ، و أبناء آدم أيضا ... أليس كذلك؟؟

و من السوق اشتريت أنا أيضا بعض الأشياء، من ضمنها عدّة للرسم ، فالمزرعة و مناظرها البديعة أعجبتني كثيرا .. و لسوف أفضي صباح الغد في رسم مناظر خلاية منها ، عوضا عن مراقبة وليد و هو يعمل ...

عندما عدنا ، وجدنا ترتيب أثاث الصالة قد تغيّر، لقد قام العجوز و أخته بنقل المقاعد من المجلس إلى الصالة، و نقل سرير وليد من الغرفة الخارجية إلى المجلس!

استغرب.. أي قوّة يملك هذا العجوز ليحرك هذه الأثقال!

ما شاء الله!

قالت أم أروى:

"ها قد أصبحت لديك غرفة داخلية يا وليد.. هل تحس بالاطمئنان على ابنة عمك الآن؟؟"

وليد ابتسم، ووجهه متورد.. و شكر الاثنين.. ثم التفت إلي وقال:

"أيرحك هذا أكثر؟"

كنت أقف إلى جواره.. رفعت رأسي و همست في أذنه:

"لكن ابق الباب مفتوحا"

وليد ابتسم، وقال:

"حاضر"

همست:

"و اطلب منهم إعادة أحد المقعدين الكبيرين للداخل، أو قم أنت بذلك"

وليد تعجب و قال:

"لم؟"

قلت:

"احتياط ! ربما تظهر الأشباح ثانية"

ضحك وليد، و البقية أخذوا ينظرون إليه باستغراب!



قال:

"حاضر" !

قلت هامة:

"قبل الليل"

قال:

"حاضر سيدتي ! كما تأمرين" ..

و حين يقول وليد قلبي ذلك .. فأنا أشعر بدغدغة ناعمة تسري في جسدي ابتداءً من باطن قدمي و حتى رموش عيني !

و من أطراف تلك الرموش ألقيت بنظرة حادة على أروى و أنا أخطبها في رأسي:

"أرأيتِ ؟ ستعرفين من تكون رغد بالنسبة لوليد.. و لن أكون رغد ما لم أزيحك عن طريقي" !

~ ~ ~ ~ ~

مضت الأيام هادئة و مستقرة ، و انشغالي بالعمل جعلني أناسى وفاة والديّ و الحزن الذي خلفه...

بصعوبة تمكنت من إقناع رغد بالبقاء في المزرعة أثناء غيابي كل يوم في فترة الدراسة.. و لأنها كانت

فترة صباحية ، و لخمسة أيام في الأسبوع ، فإننا لم نعد نلتقي إلا عند الظهر...

و أثناء عملي في الحقل ، تقوم هي بمراقبتي أو برسم بعض اللوحات ..بينما أروى تساعدني أو تساعد أمها في شؤون المنزل ..

أنا كنت أقوم بعمل مضاعف و بأقصى ما أمكنني ، و لساعات أطول.. و رسمت بعض الخطط لتطوير المزرعة و الاستعانة ببعض العمال الثابتين..

رغد بدأت تتأقلم مع العائلة و تشعر بالانتماء إليها بعد فترة من الزمن.. و صارت تساهم في بعض أعمال المنزل البسيطة، و التي لم أكن أنا أريد تحميلها عبئها، لولا أن الظروف قضت بذلك..

تعذّر علينا زيارة سامر نهاية الأسبوع الأول، إلا أننا زرناه في الأسبوع التالي، و في الواقع ..خرجت من تلك الزيارة متضايقا لما أثارته في قلبي من الذكرى الأليمة .. ذكرى والديّ ..

سامر لم يبد أنه خرج من الأزمة بعد.. بل كان غارقا في الحزن.. و حتى زيارتنا له لم تحرز تقدما معه..

أما دانة ، فاتصلت بها مرات ثلاث خلال الأسبوعين، و أعطتني الانطباع بأنها امتصت الصدمة و في طور النقاهة.. عدا عن ذلك ، فهي سعيدة و مرتاحة مع زوجها و عائلته في تلك البلد ..

أوضاع بلادنا لم تتحسن، بل بقيت بين كر و فر..مد و جزر.. أمدا طويلا..

الشيء الذي بدأ يقلقني هو الملاحظة التي أبدتها لي أروى إذ قالت:

" يبدو أن رغد تعاني اضطرابا نفسيا يا وليد.. إنها لا تنام بسهولة.. بل تبقى لما لا يقل عن الساعة تتقلب في الفراش، و أحيانا تجلس.. و تنهض.. و تذرع الغرفة جيئة و ذهابا في توتر.. و في أحيان أخرى، أسمعها تتحدّث أثناء النوم.. أو تصحو و تبكي و تنادي أمها ! أعتقد أن وفاة والدتها قد أثرت عليها كثيرا" ..

سألتهايومها:

" هل يتكرر ذلك كثيرا ؟؟"

"تقريباً كل ليلة ! كما و أنها تصر على إبقاء مصباح النوم مضاءً بينما أنزعج أنا من النوم مع وجود النور " !

هذه الأمور لاحظتها أروى التي تشارك رغد في الغرفة، و التي يبدو أنها تعاني منها منذ فترة دون أن يلحظها أحد ...

و هذه الأمور جعلتني أقلق بشأنها.. و أفكر في طريقة تجعلها تنام بطمأنينة و نوما هادئاً.. و هداني الله إلى هذه الفكرة...

عندما كانت صغيرة ، رغد كانت تعشق سماع القصص.. و تطالبي بها كل ليلة حتى تنام بهدوء و قرّة عين..

و لأنها كبرت الآن، فلم يعد هناك مجال لتك القصص ! و لكن.. لدينا كتاب هو أجل و أعظم من أي كتاب، و بذكر ما فيه تطمئن القلوب.. إنه القرآن.

في كل ليلة، قبيل نومهما أبقى مع رغد و أروى في غرفتهما و أتلو ما تيسر من آيات الذكر الحكيم .. و تظل رغد منصتة إلي، إلى أن يغلبها النعاس فتنام بهدوء و سكينه..

في إحدى الليالي، و بعدما نامت رغد، خرجنا أنا و أروى من الغرفة..

لم نكن نشعر بالنعاس وقتها، فطلبت مني أروى القيام بجولة قصيرة معها في المزرعة..

"لكن.. رغد تمنع خروجي و هي بالداخل، أو دخولي و هي بالخارج" ..

"لكنها نائمة الآن"

"نعم و لكن" ..

"هيا يا وليد ! إننا لم نتحدّث مع بعضنا منذ حضورها ! لم تفارقك ساعة واحدة إلا للنوم" !

استأث من كلام أروى و قلت:

"أرجو ألا يكون وجودها قد أزعجك بشيء؟"

"لا لا ، لا تسيء فهمي ، أقصد أنني أريد التحدث معك حديثا خاصا بنا أنا و أنت ! كأني خطيبين .."

و أمسكت بيدي و حثتني على السير معها إلى الخارج...

حديثنا كان في بعض شؤوننا الخاصة .. و كانت أروى تتكلم بسرور .. بل كانت في قمة السعادة.. و أخذنا الحديث لساعة من الزمن..

فجأة ، سمعت صوت رغد يناديني...

"وليــــد"

سحبت يدي من يد أروى و ركضت مسرعا نحو المنزل...

رغد كانت تقف في الساحة الأمامية تتلفت يمنة و يسرة..

"أنا هنا رغد"

و لوّحت بيدي ، و أنا راكض باتجاهها...

لما رأته رغد... وضعت يدها على صدرها و تنهدت بقوة...

و حين صرت أمامها مباشرة ، أمكنني رؤية علامات الفزع على وجهها و الذعر المنطلق من عينيها...

"صغيرتي ماذا حصل؟؟"

"إلى أين ذهبت؟؟"

"هنا في المزرعة ، أتمشى قليلا"

و ظهرت الآن أروى فألقت عليها رغد نظرة .. ثم نظرت إلي .. و بدأت تعبيرات وجهها تتغير حتى  
صارت إلى الحزن و البكاء..

"صغيرتي ما بك ؟"

قالت رغد فجأة:

"إذن هذا ما تفعله ؟ تتركني أنام وحدي و تخرج للتنزه مع خطيبتك؟؟"

فوجئت بقولها ، أردت أن أوضح لها أنها المرة الأولى التي نخرج فيها .. لم تعطني المجال، بل قال و  
هي مجهشة بكاء:

"إذا لم تكن متفرغا لرعايتي فارسلي إلى خالتي.. إذا كنتُ عبثًا يعوق دون تنزّهك مع خطيبتك  
فخذني لبيت خالتي و تخلص مني"

و انفجرت بكاءً ...

لم استوعب كلامها أول الأمر ..

قلت مذهولاً:

"رغد ! ما الذي تقولينه ؟!"

قالت:

"كنت أعرف أنها نهايتي.. ضعتُ بعد والديّ .. لماذا ذهبنا و تركناني؟ لمن تركتmani يا أمي و يا  
أبي ؟ يا لهواني على الناس أجمعين .. خذني يا رب إليهما.. خذني يا رب إليهما"

لم أتحمّل سماعها تدعو على نفسها هكذا .. صرخت:

"كفى يا رغد أرجوك.. ماذا حصل لكل هذا؟؟"

"و تسأل؟؟"

"فقط لأنني خرجت من المنزل و أنت بداخله؟"

قالت أروى:

"أنا من طلب منه ذلك، لم أكن أتوقع أن يضايقك الأمر لهذا الحد"

رغد نظرت إلى أروى نظرة غضب و صرخت:

"اسكتي أنتِ"

قالت أروى:

"أنا آسفة"

لكن رغد عادت تصرخ:

"قلت اسكتي أنتِ.. ألا تسمعين؟؟"

أروى شعرت بالحرج، فغادرت الساحة عائدة إلى المنزل...

لم يكن تصرفا لائقا.. و أعرف أنه ليس بالوقت المناسب لأعاتب رغد عليه.. لكنني قلت:

"إنها قلقة بشأنك"

و يبدو أنها لم تكن الجملة المناسبة، لأن وجه رغد ازداد غضبا ، و قالت بحدّة:

"هل تخشى على مشاعرها لهذا الحد؟ إذن هيا اذهب و طيب خاطرها .. و دعني أنا أناجي الميتين، فلربما سمعاني و أحسا بهواني و ضياعي بعدهما ، و خرجا من قبريهما و أتيا إلي.. و

أخذاني معهما .. و أرحتك مني "

و مرّة أخرى تدعو على نفسها بالموت أمامي .. قلت بحدّة:

"كفى يا رغد كفى " ..

رغد صرخت:

"لا تصرخ بوجهي "

"أنت تثيرين جنوني .. كيف تدعين على نفسك و أمامي؟؟"

و عوضا عن التراجع ، رفعت بصرها و يديها إلى السماء و راحت تهتف بصوت عال:

"يا رب خذني إليهما.. يا رب خذني إليهما .. يا رب خذني إليهما"

ثم جثت على الأرض و صارت تبكي بقوة و مرارة... مخفية وجهها خلف يديها

لم أعرف لم كل ذلك.. إلا أنني لم أحتمل.. هويت إلى جانبها، و ناديتها بلطف ، و لم تجبني...

أبعدتُ يديها عن وجهها و قلت بعطف:

"كفى أرجوك " ..

نظرت إليّ نظرة لم أفهم طلاسمها... مددت يدي و مسحت على رأسها من فوق الحجاب، و قلت:

"أنا آسف يا صغيرتي.. أعدك بالألا أخرج من المنزل ما دمت فيه دون علمك و رضاك " ..

لم يتوقف سيل الدموع..

قلت:

"أرجوك رعد.. لا تجعلني المزيد من اللآليء تضيع هباءً .. آسف و لن أكررها ثانية" ..

تحدّثت أخيرا و قالت:

"و إن طلبت منك الشقراء ذلك؟"

قلت:

"لا تهتمي" ..

قالت:

"وليد .. أنا أرى كوابيس مفزعة ..أمي .. أبي .. الحرب .. النار .. الحريق .. الجمر .. عمّار .. كلهم يعبثون بأحلامي .. لا أحد ليشرعني بالأمان .. سأموت من الخوف ذات ليلة .. سيتوقف قلبي و أموت فزعا .. و لا أحد قربي" ..

جذبتها إلي بسرعة، و أمسكتها بقوة .. كحصن منيع يعوق أي نسمة عابرة من أذيتها...

"أعوذ بالله .. بعد ألف شر و شر يا عزيزتي .. لا تذكرني الموت ثانية أرجوك يا رعد.. رأيت منه ما يكفي .. حاشاك أيتها الغالية"

نعم، رأيت من الموت ما يكفي .. ابتداءً بعمّار .. و مرورا ببنديم و رفقاء السجن .. و عبورا على المدينة المدمّرة .. و انتهاءً بوالديّ الحبيبين...

أبعدتها و قلت:

"أنا آسف، سامحيني هذه المرّة" ..

رعد مسحت بقايا الدموع .. و قالت:

"لقد قلت مترا ، ألم تقل ذلك؟"



نظرت إليها بتعجب.. و عدم فهم !

"أي متر؟"

قالت:

"هذا الذي ستفقأ عينيك إذا ما ازداد طوله فيما بيننا"

و تذكرت حينها الجملة التي قلتها قبل أسابيع ، في آخر يوم لنا في شقة سامر قبل الرحيل!

و الآن ماذا؟؟

رغد تمد يدها اليمنى ، و قد أبرزت إصبعيها السبابة و الوسطى ، و ثنت الأصابع الأخرى ، و تحركها بسرعة نحو وجهي و توقفها أمام عيني مباشرة ، و تقول:

"أ أفقأهما لك الآن؟؟"

قلت لكم.. ستصيبني هذه الفتاة.. بالجنون !

~ ~ ~ ~ ~

هذه كانت البداية ، أول شحنة متوترة بيني و بين الدخيلة الشقراء...

لكن الأمور بدأت تضطرب شيئاً فشيئاً.. و دائرة المشاحنات فيما بيننا آخذة بالتوسع... حتى استرعت

اهتمام الجميع...

لم أكن أسمح لهما بالبقاء بمفرديهما إلا نادرا و لأوقات قصيرة.. فأنا جزء تابع من وليد و أذهب معه حيثما يذهب.. و خصوصا إذا كانت الشقراء معه..

وليد هو ابن عمي أنا... نعم أنا...

في أحد الأيام، و كان يوم الأربعاء، و كنا في الحقل، وليد و أروى يعملان، و أنا أراقبهما، و الوقت كان المغرب.. إذا بي أسمع من يناديني من خلفي، و ألتفتت فإذا به سامر!

كنا نزور سامر مرة كل أسبوع أو أسبوعين، و كان يفترض أن نذهب إليه غدا إلا أنه فاجأني بحضوره !

"سامر" !

سامر فتح زراعيه و هو يبتسم.. فابتسمت أنا و عانقته عنقا خفيفا.. قصيرا باردا من ناحيتي..

"إنها مفاجأة ! كيف حالك؟"

"بخير.. هكذا أكون عندما أراك"

تجاهلت عبارته هذه ، و قلت:

"لم تعلمنا بقدمك ! كنا سنوافيك غدا"

"أحببت أن أزور المكان الذي فيه تعيشين و أرى أحوالك هنا"

ابتسمت و قلت:

"الحمد لله بخير"

قال و قد علاه الجد و القلق:

"هل أنت مرتاحة هنا؟"

قلت:

"نعم .. طبعاً"

ولا أدري إن كان ردي هذا أراحه أم أزعجه ، لأن التعبيرات التي كست وجهه كانت غريبة و غامضة...

سمعنا الآن صوت ضحكات قادمة من ناحية وليد و أروى ، و اللذين كانا وسط الحقل ، فالتفتنا إليهما ..

شعرت أنا بالغيظ، و لا شعوريا قلت:

"تبا"

ثم انتبهت إلى أن سامر يقف قربي...

خجلت من نفسي ، و لأبدد الخجل رحمت أنادي:

"وليـد، تعال... حضر سامر"

التفت وليد إلينا ، و لما رأى سامر تهلل وجهه و ترك المعول من يده و جاء مسرعا ، و صافحه و عانقه ...

أروى أيضا جاءت ، و هي تضبط وشاحها الملون حول رأسها ... لم تكن أروى تخرج من المنزل إلا محجبة.. حتى أثناء العمل الشاق في المزرعة ! لكنها في الداخل، تتصرف بحرية و ترتدي ما تشاء و تتزين كيفما تشاء.. و يزداد حنقي كلما رأيتها تفعل ذلك، فيما أنا ملفوفة بالسواد من رأسي إلى قدمي كإصبع بسكويت مغطى بالشيكولا!

حالما صارت قربنا ألقنت التحية على سامر، ثم ذهبنا نحن الأربعة إلى المقاعد الموجودة حول طاولة على

مقربة ، و جلسنا سوية نتبادل الأحاديث...

أنا عملت هذه الساعة كبرج مراقبة ، أراقب الجميع ابتداء من أروى الحسنا، و انتهاء بسامر المشوّه ! كل حركة ، كل كلمة ، أو حتى كحة تصدر من أي من الثلاثة ألتقطها بعيني و أذني و قلبي أيضا... و أستطيع أن أخبركم ، بأن أروى كانت مسرورة، و وليد فرح جدا، و سامر.. حزين و مكتئب ، رغم كل الضحكات و الابتسامات التي يتبادلونها...

أروى ، حسابي معها سأصفيه لاحقا، الآن .. سأصعب جل اهتمامي على سامر إذ أن حدسي ينبئني بأنه يخفي شيئا.. شيئا يجعل صدره متكبرا كما هو واضح أمام عيني...

وجود سامر اعتبر مناسبة تستحق الاحتفال ! و لذا ، صنعت أروى و أمها أطفمة خاصة من أجله على العشاء، و لأنني لا أجد الطهو، و لا أجد أعمال المزرعة، كما لا أجد أعمال المنزل، و واقعا لا أجد شيئا غير الرسم، فقد ساعدت فقط في الأكل، و تنظيف بعض الصحون!

ألحت العائلة على سامر لقضاء الليلة معنا، رغم اعتراضه إلا أن إصرارنا أخرجته فقبل أخيرا ...

و تعرفون أين سينام!

طبعا في الغرفة الخارجية تلك !

بعد العشاء، اقترحت أروى أن نذهب جميعا للتنزه عند الكورنيش ... بالنسبة لي كانت فكرة جميلة، فأيدتها، إلا أنني ندمت على ذلك حينما وجدت أروى فرصة ذهبية للاختلاء بوليد بعيدا عني، ذهب يسيران معا، و تركاني و سامر وحدنا...

الأمر في أعين الجميع يبدو طبيعيا.. إذ أنهما خطيبان، و نحن خطيبان، إلا أنني اشتطت غضبا و صرت أراقبهما بعين ملؤها الشرر...

سامر كان يتحدث معي، لكنني لم أكن مركزة معه، بل على ذينك اللثيمين.. و سوف ترى أروى ما سأفعل انتقاما لهذه اللحظات...

"هل تسمعينني؟؟"

التفت إلى سامر.. فوجدته يحدّق بي بحزن .. لم أكن قد انتبهت لآخر جملة قالها قلت:

"عفوا.. ماذا قلت سامر؟"

سامر رمقني بنظرة ذات معنى ، شديدة الكآبة ثم قال:

"لا، لا شيء"

"أرجوك سامر.. أعد ما قلت فقد كنت..."

أتم هو الجملة:

"كنت تراقبينهما بشغف"

خجلت من نفسي، و نظرت إلى البساط الذي كنا نجلس فوقه..

سامر قال:

"ألا زلت تفكرين به؟"

تسارعت ضربات قلبي و توترت، و لم أجرؤ على رفع بصري إليه كما لم أقدر على التفوه بأي كلمة...

قال سامر:

"تؤذنين نفسك يا رغد، و تهذرين مشاعرك... ألا ترين أنه رجل مرتبط و لديه زوجة.. و زوجة حسناء تغنيه عن التفكير بأي امرأة أخرى"

بانفعال و بدون تفكير قلت بسرعة:

"و هل يجب أن تكون المرأة بكل هذا القدر من الجمال حتى يلتفت إليها؟ أنا لست أقل منها جمالا

لهذا الحد.. فهل يجب أن أصبغ شعري و أضع عدسات زرقاء، و ألون وجهي حتى أنال إعجابه؟؟  
"

و انتبهت لخطورة ما قلت ، بعد فوات الأوان...

سامر أخذ ينظر إلي بألم.. نعم بألم.. إن بسبب تجاهلي له و اهتمامي بوليد ، أو بسبب المرارة التي يراها منبعثة من صدري و أنا أراقبهما في حسرة...

لكن عطفه علي غلب عطفه على نفسه، فقال مواسيا:

"ليس الأمر كذلك، لا أظن وليد خطبها من أجل جمالها.. بل ربما لأنه يعمل هنا و أراد توثيق علاقته بأصحاب المزرعة" ...

التفت إليهما، و نظرت و أنا أضيقت فتحة عيني و أعض على أسناني:

"أو ربما" ...

و تابعت:

"لأنه يحبها"

و هذه الفكرة جعلني أصاب بالجنون، و أتحوّل إلى لبؤة تريد الانقراض على القطط الجميلة الملونة..

الناعمة الشقراء.. و نتف وبرها شعرة شعرة، و تمزيق أعضائها بمخالبها و أسنانها الحادة، قطعة

قطعة ...

سامر قال:

"أ تريدين أن أتحدث معه؟"

التفت إليه بسرعة و أنا مندهشة ، و قلت:

"ماذا؟؟"

نظر إلي نظرة تأكيد... فقلت مسرعة:

"لا! كلا ، كلا"

فلم يكن ينقصني إلا أن يتدخل سامر ليلفت انتباه وليد إلي!

قال:

"ما الجدوى إذن.. في صرف مشاعرك عليه.. إن كان سيتزوج من أخرى؟"

قلت بحدة:

"لن يتزوج منها"

سامر شعر بالقلق ، و نظر إلي بحيرة و خوف ، و قال:

"كيف؟"

قلت بتحدٍ:

"لن أسمح لأي امرأة بالزواج من وليد.. أبدا"

سامر قال:

"رغد" !

"مهما كانت"

"الأمر ليس متروكا لسماحك من عدمه ! ليس حسبما ترغيبين أنت" !

وقفت بعصبية ، و قلت بحدة و انفعال:

" بل حسبما أريد أنا.. فوليد ابن عمي أنا.. و هو لي أنا.. و سوف لن يتخلى عني.. و إن حاولت أي امرأة سرقته مني فسوف أشوه وجهها.. و إن حاول هو التخلص مني فسوف أفقأ عينيه " !

اعتقد أنني بالغت في التعبير عن مشاعري المكبوتة ، خصوصا أمام سامر الذي أدرك تماما أنه يعشقني بهوس...

التفت إليه شاعرة بالندم على تهوري ، فرأيت آثار الصدمة المؤلمة مرسومة على وجهه.. تزيده كآبة فوق كآبة ..

ما كان علي التفوه بما تفوهت به على مسمع منه... لكن.. لمن أعبر عن مشاعري؟؟

لم يعد لدي شخص مقرب صديق أتحدث معه... فدانة رحلت ، و نهلة بعيدة ، و أمي... في عالم الأموات...

لم أثبت همومي و أعبر عما يختلج صدري من مشاعر ثائرة ، و أنا أرى وليد قلبي يلهو مع تلك الحسناء الدخيلة.. و أعيش علاقتهما لحظة بعد أخرى..؟؟

قلت ، محاولة تبديد أثر تهديدي الجنوني ذاك:

" دعنا نمشي بمحاذاة البحر نحن أيضا "

و مشينا سوية ، في الاتجاه الآخر مبتعدين عن الثنائي المزعج!

سمحت لنفسي بالهدوء، و أجّلت انفعالي لما بعد، فهي لحظات جميلة لا تستحق الإهمال.. الجو لطيف، يداعب الوجوه ، و أمواج البحر رائعة .. تدغدغ الأقدام.. و صوت البحر عذب، يطرب الآذان.. فترقص القلوب مبتهجة و فرحة..

وقفت أتأمل جمال الكون.. و طبيعته الخلابة، و بديع صنع الله ، متحاشية قدر الإمكان النظر في أي شيء يعكر صفو هذه اللحظة، خصوصا وجوه البشر، و بالأخص من النوع ذوي الأنوف المعقوفة، أو



العيون الزرقاء!

أمضينا وقتنا، سأعترف بأنه كان ممتعا ، مع الكثير من الشوائب ! و كانت الساعة قد تجاوزت  
الواحدة و النصف ليلا حين قررنا العودة إلى المزرعة.. وليد يقود سيارته و سامر إلى جانبه، و أنا خلفه  
، و الحسناء إلى جانبي.. أكاد أعصب عينيها بعصاة سوداء داكنة سميكة جدا، لأنها من النظر إلى  
وليد عبر المرآة!

في اليوم التالي، لم يعمل وليد في المزرعة إلا لوقت قصير، و قضى بقية النهار معنا..

و في العصر، قبيل مغادرة سامر، خرجنا جميعا إلى المزرعة نتجول مثنى مثنى!

و ليد و الحسناء في المقدمة، نتبعهما أنا و سامر على بعد عدة أمتار، يتبعنا العجوز و أم أروى على  
مبعدة... و سيرى خلفهما جعلني أعود لممارسة جولات عيني الاستطلاعية بل التدقيقية التفتيشية على  
أقل حركة تصدر من أي منهما...

عادت البغيضة لتشبيك ذراعيهما ببعضهما البعض!

يا إلهي ! هل أركض نحوهما و أقف جدارا بينهما؟

قلت مخاطبة سامر:

"دعنا نسرع"

قال متعجبا:

"لم؟"

اخترعت أي سبب ، و لا سبب !

"أريد أن أعطي شيئاً لأروى"

"أي شيء ؟؟"

نظرت من حولي ، فوجدت مجموعة من الزهور الجميلة الملونة ، أسرعت باقتطاف بعضها وقلت:

"هذه ، فهي ملونة مثلها و تصلح طوقاً على شعرها الذهبي !"

و ناديتها مباشرة!

التفت كل من وليد و أروى استجابة لندائي ، فحثت السير إليهما حتى إذا ما بلغتهما قلت و أنا أرسم ابتسامة مفتعلة على شفتي:

"انظري يا أروى ! هذه الورود تشبهك !"

أروى بدت مستغربة من مقولتي ، ثم ابتسمت و شكرتني بعفوية!

قلت:

"اصنعي منها تاجاً لشعرك ! ستبدين لوحة مذهلة !"

أورى ابتسمت ثانية ، و كررت شكرها و إن علاها بعض الشك!

التفت إلى وليد و قلت:

"أليس كذلك يا وليد ؟؟"

وليد قال:

"بلى ، بالتأكيد"

بالتأكيد ؟؟ بالتأكيد يا وليد ؟؟

أنا بالتأكيد سأفقد عينيك!

أخذت أوري بعض الورود، و تركت في يدي البعض الآخر... ثم استدارا ليتابعا طريقهما...

وقفت أنا على الجمر المتقد.. ازداد اشتعالا و احتراقا.. و أرمقهما بنظرات حادة خطره و هما يبتعدان... و ربما ذبلت الورود التي في يدي من شدة حرارتي!

شعرت بشيء يلمس كتفي فاستدرت بسرعة ، كان سامر...

سامر أوقف يده معلقة في الهواء.. لا أعرف لماذا ؟ ربما لأنها احترقت من ملامستي؟؟

لكنني لمحت عينيه تركزان في الساعة...

قال:

" يجب أن أذهب الآن " ..

أعدت النظر إليهما ، ثم إليه .. ثم إلى الثنائي الأخير الذي يقترب منا، العجوز و أخته... ثم عدت أنظر إلى سامر:

" الآن؟ "

" نعم ، قبل حلول الظلام "

نظرت بياس نحو الورود التي بين يدي.. و لأنها أصبحت تمثّل أروى في نظري، كدت أرميها و أدوسها من الغيظ.. إلا أن سامر أخذها من بين أصابعي و قال:

" هذه تصلح لك أنتِ .. أنت فقط "

رفعت بصري إليه و أبديت استيائي من جملته، و لما رأى هو ذلك قال:

"أوربما لي أنا ! لمعادلة قبح وجهي ! سأحتفظ بها ذكرى"

ابتسمت.. لظالما كان سامر خفيف الظل ، لكنه في الفترة الأخيرة، بعد كل الذي حصل معنا، تغير كثيرا!

قلت:

"أنت لست قبيحا يا سامر! هذه الندبة لا تؤثر عليك مطلقا! إنها أجمل من هذه الورود"

ابتسم سامر بامتنان:

"شكرا" !

عدت أنا فألقيت نظرة على الثنائي المزج اللئيم، ثم نظرت إلى سامر...

سامر كان يشعر بتوتري، و يلحظ انجراف أنظاري نحو وليد و أروى.. و هو شيء لا أملك منع نفسي من الانقياد له !

سامر الآن نظر إلي نظرة جدية كئيبة، أخفت أي أثر وهمي للابتسامة التي كانت على وجهه قبل برهة، و قال:

"رغد" ..

من نبرته، شعرت بأنه سيقول شيئا مهما.. أصغيت أذني.. و ركزت معه..

قال:

"ابتداءً من اليوم..اعتبري نفسك حرة طليقة" ..

دهشت.. أوقفت أنفاسي.. و حملقت به بعيني المفتوحتين لحد الحاجبين!

قال:

"بدأتُ إجراءات انفصالنا.. و تستطيعين الارتباط بمن تريدن متى شئتِ"

مأخوذة بهول المفاجأة و غير مصدقة لما تسمع أذناي.. سامر حررني من رباطنا؟؟

أحقا فعل ذلك؟؟

قلت لا شعوريا:

"طلّقتني؟"

سامر ابتسم بسخرية و قال:

"و هل تزوّجتك حتى أطلقك؟؟"

و نظر إلى الزهور التي في يده ، ثم قال:

"سيتعين على وليد مراجعة الشؤون المدنية لنقل اسمك إلى بطاقته ، باعتباره ولي أمرك الجديد"

و سكت برهة ، ثم قرّب الزهور من أنفه و شمها ، و تنهّد ، ثم نظر إلي و قال:

"أتمنى لك حياة سعيدة ، مليئة بالزهور الجميلة .. الرائعة مثلك"

لم أتمالك نفسي ، و كادت الدمعة تقفز من عيني لكنني كبتها بصعوبة ..

امتدت يده الآن إلى يدي ، فأمسك بي بلطف .. و قال بصوت أجش:

"حبيبتي" ...

و سكت ، ثم تابع:

"أسمحين بأن .. أعانقك للمرة الأخيرة؟؟"

حملت بعينيه ، فرأيت الرجاء الشديد ينبع من بؤبؤيهما... لم أحتمل ، انطلقت العبارة المكبوتة من عيني فجأة و هتفت :

"سامر" !

و ارتميت في حضنه و أحطته بذراعي .. في عناق حميم.. حقيقي.. طويل.. مليء بالمشاعر و الدموع... و متوج .. بالورود التي امتزج عبيرها الأخاذ بأنفاس صدرينا الملتهبة.. و محفوف بأنسام الهواء العليلة و أوراق الشجر المتطايرة من حولنا.. و التي حضرت لتشهد آخر لحظات وجودي في قفص سامر.. قبل أن أنطلق في الهواء حرة .. و أحلق في السماء مرفرفة بجناحي .. ميممة وجهي شطر الشجرة الضخمة الطويلة.. التي امتدت جذورها في قلبي منذ الطفولة.. و التي عليها سأعشش و أقيم لآخر العمر، طاردة بعيدا أي فراشة ملونة دخيلة تحاول الاقتراب من بيتي ، ليبقى وليد.. وليد قلبي.. لي وحدي أنا.. و أنا فقط..

الحلقة الثانية والثلاثون

\*\*\*\*\*

[ملاحظة : القصة ليست للنسخ ] !

لأن الظروف لم تسمح لنا قبل الآن بشراء خاتمي الخطوبة ، و أقصد بذلك ظروف وليد ، فإنني فتحت الموضوع معه مؤخرا ، بعدما مضت فترة على وفاة والديه ، رحمهما الله .

قررنا أن نذهب لشراء الخاتمين و الشبكة غدا.. لن نقيم أي احتفال ، إنما عشاء خاص بي معه...

وليد ، هو رجل رائع بكل المقاييس.. ربما كان التعويض الذي أرسله الله لي عوضا عما فقدت.

في مظهره، وسم، جذاب ! طويل القامة، عريض المنكبين، ممتلئ الجسم و الوجه!  
في أخلاقه، كريم.. لطيف.. نبيل.. متفان، مقدام!  
في عمله، مخلص، صادق.. أمين.. مجتهد، نشيط جدا!

في أول مرة التقينا، كان ذلك قبل عدة أشهر، حين دخل رجل غريب إلى المنزل و هو يستنجد!

عندما أتذكر ذلك اليوم ، و رغم المرارة التي كانت فيه ، أضحك!

لقد خرجت من المنزل راكضة .. بملابسي المجردة !

حينما عرض علي الزواج ، فرحت كثيرا.. أمي و خالي كانا يمدحانه أمامي باستمرار، و أنا كنت  
أحظ إعجابهما بخلقه و طبعه، و أعجبت به مثلهما...

علاقتي بوليد كانت بالكاد قد بدأت تتطور، ألا أن تطورها أخذ منحى آخر حين حضرت رغد للعيش  
معنا...

و هذه الرغد فتاة غريبة الأطوار!

أول الأمر كانت غارقة في الحزن، ثم بدأت تتفتح للحياة، و الآن بفرض وجودها في ساحة وليد!

إنه يهتم بها كثيرا جدا، و يعاملها و كأنها ملكة ! تصدر الأوامر و هو ينفذ .. حتى أنه يفكر جديا  
في شراء طقم غرفة النوم الباهظ الذي أشارت إليه اليوم! ..

و يريد تحويل إحدى غرف المنزل إلى غرفة خاصة بها، بعدما طلبت هي مؤخرا أن تنام في غرفة  
مستقلة!

أنها فتاة مدللة جدا، و وجودها أبعد وليد عني ، و جعله يصرف جل الاهتمام لها هي .. و يهملني  
...

اليوم ذهبنا إلى الأسواق تنفيذا لرغبتها، حيث اختارت طقم غرفة النوم ذاك، و اشترت العديد من  
الأشياء .. بمبالغ كبيرة!

أنا أخشى أن أتحدّث معها أو مع وليد حول هذه النقطة، حتى لا أسبب مشكلة و يتهمني أحد بشيء، لكن...

نحن في وضع مالي متواضع ! و هي، كانت من عائلة ثرية معتادة على نيل ما تريد بسهولة... و لا أعلم، متى سيمكنها أن تدرك تماما أن والديها قد توفيا... و أنها لم تعد تتربى في عزّهما و دلالهما!

و رغم ما أنفقته رغد هذا اليوم، فأنا لم أتنازل عن رغبتي في شراء خاتمي الخطوبة و طقم الشبكة، فهي من حقّي، و قد وعدني وليد بالذهاب لأسواق المجوهرات و شرائها...

~ ~ ~ ~ ~

العلاقة بين رغد و أروى تزداد اضطرابا مرة بعد أخرى، و هذا يقلقني كثيرا...

رغد، في أحيان ليست بالقليلة تتصرف بغرابة، لا أعرف وصفا دقيقا أذكره لكم، لكن.. إنها .. تتدلل كثيرا!

و لأنها معتادة على الدلال، و تنفيذ جميع رغباتها دون استثناء، و لأنني الشخص الوحيد المتبقي أمامها من العائلة، فإنها .. باختصار تتدلل علي!

نعم حينما كانت صغيرة كنت أعشق تدليلها و أقبل على ذلك بشغف، ألا أن الأمر تغيّر الآن..إنها لم تعد طفلة كما أنني... إنني...

ماذا أقول؟؟

لست أباه، أو أخاها، أو زوجها أو حتى ابنها لأستطيع مجاراتها ببساطة في كل تصرفاتها... أنا حائر.. حائر جدا!

البارحة، و بعدما عدنا من السوق، و قد اشترت هي العديد من الأشياء، فوجئت بها قادمة نحوي، و



قد تغيّر لون عينيها إلى الأزرق ! و إذا بها تسألني:

"كيف أبدو؟"

كنت أجلس و أروى في الصالة، نتحدّث عن الخاتمين اللذين تصرّ أروى على شرائهما، و أظن هذا من حقّها فهي تود وضع خاتم للخطوبة مثل أي فتاة!  
اعتقد أن الفتيات يهتممن بأمور تبدو في نظر الرجال، أو لنقل في نظري أنا كواحد من معشر الرجال  
... لا تغضبني ! سخيقة أحيانا !

نظرتُ إلى أروى ثم إلى رغد مندهشا.. و كانت لا تزال تنتظر رأبي في لون عينيها الجديد ! شعرت  
بالحرج الشديد .. فقلت:

"هل صبغتيهما بالفرشاة؟" !

قاصدا أن تبدو دعابة خفيفة تلتفّ الجو، ألا أن رغد نظرت إلى أروى و قالت:

"و هل أنتِ صبغتِ عينيكَ بالفرشاة؟"

قالت أروى:

"لا ، صبغهما الله لي هكذا ، لذا فهما تناسباني تماما"

الجملة أزعجت رغد ، فقالت بغیظ:

"تعين أن لون عيني الآن لا يناسبني؟"

صمتت أروى، و نظرت إلي، تقصد تحويل السؤال إلي .. ، و لذا نظرت رغد نحوي و أنا أرى  
الغضب يتطاير من عينيها هاتين.. و لم أجد جوابا مناسباً إلا أنني لم أشأ إخراجها فقلت:

"و إن ناسبك ، فالأصل هو الأنسب دائما"

و إجابتي الغيبية هذه لم تزد الطين إلا بللا!

قالت غاضبة:

"نعم الأصل هو الأنسب دائما، هذا ما يجب أن تدركه أنت!"

و لم أفهم ما ترمي إليه ! ثم أضافت:

"لو كان سامر هنا، لصفّر إعجابا"

ثم استدارت و غادرت الصالة...

تضايقت أنا من هذا الموقف.. و التزمت الصمت مدّة ، ألا أن أروى قطعت الحديث قائلة:

"ألم أقل لك !؟ إنها تغار مني"

التفت إليها و قلت:

"لا ، ليس الأمر كذلك ! لكنك لا تعرفين كم كانت مدللة تفعل ما تشاء في بيت أبي... كان رحمه

الله يدللها كثيرا"

قالت أروى:

"و ها أنت ورثته!"

التفت إلى أروى، فأشاحت بوجهها عني.. و كأنها غاضبة مني..

قلت:

"ما بك أروى ؟ ماذا يزعجك؟"

التفتت إلي و أجابت:

"ألست تدللها أنت أيضا؟"

قلت:

"أ لأنني سمحت لها بشراء كل ما أرادت ؟ تعلمين أن أغراضنا احترقت في بيتنا و هي بحاجة لأشياء  
عدّة" !

"أشياء عدّة كالملابس الباهظة التي اشتريتها و الحلّي أيضا ؟؟ برّبك ما هي فاعلة بها و هي باقية في  
هذا البيت بالحجاب و العباءة" !

سكتت قليلا و قالت:

"لم لا ترسلها إلى خطيبها لبعض الوقت ؟ أظنها في حنين إليه"

وقفت منزعجا و رميت أروى بنظرة ثاقبة ، جعلتها تعتذر

"لم أقصد شيئا يا وليد إنما..."

قلت مقاطعا:

"يجب أن تعرفي يا أروى.. أن رغد هي جزء من مسؤولياتي أنا، الجزء الأكبر.. و متى ما شعرت  
بالضيق من وجودها فأعلميني، و في الحال سأخذها و نرحل"

ظهر الذهول على ملامح أروى ، فوقفت و قالت:

"وليد" !

قلت:

"نعم ، نرحل سووية.. لأنه لا يوجد سبب في هذا العالم يجعلني أتخلى عن ابنة عمي ساعة واحدة،

مهما كان "

و كان هذا بمثابة التحذير ...

قالت أروى:

" و .. حين نتزوج ؟"

صمت فترة ، ثم قلت:

"لن يكون زواجنا قبل زواجها هي ، بحال من الأحوال"

" و .. متى ستتزوج هي و أخوك ؟"

قلت بسرعة و بغضب:

"ليس الآن، لا أعرف ، ربما بعد عام أو عشرة .. أو حتى مئة ، لكن ما أعرفه هو أنني لن أتزوج قبلها مطلقا"

و تركت أروى ، و انصرفت قاصدا رغد...

نعم رغد ، فهي من يشغل تفكيري هذه الساعة ، و كل ساعة..

كنت أعرف أنني سأراها باكية.. و هكذا رأيتها بالفعل.. و قد نزعت العدستين الزرقاوين ، و تحول بياض عينيها إلى احمرار شديد...

"صغيرتي.. يكفي!"

طالعتني بنظرة غاضبة ، و قالت:

"كنتما تسخران مني ، أليس كذلك؟"

"لا أبدا ! لا يا رغد" !

قالت بانفعال:

"لو كان سامر هنا ، لقال قولا لطيفا و لو من باب المجاملة" ..

و ذكر اسم سامر يجعلني أتكهرب!

قلت بدون تفكير:

"أنتِ رائعة إن بهما أو بدونهما يا رغد"

و ابتلعت لساني بسرعة!

رغد تأملت عيني، و ربّما سرّها ما قلت.. فمسحت الدمعتين الجاريتين على خديها ، و قالت:

"حقا ؟ هل بدوت رائعة؟"

اضطربت، حرت في أمري .. بم أجيب ..؟؟

يا رغد أنت تثيرين جنوني.. ماذا تتوقعين مني ؟ أنا.. و للأسف، و بكل أسف.. لست زوجك حتى

يحل لي أعجب بك و أبدي إعجابي لك.. كيف لي أن أصرّح أمالك : أنت رائعة، و أنت لست

ملكي..؟ أنى لي أن أتأملك و أنت لست زوجتي أنا؟؟

يا رغد.. أنت لست امرأتي و أنا لا أستطيع تخطي الحدود التي يجب أن تبقى بيننا..

و إن لم أر روعتك، و لم أتأملها و لم أعلّق عليها، فلتعلمي بأنك في قلبي أروع مخلوقة أوجدها الله في

حياتي.. مهما كان مظهرك..

لا تزال تنظر إلي منتظرة الإجابة.. كطفلة صغيرة بحاجة إلى كلمة طيبة من أحد.. قلت:

"بالطبع ! أنت دائما رائعة منذ صغرك" !

رغد ابتسمت ، أظن بفرح .. ثم قامت و اتجهت إلى أحد الأكياس التي تحوي ما اشترته من السوق ، و  
أخرجت بعض الأشياء لتريني إياها!

أرتني أحد الفساتين ، و هي تقول:

" هذا سيدهشك ! انظر .. ما رأيك؟؟ "

الفستان كان أنيقا، و في الواقع أنا لست خبيرا بمثل هذه الأمور ، لكنني أظن أنه من النوع الذي  
يعجب النساء !

قالت:

" سيغدو أجمل حين أرتديه " !

و قربته من جسمها و ذهبت لتشاهد ذلك أمام المرآة..

كانت تبدو سعيدة ..

قالت تخاطب المرآة:

"متأكدة سيبهز دانه حين تراه ! و ستشعر بالغيظ" !

ثم اكفهر وجهها فجأة .. و شردت برهة ، و استدارت إلي .. و رمت بالفستان على السرير..

قلت:

" ما الأمر؟ "

قالت:

"أريد أن أرتديه"

قلت:

"إذن افعلي" !

قالت و بريق من الدموع لمع في عينيها:

"أرتديه لأبقى حبيسة في هذه الغرفة؟"

و صمتت قليلا ثم قالت:

"لو كان والداي حيين.. لكنا الآن هناك، في بيتنا.. أريهما أشياءي هذه، و أسمع تعليقاتهما" ..

"رغد" ..

"و لكنك ارتديت ما أشاء.. و تزيّنت كيفما أريد .. بكل حرية" ..

"رغد صغيرتي" ...

"و لكنك اشتريت ما يحلو لي دون حساب.. و لطلبت من والدي تجديد طقم غرفة نومي .. لم يكن ليتضايق من طلباتي.. فقد كان يحبني كثيرا.. و يدللني كثيرا.. و يحرص على مشاعري كثيرا.. أكثر من أي أب آخر في الدنيا" ..

و ارتمت فوق الفستان المرمي على السرير، و أخذت تبكي بحرقة...

تمزّق قلبي أنا .. خلية خلية.. لهذا الموقف الأليم المرير.. و رغما عني تمخّضت مقلتي عن دمة كبيرة...

اقتربت منها محاولا المواسة:

"أرجوك يا رغد.. كفى عزيزتي" ..

رغد استمرت في البكاء ، و لم تنظر إلي ، لكنها قالت وسط الآهات:

"لن يشعر أحد بما أشعر به.. حبيسة و مقيدة في هذا المكان.."

ليتهما يعودان للحياة.. و يعيداني معهما إلى البيت.. و أنا سأتحلى عن كل شيء فقط لأعيش معهما !  
"

مسحت دمعتي ، و قلت بصوت أطف و أحن :

"بالله عليك يا رغد.. يكفي فقد تفرّ قلبي"

رغد استدارت نحوي ، و أخذت تنظر إلي مطولا..

ثم قالت:

"هل تحس بما أحسّه يا وليد؟؟ أتعرف معنى أن تفقد والديك ، و مرتين ، و بيتك و عائلتك ، و  
مدينتك و جامعتك ، و تبقى مشردا عائلة متطفلا على غرباء ؟ في مكان لا يوفر لك أبسط حقوقك ؟ أن  
ترتدي ما تشاء" !

"رغد ! ماذا بيدي ؟ أخبريني ؟ ماذا أستطيع أن أفعل ؟ و حتى لو خرجنا من هذا المنزل و سكننا  
منزلا آخر... لا حل للمشكلة" !

"بلى" !

قالت رغد ذلك بسرعة ، فقلت أنا مسرعا:

"ما هو؟"

رغد الآن.. عقدت لسانها و هي تنظر إلي نظرات عميقة ، كأنها تفكّر فيما تود قوله ثم قالت للقهر:

"أرسلني إلى بيت خالتي"



ذهلت لسماع هذه الجملة ، و ترنحت قليلا ، ثم سألت:

"إلى بيت خالتك؟؟ كيف؟ و زوج خالتك؟ و حسام؟؟"

قالت:

"أتزوجه"

هنا .. توقّف قلبي عن النبض، و توقفت عيناى عن الرؤية، و أذناى عن السمع، و كل حواسى عن العمل ، بل و الساعة عن الدوران...

لم أسترد شيئا من حواسى المفقودة إلا بعد فترة، و أنا فى المزرعة..  
و كان أول شيء استعدته هو الشم، إذ غزت رائحة السيجارة أنفى و أيقظت إحساسه عنوة...  
قلبتنى جملتها هذه رأسا على عقب... و بعد أن كنت شديد الحزن و التعاطف معها، أصبحت أرغب فى خنقها ..

حسام؟ نعم حسام.. إنه الحبيب السرى الذى يعيش فى قلب رغد منذ الطفولة.. ليس فى قلبها فقط،  
بل و فى صندوق أمانيتها الذى لم أنسه يوما...

أهذا ما تريدن يا رغد؟؟

لم تمض تلك الليلة بسلام.. ظل قلبي ينزف.. من الطعنة العميقة التى سددها رغد إلى صدرى...  
لذا فإننى عاملتها بشيء من الجفاء فى اليوم التالى، و حين هممنا أنا و أروى بالذهاب إلى السوق لشراء الخاتمين و العقد، و سألتنى إذا كنا نسمح بذهابها ، أجبت:

"أروى تريد أن نشتريهما بمفردنا"

" و تتركاني وحدي؟؟ "

" لا ، بل مع الخالة ليندا "

و لم أسمح لها بإطالة الحديث ، بل انصرفت مباشرة...

~ ~ ~ ~ ~

و ليته أحضرها عوضا عن كل هذا !

فبدلا من تأمل المجوهرات ، يتأمل الساعة بين الفينة و الأخرى.. و اتصل مرتين لسؤال أمي عنها!

بصراحة ، ولید یبالغ فی اهتمامه بها و أنا منزعجة من هذا الأمر.. و أتمنى لو يأتي خطيبها و يعتني بها لبعض الوقت ، حتى نتنفس!

تجولنا كثيرا ، بحثا عن طقم يناسبنا.. و ولید لم یکن مركزا معي جيدا ، بل كان یقول عن أي كل عقد أسأله عن رأيه به:

" جميل ، دعينا نشتريه " !

اخترنا في النهاية طقما جميلا مناسبا ، بالإضافة إلى خاتمي الخطوبة .. و أراد ولید أن نعود للمزرعة لكنني ألححت علي بالذهاب إلى مطعم و تناول العشاء هناك.. إنها فرصة ذهبية بالنسبة لي ، لا وجود لرغد معنا!

" فيم تفكر؟ "

سألته و أنا أراه شاردا ، قال:

"أأ .. في المزرعة ، تعرفين أننا تركنا عمل اليوم غير منجز .. حالما أعود فسأنجزه"

قلت:

"أوه وليد ! أتفكر بالعمل حتى و أنت معي هنا ؟ دع عنك المزرعة و شؤونها و لنتحدّث في أمور تخصّنا"

لم تظهر عليه أمارّة مشجعة ، تضايقت من شروده عني ، قلت:

"وليد ! أنا معك ! هل تراني؟"

الآن ابتسم و قال:

"طبعا أروى ! أنا آسف.. ، فيم توذّين الحديث؟"

قلت ببعض الخجل:

"في أمور بيتنا و خطط مستقبلنا !"

قال وليد:

"أخبرتكَ بأننا لن نتزوَّج قبل رغد"

رمىت بالملعقة التي كانت بين أصابعي ، أتناول بها طبق المهلبية الباردة .. و قلت بانفعال:

"رغد ثانية ! أوه .. رغد ، رغد ، رغد ! هلا توقفت عن ذكرها أمامي كل ساعة؟؟"

قال وليد و هو مرتبك:

"أروى ! ما حلّ بك؟؟"

قلت:

"ما حلّ بك أنت؟؟ ألا تشعر بأنك تهملني من أجلها؟ إنني خطيبتك!"

قال:

"أنا آسف يا أروى، لكنك.. لا تعلمين ما تعنيه رغد بالنسبة لي.."

قلت:

"ماذا تعني؟؟"

وليد غير الجملة و قلب السؤال ، إلى ما يعنيه هو بالنسبة لها ، إذ قال:

"إنها فتاة يتيمة، و بلا بيت و لا عائلة و لا ولي غيري، إن أهملتك أنت، فباستطاعتك اللجوء إلى أمك أو خالك، أما إن قصرت مع ابنة عمي اليتيمة الوحيدة ، فألى من ستلجأ؟؟"

أنا قلت مباشرة:

"إلى خطيبها"

و لا أدري لم انزعج وليد فجأة و قال:

"لنغير الحديث، ماذا كنت تودين قوله بشأن المزرعة؟؟"

قلت:

"أي مزرعة؟؟"

"المزرعة ! ألم تتحدثي عن المزرعة و مستقبلنا فيها؟"

اشتطت غضبا و قلت:

"بل عن عش الزوجية و خططنا المستقبلية فيه"

احمرّ وجه وليد ، و تمتم بجمل الاعتذار...

لكن ، أي اعتذار يا وليد؟ إنني أشعر بأنك لا تشعر بوجودي ... و كأنني لست خطيبتك.. و كأننا لن نتزوج ذات يوم!

عندما عدنا إلى المزرعة ، و لم أكن أنا سعيدة بالقدر الذي تمنيت ، دخلت إلى المنزل مباشرة ، أما وليد فذهب لينجز أعمال اليوم التي اضطر لتركها من أجل مرافقتي...

في الصالة، وجدت رغد جالسة تقرأ أحد الكتب ..

"تأخرتما"

"نعم، فقد ذهبنا إلى المطعم.. و تنزهنا لبعض الوقت"

و ظهر الاستياء على وجهها، و قالت:

"و هل اشتريتما الخاتمين؟"

"أجل"

"هل أستطيع رؤيتهما؟"

قلت بحنق:

"نعم طبعاً ، لكن غدا ، بعدما نلبسهما أنا و وليد لبعضنا البعض"

قالت:

"و أين وليد؟"

" في المزرعة ، سيعمل لبعض الوقت "

و استأذنت و ذهبت إلى غرفتي...

~ ~ ~ ~ ~ ~ ~

تركتني في غيظي ، اشتعل نارا كجهنم.. أكاد أحرق أوراق المجلة التي بين يدي  
و لكن لا

لن أفوت هذا بسهولة ! و لسوف أفسد عليهما سهرة الغد و أحرمهما من الهناء بخاتميهما!

نزعت الخاتم الذي ظل بنصري الأيمن محبوبسا به لأربع سنين ...

لم أكن قد نزعته قبل الليلة ، كما لم أكن قد أبلغت وليد عن انفصالي الشرعي عن سامر.. رغم أن فترة  
قد مضت على ذلك..

لم أكن أريده أن يشعرني بأنه مهتم بي فقط و فقط لأنه ليس لدي من يهتم بي غيره.. كنت أود أن  
أشعر.. بأنه يهتم بي و يحبني و يريد بقائي معه حتى لو كان والداي على قيد الحياة ، ليس فقط  
حتى مع وجود خطيب لي..

عندما سألني:

" ماذا بيدي ؟ ما حل المشكلة "

كدت أقول:

" تزوجني " !

وكم كنت سأبدو بلهاء غبية و أنا أعرض على ابن عمي ، و المرتبط، و الذي نعيش في بيت خطيبته  
أن يتزوجني!

أردت أن ألفت نظره إلى وجود حل اسمه الزواج ، فقلت:

"أتزوج حسام"

و انتظرت ردة فعله، انتظرت أن أرى مقدار اهتمامه بي .. و رغبته في بقائي معه..كم تمنيت لو يهتف  
:

"مستحيل" !

إلا أنه التزم الصمت ، ثم غادر ...

أحيانا ..أشعر بأنه يهتم بي و يحبني كثيرا.. لكن.. مثل حبه لدانة.. و أنا أريده أن يحبني مثلما  
أحبه أنا.. و أن يعجب بي أنا.. و ألا ينظر إلى عيني امرأة غيري أنا!  
و إن كان يريد رؤية عيون زرقاء، أو خضراء، أو حتى صفراء.. فأنا سأغير لون عيني و شعري و  
وجهي و كل شيء لإرضاء ذوقه !

لقد قال إنني رائعة منذ الطفولة ! كم أشعر بالسعادة كلما تذكرت هذه الجملة ! إنها كنزي الثمين  
الذي أفتحه و أنعش مشاعري به كلما أصابني اليأس ..

وليد و أروى يخططان لقضاء سهرة خاصة بهما ليلة الغد، للبس الخاتمين.. و أنا .. أخطط لأن أمرض  
غدا، و أقلق وليد بشأني، و أصرف تفكيره عن السهرة الخاصة، و أحرم أروى مما تصبو نفسها إليه!

سترين يا أروى !

~ ~ ~ ~ ~

لأنني لا أحب تأجيل عمل اليوم إلى الغد، و لأنني سأضطر لاختصار ساعات العمل غدا أيضا، من أجل السهرة التي تريدها أروى احتفالا بوضع الخاتمين ، فإنني قررت أن أقضي ساعات في العمل بالمزرعة الآن...

كنت متعبا، فقد قمت بعدة أشياء منذ الصباح، و كان يوما حافلا بالمهام التي كان علي إنجازها.. عدا عن هذا ، فهناك فتاة صغيرة تلعب في دماغي منذ الأمس، و تسبب لي صداعا رهيبا!

انتصف الليل، و أنا لا أزال في المزرعة أبذل مجهودا بدنيا لا يتناسب و الظلام و التوقيت، ألا أنني لم أشأ المغادرة قبل إتمامه...

كنت سأنقل بعض الأشياء إلى السيارة الحوض، إلا أنني حين وجدتتها على مبعدة ، تقاعست عن تحريكها، فأخر شيء أفكر به هو قيادة سيارة الآن، اذا قمت بحمل بعض تلك الأشياء بجهد إلى الحوض، و تركت البقية لأنقلها في اليوم التالي، فقد أرهقت كثيرا جدا ...

كنت أتصبب عرقا، و أشعر بإعياء شديد، و بحاجة ماسة و فورية للاستحمام ، و النوم مباشرة ...

عدت إلى المنزل منهك القوى شديد التعب، متوقعا أن يكون الجميع نيام في مثل هذا الوقت ، لذا دهشت حين رأيت رغد جالسة في الصالة تقرأ كتابا!

"ألم تنامي بعد؟"

رفعت رغد عينيها عن الكتاب ، و قالت:

"ليس بعد"

و كانت نظراتها حادة توحى برغبة منها في الشجار!



و هو شيء أفضل الغرق في المحيط عليه ، خصوصا و أنا بهذا الحال و التعب!

"تصبحين على خير"

قلت ذلك، و توجهت نحو غرفة نومي، لأنفذ بجلدي، و لكنني ما كدت أخطو بضع خطوات حتى سمعتها تناديني:

"وليد"

يا رب !

لست بمزاج جيد لتلقي أي لوم و عتاب على تركك وحدك كل هذه الساعات ! أجلي كل هذا للغد يا رغد ! و أعدك بأنني سأتلقي هجومك بأوسع صدر!

التفت إلى الورا، و لم أجب ... لكن لسان حالي أجاب : نعم ؟

أغلقت الكتاب الذي بين يديها، و وقفت..

إنه التأهب للهجوم ! رغد أرجوك الرحمة ! هذه الليلة فقط!

"أنا جائعة"

هل سمعتم شيئا كالذي سمعت ؟؟ تقول جائعة!

"ماذا ؟"

"أنا جائعة" !

تلقت يمينا و شمالا ..أبحث عن شخص يؤكد لي ما سمعت!

"ألم تتناولوا عشاءا ؟"

"كلا"

"حسنا ، لم لا تذهبين للمطبخ و تحضرين وجبة لك؟؟"

قالت:

"أشتهي البيتزا"

"البيتزا؟"

"نعم ! البيتزا"

قلت:

"و لكن تحضيرها سيستغرق وقتا ! لمَ لم تعديها قبل الآن؟"

"لا أعرف طريقة لتحضيرها، ولا أريد أن أعرف، كما و أنني شعرت بالجوع الآن فقط"

و بالتالي ماذا؟؟

قلت:

"حسنا ، حضري شيئا آخر" ..

"أريد بيتزا"

"رغد ! و هل تعتقدين أنني أستطيع تحضير بيتزا؟؟"

"تستطيع شراءها من المطعم"

نظرت إلى الساعة ، كانت الواحدة ليلا!

"مطعم ؟ الآن ؟؟"

"نعم ، لابد أنه يوجد مطعم واحد على الأقل مفتوح الآن"

و هذا يعني أن عليّ أنا الذهاب للبحث عن مطعم و جلب البيتزا ! آخر عمل أفكرّ في القيام به على الإطلاق!

"حضري لك أي وجبة من الطبخ ، الوقت متأخر و أنا متعب" ..

"لا أشتهي غير البيتزا" !

"كلي أي شيء الآن ، و غدا آخذك إلى المطعم"

قالت:

"معكما أنت و أروى ؟"

و رمقتني بنظرة حادة .. ثم أضافت:

"هل تقبل العروس ؟"

تنهّدت ، و قلت خاتما الموضوع:

"أمامك المطبخ بما حوى ... تصبحين على خير"

و استدرت و تابعت طريقي ، و لما بلغت الباب و فتحته سمعتها تقول:

"لو كان سامر هنا ، لما سمح بأن أنام و أنا جائعة ! و لكان لفّ العالم ليحضر لي ما أريد"

أفلتت أعصابي ، صفعت الباب بقوة و أنا أستدير إليها ، و أراها تجلس على المقعد و تحني رأسها إلى الأرض ، و تبدأ بالبكاء...

سرت إليها و وقفت قريبا و قلت بعصبية:

"حسنا.. أنا ذاهب لإحضار ما تريدن"

و سكت لأتنفس، ثم تابعت:

"لا تستفزني هكذا ثانية" !

رفعت رأسها و نظرت إلي، ربما نظرة استغراب أو اعتذار ، لم أكد أميِّزها لأنني سرعان ما استدرت و ذهبت نحو الباب، و ما أن فتحت الباب حتى وصلني صوتها و هي تقول:

"مع عيدان البطاطا المقلية" ! ...

التفت إليها فوجدتها تبتسم ! نعم تبتسم!

أعرفون أي نوع من الابتسامات؟؟ تلك التي تنسي المرء أنه يتصبب عرقا و أن عضلاته مرهقة حد الشلل ، و مشاعره متهيجة حد الغليان!

يا لهذه الفتاة!

لم يكن العثور على مطعم مفتوح أمرا سهلا، لكنني اشتريت لصغيرتي المدللة هذه ما تريد، و خلال ٤٠ دقيقة ، عدت إلى المنزل...

كانت لا تزال جالسة على نفس المقعد ، و الكتاب في حضنها و يداها موضوعتين على صفحاتيه...

لم تنهض لدى دخولي...

قلت:

"وصل عشاؤك" !

لم ترد... اقتربت منها ، فوجدت عينيها مغمضتين... و ببساطة كانت نائمة!

"رغد" ..

لم تجب، اقترب أكثر و همست:

"رغد هل نمتِ ؟"

و لم تستفق .

ماذا أفعل بهذه الفتاة؟؟

في منتصف الكتاب المفتوح، لمحت شيئاً يلمع.. اقتربت أكثر، إنه ليس إلا خاتم خطوبة رغد.. !  
مددت يدي و أخذت الخاتم... و دققت النظر فيه.. محفور بباطنه الحرفان الأولان من اسمي رغد و  
سامر، مع تاريخ الخطوبة ...

بقيت واقفا في مكاني أعبت بذلك الخاتم، و أتمنى أن امحيه من الوجود، و أمحي معه كل علاقة  
ربطت بين سامر و رغد.. حتى رابطة الدم!

في آخر مرة زارنا فيها سامر.. في آخر لحظة قضاها معنا.. في المزرعة ، و آخر صورة التقطتها عيناى  
لهما هو و رغد، كانا في عناق حميم.. حلل كل خلايا الدم الجارية في عروقي.. و أصابني بأنيميا حادة  
فتأكة...

لكني حتى هذه اللحظة، أجهل مصير هذه العلاقة و لا أجسر على التحدّث مع رغد بشأنها ...

التفت الآن إلى رغد، نائمة بعمق و هدوء... و تعرفون كم تطيب لي مشاهدتها هكذا.. و تعرفون كم  
أعاني و أجاهد نفسي أقف عند الحدود فيما بيننا..

اقتربت منها أكثر، و همست:

"رغد.. قومي إلى غرفتك"

لكنها لم تتحرك، ناديت:

"رغد انهضي يا صغيرتي.. هل ستنامين هنا؟؟"

و مددت يدي و ربت بخفة على يدها ، رغد تحركت ، و مالت بجدعها على المقعد حتى أسندت رأسها عليه و هي تقول:

"أوه أروى حلّي عني ، أكرهك " !

و صمتت !

دهشت ! بم تحلم صغيرتي هذه اللحظة؟؟ و لم تقول شيئاً كهذا ؟ و ماذا يعني ذلك؟؟

"هذا أنا وليد، أنت تنامين في الصالة رغد، قومي إلى غرفتك"

ابتسمت رغد، و هي نائمة ، ثم قالت:

"بابا .. أحبك" ..

و غطت في سكون عميق!

ليتني أدخل حلمك و أرى... بما و من تحلمين!

نوما هنيئاً...صغيرتي..

~ ~ ~ ~ ~

عندما نهضت، و على صوت منبه مزعج ، رأيت نفسي نائمة على المقعد في وضع غير مريح ! و على المنضدة الموضوعة أمام المقعد ، وجدت كيسا يبدو أنه لأحد المطاعم!  
نهضت و نظرت من حولي فلم أر أحدا، لكنني كنت أسمع صوت المنبه القوي قادمًا من ناحية غرفة وليد!

مددت يدي نحو الكيس أولاً و تفقّدت ما به

"إنها البيتزا" !

و صوّبت نظري ناحية غرفة وليد، فوجدت الباب مفتوحًا على مصراعيه ... و كان المنبه يرن باستمرار ... دون أن ينهض وليد...

قمت أنا و تسللت إلى الغرفة، و أوقفته، و ألقيت نظرة على وليد...

كان مستلقٍ على السرير و أطرافه الأربعة موزعة على جميع الزوايا ! كان يبدو غارقًا في النوم جدًا!

و مع ذلك ما أن نطقت باسمه:

"وليد"

حتى فتح عينيه بسرعة، ثم نهض جالسًا باندفاع!

هل صوتي مفزع لهذا الحد؟؟ لقد كان المنبه يرن حد البحة!

وليد تلفت يمينًا و شمالًا ثم نظر إلي

"رغد؟ ما بك؟"

إنه بالفعل فزع!

قلت:

"لا شيء ! إنه وقت الصلاة" !

خرجت من غرفته ، و ذهبت إلى غرفة أروى ، التي لا أزال أشاركها فيها ، حاملة معي كيس المطعم!

وجدت الباب موصدا من الداخل!

"أروى ! تبا لك ! سأعتبره طردا" !

بعد قليل ، و قد خرج وليد مع العجوز كالعادة للصلاة للمسجد ، حملت كيسي و البطانية ، و ذهبت إلى غرفة وليد و تابعت نومي على المقعد!

وجدتها فرصة ذهبية لتوسيع دائرة الخلاف بيننا ، أنا و أروى.. قلت مخاطبة وليد بعد عدة ساعات:

"إنها لا تريدني في غرفتها ، و لا في بيتها و لا مزرعته ، أخرجني من هذا المكان"

وليد كان متضايقا جدا ، قال:

"لا يمكن أن تتعمد أروى إيصاد الباب دونك ! ربما أقتله خطأ"

"طبعا ستقول هي أنه خطأ ، لكني متأكدة من أنه مقصود ، وليد لا أريد العيش في هذا المكان" ..

امتقع وجه وليد و كأبت ملامحه بشدة... و فرك جبينه براحة يده ثم قال:

"إلى أين نذهب إذن ؟"

قلت:

"دعنا نعود إلى شقة سامر"

لم ترق الفكرة لوليد ، و قال:



"و عملي؟"

"فتش عن عمل آخر، إنه عمل متعب و لا يستحق اهتمامك و مجهودك على أية حال "

وليد حزن من قولي هذا، كما ظهر جليا على وجهه، ألا أنه قال:

"سأحاول إيجاد حل آخر..."

و صمت قليلا ، ثم تابع و هو يضيق فتحة عينيه:

"ألا أنني لن أسمح لك بالزواج قبل الخامسة و العشرين!"

ذهلت من كلامه، و من نظرتة فحملت به بفضول ، و سألت:

"و لم الخامسة و العشرين بالذات؟"

"هذا على الأقل، فأنت لا تزالين صغيرة ، و ستظلين صغيرة لبضع سنين!"

بشكل تلقائي، رفعت يدك اليمنى مبرزة إصبعي البنصر، لأثبت بأنني مخطوبة يعني كبرة ! و للدهشة ، لم أجد الخاتم!

تبدلت ملامحي ، و أخذت أقلب كفي ظهرا و بطنا و أفتش عن الخاتم في أصابعي العشرة ! لا ، بل العشرين!

وليد كان يراقبني، و رأني و أنا أضطرب، ثم أذهب نحو المقعد و أفتش ما حوله..

أقبل وليد يسير ببطء ، حتى وقف خلفي مباشرة، و كنت أنا جالسة على الأرض محنية رأسي للأسفل ، أتحسس بيدي الأرضية تحت المقعد...

يا إلهي أين اختفى؟!

"عمّ تبحثنين؟"

رفعت نظري إلى الجبل الطويل الواقف خلف ، فرأيت ميلا بسيطا لإحدى زاويتي فمه للأعلى ، يعني ، شبه ابتسامة ماكرة!

قلت و أنا لا أزال في وضعي أنظر إليه كمن ينظر للسقف!

"هل رأيته؟"

"ما هو؟؟"

"محبي!"

"أي محبس؟؟"

"خاتم خطوبتي يا وليد ، تركته على الكتاب البارحة!"

تغيّرت تعبيرات وليد و قال:

"هل يعني لك فقدته شيئا مهما؟؟"

قلت مستغربة:

"طبعاً! إنه ليس مجرد خاتم!"

وليد عبس بعض الشيء، ثم مد يده في أحد جيوبه، و أخرج الخاتم... و وضعه على المنضدة...

نهضت أنا و نظرت إلى الخاتم، ثم إلى وليد... و حرت في أمره...

ولى وليد مدبرا خارجا من المنزل ألا أنه حين بلغ الباب استدار و قال:

"لن تضعي شيئا كهذا في يدك اليسرى قبل مضي سنين! مهما كان الطرف الآخر! لن أسمح بذلك..."

و انصرف !

~ ~ ~ ~ ~

أخيرا حلّ الليل ! كم أنا مسرورة و في قمة السعادة.. فالليلة سنرتدي أنا و وليد خاتمي الخطوبة أخيرا !

قضيت فترة طويلة على غير العادة أمام المرآة أتزيّن!  
أعددت لسهرة جميلة و رومانسية مع خطيبي، في الغرفة الخارجية...  
و الإعداد يشمل العشاء، و طبق التحية، و الشموع الحمراء، و فستاني الأزرق الداكن، و تسريحتي الجميلة، و خاتمي الخطوبة، و طقم الشبكة، و أيضا الكلام اللطيف الذي حضّرتَه لأقوله لوليد!

و هو أهم ما في السهرة، فإن في قلبي مشاعر أود التعبير عنها...  
بصراحة حتى الآن لا أشعر بأنني كبقية الفتيات المخطوبات، لأن ظروف وليد لم تسمح لنا بالاستمتاع بأيام خطوبتنا كما ينبغي... كيف نهنا و والداه توفيا قبل فترة تعتبر وجيزة...؟؟  
و الآن بعدما استرد كيانه، و اجتاز الصدمة، حلت رغد.. كعائق دون انفرادي بخطيبي!

و اليوم هي مستاءة منّي لأنني نسيت باب غرفتي مغلقا، بعد استبدال ملابسني، و أويت للنوم!

على كل استياؤها هذا جاء بفائدة ألا وهي بقاؤها بعيدة بعض الشيء!

فتح الباب أخيرا و دخل وليد..خطيبي العزيز..

و انبهر بكل ما حوله، فقد صنعت جوا رومانسيا رائعا!

"جميل ! ذوقك جميل" !

"شكرا وليد! تفضّل بالجلوس" !

اتخذنا مجلسينا متقابلين تفصلنا مائدة العشاء المميز... و إلى جانبنا منضدة صغيرة وضعت عليها علبة الخاتمين و العقد...

تبادلنا أطراف الحديث، الهادىء اللطيف، و الابتسامات الناعمة ! و بمجرد أن نلبس الخاتمين، سأقول له ( : أحبك يا وليد) !

كم تتخيلون كان مقدار سعادتي؟؟

و ماذا تتصوّرون لون وجهي؟؟

و هل لديكم فكرة عن سرعة دقات قلبي؟؟

ليتكم كنتم معنا...

تناول وليد علبة الخاتمين، و أمسك بخاتمي الذهبي، و همّّ بالباسي إياه ...

إنها اللحظة الحاسمة التي كنت انتظرها...

حينها، سمعنا طرقا سريعا على الباب جعلنا نفزع و ننهض واقفين بسرعة...

"وليد" ..

و انفتح الباب ، فإذا بها أمي تقبل مسرعة...

"أمي .. ماذا حدث؟؟"

أمي كانت تنظر إلى وليد و هي مقبلة نحوه و مخاطبة له بقول:

"وليد.. أسرع .. رغد متعبة جدا" !

وليد ، لم ينتظر حتى إلى أن تنهي أمي جملتها، رمى بالخاتم بسرعة فوق في كأس العصير... و قفز خارجا من الغرفة يركض بقوة... كمتسابق في الماراثون...

لم تكن غير ثانية ، أو ربما عشر الثانية أو حتى جزء من مئة جزء منها ، إلا و اختفى وليد.. و تلاشى كل شيء!...

و خيم سكون على الغرفة.. لا يعكّره إلا رنين الخاتم المصطدم بالكأس ..  
و ظلام لا يوتره إلا لهيب الشمع المنصهر أمام عيني...  
و بقايا أمسية.. انتهت قبل أن تبدأ ..  
و سعادة اختفت قبل أن تظهر ..  
و لسان خرس قبل أن ينطق...  
(أحبك يا وليد )

الحلقة الثالثة والثلاثون

\*\*\*\*\*

<<<القصة ليست للنسخ>>>

بعد الانتصار الذي حققته ، ليلة أن أفسدتُ على أروى سعادتها ، شعرت بنشوة كبيرة!

كيف لا ، و ليلتها.. بقى وليد قلبي معي في المستشفى ، يحيطني بالرعاية و العطف!

لقد زالت جميع الآلام المفتعلة التي أرغمت معدتي على التظاهر و الإحساس بها ، بمجرد أن رأيت وليد مقبلا نحوي بقلق!

و تحوّلت إلى رقص عندما رأيته أصابع يده خالية من أي محابس!

سألته بعد ذلك، و نحن في المستشفى، و أنا أنظر إلى يده اليمنى:

"أين خاتمك؟"

وليد فكّر قليلا ثم قال:

"في علبته!"

شعرت بسعادة كدت معها أضحك بقوة! لكنني منعت نفسي بصعوبة لئلا يكتشف وليد بأنني لا أشكو من أي شيء!

إلا من غيرتي من الدخيلة، و رغبتني في إبعادها عني نهائيا

أخففت نظري لئلا يقرأ وليد ما بعيني من فرح و مكر .. و بقيت كذلك بضع ثوان، ، إلى أن سمعته يقول:

"و أنت؟؟"

رفعت نظري إليه ، في بلاهة! ماذا يعني؟؟

قال:

"أين خاتمك؟"

و من عينيه إلى يدي اليمنى مباشرة! لم أرتده مذ خلعته تلك الليلة!

قال:

"لا تقولي أنك أضعته مجددا!"

قلت مداعبة:

"هل وجدته؟؟"

وليد اندهش و قال مستغربا:

"أحقا أضعته ثانية؟؟ أي فتاة أنت!"

قلت مباشرة:

"أنا رغد!"

ابتسم و قال:

"حقا؟! كدت أنسى! كنت تضعين ألعابك و تأتيين إلي طالبة مني البحث عنها!"

ابتسمتُ بخجل...

قال:

"لكنها كانت ألعاب .. أما هذا" ..

و بتر جملته ...

و ظل ينظر إلي بصمت برهة.. ثم وجه عينيه نحو الجدار...

قلت:

"وليد" ..

بصوت خافت هامس، التفت إلي و أجاب:

"نعم؟"

"هل.. ستظل تعتني بي .. فيما لو بقيتُ دون زواج عشر سنين أخرى؟"

استغرب وليد من سؤالي ، ثم قال:

"وعشرين، وخمسين ، ومئة" !

قلت بخجل:

"حقا وليد؟"

"طبعا صغيرتي ! إنك جزء مني" !

كدتُ أقول بسرعة:

"و أنت كلي" !

ولكنني خدّرت الجملة في لساني لثلا تصحو !

قلت و أنا أعبث بأصابعي:

"وليد" ...

و أتممت:

"تخلّصتُ من الخاتم"

و نظرت إليه لأرى تعبيرات وجهه

بدا مستغربا حائرا



قلت موضحة أكثر:

"سامر حلّ رباطنا و لذلك .. خلعتة"

هي تعبيرات غاية في الغموض ، تلك التي ارتسمت على وجه وليد لحظتها... زهول مفاجأة ، صدمة ، استياء... عدم تصديق ، أو .. لا أدري.. لا أدري ما كان معناها...

بعد صمت الاستيعاب و التفكير ، قال:

"إذن .. إذن ... أنت و سامر" ...

أتممتُ جملته:

"لم نعد مرتبطين" !

وليد وقف فجأة ، و أخذ يحوم... في الغرفة ، يفكر .. ثم استدار إلى فجأة و سألني:

"لماذا يا رغد؟"

تبادلنا نظرة عميقة ، ثم أحنيت رأسي و أخفضت عيني نحو الأسفل.. خشية أن تصرخ الجملة من عيني : (لأنني أحبك أنت) !

التزمت الصمت ، و لم أرفع بصري إليه مجددا... فما كان منه إلا أن أقبل نحو الستارة ليغلقها

بعدها أغلقها حول سريري ، قال جملة أخيرة:

"مهما كان السبب ، ولأنك تحت رعايتي الآن ، فاحذني فكرة الزواج من رأسك نهائيا.. طوال السنين المقبلة"

~ ~ ~ ~ ~

[COLOR=dark blue]

الآن، و أخيرا..أصبحت رغد حرّة!

اتصلت بسامر و علمت منه بالتفاصيل، و الجملتان اللتان ظللتا معلقتين في رأسي كانت أولاهما:

"لا داعي لأن تأتي لزيارتي ، لا أريد أن أراها"

أما الثانية، فهي:

"تستطيع أن تتزوَّج الآن ممن أرادت "

"من تعني؟"

"اسألها" !

كل هذا أكد لي ، أن رغد بالفعل انفصلت عن سامر من أجل رجل آخر... و هذا الآخر لن يكون غير حسام، و أنا لن أكون وليد إن سمحت لها بالزواج من أي مخلوق على وجه الأرض.. فرغد من هذه اللحظة أصبحت لي ! نعم لي!  
و مهما كانت العقبات، و مهما عاندت الظروف، فسوف لن أسمح لأي رجل بدخول حياتها و سرقته مني مجددا.. و لن تكون في النهاية إلا لي أنا..

توالى الأيام، و رفع الحظر أخيرا عن المدينة الصناعية و صار بإمكان الناس التحرك منها و إليها دون خطورة .. و ما أن حدث ذلك ، حتى طالبتني رغد بأخذها إلى بيت خالتها و ألحّت علي بالطلب ، الأمر الذي جعل الشكوك في رأسي تكبر و تتفاقم و أصبحت مهووسا باسم حسام حتى صرت أراه في الكوابيس...

و بعد إلحاح شديد منها وافقت على اصطحابها لزيارة عائلة خالتها بمجرد انتهاء موسم الحصاد.

~ ~ ~ ~ ~

بعد أيام، سيأخذني وليد أخيرا لرؤية خالتي و نهلة و الجميع .. كم اشتقت إليهم ! كم من الشهور  
مضت مذ افترقنا في تلك الليلة الحمراء...

كنت رغم ذلك على اتصال شبه يومي بنهلة أخبرها عن كل شيء يدور من حولي و داخلي...

في أحد الأيام، كان وليد يعمل في المزرعة كالعادة، و كنت أراقبه و أرسم منظرا جميلا على مقربة منه،  
الشقاء كانت داخل المنزل مشغولة ببعض الأمور مع والدتها

فجأة ، إذا بي أرى أناس غرباء يدخلون المزرعة ، و يعبرون الممر و يقتربون مني!

كانوا أربعة رجال... تقدّم أحدهم نحوي أكثر و سأل:

"أنت الآنسة أروى نديم؟؟"

قال آخر مقاطعا:

"أرايت ؟ كما توقّعت ! إنها فتاة قاصر "

قال الرجل الأول و هو يقترب أكثر:

"أنت هي ؟"

تراجعت أنا للوراء، و ألقيت بالفرشاة و علبة الألوان جانبا و هتفت:

"وليد"

وليد كان يعمل بالجوار.. ، و حين سمع ندائي أقبل مسرعا .. فلما ظهر أمام عيني ركضت إليه في

ذعر...

"رغد .. ماذا هناك؟"

و نظر إلى الرجال الغرباء...

ثم سألهم:

"من أنتم؟؟"

قال الرجل الذي تحدّث إلي:

"أنا المحامي يونس المنذر، و هؤلاء رجال قانون أتباعي ، أتينا بحثا عن الأنسة أروى نديم"

و نظر باتجاهي أنا

اختبأت أنا خلف وليد، و أطلت برأسي لأراهم!

قال المتحدث:

"أهي هذه؟"

قال وليد:

"لا ، لكن هل لي أن أعرف ماذا تريدون منها؟"

قال المتحدث:

"أهي هنا ؟ أ هذه مزرعة المرحوم نديم وجيه؟"

"نعم . فماذا تريدون منها؟"

"عفوا من تكون يا سيد؟"

"وليد شاكر، زوج أروى نديم"

تبادل الرجال جميعهم النظرات ، ثم قال المتحدث:

"هل يمكننا التحدث إلى السيدة أروى ؟ فالأمر مهم"

قال وليد:

"هل لي أن أعرف .. الموضوع؟؟"

قال الرجل:

"الموضوع يتعلق بإرثها، و لكن لا أريد مناقشته دون حضورها شخصيا و مع البطاقة المدنية ، بعد  
إذنك"

وليد استدار ليتحدّث معي...

"رغد، من فضلك، استدعي أروى، و اطلبي منها إحضار بطاقتها ، و احضري بطاقتي من محفظتي  
، تجدينها في أول أدراج الخزانة في غرفتي"

أذعنت للأمر و ذهبت مسرعة نحو أروى ، و أخبرتها بالأمر، ثم أسرعت إلى غرفة وليد أفتش عن  
محفظته

استخرجت المحفظة من أحد أدراج الخزانة، و أخرجت البطاقة منها و أثناء ذلك ، لمحت شيئا  
داخل المحفظة أثار فضولي!

مجموعة من قصاصات الورق مرصوفة خلف بعضها البعض و مرسوسة خلف البطاقة!

بفضول سحبت واحدة منها فاكتشفت أنها جزء ممزق من صورة فوتوغرافية ما!

استخرجت القصاصة الثانية ، و الثالثة ، و الجميع ، حتى وجدت قطعة حاوية على وجه شخص!

رتبت القصاصات .. حتى اكتملت الصورة ، و صارت جليّة أمامي...

صورة لفتاة صغيرة، تجلس على الأرض، و أمامها علبة ألوان و دفتر تلوين تلّون رسومه ... صورة لا يقل عمرها عن ١٣ عاما كما لا يزيد عمر الطفلة الظاهرة فيها عن ٥ سنين!  
إنها صورتي أنا!!

"رغد"

سمعت صوت أروى مقبل نحوي فأعدت القصاصات بسرعة كيفما اتفق، و أخذت البطاقة و خرجت مسرعة من الغرفة...

"ها أنا"

خرجنا سووية من المنزل إلى المزرعة، فوجدنا وليد و الرجال الأربعة و قد جلسوا على المقاعد الموجودة حول طاولة موضوعة على مقربة من المنزل...

حينما أقبلنا.. وقف الجميع .. و قال وليد مشيرا إلى أروى:

"هذه هي أروى نديم وجيه"

و بعد أن استوثق الرجال من البطاقة ، قال ذلك الرجل نفسه:

"إذن فأنت لست فتاة قاصر كما اعتقدنا"

قالت أروى:

"أنا في الرابعة و العشرين من العمر" !

قال الرجل:

"هذا سيسهّل مهمّة استلامك للإرث"

أورى و وليد تبادلًا نظرة التعجب ، ثم قالت:

"الإرث ؟ أي إرث ؟ والدي رحمه الله لم يترك لنا غير هذه المزرعة" !

و أشارت بيدها إلى ما حولها...

الرجل تحدّث قائلاً:

"لا أتحدّث عن إرث والدك رحمه الله"

تعجبت أروى ، و سألت:

"من إذن؟؟"

قال الرجل:

"عمّك المرحوم عاطف وجيه"

حملقنا نحن الثلاثة في وجوه بعضنا البعض، في منتهى الدهشة والاستغراب ، و إن كنت أنا أقلهم  
استغراباً!

قال وليد:

"عاطف وجيه؟؟ أبو عمّار" !

أجاب الرجل:

"نعم أبو عمّار ، رحمهما الله"

وليد و أروى نظرا إلى بعضهما .. ثم إلى الرجل الغريب...

سألت أروى:

"عمي عاطف! عجبنا! لقد مات قبل عام! هل ذكرني في وصيته!؟"

الرجل قال:

"لم يترك المرحوم وصية، كما لم يترك وريثا، لكنه ترك ثروة!"

ازداد تحديق وليد و أروى في بعضهما البعض، ثم سألت أروى:

"ثروة؟"

قال الرجل:

"نعم، و لك منها نصيب كبير"

حلّ الصمت برهة، ثم قالت أروى:

"ما يصل إلى كم تقريبا؟"

قال الرجل بصوت تعمد أن يكون واضحا رنانا:

"ما يصل إلى الملايين يا سيدتي!"

فغرت أروى، و كذلك وليد و أنا.. كلنا فغرنا أفواهنا من الدهول ... و قالت أروى غير مصدقة:

"ملا...يين؟؟ تركها لي!!.."

قال الرجل:



"نعم ملايين" !

هزّت أروى رأسها غير مصدّقة... و هي تضع يدها على صدرها من الدهول...

قال الرجل:

" يبدو أنك لم تكوني على علمٍ يا سيّديتي.. بأن عمّك المرحوم عاطف وجيه كان مليونيرا فاحش الثراء  
!"

لقد كانت مفاجأة هزّت كياننا جميعا ...

عاطف وجيه ، هو والد عمّار القذر ، الذي قتلته بيدي قبل تسع سنين..

و عاطف هذا ، كان رجلا شديد الثراء و يملك العديد من الأملاك ... و من بينها مصنع كبير كان  
يضاهي معظم مصانع المدينة الساحلية ، و هو مصنع لم تلمسه يد الحرب ، كما فعلت بمصانع أخرى ،  
منها مصنع والدي السابق...

حقيقة ، كان حدثا مزلزلا شلّ حركتنا و أفكارنا طوال عدّة أيام...

و الفتاة الفقيرة التي ارتبطت بها ، و التي قبلت بي على حالي و عللي ، و فتحت قلبها و بيتها و  
كل ما لديها من أجلي ، و التي كنت أفكر بالانسحاب من حياتها من أجل رغد... أصبحت  
الآن.. مالكة لثروة كبيرة!

يا للأيام...

يا للزمن .. الذي يؤرّجحنا و مصائرنا إيابا و ذهابا... علوا و هبوطا... مستقبلا و ماضٍ!

كان يفترض عليها السفر إلى المدينة الساحلية من أجل إتمام الإجراءات اللازمة شخصيا.. و استلام  
نصيبها العظيم من تلك الثروة...

و كان علي أنا ترتيب الأمور من أجل هذه الرحلة ، إلى المدينة الساحلية ، مدينتي الأصلية ، و التي لم أزرها منذ زمن..

"هل تصدّق يا وليد ؟؟ إنني لا أكاد أصدّق ! كأنه حلم ! آخر شيء كنت أتوقعه في الوجود على الإطلاق.. هو أن أرت شيئا و من ثروة عمّي الذي لم أره في حياتي غير بضع مرّات عابرة" !

قالت ذلك ، و هي بين التصديق و التكذيب.. تشع عينها فرحا و ابتهاجا..

قلت:

" سبحان الله " !

أروى ، مدت يديها و أمسكت بيدي و قالت:

" شدّ على يديّ بقوة يا وليد ! دعني أحس بالألم لأتأكد من أنها حقيقة"

ابتسمت لها و قلت:

"إنها حقيقة مذهلة ! صدّقي يا أروى ! أصبحت ثرية" !

أروى نظرت إليّ بسعادة ، و اغرورقت عينها بالدمع ، ثم ارتمت في حضني...

"ضمّني بقوة يا وليد.. فأنا أريد أن أشعر بأنها الحقيقة.. بأنني لا أحلم.. بأنني في الواقع.. وبأنك معي  
!" !

أحطتها بذراعي مشجعا.. و مؤكدا لها ما أعجز أنا نفسي عن تصديقه... و مكررا:

" سبحان الله... سبحان الله "

أغمضت عيني ، و نحن متعانقان ، و سبحت في بحر الذكرى البعيدة... استعرض شريط حياتي و المفاجآت التي اختزنها القدر لي ، و صدمني بها مرة تلو أخرى...

قالت أروى:

"ماذا سنفعل الآن؟؟"

"لا أعرف ! لازلنا في أول الطريق " !

ابتعدت أروى عن صدري قليلا، و نظرت إلي مطولا، و ابتسمت و قالت:

"لا حاجة للقلق.. ما دمت معي"

ابتسمت لها، فعادت و غمرت رأسها في صدري بارتياح...

أما أنا فأغمضت عيني في ألم... و مرارة .. في حيرة و ضياع.. ماذا سأفعل الآن؟؟ ماذا ينتظرنني بعد؟؟  
ماذا تخبئين لي أيتها الأقدار؟؟

و عندما فتحتهما.. لمحت عيني حمرابين.. ملأتهما الدموع.. تنظران إلي بألم، مطلتين من فتحة الباب.. و ما أن رأيتهما.. حتى انسحبت صاحبتهما مبتعدة .. تاركة إياي في بحر من الضياع..

لم استطع البقاء مكاني لحظة بعد.. أبعدت أروى عني قليلا و قلت:

"دعيني أذهب لترتيب بعض الأمور.. من أجل السفر"

أروى ابتسمت و قالت:

"و أنا أيضا سأرتب بعض أموري... لا أدري كم سنغيب هناك " !

و تركتها و تسللت نحو غرفة رعد..

طرقت الباب مرارا لكنها لم تجبني، و حين هممت بالانصراف رأيت مقبض الباب يتحرك أخيرا...

في الداخل، وجدت رعد غارقة في الدموع المريرة.. فتصدع فؤادي و طار عقلي خوفا عليها...

" ما بك صغيرتي؟؟ ماذا حصل ؟"

رمتني رغد بنظرة ثاقبة .. لم يكفها تمزيق أحشائي بل و صهرت الجدار الذي خلفي من حدّتها...

" رغد !؟"

قالت:

"متى ستسافران؟"

قلت:

" خلال أيام معدودة"

قالت:

" هل يجب أن تذهب أنت؟"

استغربت سؤالها و أجبت:

" طبعاً ! فأروى ستكون بحاجة إلي بالتأكيد !"

قالت بنبرة حزينة:

" و أنا؟"

نظرت إليها بتعجب ، و قلت:

" بالطبع ستكونين معنا !"

رغد لم تعقب ، بل أحنت رأسها للأسفل بحزن...

اقتربت منها أكثر ، ثم قلت:

"رغد ! و هل تظنين أنني سأترك هنا و أذهب ؟؟"

رغد رفعت رأسها و نظرت إلي نظرة جعلت قواي تخور فجأة...

قلت بصوت ضعيف واهن:

"أرجوك يا رغد.. ماذا تقصدين ؟ أخبريني بلسانك فلغة العيون هذه .. ترسلني إلى الجنون"

قالت رغد:

"ستصبحان ثريين !"

ثم أضافت:

"هنيئاً لكما !"

و غطت وجهها بيديها كلتيهما و بكت بكاءً مؤلماً...

"أرجوك يا رغد، لم كل هذا ؟؟ ماذا يجول برأسك الآن ؟؟"

رغد قالت و هي على وضعها هذا:

"دعني وحدي"

لم أقبل ، قلت مصراً:

"ما بك الآن ؟ أخبريني أرجوك ؟؟"

أزاحت رغد يديها و رمقتني بنفس الناظرة ، و قالت:

"أريد الذهاب إلى خالتي ! هلاً أخذتني إلى هناك؟"

رتبنا الأمور للسفر برا ، أنا و رغد و أروى و الخالة ليندا ، فيما ظل العم إلياس في المزرعة، يهتم بأمرها بمساعدة الأشخاص الذين عينتهم أنا للعمل عندنا قبل مدة.

خطة سفرنا كانت تقتضي منا التعرّيج على المدينة الصناعية أولاً ، من أجل زيارة عائلة أم حسام، كما ترغب رغد و تلح، و من ثم الذهاب إلى المدينة الساحلية.

في السيارة، كانت أروى تجلس على المقعد المجاور لي، و كنا نتبادل الأحاديث معظم الوقت، بينما يخيم صمت غريب على المقعدين الخلفيين، رغد و الخالة!

الخالة سرعان ما غلبها النعاس فنامت، أما الصغيرة الحبيبية، فكلما ألقيت نظرة عبر المرآة إليها وجدتتها تحدّق بي بحدّة ! و كلما حاولت إشراكها في الحديث معنا ردت ردا مقتضبا سريعا ، باترا!

المشوار إلى المدينة الصناعية المنكوبة لم يكن طويلا، لكن الشارع كان خاليا من أية سيارات، الأمر الذي يثير الوجل في قلوب عابريه!

عبرنا على نفس محطة الوقود التي بتنا عندها تلك الليلة.. و نحن مشردون في العراء!

المحطة كانت مهجورة، و البقالة مقللة... المكان ساكن و هادىء ، لا يحركه شيء غير الريح الخفيفة تعبت بأشياء مرمية على الأرض...

كم كان يومنا مأساويا...

خففت السرعة، و جعلت أراقب ما حولي و أستعرض شريط الذكريات...لقد نجونا بأعجوبة !  
سبحان الله...

"وليد" ..

كان هذا صوت رغد، تناديني بوجل.. و كأن الذكرى أثارت في قلبها الفزع... التفت إليها فوجدتها تكاد تلتصق بمقعدي ! و علامات التوتر و الخوف مستعمرة تقاسيم وجهها الدائري...

قلت مشجعاً:

"نجونا.. بفضل الله" ..

و سبحنا في بحر عميق من الهدوء الموحش...

تابعنا طريقنا ، و الذكرى تجول في رأسينا... هنا مشينا حفاة.. هنا ركضنا... هنا وقفنا... هنا حملت رغد... هنا وقعت رغد ... هنا أصيبت رغد ! آه.. ما كان أفضح ذلك الجرح... !  
و هنا...

هنا...

ماذا تتوقعون هنا ؟؟

إنها سيارتي!

"وليد" !

نادتني رغد و هي ترى سيارتي القديمة واقفة إلى جانب الطريق ، مع سيارات أخرى في نفس المكان!

أوقفت السيارة ، و أخذت أتفرج على سيارتي القديمة هناك!

التفت إلى رغد فوجدتها تنظر إلي...

يا للأيام ! بل يا للشهور ! أما زالت سيارتي القديمة واقفة في انتظار عودتي في مكانها!

فتحت الباب و هممت بالنزول ، ناو الذهاب و تفحصها عن كثب!

"إلى أين وليد ؟؟"

سألني رغد ، قلت:

"سألقي نظرة" !

و قبل أن أخرج كانت رغد قد فتحت بابها و سبقتني!

وقفت إلى جانبها ، و قلت:

"سأتفحصها عن قرب" !

"سأتي معك"

و طبعا لا داعي لأن اعترض!

ذهبنا إلى السيارة و فتحت الأبواب الغير موصدة، و تفحصت ما بالداخل ... و رغد إلى جانبي..

"كما هي ! لم يتغير شيء ! أ رأيت يا رغد؟؟"

لم تعقب ، بل ظلت تتفحصها بعينيهما ، و ربما تستعيد الذكرى المرعبة..

ركبت مقعدي الأمامي ، فأسرعت هي لركوب المقعد المجاور... و أغلقت الباب.

"كما هي ! رغد .. أتصدّقين ذلك ! سبحان الله" !

رغد قالت:

"هيا بنا.. ننطلق للخلف، و نعود من حيث أتينا تلك الليلة، و نعود بالزمان للوراء، و ننسى ما حصل

انطلاقا من هذه النقطة" !

ابتسمت و قلت:



"يا ليت" ...

و تنهّدت و أضفت:

"يا ليتنا بعدما وصلنا إلى هذه النقطة ، رجعنا للوراء ، و رجع كل شيء كما كان" ...

و أسندت رأسي إلى مسند المقعد.. و أغمضت عيني...

لست أريد العودة للوراء بضعة أشهر، بل تسع سنين ، بل عشر... بل ١٥ ...  
إلى ذلك اليوم الذي اقتحمت فيه مخلوقة صغيرة حياتي فجأة ! و ملأتها صراخا ، و بكاء ، و دموعا..  
و ألما...

فتحت عيني و التفت إلى رغد، فوجدتها تنظر إلي بقلق ..

إنها هي ذاتها... المخلوقة التي غزت عالمي منذ سنين .. ذاتها التي تجلس قربي الآن ، لا يفصلني  
عنها سوى بضع بوصات...

تنظر إلي نظرتها للعالم بأسره، و أمثل بالنسبة لها كل الناس...

"رغد" ..

"نعم؟"

"كيف تشعرين الآن؟؟"

قالت:

"الآن الآن؟"

"نعم الآن !؟"

ابتسمت و قالت:

"بالسرور" !

عجبا ! أمر هذه الصغيرة كله محير!

بعد ذلك، أغلقت أبواب السيارة، و ودعناها على أمل العودة لها ذات يوم، و تابعنا مشوارنا نحو المدينة...

ما إن أطللنا على مشارفها، حتى رأينا الدمار و الخراب يعيش على شوارعها و أجوائها...

اضطرت لسلك طرق ملتوية و معقدة لأصل إلى قلبها...

المباني المتهدّمة ، الأشجار المحترقة، الشوارع المدمّرة، و الأشياء المبعثرة هنا و هناك ...

كلها ، مناظر تثير الرعب في قلب الصخر...

عبرنا أخيرا على الشارع المؤدي إلى منزلنا... و آه من ألم المنظر .. آه بعد ألف آه و آه...

بيتنا.. كتلة من الفحم الأسود... محاطة بطبقة من الرماد و الغبار...

تحول ذلك المنزل الصغير الهادئ، الحبيب .. إلى شبح ميت.. لا أثر فيه و لا معلم من معالم الحياة و الروح...

"يا إلهي" !

قالت رغد ذلك ، و وضعت يدها على وجهها لتحاشي رؤية المنظر المؤلم ...

و تخفي الدموع التي ساحت على الجانبين.. رثاء و عزاء...

لم أستطع أن أمر من هنا مرور الكرام ، أوقفت سيارتي عند الباب ، المكان الذي اعتدت أن أوقف

سيارتي فيه.. و نظرت من حولي...

شعرت باختناق شديد في صدري، و كأن الغبار و الرماد قد سدّت حويصلاتته ، و منعت جزيئات الهواء من الدخول...

مع ذلك، لم أتمالك منع نفسي من المضي قدما...

فتحت الباب، وقلت :

"سألقي نظرة "

و التفتت إلى رغد.. كانت لا تزال تخفي وجهها خلف يديها...

قلت:

" رغد.. أتأتين؟؟ "

أردتها أن تأتي معي.. شيء حي يتحرك معي في سكون ذلك الشبح الميت، أردت أن أشعر ببعض الحياة.. ببعض الأمان.. بأن هناك من لا زال حيا معي .. رغم موت من مات.. و فناء من فني...

أروى قالت:

" سأتي معك " !

رغد بسرعة أبعدت يديها عن وجهها و فتحت الباب!

خالتي الأخرى أيضا تبعتنا... و سرنا نحن الأربعة نحو الداخل...

الأبواب كانت مفتوحة، كما تركناها أنا و دانة ليلة هروبنا...

سرنا ندوس على الرماد، و نتنفس الغبار.. و رائحة الخراب و الوحشة... تقرصنا الذكريات و تصفعنا

المناظر المؤسفة، و تحني ظهورنا الحسرة على ما كان و ما لم يعد...

رغد أمسكت بيدي، و كلما سرنا خطوة شدت ضغطها علي.. و كلما رأَت شيئاً أغمضت عينيها بقوة و  
عصرت الدموع المتجمعة في محجريها...

حتى إذا ما بلغنا الردهة المؤدية إلى غرفة والديّ، حررت يدي من بين أصابعها، و هرولت نحو  
الباب و فتحته باندفاع...

"أمي... أبي..."

حينها فقط، أدركت كم كنت مجنوناً حين سمحت للفضول بالتغلب علي... و وقفت عند المنزل...

اقتحمت رغد الغرفة و هي تهتف

"أمي.. أبي..."

و انهارت على السرير، تحضن الوسائد و تبكي بحرارة و مرارة.. بكاءً عالياً صدّح الحجر... و أدمع  
الجدران.. و زلزل الأرض...

"أنا أنتظركما! لماذا لا تعودان؟ أي حج هذا الذي لا يعود الحجيج فيه من بيت الله!.. الله! يا  
الله.. أنت ترى بيتي الآن! أنت رب البيت و أنا لا بيت لي... و أنت رب الناس و أنا لا ناس لي  
! أتاك جميع الآباء و الأمهات.. و أنا لا أب لي و لا أم! يا رب.. لا أب لي و لا أم! يئمتني مرتين  
يا رب.. مرتين يا رب.. مرتين أفقد فيهما أعظم ما أعطيتني إياه.. بل أربع مرّات! أمان و أبان!  
أربع أيتام في بيت خرب محروق!"

كيف احتمل أنا.. و ليد.. كلاماً كهذا من رغد؟؟

انهرت باكياً معها بلا شعور... و أي شعور يبقى للمرء و هو يرى ما نراه...؟  
حسبنا الله و نعم الوكيل...

من وسادة إلى وسادة، و من زاوية إلى زاوية، و من شيء إلى شيء، أخذت صغيرتي تتنقل و هي تهتف

"أمي .. أبي"

تفتش حطام الخزائن، و تستخرج الخرق المحروقة المتبقية من ملابسهما و تحضنها و تقبلها و تصرخ .. و قلبي يصرخ معها .. و تتمزق، و قلبي يتمزق معها .. و تنهار و قلبي ينهار معها أيما انهيار...

"يكفي رغد .. بالله عليك، دعينا نرحل"

أبت رغد الحراك، بل زاد تشبثها حتى ببقايا الستائر.. و شبك النوافذ ..

أروى و الخالة بكتا لبكاء رغد، و وقفنا في الخارج في حزن و أسف على ما حلّ ببيتنا.. و بوالدينا ..

رغد ، أقبلت فجأة نحو الأدراج الموجودة أسفل المرآة.. و أخذت تفتح الواحدا تلو الآخر... و تستخرج أشياء أمي ، ما تبقى منها و تضم ما تضم، و تقبل ما تقبل ، و تضع في حقيبتها ما تضع ..

"هنا كانت أمي تجلس كل يوم تسرح شعرها" !

"وليد انظر ! هذا سوار أمي المفضل" !

"وليد هل تعتقد أنها قد تغضب إن احتفظت به ؟!"

"أريد أن آخذ هذا معي ! ، و هذا .. و هذا و هذا و هذا" !

"وليد ..لا أريد أن أخرج من هنا ! ليتني كنت هنا و احترقت قبل رحيلهما"

و مرة أخرى أسمعها تدعو على نفسها بالموت.. هتفت متوسلا:

"يكفي يا رغد ، هيا نغادر المكان أرجوك فلم أعد أحتمل المزيد"

اقتربت منها و أمسكت بذراعها و أرغمتها على الخروج من الغرفة، رغم مقاومتها..

كانت رغد تبكي بكاء شديدا ، و استمرت في نوبتها هذه و نحن واقفان عند الباب، لا توافق على

التزحزح عنه خطوة بعد ...

"رغد .. صغيرتي" ...

ناديتها بأعس صوت صدر من حنجرتي الكئيبة...على الإطلاق..

نظرت إلي و قالت بأسى:

"من بقي لي بعدهما؟ من بقي لي؟"

قلت:

"أنا يا رغد .. لك و معك دائما..أنا يا رغد.. أنا" ...

رغد نظرت إلي نظرة حزينة قاتلة، و فكها الأسفل يرتجف من البكاء.. و الدموع تقطر منه ...

"رغد" ...

"وليد ... ضمّني"

وقفت كالأبله ، لا أفهم و لا أفكر و لا أتصرف!

قالت و فكها لا يزال ترتجف:

"ضمّني .. ألت أبي و أمي الآن؟ ألت من بقي لي؟"

لحظتها.. تمنيت لو أتحوّل إلى جدار ، يكون أكثر نفعا مني .. كأى جدار عانقته و تشبثت به.. كأى جدار ربما، و مع كونه جمادا لا روح فيه و لا حياة، أشعرها بالدفء و العطف و الأمان...أما أنا.. و أنا واقف أمامها كالشبح الميت، الغير مجدي .. فلم يكن مني إلا أن أحنيت رأسي للأمام في عجز عن فعل شيء أكثر أهمية و حرارة و نفعا من الجدران...

لن أسامح نفسي ما حييت، على خذلاني لصغيرتي في لحظة كهذه...

بعد ذلك ، و رغم أنني كنت مصرا على المغادرة فورا، إلا أن رغد كانت مصرة على دخول غرفتها و تفقد أشياءها...

السريبر كان محروقا، و لا زلت أشكر الله ألف مرة لأن رغد ليلتها كانت نائمة في بيت خالتها..  
ألف حمد لك يا رب..

الأثاث، في موضعه السابق، لكنه مكتس باللون الأسود المتفحم.. و مغطى بذرات الرماد و فتات المحروقات...

لم أشأ دخول الغرفة، و قفت عن الباب أراقب رغد و هي تتحسس أشياءها المحروقة... حتى إذا ما انتهت إلى مجموعة لوحاتها الكبيرة ، جعلت تتفقدتها بسرعة و وله ، و تهتف بألم:

"لا ، لا .. لا" ...

ثم نظرت إلي و قالت بين دموعها:

"وليد .. لقد احترقت !" !

و أخذت تحضن الرماد ..و البقايا... أخيرا قررت الدخول، و حين صرت قريبا مباشرة قالت و هي تنثر الرماد من حولها:

"أنظر.. لقد احترقت حتى الصورة ! لماذا ؟ يا إلهي ماذا تبقى لي ؟ ماذا تبقى لي ؟؟"

"دعونا نغادر المكان و نختصر الألم أرجوكم"

كان ذلك صوت أروى التي كانت واقفة عند الباب.. قالت رغد

"ارحلوا و اتركوني.. أريد الموت هنا.. آه يا رب.. لماذا عشت أنا و ماتا هما ؟ حتى الصورة احترقت  
! ماذا تبقى لي ؟؟"

أروى تقدمت نحونا و أمسكت بيد رغد محاولة مواساتها و تشجيعها، إلا أن رغد نهرتها بقوة، و رمتها ببعض الكلمات الجارحة، ربما من شدة حزنها...

و لم تسمح لنا رغد بمغادرة المنزل حتى تفقدته غرفة غرفة و ممرا ممرا و زاوية زاوية ... حتى المطبخ جلست فيه فترة طويلة تستعيد الذكرى و تقلب المواجه ، و تكرر

" هنا كانت أمي تطهو الطعام ، و هنا كان أبي يدوّن ملاحظاته في المفكرة ! ، و هناك كانت دانة تزين كعكاتها بالشيكولا ! ... و سامر يقف هناك، يتحدث عبر الهاتف، و عند هذه الطاولة كنت أنا أجلس لأقشر البطاطا !

ليت ذلك يعود...

و لو يوما واحدا فقط..

أعيش فيه وسط عائلتي .. بين أمي و أبي، و أختي و أخي.. يوما واحدا فقط.. عسى أن يكون آخر أيام حياتي " ...

بل إن هذا سيكون آخر أيام حياتي أنا، ما لم تتوقفي عن ذلك يا رغد ... ارحميني...

حملت رغد معها تذكارا من كل مكان و عن كل شخص.. حتى سامر... كما أخذت حليها و حلي دانة، بل و ما بقي من فستان زفافها المحروق أيضا!

" سأعطيه لأختي حين تعود ! كانت مهووسة به .. و تعتبره كنزها الثمين ! مسكينة يا دانة "

خرجنا من ذلك الحطام الكئيب بعدما أغرقناه بالدموع و ملأناه بالألم... إن كنت، الشخص الذي لم يعيش في هذا المنزل فترة طويلة، و لم يحمل معه سوى القليل من الذكريات، و أنا أكاد أنصهر من حرارة ما بداخلي، فكيف برغد...؟؟

ابتعدنا عنه و قلوبنا معلقة عنده، و أنظارنا متشبثة به حتى اللحظة الأخيرة... و أخذنا معنا ما غلا مما نجا، و ما نجا مما غلا

لم تتوقف سيل الدموع حتى بعدما وصلنا إلى منزل أبي حسام، و كان الآخر محترقا ، إلا انه أحسن



حالا من بيتنا المدمر...

حين قرعنا الباب، فُتح و ظهر من خلفه أفراد العائلة أجمعون، و الذين كانوا في انتظارنا منذ ساعات...

ما إن رأَت رغد خالتها حتى صرخت.. و انهارت في حضنها بحرارة...

اللقاء كان من أقسى اللقاءات التي مررت بها في حياتي.. لا يضاھيه أي لقاء، عدا لقاھي بأھلي بعد خروجي من السجن، مع فارق ضخم، هو أنه لا أهل أمامي لأعود إليهم و أعانقهم و أبكي فوق صدورهم...

استهلكنا كمية كبيرة من الدموع حتى أوشكنا على الجفاف، صعدت رغد بعد ذلك مع ابنة خالتها إلى الطابق العلوي، و ذهبت النساء إلى غرفة أخرى، و بقينا نحن الرجال في غرفة المعيشة نقلب الأحزان و نتجرع الآهات و نتبادل التعازي...

حينما حل الظلام، أردت أخذ عائلتي إلى فندق لقضاء الليلة قبل متابعة السير غدا، مع أنني لست واثقا من العثور على مكان مناسب، و طلبت من حسام استدعاء الثلاث...

ذهب حسام و عاد بعد قليل مع أمه و أروى و أمها، فسألت عن رغد، فأخبرتني أم حسام أنها أرسلت ابنتها الصغرى لاستدعائها...

لحظات و إذا بالفتاة الصغيرة ( سارة ) تأتي نحونا و تقول:

"تقول رغد إنها ستبقى معنا و لن ترحل مع وليد و خطيبته الشقراء الدخيلة و أمها" !

تبادلنا جميعا النظرات المتعجبة، و حملتنا في الفتاة الصغيرة ... ثم سألتها أمها:

"سارة ! هل هذا ما قالته؟؟ و هل طلبت منك نقل هذا إلينا؟؟"

و هنا أقبلت الأنسة نهلة، و نظرت إلى أختها بغضب، ثم إلينا أنا و أروى و قالت:

"رغد ستبات معي الليلة"

شعرت بالضيق الشديد من ذلك، فقلت:

"أين هي؟ أود أن نتحدث معها فهلاً استدعيته؟"

قالت:

"إنها لا تريد الخروج الآن..."

ضقت أكثر وقلت:

"أرجوك آنستي، هلا استدعيته؟"

و ما كدت أنهي الجملة حتى طارت الصغيرة سارة لاستدعائها!

ثوان و إذا بها تعود قائلة:

"لن تذهب معك! ارحل و اتركها و شأنها"

هتفت الآنسة نهلة:

"سارة! تبا لك! لا تتدخلني أنت و ابقني في مكانك"

قلت:

"هل أخبرتها بأنني أريد التحدث معها؟؟"

موجهة الخطاب إلى الفتاة الصغيرة، فابتسمت الأخيرة و قالت:

"نعم! و قالت إنها لا تريد التحدث معك، و إن علي إخبارك بأنها لن تذهب معكم فارحلوا!"

أم حسام ذهبت الآن إلى غرفة ابنتها و عادت بعد قليل قائلة:

"دعها تنام هنا الليلة ، إنها في حالة سيئة "

و عبارة ( حالة سيئة ) أزعجتني و أقلقنتني أكثر...

"أرجوك يا سيدتي ، استدعيها لأتحدّث معها الآن"

و ما إن أنهيت جملتي هذه حتى رأيت رغد تظهر أمامي ، ثم تقول:

"سأبقى هنا في بيت خالتي ! لن أرحل معكم"

اجتاحني الهلع ، فقلت:

"تعنين الليلة؟"

قالت:

"بل كل ليلة ، سوف أعيش هنا بقية عمري"

نظرت إليها، و إلى جميع من حولي في عدم تصديق .. ثم سألتها:

"ماذا تعنين يا رغد؟ لا يمكنك ذلك!"

قالت بصوت متحدٍ:

"بلى ، يمكنني"

"رغد ! مستحيل!"

قالت بتحد أكبر:

"بلى يا وليد، سأبقى أنا مع عائلتي الحقيقية، و ارحل أنت مع عائلتك الجديدة.. و في أمان الله"

الحلقة الرابعة والثلاثون

\*\*\*\*\*

لأنني كنت أريد أن أبتعد عنه، و عن أروى التي تقترب منه أكثر يوماً بعد يوم، و لأنني أصبحت بإحباط شديد بعد نزول الثروة المفاجئة على أروى، و تعلقها أكثر و أكثر بوليد، رفضت متابعة سفري معه...

لم أعد أحتمل المزيد، إن الذي ينبض بداخلي هو قلب و ليس محرك سيارات! لا أحتمل رؤية أروى معه، أختنق كلما أبصرتها عيني، أريدها أن تتحول إلى خريشة مرسومة بقلم الرصاص، حتى أمحوها من الوجود تماماً بممحاة فتّاقة!

وليد، و أروى و أمها، و أفراد عائلة خالتي، كانوا جميعاً يقفون ناظرين إلي، و أنا أكرر:

"سأبقى هنا بقية عمري"

وليد وقف أولاً صامتا، ذلك الصمت الذي يستلزمه استيعاب الأمور، ثم قال:

"مستحيل" !

نشبت مشادة فيما بيننا، وتدخلت خالتي، و حسام و نهلة، واقفين إلى صفي، يطلبون من وليد تركي معهم..إلا أن وليد قال بغضب:

"هيا يا رغد فأنا متعب ما يكفي و أريد أن أرتاح"

بدأت العبرات تتناثر من مقلتي على مرأى من الجميع، و رقت قلوب أقاربي لي، و ساورتهم الشكوك بأنني غير مرتاحة مع، أو لا ألقى معاملة حسنة من قبل وليد!

قالت خالتي:

"دعها تبات عندنا الليلة على الأقل، و غدا نناقش الأمر"

قال وليد:

"رجاءً يا خالتي أم حسام، إنه أمر مفروغ منه"

قالت خالتي:

"و لكنها تريد البقاء هنا ! هل ستأخذها قهرا؟"

قال وليد:

"نعم إذا لزم الأمر"

و هي جملة رنت في الأجواء و أخرست الجميع، و أفلقتهم!

حتى أنا، ( ابتلعت ) دموعي و حملقت فيه بدهشة منها!

يأخذني معه رغما عني؟ يمسك بي قهرا و يشدني بالقوة، أو يحملني على ذراعيه عنوة، و يحبسني في السيارة!

تبدو فكرة مضحكة ! و مثيرة أيضا!  
و لكن يا لسخافتي ! كيف تتسلل فكرة غبية كهذه إلى رأسي في لحظة كهذه!

حسام قال منفعلا:

"ماذا تعني؟؟كيف تجرؤ!؟"

رمقه وليد بنظرة غاضبة و قال بحدة:

"لا تتدخل أنت"

قال حسام مستاء:

"كيف لا ؟ أ نسيت أنها ابنة خالتي ؟ نحن أولى برعايتها منك فأمي لا تزال حية أطال الله في عمرها  
"

تدخل أبو حسام قائلا:

"ليس هذا وقت التحدّث بهذا الشأن"

التفت إليه حسام و قال:

"بلى يا والدي، كان يجب أن تحضر إلى هنا منذ شهور ، لولا الحظر الذي أعاق تحركنا"

وليد تحدّث بنفاذ صبر قائلا:

"هل تعتقد أنني سأقبل بهذا؟"

حسام قال حانقا:

"ليست مسألة تقبل أم لا تقبل ! هذا ما يجب أن يحدث شدت أم أبيت، كما و أنها رغبة رغد"

و التفتت إلي، طالبا التأييد، كما التفتت إلي وليد و الجميع!  
قلت بتحد:

"نعم، أريد العيش هنا مع خالتي"

وجه وليد تحوّل إلى كتلة من النار... الأوداج التي تجانب عنقه و جبينه انتفخت لحد يخيل للمرء  
إنها على وشك الانفجار!  
عيناه تقذفان حمما بركانية حامية!  
رباه!

كم هو مرعب ! يكاد شعر رأسي يخترق حجابي و يشع من رأسي كالشمس السوداء!

قال:

"و أنا، لن أبعد عن هذا المكان خطوة واحدة إلا و أنت معي"

في لحظة حاسمة مرعبة هذه، يتسلل تعليق غبي من ابنة خالتي الصغرى، حين تقول:

"إذن .. نم معنا " !

جميعنا نظرنا إلى سارة نظرة مستهجنة، تلتها نظرة تفكير، تلتها نظرة استحسان!  
قال خالتي:

"تبدو فكرة جيّدة ! لم لا تقضون هذه الليلة معنا؟"

وليد اعترض مباشرة، و كذلك أروى ... و بعد نقاش قصير، نظر إلي وليد و قال:

"لهذه الليلة فقط"

معلنا بذلك موافقته على المبيت في بيت خالتي، و إصراره على عدم الخروج من الباب إلا و أنا معه!

يا لهذا الوليد ! من يظن نفسه؟؟ أبي؟ أمي؟ خطيبي؟؟

لو كان كذلك، ما تركني تائهة وسط دموعي في بيتنا المحروق، بحاجة لحضن يضمني و يد تربت على كتفي، و وقف كالجبل الجليدي، يتفجّر علي...

أخرجت لنهلة كل ما كبته في صدري طوال تلك الشهور...حتى أثقلت صدرها و رأسها، و نامت و تركتني أخاطب نفسي!

كذلك نام الجميع، و مضى الوقت... و أنا في عجز كلي عن النوم، و وليد يلعب فوق جفني، لذا نهضت عن السرير، و ذهبت إلى الطابق السفلي، بحثا عن وليد! كنت أدرك أنني لن أتمكن من النوم و لن يهدأ لي بال حتى أراه...

لمحته جالسا في نفس المكان الذي كان يجلس فيه أثناء ( شجارنا ) و كان يبدو غارقا في التفكير العميق...

انسحبت بحذر، إذ إنني لم أكن أريد الظهور أمامه.. فظهري سيفتح باب للمشادة! لكنني، بعدما رأيته، أستطيع أن أنام قريرة العين!  
(نوما هنيئا..يا وليد قلبي )!

جملة أكررها كل ليلة قبيل نومي، مخاطبة بها صورة وليد المحفورة في جفني... و التي أعجز عن محوها و لو اقتلعت جفني من جذورهما...

وافقت كارها على قضاء الليلة في بيت أبي حسام، و لم أنم غير ساعتين، لأن أفكارني كانت تعيث بدماغي طوال الوقت.

ماذا إن قررت صغيرتي البقاء هنا ؟

أتعتقد هي أنني سأسمح بهذا؟؟

مطلقا يا رغد مطلقا .. و إن كان آخر عمل في حياتي، فأنا لن أدعك تبتعدين عني... ما كدت أصدّق، أنكِ تحررتِ من أخي... الطيور.. يجب أن تعود إلى أعشاشها... مهما ابتعدت، و مهما حلقت...

مهما حدث و مهما يحدث يا رغد.. أنتِ فتاتي أنا...



تناولنا فطورنا في وقت متأخر، الرجال في مكان و النساء في مكان آخر... و حين فرغنا منه ، طلبت أم حسام أن تتحدّث معي حديثا مطوّلا ، فجلسنا أنا و هي ، و ابنتها الصغيرة في غرفة المجلس... و كنت أعلم مسبقا عن أي شيء سيدور الحديث!

"وليد يا بني.. إن ما مرّت به رعد لهي تجربة عنيفة، احترق بيتها، و تشردت ، ثم مات والداها، ثم انفصلت عن خطيبها، و عاشت في مكان غريب مع أناس غرباء ! هذا كثير على فتاة صغيرة يا بني !"

التزمت الصمت في انتظار التتمة

"إنه لمن الخطأ جعلها تستمر في العيش هناك ، إنها بحاجة إلى رعاية (أمومية و أبوية)..(لذلك يجب أن تبقى معنا"

هزت رأسي اعتراضا مباشرة... فقالت أم حسام:

"لم لا؟"

"لا يمكنني تركها هنا"

"و لكن لماذا ؟ إنه المكان الطبيعي الذي يجب أن تكون فيه بعدما فقدت والديك ، مع خالتها و عائلة خالتها، التي تربت بينهم منذ طفولتها"

قلت مستنكرا:

"لا يمكن ذلك يا أم حسام، الموضوع منته"

استاءت أم حسام و قالت:

"لماذا ؟ أترى تصرّفك حكيمًا ؟؟ تعيش معك أنت، ابن عمّها الغريب، و زوجته و أمها الأجنبيتين، و تترك خالتها و ابنتي خالتها !؟"

وقفت من شدة الانزعاج من كلامها ... كيف تصفني بالغريب؟؟

"أنا ابن عمّها و لست بالرجل الغريب"

"و ابن عمّها ماذا يعني ؟ لو كان سامر لكان الأمر مختلفا .. بل إنه حتى مع سامر لا يمكنها العيش بعدما انفصلا . أنت لست محرما لها يا وليد"

استفزّتني الجملة ، فقلت بغضب:

"و لا حسام و لا أباه !"

أم حسام ابتسمت ابتسامة خفيفة و هي تقول:

"لكنني هنا !"

"و إن ؟ ... أروى و أمها أيضا هناك"

"لا مجال للمقارنة ! إنهما شخصان غريبان ، و أنا خالة رغد ، يعني أمها"

قلت بنفاذ صبر:

"لكنك لست ( المحرم ) هنا ! لن يغيّر وجودك و ابنتيك شيئا !"

أم حسا صمتت برهة ثم قالت:

"إن كانت المشكلة في ذلك ، فحلّها موجود ، و إن كان سابقا لأوانه"

الجملة دقّت نواقيس الخطر في رأسي ، فقلت بحذر و ببطء:

"ماذا ... تقصدين؟"

أم حسام قالت:

"كان يحلم بالزواج منها منذ سنين، فإن هي وافقت على ذلك، أصبح حسام و رغد زوجين يعيشان معا في بيت واحد" !

كنت أتوقع أن تقول ذلك ، و أخشاه.. اضطربت و تبدّلت تعبيرات وجهي ، و استدرت فورا مغادرا الغرفة

حين بلغت الباب سمعتها تناديني:

"وليد ! إلى أين ! ؟"

استدرت إليها و النار مشتعلة من عيني و صدري، لم أكن أريد أن أفقد أعصابي لحظتها و أمام أم حسام.. لكنني صرخت:

"سأخذها و نغادر فورا"

و تابعت طريقي دون الاستجابة إلى نداءاتها من خلفي

و من أمامي، رأيت حسام، واقفا على مقربة، ينتظر نتاج اللقاء الودي بيني و بين أمه

لما رأني في حال يوحى للناظر بشدة انفعالي، و رأى أمه مقبلة من بعدي تناديني ، سأل بقلق:

"ماذا حصل ؟"

لم يجب أينا، الجواب الذي كان بحوزتي لحظتها هي لكمة عنيفة توشك على الانطلاق من يدي رغما عني، كبتها عنوة حتى لا أزيد الموقف سوءاً

التفت الآن إلى الصغيرة سارة و طلبت منها استدعاء رغد و أروى و الخالة ليندا

"اخبريهن بأننا سنغادر الآن"

و ركضت الفتاة إلى حيث كنّ يجلسن .. في إحدى الغرف.

أم حسام قالت:

"وليد ! يهديك الله يا بني ، ما أنت فاعل ؟"

أجبت بحنق:

"راحل مع عائلتي ، و شكرا لكم على استضافتنا و جزيتم خيرا"

حسام خاطب أمّه:

"هل أخبرته ؟"

أجابت:

"نعم ، و لكن " ...

و نظرت إلي، فحذا هو حذوها ، و قال:

"هل أخبرتك أمي عني و عن رغد ؟"

اكتفيت هذه المرّة بنظرة حادة فقأت بها عينيه...

بدا مترددا، لكنه قال:

"منذ زمن كنت أفكرّ في " ...

و هذه المرّة صرخت في وجهه بشدّة:

"لا تفكرّ في شيء و ابق حيث أنت "

الاثنان تبادلًا النظرات المتعجّبة ... و المستنكرة

ثم نطق حسام:

" و لتبقي رغد معي أيضا، فأنا أرغب في الزواج منها بأسرع ما يمكن، و بما أنك هنا.. يمكننا أن " ...

و في هذه المرة، و بأسرع ما يمكن ، و بعد انفلات أعصابي تماما، تفجرت اللكمة الدفينة في يدي،  
نحو وجه حسام ، بعنف و قسوة...

ربما الصدمة مما فعلته فاجأت حسام أكثر من الضربة نفسها، فوقف متسمرًا محمقًا في دهشة و  
ذهول!

كنت لا أزال أشعر بشحنة في يدي بحاجة إلى التفريغ ! و ليتني أفرغتها فورًا في أي شيء.. حسام،  
الجدار، الأرض ، الشجر، الحجر ، الحديد ... أي شيء.. و لا أن أكبتها لذلك الوقت... ..

عادت سارة، و معها أروى و أمها

نقلت نظري بين الثلاث و لم أكد أسأل ، إذ أن الصغيرة قالت:

"رغد تقول : ارحلوا ، فهي لن تأتي معكم أبدا" !

تحدّثت أروى الآن قائلة:

"إنها مصرّة على البقاء هنا و اعتقد، أنها تشعر بالراحة و السعادة مع خالتها و ابنتيها" !

و استدارت إلى أمها متممة:

"أليس كذلك أمي؟"

قالت خالتي ليندا:

"بلى، مسكينة ، لقد مرّت بظروف صعبة جدا، لم لا تتركها هنا لبعض الوقت يا وليد؟"

عند هذا الحد، وثار البركان...

الجميع من حولي يقفون إلى صفها ضدي، الكل يطلب مني ترك رغد هنا.. و يرى أنه التصرف السليم، وقد يكون كذلك، وقد يصدر من إنسان عاقل، أما أنا.. في هذه اللحظة فمجنون، و حين يتعلق الأمر برغد فأنا أجن المجانين...

سألت الصغيرة سارة:

"أين هي؟"

أشارت إلى الغرفة التي كانت النساء يجلسن فيها

قلت:

"أ أستطيع الدخول؟"

ف نظرت إلي الصغيرة سارة ببلاهة، أشحت بأنظاري عنها و نظرت إلى أروى محوِّلا السؤال إليها، و كررت:

"أ أستطيع الدخول؟"

قالت أروى:

"أجل..."

و سرتُ نحو الغرفة، و أنا أنادى بصوت عال مسموع:

"رغد... رغد"

حتى أنبهها و ابنة خالتها إلى قدومي..

طرقت الباب، ثم فتحته بنفسي، و أنا مستمر في النداء...

الجميع تبعني ، و رموني بنظرات مختلفة المعاني ، لا تهمني ، كما لا يهمكم سردها هنا  
وجدت صغيرتي واقفة و إلى جانبها ابنة خالتها ، و على وجهيهما بدا التوتر و القلق...

قلت :

" رغد ، هيا بنا " ...

هزّت رأسها اعتراضا و ممانعة ، فقلت بصوت جعلته أكثر حدّة و خشونة:

" رغد ، هيا بنا ، سنرحل فوراً "

رغد تكلمت قائلة :

" لن أرحل معكم ، اذهبوا و اتركوني و شأني "

رفعت صوتي أكثر و قلت بلهجة الإنذار الأخير:

" رغد ، أقول هيا بنا ، لأنه حان وقت الرحيل ، و أنا لن أخرج من هنا إلا و أنت معي "

قالت رغد بتحدٍ :

" لن أذهب " !

في هذه اللحظة ، استخدمت بقايا الشحنة المكبوتة في يدي .. التي حدّثتكم عنها .. على حبيبة قلبي ،  
رغد

أسرعت نحوها ، و أمسكت بذراعها بعنف ، و شددتها رغما عنها و أجبرتها على السير معي نحو  
الباب ...

من حولي كان الجميع يهتف و يستنكر و يعترض ، و لكنني أبعدتُ كل من حاول اعتراض طريقي  
بعنف ، و دفعت حسام دفعة قوية صفعته بالجدار

أم حسام حاولت استيقافي و صرخت في وجهي ، و مدّت رغد ذراعها الأخرى و تشبّثت بخالتها ، و  
بابنة خالتها ، و بكل شيء... إلا أنني سحبتها من بين أيديهم بقسوة

أروى و أمها حاولتا ثنبي عما أقدمت عليه فكان نصيبها زجرة قوية مرعبة فجرتها في وجهيهما كالقنبلة...

نحو المخرج سرت و لحق بي حسام و البقية من بعده فأذرته:

"عن طريقي ابتعد لأنني لا أريد أن تصيبك كسور أنت في غنى عنها"

"من تظن نفسك؟! اترك ابنة خالتي و إلا" ..

استخرجت المفتاح من جيبي و فتحت باب السيارة المجاور لمقعد السائق، و دفعت رغد عنوة إلى الداخل، و أقفلته من بعدها.

و الآن.. عليّ أن ألقن حسام درسا، ليعرف جزاء من يتجرأ على خطبة حبيبتي مني...

كنت أنوي إيساعه ضربا، إلا أن تدخّل من حولي جعلني أكتفي ببعض اللكمات التي لا تسمن و لا تغني من جوع، و لا تخمد بركانا جنونيا ثار في داخلي بلا هوادة. وسط المعمة و البلبلة و الصراخ و الهتاف، و استغاثة رغد و ضرباتها المتتالية لنافذة السيارة، و الفوضى التي عمّت الأجواء، التفت أنا إلى أروى و الخالة ليندا و هتفت بقوة:

"ماذا تنتظران؟ هيا إلى السيارة"

و توجّهت إليها باندفاع، فركبتها و فتحت الأقفال لتركب الاثنتان، و أوصدها مجددا، و أنطلقت بسرعة...

قطعنا مسافة طويلة، و نحن في صمت يشوبه صوت محرّك السيارة، و صوت الهواء المتدفق من فتحة نافذتي الضيقة، و صوت بكاء رغد المتواصل...

لم يتجرأ أحد على النطق بكلمة واحدة... فقد كنا جميعا في ذهول مما حصل..

لم أتخيّل نفسي... أقسو على صغيرتي بهذا الشكل..ولكن .. جن جنوني لفكرة أنها باقية مع حسام، أو صائرة إليه...



و إن كان آخر عمل في حياتي ، فأنا لن أسمح لأحد بأخذ رغد مّني مهما كان.. و مهما كانت الظروف..  
و مصيرك يا رغد لي أنا...

"أما اكنفيتِ بكاءً ؟ هيا توقّفي فلا جدوى من هذر الدموع " ...

قلت ذلك بأسلوب جاف ، جعل أروى تمد يدها من خلفي ، و تلامس كتفي قاصدة أن أصمت و أدع  
رغد و شأنها...

صمتّ فترة لا بأس بها، بعدها فقدت أي قدرة لي على التركيز في القيادة، و أنا أرى رغد مستمرة في  
البكاء إلى جانبي...

أوقفت السيارة على جانب الطريق ، و التفت إليها...

كانت تسند رأسها إلى النافذة، في وضع تخشع له قلوب الجبابرة.. فكيف بقلب وليد؟؟

"صغيرتي " ...

ألقت علي نظرة إحباط و خيبة أمل أوشكت معها أن أستدير و أعود أدراجي و أوصلها إلى بيت خالتها  
...إلا أنني تمالكت نفسي...

"رغد ... أنا آسف " ...

لم تعر جملتي أية أهمية، و ظلت على ما كانت عليه...

"أرجوك يا رغد.. قدّري موقفي، لا أستطيع تركك في مدينة و أسافر أنا إلى أخرى ! إنك تحت  
مسؤوليتي و لا يمكنني الابتعاد عنك ليلة واحدة"

لم أر منها أي تجاوب، مددت يدي بعد تردد و أمسكتُ بيدها ، فسحبت يدها بقوة و غضب:

"اتركني " ...

قلت:

"لا أستطيع أن أتركك في أي مكان" ...

رغد أجابت بانفعال:

"و أنا لا أريد الذهاب معك ! أهو جبر ؟ أهو تسلط ؟ لا أريد السفر معك ... أعدني إلى خالتي ..  
أعدني إلى خالتي" ..

و أجهشت بكاء قويا...

قلت أنا:

"سنعود لزيارتها حين ننهي مهمتنا ، و سنبقى هناك القدر الذي تريدين"

صرخت رغد:

"أريد العيش معهم مدى الحياة ! ألا تفهم ذلك؟"

اشتت غضبي من هذه الجملة ، فأمسكت بيدها مجددا و شددت قبضتي عليها و قلت بحدة و أنا أضغط  
على أسناني كأني أمزق حقيقة أكرهها بين نابي :

"لن أدع لك الفرصة لتحقيق ما يدور برأسك .. و أقسم يا رغد.. أقسم بأنه ستمضي سنون خمس على  
الأقل ، قبل أن أسمح لأي رجل بالزواج منك .. و إن كان ابن خالتك يطمع بك ، فلينتظر هو بالذات  
عشر سنوات حتى أسمح له بطرح الفكرة ، و إن تجرأ على إعادة عرضه ثانية قبل ذلك .. فوالذي لم  
يخلق في داخلي قلبين اثنين ، لأقننه درسا يُنسيه حروف اسمه ... و دون ذلك ، لن يبعدك شيء عني  
غير الموت .. الموت و الموت فقط"

لم أدرك تماما خطورة ما تفوهت به ، إلا بعد أن رأيت رغد تحملق بي بذهول شديد ، و قد تبخّرت  
الدموع التي كانت تجري على وجنتيها.. و ألجم حديثي لسانها و منعها حتى عن التأوّه من شدة  
قبضي على يدها...

ربما أكون قد كسرت أحد عظامها أو حرّكت أحد مفاصلها .. لقد كنت أضغط بقوة شديدة... أصابت

عضلات يدي أنا بالإعياء...

سكون تام خيم علينا، ما عاد هناك صوت للمحرك، ولا للهواء، ولا لرغد، ولا لأي شيء آخر..  
حررت يد رغد من قبضتي، فرأيتها محمّرة.. وبالتأكيد مؤلمة...  
إلا أن رغد لم يظهر عليها الألم، ولم تسحب يدها بعيدا عني، كما لم ترفع عينيها المذهولتين عن  
عيني...

~~~~~

طوال الأشهر الماضية، كنت أنظر إلى خطيبي وليد نظرة إعجاب شديد، أكاد معها أجزم بأنه أفضل
رجل على وجه الأرض، ولا أرى منه أو فيه أي عيب أو نقص...
و كانت جميع خصاله و طباعه تعجبني، و سلوكه و تصرفاته كلها مثار إنبهاري..
وفي هذا اليوم، رأيت شيئا أذهلني و فاجأني ...
لم أتصوّر أن يكون وليد بهذا التسلّط أو هذه القسوة ! لم أتوقع أن يصدر منه أي تصرف وحشي.. كنت
أراه إنسانا هادئ الطباع و مسالما... و عظيم الخلق...

الطريقة التي سحب بها رغد رغما عنها، و الطريقة التي زجرنا بها حين حاولنا ثنيه عما كان مقبلا
عليه، و الطريقة التي لكم بها حسام بوحشية، و الطريقة التي خاطب بها رغد و نحن في طريقنا
الطويل إلى المدينة الساحلية، كلها أثارت في قلبي الخوف و الحذر...
و ذكرّنتني، بأن خطيبي هذا قد قتل شخصا ما ذات يوم! ...

كان الطريق إلى المدينة الساحلية طويلا جدا، و مملا جدا ... و قد سيطر الصمت الموحش علينا نحن
الأربعة ...
والدتي سرعان ما نامت، و بقيت أنا أراقب الطريق، و أحاول النظر إلى وليد، إلا أنه كان مركزا على
الطريق تركيزا تاما، و كان يسير بسرعة مخيفة!

"هلا خففت السرعة يا وليد !"

طلبت منه ذلك ، فقد شعرت بالخوف من انفعاله ... لكنه لم يخففها بل قال:

"طريقنا طويل جدا ... أجدر بي زيادتها"

ثم التفت إلى رغد ، و التي كانت مشيحة بوجهها نحو النافذة و مسندة رأسها إليها ، و خاطبها قائلا :

"اربطي حزام الأمان"

لم أر من رغد أي حركة ، أهي نائمة ؟ أم لم تسمع ؟ أم ماذا ؟؟

عاد وليد يقول:

"رغد .. اربطي حزام الأمان"

رأيتها تتحرك ، ثم سمعتها تقول:

"لماذا ؟ هل تنوي أن تصدنا بشاحنة أو جبل ؟"

بدا على وليد ، من نبرة صوته ، نفاذ الصبر و الاستياء ، إذ قال:

"لا قدر الله ، فقط اربطيه للسلامة"

قالت رغد:

"لا تخش على سلامتي ! مرحبا بالموت في أي وقت .. أنا انتظره بشوق"

الجملة هذه أربكت وليد فأنحرف في مسيره قليلا و أفرعنا ! ثم خفف السرعة تدريجيا ، حتى أوقف السيارة... و التفت إلى رغد قائلا:

"توقّفني عن ذكر الموت يا رغد.. تجرّعت منه ما يكفي.. إياك و تكرار ذلك ثانية"

لم تعقب رغد، بل أسندت رأسها إلى النافذة من جديد...

قال وليد:

"اربطي الحزام"

قالت:

"لن أفعل" !

"رغد ! هيا" !

"لن أربطه" !

"إذن، أنا سأربطه" !

و رأيت وليد يمد يده باتجاه الحزام، ثم رأيتها ترتد بسرعة إليه ! أظن أن رغد دفعتها بعيدا ، ثم

سمعت صوت اصطكاك لسان الحزام بفكّه !

لقد ربطته بنفسها!

ثم سمعت وليد يقول:

"فتاة مطيعة"

و يعاود الانطلاق بالسيارة بأقصى سرعة!

بعد فترة، توقّف وليد عند إحدى محطات الوقود، من أجل الوقود، و الطعام، و الصلاة...

خاطبنا مشيرا إلى مبنى على جانبنا:

"يوجد هنا مصلى للسيدات ، حينما تفرغن عدن إلى السيارة ، ثم نذهب إلى المطعم"

أنا ووالدتي فتحنا البابين الخلفيين ، و نزلنا...

وليد فتح بابه.. ثم التفت إلى رغد... و التي كانت لا تزال جالسة مكانها لا تصدر منها أي حركة تشير إلى عزمها على النهوض.. !

"ألن تنزلي؟"

سألها ، فسمعتها ترد بسؤال:

"إلى أين ستذهب أنت؟"

قال وليد:

"إلى المسجد"

و أشار بيده إلى نفس البناية ، و التي تحوي مصلى صغيرا خاصا بالرجال ، و آخر بالنساء ، يفصلهما جدار ، و يقع بابهما في الطرفين المتضادين ..
يظهر أن الفكرة لم ترق لرغد (هذه المدللة المدلعة) و أبت إلا أن يقف وليد عند مدخل المصلى النسائي ، حارسا على الباب!

بعد ذلك ، اقترح وليد أن ندخل إلى المطعم المجاور لتناول الطعام ، فلم يعجبها الاقتراح ، فاقترح أن يذهب هو لإحضاره و نبقي نحن في السيارة ، و أيضا لم يعجبها الاقتراح ! يا لهذه الفتاة ... لقد بدأت أشعر بالضيق من تصرفاتها ! إنها بالفعل مجرد طفلة كبيرة!

أندرون ما فعلت في النهاية ؟

أصرت على الذهاب معه ، و تركتنا أنا و أمي نعود للسيارة!
ركبت أنا المقعد الأمامي ، و أمي خلفي مباشرة ، و قلت مستاءة:

"إنه يدللها بشكل يثير سخطي يا أمي .. أستغرب.. لمَ لمَ يتركها في بيت خالتها كما أرادت و

أصرت ! إنه ينفذ جميع رغباتها بلا استثناء! فلم عارض هذه الرغبة؟؟"

قالت والدتي:

"هذا لأنه يشعر بالمسؤولية الكاملة تجاهها، لا تنسي يا ابنتي أنها يتيمة ووحيدة"

قلت:

"هل سمعت ما قاله؟ يبدو أن ابن خالتها يخطط للزواج منها، بعدما انفصلت عن خطيبها السابق! أظنه حلاً ممتازاً لمثل وضعها! لم يعارضه وليد؟"

قالت:

"هو الأدرى بالمصلحة يا أروى، لا تتدخل في الموضوع بنيّتي"

و في الواقع، الموضوع كان يشغل تفكيري طوال الساعات الماضية...

لقد قال وليد و هو في قمة الثورة و العصبية، مخاطباً رغد أنه لن يسمح لها بالزواج من أي رجل قبل مرور سنين! ... هذه الجملة تثير في داخلي شكوكاً وأفكاراً خطيرة...

بعد قليل، أقبل وليد يحمل كيساً حاوياً للطعام، و إلى جانبه تسير مدلته الصغيرة..

من خلال النافذة، ألقت رغد علي نظرة غيظ حادة لم أفهم لها سببها، ثم ركبت السيارة إلى جوار والدتي...

وليد بعدما جلس، أخذ يوزع علينا حصصنا من الطعام، و الذي كان عبارة عن (هامبرجر) و بعض العصير...

و حين جاء دور (المدللة) ، التفت إليها ماذا يده، مقدّماً علبة البطاطا المقلية...

"تفضلي رغد.. طبّك"

الفتاة التي تجلس خلف وليد مباشرة قالت ببساطة:

"لا أريد ! كله أنت " !

وليد بدا مستغربا ! و قال:

"ألم تطلبي بطاطا مقلية !؟"

قالت:

"بلى ، غيّرت رأيي ، احتفظ به"

وليد مدّ إليها بعلبة (الهامبرجر) الخاصة به...

"خذي هذه إذن"

قالت:

"لا أريد ! شكرا"

"و لكن هل ستبقيين دون طعام ؟ ماذا تريدان أن أحضر لك ؟؟"

"لا شيء ! لا أشتهي شيئا ولا أريد شيئا " !

"و هذه البطاطا ؟؟"

"كلها ! أو ... أطمعها مخطوبتك " !

و أسندت رأسها إلى النافذة، معلنة نهاية الحوار!

وليد أعاد علبتي البطاطا و الهامبرجر إلى داخل الكيس، و انطلق بالسيارة...

باختصار، أنا و أمي كنا الشخصين اللذين تناولنا وجبتيهما!

عدّة مواقف حصلت أثناء الرحلة الطويلة الشاقة، و رغد إذا خاطبتني ، تخاطبني بطريقة جافة و خشنة، كأنها تصب جم غضبها علي أنا!
بعد مرور ساعات أخرى، و وسط الظلام، استسلمت أنا للنوم..
حينما أفقت بعد مدة لم أحسبها، وجدت السيارة موقفة، و وجدت وليد و رغد يجلسان في الخارج،
على الرمال، و أمي نائمة خلفي، و يتحدثان فيما لا يعلم به إلا الله...

~ ~ ~ ~ ~

لأن النعاس غلبني، كما غلب جميع من معي، أوقفت السيارة و في نيتي الخروج و الاسترخاء قليلا ،
و تجديد نشاطي...

استدرت للخلف، فرأيت رغد تنظر إلي مباشرة !

"لماذا توقفت ! ؟"

"ألم تنامي ؟ أشعر بالتعب، سأمشي قليلا" ...

و ما إن سرت بضع خطوات، حتى تبعتنني صغيرتي...

لم نتحدّث، و أخذت أسير ببطء... على الرمال مبتعدا عن السيارة عدّة أمتار... و أشعر بها تسيير
خلفي، دون أن ألتفت إليها...

بعد مسافة قصيرة، استدرت قاصدا العودة، فوقع عينا على عينيها مباشرة...

أعتقد أن الزمن توقّف عن السير تلك اللحظة... لو تعرفون ما الذي تفعله، نظرة واحدة إلى عيني رغد

بي ... لربما بررتم التصرفات الغريبة التي تصدر مني!

إنها ترسلني إلى الجنون... فهل يلام مجنون على ما يفعل؟؟

بعد أن تابع الزمن سيره، تقدّمت نحوها... عائداً إلى حيث السيارة... رغد بقيت واقفة مكانها، إلى أن تجاوزتها ببضع خطوات، ثم أحسست بها تسير خلفي...

مشاعر كثيرة شعرت بها و أنا أغرس حذائي في الرمال.. خطوة بعد خطوة...
الشعور بالقلق.. لما يخبئه القدر لي، الشعور بالغيظ من رغبة رغد في البقاء مع خالتها.. و ابن خالتها،
و بالندم من قسوتي معها.. بالرغبة في الاعتذار.. و بالشوق لأن أواسيها و أعيد إلى نفسها الطمأنينة و
الأمان و الثقة بي.. و بالحزن مما قد يكون الآن دائراً في رأسها حولي.. و برغبة جنونية، في أن
أستدير إليها الآن و أهتف في وجهها:
(أنا أحبك...!)

ماذا سيحدث حينها؟؟

و أخيراً.. بشعورٍ مسيطر... إن تمكّنت من السيطرة على جميع مشاعري و كبتها، لا يمكنني الصمود
في وجه هذا الشعور بالذات!
إنه قارس و قارص!
أنا جائع!

صدر نداء استغاثة من معدتي، سألت الله عشر مرات ألا يكون قد وصل إلى مسامع رغد!

حينما وصلت إلى السيارة، أسرعرت الخطى إلى (نافذتي) المفتوحة فمددت يدي و استخرجت كيس
الطعام، قبل أن تصل رغد...

عدتُ إلى الرمال، و جلست عليها.. و فتحت الكيس و استخرجت العلب الثلاث المتبقية فيه، علبة
البطاطا المقلية، و الهامبرجر، و العصير!
رغد وقفت على مقربة تنظر إلي ! لا بد أنها متعجبة مني ! رفعت رأسي إليها و قلت:

"تعالى و شاركني" !

و قمت بتقسيم الشطيرة (الهامبرجر) إلى نصفين... و مددتُ يدي بأحدهما إليها..

كانت لا تزال تنظر إلي باستغراب... قلت:

"صحيح باردة ، و لكنها تبقى طيبة المذاق"

ترددت رغد، ثم جاءت، و جلست إلى جانبي... و تناولت (نصف الشطيرة) من يدي ...
قرّبت منها علبة البطاطا، و كذلك العصير، فرفضتهما...
بدأت أقضم حصتي من الشطيرة، و أبتلع أصابع البطاطا الباردة، و أشرب العصير، و أتلذذ بوجبتي
هذه!

إنه الجوع ، يصير الرديء لذيذا!

قلت و أنا أمضغ إصبع بطاطا:

"لذيذ ! جرّبيه "

و أمسكت أحدها و قرّبته منها... كنت أنتظر أن تمد يدها لتمسكه بأصابعها، إلا أنها مدّت رأسها و
أمسكته بأسنانها ! و بدأت تمضغه، و يبدو أنه أعجبها لذلك ابتسمت!
أن أراها تبتسم، و إن كانت ابتسامة خفيفة باهتة سطحية، بعد كل الذي حصل، لهو أمر يكفي لأن
يجعلني أنسى عمري الماضي...
الماضي... آه ... الماضي...
في الماضي، كنت أطعمها أصابع البطاطا بهذه اليد... نفس اليد كانت تمد إليها بإصبع البطاطا قبل
ثوان...

نفس اليد، التي تتوق لأن تمسح على رأسها و تططب على كتفيها و تضمها إلى صدري ...
نفس اليد، التي شدّتها بعنف وقسوة، و أجبرتها على ركوب السيارة رغم مقاومتها...
إنها نفس اليد التي قتلت بها عمّار... و ضربت بها سامر ... و لکمت بها حسام... و سأذبح بها أي
رجل يحاول الاقتراب منك يا رغد...
و بهذه اليد ذاتها، سأبقى ممسكا و متمسكا بك لآخر نسمة هواء تدخل إلى صدري، أو تخرج منه...
يا رغد... ليتك تعلمين...

"رغد" ...

نظرت إلي، فبقيت صامتا برهة، بينما عيناى تتحدثان بإسهاب... ألا ليتك تفهمين...

"نعم؟؟" !

"سامحيني"...

جاء دورها الآن لتتنظر إلي نظرة مليئة بالكلام... إلا أنني عجزتُ عن ترجمته...

قلت:

"سامحيني.. أرجوك"

لم ترد إيجابا ولا سلبا، لكنها مدّت يدها إلى علبة البطاطا، و تابعت أكلها... على الأقل، هي إشارة حسنة و مطمئنة...

انهينا وجبتنا الباردة ، و في داخلي شعور غريب بالسعادة و الرضا، و الاسترخاء ، و الشبع أيضا!

و عوضا عن تجديد نشاطي، تملكنتني رغبة عارمة في النوم !

(فرشت) الكيس على الرمال، و تمددت واضعا رأسي فوقه.. و أغمضت عيني..

أنا متأكد من أنني لو بقيت على هذا الوضع دقيقتين اثنتين، لدخلت في سبات عميق و فوري ...

الذي حصل هو أن صغيرتي و بمجرد أن أغمضت عيني نادتنني بقلق:

"هل ستنام وليد؟؟"

قلت و أنا أتناوب:

"أنا نعسان بالفعل ! سوف أسترخي لدقائق"

"وليد ! اجلس !"

صدر هذا الأمر من صاحبة الدلال و السيادة ، جعلني انهض فوراً ، و أصحو تماماً!
التفت إليها فوجدتها تنظر إلي بقلق...

"دعنا نعود إلى السيارة و نم هناك"

"حسناً... إذن هيا بنا"

و نهضنا و عدنا إلى مقعدينا ...

"هل يضايقك أن أزيح مسند مقعدي للوراء يا رغد؟"

"كلا .. خذ راحتك"

"شكراً"

صمت برهة ثم عدت أقول:

"أنا متعب بالفعل، قد أنام طويلاً ! إذا نهضتِ و وجدتِ الشمس توشك على الشروق، فلتوقظيني
"

"حسناً"

"نوما هنيئاً، صغيرتي"

"لك أيضاً"

لم ينته الأمر هنا...

صحيح أن وليد قد نام بسرعة، إلا أن رغد ظلت تتحرك، و أشعر بحركتها لفترة...

كنت أظاهر بالنوم.. و من حين لآخر أفتح عينيّ قليلا ، خصوصا إذا أحسست بحركة ما...
هذه المرّة فتحتها فتحة صغيرة، فرأيت يد رغد تمتد إلى مقعد وليد، و رأسها يستند عليه ...
هذا لا شيء!...

فالشيء.. الذي أيقظ كل الخلايا الحسية و العصبية و الوجدانية في جسدي، في ساعة كنت فيها في
غاية التعب و النعاس، و أرسل أفكاري إلى الجحيم... هو جملتها الهامسة التالية:

("نوما هنيئا... يا وليد قلبي") ...

الحلقة الخامسة والثلاثون

لم أكن أريد أن يدركنا الظلام ، سرت بأقصى سرعة ممكنة ، لكن الشمس سبقتني بالغياب...

حين وصلت إلى المدينة الساحلية ، مسقط رأسي ، كان الظلام قد غطى الأجواء...

تسارعت نبضات قلبي و أنا أسير في الطريق المؤدي إلى بيتنا...كلما وقفت عند إشارة مرور ، توقفت
الذكريات عند حدث معيّن...

شوارع المدينة لم تتغير... الكثير من الحفريات و الإصلاحات مبعثرة على الشوارع... لا تزال بعض
المباني منهارة كما خلّفتها يد الحرب... و لا تزال المناظر تثير الرهبة في قلوب الناظرين...

" هنا مدينتنا "

قلت ذلك ، مخاطبا أروى التي كانت تشاهد المناظر من حولها... و كأنه واقع مخيف مرير أخشى
تلقيه بمفردي...

"إنها آثار الحرب" !

عقبت أروى ، فقلت:

"و أي آثار ... ! تحمل هذه المدينة من ألم الذكرى و بصمات الماضي ما يجعل قلبي يتصدّع من مجرد ذكر اسمها" ...

و أي ذكرى أقسى من ... ذلك اليوم المشؤوم... الذي غير مجرى حياتي نهائيا...

كأنني به يعود للوراء...

كأنني بعمار اللعين ... ينبعث من قبره...

كأنني أراه يبتسم ابتسامته الشرسة القذرة... و يرمي بالحزام في الهواء...

كأنني ... برغد تصرخ... تركض إلي... تتشبث بي... تخترق صدري ، و خلايا جسدي ... تمزّق قلبي ... تحرق أعصابي عسبا عسبا ... و تفجّر في داخلي رغبة عارمة مزلزلة ... منطلقة بعنف و سرعة ... ككتلة نارية قذفها بركان نائر هائج... آبية إلا أن تنتهي بضربة بشعة فتاكة على رأس عمّار... خاتمة بها آخر أعماله القذرة...

لم أتمالك نفسي ، دست بقدمي بقوة ... انطلقت السيارة بشكل جنوني... كنتُ أراه أمامي... و كنت أريد أن أدوسه و أسحقه تحت العجلات ... مرة بعد مرة ... بعد مرة...

"وليد ! خفف رجاءً" !

هذه المرة كانت أم أروى هي المتحدثّة ، أعادتني إلى الواقع ، فوجدت نفسي أقود سيارة في شارع داخلي لا يخلو من النتوءات و الحفر...

خففت السرعة ، و ألقيت نظرة على رغد من خلال المرآة ... كانت هي الأخرى مشغولة بمراقبة الطريق...

أتراها تذكر؟؟

الآن انتقل بصرها إلي ... أشارت إلى الخارج عبر النافذة و قالت:

"إنها مدرستي" !

نعم إنها هي!

نعم إنها تذكر ... حاولت أن استشف من عينيها مدى تأثرها... و إلى أين وصلت بها الذكرى...
حدّقت في مبنى المدرسة... ثم حدّقت بي...

كيف تشعرين يا رغد؟؟

هل يؤلمك شيء كما يؤلمني؟؟

هل تطوف في مخيلتك ذكريات ذلك اليوم النحس، كما هي مسيطرة علي الآن...؟؟

لو أملك يا رغد ... لمحوت ذلك الماضي من ذاكرتك نهائيا...

لو أملك يا رغد ... لاستئصلت ذلك اليوم من عمرك ... و اقتلعتة من أصل جذوره...

لو أملك يا رغد ... لقتلت عمّار قبل أن تلده أمه ... و ما تركت له الفرصة ليؤذي أغلى مخلوقة لدي
...بأبشع طريقة....

المسافة تقصر... النهاية تقترب ... المباني تمر بنا و تنصرف ... واحدا تلو الآخر... إلى أن ظهر أخيرا
... مبنى كبير قديم ... مهجور و غارق في الظلام ... موصد الأبواب و النوافذ ... كئيب ميت و
مرعب... تحف به أشجار جافة بلا أوراق و لا ثمر ... أشجار ماتت واقفة... و بعثرت الريح أوراقها
على المجرّة منذ سنين ... و ظلّت واقفة ... و قامت الحرب... و قعدت الحرب ... و ظلت هي واقفة
... في انتظار عودة سيدي المنزل ... لتنحني أمامهما ... محيية مرحبة...

يا أشجار بيتي العزيز...

ستظلين واقفة ما امتد بك الدهر...

لأن السيين ... اللذين تنتظرين عودتهما... لن يعودا أبدا...

عند الباب مباشرة ، أوقفت سيارتي أخيراً...
بقيت قابعا في مكاني لا أجرؤ على الحراك ... مركزا بصري على البوابة... كأنني أستأذنها بالدخول
... كأنها تستغرب عودتي ... كأنها نسيتني!

مرت لحظات ليست كاللحظات ، و أنا في سكون شارد...

تحدّثت أروى قائلة بعد أن طال بنا البقاء:

"أليس هذا هو المنزل ؟ ألن ننزل ؟؟"

التفت إليها و منها إلى الوراء ، حيث تجلس صغيرتي بتعبيرات وجهها المضطربة و نظراتها المتوجسة
...

قلت بصوت يكاد يختنق في حنجرتي:

"منزلنا يا رغد" !

رأيت يدها تمتد من موضعها على صدرها إلى عنقها ... كأنها تمنع صرخة من الانبثاق قهرا من أعماق
حنجرتها الصغيرة...

تحدّثت خالتي أم أروى الآن قائلة:

"هل سننزل هنا ؟ هل تملك مفاتيح للمنزل ؟؟"

أجبتها بتحريك المفاتيح المتدلية من مقود السيارة ، و التي تضم مفاتيح المنزل المهجور...

عدت بنظراتي إلى رغد ... فهي أهم ما يعنيني في الأمر ... لطالما كانت هي الأهم ... قلت:

"هيا بنا ... توكلنا على الله"

بدا على صغيرتي المزيد من التوتر و القلق ، كانا جليين لي...

أخيرا فتحنا الأبواب و هبطنا أرضا...

صغيرتي وقفت و سارت شبه ملتصقة بي ، و كأنها تخشى شيئا...

فتحت البوابة الرئيسية أخيرا ... و سمحت لطوفان الذكريات باجتياحنا....

الحديقة الخارجية ... التي لطالما كانت غناء خضراء زاهية ... هي الآن مجرد صحراء موحشة تعذر

حتى على الأشواك البرية العيش في رحابها...

لم أكن أشعر بقدمي و هي تسير خطوة بعد خطوة نحو الداخل ... اقتربنا من الساحة المرصوفة بقطع

الرخام.....

في هذه الساحة ... كانت فيها رغد تقود دراجة سامر فيما مضى...

تجاوزنا الباب الخارجي للمنزل ، و سرنا متابعين طريقنا ... حتى بلغنا الساحة الخلفية للمنزل ... و

من خلال بصيص خفيف للضوء ، وقعت أنظارنا على أدوات الشواء المركونة هناك في زاوية الساحة

منذ سنين...

ما أن رأتها رغد ، حتى رفعت يدها اليمنى و أمسكت بذراعها الأيسر... كأنها شعرت بلسعة الجمر

تحرق ذراعها ... مكان الندبة القديمة...

قلت بعطف:

"رغد ! أنت على ما يرام؟؟"

و بالرغم من الظلام ، استطعت أن ألمح القلق المرسوم على وجهها الصغير...

قلت أخيرا:

"دعونا ندخل إلى الداخل"

و رأيت يد رغد اليمنى و هي تترك ذراعها الأيسر... و تقترب شيئاً فشيئاً من يدي ، و تلتحم بها!

أظنها كانت للشعور ببعض الأمان ، فقد كان المكان موحشاً ، عدا عن الذكريات الأليمة التي يثيرها

...

تركت يدي أسيرة يديها حتى بلغنا الباب الداخلي ، و أردت استخدام يدي في فتح الباب ، إلا أنها لم تطلق سراحها...

بيدي الأخرى فتحت القفل و الباب ، و خطوات الخطوة الأولى نحو الداخل ... وظلت يدي اليسرى مسحوبة إلى الوراء ، مربوطة بيد رغد...

كان المنزل غارقاً في الظلام ... مددت يدي نحو الجدار متحسناً المكابس ، حتى أضأت المصباح ... و لحسن الحظ ، بل للعجب ، كان يعمل! ...

الإنارة سمحت لنا برؤية ذرات الغبار التي تغطي الأرضية الرخامية عند المدخل...

شددتُ يدي اليسرى و معها شددتُ صغيرتي نحو الداخل و أنا أقول:

"ادخلن" ...

رغد خطت خطوة نحو الداخل و أخذت تدور برأسها في المكان ... و تشد ضغطها على يدي ، و على صدرها من فرط التأثر...

إن قضيت الوقت في وصف المنزل فإنني لن أنتهي...

لكن ... و إن تجاهلت وصفي للمنزل و ذكرياته ، فهل أجسر على تجاهل وصف تعبيرات رغد؟؟

إنها وقفت على مقربة من الدرج ... و هي لا تزال ممسكة بيدي ، و قالت:

"يا إلهي ... إنه بيتنا ! لم يتغير يا وليد ! أنا أذكره" !

ثم قفزت الدموع من عينيها فجأة...

أتذكرين يا رغد؟؟

أتذكرين هذا المنزل ، الذي تربينا فيه سوية؟؟

أتذكرين حين كنت أحملك على كتفي و أجول بك أرجاء المنزل ، و أنت تضحكين بفرح؟؟

كم و كم من الذكريات أحمل في صدري ... ذكريات طفلي الحبيبة المدللة التي تركتها نائمة على سريرها ذات يوم ، و عدتُ بعد ٨ سنين ، و لم أجدها...

ثمان سنين يا رغد ... كان يمكن أن أعيشها معك لحظة بلحظة يوما بيوم و سنة بسنة ... قضيتها هناك في السجن ... برفقة المجرمين المذنبين ، أُضرب و أهان و يُكسر أنفي ، و آكل الطعام الرديء المزوج بالحشرات ، و أنام على سرير خشبي قاس و وسادة أشبه بالحجر ، بينما أنت في حضن شقيقي ... تنعمين بالحب و الرفاهية!

آه يا رغد...

آه ثم آه ثم آه...

قطع سيل الذكريات صوت أروى قائلة:

"أين غرف النوم؟ أود أن أستلقي فأنا مرهقة جدا"

طبعاً ، جميعنا مصابون بالإرهاق بعد سفر طويل و شاق...

قلت "

"في الأعلى"

وهمت بالصعود...

كلما صعدتُ خطوة تصاعدت الدماء إلى وجهي ، و تزايدت نبضات قلبي ، و كلما أنرت مصباحا تفجرت ذكريات أخرى في رأسي ... حتى إذا ما بلغت الردهة الرئيسية ... شعرتُ بمفاصلي تتساقط أرضا من هول ما أنا فيه...

وجها لوجه ، أمام البابين المتجاورين ... لغرفتي أنا و غرفة رعد...

وجها لوجه ، و على بعد خطوات معدودة من بؤرة الذكريات...

لهذا الحد و توقفت كل شيء عن الحركة من حولي ... و تجمّد الكون ... و تصلّبت الأشياء...

وخز قوي شعرت به أخيرا في راحة يدي ، سببه ضغط أظافر رعد الشديد على يدي...

هنا ... التفت إليها ... رأيت نهرا من الدموع ينساب من بين رموشها ... و على شفثيها كلمة لا تكاد تنطلق...

"غرفتي ! غرفتي يا وليد" !

حاولت تحريك يدي ، و تقريب ميدالية المفاتيح من عيني لاختيار المفتاح المناسب ، ألا أن رعشة قوية سرت ببطني .. جعلت الميدالية تنزلق من بين أصابعي و تسقط أرضا ، محدثة رنيننا تخلخل عظامي و زلزلها....

وقفت متمسرا في مكاني عاجزا عن الانثناء و التقاط المفاتيح

رعد تحركت و التقطت المفاتيح بنفسها و مدّت يدها إلي...

تحشرج صوتي عن كلمة:

"افتحيه"

لا أعرف كيف ظهرت حروفها!

نظرت رغد إلي بتردد ، ثم التفتت نحو باب غرفتها ، و تقدّمت خطوة ... و بدأت تجرّب المفاتيح

...

و أخيرا انفتح القفل ... و حركت رغد الباب للأمام قليلا ، بتردد

كانت الغرفة غاطة في السبات العميق المظلم ، منذ تسع سنين!

لم تتحرك رغد ، بل توقفت في مكانها لا تملك من الشجاعة ما يكفي لأن تدخل

أما أنا ، فقد أصاب ركبتي تصلب حاد عجزت معه تحريك أي منهما

"أنا خائفة" !

قالت ذلك رغد و هي تلتفت نحوي...

"لا تقلقي ! لا يوجد أشباح" !

قلت ذلك ، و أنا أرتجف خوفا من أشباح الماضي...

و لما رأيت في عينيها التردد ... أجبرت قدمي على السير للأمام ... و وقفت إلى جانبها مباشرة ...

أمام الباب

دفعتُ به بهدوء حتى فتحته ... و أنا مغمض العينين!

من سأرى في الداخل ؟؟ لا بد أنها طفلتي الصغيرة الحبيبة ، نائمة على سريرها ... كالملاك!

فتحت عيني ... كانت الغرفة تسبح في الظلام ... مددت يدي و أضأت المصباح ... و أخيرا ... رأيت

كل شيء...

و آه مما رأيت...

هناك ... إلى اليمين ، ترقد سرير رغد القديم ، تماما كما تركته منذ سنين...

لقد كنت أنا من وضع السرير في مكانه ، كما رتبت أثاث الغرفة بنفسى...

شمنت شهقة ضعيفة انطلقت من صدر رغد ... الواقفة إلى جوارى

لكننى لم التفت إليها ... لقد كنت مأخوذا بسحر الذكرى الماضية...

تقدّمت نحو سرير رغد ... أجز قدميّ جرا ... حتى إذا ما بلغت انثنيت عليه و أخذت أتحمسه...

طافت بي الذكرى ... وتخيلت رؤية رغد نائمة هناك ... وهى لي أننى لمست شعرها الناعم ... و أحسست بأنفاسها القصيرة ... شعرت بجسمها الضئيل يتحرك!

"رغد صغيرتي" !

انطلق الاسم من لساني عفويا ... كما انطلقت عبرة حارقة من مقلتي...

يا للأيام!

بعد كل هذه السنين ... أعود إليك!

داهمتني رغبة جنونية في أن أحتضن السرير برمته ... في أن أطوّقه بذراعي ... في أن أقبل دعائه...

"هل كانت هذه غرفتك يا رغد؟"

كان هذا صوت أروى ، أيقظني من سبات الذكريات ، فهو صوت لم أعتد على سماعه في هذا البيت!

"نعم"

أجابت رغد و هي تتقدم نحوي...

التفت إليها فإذا بي أراها تحدّق في شيء ما و هي تقول:

"وليد" !

التفت إلى ذلك الشيء ، فإذا به ورقة صغيرة ... ملصقة بالجدار بشريط لاصق ، مرسوم عليها صورة لشخص ما ، و قد امتد خط طويل تحت أنفه!

إنها الصورة التي رسمتها لي رغد عندما كنا هنا ، قبل زمن!

و هذا الخط الطويل ... هو (الشارب) الذي تخيلته ينبت لي ، عندما أكبر!

مددتُ يدي و انتزعت الورقة و نظرت إليها مليا ...

رباه ! ألا تزال هذه الصورة حيّة حتى الآن!

نظرت إلى رغد ... أعساها تذكرها؟؟

سمعتها تقول:

"تشبهك ! أليس كذلك؟"

و تبتسم!

رفعت يدي إلى شاربي أتحمسه ، ثم قلت:

"إلى حد ما" !

ثم نظرت إليها...

و تعرفون ما حصل؟؟

انفجرنا ضاحكين...

ذلك الضحك الذي أعاد الحياة فجأة إلى بيت ميّت منذ سنين....

بدت الأجواء الآن أكثر حيوية ، و جالت رغد في غرفتها بمرح تتحسس الأشياء من حولها و تنفض يديها من الغبار!

"لا شيء تغيّر وليد" !

"لا شيء" !

سوى أن تسع سنوات قد أضيفت إلى عمرك و منعتني من أن أحملكِ على ذراعي و أدور بك في الغرفة كما كنت أفعل سابقا!

"دعنا نرى غرفتك" !

قالت ذلك رغد فالتفتت إلى الباب ، و حينها فقط تذكرت أن أروى و أمها كانتا موجودتين معنا!

بعد ذلك ، فتحتُ باب غرفتي الملاصقة لغرفة رغد و ما إن أضأت المصباح حتى وقعت عيني مباشرة على ذلك الشيء المجدّد الملقى هناك عند تلك الزاوية!

التفت إلى رغد ... أتراها رأته ؟ أتراها تذكرته ؟؟ أتراها تذكر الأمنيات التي ... حبستها فيه قبل ١١ عام أو يزيد ؟؟

لكن رغد لم يبدُ عليها أنها انتبهت لوجوده ، و هو محشور عند تلك الزاوية...

تسللت رغد إلى الداخل و جالت ببصرها في أنحاء الغرفة جولة سريعة ثم وضعت يديها على وجهها و تنهّدت...

"يا إلهي" !!

و عندما رفعت يديها ، كانت الدموع قد بللتها

مسحت دموعها و أعادت تأمل الغرفة ، ثم قالت:

"لقد منعتني أمي من دخولها بعد رحيلك ! لا أصدق أنني دخلتها مجددا" !

ثم التفتت فجأة ناحية الباب و قالت:

"لقد تركت رسالة هاهنا" !

قلت:

"نعم . لقد رأيتها ! لم أكن لأصل إليكم لولاها يا رغد ! شكرا لك" !

و كانت رغد قد كتبت رسالة وضعتها أسفل الباب ، تذكر فيها انتقالهم إلى المدينة الصناعية ، و اكتشفت أنها وجودها ليلة عودتي إلى المنزل ، بعد خروجي من السجن ، العام الماضي!

رغد عادت تتأمل الغرفة إلا أنها لم تلمح ذلك الصندوق...

و يبدو أنه لم يكن ليخطر لها على بال...

بل و ربما لم تعد تذكره...

و هذا ، جعلني أتألم كثيرا ... و كنت سأنبهها إليه لولا أن الخالة ليندا قالت لحظتها :

"أضنانا التعب يا بني ، أرنا أين يمكننا المبيت؟"

قالت رغد مباشرة:

"أنا سأنام في غرفتي" !

ورُتّب الأمر بحيث أنام أنا في غرفتي ، وورغد في غرفتها ، و أروى و الخالة في الصالة...

كان التعب قد نال منا ما نال ، للدرجة التي ، و رغم كل ما أثارته الذكريات من الآلام ، نمتُ فيها بسرعة...

أظن أنني كنت أحلم بشيء ما ... و أظنه كان شيئاً جميلاً ... و أظن أن رغد كانت هي مضمون حلمي...

فجأة سمعت نقرا على الباب ... استويت جالسا و أخذت أهدق في الظلام من حولي ... تذكرت أنني أنام على سريري في منزلي القديم ... لم أصدق أنها الحقيقة ... النقر كان يصل أذني ... أستطيع أن أسمعه جيدا ... إنه ليس بالحلم ... و حين أنهض ... و أفتح الباب ... سوف لن أجد خيال رغد الطفلة الصغيرة ... و أسمعها تقول ...

"وليد أنا خائفة ! دعني أنام معك" !

تقدّمت نحو الباب و دقات قلبي تتسارع...

أحقا ستظهر رغد ؟

أ أنتِ خلف الباب يا رغد ؟

أعدتِ للظهور كما في السابق ؟

هل رجع الزمن للوراء ... فقط تسع سنين ؟...

أمسكت بمقبض الباب ... و أدرتها...

و أنا أنظر إلى الأسفل ... إلى حيث أتوقع أن أجد عيني صغيرتي الخائفة ...

يا رب ... حقق حلمي و لو لحظة واحدة...

و لو لمرة أخيرة ... أرى فيها صغيرتي الحبيبة و آخذها إلي...

فتحت الباب ... فوقعت عيناى على اليد التي كانت تطرق الباب...

رفعتها للأعلى قليلا ... فإذا بي أرى وجهها كالذي تمنيت رؤيته...

أغمضت عيني برهة و عدت أهدق بعينيها

أنا أحلم ؟ أم هذه حقيقة ؟؟

"رغد" !!!

همست بصوت لم أكد أن أسمع...

ارتفعت يد رغد قرب عنقها ، و تنهّد صدرها ثم سمعتها تقول:

"وليد ... أنا خائفة ... ابقتي قريبك" !

الحلقة السادسة والثلاثون

وقفت غير مصدّق لما أرى... متوهما أنه الحلم الذي لطالما راودني منذ سنين...

لكن... بالتأكيد فإن الشيء الذي يقف أمامي هذه اللحظة ... يضم ذراعيه إلى بعضهما البعض ... و

يقشعر بدنه إن خوفا و بردا ... هذا الشيء

الملفوف في السواد ... هو بالتأكيد كائن بشري...

و ليس أي كائن...

تحديدا هي رغد!

"وليد ... أنا خائفة ! أبقني معك"

لا أعرف من الذي حرّك يدي ، نحو مكبس المصباح ، و أناره ...

هل يمكن أن أكون قد فعلت ذلك بلا وعي؟؟

الإنارة القوية المفاجئة أزعجت بؤبؤي عيني ، فأغمضت جفوني بسرعة

و من ثم فتحتها ببطء...

رأيت وجه رغد بعينيها المتورمتين الحمراوين ، و اللتين تدلان على طول البكاء و مرارته...

"رغد ... أنت على ما يرام صغيرتي؟؟"

"أنا أشعر بالخوف ... وليد ... المكان موحش و ... ويثير الذكريات ... المؤلمة" !

و سرعان ما انخرطت رغد في بكاء أجش بصوت مبحوح...

"حسنا... عزيزتي يكفي ... لا تبكي صغيرتي ... تعالي اجلسي هنا"

و أشرت إلى مقعد الجوار ، فجلست رغد عليه ... و بقيت واقفا برهة ... ثم جلست على طرف سريري...

كنت في منتهى التعب و الإرهاق و أشعر برغبة ملحة جدا في النوم... لا بد أن رأسي سيهوي على السرير فجأة و أغط في النوم دون شعور!

نظرت إلى الفتاة الجالسة على مقربة جاهلا ما يتوجب علي فعله!

سألتها:

"صغيرتي ... ألا تشعرين بالنعاس؟ ألسنتِ متعبة؟"

"بلى ... لكن ... لا أشعر بالطمأنينة! لا أستطيع النوم ... أنا خائفة!"

ورفعت يدها إلى صدرها كمن يريد تهدئة أنفاسه المرعوبة

قلت:

"لا تخشي شيئا صغيرتي ... ما دمتُ معك"

ولا أدري من أين ولا كيف خرجت هذه الجملة في مثل هذا الوقت والحال!

و هل كنت أعنيها أم لا ... و هل كنت جديرا بها أم لا!

لكن فتاتي ابتسمت!

ثم تنهدت تنهيدة عميقة جدا

ثم أسندت رأسها إلى المقعد و أرخت ذراعيها إلى جانبيها... ا و أغمضت عينيها!

و أظن ... و الله الأعلم ... أنها نامت!

"رغد ! ... رغد؟"

فتحت رغد عينيها ببطء و نظرت إلي... .

"إنك بحاجة للنوم" !

ردت ، بشيء لا يتوافق و سؤالي البسيط:

"غرفتك لم تتغير أبدا وليد ! كم أنا سعيدة بالعودة إليها" !

و أخذت تدور بعينيها في الغرفة...

كان الهدوء الشديد يسيطر على الأجواء ... فالوقت متأخر ... و العالم يغط في الظلام و السبات...

قالت و هي تشير إلى موضع في الغرفة:

"كان سريري هنا سابقا ! هل تذكر يا وليد ؟"

ثم وقفت و سارت نحو الموضع الذي كان سرير رغد الصغير يستلقي فيه لسنين ... قبل زمن...

قالت:

"و أنت كنت تقرأ القصص الجميلة لي ! كم كنت أحب قصصك كثيرا جدا يا وليد ! ليت الزمن يعود للوراء ... و لو لحظة" !

عندها وقفت أنا ... و قد استنفقت فجأة من نعاسي الثقيل ... و قفزت إلى قمة اليقظة و الصحوة ... و كأن نهرا من الماء البارد قد صب فوق رأسي...

التفتت إليّ صغيرتي و قالت:

"كنت ... كنت أحتفظ بالقصص التي اشتريتها لي في بيتنا الثاني ... لكن ... أحرقتها النيران!"

و آلمتني ... جملتها كثيرا ...

رجعت بي الذكرى إلى البيت المحترق ... فإذا بالنار تشتعل في معدتي...

أضفت رغد بصوت أخف و أشجى:

"تماما كما احترقت الصورة" ...

"رغد" ...

إنه ليس بالوقت المناسب لاسترجاع ذكريات كهذه ... أرجوك ... كفى!

نظرت من حولها ثم قالت:

"لا تزال كتبك منثورة ! أتذكر ... ؟ كنت تستعد للذهاب إلى الجامعة لإجراء امتحان ما ! أليس

كذلك ؟؟ أليس هذا ما أخبرتني به ؟؟ أتذكر ؟؟"

لا أريد أن أتذكر !

أرجوك أيتها الذكرى .. توقفي عند هذا الحد..

أرجوك...

لا تعودى إلى ذلك اليوم المشؤوم...

لو كان باستطاعتي حذفه نهائيا ... لو كنت ...؟؟؟

كنت أريد الهروب السريع من تلك الذكرى اللعينة ... لكنها كانت تقترب ... و تقترب أكثر فأكثر ... حتى صارت أمامي مباشرة...

عينان تحدقان بعيني بقوة ... تقيدان أنظاري رغم عني...

عينان أستطيع اختراقهما إلى ما بعدهما...

خلف تينك العينين ، تختبئ أمر الذكريات و أبشعها...

أرجوك يا رعد...

لا تنظري إلي هكذا...

لا ترمني بهذه السهام الموجهة ...

لم لا تعودين للنوم؟؟

"وليد" ...

"إه ... نعم ... ص ... غيرتي؟؟"

"لماذا ... لم تخبرني بالحقيقة؟"

قلت بصوت متهدرج:

"أي ... أي حقيقة؟"

"إنك ... قتلته " !

آه...

آه...

إنه فأس يقع على هامتي ...

لقد فلقتها يا رغد...

ما عدت قادرا على الوقوف...

نصفاي سينهاران...

أرجوك كفى...

"وليد ... لماذا لم تخبرني؟؟ أنا يا وليد ... أنا... لم أدرك شيئا ... كنتُ صغيرة ... و خائفة حد

الموت ... لا أذكر ما فعلتَ به ... و لا...

و لا أذكر ... ما فعله بي " !

عند هذه اللحظة ... و فجأة ... و دون شعور مني و لا إدراك ... مددت يدي بعنف نحو رغد و

انقضضت على ذراعها بقوة ... بكل قوّة ...

انتفضت فتاتي بين يدي هلعا ... و حملت بي بفرع...

لابد أن قبضتي كانتا مؤلمتين جدا آنذاك ، و لابد أنها كانت خائفة ...

خرجت هذه الجملة من لساني كالصاروخ في قوّة اندفاعها ... مخلّفة خلفها سحابة غبار هائلة تسد الأنوف و تكتم الأنفاس ... و تخنق الأفئدة...

كررتُ بجنون:

"ماذا فعل بك يا رغد ...؟؟"

حتى... حتى لو كان قد ... لامس طرف حزامك فقط ... بأطراف أظافره القذرة ... كنت سأقتله بكل تأكيد ... بكل تأكيد "

فجأة رفعت رغد يديها و غطّت وجهها ... و هي تطلق صيحة قصيرة...

كانت قبضتا يديّ لا تزالان تطبقان على ذراعيها بعنف ... و بنفس العنف انقضتا فجأة على يديها ... و أبعدهما بسرعة عن وجهها ، فيما عيناها تحمقان بعينيها بقوة....

صرختُ:

"ماذا فعل بك ؟؟"

كانت رغد تنظر إليّ بذعر...

نعم إنه الذعر...

أشبهه بالذعر الذي قرأته في عينيها ذلك اليوم ...

تملّصت رغد من بين يدي و ابتعدت بسرعة ، و اتجهت نحو المقعد الذي كانت تجلس عليه قبل قليل
... و ارتمت عليه ... و هتفت:

"لا أريد أن أذكر ذلك ... لا أريد ... لا أريد"

و عادت لإخفاء وجهها خلف كفيها.

دارت بي الدنيا آنذاك و شعرت برغبة شديدة في تمزيق أي شيء ... أي أي شيء!

التفت يمنا و يسرة في اضطراب باحثا عن ضحية تمزيقي ... و بعض زخات العرق تنحدر من جبيني
بينما أشعر باختناق ... و كأن تجويف حنجرتي لم يعد يكفي لتلقي كمية الهواء المهولة و الممزوجة
بذلك الغبار و التي يرغمها صدري الشاهق على الاندفاع إليه...

تحركت خطوة في كل اتجاه ... و بلا اتجاه...

بعثرت نظراتي في كل صوب ... و بلا هدف...

و أخيرا وقع بصري على شيء مختبئ عند إحدى زوايا الغرفة...
يصلح للتمزيق!

توجهت إلى ذلك الشيء ، و التقطته عن الأرض ... تأملته برهة ... و استدرت نحو رغد...

إنه صندوق الأمانى القديم ... الذي جمع أمنيات صغرنا منذ ١٣ عاما!

ها قد آن أخيرا ... أوان استخراج الأمانى...

و لم علينا الاحتفاظ بها مخبأة أطول ما دامت الأقدار ... أبت تحقيقها ؟

على الأقل ... أمنياتي أنا...

يجب أن يتمزق أخيرا....

و الآن يا رغد ... جاء دورك!

"رغد"

ناديتها فلم تستجب مباشرة . اقتربت منها أكثر فأكثر حتى صرتُ أمامها مباشرة

هي جالسة على المقعد مطأطة الرأس ... تداري الدموع

و أنا واقف كشجرة بلا جذور في انتظار اللحظة التي تهب فيها الرياح ، فتقلعها...

"رغد ... أتذكرين هذا؟"

و ازدردت ربيقي...

إنها اللحظة التي لطلما انتظرتها ... سنين و سنين و سنين ، و أنا أتوق شوقا و أحترق لهفة لمعرفة
أمنيته يا رغد...

رفعت رغد رأسها و أخذت تنظر إلى الشيء المحمول بين يدي...

نظرت إليه نظرة مطولة ... ثم اتسعت حدقتا عينيها و انفغر فاهها و شهقت شهقة مذهولة!

إذن ، فأنت تذكريه؟؟

إنه صندوق أمانيك يا رغد ... أيتها الطفلة العزيزة ... أنا صنعتك لك منذ ١٣ عاما ... في ذلك اليوم
الجميل ... حين قدمت إليّ منفعة و أنتِ تحمليين كتابك الصغير و تهتفين:

"وليد ... وليد اصنع لي صندوقا"

تحركت عينا رغد من على الصندوق إلى عينيّ... .

كانت آخر دمعة لا تزال معلقة على رموشها ، في حيرة... أ تنحدر أم تتراجع؟؟

شفتها الآن تحركتا و رسمتا ما يشبه الابتسامة المترددة ...

و أخيرا نطق لسانها:

"صندوقي" !!

ثم هتفت متفاجئة:

"صندوقي ! أوه ... إنه صندوقي" !

و هبت واقفة و التقطته من بين يدي!

"يا إلهي" !

قلت:

"أتذكرينه؟"

رفعت عينيها عن الصندوق مجددا و قالت بانفعال:

"نعم ! أذكره ! إنه صندوق الأمانى"

قالت ذلك و هي تؤشر بإصبعها على كلمة ((صندوق الأمانى)) المكتوبة على الصندوق الورقي...

ثم أخذت تقلبه ، و من ثم عبس وجهها فجأة و نظرت إليّ بحدّة و وجس:

"هل ... فتحتة؟؟"

"ماذا؟"

"فتحتة؟؟"

إنه سؤال بسيط ! و عادي جدا ! أليس كذلك؟؟

و لكن ... لم أستوعبه؟؟ و لم تطلب مني الأمر كل هذا التركيز و الجهد البليغين حتى أفهمه؟؟

هل فتحتة؟؟

أوتسألين؟؟

رغدا!

ألم أقطع لك العهد بألا أفتحه دون علمك؟؟

أتشكين في أنني ... قد أخون عهدي معك ذات يوم؟

ألا تعرفين ما سببه لي و ما زال يسببه لي صندوق أمانيك هذا مذ صنعته و حتى اليوم؟؟

هل تعتقدين إنه اختفى من حياتي بمجرد أن علّفته هناك فوق رف المكتبة؟؟

إنه لم يكن في الحياة ... صندوق أهم من صندوقك !

قلت:

"لا ... مستحيل" !

أخذت تقلبه في يدها ثم نظرت إلي بتساؤل:

"ماذا حدث له إذن؟"

إن كنتم قد نسيتم فأذكركم بأنني ذات مرّة و من فرط يأس و حزني جعلت الصندوق في قبضتي...

قلت:

"إنه الزمن" !

من الصندوق ، إلى عينيّ إلى أنفي ، ثم إلى عيني ، انتقلت نظرات الصغيرة قبل أن تقول:

"إذن الزمن ... لا يحب أن تبقى الأشياء مستقيمة" !

"عفوا؟؟"

ابتسمت رغد و قالت:

"أليس الزمن هو أيضا من عقف أنفك؟"

رفعتُ سبابتي اليمنى و لامست أنفي المعقوف ... و عندها تذكّرتُ أنني عندما التقيت برغد أول مرّة بعد خروجي من السجن ، سألتني عما حدث لأنفي فأجبتها :

(إنه الزمن) !

"نعم ! إنه الزمن" ...

و صمتّ قليلا ثم واصلت:

"ألن تفتحيه؟"

و كنت في قمة الشوق لأن أستخرج سر رغد الدفين و أعرف ... من هو ذلك (الصبي) الذي كانت
تتمنى الزواج منه عندما تكبر؟؟

نظرت إليها بنفاز صبر ... هيا يا رغد ! افتحيه أرجوك ! أو اسمحي لي و أنا سأمزقه فورا ... و
افضح مكنونه!

لكن رغد أوامات برأسها سلبا...

كررتُ السؤال:

"ألن تفتحيه؟"

"لا" !

"لم ؟ ألا تتوقين لمعرفة ما بالداخل ؟ بعد كل هذه السنين؟؟"

"لا" !

و طأطأت برأسها ... و قد علت خديها حمرة مفاجئة ... ما زادني فضولا فوق فضول لمعرفة ما تحويه
!

قلت:

"هل ... تذكرين ... أمنيتك؟"

لم ترفع رأسها بل أجابت بإيماءة بسيطة موجبة.

"مادام الأمر كذلك ... فما الجدوى في إبقائها داخل الصندوق؟"

رفعت رغد أخيرا نظرها إلي و قالت:

"لأنها لم تتحقق بعد"

شعرت بنبضات قلبي تتوقف برهة ، ثم تندفع بسرعة جنونية ... و تخترق قدميَّ و تصطدم بالأرض !

و استطردت ، و قد بدا الجد و الإصرار على ملامح وجهها فجأة:

"و سأعمل على تحقيقها من كل بد ... و بأي وسيلة ... و مهما كان الثمن"

و أضافت و هي تلوح بسبابتها نحوي و تحد من صوتها أكثر:

... " و لن أسمح لأي شيء باعتراض طريقي"

الكلمات التي خرجت بحدّة من لسان رغد ، مقرونة بالنظرة القوية و اللهجة الجدية ، و المليئة بمعاني التحديّ ، جعلت تلك النبضات تقفز من باطن الأرض ، و تعود أدرجها متخللة قدميَّ المرتجفتين ، و تضرب قلبي بعنف ... محدثة تصدّع خطير...

اعتقد ... أنني أنا (الشيء) الذي لن تسمح له باعتراض طريقها ... و أعتقد أن اسم (حسام) مكتوب على قصاصة قديمة مختبئة داخل هذا الصندوق ... و اعتقد أنني أتلقى الآن تهديدا من حبيبة قلبي ... بالأعترض طريق زواجها من الرجل الذي تمننت الارتباط به منذ الصغر...

غضبي ثار ... نعم ثار...

لازالت تنظر إليّ بتحد...

حسنًا يا رغد...

قبلتُ التحدي...

قلت:

"و أنا أيضا لم أحقق أمنيّتي بعد"

و بحدّة أضفت:

"و سأعمل على تحقيقها مهما كلفني ذلك ... و أي شيء يعترض طريقي ..."

و صمتّ برهة ، ثم أضفت:

"سأقتله" !

و سحبت الصندوق من يدها بغتة ، و أكّدت:

"إنه حلمي ... و الموت وحده ما قد يحول دون نيّله ... عدا عن هذا يا رغد ... عدا عن الموت ...
فإنني لن أسمح لأي شيء بأن يبعده عنيّ ... لن أتخلّى عن حلمي أبدا ... إنه دائما أمامي ... و
قريبا ... سيصبح بين يدي ... و لي وحدي ..."

لم أشعر بمدى قوة الضغط الذي كنت أمارسه على ذلك الصندوق الورقي المخنوق في قبضتي ، حتى
أطلقت رغد صيحة اعتراض

كانت تنظر إلى الصندوق برثاء ... و مدّت يدها لتخلّصه منّي ... إلا أنني سحبت يدي بعيدا عنها ...
ثم سرتُ مبتعدا ... و اتجهت إلى مكتبتي و وضعت الصندوق المخنوق في نفس الموضع الذي كان يقف
فيه قبل سنين...

و حين استدرتُ إلى رغد رأيتها تراقبني بنظرات اعتراض غاضبة.

قلت بتحدٍ أكبر:

"سنرى من منّا سيحقق أمنيته!"

.....

لم أفهم معنى تلك النظرة القوية التي رمقني بها وليد!

كانت أشبه بنظرة تحد وإصرار ... و كانت مرعبة!

و ... في الحقيقة ... جذّابة!

أكاد أجن من هذا الوليد ! إن به مغناطيسا قويا جدا يجعل أي شيء يصدر منه ... نظرة ، إشارة ،

إيماءة ، حركة ... ضحكة أو حتى صرخة ، أو ربما ركلة ، أي شيء يصدر منه يجذبني!

لا تسخروا منّي!

إنه وسط الليل و أنا شديدة التعب أكثر مما تعتقدون ، لكن الخوف جعلني أطرق باب وليد...

كان واقفا قرب المكتبة ، استدار إلي:

" بعد إذنك "

و ذهب إلى دورة المياه

جلستُ أنا على المقعد الذي كنت أقف أمامه ، و أسندت رأسي إليه و شعرت بموجة قوية من
النعاس تجتاحني ... انتظرت وليد ... لكن تأخر...

في المرة التالية التي فتحت فيها عيني ... كانت أشعة الشمس تتسلل عبر النافذة و الستار و جفوني!

شعرت بانزعاج شديد فأنا لازلت راغبة في النوم ... لكنني تذكرت فجأة أنني في غرفة وليد في بيتنا
القديم...

فتحت عينيّ أوسعهما سامحة للضوء باختراق بؤبؤي و استثارة دماغي و إيقاظه بعنف!

مباشرة جلست و نظرت من حولي...

وليد كان نائما في فراشه!

باب الغرفة كان مفتوحا كما تركته ليلة أمس...

نهضت عن مقعدي و شعرت بإعياء في مفاصلي ... ألقيت نظرة على وليد ، و كان يغلف جسده
الضخم بالشرشف و بالكاد تظهر إحدى يديه!

عندما خرجت من الغرفة ، توجهت لإلقاء نظرة سريعة على الصالة ، حيث كانت الشقراء و أمها
تنامان...

ما إن ظهرتُ في الصورة حتى رأين أعين أربع تحدّق بي!

لقد كانتا هناك تجلسان قرب بعضهما البعض ... و تنظران إلي!

"ص... صباح الخير" !

قلت ذلك ثم ألقيت نظرة على ساعة يدي ، و عدّلت الجملة:

"أو ... مساء الخير"

لم تجب أي منهما مباشرة ... لكن الخالة قالت بعدها:

"مساء الخير . نوم الهناء"

لم أرتح للطريقة التي ردّت بها علي ، و شعرت أن في الأمر شيء ...

قالت أروى:

"مساء الخير. هل نهض ابن عمّك؟؟"

تعجّبت من الطريقة التي كلّمتني بها ، و من كلمة (ابن عمّك) هذه !

و لم تبد لي نظرتها طبيعية...

قلت:

"لا ! إنه ... لا يزال نائما" !

تبادلت الاثنتان النظرات ... وعادتا للصمت...

ذهبت بعدها إلى غرفتي الملاصقة لغرفة وليد ... وعندما خرجت للصلاة بعد قرابة النصف ساعة أو يزيد ، رأيت الثلاثة ، وليد و الشقراء و أمها يجلسون سوية في الصالة...

لا أعرف في أي شيء كانوا يتحدثون ... و بمجرد أن لمحوني لاذوا بالصمت!

ألا يشعركم ذلك بأنني أنا موضوع حديثهم؟؟؟

إلى وليد وجهت نظراتي و كلماتي ، بل و حتى خطواتي:

"مساء الخير"

"مساء النور" ...

و جلستُ على مقربة.

نظرتُ إلى الأشياء من حولي ، فأنا لم أتأملها البارحة ... الصالة كما تركناها قبل ٩ سنين ... حسبما أذكر ، و الغبار يغطي أجزاءها!
قلت:

"سنحتاج وقتا طويلا و جهدا مكثفا لتنظيف كل هذا" !

أروى قالت معترضة:

"و هل سيكون علينا تنظيف هذا ؟ إننا لن نسكن هنا على أية حال"

استغربت ، و نظرت إلى وليد متسائلة ... و هذا الأخير لم يعقب!

قلت:

"وليد ... أئن نسكن هنا؟"

أجاب:

"سنبقى هنا في الوقت الراهن . لا نعرف كم من الوقت ستستغرق مسألة استلام الإرث . سأستعين
بوالد صديقي سيف . آمل أن تسير الأمور بسرعة"

قلت:

"أتعني ... أننا بعد إتمام هذه المهمة سنعود إلى المزرعة؟؟"

تولت الشقراء الرد بسرعة:

"بالطبع ! ماذا تعتقدين إذن؟؟ سنعود للمزرعة و نجري بعض التعديلات في المنزل ... ثم "

و نظرت إلى وليد و قالت مبتسمة:

"نتزوج "

تخيلوا كيف يكون شعور فتاة تسمع أي امرأة أخرى تقول لها:

(سأتزوج حبيبك)؟؟

رميت سهام نظراتي الحارقة نحو الشقراء البغيضة ، ثم نحو وليد ... و اجتاحتني رغبة عارمة في
تمزيقهما سوية!

أهذا ما يخططان له؟؟

يستلمان الإرث الضخم ، و يذهبان للمزرعة ليعدا عشمهما و يتزوجان!

ماذا عني أنا؟؟

مجرد هامش زائد لا أهمية له و لا معنى لوجوده؟

كنت أريد أن أسمع من وليد أي تعليق ، لكنه ظل صامتا شاردا ... ما أثار جنوني...

مازالت الابتسامة معلقة على شفتي الحسناء الدخيلة ، و هاهي تحركهما من جديد و تقول بصوت شديد النعومة:

"فيم شردت ... عزيزي؟"

مخاطبة بذلك الرجل الوحيد معنا في الصالة ، و الذي يجلس على مقربة مني ، و الذي يجري حبه في عروقي تماما كما تجري دماء قرابتنا ...

وليد قال:

"كنت أفكر في أن نذهب إلى أحد المطاعم ! لا بد أننا جائعون الآن " !

.....

في الحقيقة كان الطعام هو آخر ما أفكر به ، و لكنه أول ما قفز إلى ذهني عندما تلقيت سؤال أروى و أنا شاردا ذلك الوقت...

و ما حدث هو أننا ذهبنا إلى المطعم ثم إلى السوق و اشترينا بعض الحاجيات و من ثم عدنا إلى المنزل

...

كما و اتصلنا بالعم إلباس و كذلك بأم حسام – تحت إصرار من رعد – و طمأنا اللمبمع على وصولنا سالمين.

بعدها اتصلت بصديقلي القديم و رفيق دراستي و محنتي ... سيف و اتفقت معه على أن يحضر إلى منزلي ليلا.

تعاوننا نحن الأربعة في تنظيف غرفة الضيوف قدر الإمكان من أجل استقبال سيف.

حاولت جاهدا أن أتجاهل أي ذكرى تحاول التسلل إلى مخيلتي من جراء رؤيتي لأجزاء المنزل من حولي ... إلا إن هذه الذكرى الأليمة اخترقتني بكل إصرار!

كان ذلك عندما قمنا بنقل بعض قطع السجاد إلى الخارج ... إلى مؤخرة المنزل ، حيث تقع الحديقة الميتة و التي أصبحت مقبرة للحشائش الجافة و مأوى للرمال الصفراء...

عند إحدى الزوايا ... كانت عدة الشواء القديمة تجلس بكل صمود ... متحدية الزمن!

لا أعرف لماذا يقشعر بدني كلما رأيت هذه بالذات!

و لم أكن أعرف أن لها نفس التأثير على أي مخلوق إلى أن رأيت رعد ... و التي كانت تحمل السجادة معي تقف فجأة ، و تسند طرف السجادة إلى الأرض ... و تمد يدها اليمنى لتلامس ذراعها الأيسر!

صحيح أنها كانت صغيرة آنذاك ، و لكن حادثة السقوط على الجمر المتقد هي حادثة أقسى على قلب الطفل من أن ينسى آثارها...

إن أثر الحرق ظل محفورا في ذراعها الأيسر ... و كنت أراه كل يوم فيما مضى!

تري...

ألا يزال كما هو؟؟

وضعنا السجادة الملفوفة قرب أدوات الشواء تلك ، ثم جلسنا فوقها نلتقط أنفاسنا!

"ثقيلة جدا ! أراهن أنهما لن تتمكننا من حمل الأخرى" !

قالت رغد ذلك ... و كانت أروى الخالة تحملان سجادة ملفوفة أصغر حجما و في طريقهما إلينا

قلت:

"بل ستفعلان ! لا تعرفين كم هما قويتان" !

و أنا أعرف كيف كانتا تعملان الأعمال الشاقة في المزرعة !

قالت:

"إنهما متشابهتان جدا"

"نعم ... صحيح"

"و جميلتان جدا" !

استغربت ... لكنني قلت:

"نعم ! صحيح" !

واصلت رغد:

"و أنت محظوظ جدا" !

صمت ، و علتني الريبة ! ما الذي تعنيه صغيرتي؟؟

رمقتها بنظرة استفسار فتطوّعت هي بالإيضاح مباشرة:

"لديك خطيبة جميلة جدا ... و ثرية جدا ! ... سوف تعيشان سعيدين جدا"

و صمتت ثوان ثم استطردت:

"أما أنا" ...

ظهرت أروى و الخالة في مرآنا فالتفتنا إليهما...

كانتا تجران السجادة بتثاقل ... و سرعان ما هببتُ أنا لمساعدتهما.

و في الليل حضر صديقي العزيز سيف و كان لقاؤنا حميما جدا...

تبادلنا الأخبار ... فعلمت منه أنه رزق طفلا صغيرا!

"دورك يا رجل ! و بما أن أمورك قد استقرت ... فهيا عجلّ بالزواج !"

ابتسمتُ لدى تعليقه المتفائل ... إن أموري لم تستقر و لم تحل ... بل هي آخذة في التعقد مرة لعد

أخرى ... و الآن أنا في حيرة شديدة ... ماذا عليّ أن أفعل؟؟

شرحت له تفاصيل إرث أبي عمّار ... عم أروى التي هي خطيبتي ، و ابنة صاحبي الذي تعرفت علي

في السجن ، بعد قتلي لعمّار ... فبدا الأمر أشبه بخرافة من خرافات الجدات العجائز!

"سبحان الله ! أي قدرة إلهية عجيبة أودت بك إلى هذا الوادي يا وليد !"

"إنها الأقدار يا صديقي !"

"إذن ... ستصبح زوج سيدة من أثرى سيدات المنطقة ! سبحان الله ! ها قد ابتسمت ، بل ضحكت لك الدنيا أخيرا يا وليد "

و لأن أي من علامات السرور لم تظهر علي ، فإن سيف لاز بالصمت المفاجئ المتعجب...

كانت في صدري عشرات الهموم إلا أنني لم أشأ أن أنفثها في وجه صديقي مذ أول لقاء يجمعنا بعد طول فراق...

بعد ذلك ، اتفقت مع سيف على ترتيب زيارة رسمية لمكتب المحاماة الذي يملكه والده غدا باكرا ، و اتخاذه محاميا قانونيا لتولي الإجراءات اللازمة بشأن الإرث .

بعد انصرافه ، ذهبت إلى الصالة العلوية حيث يفترض أن يكون الجميع ، فوجدت أروى تتصفح مجلة كانت قد اشترتها عصر اليوم أثناء تسوقنا ، و قد نفشت شعرها الذهبي الطويل على كتفيها بحرية ... بينما الخالة ليندا نائمة على المقعد ، و رغد غير موجودة...

بادرتني أروى بالسؤال:

"كيف كان اللقاء؟"

"حميما و مثمرا ! سأذهب غدا مع سيف إلى مكتب أبيه و هو محام معروف و ماهر ، و سننطلق من هناك "

"آمل ألا يطول الأمر " ...

"إنها أمور تطول في العادة يا أروى ! علينا بالصبر"

قالت و هي تضع يدها على صدرها:

"أشعر بالحنين إلى المزرعة ... و إلى خالي ! الجو هنا مغبر و كاتم ... و كثيب جدا يا وليد "

تحركت الخالة ليندا قليلا ... فالتفتنا إليها ثم قالت أروى:

"دعنا نذهب إلى غرفتك كي لا نزعجها"

و هناك ، في غرفتي واصلنا الحديث ... أخبرتها بتفاصيل لقائي بسيف و ما خططنا له . و تشعبت أحاديثنا إلى أمور كثيرة و مر الوقت سريعا دون أن نشعر به!

فجأة ، سمعت طرقا على الباب...

استنتاجكم صحيح !

العيان الواسعتان ذاتا النظرات الشجية ، حلقتا بعيدا عن عينيّ و حطّتا على الفتاة الجالسة على السرير داخل الغرفة تعبت بخصلات شعرها الذهبية ...
ابتسمتُ لصغيرتي ... و قلت:

"مرحبا رغد" !

رغد لم تنظر إليّ ، كما لم ترد عليّ ... و رأيتُ وجهها يحمر !

قلت:

"تفضلي"

رفعت بصرها إلي و رمّنتني بسهم ثاقب!

قلت:

"أهناك شيء ؟؟"

ردّت رغد بجملة مضطربة:

"كنت ... أريد ..."

أريد الهاتف " !

و كررت بنبرة أكثر ثقة:

"أريد هاتفك لبعض الوقت ! هل تعيرني إياه؟"

كنت متشككا ، لكنني قلت:

" بكل تأكيد " !

و أحضرت لها هاتفي المحمول ... و هو وسيلتنا الوحيدة للاتصال...

تناولته رغد و شكرتني و انصرفت بسرعة...

عندما استدرتُ للخلف ، و جدتُ أروى و قد مدّت رجليها على السرير و استندت على إحدى

ذراعيها بينما استخدمت الأخرى في العبث بخصلات شعرها الطويل الأملس!

"حان وقت النوم ! سأنهض غدا باكرا و أريد أن آخذ قسطا كافيا من الراحة"

قلت ذلك معلنا نهاية الجلسة ... فاسحا المجال لأروى للذهاب من حيث أتت.

ساعتان و نصف من التقلب على السرير ... دون أن يجد النوم طريقه إلى إي من جفوني الأربعة...

ليس ما يقلقني هو إجراءات الإرث تلك ... و لا خططي المستقبلية ... و لا المفاجآت التي يمكن أن

تخبئها القدر لي...

بل هو مخلوق بشري عزيز على نفسي ... يحتل حجرات قلبي الأربعة ... و يتدفق منها مع تدفق

الدم ... و يسري في عروقي مع سريانها و ينتشر في خلايا جسدي أجمع ... ثم يعود ليقطن الحجرات

الأربع من جديد...

كائن صغير جدا ... و ضعيف جدا ... و خواف جدا!

و هو لا يشعر بالطمأنينة إذا ما ابتعد عني ... و جاء طلبا لبعض الأمان بقربي...

لكنه اكتفى بأخذ هاتفي المحمول ... و اختفى خلف هذا الجدار المشترك بين غرفتي و غرفته...

إنني لو اخترقت الجدار ... سأجده نائما على السرير ... بأمان

أو ربما باكيا خلف الجدار ... في خوف...

أو جاثيا على الأرض ... في حزن...

أو ربما ذارعا الغرفة جيئة و ذهابا ... في ألم...

إنني لا أستطيع أن أنام دون أن أطمئن عليها ! و ستبوء كل محاولاتي بالفشل حتما!

استسلم !

لا تكابر يا وليد!

تسللت من غرفتي بهدوء و أنا أتلفت ذات اليمين و ذات الشمال ... مخافة أن يشعر بي أحد ... و

وقفت عند باب غرفة صغيرتي و أمسكت بالمقبض!

كنت على وشك أن أفتحه لو أن عقلي لم يستيقظ و يزعجني بعنف ! أي جنون هذا ؟؟ من تظن نفسك

يا وليد؟؟ كيف تجرؤ؟؟

عدت مسرعا...أجر أذيال الخيبة ... و رميت بجسدي المثقل على مرارة الواقع ... و استسلمت
لحدود الله....

لم يكن الأمر بالصعوبة التي توقعتها لكنه لم يكن سهلا ! الكثير من الأوراق و الوثائق و التواقيع
استغرقت منا ساعات طويلة . و كان يتوجب علي أخذ أروى إلى المحكمة ...

منتصف الظهيرة ، هو الوقت الذي عدتُ فيه إلى المنزل بعد جهودي السابقة و أنا أحمل وثائق في
غاية الأهمية في يد ، و طعام الغداء في اليد الأخرى!

كيف وجدت أروى و الخالة؟

وجدتهما منهنمكتين في تنظيف المطبخ!

"أوه ! لم تتعبان نفسيكما ! إنه مليء بالغبار" !

ردّت الخالة:

"و نحن لا نحتمل الغبار و لا نحبه يا ولدي . اعتدنا الجو النقي في المزرعة . على الأقل هكذا سيغدو
أفضل"

وضعت كيس الطعام على المائدة المحتلة قلب المطبخ . و نظرت من حولي
كل شيء نظيف و مرتب ! كما كانت والدتي رحمها الله تفعل . شعرت بامتنان شديد لأروى و الخالة
و قلت:

"جزاكما الله خيرا . أحسنتما . أنتما بارعيتن " !

أقبلت أروى نحوي و هي تبتسم و تقول:

" هذا لتعرف أي نوع من النساء قد تزوّجت " !

فضحكت الخالة و ضحكنا معها...

في هذه اللحظة دخلت رغد إلى المطبخ.

كان وجهها مكفهرًا حزينا ... و بعض الشرر يتطاير من بؤبؤيها!

وجهت حديثها إلي ، و كان صوتها حانقا حادا:

" هل عدت أخيرا ؟ تفضّل . نسيت أن تأخذ هذا "

و دفعت إلي بهاتفي المحمول و الذي كنت قد أعطيتها إياه ليلة أمس ... و تركته معها فيما رافقت سيف إلى حيث ذهبنا صباحا.

و من ثم غادرت مسرعة و غاضبة...

أنا و السيدتان الأخريان تبادلنا النظرات ... ثم سألت:

" ما بها ؟ "

فردت أروى بلا مبالاة:

" كالعادة ! غضبت حين علمت أنك خرجت و لم تخبرها ! كانت تنتظر أن توقظها من النوم لتستأذنها قبل الخروج " !

و لم تعجبني لا الطريقة التي تحدّثت أروى بها ، و لا الحديث الذي قالته.

استدرت قاصدا الخروج و اللحاق برغد ... فنادتني أروى:

"إلى أين؟"

التفت إليها مجيبا:

"سأتحدث معها"

بدا استياء غريب و غير معهود على ملامح أروى ... ثم قالت:

"حسنا ... أسرع إلى مدلتك ! لا بد أنها واقفة في انتظارك الآن"

.....

عندما أتى إلي ... كنت أشتعل غضبا...

كنت واقفة في الصالة العلوية أضرب أخماسا بأسداس...

وليد بدأ الحديث بـ:

"كيف أنتِ؟"

رددت بعنف:

"كيف تراني؟"

صمت وليد قليلا ثم قال:

"أراك ... بخير" !

قلت بعصبية:

"و هل يهملك ذلك؟"

"بالطبع رغد ! أي سؤال هذا؟؟"

لم أتمالك نفسي و هتفت بقوة:

"كذاب"

تفاجأ وليد من كلمتي القاسية ... و امتنع وجهه ... ثم إنه قال:

"رغد ! ... هل لا أخبرتني ... ما بك؟؟"

اندفعت قائلة:

"لو كان يهملك أمري ... ما خرجت و تركتني وحيدة في مكان موحش" !

"وحيدة ؟ بالله عليك ! لقد كانت أروى و الخالة معك" !

"لا شأن لي بأي منهما . كيف تجرؤ على الخروج دون إعلامي ! كيف تتركني وحيدة هنا؟"

"و أين يمكنني تركك يا رغد إذن؟؟"

اشتطت غضبا و قلت:

"إن كان عليك تركي في مكان ما ، فكان أجدر بك تركي في بيت خالتي . مع من أحبهم و يحبونني و يهتمون لأمرى ... لماذا أحضرتني معك إلى هنا ؟؟ ما دمت غير قادر على رعايتي كما يجب ؟؟ "

تنهّد وليد بنفاز صبر...

ثم قال:

"حسنا.. أنا آسف... لم أشأ أن أوقظك لأخبرك بأني سأخرج . لكن يا رعد ... هذا سيتكرر كثيرا ... ففي كل يوم سأذهب لمتابعة إجراءات استلام إرث أروى " ...

أروى ... أروى ... أروى...

إنني بت أكره حتى حروف اسمها ...

حينما رأيته البارحة في غرفة وليد ... و جالسة بذلك الوضع الحر ... على سريريه ... و نافذة شعرها بكل أحقية ... و ربما كان وليد يجلس قريبا مباشرة قبل أن أفسد عليهما خلوتهما ... حينما أتذكر ذلك ... أتعرفون كيف أشعر ؟؟؟

نفس شعور الليمونة الصغيرة حينما تعصر قهرا بين الأصابع!

أشحت بوجهي عن وليد ... و أوليته ظهري ... أردته أن ينصرف ... فأنا حانقة عليه جدا و سأنفجر فيما لو بقي معي دقيقة أخرى بعد...

وليد للأسف لم ينصرف ... بل اقترب أكثر و قال مغيرا الحديث:

"لقد أحضرت طعام الغداء من أحد المطاعم . هلمّي بنا لتتناوله"

قلت بعصبية :

"لا أريد ! اذهب و استمتع بوجبتك مع خطيبتك الغالية و أمها"

"رغد" !

التفتّ إلى وليد الآن و صرخت:

"حل عني يا وليد الآن ... أرجوك"

و هنا شاهدت أروى مقبلة نحونا... عندما لمح وليد نظراتي تبتعد إلى ما ورائه ، استدار فشهد أروى مقبلة

و أروى ، طبعاً بكل بساطة تتجول في المنزل بحرية و بلا قيود ... أو حجاب مثلي!

قالت:

"رتبنا المائدة ! هيا للغداء"

التفتت إلي وليد و قال:

"هيا صغيرتي ... أعدك بألا يتكرر ذلك ثانية"

صرخت بغضب:

"كذاب"

حقيقة ... كنت منزعجة حد الجنون! ...

على غير توقّع ، فوجئنا بأروى تقول:

"كيف تجرؤين ! ألا تحترمين ولي أمرك ؟ كيف تصرخين بوجهه و تشتمينه هكذا ؟ أنتِ فتاة سيئة الأخلاق"

صعقت للجملة التي تفوهت بها أروى ، بل إن وليد نفسه كان مصعوقا...

قال بدهشة:

"أروى !! ما الذي تقولينه ؟؟"

أروى نظرت إلى وليد بانزعاج و ضيق صدر و قالت:

"نعم يا وليد ألا ترى كيف تخاطبك ؟ إنها لا تحترمك رغم كل ما تفعل لأجلها ! و لا تحترم أحدا ... و لا أنا لا أسمح لأحد بأن يهين خطيبي العزيز مهما كان"

قالت هذا ... ثم التفتت إليّ أنا و تابعت:

"يجب أن تقفي عند حدك يا رغد ... و تتخلي عن أفعالك المراهقة السخيفة هذه ... و تعرفي كيف تعاملين رجلا مسؤولا يكرس جهوده ليكون أبا حنوننا لفتاة متدلة لا تقدر جهود الآخرين !"

"أروى !"

هتف وليد بانفعال ... و هو يحدق بها ... فردت:

"الحقيقة يا عزيزي ... كما ندركها جميعا" ...

التفت وليد نحوي ... ربما ليقراً ملامح وجهي بعد هذه الصدمة ... أو ربّما ... ليظهر أمام عيني هاتفه المحمول في يده ... و أنقض عليه بدون شعور ... و أرفعه في يدي لأقصى حد ... و أرميه بكل قوّتي و عنفي ... نحو ذلك الوجه الجميل الأشقر!

الحلقة السابعة و الثلاثون

لم يكن للضربة التي تلقيتها بيدي في آخر لحظة أي أثر على وجهي أو يدي... لكن أثرها كان غزيرا
غائرا في قلبي و مشاعري...
ليس فقط لأنني اكتشفت مدى الكره الذي تكّنه رغد لي، بل و لأنني اكتشفت أن وليد متساهل معها
لأقصى حد ... بل و بلا حدود...
و فوق كونها فتاة مراهقة شديدة التدلل و العنج، و قليلة التفكير في مشاعر الآخرين و ظروفهم، و فوق
فرضها لوجودها و احتلالها مساحة كبيرة جدا من اهتمام وليد و مسؤوليته، و فوق كرهها لي و غيرتها
الواضحة مني، فوق كل هذا و هذا، رغد تحب خطيبي!

إنني و مذ سمعتها تلك الليلة... تهمس له - و هو نائم في السيارة -

(وليد قلبي)

و أنا في حالة عصبية و رغما عني بدأت أراقب كل تصرفاتها و أترجم كل أفعالها على أنها ولع بوليد
!

فكيف أصحو ذات صباح، و أذهب إلى غرفة خطيبي فأراها نائمة على المقعد في غرفته؟؟

يومها أخبرت أمي بكل ما جد... و أطلعتها على اكتشافي... و بكيت بمرارة

إنها و منذ أن ظهرت في حياتي ... قبل عدّة أشهر... منذ تلك الليلة التي حضرت مع وليد و دانة
هاربين من القصف ... و هي تشغل اهتمام وليد و تفكيره!

و بالرغم من أنني تعاطفت معها كثيرا ... للظروف المفجعة التي مرّت بها خلال أشهر ... و بالرغم من أنني أحسنت معاملتها و آويتها و أسرتي إلى منزلنا ... و أسكنتها غرفتي كذلك ... و عاملتها و أهلي كفرد منا و حاولنا توفير كل ما احتاجت إليه ... بالرغم من كل ذلك، ها أنا أشعر الآن برغبة قوية في إخراجها من حياتي أنا و وليد...

وليد خذلني في الموقف الأخير...

فعوضا عن زجرها أو تأنيبها و ردعها... ما إن هربت إلى غرفتها بعد رميي بهاتفه المحمول حتى حثّ الخطى سيرا خلفها هي!

هتف:

"رغد"

و لم تكثر له فتوقف في منتصف الطرق و ضرب راحته اليسرى بقبضته اليمنى غضبا...

التفت إلىّ أخيرا و قال:

"لماذا فعلت ذلك؟؟ أروى ! ماذا أصابك؟؟"

تفاجأت من سؤاله ، فعوضا عن أن يقف إلى جانبي و يواسيني أراه غاضبا منّي أنا ! إنني أنا من تلقيت تلك الضربة من رغد ... ألم ترَ ذلك جليا يا وليد؟؟

قلت:

"ماذا فعلتُ أنا؟؟ وليد هل رأيت كيف ضربتني ابنة عمك؟؟ أليس لديك شيء تقوله من أجلي؟؟"

"

بدا على وليد العصبية أكثر من ذهول المفاجأة... و ظهر كالمستاء من كلامي أكثر من استيائه من فعلة رغد...

قلت:

"وليد ... تحدّث" !

التقط وليد نفسا أو اثنين عميقين ، ثم قال و هو يعود أدراجه نحو قلب الصالة:

"كلماتك كانت قاسية و جارحة"

و أذهلني موقفه أكثر و أكثر.. .

قلت بانزعاج:

"أليست هذه هي الحقيقة يا وليد؟؟ ألسنت تبالغ جدا في تدليل ابنة عمّك و كأنها اليتيمة الوحيدة على وجه الأرض؟؟ أنا أيضا يتيمة يا وليد ... ولو كان ابن عمّي عمّار حيا و يرعاني كما ترعى أنت ابنة عمّك، لألصقت جبيني في الأرض سجودا و شكرا لله مدى الحياة" !

و لا أدري لم استفزّت هذه الجملة وليد بشكل مبالغ به فصرخ بوجهي:

"اسكتي"

اعترتني رغبة مباغثة في البكاء لحظتها فأثرتُ الانسحاب و هرعت إلى المطبخ ، حيث كانت أمي ترتب الملاعق على مائدة الغذاء

خاصمتُ وليد للساعات التالية و رفضت الذهاب معه إلى المحكمة كما كان يخطط.. يحق لي أن أغضب حين أرى الموقف البارد من خطيبي... و يحق لي أن أطالب رغد باعتذار علني أمام وليد... و سوف لن أتخلى عن هذين الحقين هذه المرّة... و سأجعل رغد تفهم أنني المرأة الأولى في حياة وليد...رغما عن قرابتهما و ذكرياتهما السابقة... و رغما عن أي شعور تحمله هي تجاه خطيبي ... و أيا كان!

.....

لم أكن أدرك أن الشحنات المتضادة بين رغد و أروى قد كبرت و وصلت إلى هذا الحد...
أروى كانت قد أخبرتني سابقا بأن رغد لا تبدي أي مودة تجاهها و أنها تغار منها!

أتذكرون العدستين الزرقاوين اللتين وضعتهما رغد على عينيها ذلك اليوم؟؟
هل تغار جميع النساء من بعضهن البعض؟ هذه الحقيقة على ما يبدو!

ألاّ تحب رغد أروى هو أمر متحمل لا استبعده، فهي حسبما اكتشفتُ لا تتأقلم مع الآخرين بسهولة
...
أما أن تظهر من أروى إشارات تدل على عدم حبّها لرغد أو استيائها منها، فهو أمر جديد لم ألحظ
أهميته قبل الآن....

و بسبب الخلاف، اضطررت لتأجيل زيارتنا للمحكمة حتى اليوم التالي

الصغيرة الغاضبة ظلت حبيسة غرفتها طوال الساعات التالية ... و رفضت الاستجابة لنا حين حاولنا
التحدث معها...

أما أروى فقضيت فترة لا بأس بها معها أحاول استرضاءها حتى رضت عني!

حتى و إن بذلتُ الجهود القصوى لإخفائه فإن قلقي بشأن رغد كان مصرا على الظهور!

كان ذلك صباح اليوم التالي حين كنا أنا و أروى هامين بالخروج قاصدين المحكمة لإتمام بعض
الإجراءات اللازمة. كنت مشغول البال على الصغيرة التي لم أرها منذ أمس و لا أعرف كيف قضت
ليلتها ... لم أكن لأستطيع المغادرة قبل الاطمئنان عليها أو إبلاغها بأنني سأخرج ...
وقفت عند أعلى درجات السلم بينما أروى هبطت درجات ثلاث قبل أن تستدير إلي مستغربة...

"لم وقفتَ؟"

كان القلق مرسوما على وجهي بشكل لا أظن أروى قد أخطأته!
أعتقد إن أحدا لا يحتاج كمية كبيرة من الذكاء ليعرف السبب!

ضيّقت أروى حدقتيها و قالت:

"رغد مجددا؟؟"

و بدا الضيق عليها ... فقلت مسرعا:

"لا أريد أن أخرج دون إعلامها و أسباب لها الإزعاج كالأمس" ...

قاطعتني أروى:

"بربك وليد ! أوه كم تبالغ ! ألا تدرك أنها تفعل ذلك لمجرد الدلال لا أكثر؟؟ ألا تعرف هي سبب
مجيئنا إلى هنا؟ هيا يا وليد دعنا نمضي و ننجز المهمة في أقصر مدة ممكنة و نعود للمزرعة"

علّقت قدمي بين أعلى درجة و الدرجة التي تليها من السلم ... و بقيت برهة مترددا...

"وليد ! هيا" !

و عوضا عن الهبوط بقدمي للأسفل رفعتها للأعلى و أنا أتراجع و أهز رأسي استسلاما و أقول:

"يجب أن أطمئن على الصغيرة أولا"

سرتُ نحو غرفة رغد ... و وقفت عند الباب ... تبعتني أروى في صبر نافذ و أخذت تراقبني و قد
كتّفت ذراعيها و رمت برأسها نحو اليمين !

قلت:

"أدخلي و اطمئني عليها"

فتحت أروى ذراعيها و رفعت رأسها مندهشة:

"أنا؟؟"

"طبعاً ! أم يعقل أن أدخل أنا ؟؟"

و كانت جملة اعتراض تكاد تنطلق من لسان أروى استنكاراً و رفضاً و لكن نظرة رجاء من عيني جعلتها تتراجع !

أروى تقدّمت نحو الباب و طرقته طرقة خفيفاً ثم فتحتة و ولجت الغرفة ... و بقيت أنا في الخارج مولياً ظهري لفتحة الباب ...

إنه الصباح الجميل !

يكون المرء في قمة النشاط و الحيوية و الإقبال على الحياة ... بأعصاب مسترخية و نفسية مترابطة و مزاج عال !

آخر شيء يتمنى المرء سماعه من مطلع الصباح هو الصراخ !

"أخرجني من غرفتي فوراً"

كانت هذه الصيحة التي خلخلت صفو الصباح منطلقة من حنجرة رغد !

أجبرني صوت رغد على الالتفات للوراء ... و أبصرتُ أروى و هي تتقدم مسرعة خارجة من الغرفة في ثوان ...

كان وجه أروى الأبيض الناصع شديد الاحمرار كحبة طماطم شديدة النضج ...

أما التعبيرات المرسومة عليه فكانت مزيجاً من الغضب و الحرج و الندم و اللوم !

حين التقت نظراتنا اندفعت قائلة:

"أ يعجبك هذا ؟؟ لم يهني أحد بهذا الشكل " !

تملّكني الغضب آنذاك ... الغضب من رعد ... فتصرفها كان مشينا ... و كنت على وشك أن أدخل
الغرفة لكنني انتبهت لنفسي فتوقفت ... و قلت بحدّة:

"أنتِ لا تطاقين يا رعد" !

و التفتت إلى أروى و قلت:

" هيا بنا "

الساعات التالية قضيتها و أروى بين المحكمة و مكتب المحاماة و مكاتب أخرى ... نوقع الوثائق
الرسمية و نسجّل العقود و خلافها ...
و بفضل من الله تذلت المصاعب لنا كثيرا ... و أنهينا المهمة...

و بالرغم من ذلك قضينا ساعات النهار حتى زالت الشمس خارج المنزل

بعد ذلك عدنا للمنزل و تناولنا وجبة غداثنا، أنا و أروى و الخالة ليندا.

لا!

لا تعتقدوا أنني نسيت رعد!

إنني غاضب من تصرفها لكنني قلق بشأنها ... و انتهزتُ أول فرصة سانحة حين غابت أروى بضع
دقائق و سألتُ الخالة ليندا:

"ماذا عن رعد؟ هل رأيته؟"

"لا أظنها غادرت غرفتها يا بني"

توتّرت ... قلت:

"هل مررتِ بها؟"

"فعلتُ ذلك و لكن ... لم تتجاوب معي فتراجعت"

غيّرتُ نبرة صوتي حتّى صارت أقرب إلى الرجاء و قلت:

"هل لا فعلتِ ذلك الآن يا خالتي ؟ لا بد أنها جائعة ... خذي لها بعض الطعام"

و ابتسمت الخالة و شرعت في تنفيذ الأمر و عادت بعد قليل تحمل الطعام و تقول:

"تقول أنها ستأكل حينما ترغب بذلك"

هممتُ أنا بالنهوض للذهاب إليها إلا أن الخالة أومأت إليّ بألا أفعل ... ثم قالت:

"ليس الآن ..."

و ركزت نظراتها عليّ و أضافت:

"بني يا وليد... الفتاة بحاجة إلى خالتها... أعدها إليها يرحمك الله"

تعجبتُ ... و قلتُ مسأئلا:

"لم تقولين ذلك يا خالتي؟"

أجابت:

"أرحها يا بني ... إنها صغيرة و قد عانت الكثير... افهم يا وليد أنها بحاجة إلى أم... و هو

شيء... لا يمكنك أن أنت مهما فعلت... تقديمه"

و هزت رأسها تأكيدا ... ثم انصرفت...

أما أنا فبقيت أفكر في كلماتها لوقت طويل...

ألم أعد أصلح ... أما لكِ يا رغد؟؟

الساعة الحادية عشر مساء...

كنا أنا و أروى ساهرين نخطط لمستقبلنا و نناقش مستجدات حياتنا و نرسم خطوط الغد...

"ستتولى أنتَ كل شيء يا وليد! كل ما هو لي سيكون بين يديك و تحت إشرافك!"

"لا أعرف يا أروى ما أقول ... الثروة كبيرة جدا ... و علينا أن نكون حذرين! أماننا الكثير لنفعله"

كنت أشعر بالقلق ... فثروة أروى ضخمة جدا ... و ليس من السهل أن ينتقل أحدهم من حياة الفلاحة البسيطة فجأة إلى حياة الثراء الفاحش!

لا أعرف ما الذي يتوجب علينا فعله بكل تلك المبالغ المهولة التي تركها أبو عمّار ...

لدى ذكر اسم عمّار ... قفز إلى بالي شيء كنت متقاضٍ عنه حتى الآن...

أروى ... لا تعرف حتى الآن أن خطيبها هو الشخص الذي قتل ابن عمّها الذي ستمتع بثروته! ...

لا أعلم لمَ لم يأتِ ذكرٌ لهذه الحقيقة حتى الآن ... لم أتخيّل نفسي أخبرها بأن الـ (حيوان) الذي قتله ذات مرّة، و بسببه قضيت الـ (ثمان) سنوات من عمري في السجن و أضعت مستقبلي ... هو عمّار!

عمار ... ابن عمها الوحيد ...

شردت في هذه الفكرة الطارئة ... فلحظت أروى شرودي المفاجئ ...

رفعت يدها إلى رأسي و أخذت تطرق بسبابتها على صدغي بخفة و تبتسم و هي تقول:

"ما الذي يدور في رأس حبيبي الآن؟؟"

أدركت أنها لم تكن بال اللحظة المناسبة لأفجّر مفاجأة من هذا النوع، في وجه أروى الباسمة...

كانت ... فرحة جدا و تحلم بالمستقبل المشرق و تفكر بما سنفعله في المزرعة ...

و كم هي طيبة و عفوية ...

إنها وضعت ثروتها كلها بين يديّ!

ابتسمتُ و قلت:

"علينا أن نتوقّف عن التفكير و نأوي للنوم ! لقد أرهقنا دماغينا بما يكفي لهذا اليوم"

ابتسمت و هي تحرك يدها هبوطا من رأسي إلى كتفي إلى يدي فتشد عليها و تقول:

"لم أكن لأعرف كيف أتصرف لو لم تكن معي يا وليد ... الله بعثك لي حتّى تقود أموري إلى الطريق

الصحيح ... حمدا لك يا رب"

و زادت ضغطها على يدي و خففت صوتها و أضافت:

"و شكرا لك ... يا حبيبي"

كانت تسير بدلال و هي تبتعد عني مقتربة من الباب ... فتحتته و استدارت تلقي علي نظرة أخيرة

باسمة ، فلوّحت لها بيدي و البسمة لا تفارق شفتي ...

و استدارت لتخرج ... و قفت برهة ... ثم عادت و استدارت نحوي!

لكن ... هذه النظرة لم تكن باسمة ! بل كانت متفاجئة!

بعثرتُ الابتسامة التي كانت معلّقة على شفتي و علتني الحيرة!

كنت سأسألها (ماذا هناك) إلا أنها عادت و استدارت نحو الخارج ...

حثتُ الخيطى نحوها و من خلال فتحة الباب أمكنني رؤية ما أجفل أروى

كتاب الله المقدس ... مصحف شريف ... مضمومٌ بقوة إلى صدر شاهق لفتاة ملفوفة بالسواد ... تقف على مقربة من الباب ... في حال يخبر الناظر إلى عينيها بمدى الرعب الذي يكتسحها...

ما إن ظهرتُ أنا في الصورة حتى استقبلتني عينا رغد استقبالا حارقا...

شعرت بقلبي يهوي تحت قدمي ... هتفتُ بصوت مخنوق:

"رغد" !! ...

تبادلنا أنا و أروى النظرات المستغربة ...

تخطيت أروى مقتربا من رغد و أنا شديد القلق ... قلت:

"ما بك؟؟"

و لو تعلمون ... كم عضضت على أسناني ندما و غضبا من نفسي آنذاك...

لو تعلمون ... كم كرهت نفسي ... و تمنيت لو أن زلزالا قد شق الأرض و ابتلعني فورا...

صغيرتي ... قالت ... بصوت متهدرج و بكلمات متقطعة مبعثرة ... و بنبرة يأس و قنوط شديدين ...

كالنبرة التي يطلقها الجاني و هو يستشعر حبل المشنقة يلف حول عنقه ... قبل الموت: ...

"ألم ... تخبرك ... أمي ... أمك ... بأن لدي ... خوف ... رهبة مرضية ... من الغربة و الغرباء

...؟ يمكنك أن تغضب مني ... تتشاجر معي ... تخاصمني ... لكن ... لا تدعني وحدي ... المكان

موحش ... أنا لا أحتمل ... لا تفعل هذا بي يا وليد" ...

إنه حبل الوريد...

ذاك الذي شعرت به يتقطع فجأة بخنجر حاد مسنن ...

تألّمت ألما كدتُ معه أن ألطم خديّ و أجدع أنفي ... و أقتلع عينيّ ... لولا أن شللا ما قد ألمّ
بعضلاتي و أعاق حركاتي...

متسّمرا في مكاني ... كالباب الذي أقف جواره ... طويلا عريضا جامدا أتأرجح في الهواء لو أن دفعة
بسيطة من طرف إصبع ما قد سُددت إليّ

لما لاحظت أروى صمتي و سكوني الغير متناسبين و الحال، نظرت إليّ باستغراب...

أحسست بيدي تمتد باتجاه رغد ... و بأصابعي تنثني ... و بشبه كلمة يائسة واهنة تتدحرج من
لساني...

"تعالِي" ...

رغد نظرت إلى يدي المشيرة إليها... ثم إلى أروى الواقفة جوارِي ... ثم إليّ ... و ترددت...

هزرت رأسي مشجعا إياها ... و أخيرا تقدّمت نحوي...

تنحّت أروى جانبا فاسحة المجال للصغيرة لدخول الغرفة... كانت رغد تسير ببطء و تردد وهي
محتضنة المصحف الشريف إلى صدرها المرعوب ... و رأسها مطأطئ إلى الأرض...

عندما دخلت الغرفة، أشرتُ إليها أن تجلس على المقعد المجاور للباب، ذاك الذي نامت فوقه أول
ليلة ...

كعصفور جريح ضعيف و مرعوب ... جلست صغيرتي على المقعد تجاهد الدموع لئلا تنحدر على
خديها الكئيبين...

"هل أنتِ على ما يرام؟"

سألتهَا و أنا شديد القلق عليها و الغضب من نفسي ... لمَ كنتُ قاسيا على صغيرتي لهذا الحد؟؟
كيف تركتها دون رعاية ... و دون حتى طمأنة وحييدة منذ الأمس؟؟ كيف استطاع قلبي تحمّل ذلك

؟؟

"رغد صغيرتي أنتِ بخير؟؟"

عندما رفعت رغد بصرها و نظرت إليّ ... قتلتنني!

"لا تفعل هذا بي يا وليد ! إن لم تكن تطقني ... فأعدني إلى خالتي... و لا تدعني أموت ذعرا وحيدة... أنا لم أجبرك على إحضاري إلى هنا... أنت من أرغمني..."

صحتُ بسرعة:

"كلا يا رغد ! ليس الأمر هكذا... أنا... أنا آسف عزيزتي لم أقصد شيئا"

استرسلت رغد:

"أعرف أنني لا أطاق ... لكن أمي كانت تعتنني بي جيدا... و تحبني كثيرا... و تتحملني بصدر رحب... لم أشعر بالذعر و أنا قريبة منها ... لم تكن لتسمح للذعر بمداهمتي ... كم كنت آمنة و مرتاحة في حضنها!"

و غطت وجهها بالمصحف و جعلت تبكي...
جثوتُ بدوري قريبا و كدتُ أبكي لبكائها ...

"يكفي يا رغد ... أرجوك ... سامحيني ... لم أقصد تركك وحيدة ... أنا آسف" ...

أزاحت الصغيرة المصحف عن وجهها و نظرت إلي نظرة ملؤها الذعر ... ملؤها العتاب ... ملؤها الضعف ... ملؤها الحاجة للأمان ... ملؤها سهام ثقبت بؤبؤي عينيّ و أعمتني عن الرؤية...

"أريد أمي!"

نطقت رغد بهذه الجملة التي جعلت ذراعيّ تخران أرضا ...

"أريد أمي ... لا أحد ... سيهتم بي مثلها ! ... الله يعلم ذلك ... اسأله أن يعيدها إليّ ... أو

يأخذني إليها" ...

صحت:

"كفى يا رغد أرجوك"

صاحت:

"أريد أمي ... ألا تفهم؟؟ أريد أمي ... أريد أمي ... أريد أمي" ...

لا إراديا مددت يديّ فأمسكت بيديها بقوة و أنا أقول:

"كفى يا رغد ... كفى ! كفى"

انفجرت رغد قائلة بانفعال شديد:

"كأنك لا تعرف ما حدث لي؟ أنت السبب ! بقيتُ أكتم السر في صدري كل هذه السنين ... و يعصف الذعر بقلبي الصغير ... و لا أجرؤ على البوح بما حصل أو حتّى تذكره ... و أنتَ بعيد لا تعرف ماذا أصابني و ما حلّ بي ! ألا تعرف أنني مريضة يا وليد؟ ألا تعرف ذلك؟ ألا تعرف ذلك؟"

اعتصرني الألم و قلت متوسلا:

"يكفي يا رغد ... أرجوك توقفي ... لا تزيدي من عذابي كفى ... كفى ... كفى" ...

كنت أستطيع الإحساس بالرجفة تسري بيدي رغد ...

التفت صوب أوري التي كانت قابعة مكانها عند الباب و قلت:

"هل لا أحضرتِ بعض الماء؟"

تأملتنا أروي لبرهة في عجب، ثم امتثلت للطلب...

كنت لا أزال ممسكا بيدي رغد حينما عادت أروى بقارورة الماء الصغيرة... تناولتها منها ... و أخذت المصحف و قرأتُ بضع آيات ... ثم دفعت بالقارورة نحو رغد:

" اشربي صغيرتي "

بنفس الرجفة تناولت رغد القارورة الصغيرة من يدي و قرّبت عنقها إلى شفّيتها ... و عدتُ بأنظاري نحو كتاب الله و واصلتُ تلاوة الآيات و أنا لا أزال جاثيا على الأرض أمام رغد مباشرة...

كنت أستمع إلى أنفاسها القوية... و التي بدأت تهدأ شيئا فشيئا ... حتى إذا ما اختفت عن مسمعي رفعت بصري نحو الصغيرة فرأيتها تنظر إليّ

" هل أنتِ أفضل الآن؟ "

هزّت رأسها إيجابا ... فتنهّدتُ بارتياح ... و قبّلت كتاب الله و وضعتة جانبا...

" الحمد لله "

قلتها مبتسما في وجه الصغيرة المذعورة ... فتنهّدت هي بدورها...

" رغد ... أنا آسف يا صغيرتي ... أرجوكِ اغفري لي هذه المرّة ... و أعدك ... بل أقسم لك برب هذا الكتاب المقدّس ... بألا أكررها ثانية ما امتدت بي الحياة" ...

رغد رفعت يدها اعتراضا و قالت:

" لا ... لا داع لأن تقسم على شيء ليس من واجبك القيام به ... يجب أن ... تعيش حياتك الطبيعية " ...

و التفتت نحو أروى ثم إلي و أضافت:

" بعيدا عمّن لا يطاقون " ...

قلت مستغريا:

"رغد؟؟"

قالت:

"فقط ... أعدني إلى خالتي ... و سوف لن ... أزعجك بعد ذلك مطلقا" !

استثارتني جملتها هذه و كدتُ أثور ... إلا أنني تماكنت نفسي ... فهي ليست باللحظة المناسبة على الإطلاق ...

قلت:

"اهدئي أنت الآن فقط ... و لا تفكري في أي شيء" ...

نظرت إلي الآن برجاء و قالت:

"لا تتركني وحيدة يا وليد ... أرجوك"

قلت بسرعة:

"ثقي بأنني لن أكرها ... أنا معك صغيرتي فاطمئني"

ربما الموقف كان غريبا ... ربما يحق لأروى نظرات الاستنكار التي رمقتني بها في صمت ... لكن ... كيف كنتم تنتظرون مني أن أتصرف و أنا أرى صغيرتي تصاب بنوبة زعر ... بهذا الشكل ؟

إنني لا أعرف كم من الوقت ظلّت واقفة خلف الباب ... ترتجف في خوف ... إلى أن فتحتة أروى و اكتشفت وجودها ...

إن لم أكن لأقدم مجرد الشعور بالأمان لهذه اليتيمة المذعورة ... في هذا البيت الموحش المليء بالذكريات

المؤلة ... إن لم أستطع تقديم الأمان على الأقل ... فما الجدوى من وجودي حيا على وجه الأرض؟؟

وكطفلة صغيرة ... أعدتُ صغيرتي إلى سريرها و بقيت جالسا بالقرب منها أتلو المزيد من كلام الله ... حتى نامت...

تركتُ باب غرفتها نصف مغلق و عدتُ إلى غرفتي و تهالكتُ على السرير ... كانت أروى آنذاك جالسة على ذات المقعد المجاور للباب ... و حينما رأتنى أمدد أطرافى الأربعة نحو زوايا السرير بتأوه أقبلت نحوي...

"وليد"

كنت التفت إليها فرأت التعب ينبع من مقلتي...

"إن ... فهي مريضة بالفعل ... كما توقعت!"

أغمضتُ عيني متألما لهذه الحقيقة ...

قالت أروى:

"لقد ... لاحظتُ عليها بعض التصرفات الغريبة في المزرعة ! سبق و أن أخبرتك بذلك يا وليد ! لكنك لم تعلمني بأنها مريضة بالفعل"

قلت:

"لديها نوع من الرهبة ... تنتابها حالات من الذعر إذا شعرت بالوحدة و العربة ... إنه مرض أصابها منذ الطفولة ... لكني لم أعلم به إلا العام الماضي"

"يؤسفني ذلك يا وليد"

نظرت إلى عيني أروى فوجدتُ فيهما الكثير من العطف و التعاطف ... فبادلتها بنظرة ملؤها الرجاء و الأمل:

"أروى ... أرجوكِ ... أوقفني دائرة الخلاف بينكما عن الاتساع"

لم تجب أروى مباشرة ... ثم قالت:

"أنا لا أتعمد فعل شيء لكنها ... إنها" ...

قاطعتها قائلاً:

"إنها وحيدة بيننا يا أروى ... أرجوكِ اكسبي صداقتها"

و أيضاً صممت برهة و كأنها تفكر في أمر عالق بذهنها ثم قالت:

"ألا ترى ... أن عودتها إلى خالتها ستريحها يا وليد؟"

قلت بسرعة حدّة:

"كلا"

"لكن"

قاطعتها قائلاً:

"لأريحها سأفعل أي شيء آخر ... عدا عن إبعادها عن رعايتي"

"وليد" !

تنهّدت و قلت:

"تصبحين على خير يا أروى ... أريد أن أنام"

انسحبت أروى من الغرفة و عند الباب وقفت لإطفاء المصباح و لما همّت بإغلاق الباب من بعدها قلت:

"تركه مفتوحا" ...

فلا أريد لصغيرتي أن تأتيني أي ساعة محتاجة للأمان ... ثم تجد بابي مغلقا دونها

في صباح اليوم التالي وجدت صغيرتي مستيقظة و بادية على وجهها الصغير أمارات التعب...

"هل نمت جيدا؟"

سألتها فهزت رأسها سلبا ...

أخبرتها بعد ذلك بأنني ذاهب إلى مكتب المحامي و للعجب ... قالت:

"خذني معك"

و من أجل عيني رغد كان علي أنا و أمي كذلك الذهاب مع وليد حيثما ذهب!

شعرت بالحماسة ... و لكنني لم استطع إلا مجارة هذه الصغيرة المدللة ...

في البداية ذهبنا إلى مكتب المحامي أبي سيف الذي سار بسيارته إلى جوارنا ... ثم إلى مكتبين آخرين

... كان وليد يبقينا في السيارة و يرافق المحامي ، ثم يعود إلينا و يذكر المكان التالي و ينطلق نحوه!

في وقت انتظارنا كنا أنا و أمي نتبادل الأحاديث ، بينما رغد لائذة بالصمت المغدق ! لم أتعمد

مخاطبتها فأنا لم أنس بعد كيف رمت بالهاتف صوب وجهي و لا كيف طردتني من غرفتها ذاك

الصباح ... إلا إنني أشعر الآن بشفقة عليها لا أدرك ما مصدرها!

عاد و ليد و قال:

"سنذهب إلى مكتب إدارة المصنع الآن ! قد يطول مكوثنا هناك ... أأعيدكن إلى البيت ؟"

و استدار إلى الوراء موجهًا نظراته و كذا سؤاله إلى رغد!

رغد قالت:

"سنبقى معك"

لا أدري أي متعة تجدها هذه الفتاة في البقاء حبيسة السيارة في انتظار عودة وليد ! وددت أن أعترض إلا أن مبادرة وليد بتشغيل السيارة و من ثم اللحاق بسيارة المحامي جعلتني ألتزم الصمت...

حين وصلنا إلى المكان المنشود أصابتني الدهشة!

كان مبنى كبيراً مؤلف من عدة طوابق ... حديث الطراز و يبدو فاخراً!
قال وليد و هو يركن السيارة في أحد المواقف و يبتسم:

"هنا إدارة مصنعك يا أروى ! هذا المبنى كله ملكك" !

دهشت ، و ابتسمت في آن واحد ... و راودتني رغبة في إلقاء نظرة شاملة
قلت - و أنا أمد يدي إلى مقبض باب السيارة و افتحه: -

"سألقي نظرة"

و خارج السيارة وقفت أنا و تبعني وليد و جعلت أتأمل المبنى الضخم الذي يفترض أن يكون ملكي!

قلت:

"كل هذا ... لي ؟!"

ابتسم وليد و قال:

"هذا لا شيء! حين ترين المصنع ستفاجئين! ... هنيئا لك!"

شعرت ببهجة كبيرة اجتاحت قلبي ... قلت:

"أتمنى أن أراه من الداخل!"

فكر وليد قليلا و تردد فقلت:

"أأستأ أنا المالكة؟ ألا يمكنني إلقاء نظرة سريعة على ممتلكاتي؟ أرجوك وليد!"

ابتسم وليد و قال:

"لا أعرف إن كان هناك سيدات في الداخل...! لم يسبق لي الدخول و لكن ... لا بأس إن كانت هذه رغبتك!"

فرحت كثيرا و أمسكت بيد خطيبي في امتنان...

ما الذي سيجعلني أشعر بسعادة أكثر من هذه؟؟ لدي خطيب رائع يقف إلى جوارى ... و أمامي مبنى ضخم هو ملكي و جزء من ثروتي ... لا شك أنني هذه اللحظة أسعد الناس

الحمد لله

وليد أشار على أمي و رغد أن تنزلا ... ثم لحقنا نحن الأربعة بالمحامي و وجدنا في استقبالنا أناس آخرون، رافقونا داخل المبنى إلى المكان المنشود!

و المكان المنشود كان المكتب الرئيسي للمبنى ... مكتب المدير!

ما إن دخلنا حتى وجدنا أناس آخرون في استقبالنا ... أظنهم دهشوا لدى رؤيتنا نحن الثلاث - أنا و أمي و رغد - نسير خلف الموكب! لكن ذلك لم يمنعهم من الترحيب بنا عامة...

دُعينا للجلوس في مكان جانبي ... بعيدا عن الآخرين ...

فيما كنّا نعبر الغرفة شاقات طريقنا نحو المقاعد، كانت عيناى لا تتوقفان عن التجول و النظر إلى كل ما حولى ... فى دهشة و إعجاب!

كم كان مكتبا فخما و راقيا ! كل أئائه يشىر إلى مدى البذخ الذى كان عمى رحمه الله يعىش فىه!
استقرت عيناى أخىرا على الحائط خلف المكتب مباشرة...

هناك علقت صورتان كبىرتان جدا لرجل كهل و شاب صغىر... فى إطارىن أسودىن!
إنهما عمى و ابنه الراحلان، رحمهما الله!

توقفت برهة أتأمل الصورتىن ... لهذىن الشخصىن اللذىن ما عرفتهما يومآ فى حىاتى ... و ها هى ثروتها الضخمة تصىح فجأة بىن يدى!

"سبحان الله ... أتصدق يا ولىد؟"

قلت ذلك و التفت إلى ولىد متوقعة منه أن يكرر التسىبىح ... و يمنحنى ابتسامة عذبة و مطمئنة من شفتىه ... لكن ... لم ببدا على ولىد أنه سمع شىئا مما قلت ...
ولىد كان يحدق تجاه الصورتىن بحدّة و تعبىرات و جهه غاضبة و مكفهرة

عجبا ! لماذا ينظر ولىد إلى هاتىن الصورتىن بهذا الشكل؟؟

"ولىد...؟؟"

رمقنى ولىد بنظرة غرىبة و مخىفة ... و عاد يدقق النظر تجاه الصورتىن

ألىس هذا غرىبا؟؟

انتظروا... هذا لا شىء أمام ما حصل بعد ذلك!

"عمّار" !!

تصوروا ممن خرجت هذه الكلمة أشبه بالصيحة المباغثة؟؟

من رعد!

التفتت إلى رعد لأتأكد من أن أذني لم تكن تتخيل ... فرأيت رعد تحدّق هي الأخرى تجاه الصورتين و
قد علا وجهها الذعر!

و الآن ماذا؟؟

رعد تلتفتت إلى وليد بسرعة ... ثم إلى الصورة ... و تشير بإصبعها نحو صورة عمّار ابن عمّي ... و
تعود للهِتاف:

"عمّار" !!

ثم تلتفتت إلى وليد و تقول بذعر:

"إنه هو ! أليس كذلك ؟ هو ... هو"

وليد يحدّق برعد الآن ... و مزيج من الغضب و التوتر و القلق و تعبيرات أخرى أجهل تفسيرها بادية
على وجهه جاعلة منه جمرة ملتهبة!

رعد ألفت علي نظرة سريعة ، ثم على الصورتين ، ثم على وليد الذي كان لا يزال يحدّق بها ... و
هتفت:

"وليد" !

وليد اقترب من رعد و قال:

"أجل ... إنهما عم أروى و ابنه"

بدا الذهول الفظيع على وجه رغد ... و كأنها اكتشفت أمرا خطيرا لم تكن تعرفه ! أما الذهول الذي على وجهي أنا هو لأنني لم أكتشف بعد ماذا يدور من حولي؟!!

رغد أمسكت بذراع وليد و هتفت:

"أخرجني من هنا" !

تحولت نظرات وليد إلى القلق و الخوف الفاضحين و فتح فمه و لكن ما خرج منه كان النفس خالٍ من أي كلام!

"أخرجني من هنا بسرعة ... أخرجني فورا"

قالت ذلك رغد و وضعت يدها الأخرى على صدغيها كمن يعاني من صداع شديد! ...

"رغد"

ناداها وليد بصوت حنون قلق فلما رفعت بصرها إليه ... مالت بنظراتها نحو الحائط فأغمضت عينيها بسرعة و أخفتها خلف يدها و صاحت:

"أرجوك" ..

من فوره وليد حثها على السير متراجعين نحو الباب ... و كانت لا تزال متشبثة بذراعه ... و خاطبنا قائلا:

"هيا بنا"

أنا و أمي و لأننا لم نفهم أي شيء ... تبادلنا النظرات المستعربة المذهولة... و لحقنا بوليد و رغد على عجل ... وسط أنظار الاستغراب من الأشخاص الآخرين!

إن في الأمر سر ما!

ما عساه يكون؟؟؟

رغد بين يدي منهارة و مرتبكة ...

و أنا مذهول و مأخوذ بالدهشة ... إن من رؤية وجه عمار الخسيس يبتسم تلك الابتسامة الحقيرة ... و التي تستفز حتى أتفه ذرات النفور في جسدي ... أو من تأثر رغد بالصورة ... و الذعر الذي علاها ... و الذي يؤكد أنها لا تزال تذكر وجه عمّار ... بعد كل تلك السنين و كيف لوجه مجرم كهذا أن يُنسى؟؟

طفلتي الصغيرة لا تزال تحتفظ في ذكرياتها بصورة للشاب الحقيير الذي تجرأ على اختطافها ذات يوم ...

ذلك اليوم الذي غير مجرى حياتي ... و حياتها كذلك...

فتحت باب السيارة الأمامي الأيمن و جعلتها تدخل و تجلس عليه ... و جلست من ثم إلى جوارها ... كانت لا تزال في نوبة المفاجأة و النفور...

وصلني صوت أروى - و التي جلست خلفي - تقول:

"ماذا هناك؟؟"

لم أجب

"وليد ما الأمر؟"

قلت بغضب:

"الزمي الصمت يا أروى رجاءً"

قالت ليندا:

"أخيرانا ما الخطب"

قلت:

"الصمت رجاء"

و أدت مفتاح السيارة في ذات اللحظة التي ظهر فيها أبو سيف و هو يقول:

"ما المشكلة؟"

أخرجت رأسي عبر النافذة و أجبتة :

"لنؤجل الأمر للغد"

و انطلقت بالسيارة عائدا إلى المنزل...

كنت أرى رغد و هي تضع يدها على صدغيها و يعبر وجهها عن الألم بين الفينة و الأخرى ... فأدرك أنها الذكريات تعود إلى رأسها و تعصرها ألما... فأدوس على مكابح السيارة غيظا...

عندما وصلنا إلى المنزل أوت رغد إلى غرفتها مباشرة ... هممت باللحاق بها فاستوقفني سؤال أروى:

"ماذا هناك يا وليد؟ هل لا شرحت لي؟"

قلت بسرعة:

"فيما بعد"

و تابعت طريقي إلى غرفة رغد...

كان الباب مغلقا، طرقته و ناديت رغد فأجابت:

"نعم؟"

و كان صوتها متحشرجا مخنوقا...

قلت:

"أيمكنني الدخول؟"

أجابت:

"ماذا تريد؟"

قلت:

"أن نتحدّث قليلا"

"دعني و شأني"

آلمني ردها هذا فعدت أقول:

"أريد أن أحدثك يا رغد ... أيمكنني الدخول؟"

و لم تجب

عدت أسأل:

"أأستطيع أن أدخل يا رغد ؟ أرجوك؟"

و لكنها أيضا لم تجب...

أرجوك يا رغد لا تزيدني عذابا فوق عذابي ...
أخذت أطرق الباب و أناديها حتى قالت أخيرا

"دعني بمفردى يا وليد"

استدرتُ للخلف في يأس ... فوجدت أروى تراقبني عن بعد ... و لا بد أن عشرات الأسئلة تدور في رأسها ... كما تدور عشرات بل مئات الذكريات المبررة في رأسي و تفقده أي قدرة على التفكير السليم ...

استدرتُ نحو الباب مجددا و قلت مخاطبا رغد:

"لا لن أدعك بمفردك يا رغد ! سأدخل"

و حرّكت مقبض الباب ببطء ... و دفعت الباب قليلا للأمام...

قلت:

"سأدخل رغد" !

و لما لم تجب ... واصلت فتح الباب ببطء ... و سمحت لصريه أن يتذبذب في أذنيّ طويلا...

على سريرها كانت صغيرتي تجلس و عيناها موجهتان نحوي ...

تقدمت خطى نحوها و أنا أقول:

"أيمكنني أن أدخل؟"

و أعرف أنني في الداخل و أنني سأدخل من كل بد!

قلت:

"أنا آسف" !

طأطأت رغد رأسها هاربة من نظراتي...

اقتربت منها أكثر و أكثر و قلت:

"أأنتِ بخير؟"

و استطعت أن أرى دمعة تهوي من عينيها لتبلل يديها المضمومتين فوق ركبتيها...

اقتربت أكثر و أكثر حتى صرب جوارها مباشرة ... و قلت بصوت حنون أجش:

"لم أجد داعيا يدفعني لأن ... أخبرك ... بأن أروى هي ابنة عم عمّار... و أن الثروة التي حصلت عليها كانت ... لعمّار و أبيه"

رغد رفعت نظرها إلي و صرخت:

"لا تذكر اسمه أمامي"

جفلت ... أخذني الذهول ... و ابتلعت لساني ... رغد رمقتني بنظرة عميقة غصت في جوفها فغرقت ... و لاطمتني أمواج الأفكار و الهواجس ... و لم أدر أين كنت و متى كنت ... و على أية حال قد كنت...

تعود للإمساك برأسها كمن يحاول جاهدا منع الذكريات من الظهور فيه...

تتلاعب بي الأفكار و التخيلات حتى تثير جنوني ...

ماذا حصل؟ ماذا لم يحصل؟

أجيبيني يا رغد ...؟؟

و لم تزد حيرتي إلا حيرة...

بعد صمت قصير طويل في آن معا...

قلت:

"حسنا يا رغد..."

بعد دخولي إلى السجن، تعرّفت إلى نديم، والد أروى رحمه الله... وقد ساعدني كثيرا و أحببته محبة خالصة في الله.. و قبل موته أوصاني بعائلته خيرا... و لم يكن يعرف ... أنني " ...

و لم أكمل، استدرت للخلف لأتأكد من أن أروى على مبعدة و لا تسمعنا... ثم اقتربت من رغد أكثر و أضفت هامسا:

"أنني أنا من قتل ... ذلك الوغد"

بدا التفهم على تعبيرات وجه رغد فقلت مترددا و مخفضا صوتي حد الهمس بل حد السكون:

"وهذا... ما لا تعرفه أروى أيضا"

و تنهّدت بمرارة و حيرة و أضفت:

"و ما أخشى عواقبه " ...

شعرت بشيء يسيطر على فكري فجأة...تبدلت تعبيرات وجهي إلى الجدية و الحزم... و تطايرت سهام شريرة من عيني... و شعرت بشياطين رأسي تتعارك في داخله... كانت رغد تراقبني بقلق و حيرة... و بالتأكيد سمعني و أنا أعض على أسناني فيما أضيّق فتحتي عيني و أشد على قبضتي بإصرار و أقول:

"و الآن ... أصبحت ثروة ذلك الحقير ... بين يدي " ...

الحلقة الثامنة و الثلاثون

وجهتُ إليّ سؤالاً مباشراً و لكنني تهربتُ منه ثم وعدتُ أروى بأن أخبرها بالأمر فيما بعد...
و رغم الحيرة و الشك اللذين طغيا عليها طيلة الفترة التالية ، لم تصر على معرفة ما علاقة رعد
بعمّار...

في صبيحة اليوم التالي عدت إلى مكتب إدارة المصنع الرئيسي... لإتمام المهام المتبقية دون مرافقة من
أحد...

يومها وقفت أتأمل صورتَي عاطف و عمّار قليلا ... و ابتسمتُ ابتسامة النصر...

ها هي يا عمار ثروتك الضخمة... تصبح بين يدي... و المصنع الذي كنت تتباهى به و تطلب منّي
العمل فيه ساخرا... أصبحتُ أنا سيّده...

يا للأقدار...

بعدها أمرت بنزع الصورتين و علّقت عوضاً عنهما لوحاتٍ لمناظر طبيعية... و أخذت أتصرّف و كأني
سيّد المكان و مالكة ..

و من الخزانة الرئيسية للأموال المتداولة ، و ما أكثرها، أخذتُ مبلغاً كبيراً كنا أنا و أروى قد اتفقنا
على سحبه لتغطية بعض المصاريف...

أما عن أوّل شيءٍ خطر ببالي آنذاك ، فهو إعادة المبلغ الذي استلفته من صديقي سيف قبل عام...
و انطلاقاً من هذا اليوم بدأت أتصرف في النقود بتصريح من أروى و أدون و أراجع الحسابات و احتفظ
بسجلات المصاريف و أطلعها عليها ...

كان لا يزال أمامي وقت طويل حتى أتمكّن من وظيفتي الجديدة و رتّبت الأمور بحيث يظل المصنع
تحت إدارة المشرف العام ذاته— السيد أسامة— إلى أن أستلم المنصب بعد بضعة أسابيع...
و السيد أسامة بشهادة من سيف و والده و المحامي يونس المنذر هو رجل أمين نزيه الذمّة... و كان هو
الساعي وراء تسليم الثروة للوريثة الوحيدة...

كانت خطّتنا تقتضي العودة بأهلي إلى المزرعة أولاً...

أما فكرة أروى فكانت الزواج ثانياً!

أما عن نفسي فأنا أريد تأجيل هذا الأمر... حتى إشعار آخر...

عندما عدتُ إلى المنزل وقت الزوال ... و دخلت من ثم إلى غرفة نومي ، دهشت!
لقد كانت نظيفة و مرتبة و منظمة تماما كما كانت أيام الصبا... حين غادرتها ذاهبا إلى السجن...
نظرت من حولي مبتهجا... ثم سمعت صوت أروى مقبلا من ناحية الباب:

"هل أعجبتك؟"

التفتُ إليها فإذا بي أراها مبتسمة مسرورة بما أنجزت...

قلت:

"عظيم ! لكن لا بد أنك أجهدتِ نفسك كثيرا لإزالة أكوام الغبار" !

"ساعدتني أمي و لم تكن مهمّة صعبة" !

أعدت النظر من حولي مسرورا... كل شيء يبدو نظيفا و منظما... بدأت أشم رائحة الماضي... و
استعيد الذكريات...

هذا سريري الوثير... و هذا مكتبي القديم... و هذه مكتبتي الكبيرة... و هذه كتبي الدراسية و الثقافية
... مرصوة إلى جانب بعضها البعض بكل شموخ... و كأن تسع سنين و أكثر لم تمضِ على هجرها
و إهمالها... ها هي تقف في أرففها معززة مكربة من جديد!

فجأة... انتبهتُ إلى شيء مهم...

اقتربت من المكتبة و وزعت نظراتي على جميع أجزائها ... ثم التفت إلى أروى و سألت بقلق:

"أين الصندوق؟"

نظرت إلى أروى بعدم فهم:

"أي صندوق؟؟"

قلت موضحا:

"صندوق الأمانى ... اسطوانة ورقية مغطاة بالطوابع ... كانت هنا"

و أشرت إلى الموضع الذي كنت قد تركته فيه ليلة أن أبت رغد فتحه...

بدا على أروى الفهم فقالت:

"تقصد ذاك الشيء المجدد البالي؟"

"نعم . أين هو؟؟"

كانت أروى تنظر إلي باستغراب ثم قالت:

"رميته!"

دهشت ... هتفت بانفعال:

"رميته!!"

"نعم...ظننته قمامة و"

~~~~~

لم أتم جملتي ... إذ أن وليد هتف غاضبا:

"أي قمامة ؟ لم فعلت ذلك؟؟"

ثم خرج من الغرفة باحثا عنه و استخرجه من سلة المهملات!



بدا الموقف سخيفا لكنه أثار فضولي و دهشتي... سألته مستغربة:

"لم تحتفظ بشيء كهذا؟؟"

أجاب بحتق:

"إياك و لمسه ثانية يا أروى" ...

و لما رأى مني نظرات الاستنكار عاد يقول بحدّة:

"إياك ... أتفهمين؟"

حقيقة أنا لم أفهم شيئا... لكن فضولي قد تفاقم خصوصا و أنا أراه ينفعل بهذا الشكل... ثم يعيد ذلك الشيء المجدد تماما إلى المكان الذي كان فيه!

استغرب ... ما أهمية علبة ورقية مجمدة مغطاة بطابع طفولية قديمة ... لرجل في الثامنة و العشرين من عمره... على وشك إدارة أكبر مصنع في هذه المنطقة؟؟

لابد أن أعرف...

في وقت لاحق، تسللت إلى غرفة وليد خلصة و تناولت تلك العلبة... و تأملتتها...

اكتشفت وجود هذه الجملة مكتوبة عليها : ( صندوق الأمانى ) ... و اكتشفت أنها تحوي فتحة صغيرة في أحد طرفيها و بأن في داخلها أوراق ما!

تملكني الفضول الشديد لفتح العلبة و معرفة محتواها... و ليتني فعلت!  
تذكرت تحذير وليد و احتراماً و طاعة لأوامره... تراجعبت في آخر لحظة و أعدت العلبة إلى مكانها...  
لكن... ألا يتملككم الفضول مثلي لمعرفة... قصة هذه العلبة؟؟

و لو علمت قصتها الآن... لتغيرت أمور كثيرة لم أدركها... إلا بعد زمن طويل...

~~~~~

"متى ستتزوج؟"

سألني صديقي سيف هذا السؤال بعد تناولنا العشاء في منزله... كان قد دعانا جميعا هو و زوجته للعشاء معهما تلك الليلة

كنت أداعب ابنه الصغير - فادي - بين يدي... و أشعر ببهجة لا توصف!
ما أجمل الأطفال و ما أمتع اللهو معهم!...

أضاف معقبا:

"و نفرح بأطفالك يا وليد؟؟"

ابتسمت ابتسامة واهية... و أنا أرى الفكرة أشبه بالحلم البعيد...

قلت:

"لا يزال الوقت مبكرا!"

استنكر سيف و قال:

"خير البر عاجله يا رجل... ها قد مضت فترة لا بأس بها على..."

و غض بصره و أضاف بصوت خافت:

"وفاة والديك... رحمهما الله"

انتفضت... و كأنني أسمع نبأ وفاة والديّ للمرة الأولى... و نظرت إلى سيف الذي عاد ببصره إلي...

تكسوني علامات الحزن المرير...

تنهّدت تنهيدة عميقة... فالذكرى التي لا يمكن أن تمحى... لا تزال تثير في صدري آلاما قاتلة...

الصوت المبهم البريء الذي انطلق من حنجرة الطفل الصغير بين يدي، كان هو ما جعلني أبعثر الذكرى
الماضية و أعود للحاضر

"لم يئن الأوان بعد يا سيف... يجب أن أرتب أوضاعي و أوضاع عملي الجديد و حياتي الجديدة...
و أوضاع أروى... و رغد"

التزم سيف الصمت لكنني كنت أرى التساؤل يكاد ينسكب من عينيه...

قلت:

"تعرف... أصبحت المسؤولة الملقاة على عاتقي... كبيرة" ...

قال:

"ماذا عن شقيقك؟"

أجبت ببعض الأسى:

"لا يزال يقيم في الشمال... و بعد موت والديّ و انفصاله عن رغد... أصبحت هي ضمن
مسؤولياتي... أما هو... فقد طلب منّي ألا آتي بها لزيارته ثانية" ...

و استطرتُ:

"و أنا... لا يمكن أن أتزوج و رغد الصغيرة... تحت وصايتي"

ثم مسحت على رأس الصغير و ابتسمت بعذوبة و قلت و كأنني أسر إليه:

" و حينما تكبر و تصيح امرأة... سوف أتزوجها " !

علت الدهشة وجه سيف و قال فاغرا فاه:

"ماذا ؟؟" !!

ضحكت ضحكة خفيفة و أنا أضم فادي إلى صدري و أقول بمرح:

"إنها قدري يا سيف ! و مهما ابتعدت ستعود إلي " !

لم يعلّق سيف و لكنّه ظل في حيرة من أمري... و أنا واثق من أن عشرات الأسئلة المبهمة كانت تدور في رأسه آنذاك...

و ربما تدور في رؤوسكم أنتم أيضا!

أما أنا فسأستمر في مداعبة الطفل الرائع... و أتمنّى من الله أن يرزقني طفلا مثله ذات يوم!

سددت لصديقي الديون التي لحقت بي منذ خروجي من السجن... و شكرته كثيرا على الدعوة الممتعة و ودّعته على أمل اللقاء به بعد عودتي من المزرعة ذات يوم...

استعنا بالله و انطلقنا باسمه متوكلين عليه عائدين إلى المزرعة...

و كان مشوار العودة أكثر ابتهاجا و مرحا و راحة من مشوار الحضور... بالطبع... فقد أنجزنا بحمد الله كل شيء و حملنا معنا جزءاً قيماً من النقود...

كان في رؤوسنا خطط كثيرة و أفكار عدّة و قطعنا الطريق و نحن نتداولها

أعني بالرؤوس رأسي و رأس أروي و الحالة

أما رأس الصغيرة الجالسة خلفي في صمت مغدق، فالله وحده أعلم أي أفكار و خطط كانت تدور فيه !

دعوني أخبركم بأن رغد و أروي لا تزالان متخاصمتين منذ رمت الأولى الثانية بهاتفي المحمول ذلك

اليوم... و لم تزد حقيقةً علاقة أروي بعمّار... رغدَ إلا نفورا منها...

و يبدو أن وضع الخصام ناسبهما جدا و أراحهما من التصادم، و أراح رأسي أنا بالتالي من الصداق!

لكن إلى متى...؟؟

كما و إن رغد على ما بدا منها قد تنازلت عن جزء من دلالتها و أحسنت التصرف طوال رحلة العودة ...

ألا يريبيكم تصرفها هذا؟؟

بقيت هادئة لأنها كانت مطمئنة إلى أنني سأعيدها إلى خالتها... كما وعدتها... و كما نصحتني خالتي ليندا... من أجلها هي...

كانت الأمور تسير بشكل هادئ جدا... و السعادة تغمر قلب أروى...

أما أنا فبالرغم من سعادتني شعرت بقلق قهري ...

فالأقدار علمتني ألا أفرط في الفرح بما بين يدي... خشية مصائب المستقبل...

"دعنا نقيم حفلة كبيرة فور وصولنا يا وليد... أريد أن يشاركني الجميع فرحتي هذه"

قالت أروى... فردت أمها:

"زادك الله فرحا و نعيما بنيتي"

ثم أضافت:

"و بلغني رؤية أبنائك قريبا يا رب"

أروى طأطأت رأسها ببعض الخجل ثم قالت:

"قولي لوليد ! فهو من يؤجل الأمر !"

كنتُ أراقب الشارع... و لم أعلّق ... فقالت الخالة ليندا:

"خيرا تفعلان إن تتزوجا مباشرة يا عزيزي... خير البر عاجله يا وليد... دعنا نتم الفرحة و نحتفل بالزواج !"

تضايقت من حديثها.. فموعد زواجي مؤجل إلى أجل غير مسمى... كما و إن ذكرى وفاة والديّ لم

تخدم ناراها بعد...

قلتُ مجاريا:

"سأفكر في الأمر لاحقا"

لماذا يلح علي الجميع بالزواج!؟؟

ألا يوجد رجل خاطب غيري في هذه البلاد؟؟

و ظل الحديث عن زواجنا أنا و أروى المسيطر على الأجواء لفترة من الزمن... أما رغد الصامتة، فكلما ألقيت عليها نظرة رأيتها تسبح في بحر من الشرود...

لقينا بعض العقبات في طريقنا خصوصا مع الشرطة... و كان التفتيش مشددا جدا على بعض الطرق و المداخل... و الوضع الأمني في تدهور مضطرد.. و كثيرا ما تحظر الرحلات إلى و من بعض المدن، جوا أو برا...

و أخيرا... وصلنا إلى المدينة الصناعية المدمرة...

و أخيرا بدأ وجه رغد يتهلل و الابتسامة ترتسم على شفثيها... وإن اقترنت بوجوم عام للمراى المحزن...

تعمدت أن أسلك طريقا بعيدا عن بيتنا المحروق، خشية أن تقفز الذكريات المؤلمة من جديد إلى قلبينا فتدميهما...

عندما وصلت إلى بيت أبي حسام، أوقفت السيارة و بقيت ساكنا لبعض الوقت...

استدرت إلى رغد فوجدتها تنظر إلي ربما بنفاذ صبر...

قالت:

"هل أنزل؟"

قلت:

"تفضلي" ...

و سرعان ما خرجت من السيارة و اتجهت إلى بوابة المنزل تفرع الجرس...

"كم سنبقى؟"

التفت إلى أروى التي طرحته السؤال و قلت:

"بعض الوقت... نلقي التحية و نسأل عن الأخبار"

قالت:

"أرجوك وليد لا تطل المكوث... نحن متعبون و نريد الوصول إلى المزرعة و النوم" ...

كان الوقت آنذاك أول الليل و لا يزال أماننا مشوار طويل حتى نصل إلى المزرعة...

عندما خرجنا من السيارة كانت البوابة قد فتحت و ظهر منها أبو حسام و ابنه مرحبين...

و رغم ذلك لم تخلُ نظراتهما إليّ من الريبة و الاتهام... و لا بد أنكم تذكرون الطريقة التي غادرنا بها هذا المنزل قبل ذهابنا إلى مدينة الساحلية...

اعتذرنا عن دعوة العشاء التي ألحت علينا عائلة أبي حسام لقبولها... متحججين بطول السفر...
رغد بدت مرتاحة و سعيدة بقاء أهلها كثيرا... منذ الطفولة و هي تحب خالتها و عائلتها و كانت
ستربى في حضنها لولا أن الظروف المادية و العائلية لم تكن تسمح آنذاك...

و أخيرا حانت لحظة الفراق...

كنت أدرك... أنني لم أكن لأتحمل ذلك و لكنني أردت أن أحقق لرغد رغبتها و أنجز وعدي ...
بتركها مع خالتها لبضعة أيام...

قبيل انصرافي طلبت منها مرافقتي لجلب أغراضها من السيارة و كان قصدي أن أتحدث معها
منفردين...

حملتُ حقيبتَيَّ سفرها الصغيرتين إلى داخل السور الخارجي لحديقة المنزل و وضعتهما على مقربة و توقفت ... و التفتت إلى رغد...

كانت تسير إلى جوارِي... تسبقني بخطوتين أو ثلاث... حاملةً كيسا...

ناديتها:

"رغد"

التفتت نحوي و توقفت عن السير ...

ترددتُ قليلا ثم قلت:

"رغد.. تعلمين أنه... أنني ... ما كنتُ لأتركُ لولا إلحاحك الشديد بالبقاء هنا و لو تُرك الأمر لي ... لأخذتك و عدنا جميعا إلى المزرعة" ...

رغد نظرت إلى الأرض ...

قلت متعلقا بأمل أخير:

"هل هذه رغبتك فعلا يا رغد؟؟"

و هزت رأسها إيجابا... لم يكن باستطاعتي إلا أن أنفذ هذه الرغبة من أجلها هي...

قلت:

"حسنا... لكن... في أي لحظة تبدلين فيها رأيك و مهما كان أعلميني فورا" ...

نظرت إلي نظرة شبه مشككة فقلت:

"و ساتي لأخذك في الحال... أتعدين بذلك؟"

كأنها ترددت لكنها أخيرا قالت:

"سأفعل"

قلت مؤكدا:

"اتصلي بي في أي وقت... و متى ما احتجت لأي شيء... سأترك هاتفني المحمول مفتوحا على مدار الساعة... لا تتتردي لحظة... أتعدين بذلك يا رغد؟؟"

ارتسمت علامة غريبة المعنى على وجهها... أهي ابتسامة؟ أم هو حزن؟... أهو رضا... أم غضب؟؟ أهي راحة أم ندم؟؟ لست أدري...

"عديني يا رغد؟"

"أعدك" ...

شعرت بالطمأنينة لوعدها... ثم قلت:

"سأجلب شيئا... انتظري" ...

و حثت الخطى خارجا إلى السيارة، حيث استخرجت ظرفا يحوي أوراقا مالية كنت قد أعدته من أجل رغد...

عدت إليها فوجدتها لا تزال عند نفس الموضع و على نفس الموضع... اقتربت منها و مددتُ إليها بالظرف قائلا:

"احتفظي بهذا لك"

سألتنني:

"ما هذا؟"

"إنها بعض النقود... انفقي منها كيفما شئتِ و إذا ما نفذت فابلغيني"

رغد طأطأت برأسها و نظراتها ربما حرجا ... فهي المرة الأولى التي أقدم فيها إليها طرفا ماليا ...

"تفضلي يا رغد"

و لكنها لم تبادر بأخذه!

قلت مازحا:

"هيا صغيرتي ! لا يجب أن تشعر الفتاة بالخجل من أبيها !"

هنا نظرت إلي رغد بسرعة و المزيج المرتسم على وجهها حاوٍ على الدهشة و الضحك و الاستنكار معا !

تشجعت و مدت يدها أخيرا و أخذت الطرف!

ابتسمت مشجعا و قلت:

"اتصلي بي إذا احتجتِ المزيد ... و لا تنتظري شيئا من الآخرين أو تعتمدي عليهم ... أتعدين بذلك يا رغد؟"

هزت رأسها إيجابا ...

و وضعت الطرف داخل الكيس... و استدارت متابعة طريقها نحو المنزل...

و هي تباعد... و أنا أشعر بأشياء تتمزق في داخلي... أشعر بأن حزمة كبيرة من الأعصاب الحسية كانت تربط فيما بيننا... و مع ابتعادها أخذت تتقطع عصبا عصبا ... و تحدث في قلبي ألما فظيعا مهلكا...

كيف أطاعني قلبي ...
مددت يدي محاولا الإمساك بذرات الهواء التي تبعتها... و عادت إلي يدي خالية الوفاض...

هتفت:

"رغد" ...

توقفتُ و استدارتُ نحوِي... فحال الظلام دون رؤية عينيها...
أو ربما حال دون ذلك... عبرة ولدت للتو... من أعماق عيني...

حملتُ الحقيبتين و أقبلتُ نحوها فلما صرتُ قريبا قلت:

"اعتني بنفسك جيدا ... يا صغيرتي" ...

رغد... ربما تفهمت قلقي و رأته في وجهي ما لم نستطع لا أنا و لا الظلام إن نخفيه ...
ابتسمتُ و قالت مطمئنة:

"اطمئن يا وليد... سأكون بخير... وسط أهلي"

و هبطت ببصرها للأسفل و نظرت إلى الكيس الذي كانت تحمله مشيرة إلى ظرف النقود و أضافت
بصوت خافت كالهمس:

"شكرا... بابا وليد" !!

ثم استدارت و أسرعته نحو الداخل!

آه يا رغد!

أتسخرين مني؟؟

ليتك تعلمين كيف أشعر تجاهك! ...

آه لو تعلمين!

فيما بعد... و نحن نهمّ بالمغادرة... وجهت كلامي لأم حسام موصيا:

"أرجو أن... تعتنوا برغد جيدا... و إن احتجتم لأي شيء فأبلغوني"

"لا داع لأن توصيني بابنتي يا وليد... سافر مطمئنا في أمان الله"

"شكرا يا خالتي... سأعود قريبا... أرجوك... ارحي الصغيرة جيدا باركك الله"

الجميع بدأ يتبادل النظرات إن سرا أو علنا... إن تضامنا أو استنكارا...

و لكنني واصلت سرد وصاياي حتى آخر لحظة

بعد ذلك... و أنا أغادر البوابة الخارجية ألقيت النظرة الأخيرة على رغد ...

و قلت أخيرا:

"أستودعك من لا تضيع ودائعه" ...

~~~~~

لم يظهر على وليد أنه عازم أصلا على الرحيل!

و ربما لو ترك الأمر له وحده لجعلنا نبات في ذلك المنزل أو نقضي بضعة أيام في المدينة قرب رغد!

اهتمامه الزائد بها يثير انزعاجي... وقد أصبحت أشعر بها و كأنها شريكة لي في وليد... و هو أمر لا

احتمل التفكير به فضلا عن حدوثه...

أخبرني بعد ذلك بأنه قد دفع إليها بجزء من النقود التي أخذها من الخزانة، و بدا و أن رغد

ستشاركني أيضا في ثروتي...

بالنسبة لي فقد أعطيت وليد مطلق الحرية في التصرف بالنقود و الممتلكات...  
وليد كان قد أخبرني مسبقا بأنه كان في الماضي يحلم بأن يصبح رجل أعمال مثل والده - رحمه الله -  
و أن دخوله السجن قد غير مجرى حياته... و الآن... و بقدرة قادر... تحقّق الحلم!

لمستُ تغييرا كبيرا و رائعا على وليد و نفسيته... أصبح أكثر سعادة و إقبالا على الحياة بروح متفائلة  
مرحة... و رغم أن الساعات التي صار يقضيها في العمل و الدراسة قد تضاقت، وجدنا الوقت الكافي و  
المناسب جدا لنعيش حياتنا و نستمتع بخطوبتنا التي ما كندنا نهنا بها... في وجود ورغد!

و بالرغم من أنها ابتعدت أخيرا... ظل اسم رغد و ذكرها يتردد على لسان وليد يوميا في المزرعة... و  
كانت هي من يكدر صفو مزاجه... و يثير قلقه... و ما فتئ يهاتفها هي و أهلها من حين لآخر و  
يمطرهم بالوصايا حتى بدأتُ أشعر أنا بالضيق!

لكنني مع ذلك أحسست بالفخر... بأن يكون لي زوج يعرف معنى المسؤولية و يقدرها جل تقدير...

بعد شقائي و عنائي الكبير و حرمانني من أبي و قسوة الحياة عليّ كل تلك السنين... وهبني الله  
نعمتين عظيمتين يستحيل أن أفرط بأيٍ مهما كان السبب...

وليد الحبيب... و الثروة الضخمة...

و لم يبق أماننا إلا أن نتم زواجنا و نبهج قلوب أهلنا و نواصل معا مشوار الحياة الزوجية السعيدة...  
بإذن الله

~~~~~

مرت أيام مذ وصلنا إلى المدينة الزراعية الشمالية... و بدأت بتنفيذ الخطط التي رسمتها خلال الأيام الماضية ...

وظفت المزيد من العمّال من أجل العناية بالمرزعة و محصولها و نظّمت برنامجا خاصا للإشراف عليها في كل صباح تقريبا كنت أتصل بمنزل أبي حسام و أتحدّث إلى رغد و أطمئن على أحوالها... و من خلال نبرة صوتها استنتج أنها مرتاحة و بخير...

و بالرغم من ذلك، كنتُ لا أتوقّف عن التفكير فيها ساعة واحدة...
أجرينا بعض الإصلاحات في المنزل الصغير و جددنا بعض الأثاث ...
انشغلت كثيرا بأعمال متعددة، ما جعل الأيام تمضي... و الفراق يطول... و الشوق يزداد...

و بدأت أشعر بالحرج من اتصالي المتكرر لمنزل أبي حسام و طالبت رغد بأن تهاتفني كل يومين على الأقل، لكنها لم تكن تفعل إلا قليلا...

أما عن أروى فقد كانت مهووسة بفكرة الزواج التي ما فتئت هي و الخالة ليندا تلاحقاني بها حتى ضقت ذرعا...

و لمرة أخرى أصيبت الخالة بانتكاسة صحية و نقلناها للمستشفى... الأمر الذي أجل سفري لفترة أطول...

ذات يوم، اتصلت بمنزل أبي حسام بعد أن تملكنتني الهواجس للحديث مع صغيرتي البعيدة...
إن شمسًا تشرق و تغرب دون أن تريني إياها هي ليست شمسًا... و إن قمرا يسهر في كبد السماء دون أن يعكس صورتها... هو ليس قمرا...
و إن يوما يمر ... دون أن اطمئن عليها... هو ليس محسوبا من أيام حياتي...

"مرحبا... أنا وليد"

"نعم عرفتك... مرحبا... لكن رغد ليست هنا الآن"

كان هذا حسام، و كان يتحدّث بضيق أشعرنني بالخجل من نفسي...

"إلى أين ذهبت؟"

"لزيرة بعض المعارف فهل تريد أن أبلغها شيئاً؟"

"أبلغها أنني انتظر اتصالها لو سمحت... و عذرا على الإزعاج"

و انتظرت طويلا حتى انتصف الليل، و لم تتصل... فبتّ أبثّ للقمر همّي... و أصبحت أعرب
للشمس عن نيّتي للذهاب إليها اليوم مهما كان...

نهضت عن فراشي باكرا و خرجت إلى المزرعة راغبا في استنشاق بعض الهواء المنعش... ذاك الذي
يطرد من الصدر الهموم المكبوتة...

هناك... وجدت العم إلياس و أروى يحرثان الأرض... اقتربت منهما و هتفت محييا:

"صباح الخير"

التفتا إليّ باسمين و ردا التحية... قلت مستغربا مستنكرا:

"ما الذي تفعلانه ! انتظرا حضور العمّال"

العم إلياس قال:

"في الحركة بركة يا بني"

"الوقت باكرا... دعا مهمة حرث الأرض الشاقة عليهم"

و اقتربت من أروى أكثر...

ابتسمت لي و قالت :

"لا تظن يا وليد أنني سأتحلى عن هذه المزرعة يوما ! لقد ولدت مزارعة و سأعيش مزارعة و إن ملكت كنوز الأرض " ...

و مدت ذراعيها إلى جانبيها مشيرة إلى ما حولها قائلة:

"هذه المزرعة هي... حياتي " !

العم إلياس فرح بقولها و راح يدعو:

"بارك الله فيك يا بنيّتي ... و في ذريتك"

ثم وجه حديثه إلي قائلا:

"هذه الأرض عليها عشنا و من خيراتها كبرنا و لن نترك العمل فيها حتى يحول الموت دون ذلك"

لم أتعجب كثيرا من كلام العم، فتعلقه بالمزرعة أشبه بتعلق السمكة بمياه البحر... أما أروى فعارض كلامها خططي المستقبلية...

قلت:

"أطال الله في عمرك يا عمّي"

قال متما:

"حتى أحمل أطفالكما فوق ذراعيّ ... تزوجا و أفرحا قلوبنا عاجلا يا عزيزاي"

أروى ابتسمت بخجل، أما أنا فنظرت إلى السماء أراقب سرب عصفير يدور فوق رؤوسنا!

آه لو كنت أستطيع الطيران!

أروى كانت تريد العيش في المزرعة مع والدتها و خالها بقية العمر... أما أنا فقد كنت أخطط للعودة إلى

المدينة الساحلية و تجديد منزلنا القديم و العيش فيه... قريبا من مصنع أروى و ممتلكاتها... حتى
يتسنى لنا إدارة و مراقبة كل شيء...

و بدا أن الموضوع سيثير صداعا أنا في غنى تام عنه خصوصا و أنني لم أنم جيدا ليلة أمس لكثير ما
فكرت في رغد...

قلت مخاطبا أروى و مغيرا منحى الحديث:

"سوف أذهب إلى المدينة الصناعية هذا اليوم" ...

و لا أدري لم شعرت بأن جملتي أصابت أروى بخيبة الأمل!

~~~~~

نظل ساهرات حتى ساعة متأخرة من الليل، الأمر الذي يجعل نشاطنا و حيويتنا محدودين في النهار  
التالي...

أنا و ابنتا خالتي نهلة و سارة لا نجد ما نفعله إلا الحديث و مشاهدة التلفاز و قراءة المجلات!

"أوف ! أشعر بالضجر ! نهلة ما رأيك في الذهاب إلى السوق؟"

قلت و أنا أزيح المنشفة عن شعري بممل ...

تفكر نهلة قليلا ثم تقول:

"في هذا الصباح؟؟...ممم... حسنا... تبدو فكرة جميلة!!"

و تسارع سارة بالقول:

"سأذهب معكما"

و هذه السارة تلازمنا ما لا يكاد يقل عن ٢٤ ساعة في اليوم!

قالت نهلة:

"إذن تولي أنتِ إخبار أمي و إقناع حسام بمرافقتنا!"

و لم تكذ نهلة تنهي جملتها إلا و سارة قد ( طارت ) لتنفيذ الأوامر!

ضحكنا قليلا... ثم باشرت بتسريح شعري أمام المرأة... كنت قد أنهيت حمامي الصباحي قبل قليل و تركت قطرات الماء تنساب من شعري على ظهري بعفوية...

وقفت ابنة خالتي خلفي تراقبني...

"طال شعرك رعد... ألن تقصّيه؟"

و قد كنت معتادة على قص شعري كلما طال، فالشعر الطويل لا يروق لي و لا يناسب ملامح وجهي ! هكذا كانت دانة تقول دوما...

"لم يكن بإمكانني ذلك قبل الآن..."

و أضفت:

"آه ... لقد كنت حبيسة الحجاب طوال شهر"

و أنا أسترجع ذكريات عيشي في المزرعة تحت أنظار وليد و العجوز لقد كان المنزل صغيرا و لم أكن استطيع التجوّل بأرجائه بحرية و لم أكن أغادر غرفة النوم إلا بحجابي و عباءتي ... و جواربي أيضا!

أما هنا... فأنا أتحرك بحرية في الطابق العلوي بعيدا عن أعين حسام و أبيه...

أما عينا نهلة فلا تزالان تتفحصانني!

قالت:

"و يبدو أنك كذلك نحفتِ بعض الشيء يا رغد ! أنظري... تظهر ندبتك و كأنها قد كبرت قليلا "

و هي تمسك بذراعي الأيسر مشيرة إلى الندبة القديمة التي تركها الجمر عليها عندما أحرقتني قبل سنين...

"مع أنني كنت آكل جيدا في المزرعة" !

"كيف كانت حياتك في المزرعة؟"

تنهدت تنهيدة طويلة و رفعت رأسي إلى السقف...كم من الوقت مضى و أنا سجيننة هناك!  
و بالرغم من قربي من وليد، لم أكن أشعر إلا بالضيق من وجود الشقراء الدخيلة... و لم تكن الأيام تمر  
بسلام...

"آه يا نهلة... حياة بسيطة جدا... ليس فيها أي شيء... هم يعملون في المزرعة و أنا أرسمها!...  
كانت جميلة و لكن العيش فيها أشبه بالعيش في السجن"

و وصفت لها شيئا من أحوالي هناك و كيف أنني افتقدت الحرية حتى في أبسط الأشياء و عانيت من  
الغربة و بعض المشاكل مع أروى

و حالما جئت بذكر اسم هذه الأخيرة عبستُ بوجهي!

لاحظت نهلة ذلك... ثم قالت:

"إنها جميلة جدا! كم هو محظوظ ابن عمك" !

ولا أدري إن قالت ذلك عفويا أو عمدا لإزعاجي ! رفعت فرشاة شعري أمام وجهها وهددتها بالضرب !

نهلة ضحكت وابتعدت بمرح... أما أنا فتملكني الشroud و الحزن، و لما رأته ذلك نهلة أقبلت و أخذت تداعب خصلات شعري المبلل و تربت عليّ و تقول:

"أنتِ أيضا جميلة يا رعد... الأعمى من لا يلحظ ذلك!"

قلت:

"لكنها أجمل مني بكثير... و عندما تتزين تصبح لوحة فنيّة مذهلة... لا يمكن المقارنة بيننا"

قالت:

"و لم أصلا المقارنة بينكما ؟ أنت رعد و هي أروى"

قلت بصوت منكسر:

"نعم... أنا رعد اليتيمة المعدومة... لا أم و لا أب و بيت و لا مال... و هي أروى الحسناء الثرية صاحبة أكبر ثروة في المدينة الساحلية و إحدى أجمل المزارع في المدينة الزراعية... من سيلتفت إليّ إزاء ما لديها هي؟؟"

و رميت بالفرشاة جانبا في غضب...

نهلة نظرت إلى مطولا ثم قالت:

"و ماذا بعد ذلك؟ هل ستتوقفين عن حب ابن عمك هذا؟"

أتوقف؟

و كأن الأمر بيدي... لا أستطيع...

أغمضت عيني في إشارة مني إلى العجز...

"إذن... ماذا ستفعلين؟ الأمر تعقد الآن و الرجل قد تزوج!"

قلت بسرعة:

"لا لم يتزوج... خطب فقط... و يمكن أن ينهي علاقته بالشقراء في أي وقت"

ولأن نظرات الاستنكار علت وجه نهلة أضفت:

"فأنا بعد أكثر من أربع سنوات من الخطوبة الحميمة انفصلت عن خطيبي"

نهلة هزت رأسها بأسى... ثم قالت:

"رغد... هل تعتقدين أن هذه الفكرة هي التي تدور برأس ابن عمك؟ الرجل قد ارتبط بفتاة أخرى و ربما هو يحبها و يعد للزواج منها!"

قلت بغضب:

"و ماذا عني أنا؟؟"

نظرت إلى بتمعن و قالت و هي تشير بسبابتها اليمنى:

"أنت أيضا... ستتزوجين رجلا يحبك و يحترمك كثيرا... و ينتظر منك الإشارة"

و هنا أقبلت سارة تقول:

"حسام موافق!"

اصطحبنا حسام بسيارته الصغيرة الضيقة إلى السوق و ظل مرافقا لنا طوال الوقت... قضينا فترة لا بأس بها هناك ومع ذلك لم يبدي تدمرا! بل كان غاية في اللطف و التعاون، و السرور

كذلك!...

اشتريت العديد من الأشياء ...

تعرفون أنه لم يعد عندي ما يكفي من الملابس و الحاجيات ... و أن أشياءي قد احترقت في بيتنا  
الحزين... و أن القليل الذي اقتنيتته لاحقا تركته في المزرعة  
كنت أنفق بلا حساب! فالمبلغ الذي تركه وليد معي... كبير و مغر...  
حقيقة شعرت بالخجل و أنا آخذ ظرف النقود منه، و لكنني بالفعل بحاجة إليها... و حتى النقود  
التي تركها لي أبي رحمه الله قبل سفره إلى الحج، و التي لم أنفق منها ما يذكر، احترقت في مكانها  
في البيت...

و حتى بقايا رماد البيت المحروق... لم يكن لي نصيب في وراثتها...

بعد أن فرغنا من مهمة التسوق اللذيذة عدنا إلى المنزل و ارتديت بعضا من أشياءي الجديدة شاعرة  
بسعادة لا توصف

فيما بعد... قررنا أنا و خالتي و أبنائها التنزه في حديقة المنزل...

أبو حسام كان يحب حديقة منزله و يعتني بها جيدا، و بعد أن احترقت شجيراتهما في القصف الجوي  
أنفا، أعاد زراعة و تنظيم الأشجار و العشب... و دبت الحياة في تلك الحديقة مجددا ..

كنت قد اخترت من بين ملابسي الجديدة جلابية زرقاء فضفاضة طويلة الكمين، و وشاحا طويلا داكن  
اللون، و خاتما فيروزيا براقا لأقضي بهم نزهتي داخل حديقة المنزل...

الجو كان لطيفا و أنسام الهواء عليلة و نشطة... الشمس قد احمر ذيلها في الأفق... و تسابقت غيوم  
خفيفة على حجب حمرتها الأخاذة عن أعين الناظرين... بينما امتدت الظلال الطويلة على العشب...  
مضفية عليه خضرة نضرة...

المنظر من حولي خلاب و مبهج للغاية... إنها بدايات الشتاء...

فرشنا بساطا كبيرا على العشب الرطب، و جلسنا نحن الخمسة فوقه نتناول المكسرات و نتبادل  
الأحاديث... و نتسلى بلعبة الألغاز الورقية!

لقد كنت آنذاك مسرورة و مرتاحة... و غاية في الحيوية و المرح!

عندما فتحت البوابة ، وجدتُ حسام في استقبالي...

تبادلنا التحية و لم يحاول إخفاء علامات التعجب و الاستنكار الجلية على وجهه و هو يستقبلني دون سابق إعلام...

دعاني للدخول، فسرت إلى جانبه و أنا أشعر ببعض الحرج من زيارتي المفاجئة هذه...

هنا وصلتني أصوات ضحكات جعلتني التفت تلقائيا نحو المصدر...

على بساط مفروش فوق العشب في قلب الحديقة كانت أربع نسوة يجلسن في شبه حلقه مستديرة..

جميعهن التفت إليّ لدى ظهوري في الصورة و جميعهن أخرسن ألسنتهن و بدين مندهشات!

غضضت بصري و تنحنحت ثم ألقيت التحية... و سمعت الرد من أم حسام مرحبة بي...

"تفضّل يا وليد... أهلا بك" ...

قال حسام:

"تعال شاركنا"

و هو يحثني على السير نحو البساط... و أضاف:

"كنا نتسلى بالألغاز ! الجو منعش جدا "

وقفت شقيقة حسام الكبرى ثم الصغرى هامتين بالانصراف فقلت:

"كلا...معذرة على إزعاجكم كنت فقط أود إلقاء التحية و الاطمئنان على ابنة عمي "

أم حسام قالت مباشرة:

"أي إزعاج يا وليد؟ البيت بيتك و نحن أهلك... تفضّل بني "

"شكرا لك خالتي أم حسام... أدام الله عزك"



كل هذا و عيني تحدّق في العشب في خجل...

و تمكنت من رفعهما أخيرا بحثا عن رغد... و رأيتها جالسة بين ابنتي خالتها... و هي الأخرى تبعثر نظراتها على العشب!

يا إلهي كم اشتقت إليها ! ... لا أصدق أنها أمامي أخيرا...

"كيف حالك يا رغد ؟"

التفتت رغد يمينة و يسرة كأنها تبحث عن مصدر الصوت!

هذا أنا يا رغد ! هل نسيت صوتي؟؟

ثم رأيتها تبتسم و يتورد خذاها و تجيب بصوت خافت:

"بخير"

لم يكن جوابا شافيا ! أنا أريد أن أعرف تفاصيل كل ما حصل منذ تركتك هنا تلك الليلة و حتى هذه

اللحظة ! ألا تعلمين كم كنت مشغول البال بك؟؟

"كيف تسير أمورك صغيرتي؟"

و ابتسمت ابتسامة أكبر... و قالت:

"بخير" !

بخير ... بخير!

كل هذا و هي لا ترفع نظرها عن العشب الرطب ...

قلت:

"الحمد لله" ...

قالت أم حسام:

"تفضّل بالجلوس"

قال حسام:

"سأصطحبه إلى المجلس" ...

و خاطبني:

"تفضّل وليد"

لم أجد بدا من مرافقته ... فذهبت تاركا عقلي مرميا و مبعثرا هو الآخر فوق ذات العشب!

في ذلك المجلس كان أبو حسام يشاهد الأخبار ... و بعد الترحيب بي فتحنا موضوع المظاهرات و العمليات الاستشهادية النشطة و عمليات الاعتقال و الاغتيالات العشوائية التي تعيشها البلدة بشكل مكثف في الآونة الأخيرة ...

و كذلك المنظمات السرية المعادية التي يتم الإيقاع بعملائها و زجّهم إلى السجون أو قتلهم يوما بعد يوم...  
يوم...

الأنباء أثارت في نفسي كآبة شديدة و مخاوف متفاقمة خصوصا بعد أن علمت من أبي حسام عن تورط بعض معارفه في إحدى المنظمات المهددة بالخطر...

و حكيت له الصعوبات التي واجهناها مع السلطات أثناء رحلتي زهابنا و عودتنا إلى و من المدينة الساحلية...

و تعرفون كم أكره الشرطة و أربب منهم ...

فيما بعد ...خرجنا نحن الثلاثة من المنزل قاصدين الذهاب إلى المسجد...

و نحن نعبر الحديقة رأيت رغد مع ابنتي خالتها و هن لا يزلن يجلسن على ذلك البساط و يلهون بأوراق الألغاز...

حسام هتف سائلا:

"من فاقكن ذكاء؟"

أجابت شقيقته الصغرى:

"رغد ! إنها ذكية جدا"

ضحك حسام و قال:

"استعيري شيئاً منها" !

و انطلقت ضحكة عفوية من رغد...

حسام قال بمرح:

"... سأغلبك في الجولة المقبلة يا رغد ! استعدي"

قالت رغد و هي تنظر إله بتحد:

"قبلت التحدي" !

حسام ضحك و قال بإصرار:

"سترين أنا عبقريتي... انتظري فقط" !

و ضحكت رغد بمرح...

كل هذا وأنا... واقف أسمع و أتفرج و أخرس لساني و أكنم في صدري غضبا شديدا...

~~~~~

" فيم تحدّقين؟ "

سألتنى نهلة و هي تراني أحملق في البوابة... التي أغلقها حسام بعد خروجه و أبيه و وليد قبل
قليل...

قلت:

"هل رأيتِ كيف يبدو حسام إلى جانبه؟ كواحد من الأقزام السبعة" !

تعجبت نهلة و بدا أنها لم تفهم شيئاً!

قلت:

"أراهن أنه سيلحق بهما بسيارته... يستحيل على هذا الشيء أن يدخل سيارة شقيقك تلك! إلا إذا أخرج رأسه من فتحة السقف" !

و أخذت سارة تضحك بشدة!

لا أدري إن لشيء فهمته أو لشيء لم تفهمه!

وقفتُ بعد ذلك و أخذتُ أمدد أطرافي و استنشقتُ الهواء العليل... شاعرة بسعادة تغمر قلبي... و برغبة هوسية في معانقة الهواء!

أخذتُ أدندن بمرح... و أمشي حافية على العشب بخفة... كعصفور على وشك الطيران...

نهلة أصدرت أصواتا خشنة من حنجرتها للفت انتباهي فاستدرت إليها ووجدتها تراقبني باهتمام...

إنني أشعر بالدماء تتحرك بغزارة في شعيرات وجهي... و متأكدة من أنني في هذه اللحظة حمراء اللون
!

"رغد يا صغيرتي كيف تسير أمورك؟"

قالت ذلك نهلة وهي تهب واقفة على أطراف أصابعها و تنفخ صدرها و ترفع كتفيها و تضغط على
حبالها الصوتية ليظهر صوتها خشنا، فيما تقطب حاجبيها لتقلد وليد!

و مرة أخرى تنفجر سارة ضحكا... و تثير عجبي!

إنها غبية في أحيان كثيرة و لكن يبدو أن نكائها محتد هذا الساعة!

قلت موضحة :

"إنه يناديني بالصغيرة منذ طفولتي ما الجديد في ذلك؟"

و نهلة لا تزال قاطبة حاجبيها و تردد:

"رغد يا صغيرتي ! رغد يا صغيرتي ! رغد يا صغيرتي"

و سارة لا تزال تضحك!

قلت:

"ولأني يتيمة... فهو يعاملني كابنته ! و طلب مني اعتباره أبي " !

و نظرت الفتاتان إلى بعضهما و ضحكتا بشدة!

قلت و أنا أولي هاربة:

"أوه...خير لي أن أذهب لتأدية الصلاة ! أنتما لا تطاقان " !

لم يكن لحضور وليد قلبي أي هدف غير الاطمئنان علي ، لذا فإنه هم بالمغادرة بعد ذلك مباشرة لولا أن العائلة ألحت عليه لتناول العشاء معنا...

أنا أيضا كنت أريد منه أن يبقى فمجرد وجوده على مقربة... يمنحني شعورا لا يمكن لأي إنسان
منحي شعورا مماثلا له

آه لو تعلمون...

كم في البعد من شوق و كم في القرب من لهفة...

كيف سارت حياتي بدونك يا وليد؟؟

كيف استطعت العيش طوال هذه الأيام بعيدة عنك؟؟

و كيف سأتحمل رحيلك... و كيف سأطيق الذهاب معك؟؟

بعد العشاء، وليد و حسام و أبوه خرجوا و جلسوا في الحديقة على نفس البساط الذي كنا نجلس
عليه...

كان الجو رائعا تلك الليلة، لا يقاوم...

و من داخل المنزل فتحت النافذة المطلة على الحديقة سامحة لنسمات الليل و ضوء القمر، و الأصوات
كذلك، بالتسلل إلى الداخل... بينما أنا أراقب عن كثب... تحركات وليد!

كان وليد غاية في الأدب و اللباقة... كان قليل الحديث أو الضحك...مغايرا لحسام المزوج الانفعالي...

و بدا فارق السن بينهما جليا في طريقة حديثهما و تحركهما بل و حتى في الطريقة التي يشربان بها
القهوة!

بإدراك أو بدونه... كنت أسترق السمع إلى أي كلمة تخرج من لسان وليد و أراقب حتى أتفه حركة
تصدر منه... بل و حتى من خصلات شعره الكثيف و الهواء يعبث بها...

" ما الذي تراقبه الصغيرة الجميلة ؟ "

قالت نهلة و هي تنظر إلي بمكر... فهي تعرف جيدا ما الذي يثير اهتمامي في قلب الحديقة !

قلت بتحد:

" بابا وليد " !

كادت تطلق ضحكة كبيرة لولا أنني وضعت كفي فوق فمها و كتمت ضحكتها

" اخفضي صوتك ! سيسمعونك " !

أزاحت نهلة يدي بعيدا و مثلت الضحك بصوت منخفض و من ثم قالت:

"مسكين وليد ! عليه أن يرعى طفله بهذا الحجم" !

و فتحت ذراعيها أقصاهما... كنتُ أعرف أنها لن تدعني و شأني ... هممتُ بإغلاق النافذة فأصدرت صوتا... فأريت حسام يلوح بيده نحونا و يهتف:

"رغد...تعالِي"

تبادلت و نهلة النظرات و بقيت مكاني...

قال حسام:

"وليد يرغب في الحديث معك"

عندها ابتعدت عن النافذة و وضعت يدي على صدري أتحسس ضربات قلبي التي تدفقت بسرعة فجأة...

نهلة نظرت إلي من طرف عينيها و قالت مازحة ساخرة:

"هيا يا صغيرتي المطيعة ... اذهبي لأبيك"

و لما لم تظهر على وجهي التعبيرات التي توقعتها بدا الجد في نظراتها و سألتني:

"ما الأمر؟؟"

قلت و أنا مكفهرة الوجه و يدي لا تزال على صدري:

"لا بد أنه سيغادر الآن ..."

نظرت إلي نهلة باستغراب... بالطبع سيغادر... و جميعنا نعلم أنه سيغادر!... ما الجديد في الأمر...؟؟

قلت:

"لا أريده أن يبتعد عني يا نهلة... لا أحتمل فراقه...أريده أن يبقى معي... ولي وحدي...
أنفهمين؟؟"

في وسط الحديقة... على العشب المبلل برذاذ الماء... و بين نسيمات الهواء الرائعة المدغدغة لكل ما
تلامسه... و تحت نور باهت منبعث من القمر المتربع بغرور على عرش السماء... وقفنا وجها لوجه أنا
و وليد قلبي...

لأصف لكم مدى لهفتي إليه... سأحتاج وقتا طويلا... و لكن الفرصة ضئيلة أمامي... و العد التنازلي
قد بدأ...

حسام و أبوه دخلا المنزل تاركين لنا حربة الحديث بمفردنا... و إن كنت لا أعرف أي حديث سيدور
في لحظة كهذه...؟

نسيمات الهواء أخذت تشتد و تحوّلت دغدغاتها إلى لكلمات خفيفة لكل ما تصادفه

وليد بدأ الحديث من هذه النقطة:

" يبدو أن الريح ستشدد... إنه إنذار باقتراب الشتاء! "

" نعم " ...

" المكان هنا رائع " ...

و هو يشير إلى الحديقة من حوله ...

" أجل " ...

و نظر إلي و قال:

" و يبدو أنك تستمتعين بوقتك هنا " ...

هزرت رأسي إيجابا...

قال بصوت دافئ حنون:

"هل أنتِ ... مرتاحة؟"

قلت بسرعة:

"بالطبع" ...

ابتسم برضا ... ثم قال:

"يسرني سماع ذلك... الحمد لله"

هربت من نظراته و سلطت بصري على العشب... ثم سمعته يقول:

"ألا... تريدان... العودة إلى المزرعة؟"

رفعت رأسي بسرعة و قد اضطربت ملامح وجهي ...

وليد قال بصوت خافت:

"لا تقلقي... فأنا لن أجبرك على الذهاب معي" ...

ثم أضاف:

"أريد راحتك و سعادتك يا رغد... و سأنفذ ما ترغيبين به أنتِ مهما كان" ...

قلت موضحة:

"أنا مرتاحة هنا بين أهلي" ...

و كأن الجملة جرحته ... فتكلم بألم:

"أنا أيضا أهلك يا رغد" ...

تداركت مصححة:

"نعم يا وليد و لكن ... و لكن " ...

و ظهرت صورة الشقراء مشوهة أي جمال لهذه اللحظة الرائعة...

أتممت:

"ولكنني... سأظل أشعر بالغربة و التطفل هناك... لن يحبني أحد كما تحبني خالتي و عائلتها... و لن أحب أحدا لا تربطني به دماء واحدة"...

نظر إليّ وليد بأسى ثم قال:

"تعنين أروى...؟"

فلم أجب، فقال:

"إنها تحبك و كذلك الخالة... و هما تبعثان إليك بالتحيات"

قلت:

"سَلَّمهما الله... أنا لا أنكر جميلهما و العجوز علي... و لو كان لدي ما أكافئهم به لفعلت... لكن كما تعلم أنا فتاة يتيمة و معدومة... و بعد رحيلهما لم يترك والداك لي شيئا بطبيعة الحال" ...

و هنا توتر وليد و قال باستنكار:

"لم تقولين ذلك يا رغد؟؟"

قلت مصرة:

"هذه هي الحقيقة التي لا يجدي تحريفها شيئا... أنا في الحقيقة مجرد فتاة يتيمة عالة على الآخرين... و لن أجد من يطيقني و بصدر رحب غير خالتي"

و ربما أثرت جملتي به كثيرا... فهو قد لاذ بالصمت لبعض الوقت... ثم نطق أخيرا:

"علي كل... لا داعي لأن نفسد جمال هذه الليلة بأمور مزعجة" ...

ثم ابتسم ابتسامة شقّت طريقها بين جبال الأسى و قال:

"المهم أن تكون صغيرتي مرتاحة و راضية" ...

ابتسمت ممتنة ...

قال:

"حسنا... يجب أن أذهب الآن قبل أن يتأخر الوقت أكثر" ...

تسارعت ضربات قلبي أكثر... لم أكن أريده أن يرحل... ليته يبقى معنا ليلة واحدة... أرجوك لا تذهب يا وليد...

قال:

"أتأمرين بأي شيء؟"

ليتنني أستطيع أمرك بألا ترحل يا وليد!

قلت:

"شكرا لك"

كرر سؤاله:

"ألا تحتاجين لأي شيء؟ أخبريني صغيرتي أينقصك أي شيء؟؟"

"كلا" ...

"لا تترددي في طلب ما تحتاجينه مني... أرجوك رغد" ...

ابتسمت و قلت:

"شكرا لك" ...

وليد أدخل يده في جيبه ! أوه كلا ! هل يظن أنني أنفقت تلك الكومة من النقود بهذه السرعة ؟ لست
مبذرة لهذا الحد!

كدتُ أقول (كلا ! لا أحتاج نقودا) لكنني حين رأيت هاتفه المحمول يخرج من جيبه حمدت الله
أن أجم لساني عن التهور!

و للعجب ...وليد قدّم هاتفه إليّ!

"ابقي هذا معك... اتصلي بي في المزرعة متى احتجت لأي شيء..."

نظرت إليه باندهاش فقال:

"هكذا استطيع الاتصال بك و الاطمئنان على أوضاعك كلما لزم الأمر دون حرج"

بقيت أحدق في الهاتف و في وليد مندهشة...

"و ... لكن" !! ...

صدر التلكين مئي فقال وليد:

"لا تقلقي، سأقتني آخر عاجلا... يمكنني الاستغناء عنه الآن... خذيه"

و بتردد مددت يدي اليمنى و أخذت الهاتف فيما وليد يراقب حركة يدي بتمعن!

قال:

"لا تنسي... اتصلي بي في أي وقت..."

"حسنًا... شكرا لك"

وليد ابتسم بارتياح... ثم بدا عليه بعض الانزعاج و قال:

"سأنصرف الآن ولكن..."

و لم يتم جملته ، كان مترددا و كأنه يخشى قول ما ود قوله... تكلمت أنا مشجعة:

"لكن ماذا وليد؟؟"

أظن أن وجه وليد قد احمر ! أو هكذا تخيلته تحت ضوء القمر و المصابيح الليلية الباهتة...

وليد أخيرا نظر إلى عيني ثم إلى يدي المسكة بالهاتف ثم إلى العشب... وقال:

"ارتدي عباءتك حينما يكون حسام أو أبوه حاضرين"

ذهلت... و كاد قلبي يتوقف... و حملت في وليد باندهاش...

وليد تراجع ببصره من العشب، إلى يدي، إلى عينيّ و واصل:

"و لا داعي لوضع الخواتم في حال وجودهما" ...

الدماء تفجرت في وجهي ... طأطأتُ برأسي نحو الأرض في حرج شديد ... توقفت أنفاسي عن التحرك
من و إلى صدري و إن ظلّت الريح تعبت بوجهي و وشاحي الطويل... في حين حاولت يدي اليسرى
تغطية خاتمي الفيروزي الجديد في يدي اليمنى...

وليد حاول تلطيف الموقف فقال مداعبا:

"و لكن افعلي ما يحلو لكِ في غيابنا"

ثم قال مغيرا المسار و خاتما اللقاء:

"حسنا صغيرتي... أتركك في رعاية الله" ...

توالت الأيام، و الأسابيع ... و أنا منغمس في العمل...
و اقتضى مني الأمر السفر إلى المدينة الساحلية من جديد... و لأن أروى لم تشأ مرافقتي، لم استطع
أخذ رغد معي و السفر بمفردنا... و رغم أن الأمر كان غاية في الصعوبة إلا أنني دست على مشاعري و
قلقي و تركت رغد دون رعايتي و سافرت بعيدا...
قبل سفري اتصلت بشقيقي سامر و طلبت منه أن يبقى على مقربة و اتصال دائمين من رغد و قد تعدّر
بانشغاله في عمله و لكنه وعد بفعل ما يمكن...

أما أنا فقد اقتنيت هاتفنا محمولا جديدا لرغد أعطيتها إياه حين مررت منها قبل سفري و استعدت
هاتفي، و طلبت منها أن تبقى على اتصال بي شبه يومي...

و أنا أعيش في المنزل الكبير هناك في المدينة الساحلية، شعرت بوحدة قاتلة و تقلبت علي الكثير من

المواجه ... و صممت على أن أعيد لهذا البيت الحياة و النشاط عما قريب...

حصلت على إذن من شقيقيّ للتصرف المطلق بالمنزل، و الذي أصبح ملكا مشتركا لنا نحن الثلاثة، بعد وفاة والدي رحمه الله...

وكلت عمال شركة متخصصة لتنظيفه كليا، و من ثم أعدت صبغه و جددت أثاثه و أجريت الكثير من التعديلات فيه... غير أنني تركت غرف نوم والديّ - رحمهما الله - و سامر و دانة و كذلك الحديقة الخلفية كما هي... و ركنتُ في الحديقة بعض الأشياء القديمة إلى جوار أدوات الشواء... التي تعرفون...

كنت معتزما على الانتقال للعيش الدائم في المنزل، و إليه سأضم رغد و سامر... و أروى مستقبلا... و حين تعود دانة من الخارج، فلا أجمل من أن تنضم إلينا...

كنت أريد أن ألملم شمل العائلة المشتتة... و أن نعود للحياة معا كما كنا قبل أن تفرّقنا الحرب و ظروفها التعيسة...

ولأنني أصبحت أدير أحد أكبر و أهم مصانع المدينة، فإن نفوذي قد اتسع كثيرا و سلطتي قد ارتفعت لحد كبير...

و مع ذلك... لم تخلُ المسألة من الهمز و اللمز... و النظرات الماكرة و الهمسات الغادرة ممن عرفوا بأنني قاتل عمّار... و استقال السيد أسامة من منصبه للأسف... إثر هذا الخبر... ولاءً لصديقه الراحل عاطف... و انتشرت شائعات مختلفة حولي و حول زوجي من أروى... و وجدت نفسي أكثر وحدة و حاجة للدعم المعنوي و الفعلي ممن أثق بهم...

ألححت على سامر لترك عمله في تلك المدينة و عرضت عليه العمل معي في المصنع، و هيّأتُ له منصبا مرموقا مغريا و لكن سامر كان مترددا جدا

أعربت له عن رغبتني في لم شمل العائلة من جديد... شرحت له بتفصيل دقيق ظروف عملي الحالي و كيف أن الحياة تبدلت معي كثيرا... و أنني الآن محتاج إليه أكثر... غير أن سامر على ما بدا منه كان لا يزال في حداد على والديّ لم يفق منه...

و بالنسبة لرغد فقد خططت لإلحاقها بإحدى الجامعات و خصصتُ جزءاً من دخلي الخاص من إدارة المصنع لتغطية تكاليف الدراسة...

أما المنزل المحترق، فقد أبقيناها على حاله حتى إشعار آخر... و تنازلت عن نصيبي فيه وسجلته باسمها أيضا ...

أما عن أوضاع البلاد... فلا تزال الفوضى تعم العديد من المدن و تقتحم المزيد... و السجون قد امتلأت و فاضت بالمعتقلين عدلا أو ظلما...

عندما عدتُ إلى المدينة الصناعية في المرة التالية، كانت رغد خارج المنزل و استقبلتني أم حسام استقبالا كريما

رغد كانت قد أعلمتني عن رغبتها في قضاء بعض المشاوير الضرورية ذلك اليوم – وهي تعلمني عن تحركاتها دائما، و قد لاحظتُ تكرر ذلك مؤخرا – و رغم انزعاجي من الأمر تركتها تخرج مع ابن خالتها مطمئنا إلى وجود ابنتي خالتها معها

و عندما علمت بعد ذلك أنهما لم ترافقاها أصبت بنوبة غضب...

"و هل هي معتادة على أن يوصلها حسام إلى حيث تريد، بمفردهما؟"

وجهت سؤالي المستنكر إلى أم حسام ففهمت استهجاني و أجابت:

"في مرات قليلة" ...

قلت حانقا:

"و لكن لماذا لم ترافقها إحدى ابنتيك يا خالتي؟"

قالت:

"نهلة منهمكة في تعليم سارة دروسها الصعبة... و لكن لم كل هذا الانزعاج يا بني؟ إنه ابن خالتها و أقرب الناس إليها"

و لم تعجبني هذه الكلمة... فالتزمت الصمت.

و يبدو أن أم حسام وجدت لها فرصة ملائمة لطرح موضوع ما فتى يشغل تفكيرها و ربما تفكيرنا جميعا
...

"وليد يا بني... ألا ترى أن الأوان قد حان... حتى نربط بينهما شرعيا؟"

كنت أخشى أن تفتح الموضوع خصوصا و أنا في وضعي الراهن...

قلت مباشرة:

"إنه ليس بالوقت المناسب"

قالت:

"لماذا؟ يهديك الله... أليس ذلك أفضل لنا جميعا؟ ها هما يعيشان في بيت واحد و تعرف كيف هي الأمور..."

قلت بغضب:

"كلا يا خالتي. يستحيل أن أزوج رغد بالطريقة التي زوّجها والدي بها... لن أجعلها ضحية للأمر المفروض ثانية..."

أم حسام قالت معترضة:

"أي ضحية يا بني؟ إنه زواج مقدّس... و حسام يلح عليّ لعرض الأمر لكنني رأيت تأجيله لحين عودتك... بصفتك الوصي الرسمي عليها"

نغد صبري فقلت بفضاظة:

"أرجوك يا أم حسام... أجلي الموضوع لما بعد"

"لأي وقت؟؟"

قلت:

"على الأقل ... إلى أن تحصل على شهادة جامعية و تكبر بضع سنين" ...

تعجبت أم حسام... لكنني تابعت:

"و يكبر حسام و يصبح رجلا راشدا مسؤولا"

"و هل تراه صبيا الآن؟! "

لم أتردد في الإجابة ... قلت مباشرة:

"نعم" !

ولأنها استاءت و هزت رأسها استنكارا أضفت:

"يا خالتي... أنا اعتبر الاثنين مجرد مراهقين... فالفرق بينهما لا يبلغ العامين... و إذا كان في وجودها هنا حرج على أحد فأنا سأخذها معي و أدبر أمورها بشكل أو بآخر" ...

عند هذا الحد انتهى حوارنا إذ أن البوابة قد فتحت و أقبل الاثنان يسيران جنبا إلى جنب...

الناظر إليهما يفكر في أنهما خطيبان منسجمان متلائمان مع بعضهما البعض... و كان يبدو عليهما المرح و البسمة لم تفارق شفاههما منذ أطلا من البوابة...
هذا المنظر أوجعني كثيرا... لو تعلمون...

أقبل الاثنان يرحبان بي بمرح... و كان جليا عليهما السرور... و لا أظن أن السرور كان بسبب
قدومي... بل بسبب آخر أجهله للأسف...

رغد كانت مبهجة جدا... و كانت فترة طويلة قد مضت مذ قابلتها آخر مرة... و فيما أنا هناك
أتحرق شوقا إليها و قلقا عليها، تقضي هي الوقت في المرح مع ابن خالتها هذا...
و شتان بين البهجة التي أراها منفتحة على وجهها الآن و بين الكآبة و الضيق اللذين لطالما رافقاها و
هي تحت رعايتي...الشهور الماضية...

"تبددين في حالة ممتازة... واضح أن خالتك و عائلتها يعنونون بك جيدا"

قلت متظاهرا بالبرود و العدم الاكتراث

ابتسمت هي و قالت:

"بالطبع"

أما حسام فضحك و قال:

"و ندللها كثيرا و نضع رغباتها نصب أعيننا ! إنها سيدة هذا المنزل!"

رغد نظرت إليه و قالت بمرح:

"لا تبالغ!"

قال مؤكدا:

"بل أنت كذلك و ستظلين دائما كذلك!"

فيما بعد... تناولت القهوة مع حسام في المجلس... و رأيته فرصة متاحة أمامي فسألته عن خطته

المستقبلية و تطلعاته للغد... فوجدته للحق شابا طموحا متحمسا متفائلا بالرغم من طبعه المرح...
كنت حريصا على أن أعرف... إلى أي مدى كانت فكرة الزواج من رغد... لا تزال تسكن رأسه...
سألته:

" و ... ماذا بشأن الزواج؟ "

حسام ابتسم و قال :

"إنه أول ما أطمح إليه... و آمل تحقيقه"

قلت:

" و ... هل أنت مستعد له؟ "

تهللت أسارير حسام و كأنه فهم مني إشارة إلى موضوعه القديم... فقال فرحا:

"للخطوبة على الأقل... لا شيء يمنع ذلك"

و انتظر مني التأييد أو حتى الاعتراض، غير أنني بقيت صامتا دون أي تعليق... مما أثار فضول حسام
الملح و دفعه للسؤال المباشر:

"ألديك مانع؟"

قلت متظاهرا بعدم الاكتراث:

"عن أي شيء؟"

"عن... الخطوبة... في الوقت الراهن...؟"

إذن... فأنت متلهّف للزواج من ابنة عمي؟؟

تجاهلت سؤاله وأنا أحترق في داخلي... و أفكر في الرسالة الهامة التي يجب أن تصل إلى هذا الشاب

المدفح حتى يتوقف عن التفكير برغد...

حسام لما رأى صمتي قد طال عاد يسأل:

"هل توافق على خطوبتنا الآن؟"

نظرت إليه بحدقتين ضيقتين ضيق صدري المثلث بشتى الهموم... ثم هززت رأسي اعتراضا ...
شيء من الحيرة و الضيق علا وجه حسام الذي قال:

"لماذا؟"

الجد طغى على وجهي و أنا أقول أخيرا:

"اسمعي يا حسام... فكرة الزواج التي تدور في رأسك هذه استبعدها نهائيا خلال السنوات المقبلة...
لأنني لن أوافق على تزويج ابنة عمي قبل أن ألحقها بإحدى الجامعات... و تحصل على شهادة
جامعية... لا تطرح الموضوع ثانية... قبل ذلك... هل هذا واضح؟؟"

~~~~~

"ستذهب بهذه السرعة؟"

سألته و نحن نسير باتجاه البوابة و هو في طريقه للمغادرة بعد زيارته القصيرة لنا... بالرغم من طول  
الزمن الذي قضاه بعيدا عني...  
وليد كان منزعجا جدا أو ربما متعبا من السفر... لم يكن على سجيته هذا اليوم...

"إنني مرهق جدا و بحاجة للراحة الآن... لكنني سأعود قريبا يا رغد"



قلت بشيء من التردد:

"لم لا تقضي الليلة هنا ؟ سيرحب الجميع بذلك"

"لا شك عندي في كرم العائلة و لكنني لا أريد أن أثقل عليهم ... ألا يكفي أنهم يعتنون بك منذ زمن ؟؟"

"لا تظن أن العناية بي تضايقهم يا وليد... إنهم يحبونني كثيرا"

"أعرف ذلك"

وليد ألقى علي نظرة مبهمة المعنى ثم أضاف:

"و أنتِ مرتاحة لوجودك بينهم"

قلت متأكدة:

"لأقصى حد"

وليد تنهّد بضيق و قال:

"لكن الفترة طالت يا رغد... أما اكتفيتِ ؟؟"

نظرت إليه بتعجب ... جاهلة ما المقصود من كلامه... فأوضح:

"تعرفين أنني أبقيتك هنا بناء على رغبتك و إصرارك... من أجل راحتك أنتِ ... لكنني غير مرتاح لهذا يا رغد"

و بدا عليه الأسى و قلة الحيلة ...

"لماذا ؟"

سألته فأجاب:

"أنا لا أشعر بالراحة عندما لا تكونين تحت رعايتي مباشرة... إنني المسؤول عنك و أريد أن أتحمّل مسؤوليتي كاملة... يجب أن تكوني معي أنا... ولي أمرك"

قلت مباشرة:

"لكنني لا أريد العودة إلى المزرعة... أرجوك يا وليد لا ترغمني على ذلك"

و يظهر أن جملتي هذه أزعجته بالقدر الذي جعله يتوقف بعصبية يزداد ضيقا و يقول:

"أنا أرغمك؟ رغد ماذا تظنينني؟ عندما أخذتك للمزرعة لم يكن لدي المال لأوفر لك سكنا يناسبك... و عندما أخذتك للمدينة الساحلية لم أكن أعلم كم من الوقت سأمضي هناك و لم أشأ تركك بعيدة عني... و ها أنا قد تركتك بعيدة كل هذا الوقت تنفيذا لرغبتك أنت... و تقديرا لشعورك أنت... فهل لا قدرت شعوري أنا بالمسؤولية و لو لبعض الوقت؟؟"

الطريقة التي كان يخاطبني بها دقت في رأسي أجراس التنبيه... وليد لم يتحدّث معي كهذا مسبقا... بقيت كلماته ترن في رأسي لفترة

بعدها قلت برجاء:

"لا أريد العودة إلى المزرعة... أرجوك... افهمني"

تنهد وليد تنهيدة تعب و قال:

"لن آخذك إليها ما لم ترغبني في ذلك... و لكن... عندما أعود إلى المدينة الساحلية... يجب أن تأتي معي"

نظرت إلى الأرض مدعنة... دون أن أتحدّث...

"اتفقنا؟"

قلت باستسلام:

"نعم"

تنهّد وليد بارتياح هذه المرة... و قال:

"هذا جيّد"

ألقيت نظرة عليه فرأيت في عينيه بعض الامتنان... لكن التعب كان طاغٍ على قسماات وجهه... و مزيج من الضيق و القلق كان يتسلل من بؤبؤيه...  
تنفس بعمق ثم قال:

"و مرة أخرى يا رغد... إذا احتجتِ لأي شيء فأبلغيني أنا... و ... رجاء يا رغد... رجاء... لا تخرجي ثانية مع حسام بمفردكما"

أثارتني الجملة و تعلّقت عيناى بعينيه في استغراب... ما الذي يظنه وليد و ما الذي يفكر به؟؟

قلت مبررة:

"لقد أوصلني إلى الصالون و" ...

بترت جملتي ثم قلت:

"لماذا؟"

وليد قال بضيق شديد:

"أرجوك يا رغد... حتى و إن كان ابن خالتك المقرّب... يبقى رجلا غير محرم لك... لا أريدك أن تتحدثي أو تضحكي أو تخرجي معه بهذه الحرية" ...

~~~~~

كنت متعبا لذا فإني فور وصولي إلى المزرعة أويت للفراش...
و حقيقةً منعني صورة رغد و حسام و هما يقفان جنبا إلى جنب مبتسمين... من النوم المريح
لم يعد باستطاعتي أن أتحمّل فكرة بقائها معه في بيت واحد... أكثر من هذا ...

في الصباح التالي أخبرت أروى عن تفاصيل سفري و ما أنجزته في العمل و المنزل طرحت عليها فكرة
الانتقال للعيش في منزلنا الكبير لنبقى على مقربة من أملاكها... خصوصا بعد استقالة السيد أسامة...

"لا أحب ذلك يا وليد... أحب هذه المزرعة و أريد العيش فيها للأبد"

"و لكن يا أروى... سيشق علي أمر رعاية و إدارة أملاكك هكذا... لا أجد من يمكنني الاعتماد عليه
الآن"

أروى فكرت قليلا ثم قالت:

"نسافر أنا و أنت؟"

قلت:

"و رغد و الخالة أيضا"

ردت بسرعة:

"أمي لن تأتي معنا... لن توافق علي ذلك... لا تريد ترك المزرعة أو خالي هكذا"

تنهّدت في حيرة من أمري... كيف لي أن ألمم شمل العائلة و أضم أهلي جميعا في منزل واحد؟؟

قالت أروى بعد تفكير قصير:

"لكن إذا تزوجنا يا وليد... فسيسهل الأمر"

نظرت إليها فرأيت الفكرة تنبعث من عينيها بقوة... وقد كان الجميع من حولي يلح علي بالزواج و يراه الوقت المناسب... وربما كان بالفعل الوقت المناسب عند كل شيء... إلا قلبي...

قلت:

"لا يمكننا أن نتزوج الآن يا أروى"

"لماذا يا وليد؟ عد... كم من الشهور مضت..."

قلت بضيق:

"أعرف... لكنني سبق و أن أخبرتك بأنني لن أتزوج قبل أن أزوّج رغد"

قالت أروى:

"ماذا يمنعك من تزويجها الآن؟ ألم يعد ابن خالتها يرغب بذلك؟"

و كأنها كانت الشرارة التي أشعلت البنزين! لا أنقصك أنت أيضا يا أروى...

قلت بعصبية:

"أروى أرجوك... لا تناقشي هذا الأمر معي مجددا... فهو لا يعينك"

و يبدو أنني كنت قاسيا إذ أن أروى أشاحت بوجهها في حزن... شعرت بالندم فقلت مسترضيا:

"دعيني أدبر أمور الصغيرة بنفسي... إنها تحت وصايتي أنا و لا يمكنني أن أولي مسؤوليتها لأي

كان قبل بضع سنين "...

أروى استدارت إلي و قالت:

"ألست تبالح يا وليد؟ إنها امرأة بالغة كما ترى و ليست طفلة... فلماذا تصر على اعتبارها صغيرة لهذا الحد؟"

نظرت إليها بعمق و لا أدري إن كنت أخاطبها أم أخاطب نفسي... أم أخاطب رغد... أم أخاطب حسام...

أمام مرآي صورة رغد و هي تسير جوار ابن خالتها و كأنها أصبحت شيئًا يخصه... هل أتنازل عنها بهذه السهولة؟؟

قلت:

"أنت لا تعرفين شيئًا يا أروى... حاولي أن تفهميني..."

و أطلقت تنهيدة أسي و تابعت:

"رغد هذه... طفلتي منذ سنين... لقد رببتها على ذراعي..."

رفعت ذراعي في الهواء قليلاً...

"حملتها بيدي هاتين و هي طفلة صغيرة..."

و ضممت ذراعي إلى صدري...

"و نوّمتها في حضني هاهنا..."

و أغمضت عيني...

"لسبع سنين متواصلة... هنا في حضني... أقرب إلي من أي شيء آخر..."

و أحسست بحرارة في جفوني... أظن أن دموعا حزينة مكبوتة كانت تنذر بالانهمار...
إنه ذلك المنظر... يصهر دموعي...

كيف تميلين يا رغد إلى رجل غيري؟ كيف تفسحين المجال لحسام لأن يفكر بالزواج منك؟ كيف
تسمحين له بأن يقترب منك؟ و كيف تريدين مني تركك معه و أنا أراه يوشك على الاستحواذ عليك؟
كلا ... لن أسمح لك يا رغد ... بأن تكوني لغيري...

فتحت عيني و أنا أهدق في اللاشيء... من ذكريات الماضي المدفونة في أعماق صدري ...

"وليد" !

انتبهت لصوت أروى فنظرت إليها بألم...

"ماذا دهاك؟؟"

فلا بد أنها لحظت شرودي و حزني... و لو أنها قلبت جفوني لرأت ذلك المنظر مطبوعا عليها...

قلت:

"لا يمكنني التخلي عن رغد بهذه السهولة يا أروى... و لتعلمي ... أنها ستظل أمانة مربوطة في
عنقي... و صغيرة أظللها تحت جناحي" ... و تابعة مقترنة بوليد حتى الموت" ...

~~~~~

"هذه أوامر بابا وليد" !

قلت ذلك و أنا أعتذر عن الذهاب معها إلى الصلاة و مشاركة بقية أفراد العائلة الجلسة و الحديث...

نهلة تأملتني باستنكار و قالت:

" و هل طلب منك ألا تخرجي من الغرفة؟ "

قلت:

" لا . لكنه نهاني عن الحديث أو الضحك مع أو أمام والدك و شقيقك " !

نهلة ضحكت بسخرية ثم قالت:

" و هل يخشى عليك من أبي؟؟ بربك إنه في عمر والدك ! أما حسام فهو حسام ! ما الذي جد في الأمر؟؟ "

قلت بإصرار:

" لن آتي معك يعني لن آتي معك " !

وضعت نهلة يديها على خصرها و تأففت!

" ممنوع لبس الحلبي... ممنوع لبس الأوشحة الملونة... ممنوع خلع العباءة... ممنوع الخروج مع حسام  
... ممنوع الضحك... ممنوع الكلام! ثم ماذا يا رغد؟ هل سيمنعك من التنفس أيضا؟ "

نظرت إلى السقف متجاهلة تعليقها... فعادت تقول:

" لماذا يفعل ذلك؟ "

لم تفارق عيناها السقف...

قالت بمكر:



" يغار عليكِ ؟ "

نظرت إليها بسرعة ثم قلت:

"أي غيرة؟ إنه مسألة آداب و حدود شرعية ! ابن عمِّي ملتزم جدا"

ابتسمت هي بمكر و كأن كلامي يناقض بعضه البعض... و قالت:

"ألم يكن هو بنفسه يتحدث معك و يضحك و يصطحبك وحدكما إلى أي مكان؟ أنت من كان يخبرني بذلك !"

علتني حمرة بسيطة فقالت نهلة:

"إنه يغار عليكِ !"

قلت معترضة - و إن تمنيت لو كان كلامها صحيحا:

"أوه أنتِ لا تفهمين شيئا ! إنه يعاملني كابنته ! لا يرى فيّ إلا طفلة صغيرة بحاجة للرعاية و النصح .. أما حسام ... فتعرفين !"

رمتني نهلة بنظرة خبيثة ذات مغزى من طرف عينيها ثم غادرت الغرفة تاركة إياي في حمرتي و أمنيّتي الوهمية...

حتى و لو شعر بالغيرة علي فهذا من ضمن شعوره بالمسؤولية نحوي، و ليس بالحب...

و راودتني آنذاك فكرة بأن أتصل به ! لم يكن لدي أي حاجة لذلك غير أنني رغبت في الحديث معه و الإحساس بقربه... و الاطمئنان عليه...

تناولت الهاتف المحمول الذي أهداني إياه قبل فترة و اتصلت بهاتفه...

"مرحبا"

أتعرفون صوت من كان؟؟ إنها أروى!

للهولة الأولى كدت أنهي المكالمة غير أنني سيطرت على نفسي و تكلمت:

"مرحبا أروى"

"كيف حالك يا رغد؟"

"أنا بخير"

"مضت فترة طويلة" ! ...

قلت في نفسي : ( لا أظنك اشتقت إلي ! )

"نعم... كيف الخالة؟"

"بخير و الحمد لله"

"أيمكنني التحدث إلى وليد؟"

سألتها مباشرة دون الماطلة في الحديث معها... فأجابت:

"إنه نائم الآن" ...

"نائم؟ في هذا الوقت؟"

و قد كانت السادسة مساء

"نعم. شعر بالتعب ثم خلد للنوم... هل تريدني في أمر ضروري الآن؟"

قلت:

"كلا كلا... لكن هل هو بخير؟"

فقد أقلقتني جملتها الأخيرة...

"نعم، كل ما هنالك أنه مجهد من العمل و السفر و كثرة المسؤوليات الملقاة على عاتقه... المزرعة... المعهد... المصنع... المنزل... وأنا و أنتِ!"

أنا و أنتِ؟؟ ما الذي قصدته أروى؟

هل تريد القول ... أنني أشكل عبثاً إضافياً على وليد؟؟

إنني اخترت البقاء في بيت خالتي لأخلصه من مشاكله و أتخلص من مشاحناتي مع أروى...

قلت بتردد:

"هل اشتكى من شيء؟"

قالت:

"وليد لا يشتكي... إنه يحمل الهم على صدره دون الشكوى... يريد أن نستقر في حياتنا لولا أن الظروف تحول دون ذلك"

قلت بتخوف:

"تستقران يعني... تتزوجان؟"

أجابت أروى:

"نعم... نخطط للزواج و من ثم السفر للاستقرار في المدينة الساحلية حيث أملاكي... لكن... سيشق على وليد رعايتك عن كل ذلك البعد"

و صمتت قليلاً ثم تابعت:

"إنه لا يريد أن نتزوج قبل أن تتزوجي أنتِ يا رغد... حتى ينقل ولاية أمرك و مسؤوليتك لرجل آخر" ...

ربما لم أدرك أن الرسالة التي كانت أروى تود إيصالها إلي هي : ( زولي عن عاتق وليد ) إلا بعد تفكير عميق أسود ...

كنت أدرك أنني أشكل عبثًا إضافيا على أكتاف الجميع... و أن رحيل والدي عني تركني عالمة على الغير... لكنني لم أدرك إلى أي حد قد أثقلت كاهل ابن عمي حتى هذا اليوم... ولم أدرك أنني كنت العقبة في سبيل زواجه و استقراره مع الحسناء بهذا الشكل...

شعرت بالذل و الهوان بعد مكالمتي القصيرة مع أروى... و شعرت بألم شديد في صدري... و بالندم على كل ما سببته لوليد من تعاسة بسبب وجودي في حياته و تحت مسؤوليته

و تذكرت الضيق الذي كان يعيشه أيام سفر والدي إلى الحج... حينما اضطر لرعايتنا أنا و دانة... و نفاذ صبره في انتظار عودتهما... و هما للأسف لم يعودا  
ولأشد الأسف... لن يعودا...

و تذكرت لقائي الأخير به و كيف بدا مرهقا ضجرا... و كأن جبلا حديديا يقف على كتفيه... و كيف أنه غادر عاجلا... ناشدا الراحة...

تريد أن تتزوج يا وليد؟

تريد أن تتخلص مني؟؟

حسنًا

سأريحك من همي

و ليفعل كل منا ما يريد!

بعد ذلك انضممت إلى أفراد عائلة خالتي و أخذت أشاركهم الأحاديث و الضحك ضاربة بعرض الحائط أي توصيات من وليد! ...

مرت بضعة أيام قاطعت فيها وليد و أبقيت هاتفي المحمول مغلقا و تهربت من اتصالاته بهاتف

المنزل... و لم ألتزم بلبس العباءة داخل المنزل كما طلب مني ، بل اكتفيت بالأوشحة الطويلة الساترة  
كما و أوصلني حسام مرتين أو ثلاث بمفردنا إلى أماكن متفرقة... و عمدت مؤخرا إلى التلميح له عن  
قبولي فكرة الزواج منه... مبدئيا

حسام كان مسرورا جدا و يكاد يطير بي فرحا... و عاملني بلطف مضاعف و اهتمام مكثف بعد ذلك...

كنت أعرف أنه يحبني كثيرا... و مندفع بعواطفه تجاهي بكل صدق و إخلاص... و أنه ينتظر مني  
الإشارة حتى يتحول مشروع خطبتنا المستقبلي إلى حاضر و واقع...  
و هو واقع... لا مفر لي منه... بطبيعة الحال...

علمت من حسام أنه فتح الموضوع مجددا أمام وليد في زيارته الأخيرة... و أن وليد أغلقه... و لكن  
تأييدي سيحدث و لا شك تغييرا...

لماذا يعارض وليد زواجي ؟ أليس في هذا حل لمشاكلنا جميعا؟؟

أصبح موضوع زواجنا أنا و حسام هو الحديث الشاغل لأفراد العائلة طوال الوقت و كان الجميع  
مسرورين به و بدؤوا يرسمون الخطط لتنفيذه...

ذات يوم، و كان يوما مطرا من فصل الشتاء... و كنا نجلس جميعا حول مدفئة كهربائية نستمد منها  
الحرارة و الحيوية... و كنت ألبس ملابس شتوية ثقيلة و ألف شعري بلحاف صوفي ملون... أتاننا زائر  
على غير موعد...

لم يكن ذلك الزائر غير وليد!

كان أسبوعان قد مضيا على زيارته الأخيرة لي... سمعنا أبو حسام يقول و هو يقف عند المدخل بصوت  
عالٍ :

" هذا وليد " ...

فقامت خالتي و ابنتها منصرفات، ثم عادت خالتي بالحجاب...

ثم فتح الباب سامحا لوليد بالدخول و مرحبا به...

رافقت وليد رياح قوية اندفعت داخله إلى المنزل جعلت أطرافي ترتجف رغم أنني كنت أجلس قرب المدفئة...

"تفضل يا بني... أهلا بك"

قالت ذلك خالتي مرحبة به و قام حسام ليصافحه و هو يبتسم و يقول:

"كيف استطعت السير في هذا الجو؟؟"

"ببعض الصعوبات"

من خلال صوته المخشوشن أدركت أن وليد مصاب بالزكام!

كان وليد يلبس معطفا شتويا طويلا يظهر أنه تبلل بقطرات المطر...

"اقترب من المدفئة ! و أنت يا رغد حضري بعض الشاي لابن عمك"

قالت ذلك خالتي فأذعنت للأمر...

عندما عدت بقدر الشاي إلى وليد وجدته يجلس قرب المدفئة ماذا يديه إليها... ناولته القدر فأخذه و

لم يشكرني... بل إنه لم حتى ينظر إلي !

أما أنا فقد تأملت وجهه و رأيت أنفه المعقوف شديد الاحمرار و عينيه متورمتين بعض الشيء...

تحدث وليد و كان صوته مبوحا جدا أثار شفقتي... مسكين وليد ! هل تتمكن الجراثيم منك أنت

أيضا؟؟

و الآن وجهه خطابه إلي:

"لماذا لم تردي على اتصالاتي يا رغد؟ ماذا حدث للهاتف؟"

لم يجدِ التهرب من الإجابة، قلت:

"لا شيء!"

صاد صمت قصير... ثم قال وليد:

"كنت أود إبلاغك عن قدومي و عن أمر السفر إلى المدينة الساحلية كي تستعدي"

نظرت إليه ثم إلى خالتي و حسام، و عدت إليه قائلة:

"استعد؟"

قال:

"نعم، سترافقيني هذه المرة"

لم أتجاوب أول وهلة... ثم هزرت رأسي و أنا أقول:

"لكنني... لكنني... لا أريد السفر"

و تدخلت خالتي قائلة:

"و لماذا ترافقك يا بني؟؟"

قال وليد:

"لأنني سأطيل البقاء بضعة أشهر... من أجل العمل"

قالت خالتي:

" و ماذا في ذلك؟؟ لماذا تريد أخذها معك؟؟ "

التفت وليد نحو خالتي و قال:

" ليتسنى لي رعاية أمورها بنفسي كل هذه الشهور "

ساد الصمت القصير مرة أخرى ثم قالت خالتي:

" اطمئن من هذه الناحية "

و أضاف حسام:

" سافر مطمئنا فكل شيء يسير على ما يرام هنا "

وليد التفت إلى حسام و قد بدت عليه علامات الغضب ! ثم قال محاولا تقوية صوته المبحوح قدر

الإمكان:

" سأخذها معي والأمر مفروغ منه "

و استدار إلي و تابع:

" استعدي "

هذه المرّة يبدو وليد خشنا فظا... هل للزكام علاقة بذلك؟؟

قلت:

" هل ستذهب الشقراء معك؟ "

قال:

" نعم "



قلت مباشرة و بانفعال:

"لن أذهب"

و امتلاً الجو بالشحنات المتضادة ... و تولدت في الغرفة حرارة ليس مصدرها المدفئة فقط..

وليد قال بصبر نافذ:

"ستأتين يا رغد... كما اتفقنا سابقا... فأنا لن أتركك بعيدا كل تلك الشهور... قد يمتد الأمر إلى سبعة أو حتى عشرة أشهر... لن أتمكن من المجيء إلى هنا بين الغينة و الأخرى... الأمر شاق علي"

قلت:

"و لماذا تكلف نفسك هذا العناء؟ أنا بخير هنا فاسافر مطمئنا جدا" ...

و التفت مشيرة إلى خالتي و حسام و مضيئة:

"الجميع هنا يهتم بأموري فلا تشغل بالاً"

لم يعجب وليد حديثي و ازداد احمرار أنفه و وجهه عامة ... ثم تحدّث إلى أبي حسام قائلاً:

"هل لي بالحديث معها وحدها... إن سمحتم؟"

حسام و خالتي تبادلنا النظرات المتشككة ثم انصرفا برفقة أبي حسام... و بقينا أنا و وليد و الحرارة المنبعثة من المدفئة و الشرر المتطاير من عينيه ... و الجو المشحون المضطرب ... سويا في غرفة واحدة!

كنت أجلس على طرف أحد المقاعد، بينما وليد على يجلس على مقعد بعيد بعض الشيء...

بمجرد أن خرج الثلاثة... وقف وليد منتفضا... و أقبل نحوي...

وجهه كان مخيفاً... يتنفس من فمه ... ربما بسبب الزكام أو ربما بسبب الحالة المنفعلة التي كان

عليها...

نظرت إليه بتخوف و ازدردت ريتي!

قال فجأة:

"هل لي أن أعرف أولاً... يا ابنة عمي... لماذا لا ترتدين عباءتك؟"

فجأني سؤاله الذي جاء في غير موقعه... و دون توقعه... تلعثمت و لم أعرف بم أجيب!

لقد كنت أردي ملابس شتوية ثقيلة و محتشمة و فضفاضة، و داكنة الألوان... و حتى وشاحي الصوفي الطويل كان معتما... اعتقد أن مذهري كان محتشما للغاية... فهل يجب أن أردي فوق كل هذه الأكوام عباءة سوداء؟!

لما وجد وليد مني التردد و قلة الحيلة قال:

"ألم أطلب منك... أن تضعي عباءتك كلما تواجد حسام أو أبوه معك؟"

قلت متحججة:

"لكنهما متواجدان معي دوما"

قال بغضب:

"إذن ارتدي العباءة دوما..."

لم أعلّق لأن طريقتة كانت فظة جدا... ألجمت لساني...

"و شيء آخر... إلى أين كنت تذهبين؟ كلما اتصلت أخبروني بأنك غير موجودة... و هل كنت تخرجين مع حسام وحدكما؟"

قلت مستغربة و منزعة:

"وليد ... ؟"

قال بحدة:

"أجيبيني يا رعد ؟؟"

وقفت بعصبية و استياء و استدرت هامة بالمغادرة... كيف يجروء !؟  
إلا أن وليد أمسك بذراعي و حال دون هروبي...

قلت:

"دعني و شأني"

قال و هو يعضّ على أسنانه:

"لن أدعك تفعلين ما يحلو لك... يجب أن تدركي أنك لستِ طفلة بل امرأة و أن ابن خالتك الشاب  
المندفع هذا يطمح إليك"

جذبت ذراعي من قبضته و أنا في دهشة فائقة... وليد قال:

"أنا لا اسمح له بأن ينظر إليك و أنت هكذا " ...

ازددت دهشة ... ما الذي يجول بخاطر وليد ؟؟ و كيف يفكر ؟؟

قلت:

"وليد !! ماذا أصابك ؟؟ ابن خالتي شاب مهذب و هو يرغب في الزواج مني .. و الجميع يعرف  
ذلك بما فيهم أنت"

و لم تزده جملتي إلا ثورة!

قال بغضب:

"و أنا قلت لك... و له... و للجميع... بأنني لن أوافق على مثل هذا الزواج و لن أسمح بأن يتم قبل سنين... أسمع يا رغد؟"

صرخت:

"لماذا؟"

قال:

"لأنني لا أريد ذلك... أنا الوصي عليك و أنا من يقرر متى و ممن أزوجه... و إن أُلح أحد علي بهذه الفكرة مجددا فسأحذفها من رأسي نهائيا"

ذهلت لكلامه و لم أصدق أذني... حملقت فيه و لم يقوَ لساني على النطق...

التفتَ و ليد يمناة و يسرة في تشتت كأنه يبحث عن الكلمات الضائعة... و أخذ يضرب راحته اليسرى بقبضته اليمنى بغضب... ثم حدّق بي فرأيت عضلات فكه تنقبض و هو يضغط على أسنانه بانفعال كمن يمزّق لقمة صلبة بين فكيه...

وليد صرخ بصوته المبحوح و هو في قمة الغضب و التهيج:

"و تريدني مَنّي أن أترك هنا؟ كيف أكون مطمئنا إلى ما يدور بعيدا عن ناظري؟ لماذا لا تلتزمين بما طلبته منك؟ حتى و إن كان أقرب الناس إليك لا أسمح لك بالظهور أمامه بلا عباءة... إن حدث و تزوجته يوما فاعلي ما يحلو لك و لكن و أنتِ تحت وصايتي أنا فعليك التقيد بما أطلبه منك أنا يا رغد... أنا و أنا فقط... و أنا أحذرك من تكرارها ثانية... هل هذا مفهوم؟"

يكاد قلبي يتوقف من الخوف... و ليد يتحرك شعرت و كأن قبضته اليمنى على وشك أن تضربني أنا الآن!... أحملق فيه بدهشة و زعر فيرد علي بصرخة تصفع وجهي قبل أن تثقب طبلتي أذني:

"هل هذا مفهوم أم أعيد كلامي ؟ أجيبني ؟؟"

ينتفض بدني و تصدر منه ارتجافة و أهز رأسي إيجابا...

وليد هدأ بعض الشيء و أخذ يمر بأصابعه على شعره الكثيف و يتنهد بضجر... و يبتعد عني...

شعرت بالغيظ... بالقهر... بالذل ...

كيف يجرؤ وليد على التحكم في حياتي بهذا الشكل؟؟

و كيف يصرخ بوجهي بهذه الطريقة الفظة ؟

بل كيف يخاطبني بهذا الأسلوب الخشن؟

إن أحدا لم يصرخ بوجهي هكذا من قبل...

تملكتني رغبة في الهجوم... في الدفاع... أو حتى في التوسل ! قلت و أنا متعلقة بأمل أن يكون ما سمعت وهما:

"وليد... هل ... تعني " ...

و قبل أن أتم كلامي كان قد صرخ مجددا:

"أنا أعني ما أقول يا رغد... و ما دمت تحت مسؤوليتي فنفذي ما أقوله و لا تزيدني أكثر مما أنا فيه"

كالخنجر طعننتي كلماته الحادة القاسية فقلت و أنا على وشك الانهيار:

"لماذا تفعل هذا بي؟؟ إن كنت تراني هما على صدرك... لم لا تزوجني منه الآن و تتخلص مني و

ترتاح و تريحني منك ؟؟ لماذا يا وليد لماذا ؟؟ لماذا ؟؟"

و انفجرت باكية...

جلست على المقعد و أسندت مرفقي إلى رجلي، و وجهي إلى راحتي يديّ و سكبت العبر...

حل الصمت المرعب على الأجواء...

فجأة... تخلخلت الرياح الباردة ملابسي و دقت عظامي... رفعت رأسي فإذا بها تصفعني و تطير بدموعي بعيدا... نظرت إلى الباب فرأيته مفتوحا و وليد يستقبل الأعاصير...

وقفت و ناديته بسرعة:

"وليد"

التفت إلي و خصلات شعره تتطاير في كل اتجاه من شدة الريح...

"إلى أين ستذهب؟"

قلت و أنا في خوف منه و عليه... فالجو كان مرعبا و لا يصلح للمشاورير الطويلة... خصوصا و هو مريض...

وليد قال:

"سأعود لاصطحابك غدا... اجمعي أشياءك"

و استدار منصرفا مغلقا الباب من بعده...

أسرعت إلى الباب و فتحتة و تلقيت الريح بوجهي... هتفت:

"وليد ... وليد انتظر"

وقف موليا إلي ظهره و الهواء يعبث بشعره و معطفه ...

قلت:

"لا تذهب الآن... انتظر حتى تهدأ العاصفة قليلا"

لكنه تابع طريقه مبتعدا... متجاهلا نداءاتي ...

عندما عدت... وجدت الجميع يقفون في الداخل ينظرون إلي... شعرت و كأن نظراتهم تخترقني... أملت رأسي إلى الأسفل و هممتُ بالانصراف...

استوقفني صوت حسام و هو يقول:

"هل يخاطبك دائما بهذا الشكل؟"

رفعت بصري إليه فوجدته غاضبا مقطب الحاجبين... و أعين الجميع تنتظر جوابي...

هزرت رأسي نفيا و أنا أقول:

"لا ... كلا" ...

و لم أكن أتوقع أن يكون صراخ وليد بصوته المبحوح قد أصاب آذانهم ...

خالتي قالت:

"سأحدثّ معه حينما يعود"

قال حسام منفعلا:

"و أنا سأوقفه عند حدّه"

أبو حسام قال:

"لا تتدخل أنت... سأحدثّه أنا بنفسني"

صاح حسام:

"يا له من متعجرف فظ ... من يظن نفسه؟؟ ليتك بقيت تحت وصاية سامر... فعلى الأقل ذلك المشوّه ليّن و متفهّم و لا يستخدم يده في التعامل مع الآخرين"

قالت خالتي:

"لا أعرف من أين أتى بكل هذه الغلظة... إنه يختلف عن سامر و شاكر تماما"

قال أبو حسام:

"إنها الغربية يا أم حسام" ...

قالت خالتي:

"لن أسكت على هذا... لسوف أطلب من سامر و دانة التدخل و إيجاد حل لنا مع هذا الوليد"

~~~~~

أشعر بالدوار ...

أتنفس بصعوبة بالغة... و رغم برودة الجو يتصبب مني العرق...

إنني مصاب بنزلة بردية شديدة أرهقت قواي منذ أيام...

و القرحة التي عالجتها منذ زمن، عادت آلامها تسيطر على معدتي من جديد...

بصعوبة بالغة نهضت عن السرير الدافئ في غرفتي التي استأجرتها للمبيت لليلة واحدة في هذا

الفندق... و ما أسوأها من ليلة...

إنني لم أنم... و لم يهدأ دماغي عن التفكير ساعة واحدة...

لماذا يا رغد...؟ لماذا...؟

و لماذا أيها القدر القاسي...

أتركها أمانة بين أيديهم... فيخططون لسرقتها مني؟؟

أبدا... يستحيل أن أدعها معهم يوما واحدا بعد... هيا انهض... يا وليد...

كان لا يزال أمامي عدة مسافات علي قطعها... وأنا غاية في التعب... و المرض...

لملمت حاجياتي بعناء... و غادرت الفندق قاصدا بيت أبي حسام...

حتى و إن كانت رغد ترغيبين في الزواج منه أو كانت هذه أمنيته الأولى... فأنا لن أنفذها لك... و

يجب عليك خلال السنين المقبلة... أن تنسيه...

أنا لن أتقبل منك الخيانة مرتين... لن أسمح لك!

عندما وصلت إلى بيت أبي حسام هو و زوجته و قاداني إلى المجلس...

هناك بدءا يحدثاني بهدوء عن وضع رغد... و من ثم تطرقا إلى موضوع الزواج من جديد...

لا أدري إن كنتُ أسمعهما أم لا... أو أعني ما يقولان... كنت مجهدا حد العمى و الصمم... حد

الخرس و الشلل...

اعتقد أنهما كانا يخاطباني بعقلانية و كلامهما كان سيبدو منطقيًا جدا لأي مستمع... أما أنا فلم أركز

في حديثهما الطويل... و ربما لم تظهر عليّ إلا أمارات البلادة و البرود... حتى أنني لو فكرت في

الغضب... لم أكن لأجد عسبا واحدا فيّ قادرا على الاشتعال...

أنا مرهق... أرجوكم اعتقاني الآن...

و رغم كل ما قاله... عارضت فكرة الزواج تلك و رفضت ترك رغد معهم و ألححت عليهما

لاستدعائها... و شرحت لهما خطتي في إلحاقها بإحدى الجامعات...

بعد ذلك أتت رغد... و كنا أنا و هي نتحاشى النظر إلى بعضنا البعض... فلقاؤنا يوم أمس كان سيئا...

هدرت هي المزيد من الوقت و الجهد غير أنني لم أغيّر رأبي... و كلما ألحّت ازددت إصرارا...

أم حسام قالت أخيرا:

"لن ينتهي الموضوع هنا يا وليد... سنعرف كيف ندبرّ حلا"

و كان في كلامها شيء من التهديد... لم أجبها بل التفت نحو رغد و قلت معلنا نهاية الحوار:

"هيا بنا يا رغد"

لم تكن رغد قد حزمت حقائبها لكن الوقت كان يداهمنا و الصداق يتفاقم في رأسي ... أعطيتها فرصة قصيرة لجمع ما أمكن و من ثم لتودع أقاربها و أحسست بآلامها و هي تبكي في حضن خالتها... بدوت فظا قاسيا في نظر الجميع... و لكنني لن أتراجع...

حملت رغد حقيبة يدها فيما حملت أنا حقيبة أغراضها و سرت و هي تسير خلفي مكرهة... مستسلمة...

و نحن نخرج من البوابة ألقت رغد النظرة الأخيرة على أفراد عائلة خالتها و قالت بأسى:

"مع السلامة"

تمزق قلبي معها... و عذبني ضميري أيما عذاب... سامحيني يا رغد... أعدك بأن أعوضك عن كل هذا ... سامحيني...

أم حسام قالت و هي تغلق البوابة بعد خروجنا أنا و رغد ... و حسام و أبيه:

"الله الله... في اليتيمة يا وليد... أمامك حساب لا يخطئ" ...

ما أشعروني بأنني... أرتكب كبيرة من كبائر الذنوب... نظرت إلى رغد... ثم أغمضت عينيّ و وضعتُ يدي على جبيني و ضغطت بشدة... علّ الألم يرحم رأسي قليلا...

ما الذي تظنونه عنيّ؟؟ أي فكرة قد جعلتهم يتعقدون بها يا رغد؟؟ هل أنا وحشي و مجرم لهذا الحد؟؟

حينما ركبنا السيارة وقف حسام بجوارنا و قال:

"إذا أساء أحد معاملتك فابلغيني يا رغد"

و وجه خطابه إلي مهددا:

"حذار أن تقسو على ابنة خالتي يا وليد... ستدفع الثمن غاليا" ...

و ابتلعت جملته و لم أعقب... و سرنا تشيعنا أعين حسام و أبيه و تتبعنا أفئدة العائلة أجمع...

و كلما ابتعدنا أحسست بالألم يزداد... بينما لا تزال كلماتهم الأخيرة ترن في رأسي بحدة...

و لما نظرت إلى رعد... رأيتها غارقة في حزن يتفطر منه قبل الحجر...

فكيف بقلبي؟

هل كنتُ قاسيا لهذا الحد؟؟

هل أنا مخطئ في تصرفي؟

هل كان عليّ تركها بعيدة عن ناظري... قريبة من ناظر حسام؟؟

ألا يحق لي أن أخاف عليها من كل عين و كل شر...؟

أليست هذه صغيرتي أغلى ما لدي في هذا الكون؟؟

ألسنتُ أنا ولي أمرها و المسؤول عنها كليا... أمام الله؟؟

اللهم و أنت الشاهد العالم بالنوايا... تعرف أنني ما أردت لها و مذ أدخلتها في حياتي قبل سنين

طويلة... إلا خيرا...

اللهم و أنت المطلع على الأفئدة و المقلب للقلوب... ارحم قلبي و اعفُ عن خطاياها...

مر زمن طويل و نحن في صمت أصمٍ أخرسٍ... و شرود كبير متشتت... و زادنا الطريق البري وحشة

و غربة... و لم يكن يسلك دربنا إلا القليل من السيارات... في مثل هذا الجو المضطرب...

الأفكار ظلت تعبت برأسي المتصدع وضاعفت مرضي و حرارة جسدي...

الصداع و الدوار... و الأفكار الحائرة المتناثرة... و كلمات حسام و أمه الأخيرة... و قطرات المطر

الكثيفة الهاجمة على زجاج السيارة... و دموع رعد التي أراها من حين لآخر عبر المرآة... و آلام

صدري و معدتي و أطرافي... كلها اجتمعت سوية و أفقدتني القدرة على التركيز...

و فيما أنا منطلق بالسيارة فجأة انحرفتُ عن مساري و اصطدمت بأحد أعمدة النور بقوة...
و أظلمت الدنيا في عيني...

الحلقة التاسعة و الثلاثون

صرخت فجأة و نحن ننحرف عن مسارنا و نصطدم بقوة بعمود إنارة ... ارتطم جسمي بمقعد وليد و
لكني لم أصب بأذى ...
توقفت السيارة عن الحركة و رفعت رأسي فرأيت رأس وليد على المقود...

شعرت بالفزع و صرخت:

"وليد" ...

و لكنه لم يتحرك ...

مددت يدي نحو كتفه و أخذت أضربه و أنا مستمرة في نداءاتي لكنه لم يستجب...
حركت يدي نحو رأسه و ضربت بقوة أكبر ...

"وليد... أجبني أرجوك... وليد أرجوك" ...

صدرت أنة من حنجرتة و تحرك قليلا...

"وليد أجبني... أسمعني؟؟ أرجوك رد علي"

أصابني الهلع الشديد... خرجت من السيارة مسرعة فتدفق الهواء بعنف إلى الداخل... كان الجو
عاصفا باردا مطرا... أقبلت إلى الباب الأمامي الأيمن و أردت فتحه فوجدته موصدا ...

عدت إلى الداخل عبر الباب الذي خرجت منه و فتحت قفل الباب الأمامي، ثم خرجت و دخلت عبر
الباب الأمامي... و جلست قرب وليد... مبلة... بردى... مرعوبة... مفزوعة... أرتجف...

مددت يدي و رفعت رأسه عن المقود فرأيت سيل من الدماء يتدفق من أنفه المعقوف فصعقت... و
أطلقت صيحة شاهقة... أسندت رأسه إلى الورا ثم رحت أضرب خديه في ذعر... و ما بي ذرة واحدة
من القوة...

و بصوت أشك أنه خرج من حنجرتي أصلا هتفت:

"وليد... وليد أجبني... أرجوك وليد... أجبني"

وليد فتح عينيه أخيرا و تأوه... ثم رفع يده اليسرى و وضعها على جبينه و قطب حاجبيه بألم...
قلت بلهفة:

"وليد... هل أنت بخير؟؟"

و لا أعرف إن كان سمعني أم لا...

تلفت يمنا و يسرة ببطء و ناداني بصوت متحشرج:

"رغد" ...

قلت بسرعة:

"وليد أنا هنا" ...

و حركت يدي لأمسك بيده اليمنى... لأشعره بوجودي... فشد هو ضغطه على يدي و أغمض عينيه
يعصرهما عصرا... و يئن...

هتفت فزعة:

"وليد... وليد... كلمني"

فتح عينيه و نظر إلي و أخذ يلتقط بعض الأنفاس المخنوقة ثم قال:

"أأنت بخير؟"

لم استطع الرد من شدة الفزع

وليد شدّ الضغط على يدي و تأوه ثم قال:

"أنا مرهق جدا ... سأرتاح قليلا"...

و حرر يدي و حرك يده نحو المقود و أوقف محرك السيارة فيما رأسه لا يزال ملتصقا بمسند المقعد دون حراك... ثم أغمض عينيه و هوت يده مرتطمة بأي شيء... و استقرت قرب يدي... تحركت أصابعه و أمسكت بيدي مجددا ... ثم سكن عن الحركة و بدا لي و كأنه... فقد وعيه...

قلت بهلع:

"وليد... أأنت بخير؟"

لم يستجب... هززت يده و كررت:

"وليد... رد علي!"

فأطلق أنه خفيفة ضعيفة... أحسست بها تخرج من أعماق صدره...

"وليد... كلمني أرجوك"...

تكلم وليد من طرف لسانه دون حتى أن يحرك شفثيه:

"لا تخافي... رغد"

و شد على يدي... ثم سكن عن الكلام و الحركة...

راقبته فرأيت صدره يلهث بأنفاس قوية تتحرك عبر فمه... يكاد بخارها يغشي زجاج السيارة... أما أنفه فقد كان لا يزال ينزف... و قطرات الدم تقطر من أسفل فكّه لتتلقاها ملابسه و تشربها بشراهة...

منظر أفزعني حد الموت ...

هتفت بما كان قد تبقى لحبالي الصوتية من قدرة على النطق:

"وليد... أنفك... ينزف..."

لم يجب...

"وليد..."

و لم يرد

"وليد... رد علي... أرجوك"

و أحسست بيده تضغط علي قليلا... ثم تسترخي...

كانت دافئة جدا... و رطبة...

تناولت بعض المناديل و قرّبتها من وجهه... و توقفت برهة مترددة... أنظر إلى مجرى الدماء ينسكب

من أنفه... إلى شفّتيه المفتوحين... إلى ذقنه... تكاد قطرات منها تتسلل إلى فمه ممتزجة مع الأنفاس

الساخنة... دون أن يشعر بها أو ينتبه إليها...

قربت المناديل من سيل الدم و مسحته بخفة... و وليد لم يشعر بشيء... و لم يفعل أي شيء...

لم أعد أسمع غير صوت الرياح الماطرة تصفع زجاج السيارة مثيرة في نفسي رعبا منقطع النظير...

الغيوم السوداء الكثيفة تلبدت في السماء و حجبت أشعة الشمس...

قطرات المطر تزاхمت على نوافذ السيارة... و أوهمتني بالشعور بالغرق حتى أصبحت التقط أنفاسي

التقاطا... و أعصر يدي ببعضهما عصرا...

أخذت أراقب كل شيء من حولي... أنفاس وليد القوية... أوراق الأشجار المتراقصة في مهب الريح...
سيول المطر المنزلة على النوافذ... و عقارب ساعة يدي تدور ببطء و سكون... و السيارات المكدودة
التي مرّت بطريقنا الموحش و ربّما لسوء الطقس تجاهلتنا...

شعرت برجفة تسري في جسدي... اقتربت أكثر نحو وليد و حركت يديّ و أمسكت بذراعه ناشدة
الأمان... و جفّلت لحرارتها...

لم يحس وليد بي... لقد كان غارقا في النوم...

تأملت وجهه... كان شاحبا كالعشب الجاف... جليا عليه المرض... عيناه وارمتان و تحيط بهما
هالتان من السواد... و بعض زخات العرق تبرق على جبينه العريض... و آثار الدم المسوح تظهر على
أنفه المعقوف و ذقنه الملتحي... و الهواء الساخن يتدفق من فمه مندفعاً بقوة...

وليد قلبي... مريض...

نعم مريض!

و مريض جدا...

آنذاك... تمنيت... و لبت الأمناني تتحقق فور تمنيتها... تمنيت لو كان باستطاعتي... أن أمسح على
رأسه أو أربت على كتفيه...

تمنيت... لو أستطيع أن أبلسم جرحه الدامي أو أنشف جبينه المتعرق...

تمنيت... لو كنت هواءً يمتزج بأنفاسه و يفتح صدره... و يلامس دفاؤه...

تمنيت لو أعود طفلة و أرتمي بحضه... و أبكي على صدره...

لطالما كان يعتني بي حين أمرض... لطالما عالج جروحي... و سكنّ آلامي... و هدأ روعي... لطالما

ربت على كتفي و مسح دموعي... و رسم الابتسامة بين خديّ...

لطالما حمل همومي الصغيرة... و حملني ضئيلة على ذراعيه...

تشبّثت بذراعه بلا شعور مني.. و لا شعور منه...

إنّ حنيناً إلى الماضي... أو خوفاً من الحاضر... أو أملاً في الغد...

تعلقت بتلك الذراع تعلق الغريق بطوق النجاة... و كأنها آخر ما تبقى لي... من وليد قلبي...

بعد قليل... رأيت سيارة تتوقف أمامنا... فزعت... اشتد قبضي على ذراع وليد... هزتها بقوة و هتفت بانفعال:

"وليد انهض"

لم يفق... تسارعت ضربات قلبي و اصطدمت ببعضها البعض... غرست أظفاري في ذراع وليد و أنا أرى باب تلك السيارة ينفتح و صرخت بقوة:

"وليد... انهض أرجوك... أرجوك"

أحس وليد بشيء يعصر ذراعه... و أصدر صوت أنين مخنوق...

ثم بدأ يتحرك و أخيرا فتح عينيه...

التفت إليّ بجهد بالغ... دون أن يبعد رأسه عن المسند... و لما التقت نظراتنا رأيت المرض مستحوذاً عليه... أيما استحواذ... رأيت القلق و الألم ينبعان من أعماق عينيه...

قلت و الفزع يصرخ في حنجرتي:

"وليد... أفق أرجوك... إنهم قادمون"

مشيرة نحو السيارة...

وليد نظر إلى السيارة و قطب جبينه ثم قال بصوت شديد البحة بالكاد يسمع و يفهم:

"اتصلي بسامر"

حملت به غير مستوعبة للجملة... و كررت لأؤكد:

"سامر؟؟"

وليد أغمض عينيه في ألم وقال:

"سامر... هيا يا رغد" ...

هتفت:

"وليد"

في فزع وقلق شديدين...

لكنه لم يجب... لا بالكلام، ولا بالأنين، ولا حتى بطرفة عين...

هاتف وليد كان موضوعا في أحد الأرفف أمامي مباشرة، و بسرعة تناولته و اتصلت بسامر...

~~~~~

فور وصولي إليهما، تفاقم الذعر الذي كان قد أصابني مذ سمعت رغد تقول:

"الحق... يا سامر... وليد متعب جدا"

المشوار استغرق مئتي حوالي العشرين دقيقة و أنا طائر بالسيارة على الطريق البري...

الطقس في ذاك اليوم كان سيئا للغاية و مررت بأكثر من حادث مروري أثناء سيرتي...

سيارة وليد كانت مصطمة بأحد المصابيح الضوئية و من الضرر الظاهر عليها يتضح أن وليد لم يكن

مسرعاً جداً ...

أوقفت سيارتي على مقربة و خرجت مباشرة مهرولاً ... الجو كان عاصفاً، بارداً و ممطراً... و الشارع خالٍ من السيارات...

رأيت رأس وليد مسنداً إلى المقعد... و عينيه مغمضتين ... و كان ساكناً عن الحراك...  
أما رغد فقد كانت جالسة على المقعد المجاور له و متشبثةً بذراعه... في وضع يوحي للناظر إليها أنها مفزوعة جداً

اقتربت من باب وليد و لما هممت بفتحه وجدته مغلقاً... طرقت النافذة و أنا أقول:

"افتح الباب"

و شقيقي لم يحرك ساكناً. هتفت مخاطباً رغد و التي كانت آنذاك تراقبني في وجل:

"افتحي الباب يا رغد"

و لم تفعل ذلك مباشرة... بل استغرقت بعض الوقت تحملق بي  
ألم تستوعب بعد أنني سامر؟؟

بمجرد أن فتحت هي القفل فتحتُ أنا الباب و أطلت برأسي إلى الداخل:

"وليد... أنت بخير؟"

و هالني أن أرى بعض الدماء تلوث أنفه و شفتيه و فكه السفلي... و حتى ملابسه...

وليد التفت نحوي ببطء و حذر و فتح عينيه ثم قال:

"أنا متعب ..."

ثم رفع يده اليسرى و وضعها على رأسه إشارة منه إلى مصدر التعب... لا بد أن رأسه أصيب في الحادث... لطفك يا رب...

قلت و أنا أمد يدي إليه لمساعدته على النهوض:

"أتستطيع النهوض ؟ قم معي " ...

وليد أزاح يده عن رأسه و أشار إلى رغد و هو يخاطبها دون أن يلتفت إليها:

"تعالى رغد"

حينما نظرت إليها رأيت الذعر يملأ قسما و وجهها و الرجفة تسري في جسدها ربما من الخوف أو من برودة الهواء المندفع بقوة عبر الباب، حاملا معه قطرات المطر...  
و كانت تمسك بذراع وليد تكاد تعانقها ...

إن شهورا طويلة قد مضت على لقائنا الأخير... و هذه ليست باللحظة المناسبة لأسرد لكم كيف أشعر... و لا حتى لأسمح لنفسى بأن أشعر...

ساعدت شقيقي على النهوض، و بمجرد أن وقف استند إلي، ثم فجأة تركتني و جثا أرضا و جعل يتقيأ

و أيضا رأيت الدماء تنسكب من جوفه على الأرض... ما جعلني أزداد فزعا... و ما جعل رغد تقبل نحونا مسرعة و تشهق بقوة...

شقيقي بدا مريضا جدا... و الواضح أنه مصاب بدوار شديد لا يستطيع معه تحريك رأسه...  
لا شك أن الإصابة قد شملت دماغه...  
يا رب... خيب شكوكي...

بعد ذلك، أسندته إليّ مجددا و سرنا مترنحين نحو سيارتي... تلفحنا الرياح و يغسلنا المطر... و يقرصنا البرد... و كان وليد رغم حالته الفظيعة تلك و صوته المبحوح ذاك لا يفتأ ينادي:

"تعالى يا رغد"

أما هذه الأخيرة فقد كانت تسير إلى جانبنا ضامة ذراعيها إلى صدرها يعلوها الذعر... و تنساب قطرات  
لامعة على وجهها لا أستطيع الجزم ما إذا كانت من ماء السماء أو ماء العين...

جعلت أخي يضطجع على طول المقاعد الخلفية مثنيا ركبتيه ، وقلت مخاطبا رغد:

"اركبي"

و قد كانت لا تزال واقفة إلى جوارني عند الباب الخلفي تنظر إلى وليد بهلع  
و الأخير قال مؤكدا:

"اركبي يا رغد"

عدت إلى سيارة شقيقي لإغلاقها و جلب المفاتيح و أقبلتُ مسرعا... و فور جلوسي على المقعد نزعت  
نظارتي المبللة و فركت يديّ الباردتين ببعضهما البعض ثم التفتت نحو رغد الجالسة إلى جانبي و  
سألته للمرة الأولى:

"هل أنت بخير؟؟"

و لكم أن تتصوروا مدى الدهشة التي تملكتها و هي تنظر إلي! ...

سألته مذهولة:

"ماذا فعلت بوجهك؟؟"

"لا يهم... ماذا حصل معكما؟؟"

أخبرتني رغد بأن وليد كان مريضا و لكنه قدم إلى المدينة الصناعية ليصطحبها إلى مزرعة أروى و من  
ثم ينطلقون إلى المدينة الساحلية من أجل العمل... و أنه كان يقود بسرعة معتدلة و بدا متعبا ثم  
انحرف في سيره و اصطدم بعمود المصباح... و فقد وعيه...

و أن إحدى السيارات قد توقفت للمساعدة لكن وليد صرف ركبتيها و لم يسمح له بتقديم العون...

و هي تتحدث كانت تتوقف لالتقاط أنفاسها أو لإلقاء نظرة على وليد... و لم يخفَ علي مدى القلق و الهلع الذين كانت تعانيهما آنذاك...

ذهبنا مباشرة إلى إحدى المستشفيات و حضر فريق طبي و حمل وليد إلى غرفة الطوارئ و بدؤوا بفحصه و علاجه ...

و الطبيب يفتح قميصه ليفحصه هالني منظر رهيب...

الكثير من الندب و آثار جروح قديمة مختلفة مبعثرة على جدعه... لم يسبق لي ملاحظتها قبل اليوم ...

أما الطبيب فقد تبادل هو من معه النظرات الغريبة... و علامات التساؤل...

أمر الطبيب بعدها بإجراء فحوصات ضرورية ليتأكد من الحادث لم يؤثر على رأس وليد... و جعلتنا شكوكه ندور في دوامة الجحيم ... إلى أن ظهرت النتائج مطمئنة و الحمد لله...

ثم أمر بإبقائه في غرفة الملاحظة إلى أن يعيد تقييم حالته، و رجح أن يستلزم الأمر إدخاله للمستشفى...

غرفة الملاحظة تلك كانت تحوي مجموعة من الأسرة لا تفصل بينها أي ستائر... و هي خاصة بالرجال فقط...

"يمكنك الانتظار هناك"

قال الممرض مخاطبا رغد و مشيرا إلى غرفة الانتظار الخاصة بالسيدات لكن رغد لم تتزحزح قيد أنملة و بقيت واقفة معي إلى جوار وليد

و لأن الغرفة كانت تخص الرجال و ممتلئة بهم فقد شعرت بحرج الموقف و قلت مخاطبا وليد الممدد على السرير بين اليقظة و النوم:

"سننتظر في الخارج... سآتي لتفقدك بعد قليل"

وليد فتح عينيه و خاطبني:

"انتبه لها"

ثم وجه نظره إلى رغد ... رغد سألته مباشرة و بلهفة:

"هل أنت بخير؟"

وليد قال و هو يغمض عينيه:

"سأنام قليلا" ...

و يبدو أنه نام فوراً....

لم يكن بحاجة لتوصيتي على رغد... هل نسي أنها قبل شهر و إن طالت... كانت خطيبتي ؟  
أم هل نسي أنها... و منذ ولدت كانت و لا تزال ابنة عمي ؟ و أنها و منذ الطفولة... رفيقة عمري؟؟؟  
خرجنا من غرفة الملاحظة تلك... و وقفنا في الممر لبعض الوقت...  
رغد سألتني آنذاك:

"هل سيكون بخير؟"

كنت حينها أنظر إلى أرضية الممر الملساء... و أستمع إلى خطوات المارة حين تدوس عليها...  
و أضرب أخماساً بأسداس ... في مخاوفي و توجساتي...  
رفعت رأسي و نظرت إليها... لم يزل الهلع مرسوماً لا بل محفوراً على قسماط وجهها...  
كانت تضم يديها إلى بعضهما البعض و تعبث بأصابعها بتوتر شديد... و الله أعلم... من ممّا أكثر قلقاً  
و أحوج إلى المواساة...

قلت مجيباً عن سؤالها:

"نعم، إن شاء الله"

قالت بانفعال:

"و ماذا عن الدماء التي خرجت من جوفه؟"

قلت:

"تعرفين أنه مصاب بقرحه في معدته منذ العام الماضي... ربما عاودت النزيف"

امتقع وجه رغد و احتقنت الدماء فيه فغدا أشبه ببركان على وشك الانفجار... و قالت:

"و هل رأسه سليم حقا؟؟ هل الطبيب واثق من ذلك؟؟ لماذا نزف أنفه إذن؟؟ لماذا لا يسترد وعيه كاملا؟؟"

و هو السؤال الذي يدور في رأسي و يضاعف مخاوفي... و ما من جواب...

رغد لما رأت صمتي تفاقم هلعها و هتفت و هي بالكاد تزفر أنفاسها:

"إن أصابه شيء فأنا سأموت"

و جاءت كلماتها و كأنها تهديد أكثر من كونها قلقا... كأنها تهددني أنا بأن تموت هي لو أصاب وليد شيء لا قدر الله... و كأنني المسؤول عما أصابه... و كأنني أملك تغيير القدر... و كأنني جدار مصنوع من الفولاذ... يمكنه تلقي أقسى الطعنات من أعز الأحاب... دون حتى أن يخذل

رفعت رغد يدها إلى وجهها تداري ما لا تجدي مداراته أمام مرآي...

"يا رب... أرجوك... أبقه لي... يكفي من أخذت... أرجوك... أرجوك... أرجوك..."

تفطر قلبي بسببها و لأجلها... و أوشكت على النحيب معها...

و تذكّرت الحالة التي اعترتها بعد وفاة والدي... و التي خشينا أن تلحق بهما بسببها لولا لطف الله و رحمته...



تركتها تبكي لبعض الوقت... فقد كانت بحاجة لذلك... ثم قلت مشجعا وأنا المنهار المكسور:

"اطمئني يا رغد... سيتعافى بإذن الله"

بعد هذا ذهبنا إلى السيارة وبقينا في داخلها نعد الثواني والدقائق والساعات... وقلباننا لهجان بالدعاء والتضرع إلى الله...

و كنت أمر لتفقد شقيقي بين فترة وأخرى وأراه لا يزال نائما... وأرى كيسا يحوي مجروش الثلج يوضع على رأسه من حين لآخر...

في آخر مرة... وأنا أتأمل شقيقي عن كثب، وهو بهذه الحال السيئة... وجهه شديد الشحوب و شعره قد طال و تبعثر فوق جبينه و الجليد ينصهر في الكيس الموضوع عليه... و الدماء متخثرة في أنفه المعقوف... و بعض آثارها تختبئ بين شعيرات ذقنه النابتة عشوائيا... و الأنفاس الشاهقة الساخنة تنطلق عبر فمه و الندب القديمة تغطي جسده فيما السائل الوريدي يتدفق إلى عروقه بسرعة... و أنا أتأمل كل هذا و ذلك... شعرت بأسى شديد عليه...

كم بدا لي... مريضا ضعيفا عاجزا... و هو ذلك الجبل القوي الذي لم يتزعزع لدخوله السجن أو لكارثة تدمير مدينتنا أو لوداع شقيقتنا... أو لفاجعة موت والدي... حقيقة كان هو الأقوى و الأصلب من بيننا جميعا... و كان الجدار الذي استندنا عليه للنهوض من جديد...

لم أكن قد قابلته منذ شهر... كان يحرص على الاتصال بي من حين لآخر... و يخبرني بتطورات ما حصل معه... و يلح علي للانتقال إلى المدينة الساحلية و العمل و العيش معه في رغبة كبيرة منه لم شمل العائلة المشتتة...

و لكن... هل بإمكانني العيش في مكان تعيش فيه رغد... أو تحت ظل سقف ضم والديّ إليه ذات يوم؟...

آه يا والداي... و آه لما حل بنا... بعد رحيلكما...

أمسكت بيد شقيقي و قد اعتصرني الألم... و كلما اعتصرني أكثر ضغطت عليها أكثر... حتى انتبه و ليد و أفاق من النوم...

نظر ولید إلی و ربما لمح بقایا اعتصار قلبي بادية علی وجهي... ثم نظر من حولي ثم قال:

"أین رغد؟"

و لیته سأل عن أي شی آخر سواها...

لیته سأل... عن جنتي والديّ و عن الجروح التي كانت تغطيها کلیة ...

لیته سأل عن الهول الذي أصابني و أنا أدقق النظر في جثمانیهما و بملء إرادتي... لا أكاد أمیزهما...

ما حییت ... لن أنسى تلك الصورة البشعة... أبدا...

و ربما كانت رؤية الندب علی جسد شقیقي و الدماء المتخثرة في أنفه هي ما أثار في نفسي هذه اللحظة

تلك الذکری الفظیعة المفجعة...

"أین رغد یا سامر؟"

عاد شقیقي یسأل و قد علاه القلق، أجبت مطمئنا:

"في السيارة"

قال معترضاً:

"ترکتها وحدها؟"

قلت:

"كنت معها، أتيت لأتفقدك دقيقة"

قال:

"أهي بخير؟"

أجبت:

"نعم، الحمد لله لم تصب بأي أذى... أنت فقط جرحت أنفك"

و تبادلنا النظرات الدافئة...

قلت:

"سلامتك يا وليد"

و أنا أشدد الضغط مجددا على يده، وليد تنهد و رد بصوته الخافت:

"سلمك الله"

قلت:

"كيف تشعر الآن؟"

"الحمد لله.. أظنني تحسنت"

نقل وليد نظره من عيني إلى الساعة المعلقة على الجدار و التي كانت تشير إلى الرابعة عصرا ثم قال:

"هل كنت نائما كل هذا الوقت؟!"

"نعم... كنت متعبا جدا"

قال و هو يزيح كيس الثلج بعيدا:

"أنا أفضل الآن"

و حاول النهوض قائلا:

"دعنا نغادر"

اعترضت و طلبت منه أن يبقى حتى يأذن الطبيب بانصرافه لكن وليد أصر على مغادرة المستشفى تلك الساعة و لم أجد بدا من تنفيذ رغبته...

عندما لمحتنا رغد نقترب من السيارة خرجت منها مسرعة و على وجهها مزيج متناقض من الراحة و القلق... ثم سألت موجهة الخطاب نحو وليد:

"هل أنت بخير؟ هل تعافيت؟"

وليد هز رأسه إيجابا... و إن كان جليا عليه التعب و الإعياء  
ركبنا أنا و هو في مقدمة السيارة و جلست رغد خلفنا...

لمح وليد مفاتيح سيارته موضوعة على رف أمامي فسأل:

"أين هاتفني؟"

أجابت رغد الجالسة خلفنا:

"تركته في مكانه"

قال وليد:

"اتصلي بالمرزعة... لا بد أنهم قلقون الآن... أخبريهم بأننا بخير و سنقضي الليلة عند سامر"

و لما لم يصدر من رغد أي شيء يدل على أنها سمعت أو فهمت ما قال ، ناداها وليد

"رغد؟؟"

فقالته مباشرة:

"حاضر"

و بادرت بالاتصال عبر هاتف محمول تحمله في حقيبتها... ظننته هاتف وليد ثم اكتشفت لاحقا أنه  
يخص رغد...

قال وليد:

"لا تأتي بذكر الحادث"

قالت رغد:

"حاضر"

و بعد جمل قصيرة دفعت رغد بالهاتف إلى وليد الذي راح يكرر أنهما بخير و أنهما سيأتيان لاحقا و  
أنهما سيقضيان هذه الليلة ... في شقتي أنا!

~~~~~

الشقة التي أخذنا سامر إليها كانت جديدة... و يبدو أن سامر قد انتقل إليها قبل بضعة أشهر... و
هي شقة صغيرة لا تحوي غير غرفة نوم واحدة و غرفة معيشة صغيرة و حمام واحد!

فور وصولنا قاد سامر وليد إلى السرير الوحيد في ذلك المكان فاضطجع وليد عليه و التقط بعض الأنفاس
ثم قال:

"أنا آسف... لكنني متعب للغاية"

سامر قال مباشرة:

"لا عليك... عد للنوم يا عزيزي"

وليد نظر إلي و كأنه يطلب الإذن مني ! قلت:

"ارتح وليد ... خذ كفايتك "

وليد نظر إلى سامر ثم قال:

"اعتنيا بنفسيكما"

ثم أغمض عينيه و استسلم للنوم!

أجلسُ أنا و سامر في غرفة المعيشة نشاهد التلفاز و لا يجرؤ أحدنا على النبس ببنت شفة!
لكم أن تتصوروا حرج الموقف... فالرجل الذي يجلس معي هنا كان قبل فترة خطيبي... خطيبي الذي
عشت و رببت معه... و وعيت لهذه الدنيا و أنا في صحبته...
و هو و منذ أن أبلغني بأنه أطلق سراحى... ذلك اليوم ... و نحن في المزرعة... لم يعد له وجود في
حياتي...

الشهور توالى بسرعة و توقفنا عن تبادل الزيارات و حتى المكالمات...
لا أعرف تحديدا أي أفكار تدور برأس سامر هذه الساعة إلا إنني متأكدة من أنه أبعد ما يكون عن
التركيز في البرنامج المعروض على الشاشة...

عندما حان موعد الصلاة أخيرا تكلم...

"سوف أذهب لأداء الصلاة و من ثم سأمر بأحد المطاعم"

قال ذلك و هو ينظر إلى ساعة يده، ثم تابع:

"لن أتأخر... تصرفي في الشقة بحرية"

و نهض و سار نحو الباب...

لم أجرؤ على قول شيء... ماذا عساي أن أقول و أنا في موقف كهذا؟؟ و كيف يخرج و يتركنا وحدنا و وليد مريض جدا؟؟

قبل أن يغلق الباب و هو في الخارج سمعته يقول:

"أتأمرين بأي شيء؟"

رفعت بصري إليه ... كنت أريده أن يستشف من نظراتي اعتراضية على ذهابه... لكنه غض بصره مباشرة و أشاح بوجهه جانبا...

شعرت بألم...

ليتكم تشعرون بما أشعر... بل لا أذاقكم الله شعورا مماثلا...

سامر... كان رفيق طفولتي و صباي و شبابي... كان أقرب الناس إلي... كان مسخرا ووقته و كل ما باستطاعته من أجلي أنا... كان يحبني حبا جما... كثيرا جدا... و لم يكن أبدا... أبدا... يشيح بوجهه عني أو يتحاشى النظر إلي... لقد كنت خطيبته و لم يكن شيء أحب إليه من النظر إلي و الجلوس بقربي...

و الآن ...؟؟

طأطأت رأسي في أسي و حسرة... و كيف لا أتحسّر و آسف على فقد إنسان عني لي مثل ما عناه سامر طوال تلك السنين...؟؟

إنه ... لم يفقد أحد ذويه مثلما فقدتُ أنا... و مثل من فقدت أنا ...

لما لم يجد سامر مني الجواب، انصرف مغلقا الباب بالمفتاح...

حينها لم أتمالك نفسي و جعلت أبكي ...

بعد ما يقرب من النصف ساعة توهمت سماع صوت منبعث من غرفة النوم... و بدأ الوهم يتضح أكثر

فأكثر... حتى تيقنت من أنه وليد...

ذهبت إلى الغرفة و أنا أسير بحذر... و ناديت بصوت خافت:

"أهذا أنت ... وليد؟"

كانت الغرفة مظلمة إذ أن سامر كان قد أطفأ المصابيح عندما غادرناها ...

وليد قال بصوته الشبه معدوم:

"رغد؟" ...

"نعم... هل أنت بخير؟"

وليد بدأ يسعل بشدة سعالا استمر لفترة...

أفزعني سعاله... فتشنت عن مكابس الإنارة و أضأت الغرفة...

كان لا يزال في نوبة سعال لم تنه ...

"هل أنت بخير؟؟"

لم يكن يستطيع التوقف... تفاقم قلقي و نظرت من حولي ثم خرجت إلى غرفة المعيشة بحثا عن بعض

الماء...

عدت إليه مسرعة و قدمته إليه... و بعدما شربه انتهت النوبة و ارتمى على السرير مجددا ...

و أخذ يتنفس بعمق من فمه و يسعل أحيانا...

هدأ قليلا ثم سألني:

"أين سامر؟"

قلت:

"ذهب ليصلي" ...

قال:

"اتصلي به"

وقفت مأخوذة بالهلع... و سألت:

"اتصل به؟؟"

قال:

"نعم... أنا متعب"

و شعرت بأعصابي تنهار... و ما عادت ساقي بقادرتين على حملي... كنت أقف بجوار وليد و أرى بوضوح علامات التعب و المرض تائرة على وجهه

قلت بصوت متبعثر متفكك:

"ما بك يا وليد ؟ طمئنني أرجوك" ...

و اجتاحتني رغبة عارمة في البكاء ...

وليد نظر إلي و مد يده و أمسك بأصابعي ... و شعرت بحرارته الشديدة تنتقل إلي... ثم قال:

"لا تقلقي... أنا بخير"

قلت بانفعال:

"لا لست بخير ! أنت مريض جدا ... أرجوك أخبرني ... هل قال الطبيب شيئا؟"

وليد أطل النظر في عيني ... و كأنه يبحث عن شيء مختبئ خلف بؤبؤيهما... ثم قال بحنان:

"هل... تخافين علي؟"

أخاف عليك؟ بل أكاد أموت من الفزع عليك... ألا ترى أن ساقبيّ... ترتجفان؟ ألا تشعر بأنني...
سأهوي أرضا؟ ألم تحس برعشة يدي و برودتها؟ لقد جفّت دمائي فزعا عليك يا وليد... و القلب
الذي ينبض بداخلي... يضح فراغا...

وليد... ألم تفهم؟؟

قلت بصوت متقطّع واهن:

"وليد... أنا...إنني..."

و هنا عادت نوبة السعال إليه مجددا... أقوى و أعنف...

لم أحتمل ذلك... كادت روحي تخرج مع سعلاته... أسرعرت أجر ساقبيّ جرا... إلى هاتفني و
اتصلت بهاتف سامر...

"من معي؟"

"أنا رغد..."

"رغد؟؟"

"نعم... سامر عد بسرعة أرجوك"

"ماذا حدث؟"

"وليد مريض جدا... أنا سأنتهي..."

و انهارت ساقاي أخيرا و هويت أرضا... و أخذت أبكي بل أصرخ... لا أعرف ما قال سامر... لم

أسمع أو لم أعِ شيئاً... و لم أقوَ بعدها على النهوض...

ربما كان سامر على بعد أمتار من الشقة لأنه حضر بسرعة و ما إن دخل الشقة حتى هتفت:

"أرجوك افعل شيئاً ... لا تدعه يموت "

كنت جاثية على الأرض في عجز تام... سامر لم يطل النظر إليّ ... بل ألقى بالأكياس التي كان يحملها جانبا و أسرع نحو الغرفة...

~~~~~

وليد كان يسعل بشدة و بالكاد يجذب أنفاسه... و كان العرق يتصبب من جبينه بينما يشتعل جسده حرارة... لدى رؤيته بهذا الشكل، أصبت بالروع ... و قررت إعادته إلى المستشفى فورا...  
رغد الأخرى كانت بحالة سيئة و بصعوبة تمكنت من النهوض و مرافقتنا ...

هناك شخّص الطبيب حالته على أنها التهاب رئوي حاد... و أمر بإدخاله إلى المستشفى مباشرة...  
لكن وليد رفض ذلك تماما و اكتفى بقضاء بضع ساعات تحت العلاج...

أمر الطبيب بحقنه بعدة أدوية... و أبقى قناع الأوكسجين على أنفه طوال الوقت... و ظل يتلقى العلاج حتى انخفضت حرارته و تحسن وضعه العام قليلا...

أما رغد فقد كانت منهارة و مشتتة للغاية... و ما فتئت تطلب مني أن:

"لا تدعه يموت ... أرجوك"

و كأن الموت بيدي أو أملك لمنعه سييلا...

أظن أن وفاة والديّ اللذين كانت هي متعلقة بهما كثيرا... و بحاجة إلى رعايتهما... جعلها تتصور الموت يحيط بها و تخشى حدوثه...

و ربما أيضا كان للمأساة التي عاشتها ليلة القصف على المدينة... أثرها العظيم...

و بالتأكيد... فإن حبّها لوليد جعلها في هوس على صحته... و حياته...

لا زلت أذكر كيف استقبلته في ليلة زواج دانة... و كيف تدهورت صحتها و نفسيتها بعدما علمت بأمر ارتباطه بأروى...

و كيف كانت تراقبهما بغيظ في المزرعة... فيما أنا أتفرج عليها... و أقف كالشجرة... بلا حول و لا قوّة...

و ها أنا الآن أفق كالشجرة... أمام شقيقي و خطيبي السابقة... بلا حول... و لا قوّة...

تمر الساعات بطيئة ثقيلة داكنة... خرساء عن أن كلمة أو إشارة... و كلما أنّ وليد اخترق خنجر صدي... و كلما تأوه مزقت سكين أحشائي... و كلما أفاق استقبلته أنظارنا بلهفة... فيقول:

"أنا بخير"

و كلما أغمض عينيه رفعت عيني إلى السماء داعيا الله أن يجعله بخير...

كان وقتا عصيبا... اكتشفت فيه أنني أحب شقيقي هذا أكثر مما كنت أعتقد... و بالرغم من كل شيء أو أي شيء...

مع مرور الوقت تحسنت حالته و استرد بعضا من قوّته و طلب منّي إعادته إلى الشقة...

"و لكن يا عزيزي... الطبيب ينصح ببقائك"

فرد :

"أنا بخير الآن... لنعد يا سامر... لا بد أنكما متعبين... و خصوصا رغد"

و فهمت ما يرمي إليه...

رغد قالت معترضة:

"أنا بخير"

فقال وليد:

"و أنا كذلك"

و نظر إليّ ... فقلت:

"حسنا... هيا بنا"

و في الواقع لم يكن هناك حل أفضل من العودة في تلك الساعة المتأخرة من الليل...

في الشقة بدا شقيقي أفضل حالا بعض الشيء و لكنه لم يستطع مشاركتنا الطعام لشعوره بألم في معدته. الطعام كان مجموعة من الشطائر و العصائر...كنت قد جلبتها من أحد المطاعم أول الليل.. تناولناها أنا و رغد و نحن نراقب وليد...في غرفة النوم...

السكون التي ساد وليد جعلنا نستنتج أنه نام مجددا ...

خاطبتني رغد سائلة:

"إنه أفضل... سيتحسن... أليس كذلك؟"

قلت:

"إن شاء الله" ...

رغد قالت برجاء شديد:

"أرجوك... اعتنِ به جيدا... افعل أي شيء لعلاجهِ"

أجبرتني جملتها على النظر إليها ثوان ثم بعثرت نظراتي بعيدا...  
و هل تظنين يا رغد... أنني سأقف متفرجا على شقيقي و هو مريض بهذا الشكل؟؟  
أم تظنين أنني سأقصر في العناية به انتقاما لما فعله بي في السابق؟؟  
أم تعتقدين أن هروبك مني إليه سينسيني دماء الأخوة التي تجري في عروقي و عروقه؟؟

قالت رغد:

"يوم الغد... سأطلب من خالتي الحضور لأخذي معها... و بالتالي يتسنى لك نقله للمستشفى و معالجته"

و كلنا يدرك أن وليد رفض دخول المستشفى بسبب وجود رغد... إذ لم يكن من اللائق إدخاله إلى المستشفى و عودتنا وحيدين إلى الشقة...

تابعت رغد:

"سأتصل بها باكرا لتأتي سريعا... لا يجب أن نتأخر أكثر من ذلك" ...

و لم أعقب على حديثها بل كنت ألهي نفسي بشرب بقايا عصير الفراولة من كأس الورقي... عليها  
تطفئ شيئا من لهيب صدري...

قالت رغد:

"أنا آسفة لأنني عطّلت الأمر" ...

جملتها هذه أثارت اهتمامي... لكنني تظاهرت باللامبالاة...

استرسلت رغد:

"لطالما كنت... و سأظل عقبة في طريقكم جميعا... لطالما سبب و سيسبب وجودي لكم التعطيل و الضيق... أنا آسفة... لقد طلبت منه أن يتركني في بيت خالتي لكنه من أصر على أخذي معه... سأبقى عبئا و عالية عليكم رغما عني... لكن... ماذا أفعل؟ فأنا لا والدين لي" ...

و كصفعة قوية تلقيت كلمات رغد... صفعة لم تدر وجهي نحوها فقط بل جعلتني أحملق فيها بذهول...

رغد من فورها خرجت مسرعة من الغرفة... لتخبئ دموعها خلف الجدران...

لم استطع أن أحرك ساكنا... أحسست بالمرارة في داخلي بل و في عصير الفراولة على لساني... و تركتها تبكي و أنا في عجز تام عن تقديم شيء من المواساة... أو تلقي شيئا منها...

الساعة تشير إلى الواحدة و الربع بعد منتصف الليل...

أنا متعبة و في صدري ضيق شديد... على وليد و على حالي التعسة و هل لمثل حالتي شبيهه؟؟

في شقة صغيرة لساكن أعزب، أبقى على المقعد ساهرة حتى ينتصف الليل... و ابنا عمي موجودان في داخل غرفة النوم... أحدهما على الأقل يغط في سبات عميق!

ألا ترون جميعا أنه لا مكان لي هنا و أن وجودي أصلا في هذه الشقة و مع ابني عمي... هو أمر مستهجن؟

ما كان ضر وليد لو تركني أقيم و أبات في بيت خالتي معززة مكرمة... محبوبة مرغوب بها من جميع أفراد العائلة؟؟

رفعت يدي إلى السماء و شكوت إلى الله حالي و بثثته همّي... و تضرعت إليه... و رجوته مرارا و تكرارا... أن يشفي وليد... و أن يجد لي من هذه الكربة العظيمة مخرجا قريبا...

كنت لا أزال أرتدي عباءتي و حجابي منذ الصباح... و كنت و بالرغم من ملابسي الثقيلة أشعر بالبرد... إضافة إلى الشعور بالعتب الشديد و النعاس... و بحاجة للنوم و الراحة... و لكن أين أنام و كيف أنام؟؟ و هل يجوز لي أن أنام؟؟

لماذا لم يظهر سامر حتى الآن؟؟ هل نام و تركني هكذا... أم هل نسي وجودي؟؟

لم أعرف كيف أتصرّف و لم أكن لأجرؤ على العودة إلى غرفة النوم بطبيعة الحال... ذهبت بعد ذلك إلى دورة المياه الوحيدة في تلك الشقة... و كم شعرت بالحرج من ذلك... خصوصا حينما نظرت إلى نفسي عبر المرآة و وقع بصري على أدوات الحلاقة مبعثرة على الرف!

يا إلهي!

ما الذي أفعله أنا هنا !!؟؟

عندما خرجت، وجدت وسادة و بطانية قد وضعا على المقعد...

إذن فسامر لا يزال مستيقظا... و لا بد أنه التقط موجات أفكاري أخيرا!

المقعد كان صغيرا و لا يكفي لمد رجليّ، لكنني على الأقل استطيع أن أريح جسدي قليلا فوقه... أنا متعبة و أريد أن أنام بأي شكل...

و ببساطة نزعت عباءتي و حجابي و استلقيت على المقعد والتحفت البطانية و سرعان ما نمت من شدة التعب!...

عندما نهضت كانت الساعة قد تجاوزت العاشرة بقليل... نهضت عن المقعد بسرعة شاعرة ببعض الألم في ظهري أثر الانكماش!

كنت أتوقع النهوض في وقت أبكر و كنت أنوي الاتصال بخالتي مباشرة...

تلفت يمنا و يسرة... و دقت السمع فوصلني صوت محادثة...



لابد أن ابنا عمي قد نهضا...  
ارتديت عباءتي و حجابي بسرعة و فركت عيني لأزيل عنهما أثر النوم... ثم سرت نحو الغرفة  
المفتوحة الباب و أنا أقول:

"وليد... سامر... هل نهضتما؟"

وصلني صوت سامر:

"نعم تفضلي"

دخلت الغرفة و أنا ألقى التحية... و وجهت بصري مباشرة نحو وليد:

"وليد هل أنت بخير؟"

وليد كان جالسا على السرير و مسندا ظهره إليه... و كان يبدو أفضل حالا من يوم أمس... و إن ظهر  
الشحوب جليا على وجهه...

ابتسم وليد ابتسامة مطمئنة و قال بصوته المريض:

"نعم. الحمد لله"

قلت و أنا أتنهّد بارتياح:

"الحمد لله"

ثم أضفت:

"هل نمت جيدا؟ هل تشعر بتحسن؟ و هل زالت الحرارة؟"

قال:

"نعم .فهذه الأدوية سحرية" !

قال ذلك و هو يشير إلى الأدوية المصفوفة إلى جوار السرير على المنضدة و التي كانت الطبيب قد وصفها له يوم أمس...

قلت:

"لكن يجب أن تستكمل علاجك في المستشفى كما أمر الطبيب... سأتصل بخالتي"

و استدرت و خرجت من الغرفة عائدة إلى حيث تركت حقيبتي و هاتفي...  
و أنا أمسك بالهاتف لمحت سامر مقبلا...

قال:

"انتظري"

نظرت إليه باستفسار .. و دون أن ينظر إليّ قال:

"وليد يريد التحدث معك"...

حملت هاتفي معي و ذهبت إلى وليد... أما سامر فأظن أنه خرج...  
وقفت قرب الباب... منتظرة ما يود وليد قوله... وليد لم يبدأ الحديث مباشرة... لا أعرف إن كان السبب بحّة صوته أو تهيج حلقة، أو تردده في قول ما سيقول...

تناول وليد كأس الماء الموضوع مع الأدوية و شرب قليلا ثم قال:

"أنا آسف يا رغد" ...

حقيقة أنني توقعت أن يقول أي شيء آخر... عدا الأسف!

"لم الأسف؟؟"

قال و هو يحاول جعل جملة قصير لئلا يتعب حباله الصوتية:

"كنت متعبا.. اعذريني.. هل نمت جيدا؟"

ابتسمت وقلت بمرح:

"نعم... عدا عن وجع في الظهر و برودة في الأطراف!"

وليد قال:

"لم يكن أمامي حل أفضل.. أنا آسف"

قلت مباشرة:

"لا تهتم.. الأمر ليس سيئا لهذا الحد"

أناقض بذلك الحقيقة التي عشتها ليلة أمس و أنا نائمة دون حجاب على مقعد صغير في شقة عزوبة صغيرة مع ابني عمي الشابين.. لا يفصلني عنهما غير جدار واحد يتوسطه باب مفتوح على مصراعيه طوال الليل!

هل يبدو الأمر سيئا إلى ذلك الحد! ؟

وليد قال:

"على كل.. كان ظرفا طارئا لن يتكرر بإذن الله"

خففت ببصري خجلا... و لم أجد تعليقا مناسباً

وليد قال:

"سنغادر عصرا إن شاء الله"

قفزت ببصري إليه مجددا و كلي استنكار و اعتراض... قلت:

"اليوم ؟ عصرا ؟"

"نعم"

"و ماذا عن ... المستشفى؟"

"لا ضرورة لها فأنا في تحسن"

لم يعجبني ذلك فقلت:

"لكن الطبيب ليلة أمس شدد على ضرورة تلقيك العلاج في المستشفى"

فرد وليد:

"سأتعافى مع هذا العلاج بإذن الله"

صمتّ في حيرة من أمري... بعدها سألت:

"لكن.. ألا يجدر بك ملازمة الفراش؟ كيف ستقود السيارة؟"

قال:

"سامر سيصطحبنا إلى المزرعة... كما و أن سيارتي ... كما تعلمين!"

و تذكرت أننا تركنا السيارة في الشارع في وجه الريح و المطر... و أن هاتف وليد في داخلها

ربما قرأ وليد التردد المكتوب على وجهي...لذا سألني:

"أهناك ما يقلقك؟"

نعم يا وليد ! هناك الكثير الكثير... لأقلق بشأنه ... و أوله أنت!

قلت:

"لم لا تنتظر إلى أن تسترد عافيتك يا وليد؟ إن كان الأمر بشأنني أنا... فأنا سأطلب من خالتي الحضور الآن لأخذي معها... و" ...

و أخذنا وليد يهز رأسه اعتراضا ...

قلت:

"هكذا ستتمكن من" ...

لكن وليد قاطعني:

"كلا يا رغد" ...

حاولت المجادلة لكنه قال بصرامة لا تتفق و حالته المريضة:

"كلا"

لذت بالصمت بضع ثوان... و أنا في حيرة من أمر هذا الوليد!

مادم يجدني عائقا في سبيل تحركاته، لم لا يتركني مع خالتي؟؟ لم يزيد عبء مسؤولياته بينما أنا على استعداد بل و راغبة بشدة في إعتاقه من مسؤوليته تجاهي؟؟

قلت بصوت ضعيف مغلوب على أمره:

"وليد... أنا لا أريد العودة إلى المزرعة" ...

نظرت إليه بتوسل... و واثقة من أنه فهم نظراتي... قال:

"لن نطيل البقاء هناك... يومين أو ثلاثة... ريثما استرد عافيتي و سيارتي"

و سعل قليلا... ثم تابع:

"نسافر بعدها جوا إلى العاصمة، و منها إلى الساحلية"

قلت:

"و معنا أروى... و أمها؟"

أوما برأسه إيجابا... فهززت رأسي رفضا...

أنا أرفض العودة لنفس الدوامة من جديد...

خاطبته بنبرة شديدة التوسل و الضعف...

"أرجوك... دعني أعود إلى خالتي" ...

وليد ركز النظر في عيني برهة ...

"أرجوك ... وليد"

أغمض وليد عينيه و هز رأسه ببطء

"لا يمكن يا رغد .. انتهينا من هذا الموضوع"

و حين فتح عينيه كان نظرات التوسل لا تزال تنبعث من عينيّ...

قال:

"أنا المسؤول عنك يا رغد" ...

قلت بسرعة و تهوّر:

"أنا أعفيك من هذه المسؤولية"

و اكتشفت خطورة جملتي من خلال التعبيرات المخيفة التي انبثقت على وجه وليد فجأة...  
حاولت أن أخفف تركيز الجملة فقلت:

"أعني... أنني لا أريدك أن ... تزيد عبئي فوق أعبائك ... و خالتي و عائلتها...مستعدون لأن..."

زمجر وليد:

"كفى يا رغد"

فابتلعت بقية الجملة بسرعة كدت أغص معها!

بدا وليد عصبيا الآن... و لكن عجز عن الصراخ لبحه صوته:

"لا أريد أن اسمع هذا ثانية يا رغد... أتفهمين؟"

لم أتجاوب معه فقال:

"أنا الوصي عليك و ستبقيين تحت مسؤوليتي أنا إلى أن أقرر أنا غير ذلك... مفهوم؟"

فجاءني أسلوبه الجاف الفظ هذا... فيما كنت أنا أتحدث معه بكل لطف و توسل... حملقت فيه  
مصدومة به... حتى المرض لم يلين عناده؟!

"مفهوم يا رغد؟؟"

قلت باستسلام و رضوخ:

"مفهوم"

و خرجت بعد ذلك بهدوء من الغرفة...

كم أشعر بالذل...كيف يعاملني وليد بهذا الشكل ؟ لماذا يقسو علي و أنا من كدت أموت خوفا عليه؟؟

لماذا يتسلط علي و يضرب بعرض الحائط رغبتي ؟  
و هل علي أن أتحمّل رؤية الشقراء ترافقه و تتبادل معه الاهتمام و العواطف الحميمة .. بينما أكاد أعجز  
أنا عن مسح الدماء النازفة من أنفه و هو جريح مريض ؟؟

بعد فترة حضر سامر جالبا بعض الأطعمة... و وجدت نفسي منقادة لما تفرضه الظروف علي... و  
جلست مع ابني عمّي أشاركهما الطعام بكل بساطة!

إن لدي ابني عم اثنين...هما أهلي و أحبتي و كل من لي... و يساويان في حياتي الناس أجمعين... و  
إن احتل أحدهما الماضي من حياتي... فإن الآخر... يحتل الحاضر و المستقبل...  
ابنا عم... لا يوجد مثلهما ابنا عم علي وجه الأرض!  
و نحن نتناول الطعام كنت أراقبهما خلسة... و أصغي جيدا لكل كلامهما...  
كم كانا لطيفين حنونين و هادئين جدا... بصراحة الله وحده الأعلم من ممّا نحن الثلاثة كان الأكثر قلقا  
و الأشد اهتماما بشأن الآخرين!

فيما بعد تركت أكبرهما يقييل وقت الظهر... و جلست مع الأصغر في غرفة المعيشة نشاهد التلفاز...

~~~~~

لم أكن لأقدم علي الحديث معها لو أن رغد لم تبادر هي بالكلام...
و بالرغم من أنني كنت أتحاشى النظر باتجاهها إلا أنه كان من غير الممكن تحاشي التعقيب علي
حديثها...

"ألا يجب ... أخذه للمستشفى كما أوصى الطبيب؟"

"لا أظنه سيرحب بالفكرة مطلقا"

"حاول أن تقنعه" ! ...

نظرت إلى السقف و قلت:

"ما من جدوى ... علي الأرجح" !

رغد صمتت قليلا ثم قالت:

"لكن السفر قد يتعبه... و هو مصر على الذهاب للمدينة الساحلية " ...
و أتمت بأسى:

" و على أخذي معه "

شعرت من نبرة صوتها بعدم ارتياحها فقلت:

"ألا تريدان الذهاب؟"

رغد قالت مباشرة:

"لا أريد... لكن...وليد مصر على اصطحابي معهم... لن يفيدته ذهابي في شيء بل سيسبب له

التعطيل والعقبات " ...

سألت:

"لم تقولين ذلك؟"

رغد بدأت تتكلم... و كأنها تشكو إليّ ... كأنها ... كتتمت في صدرها آهات عدّة و جمعتها سوية...
لتطلقها أمامي...كأنها ما كادت تصدّق أنها وجدت من تبوح إليه بما يختلج بواطنها... و كأنها...
نسيت ... أن الرجل الذي تتحدّث إليه و تبثه همومها هو خطيبها السابق الذي كان و لا يزال يعشقها
بجنون...

و حين تتألم رغد... ينتشر صدى آلامها في صدري أنا...

"أعرف أنني مصدر إزعاج له... و همّ مرمي فوق صدره... و لكنه لا يريد إزاحتي بعيدا... بل ربما
يستمتع بفرض وصايته و سطوته علي ! إنه لا يريد أن أعيش في بيت خالتي و لا يريد أن أتحدّث مع
ابنها... و يفرض علي ما ألبس و متى أخرج و إلى أين أذهب... في المزرعة و حتى في بيت خالتي "

لم استطع التعقيب على حديثها هذه المرة... فماذا يمكنني القول؟؟

و لكن هل شقيقي... صارم لهذا الحد ؟ هل يقسو على رغد؟؟ أليست مرتاحة للعيش معه ؟ ألم تكن

هذه رغبتها هي؟؟

تابعت:

" و أنا لا أحتمل العيش مع الشقراء... و هي أيضا لا تطيقني ... لماذا لا يريد وليد فهم ذلك؟"

و أيضا لم أعلّق...

و ربما لما رأته رغد صمتي شعرت بخيبة الأمل... إذ لم تجد منّي أي مواساة أو تفاعل... لذا لاذت

بالصمت هي الأخرى...

هناك سؤال ظل يكتم أنفاسي و يخنقني... لم استطع تحاشيه و لا أدري أي جنون جعلني أطلقه من

لساني بعد كل هذا الصمت و الجمود...؟؟

"رغد" ...

رغد نظرت إلي و هذه المرة لم أهرب بعيني بعيدا... بل غصت في أعماق عينيها باحثا عن الجواب...

و ليتني لم أجده...

"ألا زلت... تحبينه؟"

بالتأكيد كان هذا آخر سؤال تتوقع مني رغد طرحه... خصوصا بعد التزمت و الاختصار الشديد في

الحديث معها و تحاشيها قدر الإمكان...

و لم يكن من الصعب عليّ أو على أي كان أن يستنبط الجواب من هاتين العينين...

تصاعدت الدماء إلى وجنتيها بينما هبطت عيناها إلى الأرض...

هل كان علي أن أطرح بجنون سؤالاً كهذا؟؟

يا لي من أحمق و فاشل...

من حينها لم أتحدّث معها بأي كلمة... حتى وقفت مودعا إياهما في المزرعة...

وصلنا إلى المزرعة قرب الغروب... و استقبلت أوري وليد استقبالا حميما لن يسرني وصفه لكم... فيما

أنا أحترق من شدة الغيظ...

و أحسنت هي و أمها و خالها الترحيب بي و بسامر...

و عندما خرج سامر مغادرا المنزل فيما بعد تذكر وليد مفاتيح سيارته فقال:

"المفاتيح مع سامر"

قلت مباشرة:

"سأحضرها"

و انطلقت مسرعة نحو الخارج...

كان سامر على وشك صعود السيارة فهتفت:

"سامر انتظر"

و أقبلت مهولة إليه... التفت سامر نحوي مستغربا و رفع نظارته الشمسية و نظر إلى عينيّ مباشرة

قلت:

"مفاتيح سيارة وليد"

"آه ... نعم"

والتقط المفاتيح من داخل السيارة - حيث كانت موضوعة على الرف - عبر الباب المفتوح و قدّمها إلي
...

المفاتيح كانت ضمن عدّة مفاتيح أخرى مضمومة إلى بعضها البعض بالميدالية التي كنتُ قد أهديتها
وليد في عيد الحج الماضي... إن كنتم تذكرون...

و أنا أمد يدي لأستلم المفاتيح منه... تبعثرت نظراتنا ثم التقت من جديد...

قلت:

"تبدو مختلفا" ...

و أنا أدقق النظر في الجهة اليمنى من وجه سامر و تحديدا عينه و ما حولها... الموضع الذي كانت
تغطيه ندبة قديمة قبيحة... شوهدت وجهه مذ سقط على الجمر المتقد و نحن نركب دراجته الهوائية
أيام الطفولة...

الندبة تقريبا اختفت... و بدا سامر مختلفا... و هذا أول ما أثار انتباهي حين خلع نظارته السوداء
المبللة بالمطر و نحن نركب السيارة يوم أمس...

سامر أمال إحدى زاويتي فمه بابتسامة أقرب إلى السخرية و قال:

"هناك أشياء ... لا بد من التخلص منها و من آثارها... ذات يوم"

ثم استدار و ركب السيارة و ابتعد... تاركا الجملة ترن في أذني زمنا طويلا...

عندما عدت إلى الداخل... وقع بصري على منظر أثار ثورتي و جعلني أرمي بالميدالية رميا على المنضدة
تجاه وليد...

أروى ... كانت تجلس ملتصقة بوليد و تحيطه بذراعيها بينما تسند رأسها إلى كتفه بكل حنان!
لقد وجدتُها الشقراء فرصة ممتازة لكي تقترب من ابن عمّي ... بينما أنا لا أجرؤ على شيء...

حسنا يا أروى

المعركة ابتدأت إذن؟؟

استعنا بالله على الشقاء!

~~~~~

مستلقٍ على سريري و شاعر بإعياء شديد في جميع عضلاتي... أجاهد من أجل إرغام الهواء على المرور  
عبر أنفي شبه المسدود... تنتابني نوبات فظيعة من السعال إن تجرأت و فتحت فمي... أنا وليد ...  
الصامد في وجه النواكب العظمى... مستسلم تماما أمام المرض!  
أقبلت أروى تحمل طبق الحساء الدافئ و شرابا من خلاصة الأعشاب... و جلست قربي... استويت أنا  
جالسا و قرّبتُ كأس الشراب من أنفي استنشق البخار المتصاعد منه... علّه يساعد على توسيع مجرى  
الهواء... و لم أكن أحس برائحته... و لم أحس بطعمه...

" الحمد لله "

قلت بعدما أنهيت وجبتي فعقبت أروى:

" بالهناء و العافية... حبيبي "

نظرت إليها فابتسمت بحنان... ساهم في رفع معنوياتي المحبطة... من جراء المرض و من حالي مع

رغد و أقاربها...

رددت إليها ابتسامة ممتنة... ثم عدت مضطجعا على الوسادة... شاعرا بالارتياح...  
الساعة كانت العاشرة مساءً و أنا ألزم فراشي منذ حضوري عصرا... و منذ حضوري لم أر رغد...

سألت أروى:

"ماذا عن رغد؟"

هذه المرة لم تحاول أروى إخفاء انزعاجها من سؤالي... و ردت:

"ربما نامت في غرفتها... لا تفكر في شيء الآن... ابق مرتاحا و مسترخيا أرجوك"

و كأنها تؤكد أن رغد هي أحد أسباب قلقي و تعبي... و هي حقيقة غنية عن التأكيد!

ابتسمتُ لأروى و قلت خاتما الحديث:

"تصبحين على خير"

كانت حالتي أفضل بكثير حينما نهضت صباح اليوم التالي... و تمكنت من مغادرة الفراش...  
أخذت حماما منعشا زاد من حيويتي... و فيما كنت أرتب فراشي بعد ذلك أقبل كل من أروى و  
الخالة و العم إلياس يطمئنون علي و يحمدون الله على تحسن صحتي...  
جلسنا نتبادل بعض الأحاديث بشيء من المرح و السرور... و الضحك أيضا... إنني أنتمي إلى هذه  
الأسرة... و إن الله كان غاية في اللطف و الكرم سبحانه... و هو يضعها في طريقي... تعويضا عما  
فقدت.. و عمّن فقدت...

لكن... لم يكن حبهم لي و عطفهم علي... ليغني عن حاجتي للمحبة و العطف من شقيقي الوحيد  
سامر... أو شقيقتي الوحيدة دانة... أو... صغيرتي الحبيبة...رغد...

ما أحوجني إليهم جميعا...

لم أكن قد رأيت صغيرتي منذ قدمنا إلى المزرعة يوم أمس... لا أعرف كيف نامت أو كيف صحت... و  
أين تجلس و ماذا تفعل...

و صدّقوني... إنه من المستحيل علي أن أتوقف عن التفكير بشأنها... مهما حاولت !

قلت و أنا افتقدها بينما الجميع من حولي:

"أين رغد؟"

هناك نظرة كانت خاطفة تبادلتها أروى و أمها ، لم تغب عن انتباهي... بل كنت أرصدها... ثم قالت  
خالتي:

"لم تغادر غرفتها منذ دخلتها يوم أمس"

و هو جواب لا يصلح لرفع معنوياتي أو التخفيف عن آلامي... البتة!

وجهت خطابي إلى خالتي:

"أذهبي و تفقديها يا خالة... رجاءً"

ابتسمت خالتي و قالت:

"بكل سرور يا بني... سأستدعيها..."

و غادرت يتبعها العم إلياس... ثم عادت قائلة:

"يظهر أنها لا تزال نائمة"

بعد ساعات انشغلت أروى و الخالة في المطبخ، و العم في المزرعة... و أنا في القلق المتزايد على رغد!

ويحك يا رغد ! ألن تأتي للاطمئنان علي؟؟

لم أطق صبرا... و ذهبت أنا للاطمئنان عليها...

طرقت باب غرفتها و قلت مصرحا:

"أنا وليد"

و لما أذنت لي بالدخول... دخلت فرأيتها تقف عند المكتبة ممسكة بقلم... ربما كانت ترسم...

قلت:

"كيف حالك يا رغد؟"

رغد ابتسمت بفرح و قالت بصوت خافت:

"بخير" ...

ثم بصوت أقوى:

"كيف حالك أنت؟"

و لمحت القلق على وجهها... و شعرت بسعادة!

قلت مبتسما:

"الحمد لله ... أفضل بكثير"

فاتسعت ابتسامتها و ازداد فرحها و كررت:

"الحمد لله"

قلت:

"لم أركِ منذ أمس...أقلقنتني... لمَ لمَ تأتي لزيارتي؟"

طأطأت رغد رأسها ثم قالت:

"لا أستطيع أن... أتجول في المنزل" ...

صمت قليلا ثم قلت:

"هذا ... بيتي يا رغد... و بيتي هو بيتك" ...

لكن رغد هزّت رأسها مخالفة لكلامي... أردت أن استنبط منها رأيها فقلت:

"أليس كذلك يا رغد؟"

رفعت بصرها و قالت:

"لن أعتبر ... هذا المكان... بيتي أبدا يا وليد... و سأظل أشعر بالغبرة بينكم... طالما أنا هنا"

تنهّدتُ بمرارة... لم أكن أريد لصغيرتي أن تشعر بالغبرة و هي معي أنا...

قلت:

"سنغادر غدا... إلى منزلنا يا صغيرتي"

شيء من الاعتراض أيضا ارتسم على وجهها و قالت:

"لكن... أنت... مريض"

قلت مطمئنا:

"أنا بخير... سبق و أن حجزت التذاكر و لا داعي لتأجيل الأمر" ...



صمتت رغد فسألتها:

"هل هذا ... سيريحك؟"

انتقلت أنظار رغد من عيني إلى الأرض... و لم تجب ...  
كنت أعرف بأنها لا ترغب في السفر بل في العودة إلى خالتها...

خطوات خطوات نحوها حتى صرت جوارها تماما... و أمكنني رؤية الرسوم التي كانت ترسمها على  
الورقة... كان رسما لفتاة صغيرة تحضن ذراعا بشرية كبيرة... تخرج من حوت مغمض العينين مفتوح  
الفكين تقطر الدماء من أنيابه!!  
ما المقصود من هذا الرسم الغريب؟؟!

ناديتها:

"رغد"

فرفعت بصرها إليّ ...

"عندما نذهب إلى المدينة الساحلية... فسألحك بالجامعة" ...

ظلت رغد تحدّق بي... بشيء من التشكك أو المفاجأة

قلت مؤكدا:

"لقد رتّبت للأمر... و دبّرت لك مقعدا في كلية الفنون... لتتابعي دراستك... ألم يكن هذا حلمك؟"

قالت بتردد:

"أحقا؟"

قلت:

"نعم يا رغد... أنت موهوبة و المستقبل المشرق ينتظرك" ...

رأيت تباشير ابتسامة تتسلل إلى وجهها ... إذن... فقد استحسنت الفكرة... الحمد لله!

"و في وقت الإجازات سأخذك إلى خالتك... أعدك بذلك ... صدّقيني يا رغد ... أنا أعمل لمصلحتك ... و لم يكن قصدي إجبارك على شيء... و إن فعلت... أو تصرفت معك بصرامة... فأرجوك... سامحيني"

عادت رغد ببصرها نحو الأرض ...

"هل تسامحيني يا رغد؟"

رغد ابتسمت و أومأت إيجابا فتنفّست الصعداء عبر فمي بارتياح ...  
تصادم الهواء البارد مع حلقي المتهيج فأثار نوبة خفيفة من السعال جعلت رغد ترفع رأسها بقلق و تمسك بذراعي تلقائيا و تهتف :

"وليد" ...

انتهت نوبة السعال ... و ركزت نظري نحو رغد... و رأيتها تشد ذراعي بقوة ... تكاد تحضنها!  
فيما تتجلى تعبيرات القلق و الخوف على قسما و وجهها...

ابتسمت ! لا بل تحوّل سعالي إلى قهقهة !

أطلقت ضحكة قوية و أنا أقول:

"لا تخافي يا صغيرتي ... حتى الحيتان تمرض أحيانا" !

تحسنت صحتي كثيرا و سافرنا جوا إلى العاصمة و من ثم إلى المدينة الساحلية أنا و رغد و أروى و الخالة ليندا.

أقبلت على العمل بجهد و شغلت معظم أوقاتي فيه و قسّمت الباقي بين شؤون المنزل، و أروى و رغد

و آه من هاتين الفتاتين!

إنهما تغاران من بعضهما البعض كثيرا و باءت كل محاولاتي للتأليف فيما بينهما و تقريب قلوبيهما لبعضهما البعض بالفشل و الخذلان...

المشاحنات تضاءلت بعض الشيء مع بداية الموسم الدراسي... إذ أن رغد أصبحت تغيب عن المنزل فترات طويلة...

الأمر كان صعبا في البداية إلا أن رغد تأقلمت مع زميلاتها و من محاسن الصدفة أن كانت إحدى بنات السيد أسامة - المشرف السابق على إدارة مصنع أروى- زميلة لها و قد تصاحبت الفتاتان و توطدت العلاقة بينهما... تماما كما توطّدت فيما بيني و بين السيّد أسامة عبر الشهور... و وافق مبدئيا على عرضي بالعودة إلى المصنع...

و الدراسة شغلت فراغ رغد السابق و نظّمت حياتها و زادت من ثقّتها بنفسها و بأهميتها و مكانتها في هذا الكون بعد أن فقدت كل ذلك بموت والديّ رحمهما الله...

و لأن الله أنعم علي بالكثير و له الحمد و الشكر دائما و أبدا... فقد أغدقت العطاء على صغيرتي و عيشتها حياة مرفهة كالتّي كانت تعيشها في كنف والديّ أو أفضل بقليل...

و فتحت لها حسابا خاصا في أحد المصارف... و وظفت خادمة ترعى شؤونها و شؤون المنزل...

ابتسمت لي الدنيا كثيرا و انتعشت نفسيّتي... و لم يعد يعكر صفو حياتي غير الحرب...

إضافة إلى ... المعارك الداخلية المستمرة بين الفتاتين!

"يجب أن تتحدّث إلى ابنة عمّك يا وليد فهي مصرّة على المذاكرة في المطبخ!"

تقوّس حاجبائي استغرابا و سألت:

"المطبخ!؟"

قالت أروى:

"نعم المطبخ ! وها قد نشرت كتبها و أوراقها في كل أرجائه بعدما سمعنتني أقول لأمي أنني سأعد  
عشاء مميزا جدا لهذه الليلة" !

ضحكتُ بخفة و قلت:

"دعيها تذاكر حيثما تريد" !

بدا الاستهجان على وجه أروى و قالت:

"و لكن يا وليد الزمن يداهنا و لن أتمكن من إعداد العشاء للضيوف في الوقت المناسب" !

كنت آنذاك مستلقٍ على أحد المقاعد في غرفة المعيشة الرئيسية ... أرخي عضلاتي بعد عناء يوم عمل  
طويل... و الساعة تقترب من الخامسة مساء... .

أغمضت عينيّ و قلت بلا مبالاة:

"لا تقلقي... إنه سيف ليس إلا" !

و كنت قد دعوت سيف و زوجته و طفلهما طبعاً لمشاركتنا العشاء هذه الليلة ...

"وليد" !

فتحت عيني فرأيت أروى تنظر إلي بغضب واطعة يديها على خصرها. ابتسمت و قلت:

"حسنًا سأحدّث إليها ... لا تغضبي"

و نهضت بكسل و أنا أمدد أطرافي و أتثاءب !

توجهت نحو المطبخ و وجدت الباب مغلقاً فطرقته و ناديت رغد... بعد ثوان فتحت رغد الباب و

وقفت وسط الفتحة!

"مرحبا رغد... كيف كان يومك؟"

ابتسمت و قالت:

"جيد"...

"الحمد لله... و كيف دروسك؟"

قلت ذلك و أنا أخطو نحو الأمام بهدف دخول المطبخ غير أن رغد ظلت واقفة معترضة طريقي كأنها

تمنعي من الدخول!

قالت متلعثمة:

"جيدة... ممتازة"

إذن في الأمر سر!

تقدمت خطوة بعد و لم تتحرك... بل ظهر التوتر على وجهها و احمر خداه!

قلت:

"بعد إذنك!"

و تظاهرتُ بالعفوية و تنحّيتُ هي عن طريقي... بارتباك!

شعرت بالفضول ! لماذا لا تريد رغد مئى دخول المطبخ...؟؟

نظرت من حولي فرأيت مجموعة من الكتب و الدفاتر و الأوراق... و الكراسيات أيضا مبعثرة هنا و

هناك...

و كان كوب شاي موضوعا على الطاولة و منه يتصاعد البخار... و إلى جانبه كراسة و بعض أقلام  
التلوين... استنتجت أن رغد كانت تشرب الشاي جالسة على هذا الكرسي ...  
اقتربت منه فأسرعت هي نحو الكراسة و أغلقتها و حملتها في يدها ...

إذن هنا مكن السر!

ابتسمتُ و قلتُ بمكر:

"أريني ما كنت ترسمين؟"

ارتبكت رغد و قالت:

"مجرد خربشات"

اقتربت منها و قلت:

"دعيني أرى"

قالت بإصرار:

"إنها لا تستحق الرؤية ... دعك منها"

وسّعت ابتسامتي و قلت بإصرار أكبر و بفضول أشد:

"أريد رؤيتها... هاتيها"

و مددت يدي نحوها... و لما لم تتحرك قلت:

"هيا رغد"

و تحركت يدها بتردد و أخيرا سلمت الكراسة إلي...

تعرفون كم تحب صغيرتي الرسم و كم هي ماهرة فيه... و كنت دائما أطلع على رسوماتها و أتابع  
جديدها من حين لآخر... و يزداد إعجابي...

أخذت أتصفح الكراسية صفحة صفحة و أتأمل الرسومات... رسومات جميلة لأشياء مختلفة... من يد  
فنانة ! و رغد كانت تراقبني باضطراب ملحوظ... شيء يثير فضولي لأقصى حد ماذا تخبئين؟؟!  
و أخيرا وصلت إلى آخر رسمة... و هي الصفحة التي كانت رغد ترسم عليها قبل وصولي بالتأكيد...  
نظرت إلى الرسمة و فوجئت!  
ثم نظرت إلى رغد... و تلقائيا أطلقتُ آهة استنكارية!

أتدرون ما كان مرسوما؟؟  
صورة لأروى... و هي ترتدي مريلة المطبخ، و قد امتد شعرها الأشقر الحريري الطويل حتى لامس  
الأرض و كنسها!  
رغد سحبت الكراسية فجأة و أخفتها خلف ظهرها... أما أنا فهزرت رأسي اعتراضا و استنكارا...  
و يبدو أن رغد أحست بالخجل من رسمها هذا و نزعَت الورقة من الكراسية و جعّدتها و ألقت بها في  
سلة المهملات... ثم قالت دون أن تنظر إلي:

"آسفة"

قلت رغبة مئّي في تخفيف الحرج:

"أنت موهبة خطيرة!"

و لم تعلق رغد بل شرعت في جمع كتبها و أشياءها المبعثرة و من ثم هربت نحو الباب...

قلت:

"الشاي!"

مشيرا إلى كوب الشاي الذي تركته على الطاولة... فالتفتت إلي و قالت:

"تركتُ لها كل شيء... أنا آسفة "

و ولت مسرعة!

جلست أنا على نفس المقعد الذي رجحت أن رغد كانت تجلس عليه و في داخلي مزيج غير متجانس من الراحة و الانزعاج... و الضحك و الغضب!

بعد قليل أقبلت أروى تحمل وعاء يحوي بعض الخضار المقشرة و كيسا يحوي قشورها... و الظاهر أنها عملت في تقشير الخضار في مكان ما خارج المطبخ قبل أن تأتي إليّ في غرفة المعيشة...

وضعت أروى الوعاء على الطاولة و ابتسمت و هي تقول:

"أخيرا ! ألم تطب لها الدراسة هذا اليوم إلا هنا؟؟"

ابتسمتُ... و لم أعلّق...

و توجهتُ أروى حاملة كيس القشور نحو سلة المهملات ...

كنتُ أراقب الدخان المتصاعد من كأس شاي رغد... و لا أعرف لم تملكنتني رغبة عجيبة في احتسائه !

و وضعت يدي عليه و حالما أوشكت على تحريكه أوقفني صوت أروى:

"ما هذا؟"

تراجعت بسرعة... و في اعتقادي أنها تستنكر رغبتني العجيبة هذه ! ما الذي يدعوني لشرب شاي تركته رغد!؟؟

التفت نحوها ببعض الخجل..



لكنها لم تكن تراقب الشاي...

كانت تمسك بورقة مجعدة مفتوحة بين يديها... و تحمق فيها بغضب...

وقفت و اقتربت منها... فأخذت تحدق بي ... ثم مدّت الورقة إلي و قالت:

"انظر... مذاكرة ابنة عمك"

حقيقة لم أعرف كيف أتصرف حيال الموقف... حاولت التظاهر بالمرح و جعل الأمر يبدو دعابة بسيطة لكن أروى كانت غاضبة جدا...

"هذه إهانة متعمدة يا وليد... لن أسكت عنها"

"لا أعتقد أن رغد تقصد شيئاً... إنها دعابة لا أكثر" !

قالت بغضب:

"ليست دعابة يا وليد... منذ متى و ابنة عمك تهوى مداعبتي؟؟ إنها تقصد إهانتني بهذا الرسم... لكنني لن أسكت" !

و من فورها خرجت من الغرفة متجهة إلى رغد...

و لم تفلح محاولتي ثنيها عن إثارة مشكلة و خصوصا في هذا الوقت!...

~~~~~

أقبلت أروى إلى غرفتي و كنت أرتب كتبتي و دفاتري على مكتبي الجديد و الذي اشتراه وليد لي مؤخرا...

وليد اشترى لي أشياء كثيرة... و غير طقم غرفة نومي كاملا... و كان يود نقل أشيائي إلى غرفة دانة سابقا... فهي أكبر حجما... و لكنني أصرت على البقاء في غرفتي الصغيرة الملاصقة لغرفته... و منعتُ أروى و أمها من استخدام أي من غرف النوم التي كنا نستخدمها سابقا... فأقامتا في غرفتين من الناحية الأخرى لمنزلنا الكبير...

و لأنني أعرف أنها ماهرة في أعمال المنزل و خصوصا الطبخ، و أنها تتباهى بذلك أمام وليد و أمامي... و أنها تريد أن تستعرض مهاراتها الليلة على العشاء... فقد اخترت المطبخ بالذات كي أذكر فيه محاضراتي هذا اليوم!

يجب أن تعرف هذه الدخيلة أن هذا بيتي أنا... و مطبخي أنا... و أنا حرّة في فعل ما أريد وقتما أريد !

"ماذا تعنين بهذا يا رغد؟"

كانت أروى تقول و هي ترمي بالورقة التي نزعناها من كراستي قبل قليل... و فيها صورة لأروى الحسنة تنظف الأرض بشعرها الطويل!

أوه ! كيف وصلت إليها...؟ مستحيل أن يكون وليد!

كنتُ غاضبة من تباهيها بمهاراتها... و وعدها وليد بتقديم وجبة لذيذة تبهر ضيوفنا... و من شدة غيظي احتللت المطبخ و رسمتها بهذا الشكل!

لكنني خجلة من وليد و الفكرة التي أخذها عني... و أريد أن أعتذر لها!

"أجيبي؟؟"

صرخت أروى و هي شديدة الغيظ... كنت بالفعل سأعتذر لولا أنها أضافت:

"أنا لست خادمة هذا المنزل بل سيّدته و إن كنت ستسخرين من شيء فالأفضل أن تسخري من نكرانك للجميل و عيشك مرفهة مدللة من نقود لم تراثيها و لم تتعبي لجنيها يا ابنة العز و الثراء"

شعرت بطعنة قوية في صدري أوشكت أن أرمي بالكتاب الذي بين يدي نحو وجهها لكنني لم أملك إلا

الألم...

و هل أملك ردا غيره؟؟

بم أرد و هي الحقيقة..؟؟ ألسْتُ أنا العالة على الغير... أليست النقود التي يجلبها لي وليد... هي من ثروتها؟

بعد أن انصرفت بفترة حضر وليد

و كعادته يأتي بعد انتهاء أي مشادة بيننا حتى لا يزيد تدخله الأمر سوء...
ولا بد أنه قضى الدقائق السابقة في استرضائها و جاء الآن ليواسني... أو ليوبخني!

"هل أدخل؟"

و هو يقف عند الباب... و ينظر إلى الورقة المرمية على الأرض... ثم يلتقطها و يتأملها برهة، و يمزقها
و يرمي بأشلائها في سلة المهملات...

قال:

"انتهى الأمر"

مسكين وليد! أتظن بأنه بتمزيقك للورقة تحل المشكلة؟
لا أظنها تحل إلا إذا مرّقت الفتاة المرسومة عليها في الواقع!

قال:

"لا تكرري ذلك ثانية يا رغد ... أرجوك"

نظرت إليه بحنق... أهذا كل ما لديك؟؟

قال:

"انظري أي مشاكل تقع بسبب تافه كهذا... نحن في غنى عن المزيد... دعينا نعيش في سلام"

و استفزتني جملته فقلت بغضب:

"و هل ترى أنني شارون أم بوش لتخاطبني عن السلام؟"

و ربما أثارت جملتي اندهاشه أو حتى لم يستوعبها إذ أنه حملق فيّ باستغراب

قلت بعصبية:

"هل أنا سبب المشاكل؟"

قال:

"لا ... لكن أروى لا تتعمد مضايقتك يا رغد ... إنها طيبة و مسالمة جدا"

و ثار غضبي أكثر... رميت بالكتاب أرضا و صرخت:

"طبعاً ستدافع عنها...أليست خطيبتك العزيزة الغالية ... الثرية الحسنة... السيدة المدبرة لشؤون

هذا المنزل؟؟"

"ليس الأمر هكذا" ...

قلت بانفعال:

"بل هو كذلك... و أنت بالتأكيد ستقف في صفها و تنحاز إليها"

تنهد وليد بانزعاج... و ضرب كفه الأيسر بقبضته اليمنى و قال بضيق:

"لقد حرت ما أفعل معكما؟ أنتما تثيران الصداع المستمر في رأسي... أنا لا أعرف لماذا لا تطيق

أحداكما الأخرى بهذا الشكل!؟"

صمت برهة ثم قال:

"على الأقل... أروى يا رغد... لا تتربص لإزعاجك ... لكنك يا رغد" ...

و توقف لانتقاء كلماته ثم قال:

"أنت يا رغد تتصيدين الفرص لمضايقتها... لا أعرف لماذا؟؟ لماذا أنت متحاملة عليها لهذا الحد يا رغد؟؟"

و أخذ يترقّب جوابي ...

"لماذا يا رغد؟؟"

أما زلت تسأل؟؟

ألا تعرف؟

ألا يمكن لعقلك المحشور داخل جمجمتك الكبيرة هذه أن يستنتج السبب؟؟

لأنني أحبك يا وليد!

أحبك و أكره أي امرأة تقترب منك...

ألا تفهم ذلك؟؟

ألا تكفي كمية الذكاء المحشوة في دماغك لاستنباط هذا؟؟

و لا يبدو أن هذه الفكرة كانت لتخطر على بال وليد... البتة!

ولأنه كان لا يزال ينظر إلي منتظرا جوابا قررت أن أجيب!

"أتريد أن تعرف لماذا؟"

قال بلهفة:

"يا ليت... فلربما استطعت تغيير شيء و حل المشكلة"

ابتسمت بسخرية من مناه... ثم ضيّقت فتحتي عينيّ و ضغطت على أسناني و قلت:

"لأنها... أجمل مني"

ذهل وليد... و بدوره اتسعت فتحتا عينيه و فمه أيضا ...

قلت:

"هل عرفت الآن؟"

ارتبك وليد و قال:

"هل هذا هو السبب حقا؟"

قلت بمكر:

"نعم... فهل تستطيع تغيير شيء؟"

وقع وليد في الشرك... و حار ماذا يقول... ثم قال بتردد و ارتباك:

"و ... لكن ... يا رعد... أيعقل أن تجعلني من هذا سببا كي... أعني لأن تُثار كل تلك المشاكل؟"

قلت:

"هذا أمر لن تفهمه أنت...! إنها أجمل مني بكثير... أليست كذلك؟"

و ترقبت بلهفة ما سيقول وليد!...

إن قال (بلى) فسأمزقه بأظفاري...

و إن قال (كلا) فسأفقع عينيه!

انتظرت و انتظرت... و لكن وليد لم يجب ! بل تنحنح قليلا ثم أراد الانصراف...

وليد ! أجبني فوراً ... إياك أن تهرب...

"بعد إذنك"

و استدار منصرفاً...

لن تهرب يا وليد!

قلت باندفاع و عصبية:

"أجبني"

وليد استدار إلي في ضيق... و كان وجهه شديد الاحمرار... و الحنق...

قلت:

"لماذا لا ترد؟؟ قل أنها كذلك... فحتى الأعمى يستطيع أن يرى هذا"

"رغد برّبك... ما الذي تهذين به؟ أي جنون!؟"

و أولاني ظهره و ولى منصرفاً بسرعة... تبعه صوتي و أنا أقول بغضب:

"لا تحلم بأن أنسجم معها ذات يوم... لا تحلم أبداً!"

و كالعادة كانت العشاء لذيذاً جداً قد أَرْضَى الضيوف و نال إعجابهم...

"سلمت يداها...أكلتُ كثيراً هذه الليلة"

قال سيف و هو يحتسي الشاي عقب انتهائنا من وجبة العشاء...

قلت بسرور:

"سلمك الله... بالهناء و العافية يا عزيزي"

قال مازحا:

"و أنا من كان يتساءل ما سر هذه العضلات التي نبتت و تضخمت بشكل سريع و على ذراعيك !
تبدو أكثر ضخامة كلما التقينا يا رجل " !

ضحكت لتعليق سيف المرح... حقيقة هي أنني خلال العام المنصرم ربحت عدة كيلوجرامات!

قلت:

"لكني كنت أكثر قوة و أنا أعمل في المزرعة... و أبذل مجهودا عضليا كل يوم"
و لاحظت في مخيلتي صورة المزرعة و أشجارها و ثمارها... و العم إلياس... و شعرت بالحنين إليهم...

قال سيف:

"ماذا بشأن المزرعة ؟ ماذا ستفعلون بها ؟"

قلت:

"كما هي يا سيف... فالعائلة متعلقة بها جدا و لا يمكنهم التفريط فيها... و ها أنا أتنقل بينها و بين
المصنع في عناء"

قال:

"و لكن... يجب أن تستقرا يا وليد ! ماذا ستفعل بعد زواجك ؟"

أخذت أحك شعري في حيرة...

"خطيبتني تريد العودة إلى المزرعة و الاستقرار فيها... و ابنة عمي ترفض العيش فيها تماما... و أنا
في حيرة من أمري... مشلول الفكر " !

تابعت:

"و ليت الخلاف اقتصر على السكن فقط! بل في كل شيء يا سيف... كل شيء و أي شيء! إنني أعود من العمل مشحونا بالصداع فتستلماني و تشقان رأسي نصفين!"

و وضعت طرف يدي على هامتي كما السيف ...

سيف ابتسم... و قال:

"إنهن النساء!"

قلت:

"الجمع بينهما في بيت واحد هو ضرب من الجنون... و الصغيرة صعبة الإرضاء و متقلبة المزاج... و أخشى أن أتحدّث معها فتظن أنني ضقت ذرعا برعايتها... و يُجرح شعورها..."

لم يعلق سيف ... تابعت:

"أنا حائر يا سيف... لا أريد لأي شيء عظيمًا كان أم تافها أن يعكّر صفو حياتها.. و وجود أروى يثير توترها... و لا يمكنني إرسال أروى و أمها إلى المزرعة و العيش مع رغد هنا وحدنا!"

قال سيف مباشرة:

"صعب!"

"بل مستحيل!"

قال مقترحًا:

"و لماذا لا تدعها مع خالتها كما فعلت سابقًا يا وليد؟"

قلت و أنا أهز رأسي:

"أبدا يا سيف... لا يمكنها الاستغناء عن وجودي و قربي " ...

سيف نظر متشككا ثم قال:

"أو... ربما العكس " !

حملقنا في بعضنا البعض قليلا... و شعرت بابتسامة حمراء تشق طريقها بين شفتي!

سيف قال مازحا:

"وليد الضخم... بطوله و عرضه و عضلاته المفتولة... تشل تفكيره فتاة صغيرة؟!"

ابتسمت و أنا أقول:

" و ليست أي فتاة " !

و بدا الجد على وجه سيف و قال:

"فكر في الأمر مليا يا وليد... الشرارة و البنزين لا يجتمعان في مكان واحد " !

كان سيف محقا فيما يرمي إليه ...

قلت مغيرا الموضوع مباشرة:

"هل قابلت السيد أسامة ؟ ماذا قرر؟"

ابتسم سيف و قال:

"هنيئا لك ! لقد كسبت حب و تقدير هذا الرجل و لذلك وافق على العمل معك " !

أطلقت صيحة فرح و هتفت:

"آه ... وافق أخيرا ! الحمد لله ! شكرا لك يا سيف"

و كنت قد طلبت من سيف مساعدتي في محاولة إقناعه بالعودة للعمل معي... فقد كنت بحاجة ماسة للمعونة من رجل يمثل خبرته و أمانته... و هذا الخبر أبهجني كثيرا تلك الليلة...
و لم أدرك أنني سأدفع ثمن بهجتي هذه ... عاجلا جدا!

~~~~~

احتراما لضيقتنا، تظاهرت بالسرور و أخفيت كل الغضب في داخلي... و شاركت الجميع طعام العشاء الذي أعدته الشقراء و أمها... و كانتا المسؤولتين عن الطهي و شؤون المطبخ... تساعدهما خادمة وظيفها وليد منذ فترة...

كانت الشقراء ترتدي بلوزة جميلة عارية الكمين و الكتفين ... و تتزين بعقد ثمين من اللؤلؤ اشترته مؤخرا... و تلون وجهها الأبيض ببعض المساحيق... و تبدو في غاية الجمال و الأناقة... و لا بد أنها أثارَت إعجاب ضيقتنا و أبهرتها في كل شيء...

و بعد خروج الضيوف ذهبَت هي و بكامل زينتها و مباشرة إلى حيث كان وليد...  
أما أنا فصعدت إلى غرفتي لاستبدل ملابسِي...

نظرت إلى نفسي عبر المرآة و تخيلت صورتها إلى جوارِي فشعرت بالحنق و الغيظ... و رغبت في تمزيقها...

لم استطع تجاهل صورتها و هي تعيّرني بأنني أعيش عالة على ثروتها... ولم أتحمّل تخيلها و هي تجلس هكذا قرب وليد...

تملّكتني رغبة ملحة في الذهاب إلى وليد و إخباره عما قالت في الحال... و وضع حد نهائي لحالتي البائسة معها...

فتحت خزانتي و استخرجت جميع المجوهرات التي أنقذتها من حطام بيتنا المحروق... مجوهراتنا أنا و دانة و أمي رحمها الله... و أخذت أتأملها و أشعر بالألم... فهي كل ما تبقى لي... و لم أتصور أنني سأفرط فيها ذات يوم...

جمعتها كلها في علبتين كبيرتين و وضعتهما في كيس بالإضافة إلى البطاقة المصرفية التي منحني إياها وليد و كذلك الهاتف المحمول...

حملت الكيس و خرجت من غرفتي سعيا إلى وليد فوصلني صوت ضحكاته هو و الشقراء... ترن في أنحاء المنزل!!

كدت أصفح الكيس بأحد الجدران و أحطم محتوياته غيظا ...

ذهبت إلى غرفة الجلوس ... مصدر الضحكات... و كان الباب مفتوحا و من خلاله رأيت ما زلني...

كان وليد شبه مستلقٍ على المقعد و أروى الحسناء تجلس ملتصقة به... تمد إحدى يديها فوق كتفه و تطعمه المكسرات بيدها الأخرى....

كانا يشاهدان التلفاز و يبدو على وليد المرح و البهجة الشديدين... و هو يمزغ المكسرات... حينما رأياني ابتسم وليد و جلس معتدلا بينما أشاحت هي بوجهها عني...

"تعالى رعد"

قال مرحباً ... و الدماء الحمراء تتدفق إلى وجهه ...

"هذه المسرحية مضحكة جدا" !

وقفت كالتمثال غير مستوعبة بعد للقطعة الحميمة التي رأيتهما تجمعهما سوية... أما النار فكانت تتأجج في صدري حتى أحرقتة و فحمتة...

لم أتحرّك و لم أتكلّم... و ربما حتى لم أتنفس... فأنا لا أشعر بأي هواء يدخل صدري ...

تبادل وليد و أروى النظرات و من ثم نظرا إلى الكيس...

قال وليد:

"أهناك شيء؟"

أردت أن أخنق صوته... أقتل ضحكاته... أكسر فكّه الذي يمزغ المكسرات... أن أصفعه... أن أضربه... أن أمزقه بأظفري...

تبا لك يا وليد!

قلت باقتضاب:

"أريد التحدث معك"

قال مباشرة وقد زال المرح و حلت أمارات الجد على وجهه العريض:

"خير؟ تفضلي؟"

و الدخيلة لم تتحرك! لا تزال جالسة ملتصقة بوليد تقضم المكسرات...  
إنني أوشك على ركلها بقدمي غيظا...

قال وليد:

"ما الأمر؟"

تقدّمت نحوه... والغضب يغلي في داخلي و رميت إليه بالكيس بعنف... و لو لم أتمالك نفسي لربما  
رميت به على أنفه و هشّمته من جديد...

الكيس استقر تحت قدميه... فنظر إليه بتعجب و سأل:

"ما هذا؟"

قلت بانفعال:

"مجوهراتي"

ازداد تعجب وليد فقلت موضحة:

"أعرف أنها لن تعطي كل ما أنفقته عليّ منذ رحيل والدينا... لكن... هذا كل ما أملك"

قبل ثوان كان وليد مسترخ على المقعد و الآن أصبح على أهبة النهوض!

"ماذا تعنين يا رغد؟"

قلت بعصبية:

"خذها...حتى لا يعيرني الآخرون بأنني عالة على ثروتهم"

و رميت أروى بقنبلة شرر من عيني...و وليت هاربة...

ربما ارتطمت بجدار... أو تعثرت بعتبة... أو انزلقت أرضا... لم أكن أرى الطريق أمامي...لم أكن

أرى غير اللقطة الحميمة تجمع بين الحبيبين...

وليد لحق بي و استوقفني و أنا عند أصعد عتبات الدرج و هو يقول بحدة:

"انتظري يا رغد... افهميني ما الذي تعنيه؟"

استدرت إليه فرأيت أروى مقبلة خلفه نظرت إليهما بحدة ثم حملقت في أروى و قلت بعصبية:

"اسألها"

وليد استدار إلى أروى ثم إلي ثم إليها و سأل بحيرة:

"ما الذي حدث؟ افهماني؟"

قلت:

"بقي فقط ثمن التذكرة... و سأطلب من خالتي دفعها إليك حالما توصلني إليها... و الآن هل لا أعدتني إلى خالتي؟"

زمجر وليد بانزعاج:

"ما الذي تقصدينه يا رغد؟؟ أنا لم أفهم شيئاً... هل لا شرح لي أحد ماذا يحدث؟"

و التفت نحو أروى...

أروى قالت:

"أنا لم أعنِ شيئاً مما فهمت"

تقصدني بذلك، فأفلتت أعصابي و صرخت:

"بل تعنين يا أروى... إنك تعيريني لعيشي عائلة متطفلة على ابن عمي... لكن اعلمي أنه من أجبرني على الحضور معه... و لو كان لدي أبوان أو أهل أو حتى بيت يؤويني ما اضطرني القدر للمكوث معك أنتِ تحت سقف واحد"

بدا الذهول طاغيا على الأعين الأربع التي كانت تحدق بي... ذهول أجم لسانيهما عن النطق مباشرة...

"لكنهما ماتا... وبيتي احترق... و لم يتبقَ لي شيء غير هذه الحلبي... خذاها و دعاني أرحل بكرامتي..."

وليد قال منفعلا:

"ماذا أصابك يا رغد؟ هل جننت؟"

قلت بعصبية أكبر:

"أرجوك... أعدني إلى خالتي... إن كانت كرامتي تهتك في شيء"

"أي كرامة و أي جنون...؟؟"

و التفتت إلى أروى بغضب:

"ماذا قلت لها؟"

أروى قالت مدافعة مهاجمة في آن معا:

"لاشيء... طلبت منها أن تحترمني... عوضا عن رسمي بتلك الصورة المهينة"...

وليد كرر بغضب و عصبية:

"ماذا قلت لها يا أروى؟؟ تكلمي؟"

قالت أروى:

"الحقيقة يا وليد... فهي تعيش على ثروتي و عنائك... و لا تقدر و لا تحترم أيا منا"

دار وليد دورة حول نفسه من شدة الغضب و لم يعرف ما يقول... رأيت وجهه يتقد احمرارا و أوداجه تنتفخ و صدره يزفر الهواء بعنف...

ضرب سياج الدرج بقبضته بقوة و صرخ بغضب:

"كيف تفعلين هذا يا أروى؟"

قالت أروى بانفلات أعصاب:



"إن كان يرضيك ذلك فأنا لا يرضيني... و إن كنت تتحمّلها لكونها ابنة عمك فما ذنبي أنا لأتحمل الإحسان إلى و الإهانة من فتاة ناكرة الجميل؟"

هيجتني جملتها أكثر و أكثر و أثارت جنون جنوني... و صرخت بتهوّر:

"أنا لا انتظر الإحسان من أحد... وليد ينفق علي لأنه الوصي عليّ و المسؤول عن مصروفاتي... و هو من اختار كفالتني بعد عمي... ألا ترين أنني يتيمة و بلا معيل؟ أنا أهلي لم يتركوا لي إرثا عندما ماتوا جميعا... مثل عمك... و هذه الثروة التي تعيريني بها... وليد هو الأحق بها منك أنت و من أي إنسان آخر في هذا الكون"

و توقفت لألتقط بعض أنفاسي... ثم قلت موجهة خطابي لوليد:

"أخبرها بأنها من حقك أنت"

وليد هتف بانفعال:

"رغد" !

قلت بإصرار:

"أخبرها"

صرخ وليد:

"يكفي يا رغد"

التفت أنا إلى أروى المذهولة بكلامي و أعلنت دون تردد:

"إنها لن تعوّض ثمن السنوات الثماني التي قضتها في السجن حبيسا مع الأوغاد... بسبب ابن عمك الحقيق الجبان"

"رغد"

انطلقت صرخة من وليد... ربما كان هي المعول الذي كسر السد ...  
انجرف كلامي كالسيل العارم يأبى الوقوف عند أي شيء ...

"و بعد كل الذي سببه الحقير لي... و لابن عمي... تأتين أنتِ لتعكري صفو ما تبقى من حياتي...  
ألا يكفي ما ضاع منها حتى الآن؟؟ ألا يكفي ما عنيته و أعانيه حتى اليوم؟؟ أنا أكرهك يا أروى ...  
أكرهك و أتمنى أن تختفي من حياتي... أكرهك ... أكرهك ... ألا تفهمين؟؟"

رميت الاثنين بنظرة أخيرة ملؤها الغضب... أروى مستندة إلى الحائط في زهول رهيب... أشبه بلوحة  
مذعورة... و وليد عند أسفل عتبات الدرج تتملكه الدهشة و المفاجأة...

"لماذا تجبرني على العيش معها يا وليد؟؟ لماذا؟؟... إن كنت تحبها فأنا أكرهها... و أكرهك أنت  
أيضا... و لا أريد العيش معكما... أنتما تتعسان حياتي... أكرهكما سوية... أعدني لخالتي... أعدني  
لخالتي... يا بليد..."

فجرت هذه الجملة و انطلقت مسرعة نحو غرفتي  
الحلقة الأربعون \* \*

~مُفترق الطرق~

وقفتُ عند أسفل عتبات السلم... مأخوذاً بهول ما سمعتُ... مشلول الإرادة...  
اختفتُ رغد بعدما صرختُ في وجهي ( أكرهك يا بليد )  
إن أذني لم تسمعا... إنما هو قلبي الذي اهتز بعنف بعد الصدمة...

التفتُ إلى الورااء بجهد فرأيتُ أروى تقف ملتصقة بالجدار محمقة بي تكاد بنظراتها تثقبُ عينيَّ فيما  
تعبيرات الذهول طاغية على وجهها الملون...

كانتُ أمسية جميلة و قد استمتعتُ فيها مع سيف و طفله... ثم سهرتُ مع أروى نشاهد مسرحية  
فكاهية رائعة... كان كل شيء رائعا قبل قليل...

لماذا يا رغد ؟

لماذا؟؟

"وليد"

الحروف خرجتُ متقطعة من فم أروى المصعوقة بما سمعتُ... و بالتأكيد تريد الآن أن تسمع من  
جديد...

"وليد...وليد... ماذا قالتُ رغد؟؟"

ركّزتُ نظري في أروى ... و لم أرد...

أروى اقتربتُ مني خطوة بعد خطوة ببطء ... كأن قدميها قد ثقلتا فجأة و ما عادتُ بقادرة على رفعهما  
و لما صارتُ أمامي أبعدتُ نظري عن عينيها... فقد كانتُ نظراتها قوية جدا... و مركزة جدا إلا أنها  
سرعان ما مدّتُ يدها إلي و سألتُ:

"وليد ... أنتَ ... أنتَ ... من ... قتل عمّار؟؟"

سماع اسمه أجبر عينيَّ على العودة فورا إلى عينيها المذهولتين

"وليد...؟؟ أنت!!...!!"

أجبتُ أخيرا:

"نعم ... أنا من قتل عمار القذر... ابن عمك"

أروى رفعتُ يدها بعيدا ثم وضعتها على فمها و شهقتُ بقوة.. و تجمّدتُ اللحظة ساعة أو عاما أو حتى قرنا من الزمان...

لم أحس إلا بقطرات العرق تسيل على جسمي... و بالحرارة تنبعثُ منه...  
و لم استطع تحرير بصري من قيد عينيها...  
بدأتُ الآن تهزّ رأسها في عدم تصديق و دهشة ما مثلها دهشة...

"لا ... لا أصدّق ! وليد!"

و التقطتُ بعض أنفاسها و تابعتُ:

"كل... هذا الوقت... و أنتَ ... تخفي عني؟؟ لا أصدّق!"

و مرّة أخرى حرّكتُ يدها نحوي و أمسكتُ بكتفي

"غير صحيح ! وليد أنتَ ... تمزح"

قلتُ بحزم:

"قتلته و دخلتُ السجن... و لستُ نادما... هذه هي الحقيقة... هل عرفتِ الآن؟"

ابتعدتُ أروى عني و هي تهتفُ:

"لا ... لا" ...

ثم توقفتُ فجأة و استدارتُ إليّ و قالتُ:

"لماذا؟؟ لماذا قتلته؟"

قلتُ مباشرة:

"لأنه يستحق الموت... الحيوان... القدر... الحقيير" ...

عادتُ تسأل مندهشةً مبحوحة الصوت:

"لماذا؟"

جوابي كان بضربةٍ سددها إلى سياج السلم الخشبي كدتُ معها أن أخطئه...

أروى كررتُ:

"لماذا؟ أخبرني"

و لما لم أجبها أقبلتُ نحوي مجدداً و أمسكتُ بذراعيّ الاثنتين و هتفتُ:

"أخبرني لماذا؟؟ لماذا؟؟؟"

صرختُ بانفعال:

"لأنه حيوان... ألا تعرفين معنى حيوان؟؟"

أروى تهزُّ رأسها و تقول:

"ماذا تخفي عني يا وليد؟؟ قل لي؟؟ لماذا أخفيتَ هذا عني؟؟ لماذا لم تخبرني لماذا؟"

و بدأتُ دموعها بالانهيار...

شعرتُ بأني أختنق... الهواء من حولي لم يكن كافياً لملء رئتي... أبعدتُ يديها عني و أوليتها ظهري

و سرتُ متجهاً نحو مدخل المنزل...

نادتني أروى:

"إلى أين تذهب؟؟ لا تدعني هكذا يا وليد... قل لي ما الذي تخفيه عني؟؟"

لم أجبها فقد كنتُ من الضيق و الغضب ما يكفي لأن أدمّر مدينة بكاملها...

"وليد إلى أين؟"

صرختُ:

"دعيني و شأني يا أروى"

و أسرعْتُ نحو الباب و غادرتُ المنزل...

الساعة آنذاك كانتُ منتصف الليل... و لم أكن لأغادر المنزل في مثل هذا الوقت لو أن الضيق لم يصل

بي إلى حد الاختناق...

كنتُ أريد أن أهدأ بعيدا...

أعيد عرض الشريط و أركز فيما حصل...

استوعب الحدث و أفكر فيه...

توجهتُ نحو البحر... أرفس رماله و أرحم أمواجه إلى أن أفرغتُ ما في صدري من ثورة في قلبه... و لو

كان يتكلم لصرخ صرخة تصدعتُ لها كواكب المجرة من فرط الألم...

و كإنسانٍ مجردٍ من أي اعتبارات... على سجيته و فطرته... أطلقتُ العنان لدموعي... و بكيتُ

بألم...

تفقدتُ ساعتني فلم أجدها و تحسستُ جيوبني بحثا عن هاتفي فلم أعثر سوى على سلسلة مفاتيحي...

السلسلة التي أهدتني إياها رغد ليلة العيد...

لا أدري كم من الوقت مضى و لكنني لمحتُ أول خيوط الفجر يتسلل عبر عباءة السماء...

عندما وصلتُ إلى المنزل... وجدتهُ يغط في سكون مخيف...

أردتُ أن أتفقد الفتاتين... وجدتُ أروى نائمة في غرفتها و قد تركتُ الباب مفتوحا و المصابيح مضاءة

فاستنتجتُ أنها نامتُ بينما كانتُ تنتظر عودتي...

توجهتُ نحو غرفتي و توقفتُ عند الجدار الفاصل بين بابها و باب غرفة رغد

و استعدتُ ذكرى الليلة الماضية و اشتعل الألم في معدتي...

أديت صلاتي ثم ارتميتُ على سريري و عبثا حاولتُ النوم... لم أنم و لا لحظة واحدة  
و عاصرتُ بزوغ الشمس و مراحل سباحتها في كبد السماء ساعةً ساعةً و حمدتُ الله أنه كان يوم  
إجازة و إلا لتغيبتُ عن العمل من شدة التعب...  
لم أفعلُ شيئاً سوى التفكير و التفكير...  
و عند نحو العاشرة و النصف سمعتُ طرقة الباب...

"تفضّل"

لقد كانتُ أروى...  
و على غير العادة لم نبدأ حديثنا بالتحية...

"هل استيقظتَ؟"

سألتني و وجهها يسبح في الحزن...

"بل قولي : هل نمتَ؟"

لم تعلق أروى، ثم قالتُ:

"أيمكننا التحدث الآن؟"

"تفضلي"

و بالطبع تعرفون عم سنتحدث...

"أريد أن أعرف... تفاصيل مقتل عمار... و لم أخفيتَ الحقيقة عني... و ما علاقة كل هذا برغد؟"

تنهدتُ ثم قلتُ:

"هل... سيغير ذلك شيئاً؟"

أروى قالتُ بسرعة:

"بالطبع... سيغير الكثير..."

و لا أدري ما قصدتُ بذلك... ولم يعد يهمني ما قد يحدث... في نظري الآن... لا شيء يستحق الاهتمام...

"حسنا يا أروى... لقد سبق و أن أخبرتكُ بأنني انتظر الوقت المناسب لأطلعكُ على أمر مهم... و لم يعد هناك معنى للصمت بعد الآن"

"إذن... أخبرني بكل شيء..."

تنهّدتُ تنهيدةً مريرة... خرجتُ من صدري عجزوا واهنة لم تجد ما تتكئ عليه... و سرعان ما هوتُ في أعماق الذكريات...

"قبل أكثر من تسع سنوات... قتلتُ عمار... و دخلتُ السجن... و هناك تعرّفتُ إلى والدك... بمحض الصدفة... و قبل وفاته أوصاني بكِ و بأملِك خيراً... و ماتَ و هو لا يعرف أنني... من قتل ابن أخيه أو ربما لا يعرف حتّى... أن ابن أخيه قد قُتل"

كانتُ أروى تصغي إلي باهتمام...

و عندما توقفتُ نظرتُ إلي بتعجب و قالتُ:

"هذا كل شيء؟"

قلتُ بضيق بادٍ:

"نعم"



هزّت رأسها استنكاراً و قالتُ:

"لا تخفي عني شيئاً يا وليد... اخبرني بالحقيقة كاملة"

"ماذا تريدان أن تعرفي؟"

"لماذا قتلتَ عمّار"

التزمتُ الصمت

"لماذا يا وليد؟"

أجبتُ:

"فيم يهّمك ذلك؟"

"بالتأكيد يهمني أن أعرف"

قلتُ:

"لم يكن ذلك يهّمك ... سابقاً"

صوتٌ قليلاً ثم قلتُ:

"أتذكرين؟؟ ارتبطتِ بي و لم تسأليني لِمَ دخلتُ السجن... و من قتلتُ... و لماذا.."

أروى قالتُ:

"لكن... ذلك كان قبل أن أكتشف أن الضحية كان ابن عمّي"

هيجتني الجملة فهتفتُ منفعلاً:

"الضحية؟؟ تقولين عن ذلك الحقيير الضحية؟؟"

حملقتُ أروى بي ثم انطلق لسانها مندفعاً:

"هذا ما يثير جنوني... لماذا تنعته بالحقيير و القذر؟ ماذا فعل؟ ماذا حصل؟ ما الذي كان بينكما؟ و لماذا قتلته؟"

لم أجب...

"وليد أجبني؟"

أشحتُ بوجهي بعيداً... لكنها حاصرتني من كل الجوانب

"لماذا لا تريد أن تجيب يا وليد؟؟ بدايةً... أنا لا أصدق أنك يمكن أن تقتل رجلاً مهما حصل... فلماذا قتلتَ ابن عمِّي؟"

قلتُ منفعلاً:

"لا تشيرني إليه بـ ( ابن عمِّي ) فهذا يثير التقرز يا أروى"

"وليد!"

قلتُ بصبر نافذ:

"اسمعي يا أروى... لا أستطيع أن أفصح عن السبب... لقد قتلته و انتهى الأمر... و لستُ نادماً... و لن أندم يوماً على ذلك..."

ثم استطردتُ:

"أرجوكِ يا أروى... أنا متعب للغاية... هذا يكفي الآن"

الحيرة تملكْتُ أروى ممزوجةً بالفضول الشديد... و أصرتُ على معرفة المزيد لكنني امتنعتُ عن البوح  
بالحقيقة...

فجأة سألتُ:

"هل... تعرف رغدُ ذلك؟"

و ربما للانفعال الذي ظهر على وجهي استنبطتُ هي الجواب دون أن أنطق...

ثم بدا عليها بعض التردد و قالتُ أخيرا:

"و... هل... لثروتي علاقةٌ بذلك؟"

نظرتُ إليها مستغربا و سألتُ:

"ثروتك؟؟ ماذا تعنين؟"

قالت:

"أعني... هل كنتَ تعرف... عن ثروة عمِّي قبل زواجنا؟"

صُعقتُ من سؤالها... و قفتُ فجأة مذهولا كمن لدغته أفعى...

قلتُ:

"ما الذي تقولينه؟؟"

أروى و قفتُ بدورها و أفلتتُ أعصابها منطلقة:

"أنا لا أعرف ما الذي أقوله... لا أعرف كيف أفكر... قبل ساعات اكتشفتُ أن خطيبي هو قاتل ابن  
عمِّي... و أنتَ تخفي عني الحقيقة... و ترفض البوح بشيء... كيف تريدني أن أفكر يا وليد أنا أكاد  
أجن..."

حقيقة لم أر أروى بهذه الحالة من قبل...

قلتُ بعصبية:

"لا علاقة لهذا بزواجنا يا أروى... لا تذهبي بأفكارك إلى الجحيم"

صرختُ:

"إذن قل لي الحقيقة"

"أي حقيقة يا أروى بعد؟؟"

"لماذا قتلتَ عمار و لماذا أخفيتَ الأمر عني؟؟ و لماذا لا تريدني أن أعرف السبب؟"

وضعتُ يدي على جبينني و ضغطت على صدغيّ حائلا دون انفجارهما...

"لماذا يا وليد؟"

صرختُ:

"أرجوك يا أروى... لا تضغطي علي... لا استطيع إخبارك عن الأسباب..."

احمرّ وجه أروى الأبيض غضبا و قالت و هي تهتمّ بالمغادرة:

"سأعرفُ الأسباب... من رغد إذن"

و انطلقتُ نحو الباب

أبعدتُ يدي عن رأسي فجأة و تركتُه ينفجر صداعا قاتلا... و هتفتُ بسرعة:

"أروى انتظري"

لكن أروى كانت قد غادرتُ الغرفة و لالتصاق غرفتي بغرفة رغد سرعان ما مدّت ذراعها و طرقتُ باب رغد و نادتها

أسرعتُ خلفها محاولا منعها

"توقفي يا أروى إِيَّاكِ"

قلتُ ذلك و أنا أبعدُ يدها عن الباب...

"دعني يا وليد... أريد أن أعرف ما تخفيانه عني" ...

جذبتُ أروى بقوة حتى آلتها و صرختُ بوجهها:

"قلتُ توقفي يا أروى ألا يكفي ما فعلته بالأمس؟؟ يكفي"

"أنا؟ ما الذي فعلته؟"

"ما قلتِه لرغد عن ثروتكِ و عما ننفقه من ثروتكِ... و أنتِ تعلمين يا أروى أنني احتفظ بسجل لكل المصروفات... و أنّ ما أعطيها إياه هو من راتبتي أنا و مجهودي أنا" ...

هنا فُتِحَ الباب و أطلتُ منه رغد...

أول ما اصطدمتُ نظراتنا تولّد شرر أعشى عيني...

هل رأيتموه؟؟

حملقنا ببعضنا قليلا... و الطيور على رؤوسنا نحن الثلاثة...

أول ما تكلمتُ رغد قالت بحدة:

"نعم؟ ماذا تريدان؟"

و نقلتُ بصرها بيننا... و لم ننتق لا أنا و لا أروى...

قالتُ رغد:

"من طرق بابي؟"

هنا أجابتُ أروى:

"أنا"

سألتُ رغد بغضب:

"ماذا تريدان؟"

أروى ترددتُ ثوانٍ لكنها قالت:

"سأسألك سؤالاً واحداً"

هنا هتفتُ رادعا بغضب:

"أروى... قلتُ كلا"

التفتتُ إليّ أروى محتجةً:

"و لكن يا وليد"

فصرختُ مباشرةً و بصرامة:

"قلتُ كلا... ألا تسمعين؟"

ابتلعتُ أروى سؤالها و غيظها و أشاحتُ بوجهها و انصرفتُ من فورها...  
لم يبقَ إلا أنا و رغد... و بضع بوصات تفصل فيما بيننا... و شريط البارحة يُعرض في مخيلتنا...

عيوننا متعانقة و أنفاسنا مكتومة...  
تراجعت رغد للخلف و همّت بإغلاق الباب...

"انتظري"

استوقفتها... لم أكن أريدها أن تبتعد قبل أن أرتاح و لو قليلا...

"ماذا تريد؟"

سألتني فقلت بلطفٍ و رجاء:

"أن نتحدّث قليلا"

فردتُ بحدة و جفاء:

"لا أريد التحدّث معك... دعني و شأنني"

و دخلتُ الغرفة و أغلقتُ الباب بهدوء... لكنني شعرتُ به يصفع على وجهي و أكاد أجزم بأن الدماء  
تغرق أنفي...

جلستُ في الصالة مستسلما لتلاعب الأفكار برأسي تلاعب المضرب بكرة التنس... بعد ذلك رغبتُ في  
بعض الشاي علّه يخفف شيئاً من صداع رأسي...

هبطتُ إلى الطابق السفلي و إلى المطبخ حيث وجدتُ أروى و خالتي تجلسان بوجوم حول المائدة...  
حييتُ خالتي و شرعتُ بغلي بعض الماء...

"وليد"

التفتُ إلى أروى... التي نادتنني و رأيتُ في وجهها تعبيرات الجد و الغضب...

"أريدُ العود إلى المزرعة"

حملتُ في أروى غير مستوعبٍ لجملتها الأخيرة هذه... سألتُ:

"ماذا؟"

أجابت بحزم:

"أريد العودة إلى المزرعة... و فوراً"

التفت إلى خالتي فهربت بعينيها إلى الأرض... عدتُ إلى أروى فوجدتها تنتظر جوابي

قلتُ:

"ماذا تقولين؟"

"ما سمعتَ يا وليد... فهل لا دبّرت أمر عودتنا أنا و أمي الآن؟؟ و إذا لم تستطع مرافقتنا فلا تقلق.

نستطيع تدبير أمورنا في المطار و الطائرة"

عدتُ أنظر إلى خالتي فرأيتهُ لا تزال محمقة في الأرض...

"خالتي" ...

التفتت إلي فسألتُ:

"هل تسمعين ما أسمع؟"

الخالة تنهدت قليلاً ثم قالتُ:

"نعم يا بني. دعنا نعود لأرضنا فقد طال بعدنا و أضنانا الحنين"

أدركتُ أن الأمر قد تمت مناقشته و الاتفاق عليه من قبلهما مسبقاً... عدتُ أكلم أروى:

"ما هذا القرار المفاجئ يا أروى... غير ممكن... تعلمين ذلك"



أروى قالت بحدة:

"أرجوك يا وليد... لست أناقش معك تأييدك من عدمه... أنا فقط أعلمك عن قراري و أريد منك شراء التذاكر..."

"أروى" !!

"و هذا قرار نهائي و لا تحاول ثنيي عنه...رجاءً يا وليد احترم رغبتني..."

و عبثا حاولتُ ... و باءتُ محاولاتي بالفشل... و أصرتُ أروى و أمها على العودة إلى المزرعة و بأسرع ما يمكن...

تركتُ الماء يغلي و يتبخر و ربما يحرق الإبريق... و خرجتُ من المنزل... لم يكن لدي هدف و لكنني أرت الابتعاد قبل إثارة شجار جديد...

حاولتُ إعادة تنظيم أفكاري و حلولي فأصابني الإعياء من كثرة التفكير... عندما عدتُ وقت زوال الشمس... كانتُ أروى و خالتي قد حزمنا أغراضهما في الحقائب ...

"بالله عليك يا أروى... تعلمين أنه لا يمكنكما السفر..."

قالت:

"لماذا؟"

قلتُ:

"تعرفين لماذا... لا يمكن أن... نبقى أنا و رغد بمفردنا"

و كأن كلامي هذا أشعل الجمر في وجهها... إنني لم أر أروى غاضبة بهذا الشكل من ذي قبل ...

"من أجل رغد؟ لقد انتهينا يا وليد... أنا لم يعد يهمني ما تفعله و ما لا تفعله من أجل رغد... دبر أمورها بعيدا عني... لا علاقة لي بهذه الفتاة من الآن فصاعدا"

و تركتني و غادرتُ المكان...

وقفتُ حائراً غير قادر على التصرف... خاطبتني خالتي آنذاك:

" دعنا نذهب يا بني فهذا خيرٌ لنا "

قلتُ معترضاً:

" كيف تقولين ذلك يا خالتي؟؟ تعرفين أن رغد تدرس في الكلية و لا يمكنني العودة بها إلى المزرعة و لا البقاء معها هنا وحيدين... أرجوك يا خالتي قدرتي موقفي... أرجوك ... اقنعي أروى بتغيير قرارها المفاجئ هذا "

لكن خالتي هزت رأسها سلباً... و قالتُ:

" ابنتي متعبة يا وليد... لقد لقيتُ منك و من ابنة عمك الكثير... رغم كل ما تفعله من أجلك... أنت صدمتها بقوة... و صدمتني كذلك... دعنا نعود إلى مزرعتنا نتنفس الصعداء... يرحمك الله "

لم أجرؤ على إطالة النظر في عينيها أكثر من ذلك... و لم أجسر على قول شيء... شعرتُ بالخجل من نفسي و أنا أقف حاملاً ذنبي الكبير... أمام كل ما فعلته عائلة نديم لي عبر كل تلك الشهور... كم أشعر بأنني خذلتهم... و صدمتهم... لكن ...

ألم يكونوا يعرفون بأنني قاتل مجرم خريج سجون؟؟

هل يفرق الأمر فيما لو قتلتُ عمار عما لو قتلتُ غيره؟؟

هل كان علي أن... أبوح بسري إلى أروى منذ البداية؟؟

كان يوماً من أسوأ أيام حياتي... حاولتُ النوم من جديد بلا جدوى... و حاولتُ الذهاب إلى رغد و لم أجرؤ... و حاولتُ التحدث مع أروى فصدتني...

قبل غروب الشمس، ذهبْتُ إلى أحد مكاتب شركة الطيران و حجزتُ أربعة تذاكر سفر إلى الشمال...

عدتُ بعد صلاة العشاء حاملاً معي طعاماً جلبتُه من أحد المطاعم...

كنتُ أشعر بالجوع و التعب و آخر ما أكلته كان بعض المكسرات ليلة أمس... كما و أن أروى لم تعد أي وجبة هذا اليوم...

"أحضرتُ أقراص البييتزا لنا جميعا... دعونا نتناولها فلا بد أنكما جائعتان مثلي"

قلتُ ذلك و أنا أضع العلب الأربع على المنضدة في غرفة المعيشة، حيث كانت أروى و الخالة تجلسان و تشاهدان التلفاز...

الخالة ابتسمتُ ابتسامة سطحية أما أروى فلم تتحرك... فتحتُ علبتي و اقتطعتُ قطعة من البييتزا الساخنة و قضمْتُها بشهية...

"لذيذة... تعالي يا أروى خذي حصّتك"

و مددتُ باتجاهها إحدى العلب... أروى لم تتحرك... فقلتُ مشجعا:

"إنها لذيذة بالفعل"

أتدرون بم ردّت؟

"خذها لابنة عمك... لا بد أنها الآن تتضور جوعا و هي حبيسة غرفتها منذ البارحة"

فوجئتُ و اغتظتُ من ردّها... و ما كان منّي إلا أن وضعتُ العلبة على المنضدة مجددا و أعدتُ قطعتي إلى علبتها كذلك...

الجو غدا مشحونا... و حاولتُ خالتي تلطيفه فأقبلتُ نحوي و أخذتُ إحدى العلب... و وضعتها بينها و بين أروى و بدأتُ بالأكل...

أما أروى فلم تلمسها...

حملتُ العلبة الثالثة و قلتُ و أنا أغادر الغرفة:

"نعم... سأخذها إليها"

ولا أدري بم تحدثتا بعد انصرافي...

حالما طرقتُ باب رغد و تحدثتُ إليها:

أحضرتُ لكِ قرص بيتزا... تفضلي"

ردتُ علي:

"لا أريد منك شيئاً..."

امتصتُ ردها المرغماً عني، و أجبرتُ لساني على الكلام:

"لماذا يا رغد؟ إلى متى ستصومين؟ هل تريدين الموت جوعاً؟"

و ردتُ علي:

"أكرم لي من الأكل من ثروة الغرباء"

استفزني ردها فطرقتُ الباب بانفعال و أنا أقول:

"ما الذي تقولينه يا رغد؟ افتحي الباب و دعينا نتحدّث"

لكنها صاحتُ:

"دعني و شأنني"

فما كان منّي إلا الانسحاب... مكسور الخاطر...

استلقيتُ على أريكة في الصالة العلوية... وسط الظلام... لا أرى إلا السواد يلون طريقي و عيني و

أفكاري...

و مرت الساعة بعد الساعة... و الأرق يأكل رأسي... و الإجهاد يمزق بدني و الجوع يعصر معدتي... و يهيج قرحتي... و لم يغمض لي جفن أو يهدأ لي بال...

بعد سكون طويل سمعتُ صوت أحد الأبواب ينفتح...  
لا بد أنها رغد... إذ أن أروى و الخالة تنامان في غرفتين من الناحية الأخرى من المنزل، بعيدتين عن الصالة و عن غرفتي أنا و رغد...  
أصغيتُ السمع جيدا... شعرتُ بحركة ما... فقمْتُ و حثتُ الخطى نحو غرفة رغد...  
رأيتُ الباب مفتوحا و يبدو أنها قد غادرتُ قبل ثوان...

وقفتُ عند الباب منتظرا عودتها... و أنا بالكاد أحملُ جسدي على رجلي... و استندُ إلى الجدار الفاصل فيما بين غرفتي ليمنحني بعض الدعم...  
كنتُ بحاجة لأن أراها و أكلّمها و لو كلمة واحدة... علّ عيناى تأذنان بإسدال جفونهما...  
بعد قليل أقبلتُ رغد...

و انتفضتُ حالما رأته... و كذلك أنا... تشابكتُ نظراتنا بسرعة... و انفكتُ بسرعة!

رغد كانتُ تحمل قارورة مياه معدنية... و كانت ترتدي ملابس النوم... و بدون حجاب...

أبعدتُ نظري عنها بتوتر و أنا أتنحنح و أستديرُ نحو باب غرفتي و افتحه و أخطو إلى الداخل... على عجل... و من ثم أغلق الباب... بل و أوصده بالمفتاح!

وقفتُ خلف الباب لبعض الوقت... أتصبّب عرقا و اضطرب نفسا و أتزايد نبضا... و أشدّ و أرخي عضلات فكي في توتر... حتى سمعتُ باب غرفة رغد ينغلق...  
و نظرتُ إلى الجدار الفاصل بين غرفتي... و اعتقد... إن لم يكن السهر قد أودى بعقلي... أنني رأيتُ رغد من خلاله!

إنني أراها و أشعر بحركاتها... و أحس بالحرارة المنبعثة منها أيضا!

مرت دقائق أخرى و أنا لا أزال أشعر بها موجودة حولي... أكادُ أجن... من أجل التحدث معها و الاطمئنان عليها... و لو لدقيقة واحدة...

و لم أستطع تجاهل هذا الشعور...  
فتحتُ بابي و خطوتُ نحو بابها و قبل أن يتغلب علي ترددي طرقته بخفة...

"رغد" ...

لم اسمع الجواب... لكنني متأكد من أنها لم تنم...

عدتُ و طرقته من جديد:

"رغد" ...

و سمعتُ صوتها يجيبني على مقربة... بل إنني كدت ألمسه ! أظنها كانت تهمسُ في الباب مباشرة !

"نعم؟"

ارتبكتُ و تعثرتُ الكلمات على لساني...

"أأ... إممم ... هل أنتِ نائمة ؟ أعني مستيقظة ؟"

"نعم"

"هل... استطيع التحدث معك؟"

لم تجب رغد... فحدقتُ النظر إلى الموضع الذي يصدر منه صوتها عبر الباب مفتشا عن كلامها!

أعرف... لن تصدقوني !

لكنني رأيته أيضا...

"ماذا تريد؟؟"

أجبتُ بصوتٍ أجش:

"أن أتحدّث معك... قليلا فقط"

و لم ترد... قلتُ:

"أرجوكِ رعد... قليلا فقط"

و لم تجب... فكررتُ بنبرة شديدة الرجاء و اللطف:

"أرجوكِ" ...

بعد ثوان انفتح الباب ببطء...

كانتُ صغيرتي تنظرُ إلى الأرض و تتحاشى عيني... أما أنا فكنتُ أفتش عن أشياء كثيرة في عينيها...  
عن أجوبة لعشرات الأسئلة التي تنخرُ دماغي منذ الأمس...  
عن شيءٍ يطمئنني و يسكنّ التهيج في صدري...  
و يمحو كلماتها القاسية ( أكرهك يا بليد ) من أذني....

"أنا آسف صغيرتي و لكن... أود الاطمئنان عليك"

ألقتُ رعد عليّ نظرة خاطفة و عادتُ تخبّي بصرها تحت الأرض...

"هل أنتِ بخير؟"

أومأتُ إيجابا... فشعرتُ ببعضٍ من راحةٍ ... ما كان أحوجني إليها ...

"هل... يمكننا الجلوس و التحدث قليلا؟"

رفعتُ نظرها إليّ مستغربة، فهو ليس بالوقت المناسب للحديث ... و كنتُ أدرك ذلك، لكنني كنتُ  
غاية في الأرق و انشغال البال و لن يجد النوم لعيني سبيلا قبل أن أتحدث معها...

"أرجوكِ... فأنا متعب... و أريد أن أرتاح قليلا... أرجوكِ"

ربما خرج رجائي عميقا أقرب إلى التوسل... كما خرج صوتي ضعيفا أقرب إلى الهمس... و تفهّمتُ  
رغد ذلك و فسحتُ لي المجال للدخول...

توجهتُ مباشرة إلى الكرسي عند المكتب و جلستُ عليه... و أشرتُ إليها:

"اجلسي رغد"

فجلستُ هي على طرف السرير...

حاولتُ تنظيم أفكارني و انتقاء الكلمات و الجمل المناسبة و لكن حالتي تلك الساعة لم تكن كأني  
حالة ...

لمحتُ قارورة الماء نصف فارغة موضوعة على المكتب إلى جوارني ...

"رغد... ألا تشعرين بالجوع؟"

سرعان ما نظرتُ إليّ تعلوها الدهشة!

فهو ليس بالموضوع الذي يتوقع المرء أن يدور نقاشٌ طارئٌ في منتصف الليل حوله!

قلتُ بحنان:

"يجب أن تأكلي شيئا قبل أن تنامي" ...

عقبّتُ هي باندھاش:

"أهذا كل شيء؟؟"

تأوهتُ و قلتُ:

"لا و لكن... أنتِ لم تأكلي شيئا منذ ليلتين و أخشى أن يصيبك الإعياء يا رغد"

لم تتجاوب معي... فأدرتُ الحديث إلى جهة أخرى...



"رغد... مهما كان ما قالته أروى... أو مهما كان شعورك نحوها... أو حتى نحوي... لا تجعلني ذلك  
يزعزع من ثقتك... بأن... بأن..."

و تعلقتُ الكلمات على طرف لساني برهة شعرتُ فيها بالشلل... ثم أتممتُ جملتي بصوت أجش...  
"بأنك... كما كنت... و كما ستظلين دائما... صغيرتي التي... التي..."

و تنهدتُ بمرارة...

"التي... أحبُّ أن أرهاها و أهتم بجميع شؤونها مهما كانت..."

نظرتُ إلي بتمعن و اهتمام... و لكنها لم تعلق...

أضفتُ:

"و كل ما أملك يا رغد... قلّ أم أكثر... هو ملكك أنتِ أيضا و تحت تصرفك... يا رغد... أنا لا  
أخذ شيئا من ثروة أروى... إنما استلم راتبا كأى موظف... إنني احتل منصب المدير كما تعلمين... و  
دخلتي كبير... فلا تظني بأنني أحصل على المال دون عناء أو دون عمل..."

رغد قالت فجأة:

"بل أنا من... يحصل عليه دون عناء و دون عمل... و دون حق و لا مقابل"

ازداد ضيق صدري و لم يعد قادرا حتى على التنهد...

سألته بمرارة و أنا أحس بعصارة معدتي تكاد تحرق حبالى الصوتية:

"لماذا يا رغد؟؟ لماذا دائما... تقولين مثل هذا الكلام؟؟ ألا تدركين أنك... تجرحين شعوري؟"

تعبيرات رغد نمت عن الندم و الرغبة في الإيضاح... و لكن لا أعرف لم انعقد لسانها...

قلتُ:

"رغد... أنا ... لظالما اعتنيتُ بكِ... ليس لأن من واجبي ذلك... حتى في وجود والديّ رحمهما الله... وحتى و أنتِ مرتبطة بسامر... و أنتِ طفلة و أنتِ بالغة و أنتِ في كل الأحوال و مهما كانت الأحوال... دائما يا رغد... أنتِ صغيرتي التي أريد و لا شيء يبهجني في حياتي أكثر من ... أن اعتني بها... كجزءٍ لا يتجزأ منِّي يا رغد " ...

أجهل مصدر الجرأة التي ألهمتني البوح بهذه الكلمات الشجية وسط هذا الظلام الساكن...

تلعثمتُ التعبيرات على وجه رغد... أهى سعيدة أم حزينة؟ أهى مصدقة أم مكذبة؟ لا يمكنني الجزم...

سألتنى و كأنها تريد أن تستوثق من حقيقة تدركها... ليطمئن قلبها:

"صحيح... وليد؟"

لم أشعر بأن إجابتي من كل هذا البعد ستكون قوية ما يكفي لطمأنتها... وفتت... سرّت نحوها... أراها أيضا بعيدة... أجتو على ركبتي... تصبح عيناى أقرب إلى عينيها... تمتد يداى و تمسكان بيديها... ينطق لسانى مؤكدا:

"صحيح يا رغد... و رب الكعبة... الذى سيحاسبني عن كل آهة تنفثينها من صدرك بألم... و عن كل لحظة تشعرين فيها باليتم أو الحاجة لشيء و أنا حي على وجه الأرض... لا تزيدى من عذابى يا رغد... أنا لا استطيع أن أنام و فى صدرك ضيق و لا أن أهدأ و فى بالك شاغل... و لا حتى أن آكل و أنتِ جائعة يا رغد... أرجوك... أريحيني من هذا العذاب " ...

لم أشعر إلا ويدا رغد تتحرران من بين يدي و تمسكان بكتفيّ

"وليد"...

امتزجتُ نظراتنا ببعضها البعض... و لم يعد بالإمكان الفصل فيما بينهما...

عيننا رغد بدأتا تبرقان باللالئ المائية...

قلتُ بسرعة:

"لا تبكي أرجوك"

رغد ربما ابتلعتُ عبراتها في عينيها و سحبتُ يديها و شبكتُ أصابعها ببعضها البعض... ثم طأطأتُ رأسها هاربة من نظراتي...

ناديتها مرة و مرتين... لكنها لم ترفع عينيها إليّ... ولم تجبني...

"رغد... أرجوك... فقط... قل لي أنك بخير حتى أذهب مرتاحا... أنا بحاجة للنوم... كي أستطيع أن أفكر... لا أستطيع التفكير بشيء آخر و أنا... قلق عليك"

أخيرا رغد رفعتُ عينيها و نظرتُ إليّ...

"هل... أنت بخير؟؟"

هزّتُ رأسها و أجابت:

"نعم... بخير"

تنهدتُ ببعض الارتياح... ثم قلتُ:

"جيد... لكن... يجب أن تتناولي بعض الطعام قبل أن تنامي... هل أعيد تسخين البيتزا؟؟"

قالتُ مباشرة:

"لا... لا..."

قلتُ:

"إن... تناولني أي شيء آخر قبل أن تنامي... رجاءً"

نظرتُ إلى الأرضِ و أومأتُ إيجاباً...

تأملتها برهة عن قرب... ثم وقفتُ و أعدتُ تأملها من زاوية أبعد... و مهما تبعد المسافات... إنها إلى

قلبي و كياني أقرب... و أقرب ...

أقرب من أن أقوى على تجاهل وجودها و لو لبرهة واحدة...

أقرب من أن أستطيع أن أغفو دون أن أحس بحرارة قربها... في جفوني...

و أقرب من أن أسمح لصدى ( أكرهك يا بليد ) بأن... يبعدها عنِّي ...

قلتُ:

"حسناً صغيرتي... سأتركك تأكلين و تنامين..."

و خطواتُ نحو الباب... ثم عدتُ مجدداً أتأملها... راغباً في مزيد من الاطمئنان عليها... متمسكاً بآخر

طيف لها... يبرق في عيني... "

"أأمرين بشيء؟"

رغد حركتُ عينيها إلي... ثم قالتُ:

"كلا... شكراً"

فقلتُ:

"بل... شكراً لكِ أنتِ صغيرتي... و اعذريني..."

و ختمتُ أخيراً:

"تصبحين على خير"

و غادرتُ غرفتها عائداً إلى غرفتي...

رميتُ أطرافي الأربعة على سريري ناشدا الراحة... لكنني لم أحصل حقيقةً عليها ... لم تكن جرعة  
رغد كافية لتخدير وعيي... و لليلة الثانية على التوالي أعاصر بزوغ الفجر و أشهد مسيرة قرص الشمس  
اليومية تشق طريقها ساعةً ساعةً ... عبر ساحة السماء...

~~~~~

صحوتُ من نومي القصير و أنا أشعر بدوار شديد و رجفة في أطرافي... و إجهاد و ضعف عام في
عضلاتي... لم استطع التحرك عن موضعي في السرير... لا بد أن السبب هو الجوع فأنا لم أكل شيئاً
منذ ليلة شجاري مع الشقراء... و بالرغم من أن وليد نصحني بالطعام البارحة إلا أنني لم أكن أشعر
بأي شهية له

هذا إضافة إلى تأثير السهر و الأرق... اللذين لم يبرحاني مذ حينها...

كلّما حاولتُ الحركة ازداد الدوار... و تسارعتُ خفقات قلبي ... و صعبَ تنفسي... إنه ذات الشعور
الذي داهمني يوم فرارنا حفاة من المدينة الصناعية... و تشردنا جياعا عطشى في البر...
أمن أحد ليساعدني؟ أريد بعض الماء... أريد قطعة خبز... أكاد أفقد وعيي!...
أغمضتُ عيني و تنفستُ بعمق و حبستُ الهواء بصدري كي أمنع عصارة معدتي من الخروج... و
زفرتُ أنةً طويلة تمنيتُ أن تصل إلى مسامع وليد... لكن الجدار الفاصل بيننا بالتأكيد امتص أنيني...

بعد قليل سمعتُ طرقا على الباب... معقول أنه وليد قد سمعني؟ الحمد لله!...

استجمعتُ بقايا قوتي و قلتُ مباشرة:

"ادخل"

لم أكن ارتدي غير ملابس النوم و لكن أي قوة أملك حتى أنهض و أضع حجابي؟؟ لفتتُ لحافي حولي
عشوائيا و كررتُ:

" ادخل "

انفتح الباب ببطء و حذر...

قلتُ بسرعة مؤكدة:

" تفضل "

بسرعة... أنقذني...

و أنا انظر نحو الباب... بلهفة...

أتدرون من ظهر؟

إنها أروى...

فوجدتُ بها هي تدخل الغرفة...

قالتُ و هي تقفُ قرب الباب:

"أريد أن أتحدّث معك"

أغمضتُ عيني... إشارة إلى أنني لا أريدها... إلى أنني متعبة... إلى أنني لم أكن أنتظرها هي... و لم
أكن لأطلب العون منها...

قالتُ:

" هو سؤال واحد أجيبه و سأخرج من غرفتك "

قلتُ و أنا أزفر بتعب:

"أخرجي"

لكن أروى لم تخرج... فتحتُ عينيَّ فوجدتها تقتربُ مِنِّي أكثر... أردتُ أن أنهض فغلبنى الدوار...
أشحتُ بوجهي بعيداً عنها... لا أريد أن أراها و لا أريد أن تراني بهذه الحالة...

أروى قالتُ:

"فقط أجيبيني عن هذا السؤال يا رغد... يجب أن تجيبيني عليه الآن" ...

لم أتجاوب معها

حلِّي عني يا أروى ! ألا يكفي ما أنا فيه الآن ؟؟ إنني إن استدردتُ إليك فسأتقياً على وجهك الجميل
هذا...

"رغد"

نادتني

فأجبتُ بحنق:

"ماذا تريد مني؟"

قالتُ:

"أخبريني... أتعرفين... لماذا ... قتل وليد عمّار؟؟"

انتفض جسمي كلّ فجأة... و الخفقات التي كانت تهزول في قلبي صارتُ تركض بسرعة... بأقصى
سرعة...

التفتُ إلى أروى... أو ربما الغرفة هي التي دارتُ و جعلتُ وجهها مقابل وجهي... لستُ أكيدة...

حملتُ أروى بي ثم قالتُ:

"تعرفين السبب... أليس كذلك ؟ أنا واثقة..."

هزرتُ رأسي نفياً...أريد محو السؤال و محو صورتها و محو الذكريات التي كسرتُ الباب و اقتحمتُ مخيّلتي فجأة... هذه اللحظة...

قالت أروى:

"بل تعرفين... تصرفاتك و انفعالك يؤكد ذلك يا رغد... أنا واثقة من هذا... لا أعرف لم أنتما مصران على إخفاء الأمر عني... لكن..."

هتفتُ:

"كفى..."

أروى قالتُ بإصرار:

"للأمر... علاقة بكِ أنتِ... أليس كذلك؟؟"

صرختُ و أنا أحاول صم أذنيّ عن سماع المزيد... و إعماء عيني عن رؤية شريط الماضي...

"يكفي"

لكن أروى تابعتُ:

"أخبريني يا رغد... يجب أن تخبريني... لماذا قتل وليد عمّار... و ما علاقتك أنتِ بهذا... لماذا صرختِ حين رأيتِ صورته معلقة على جدار المكتب؟؟ و لماذا تنعتانه أنتما الاثنان بالحقير؟؟ ماذا فعل؟؟ ما الذي ارتكبه و جعل وليد... يقتله انتقاماً؟؟ أنتِ تعرفين الحقيقة... أليس كذلك؟؟ من حقي أن أعرف... أخبريني..."

"كفى... كفى... كفى..."

صرختُ و أنا أضغط بيدي كلتيهما بقوة على صدغيّ محاولة منع الذكرى المريرة المغمومة من الانفجار

في رأسي...

آنذاك... ظهر لي وجه عمار في الصورة... نعم... لقد رأيتُه يقترب مِنِّي... رأيتُ يديه تمتدان نحوِي... قفزتُ عن سريري مفزوعة... صرختُ... رأيتُ الجدران تتصدع إثر صراخي... رأيتُ السقف ينهار... والأرض تهتز... أحسستُ بعيني تدور... والغرفة تدور... وشعرتُ بيدٍ ما تمتدُ نحوِي... تحاول الإمساك بي... إنها... يد عمار!

"لا... لا... لا!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!"

على هذه الصرخات انتفضتُ ورميتُ بفرشاة أسناني جانبا وخرجتُ من الحمام مسرعا مبتلعا بقايا المعجون دفعة واحدة و مطلقا ساقيَّ للريح... نحو غرفة رعد... كان الباب مفتوحا و الصراخ ينطلق عبره... مفزعا... اقتحمتُ الغرفة فورا و رأيتُ رعد واقفة عند سريرها ممسكة برأسها بكلتا يديها و تصرخ مذعورة... فيما أروى واقفة مذهولة إلى جوارها معلقة يديها في الهواء...

"رعد؟؟"

هرولتُ باتجاهها مفزوعا طائر العقل... و رأيتُ يديها تبتعدان فجأة عن رأسها و تمتدان نحوِي... و في ثوانٍ... تخطو إليَّ... و تهوي على صدري... و تطبق عليَّ...

تعثر قلبي الراكض و انزلق أرضا بعنف... جراء الموقف... كنتُ مذهولا... لا أعرف و لا أدرك ما يحصل من حولي...

"رعد؟؟"

صرختُ فزعا... و أنا ألتقطها بين ذراعي فجأة و أضمها إليَّ و أشعر بصراخها يخترق أضلاع قفصي الصدري...

"بسم الله الرحمن الرحيم... ماذا حصل رغد...؟"

حاولتُ إبعاد رأسها كي أنظر إلى عينيها لكنها غاصتُ بداخلي بعمق ... بقوة و هي تصرخ:

"أبعده عني... أبعده عنِّي ... أبعده عنِّي"

ألقيتُ نظرة خاطفة على أروى فرأيتها مجفلة فزعة محملقة بعينيها...

صرختُ:

"ماذا حصل؟"

لم تقوَ على الكلام ...

صرختُ ثانية:

"ماذا حصل؟؟ يا أروى؟؟"

تأثتُ أروى:

"لا... أدري" ...

أبعدتُ رأس رغد عن صدري فلم تقاوم... نظرتُ إلى عينيها أريد أن أسألها عمّا حصل... فإذا بهما
تحملقان في الفراغ... و إذا بذراعيها تهويان فجأة على جانبيها... و إذا بها تنزلق من بين يدي...

بسرعة أمسكتُ بها و أنا أصرخ:

"رغد... رغد"

رفعتُها إلى السرير و جعلتُ أخاطبها و أهزها ... لكن عينيها كانتا تبهلقان في اللاشيء... و فجأة
دارتا للأعلى و انسدل جفناها من فوقهما...

"رغد...رغد... ما بك ... رغد أجيبيني"

لكنها لم تجب...

صرختُ بانفعال:

"أجيبيني يا رغد... رغد... أرجوكِ "

و أنا أهزها بعنف محاولا إيقاظها... لكنها... بدت فجأة كالميتة....

تزلزل قلبي تحت قدمي مرتاعا و صرختُ مذهولا:

"يا إلهي... ماتتُ صغيرتي ماتتُ..."

و أنا مستمر في هزّها بعنف دون جدوى...

التفتُ إلى أروى و صرختُ بقوة:

"طبيب... إسعاف... ماء... افعلي شيئا... احضري شيئا... تحركي بسرعة"

و أروى واقفة كالتمثال... متجمدة في فزع..

صرختُ:

"هيا بسرعة"

تحركتُ أروى باعتباط... يمينا يسارا حتى إذا ما لمحتُ قارورة الماء تلك على المكتب...أسرعتُ

إليها و جلبتها لي

رششتُ الماء على وجه رغد... بل إنني أغرقته و أنا لا أزال أهزها و أضرب خديها بقوة... حتى

ورمتهما....

رغد فتحتُ عينيها فناديتها مرارا لكنها لم تكن تنظر إليّ أو حتى تسمعني... بدتُ و كأنها تسبح في

عالم آخر...

"رغد... أتسمعيني؟؟ ردي علي... ردي علي يا رغد أرجوك" ...

و لم تتجاوب معي...

بسرعة قربتُ من فمها قارورة الماء و طلبتُ منها أن تفتحها و تشرب...

رغد لم تحرك شفيتها... بل عادت و أغمضتُ عينيها... لكنها لا تزال تتنفس... و لا يزال الشريان

ينبض في عنقها بعنف ...

أبعدتُ القارورة و رحّتُ أحركُ رأسها يمينا و شمالا بقوة ... محاولا إيقاظها...

و التفتتُ إلى أروى أمرا:

"أحضري بعض السكر"

وقد تفجرتُ فكرة هبوط السكر في بالي فجأة ...

أروى حدّقتُ بي ببلاهة... غير مستوعبة لشيء فهتفتُ:

"السكر يا أروى... بسرعة"

وانطلقتُ أخيرا خارج الغرفة و عادتُ بعد ثوان تحملُ علبة السكر...

كانتُ رغد لا تزال شبه غائبة عن الوعي على ذراعي...

تناولتُ علبة السكر بسرعة و سكبتُ كمية منه داخل القارورة و رججتها بعنف... ثم قربتها من رغد

مجددا:

"رغد... أتسمعيني؟؟ افتحي فمك" ...

لكنها فتحتُ عينيها و نظرتُ إلي...

رأس رغد كان على ذراعي اليسرى و القارورة في يدي اليمنى... ألصقتُها بشفيتها و قلتُ:

"هيا يا رغد... افتحي فمك"

لم تع. رغد كلامي...

رفعتُ رأسها و فتحتُ فمها بنفسي... و دلقتُ شيئاً من الشراب فيه...

"اشربي"....

عينا رغد أو شكتا على الإغماض... فهزتها بقوة:

"أوه لا... لا تنامي الآن... أفيقي... اشربي هيا" ...

و رفعتُ رأسها للأعلى أكثر...

حينها وصل الشراب إلى بلعومها فسعلت... و ارتد الشراب إلى الخارج...

فتحتُ رغد عينيها و بدا و كأنها استردت شيئاً من وعيها إثر ذلك...

قربتُ القارورة من فمها مجددا و قلتُ:

"أتسمعينني يا رغد؟؟ اشربي... أرجوك"...

سكبتُ كمية أخرى في فمها فابتلعها رغد فجأة... ثم فجأة رأيتُ المزيج يخرج من فمها و أنفها... و

ينسكب مبللا وجهها و ملابسها...

"أوه يا رغد... كلا... كلا"....

ضممتُها إلى صدري بهلع... بفرع... بعشوائية... و بانهباء...

كانت طرية كالورقة المبللة...

غمستُ يدي في علبة السكر و أخذتُ حفنة منه... و رفعتُها نحو فمها المفغور و نثرتها فيه... مبعثرا

الذرات على وجهها المبلل و على عنقها و ملابسها و في كل مكان من شدة اضطرابي...

"ابلعيه... أرجوك... أرجوك يا رغد" ...

عدتُ و أخذتُ كمية أخرى و حشوتُ فمها بها... و أغلقتُه بيدي... و هي مستسلمة لا تقاوم... و لا

تظهر على قسماط وجهها أية تعبيرات...

كأنها تمثال من الورق الذابل...
كانت... كالميتة على ذراعي...
عدتُ أخاطبها فخرج صوتي مبوحا ممزقا... و كأن حفنة السكر تلك قد انحشرتُ في حنجرتي أنا...
و أعطبتُ حبالِي الصوتية...

" ابلعيه يا رغد... أرجوك... يجب أن تبلعيه... يا إلهي ماذا جرى لصغيرتي؟؟ "

أبعدتُ رأس رغد عنِّي قليلا... فرأيتُ عينيها نصف مفتوحتين تحملقان في اللاشيء... و فمها مفتوح
تنساب من زاويته قطرات اللعاب ممزوجة بحبيبات السكر...
و شيئا فشيئا بدأتُ تحركُ عينيها و فمها و تستعيد وعيها...
" رغد " ...

صحتُ بلهفة... و أنا أرى عينيها تدوران في الغرفة و من ثم تنظران إليّ

" رغد... رغد... هل تسمعينني؟؟ "

رغد تنظر إليّ... إذن فهي تراني... و تسمعني...
فمها أراه يتحرك و يبتلع السكر...

بسرعة تناولتُ قارورة المزيج تلك و ألققتها بفمها مباشرة و قلتُ:

" اشربي... أرجوك... أرجوك " ...

شربتُ رغد جرعة... و ابتلعتها... تلتها جرعة أخرى...
أبعدتُ القارورة و أعدتُ رجها بقوة... ثم قربتها من شفيتها و طلبتُ منها أن تشرب المزيد...

" اشربي... قليلا بعد يا رغد... هيا " ...

حتى أرغمتها على شرب المزيج كاملا... و قد تجاوبتُ منقادا و نصف واعية على ذراعي...
و هي على ذراعي... استردتُ وعيها تدريجيا...

و هي على ذراعي... كانت تتنفس بقوة... و اضطراب... و ترتعش كعصفور يحتضر...
و هي على ذراعي... انحدرت من عيني دمعة كبيرة... بحجم السنين التي فرقت فيما بيننا...
و هي على ذراعي... و أنا ممسك بها بكل قوتي و كل ضعفي... مخافة أن تنزلق من بين يدي...
مخافة من أن يبعدها القدر عني... مخافة من أن أفقدها هذه المرة... للأبد...

لقد كانت شبه ميتة بين يدي...

رغد الحبيبة... طفلتي الغالية... منبع عواظي و مصبها... شبه ميتة... على ذراعي؟؟

"هل تسمعيني يا رغد؟ أسمعيني؟"

سألتها عندما رأيتهما تحدق بي... بدت و كأنها مشوشة و غير قادرة على التركيز... أخذت تدور
بعينيها على ما حولها... توقفت برهة تحملق في أروى... و أخيرا عادت إلي...

"أخبريني... هل أنت بخير؟؟ أسمعيني؟؟ أتستطيعين التحدث؟ ردي علي يا رغد أرجوك"...

"وليد"...

أخيرا نطقت...

قلت بلهفة:

"نعم رغد... أنت بخير؟؟ كيف تشعرين؟"

رغد أغمضت عينيها بقوة... كأنها تعنصر ألما... ثم غمرت وجهها في صدري... و شعرت بأنفاسها
الدافئة تتخلخل ملابسي... كما أحسست بالبلل يمتصه قميصي... من وجهها...

حركت يدي نحو كتفها و ربت بخفة:

"رغد...؟؟"

تجاوبت رغد معي... أحسست بهمسها يصطدم بصدري... لم أميز ما قالت أولا... لكنها حين كررت

الجملة استطاعتُ أذناي التقاطها...

"أبعده عني" ...

توقفتُ برهةً أفتشُ عن تفسيرٍ لما سمعتُ... سألتُها بحيرة و عدم استيعاب:

"أبعده عنك؟؟"

كررتُ رعد... و هي تغمرُ وجهها أكثر في ثنايا قميصي:

"أبعده عني" ...

قلتُ مستغربا:

"من؟؟"

سرتُ رعشة في جسد رعد انتقلتُ إليّ... نظرتُ إلى يدها الممدودة جانبا فرأيتها ترتجف... و رأيتها تتحرك نحوي و تتشبثُ بي... كانتُ باردة كالثج... و أيضا أحسستُ برأسها يغمسُ في داخلي أكثر فأكثر... ثم سمعتها تقول بصوتٍ مرتجفٍ واهن:

"عمار"

آن ذاك... جفلتُ و تصلبتُ عضلاتي فجأة... و تفجرتُ الدهشة كقنبلة على وجهي... حركتُ يدي إلى رأسها و أدرتُه إليّ... لأرى عينيها... فتحتُ هي عينيها و نظرتُ إليّ...

قلتُ:

"من؟؟"

فردتُ:

"عمار... أبعد عني... أرجوك"

اختنق صوتي في حنجرتي بينما ارتجت الأفكار في رأسي...

قلتُ:

"عم... مار؟؟ لكن..."

و لم أقوَ على التتمة ...

ماذا جرى لصغيرتي؟ ما الذي تهذي به؟؟

قالتُ:

"أبعده... أرجوك"

ازدرتُ رجلي بفزع و أنا أقول:

"أين... هو؟"

رغد حركتُ عينيها و نظرتُ نحو أروى... ثم هزتُ رأسها و أغمضتُ عينيها و عادتُ و غمرتُ وجهها في صدري و هي تصيح:

"أبعده عني... أبعد عني... وليد أرجوك..."

آنذاك... شعرتُ بأن خلايا جسمي كلها انفصمتُ عن بعضها البعض و تبعثرتُ على أقطار الأرض... و فشلتُ في جمعها...

البقايا المتبقية لي من قوة استخدمتها في الطبطبة على رغد و أنا أردد:

"بسم الله عليك... اهدئي يا رغد... ماذا حل بك؟... هل رأيتِ كابوسا؟؟"

رغد كررتُ مجدداً و هذه المرة و هي تبكي و تشدُّ الضغط عليّ متوسلة:

"أبعده يا وليد... أرجوك... لا تتركني وحدي... لا تذهب..."

"أنا هنا يا رغد... بسم الله عليك... يا إلهي ماذا حصل لك؟ هل تعين ما تقولين؟"

أبعدتُ رغد رأسها قليلاً و وجهتُ نظرها إلى أروى و صاحتُ مجدداً:

"أبعده أرجوك... أرجوك... أنا خائفة..."

جُنَّ جنوني و أنا أرى الصغيرة بهذه الحالة المهولة ترتجف ذعرا بين يدي ...
هتفتُ بوجه أروى:

"ماذا فعلتِ بالصغيرة يا أروى؟"

أروى واقفة مذهشة متجمدة في مكانها تنظر إلينا بارتباك و هلع ...

صرختُ:

"ماذا فعلتِ يا أروى تكلمي؟"

ردتُ أروى باضطراب:

"أنا؟؟ لا شيء... لم أفعل شيئاً"

قلتُ أمراً بصرامة:

"انصربي الآن..."

حملتُ أروى بي مذهولة فكررتُ بغضب:

"انصربي هيا..."

حينها خرجتُ أروى من الغرفة... و بقينا أنا و رغد منفردين... يمتص كل منا طاقته من الآخر...
كانت الصغيرة لا تزال تئن مراعاة في حضني... حاولتُ أن أبعدا عني قليلا إلا أنها قاومتني و
تشبثتُ بي أكثر...

لم استطع فعل شيء حيال ذلك... و تركتها كما هي...
هدأتُ نوبة البكاء و الروع أخيرا... بعدها رفعتُ رغد رأسها إلي و تعانقتُ نظراتنا طويلا...

سألتها:

"أأنتِ بخير؟"

فأومأتُ إيجابا...

"كيف تشعرين؟"

"برد" ...

قالتُ ذلك و الرعشة تسري في جسمها النحيل...
جعلتها تضطجع على الوسادة و غطيتها باللحاف و البطانية... و درتُ ببصري من حولي فوجدتُ
أحد أوشحتها معلقا بالجوار فجلبتُه...
و أنا ألهُ حول وجهها انتبهتُ لحبيبات السكر المبعثرة على وجهها و شعرها... و ببساطة رحتُ
أنفصها بأصابعي...

كان وجهها متورما محمرا من كثرة ما ضربته! أرى آثار أصابعي مطبوعة عليه...!

آه كم بدا ذلك مؤلما... لقد شقّ في قلبي أخدودا عميقا...

أنا آسف يا صغيرتي... سامحيني...

للفتُ الوشاح على رأسها بإحكام مانعا أي من خصلات شعرها القصير الحريري من التسلل عبر
طرفه...

"ستشعرين بالدفء الآن" ...

سحبتُ الكرسي إلى جوار السرير و جلستُ قرب رغد أراقبها...

إنها بخير... أليس كذلك؟

هاهي تتنفس... و هاهما عيناها تجولان في الغرفة... و هاهو رأسها يتحرك و ينغمر أكثر و أكثر في الوسادة...

لا بد أنه هبوط السكر... فقد مرتُ رغد بحالة مشابهة من قبل... لكنها لم تكن تهذي آنذاك...

هل كان كابوساً أفزعها؟؟

هل قالتُ لها أروى شيئاً أثار زعرها؟؟

ماذا حصل؟؟

لا بد أن أعرف...

انتظرتُ حتى استرددتُ أنفاسي المخطوفة... و استرجعتُ شيئاً من قواي الخائثة... و ازدردتُ ربيقي الجاف إلا عن طعم المعجون الذي لا يزال عالقا به... و استوعبتُ الموقف، ثم خاطبتُ رغد:

" رغد "

التفتتُ رغد إليّ فسألتُها:

" ماذا... حصل ؟ "

كنتُ أريد الاطمئنان على وعيها و إدراكها... و معرفة تفسير ما حدث...

رغد نظرتُ إليّ نظرةً بائسة... ثم قالتُ و صوتها هامس خفيف:

" شعرتُ بالدوخة منذ استيقاظي... و عندما وقفتُ أظلمتُ الصورة في عينيّ و فقدتُ توازني " ...

ثم أضافتُ:

" لم آكل شيئاً... أظن أنه السبب "

ثم تنهدتُ باسترخاء...

قلتُ:

"أهذا كل شيء؟"

قالت:

"نعم"

"و أنتِ الآن... بخير؟؟"

أجابتُ:

"نعم... بخير"

تنهدتُ شبه مطمئنا و قلتُ:

"الحمد لله..."

و أضفتُ:

"لقد أفرغتني..."

نظرتُ هي إليّ ثم غصّت بصرها اعتذارا...

قلتُ:

"الحمد لله... المهم أنكِ بخير الآن"

عقبتُ:

"الحمد لله"

سكتُ قليلا و الطمأنينة تنمو في داخلي ، ثم استرسلتُ:

"إذن... لم تأكلي شيئا البارحة.. أليس كذلك؟"

و لم أر على وجهها علامات الإنكار...

قلتُ معاتبا و لكن بلطف:

"لماذا يا رغد؟ لم تسمعي كلامي... أتريدين إيذاء نفسك؟؟ انظري إلى النتيجة... لقد جعلتِ الدماء تجف في عروقي هلعا..."

حملتُ رغد بي لبرهة أو يزيد... ثم نقلتُ بصرها إلى اللحاف بعيدا عني... تأسفا و خجلا...
لم يكن الوقت المناسب للعتاب.. لكن خوفي عليها كاد يقتلني... و أريد أن أعرف ما حصل معها...

قلتُ:

"أحقا هذا كل ما في الأمر؟"

عادتُ رغد تنظر إليّ مؤكدة:

"نعم... لا تقلق... أنا بخير الآن"

سألتُ:

"و أروى... ماذا كانت تفعل هنا؟"

أجهل معنى النظرات التي وجهتها رغد نحوي... لكنني رجّحتُ أنها لا تود الإجابة...
احترتُ في أمري... أردتُ أن أسألها عما جعلها تشير إليها ك عمار... و لم أجرؤ...

قلتُ أخيرا... و أنا أهبُ واقفا:

"حسنًا... دعيني أحضر لك شيئًا تأكلينه"

وهمتُ بالانصراف غير أن رغد نادتنني:

"وليد..."

التفتُ إليها ورأيتُ الكلام مبعثرًا في عينيها... لا أعرف ماذا كانت تود القول... غير أنها غيرت حديثها وقالتُ:

"أنا آسفة"

ابتسمتُ ابتسامةً سطحيةً وقلتُ مشجعًا:

"لا عليك"

ابتسمتُ هي بامتنانٍ وقالتُ:

"شكرًا لك"

و غادرتُ الغرفة... مطمئن البال نسبيًا و اتجهتُ إلى المطبخ...

هناك حضرتُ الشاي و فتشتُ عن بعض الطعام فوجدتُ علب البييتزا التي كنتُ قد اشتريتها بالأمس و لم تُمس...

و عدا عن العلبه التي تناولتها خالتي ليندا، فإن البقية كما هي قمتُ بتسخين أحد الأقراص على عجل... و انطلقتُ حاملا الطعام إلى رغد...

كانتُ على نفس الوضع الذي تركتها عليه...

جلستُ على المقعد إلى جوارها و قدّمتُ لها الوجبة

"تفضلي... اشربي بعض الشاي لتدفئي"

جلستُ رغد و أخذتُ تحتسي الشاي جرعةً جرعة... وهي ممسكة بالكوب بكلتا يديها...

"هل تشعرين بتحسّن؟"

حركتُ رأسها إيجابا

قلتُ:

"جيد... الحمد لله... تناولتي بعضا من هذه... لتمنحك بعض الطاقة"

و قربتُ إليها إحدى قطع البيتزا... فأخذتها و قضمتُ شيئا منها...

سألتها:

"أهي جيّدة؟ لا أعتقد أن طعمها قد تغيّر؟"

أتعرفون كيف ردّت رغد؟؟

لا لن تحزروا! ...

فوجئتُ برغد و قد قربتُ قطعة البيتزا ذاتها إلى فمي... تريدُ منّي أن أتذوقها!

اضطربتُ، و رفعتُ يدي لأمسك بالقطعة فأبعدتُ رغد القطعة عن يدي... و عادتُ و قربتها إلى فمي مباشرة!

الصغيرة تريد أن تطعمني بيدها!

نظرتُ إليها و قد علا التوتر قسمات وجهي كما لوّنته حمرة الحرج... و رغد لا تزال معلقة البيتزا أمام فمي...

أخيرا قلتُ:

"ك... كليها أنتِ رغد"

و لو ترون مدى الامتقاع و التعبيرات المتعسة التي ظهرت على وجهها!

و إذا بها تقول:

"لا تريد أن تأكل من يدي؟"

فاجأني سؤالها في وقت لم أصحُ فيه بعد من مفاجأة تصرفها... و لا مفاجآت حالتها هذا الصباح...
إن شيئاً أَلَمَّ بالصغيرة... يا رب... لطفك...

رفعتُ حاجباي دهشة... و تلعثمتُ الحروف على لساني...

"أأ... رغد... إنه... أنا..."

رغد... ماذا جرى لك اليوم؟؟ ماذا أصابك...؟

أنتِ تثيرين جنوني... تثيرين فزعي... تثيرين مخاوفي... تثيرين شجوني و آلامي و ذكريات
الماضي...

ماذا دهك يا رغد؟؟

بربك... أخبريني؟؟

كنتُ على وشك أن أنطق بأي جملة... تمتُّ أو لا تمتُّ للموقف بصلة إلا أن رغد سبقتنني و قالتُ
منفعلة:

"لكنك تأكل من يدها... أليس كذلك؟"

ذهلتُ لجمالها هذه... أيما ذهول...

رغد لم تبعد يدها بل قربتها مني أكثر.. لا بل ألصقتُ البيتزا بشفتي و نظراتها تهددني...
حملتُ بها بدهشة و قلق... شيء ما قد حلَّ بصغيرتي... ماذا جرى لها؟ يا الهي...

"رغد..."

لما رأته رعد استنكاري... أبعدت البيتزا عني، ووجهها شديد الحزن تنذر عيناه بالمطر... و فمها قد تقوس للأسفل و أخذ يرتعش... و رأسها مال إلى الأسفل بأسى و خيبة ما سبق لي أن رأيت على وجه رعد شبيها لهما... و بصوتٍ نافذ الطاقة هزيل متقطع أقرب إلى الأنين قالت:

"أنت... لا تريد... أن... تأكل من يدي أنا... أليس... كذلك؟"

و هطلت القطرة الأولى... من سحابة الدموع التي سرعان ما تكثفت بين جفنيها... إنها ليست بال اللحظة المناسبة لأي شرح أو تفسير... أو علة أو تبرير... أو رفض أو اعتراض!

قلتُ مستسلما مشتتا مأخوذا بأهوال ما يجري من حولي:

"لا... لا ليس كذلك..."

شيئا فشيئا انعكس اتجاه قوس شفتيها... و ارتسمت بينهما ابتسامة مترددة واهية... و تسللت من بينهما الدمعة الوحيدة مسافرة عبر فيها إلى مئاها الأخير...

نحو فمي ساقته رعد قطعة البيتزا ثانية... و بين أسناني قطعتُ جزءا منها مضغته دون أن أحس له طعما و لا رائحة...

اتسعتُ الابتسامة على وجه الصغيرة و سألتني:

"لذيذة؟"

قلتُ بسرعة:

"نعم..."

ابتسمتُ رعد برضا... و كأنها حققتُ إنجازا عظيما...

ثم واصلتُ التهام البيتزا و طلبتُ مني مشاركتها ففعلتُ مستسلما... و أنا في حيرة ما مثلها حيرة من أمر هذه الصغيرة...

كم بدا القرص كبيرا... لا ينتهي ...

كنتُ أراقب كل حركة تصدر عن صغيرتي... متشككا في أنها قد استردت إدراكها كاملا... الرعشة في يديها اختفت... الارتخاء على وجهها بان... الاحمرار على وجنتيها تفاقم... و الأنفاس من أنفها انتظمت ...

و أخيرا فرغت العلبة... لقد التهمنا البيتزا عن آخرها لكن... لم أشعر بأنني أكلتُ شيئا...

في هذه اللحظة أقبلتُ أروى و وقفت عند الباب مخاطبة إياي:

"إنه هاتف مكتبك يا وليد... رن مرارا..."

نقلتُ بصري بين أروى و رغد... الفتاتان حدقتا ببعضهما البعض قليلا... ثم مدتُ رغد يديها و أمسكتُ بذراعي كأنها تطلب الأمان...

كان الخوف جليا على وجهها ما أثار فوق جنوني الحالي... ألف جنون و جنون ...

"رغد" !!

رغد كانت تنظر إلى أروى مذعورة... لا أعرف ما حصل بينهما...

قلتُ مخاطبا أروى:

"انصرفي الآن يا أروى رجاء"

رمقتني أروى بنظرة استهجان قوية... ثم غادرت...

التفتُ إلى الصغيرة و سألتها و القلق يكاد يقتلني:

"ماذا حل بك يا رغد ؟ أجيبيني ؟؟ هل فعلتُ بكِ أروى شيئا ؟؟"

رغد أطلقت كلماتها المبعثرة بانفعال ممزوج بالذعر:

"لا أريد أن أراها... أبعدها عني... أنا أكرهها... ألا تفهم ذلك؟؟... أبعدها عني... أرجوك"

لن يفلح أي وصف لإيصال شعوري آنذاك إليكم... مهما كان دقيقا
أخذتُ أطبب عليها أحاول تهدئتها و أنا المحتاج لمن يهدّئني....

"حسنا رغد... يكفي... أرجوك اهدئي... لا تضطربي هكذا... بسم الله الرحمن الرحيم..."

بعد أن هدأت رغد و استقرت حالتها العجيبة تلك... لم أجرؤ على سؤالها عن أي شيء... عرضتُ
عليها أن آخذها إلى الطبيب، لكنها رفضت تماما... فما كان مني إلا أن طلبتُ منها أن تسترخي في
فراشها لبعض الوقت و سرعان ما اضطجعت هي و غطت وجهها بالبطانية... ليس لشيء إلا.. لأنها
أرادت أن تبكي بعيدا عن مرآي...

كنتُ أسمع صوت البكاء المكتوم... و لو دفنته يا رغد تحت ألف طبقة من الجبال... كنتُ سأسمعه!
لكنني لم أشأ أن أخرجها... و أردتُ التسلل خارجا من الغرفة...
وقفتُ و أنا أزيح المقعد بعيدا عنها بهدوء... و سرتُ بخفة نحو الباب...
فيما أنا على وشك الخروج إذا بي أسمعها تقول من تحت البطانية:

"وليد... أرجوك... لا تخبرها... عما حصل في الماضي... أرجوك"

تسمرتُ في موضعي فجأة إثر سماعي لها... استدردتُ نحوها فرأيتها لا تزال مختبئة تحت البطانية...
هروبا من مرآي...

تابعتُ:

"لن احتمل نظرات السخرية... أو الشفقة من عينيها... أرجوك وليد..."

بقيتُ واقفا كشجرة قديمة فقدت كل أوراقها الصفراء الجافة في مهب رياح الخريف...
لكن المياه سرعان ما جرت في جذوري... دماءً حمراءً مشتعلة تدفقتُ مسرعة نحو رأسي و تفجرتُ
كبركان شيطاني... من عيني...

تبا لكِ يا أروى!!...

خرجتُ من غرفةٍ رغدٍ غاضبا متهيجا و بحثتُ عن أروى و وجدتُها في الردهة قرب السلم... ما أن رأنتني حتى وقفتُ و أمارات القلق على وجهها صارخة...

قالتُ مباشرة:

"كيف هي؟"

و قبل أن تسترد نفسها من الكلام انفجرتُ في وجهها كالقنبلة:

"ماذا فعلتِ بها؟"

الوجوم و الدهشة عليا تعبيراتها و قالتُ مضطربة:

"أنا !!؟؟"

قلتُ بصوتٍ قويٍ غليظ:

"نعم أنتِ ... ما الذي فعلته بها؟؟ أخبريني؟"

أروى لا تزال مأخوذة بالدهشة تنم تعبيرات وجهها عن السذاجة أو التظاهر بالسذاجة... و هو أمر أطلق المدافع في رأسي غضبا... فزمجرتُ:

"تكلّمي يا أروى ما الذي كنتِ تفعلينه في غرفتها؟؟ ماذا قلتِ لها تكلّمي"

أروى توتّرتُ و قالتُ مستهجنة:

"و ما الذي سأفعله بها؟؟ لم أفعل شيئا... ذهبتُ لأسألها عن شيء... إنها هي من كان غير طبيعيا... بدتُ و كأنها ترى كابوسا أو فلما مرعبا... ثم صرختُ.. لا علاقة لي بالأمر"

قلتُ بغضب:

"عن أي شيء سألتها؟"

بدا التردد على أروى فكررتُ بلكنة مهددة:

"عن أي شيء سألتها يا أروى تكلمي؟؟ اخبرني بالتفصيل.. ماذا قلت لها و جعلتها تضرب بهذا الشكل؟؟ عم سألتها أخبريني؟"

"وليد!"

هتفتُ بعنف:

"تكلمي!"

شيء من الذعر ارتسم على وجه أروى... من جراء صراخي...

أجابتُ متلعثمة:

"فقط...س... سألتها عن... سبب قتلك عمار... وإخفاك الحقيقة عني... و عن ... علاقتها هي بالأمر..."

انطلقتُ الشياطين من بركان رأسي... كنتُ في حالة غضب شديد... لم استطع كتمانهُ أو التغلب عليه...

صرختُ في وجه أروى بعنف:

"أهذا كل شيء؟"

أجابتُ أروى مذعورة:

"نعم... لا تصرخ بوجهي..."

لكنني خطوتُ نحوها... و مددتُ يدي و أمسكتُ بذراعها بقوة و ضججتُ صوتي:

"و لماذا فعلتِ ذلك؟ ألم أحذركِ من هذا؟ ألم أطلب منكِ ألا تتحدثي معها؟ لماذا فعلتِ هذا يا أروى لماذا؟"

أطلقتُ أروى صيحة ألم... و حاولتُ تحرير ذراعها مني... لكنني ضغطتُ بشدة أكبر و أكبر... و هتفتُ بوجهها منفعلا:

"كيف تجرأتِ علي هذا يا أروى؟؟ أنظري ماذا فعلتِ بالصغيرة... إنها مريضة... ألا تفهمين ذلك؟؟ إن أصابها شيء... فستدفعين الثمن غاليا"

صاحتُ أروى:

"اتركني يا وليد... أنت تؤلني..."

قلتُ:

"لن أكتفي بالألم... إن حلّ بالصغيرة شيء بسببك يا أروى... أنا لا أسمح لأحد بإيذاؤها بأي شكل... كائنا من كان... و لا أسمح من يسبب لها الأذى أبدا يا أروى... أتفهمين؟؟ إلا صغيرتي يا أروى... إلا رغد... لا أسمح فيها مس شعرة... أبدا يا أروى أبدا... أبدا... هل فهمتِ؟؟"

و أفلتُ ذراعها بقسوة مبعدا إياها عني بسرعة... لئلا تتغلب علي الشياطين و تدفعني لارتكاب ما لن ينفع الندم بعده على الإطلاق...

كان هذا.. مطالعا تعيسا أسود ليوم جديد أضيفه إلى رصيد أيام حياتي الحزينة المؤلمة... و هو مطلع لم يساوي الكثير أمام ما كان يخبئه القدر... في نهايته...

* الحلقة الواحدة و الأربعةون *

~ الحادث ~

لا يمكن أن يكون هذا هو الرجل الذي ارتبطتُ به ! مستحيل أنه هو وليد ذاته... الرجل الطيب الخلق المهدب... اللطيف الهادئ... الصبور الحليم... ينقضُّ على ذراعيّ بهذه الوحشية و يصرخ في وجهي بهذه القسوة؟؟

و لأجل ماذا؟؟

لا أعرف! ما هو الذنب الخطير الذي ارتكبته و جعلته يثور لهذا الحد؟؟ فقط لأنني سألتُ مدلتته الغالية عن سبب قتله لعمار؟؟ ألا يجعلني تصرفه أصرُّ أكثر و أكثر على معرفة السبب؟ إذا كان خطيرا لهذا الحد... للحد الذي يوشك معه أن يقطع ذراعي و يحرق وجهي بنار صراخه... فهل ألام إن ألححتُ على معرفة الحقيقة؟؟

مضتُ بضع ساعات و الهدوء يخيم على المنزل رغم الشحنات المتضادّة التي تنبعث من رؤوسنا... كنتُ قد لمحتُ وليد يدخل غرفة مكتبه الخاص، و لم أره بعد ذلك... أما المدللة العزيزة فهي لم تغادر غرفة نومها على الأرجح... و لم نجرؤ لا أنا و لا والدتي على الاقتراب منها... و إن كانت والدتي تردد بين الفينة و الأخرى:

” ألا يجب أن نطمئن على الفتاة؟؟ “

استدرتُ إلى أمي بحنق و قلتُ:

” لا تقلقي يا أمي... إنها بخير... لا شيء يصيب تلك المدللة... إنها فقط تمثل دور المتعبة حتى تسرق اهتمام وليد ”

و عضتُ على شفتيّ غيظاً...

والدتي لم تعجبها النبرة غير المعتادة في صوتي و كلامي فقالت:

” لا يا أروى هداك الله... لا يجب أن يصدر منكِ أنتِ العاقلة الناضجة كلامٌ كهذا... كما أنكِ قلتِ بنفسك أنها أصيبتُ بالإغماء لبعض الوقت... ”

رددتُ غاضبة :

” تمثيل ! ”

والدتي هزّت رأسها استنكاراً... فقلتُ منفعلة:

” نعم تمثيل يا أمي... ما عدتُ أصدّق شيئاً مما حولي... إنها تؤدي دورها بشكل مذهل... ليست أول مرة... تتظاهر بالانهيار وتستमितُ في البكاء حتى يسرع وليد إليها... تريد الاستحواذ على اهتمامه و السيطرة عليه... إنها تحبه يا أمي... ألا تفهمين معنى ذلك؟؟ تحب خطيبي و تريد سرقة منّي ! ”

و لحظتها لم أتمالك نفسي و أخذتُ أبكي... فأقبلتُ أمّي و ضمتني إلى صدرها الحنون و أخذتُ تربتُ عليّ و تواسيني...

و أنا في حضن أمّي لمحتُ كيس المجوهرات الذي جلبته رغد إليّ تلك الليلة تريد دفع ما فيه تعويضاً عما صرفته من الأموال... و قد وضعناه كما هو على منضدة مجاورة لإعادته إليها لاحقاً... و لا أدري لم تذكرتُ حينها يوم مررنا من منزل عائلة وليد المحروق... و أخذتُ رغد تجمع التذكارات منه، و من بينها هذه المجوهرات... و كيف كانت تضمها إلى صدرها بحرقة و تبكي بألم... أذكر أنها آنذاك كانت منهارة جداً... و وسط الدموع التفتتُ إلى وليد و طلبتُ منه أن يضمّها !

ضغطتُ ذراعيَّ حول أمي و أنا أتذكرُ كيف ارتمتُ في حضنه هذا الصباح... و كأنَّ صدر وليد شيءٍ
يخصها و يمكنها الاستلقاء عليه كلما شاءت !
ألا تعرف هذه الفتاة حدودها؟؟ إن وليد لم يشملني بين ذراعيه بالطريقة التي غلّفها بها صباح هذا
اليوم....

في وقت لاحق من ذلك اليوم المزعج كنتُ مع أمي نشاهد التلفاز علّ الوقت يمضي و الجو يلطّف
قليلاً...

و لأن وليد لم يظهر من الصباح فقد شعرتُ ببعض القلق... تركتُ والدتي في الغرفة و ذهبتُ أتفقده في
غرفة مكتبه... أ معقول أنه لا يزال هناك؟؟
توجهتُ إلى غرفة المكتب بحذر... طرقتُ الباب بهدوء و انتظرتُ قليلاً ثم فتحتُه ببطء و أطللتُ برأسي
على الداخل
وجدتُ وليد ينام على أحد المقاعد...

ناديتُ و لكن بهدوء :

“ وليد ! ”

و لم يسمعي، لذا غادرتُ الغرفة و سرتُ عائدة إلى أمي.
هناك في تلك الغرفة وجدتُ رغد !
كانت واقفة قرب الباب و يبدو أنها كانت على وشك الانصراف
التقتُ نظراتنا فأشاحتُ هي بوجهها عنّي...
تذكرتُ صورتها و هي تشير بنظراتها إليّ و تقول لوليد : (أبعدها عنّي) بينما كانت متربعة في حضنه
بكل جرأة... أحسستُ بالغيظ الشديد...
و لما أرادتُ الخروج استوقفتها :

“ انتظري ”

التفتتُ إليّ ببرود و قالت :

” نعم ؟ ”

قلتُ و أنا أشير إلى كيس المجوهرات الموضوع على المنضدة :

” إن كنتِ تبحثن عن هذا فهو هنا ”

رغد نظرتُ إلى الكيس ثم إليّ و ردّت :

” لا . لم آتِ من أجل هذا... يمكنك الاحتفاظ به ”

قلتُ :

” لماذا أنتِ هنا إذن ؟ ”

أمي أومأت لي بأن أسحب سُوالي ، لكنني أكدتُ نظرات الاستجواب على عيني رغد منتظرة ردّها...
إنني مملوءة حنقا عليها منذ فترة و اشتعل فتيلي هذا الصباح و لم ينطفئ.
رغد همّت بالانصراف لكنني قلتُ بغضب :

” لم تجيبي على سُوالي ؟ ”

و بدا أن الجملة قد استفزتها فقالت :

” و هل عليّ أن استأذنكِ للتجول في منزلي ؟ ”

أجبتُ منفعة و مطلقة العنان لغيظي :

” لا ! إنّه منزل وليد... زوجي... على أية حال... و واقعا لا تملكين فيه غير هذا الكيس ”

و أشرتُ إلى كيس المجوهرات ذاك...

أمي هتفتُ رادعة بغضب :

“ أروى ! ما هذا الكلام ؟ ”

قلتُ مباشرة :

“ الحقيقة التي يجب أن تدركها هذه ”

رغد كانت تنظر نحوي بذهول... فهي لم تكن للتوقع مني كلاما كهذا... بل إنني نفسي لم أكن لأتوقعه !

لطالما كنتُ طيبة و متساهلة معها و تحمّلتُ الكثير من سوء معاملتها لي... من أجل وليد...
و أنا متأكدة أنها جاءتُ إلى هنا بحثا عنه ! و لكن... متى تدرك هذه المراهقة أن وليد هو زوجي أنا؟؟
توجهتُ لحظتها نحو كيس المجوهرات و جلبته إلى رغد و أنا أقول:

“ إليكِ أشياءؤك... لستُ بحاجة إليها و لديّ أضعاف أضعافها... و ما هو أهم منها يا رغد ”

نقلتُ رغد بصرها بيننا نحن الاثنين... و تحوّل وجهها إلى اللون الأحمر... و بدأتُ عضلات فمها
بالتقوس للأسفل... كانتُ على وشك البكاء!

وضعتُ الكيس قرب قدمها و أشحتُ بوجهي عنها منتظرة انصرافها...
سمعتُ صوت يدها تطبق على الكيس... ثم رأيتها تعبر فتحة الباب إلى الخارج فتوغلتُ أنا إلى الداخل
و صفعتُ بالباب بقوة !
سمعتُ حينها صوت رغد تقول من خلف الباب:

“ سأخبر وليد عن هذا ”

قلتُ بغضبٍ و تحدٍ :

” تجدينه في مكتبه ... أسرعي ! ”

في الداخل استقبلتني والدتي بنظرات غاضبة و وبختني... أدركُ أن تصرفي كان سيئاً لكنني لم أتمالك نفسي بعد كل الذي حدث مؤخراً... و أصبحتُ لدي رغبة مفاجئة في إزاحة رغد عن طريقي... أمي أرادتُ اللحاق بها لتهدئة الموقف لكنني عارضتها و قلتُ :

” لا تقلقي على المدللة... سيتكفل وليد بذلك ! ”

~~~~~

حملتُ كيس المجوهرات توجهتُ إلى غرفة مكتب وليد... كنتُ قد بحثتُ عنه في أرجاء مختلفة من المنزل و لم أره، و ذهبتُ لسؤال السيدة ليندا عنه حين فاجأتني أروى بموقفها الجديد هذا حسناً ! تبا لكِ يا أروى... سترين !  
طرقتُ الباب و لم أسمع جواباً، ففتحتهُ و دخلتُ الغرفة. الوقت آنذاك كان وقت غروب الشمس...  
الغرفة كانتُ تسبح في السواد إلا عن بصيص بسيط يتسلل عبر فتحة صغيرة بين ستائر إحدى النوافذ...

البصيص كان يشقُّ طريقه عبر فراغ الغرفة و يقع رأساً على جسم مغناطيسي... طويل... عريض...  
ضحك... محشور فوق أحد المقاعد !

متأكدة أن البصيص اختار الانجذاب طوعاً إليه هو... دوناً عن بقية الأجسام... الطويلة العريضة الضخمة... التي تفرض وجودها بكل ثقة في أرجاء هذه الغرفة !

لا أعرف ما الذي دهاني ؟!

كنتُ قادمة بمشاعر غاضبة تريد أن تنفجر... و فجأة تحوّلتُ مشاعري إلى نهر دافئ ينجرف طوعاً نحو وليد !

أغلقتُ الباب و على هدى النور الخافت سرتُ نحو وليد أحمل الكيس بحذر...

وقفتُ قربه و أنا أشعر بأنه أقرب إليّ من الهواء الذي يلامسني ، و من المشاعر التي تختلج صدري...  
وضعتُ الكيس جانبا فأصدر صوتا... لكن وليد لم ينتبه له... يبدو أنه نائم بعمق ! و لكن لماذا ينام  
هنا و بهذا الشكل المتعب و في مثل هذا الوقت؟ كنتُ على وشك أن أهتف باسمه إلا أن هتافا أقوى و  
أعظم تسلل عبر زجاج نوافذ الغرفة أو جدرانها و ملأ داخلها إصغاءً و خشوعا

( الله أكبر الله أكبر )

و لم ينتبه وليد لصوت الأذان...  
توجهتُ نحو تلك النافذة... و أزحتُ الستائر و فتحتها بهدوء... فاندفع صدى الأذان أقوى و أخشع  
نحو الداخل... و انتشر النور الباهت في الغرفة...  
النافذة تطل على الفناء الخلفي للمنزل، و الذي كانت تستعمره حديقة جميلة في الماضي... تحولتُ إلى  
صحراء قاحلة خالية إلا من بعض قطع الأثاث و السجاد القديمة التي ركنها هناك عند مجيئنا  
للمنزل...  
أما السماء فقد كانت تودع خيوط الشمس الراحلة... و التي لم تشأ توديع الكون قبل أن ترسل  
بصيصها الأخير... إلى وليد !  
انتهى الأذان و وليد لم يسمعه ... و لم يشعر بحركة شيء من حوله ! قررتُ أخيرا أن أوقظه !  
ناديته بضع مرات و بصوتٍ يعلو مرة تلو الأخرى إلى أن سمعني و استيقظ أخيرا !  
فتح وليد عينيه و هو ينظر نحو النافذة مباشرة !

قلتُ :

" صحوه حميدة ! "

وليد مغط ذراعيه و تئأب ثم قال :

" من ؟ أهذه أنتِ رغد ؟؟ "

أجبتُ :

” نعم ”

وليد أخذ يدلك عنقه قليلا... ربما يشعر بألم بسبب نومه على المقعد ! لا أعرف لم يحبّ وليد النوم على المقاعد؟؟

قلتُ :

” لماذا تنام هنا وليد؟؟ ”

أسند وليد رأسه إلى مسند المقعد لبرهة ثم أخذ ينظر إلى ساعة يده:

” كم الساعة الآن؟؟ ”

قلتُ :

” تقريبا السادسة ! رُفع أذان المغرب قبل قليل فأردتُ إيقاظك ! ”

قال وليد :

” آه... هل نمتُ كل هذا؟! إنني هنا منذ الظهيرة ”

ابتسمتُ و قلتُ:

” نوم العافية ! ”

وليد فجأة نظر نحوي... ثم أخذ يتلفتُ يمينا و شمالا ... ثم نهض واقفا و هو ينظر نحوي و قال :

” رغد؟؟! ماذا تفعلين هنا؟؟ ”

و كأنه انتبه للتو أنني موجودة ! و كأنه استيقظ الآن فقط من النوم !

قلتُ باستغراب :

” أتيتُ لإيقاظك ! وقت الصلاة ”

قال :

” و النافذة ؟ ”

قلتُ :

” كنتُ أستمع إلى الأذان... و أراقب السماء ! ”

وليد حكَّ شعر رأسه قليلا ثم سار باتجاهي... حتى صار عند الطرف الآخر من النافذة ثم قال :

” و لكن أين المطر ”

استغربتُ و سألتُ :

” المطر ؟ أي مطر؟؟ ”

قال :

” ألم تقولي أنك كنتِ تراقبين المطر ؟ ”

قلتُ :

” أبدا ! قلتُ أنني كنتُ أستمع إلى الأذان و أراقب السماء ! أي مطر هذا و نحن في قلب الصيف ! ”

قال وليد :

” لم أسمع جيدا ”



قلتُ و أنا أبتسم :

” يبدو أنك لا تزال نائما ! ”

ابتسم وليد و ألقى نظرة على السماء و مجموعة من العصافير تطير عائدة إلى أعشاشها...

التفت إليّ بعدها و سأل :

” صحيح رغد... كيف أنتِ الآن ؟ ”

و تذكرتُ لحظتها الدوخة الذي داهمتني صباحا بسبب الجوع ... و كيف أنه أغشي عليّ بضع دقائق... و انهرتُ بين ذراعي وليد !  
و شعرتُ بطعم السكر في فمي... فازدرتُ ريقني و أنا أطأطئ رأسي خجلا و أهمس :

” بخير... ”

وليد قال :

” جيد ! و هل تناولتِ وجبة بعد البيتزا ؟ ”

قلت :

” لا ”

” سيء ! لماذا رغد ؟ أنتِ صغيرة و نحيلة و لا تتحملين الجوع لوقتٍ طويل... تكرر هذا معنا في البر... أتذكرين ؟ ”

رفعتُ بصري إليه و ابتسمتُ ... طبعاً أذكر ! من ينسى يوماً كذلك اليوم؟؟ و نحن حفاه جياح

عطشى مرعوبون و هائمون في البر؟؟

و لكن لحظة ! هل أنا صغيرة لهذا الحد؟؟

قلتُ :

” لا تقلق... متى ما شعرتُ بالجوع سأحضّر لي بعض البطاطا المقلية ”

ابتسم وليد و قال :

” طبقكِ المفضّل ! ”

اتسعتُ ابتسامتي تأبيدا و أضفتُ :

” و الوحيد ! فأنا لا أجيد صنع شيء آخر ! ”

ضحك وليد... ضحكة عفوية رائعة... أطربتُ قلبي... و كدتُ أنفجر ضحكا من السعادة لولا أنني

كتمتُ أنفاسي خجلا منه !

في ذات اللحظة، انفتح باب الغرفة ... التفتنا نحن الاثنان نحو الباب... فوجدنا أروى تطلّ علينا...

و لأن الإضاءة كانت خافتة جدا... يصعب عليّ كشف تعبيرات وجهها... لم تتحدّث أروى بادئ

الأمر، كما أجم الصمت لسانينا أنا و وليد... بعدها قالت أروى :

” استيقظتَ؟ جيّد إذن... كنتُ سأوقظك لتأدية الصلاة ”

وليد قال و هو يسير نحو الباب مبتعدا عني :

” نعم أروى... نهضت لتوي ”

وصل وليد إلى مكابس مصابيح الغرفة ، فأضاءها... الإنارة القوية ضيّقت بؤبؤي عينيّ المركزين على أروى ، للحد الذي كادا معه أن يخنقها !  
كانت أروى تنظر نحوي ، ثم نقلت نظرها إلى وليد...  
سمعتُ وليد و الذي صار قريبا يهمس بشيء لم تترجمه أذناي... ثم رأيتُ أروى تشيح بوجهها و تغادر الغرفة.  
وليد وقف على وضعه لثوان... ثم استدار و هو يتنهد و قال أخيرا :

” سأذهب إلى المسجد... هل تريدن شيئا أحضره ؟ ”

قلتُ و أنا مشغولة البال بفك رموز همسة وليد السابقة :

” كلا... شكرا ”

و غادر وليد الغرفة...

و الآن... الغاضبة هي أروى و هذا دورها! ربّاه ! هل أنتهي من إحداهما لأبدأ مع الأخرى؟؟ إن أعصابي ما كادت تستفيق من صدمة الصباح ، و ها هي على وشك الاحتراق بحادثة أخرى...  
كنتُ أود تلطيف الأجواء و لو قليلا... و الاسترخاء في هواء طلق يزيح عنّي شحنات الصباح القوية... و يطمئنني أكثر إلى أن رغد بخير...

اقترحتُ في تلك الليلة الليلية أن نخرج في نزهة و نتناول عشاءنا في أحد المطاعم. رغد وافقتُ و الخالة ليندا رحبتُ بالفكرة غير أن أروى ردت بـ:

” اذهب أنتَ و ابنة عمك المدللة... و استمتعا بوقتكما... أنا و أمي سنبقى ها هنا ”

كنتُ ساعتها مع أروى في غرفتها و قد قدمتُ للتو لأعرض عليها الفكرة... و لما سمعتُ ردها حزنتُ و قلتُ :

” لم يا أروى ؟ والدتك كذلك رحبتُ بالفكرة و بادرتُ بالاستعداد للنزهة ”

أبعدتُ أروى نظرها عني هروبا من سؤالي... لكنني واصلتُ :

” هيا يا أروى ! دعينا نروّح عن أنفسنا قليلا ! الأجواء خانقة هنا ! ”

اعني بذلك المشكلة الأخيرة بيننا أنا و رغد و أروى ...

نظرتُ أروى إليّ و قالتُ :

” كلا و شكرا... لا أريد الذهاب معكم ”

صمتُ قليلا ثم قلتُ :

” أما زلتِ غاضبة مني ؟؟ ”

لم تجب أروى ، بمعنى أنها تؤيد هذا...

قلتُ :

” و لم كل هذا ؟ ”

قالتُ بعصبية :

” أنتَ تعرف السبب ... فلم تسأل ؟ ”

و بدا و كأنها تنتظر الشرارة لتشعل الحريق ! لم أكن أريد أن نبدأ الجدل من جديد بل على

العكس... أردتُ أن نجدد الأجواء و نرخي أعصابنا المشدودة منذ يومين...

” ليس بالوقت المناسب لإعادة فتح الموضوع من جديد يا أروى ! ”

ردتُ أروى بعصبية أكبر:

” و من قال أنني أغلقتُه أصلاً؟؟ سيبقى معلقاً إلى أن تخبرني بكل الحقائق التي تخفيها عني ”

كنتُ أقفُ عند الباب و لما اشتد صوت أروى خشيتُ أن يتسرب إلى آذان أخرى...

دخلتُ الغرفة و أغلقتُ الباب و اقتربتُ منها و قلتُ برجاء:

” لا نريد أن نثير شجاراً الآن... أرجوكِ يا أروى... لا استطيع إيضاح المزيد... و لن أفعل ذلك

مستقبلاً فلا تعاودي الضغط عليّ ”

ردتُ أروى مباشرة:

” إلى هذا الحد؟؟ ”

قلتُ مؤكداً :

” نعم . إلى هذا الحد ”

ضيقتُ أروى فتحتي عينيها و قالتُ:

” و رغد؟؟ ”

لم تقلها ببساطة... كانت تحدق في عينيّ بحدة ثابتة... كأنها تتوقع رؤية الحقائق تختبئ خلف

بؤبؤيهما... بدلتُ تعبيرات وجهي إلى الجدية و التحذير و قلتُ و أنا أشير بسبابتي:

” إياكِ أن تقتربي منها ثانية ! يكفي ما حصل هذا الصباح... إياكِ يا أروى ”

أروى تأملتُ تعبيراتي برهة ثم أشاحتُ بوجهها و هي تقول :

” اذهب... قبل أن يتأخر الوقت ”

قلتُ :

” و هل ستبقيين بمفردك ؟ ”

” نعم ”

قلتُ معترضا :

” لا يربحني ذلك ! ”

استدارتُ أروى و قالتُ بلهجة أقرب للسخرية :

” لا تقلق بشأنني ! فأنا لا أخاف البقاء منفردة و ليستُ لديّ عقدة من الوحدة ! ”

آنذاك... لم أشأ أن أطيل النقاش حرفا زائدا... و غادرتُ غرفتها و ذهبتُ إلى غرفة المعيشة الرئيسية حيث كانتُ رعد و الخالة ليندا تجلسان... قلتُ :

” هيا بنا ”

الخالة ليندا سألتُ :

” أين أروى ؟ ”

تنهَّدتُ و قلتُ :

” لا تريد الذهاب ”

تمتتُ الخالة بعبارات الاحتجاج ثم قالتُ أخيراً :

” إذن... اذهب أنتما فأنا لن أتركها وحدها ”

نهاية الأمر التفتُ إلى الصغيرة و سألتُ :

” إذن... أتذهبين ؟ ”

و لعلي لن أفصح في وصف التعبيرات التي كانتُ تملأ وجهها و هي تجيبُ :

” نعم ! بالتأكيد ”

” نعم بالتأكيد ! ”

و هل أضيع فرصة رائعة كهذه؟؟

أنا و وليد نخرج في نزهة ليلية ! نتجول في شوارع المدينة... نتناول الطعام من أحد المطاعم... و نحلي بكرات البوظة ! تماما كما كنا نفعل في الماضي ! يـاه ! ما أسعدني !... و تحقق الحلم الذي كان أبعد من الخيال ! و قضينا نحو ثلاث ساعات في نزهة رائعة أنا و وليد قلبي فقط و فقط ! أوقف وليد سيارته عند الموقف الجانبي لأحد الجسور المؤدية إلى جزيرة اصطناعية ترفيهية صغيرة يرتادها الناس للتنزه... و وقفنا أنا و هو على الجسر... عند السياج نتأمل الجزيرة و نراقب أمواج البحر و نتنفس عبقه المنعش... و من حولنا الناس يستمتعون بالأجواء الرائعة ...

” منظر مدهش و وليد ! ليتنا أحضرنا معنا آلة تصوير ! ”

وليد ابتسم، و أخرج هاتفه المحمول من جيبه و استخدم الكاميرا التابعة له و التقط بعض الصور... ثم دفعه لي كي أتفرج عليها !

” عظيم ! ليتني اقتني هاتفك هكذا ! ”

كرر وليد ابتسامته و قال :

” بكل سرور! أبقه معك لتصوري ما تودين الليلة! مع أن الظلام لن يسمح بالكثير”

و مع ذلك التقطتُ بعض الصور الأخرى، و الأهم... صورة مختلسة لوليد التقطتها بحذر دون أن يدري... و قد أبقيتُ الهاتف معي طوال النزهة لئلا يراها! و راودتني فكرة أن أنقلها إلى الحاسوب، ثم أقوم بطباعتها و من ثم أرسمها بيدي... و أعيد إلى مجموعة لوحاتي صورة جديدة لوليد قلبي... عوضا عن تلك التي احترقتُ في منزلنا المنكوب...  
آه ! كم أنا سعيدة! و لأنني كنتُ في غمرة لا توصف من البهجة فقد تخلّيتُ عن جزء من حذري و رحّتُ أراقب وليد بلهفة و تمعن و أرصد تحركاته و تعبيرات وجهه بدقة منقطعة النظير... أتمنى فقط ألا يلحظ هو ذلك !

و نحن عند الجسر... و فيما أنا منغمسة في مراقبته... مرت لحظة أغمض وليد فيها عينيه و أخذ يتنفس بعمق... و يزفر الهواء مصحوبا بتنهييدات حزينة من صدره... كثر ذلك مرارا و كأنه يريد أن يغسل صدره من الهواء الراكد الكئيب فيه !

شعرتُ ببعض القلق فسألتُ :

” ما بك وليد ؟ ”

التفتَ إليّ و هو يفتح عينيه و يبتسم و يجيب :

” لا شيء! أريد أن أملاً رثتي من هذا النقاء! جميل جدا... كيف تفوّتَ أروى و الخالة شيئا كهذا؟”



إذن... ربما كان يفكر في أروى ! خذلتني جملته بعض الشيء... ففيما أنا مكرسة نظري و فكري فيه... يشغل باله بالتفكير بها هي؟؟

مرتُ بذاكرتي صورة أروى و هي تشيح بوجهها عن وليد و تخرج من غرفة مكتبه هذا اليوم... عند المغرب... بدتُ غاضبة... وبدا وليد حينها منزعجا... و كأن بينهما خصام ما... الفضول تملكني هذه اللحظة و ربما كانت الغيرة هي الدافع، فسألتُ :

” لماذا رفضتُ المجيء معنا؟؟ هل... هل هي غاضبة؟ ”

وليد نقل بصره إلى البحر... و قال بعد قليل :

” نعم... مني ”

لستُ شريرة و لا خبيثة ! لكن... يا إلهي أشعر بسرور غير لائق ! لم استطع كتمه و قلتُ باندفاع فاضح :

” هل أنتما متخاصمان؟؟ ”

التفتَ إليّ وليد مستغربا ! لقد كان صوتي و كذلك تعبيرات وجهي تنم عن البهجة ! شعرتُ بالخجل من نفسي فطأطأتُ رأسي نحو الأرض فيما تصاعدتُ الدماء إلى وجنتي ! لم أسمع ردا من وليد... فرفعتُ بصري اختلس النظر إليه... فوجدته و قد سبحتُ عيناه في البحر بعيدا عنّي... ثم سمعته يقول :

” تريد العودة إلى لمزرعة ”

اندهشتُ ... و أصغيتُ باهتمام مكثف ... وليد تابع :

” مصرة على ذلك و قد فشلتُ في ثنيها عن الأمر... اضطررتُ لشراء التذاكر و موعد السفر يوم الأحد ”

ماذا ! عجباً ! قلتُ :

” أحقا ؟ ستتركها تذهب ؟؟ ”

وليد أجاب و هو لا يزال ينظر إلى البحر:

” و الخالة كذلك... ”

قلتُ مباشرة :

” و أنتَ ؟؟ و أنا ؟ ”

التفتَ وليد إليّ و كأن هذه الجملة هي أكثر ما يثير اهتمامه ! ركز النظر في عينيّ لحظة ثم قال :

” سنرافقهما طبعاً ”

صمتُ و علامات التعجب تدور فوق رأسي !!!

قلتُ بعدها :

” نعود للمزرعة ! كلا ! و الكلية ؟ و الدراسة ؟؟ ”

وليد تنهد ثم قال :

” سنرافقهما إلى المزرعة ثم نعود... مساء الثلاثاء ”

بدأ قلبي يدق بسرعة ... نعود يقصد بها.. أنا و هو ؟؟ أم ماذا ؟؟

خرجتُ الحروف مرتجفة على لساني :

“ أأ ... ن...عود أنا و أنتَ ؟ ”

وليد قال :

“ نعم ”

عدتُ أسأل لأتأكد :

“ و ... أروى و أمها... ستظلان في... المزرعة ؟؟ ”

وليد قال :

“ نعم ! إلى أن تهدأ الأوضاع قليلا ”

أتسمعون ؟؟

أنا و وليد وحدنا ... و لا شقراء بيننا !

مدهش ! يا لسعادتي ! تخلّصتُ منها أخيرا

أكاد أطيّر من الفرح ! بل إنني طرتُ فعلا ! هل ترون ذلك ؟؟

تعبيرات وجهي بالتأكيد كانت صارخة... و لو لم أمسك نفسي آنذاك لربما انفجرتُ ضحكا... لكن

وليد مع ذلك سألني و بشكل متردد:

“ ما رأيك ؟ ”

آه يا وليد أ و تسأل عن رأيي ؟

ألا تدرك أنه حلم حياتي يتحقق أخيرا ؟؟

وداعا أيتها الشقراء !

و لئلا أفصح فرحي بهذا الشكل طأطأتُ رأسي و خبأتُ نظري تحت حذاء وليد !

و قلتُ مفتعلة التماسك :

“ لا أعرف... كما ترى أنتَ ”

وليد عاد يسأل و بشكل أكثر جدية و بعض القلق امتزج بصوته :

“ هل تقبلين بهذا كحل مؤقت طارئ... حتى نجد الحل الأنسب ؟ ”

قلتُ و أنا لا أزال أدعي التماسك و عدم الانفعال :

” لا بأس ”

تحركتُ قدم وليد قليلا باتجاه الجسر... رفعتُ عيني عنها إليه فوجدته وقد عاد يغوص بأنظاره في أعماق البحر... و سمعته يقول:

” سنمر بسامر و أطلب منه العودة معنا... ”

تعجبتُ و سألتُ:

” سامر ؟! ”

أجاب :

” نعم. طلبتُ منه مرارا أن يأتي للعيش و العمل معنا هنا و قد تكون هذه فرصة جيدة لإقناعه ”

سامر من جديد ؟

لا أتخيل أن أعود للعيش معه تحت سقف بيت واحد ثانية ! لا أعرف بأي طريقة سنتعامل... يكفي الحرج الذي عانيناه عندما اضطررتُ للمبيت في شقته أنا و وليد بعد حادث السيارة... أتذكرون؟؟

و رغم أنني لم أحبذ الفكرة لم أشأ التعليق عليها... و على كلٍ لا أظن سامر سيرحب بها هو بدوره... وليد تابع :

” أما الخادمة فسنجعلها تعمل ليلا أيضا و تباتُ في المنزل و نضاعف لها الراتب ”

علقتُ :

” يبدو أنك خططتَ لكل شيء! ”

استدار وليد إليّ و قال :

” لم أنم الليلة الماضية من شدة التفكير! هذه الحلول المؤقتة حاليا... يمكننا تدبر بعض الأمور الأخرى بشكل أو بآخر... ”

قلتُ :

” و ماذا عن الطعام ؟ ”

فأروى و والدتها كانتا تتوليان أمر المطبخ و تعدان الوجبات الرئيسية... و الأطباق الأخرى و التي كان وليد لا يستغني عنها و يمتدحها دائما!

وليد رد :

” لدينا المطاعم ”

ابتسمتُ و قلتُ مداعبة:

” يمكنك الاعتماد عليّ ! البطاطا المقلية يوميا كحل طارئ مؤقت ! ”

ابتسم وليد فأتممتُ :

” لكن لا تقلق! سأشتري كتاب الطهي و أتعلم ابتداء من الغد ! ستري أنني ذكية جدا و أتطور بسرعة  
”ضحك وليد ضحكة خفيفة كنتُ أريد أن أختم نزهتي الرائعة بها...

و مع خبر مذهل كخبر سفر الشقراء أخيرا ... أصبحتُ معنوياتي عالية جدا و دبّ النشاط و الحيوية  
في جسدي و ذهني و ألححتُ على نقل الصور من هاتف وليد إلى جهاز الحاسوب في مكتبه و تنسيقها  
في تلك الليلة... قبل أن يكتشف صورته من بينها... و رغم أن الليل كان قد انتصف و لم يبقَ أمامي  
غير ساعات بسيطة للنوم إلى موعد الكلية إلا أنني أنجزتُ الأمر و بدأتُ برسم أولي لوجه وليد بقلم  
الرصاص على بعض الأوراق...

الساعة تجاوزت الثانية عشر و النصف، و أخيرا انتهيتُ !

كنتُ على وشك النهوض عندما رنّ هاتف وليد و الذي كان معي، موضوعا على المكتب.  
و لكن هل يتصل أصحابه به في ساعة متأخرة؟؟ أتراه لا يزال مستيقظا؟ اعتقد أن الجميع قد خلدوا  
للنوم !

حملتُ الهاتف و أوراقي و شرعتُ بالمغادرة بسرعة، حينها توقف رنين الهاتف...

واصلتُ طريقي نحو السلم و في نيتي المرور بغرفة وليد و إعادة الهاتف إليه إن كان مستيقظا قبل  
لجويي إلى فراشي...

و فيما أنا أصعد السلم عاد الهاتف للرنين... حثتُ الخطى صعودا لأوصله إلى وليد...

و في منتصف الطريق رأيتُ جسما يقف على الدرجات ينظر نحوي !

كانت أروى !

توقفتُ ثوانٍ و ألقيتُ عليها نظرة لا مبالية و صعدتُ خطوة جديدة...

و هنا سمعتها تخاطبني :

” أليس هذا هاتف وليد ؟ ”

نظرتُ إليها و أجبتُ:

” بلى ”

سألتُ :

” و لم هو عندك ؟ ”

رمقتها بنظرة تجاهلية و قلتُ:

” سأعيده إليه ”

و صعدتُ خطوة بعد...

كانتُ أروى تقف مباشرة في طريق خطواتي... تنحيتُ للجانب قليلا لأواصل طريقي إلا أنها تنحيتُ لتعترضني !

نظرتُ إليها و رأيتها تمد يدها إليّ قائلة :

” هاتيه.. أنا سأعيده ”

توقف الهاتف عن الرنين، يبدو أن المتصل قد يئس من الرد...

أضافت أروى :

” وليد نائم على أية حال... لكنه يستخدمه كمنبه لصلاة الفجر... سأضعه قرب وسادته ”

شعرتُ بالغيظ ! يكفي أن ألقى نظرة على هذه الفراشة الملونة حتى أفقد أعصابي!

قلتُ :

” سأفعل أنا ذلك، بما أن غرفته في طريقي ”

فجأة تحوّل لون الفراشة إلى الأحمر الدموي ! أروى بيضاء جدا و حين تنفعل يتوهج وجهها احمرارا شديدا !

قالتُ بنبرة غاضبة :

” عفوا؟؟ تقصدين أن تتسلي إلى غرفة زوجي و هو نائم؟؟ من تظنين نفسك؟ ”

فوجدتُ من هذا السؤال الذي لم أكن لأتوقع صدوره من أروى ! و المفاجأة ألجمتُ لساني...

أروى قالتُ بانفعال :

” وليد هو زوجي أنا... يجب أن تدركي ذلك و تلزمي حدودك ”

صعقتُ... عمّ تتحدّث هذه الدخيلة؟؟ قلتُ بصوت متردد :

” م... ماذا تعنين؟؟ ”

هتفتُ أروى باندفاع :

” تعرفين ما أعني... أم تظنين أننا بهذا الغباء حتى لا ندرك معنى تصرفاتك؟؟ ”

ذهلتُ أكثر و كررتُ :

” ما الذي تقصدينه؟؟ ”

و كأن أروى قنبلة موقوتة انفجرتُ هذه اللحظة ! رمتُ بهذه الكلمات القوية دون تردد و دون حساب

! ” لا تدعي البراءة يا رغد ! ما أبرعك من ممثلة ! أنتِ ماهرة جدا... و تستغلين تعاطف وليد و

شعوره بالمسؤولية تجاهك حتى تفعلين ما يحلو لك ! دون خجل و لا حدود... لكن... كل شيء أصبح

مكشوفاً يا رغد... أنا أعرف ما الذي تخططين له... تخططين لسرقة زوجي مئى ! أليس كذلك؟؟

تستميلين عواطفه بطرقكِ الدنيئة! أنتِ خبيثة يا رغد... و سأكشف نواياكِ السيئة لوليد ليعرف حقيقة من تكونين ! ”

ذهلتُ ... وقفتُ كالورقة تعصف بي كلمات أروى... لا تكاد أذناي تصدقان ما تسمعان... كنتُ أنظر إلى أروى بأوسع عينين من شدة الدهول... عبستُ أروى بوجهها و ضغطتُ على أسنانها و هي تقول :

” كنتِ تمثلين دور المتعبة هذا الصباح... و مثلتِ دور المريضة ليلة حفلتنا أنا و وليد... و دور المرعوبة ليلة سهرنا أنا و وليد... هنا و في المزرعة و في بيت خالتكِ و في أي مكان... تمثلين أدوار المسكينة لتجعلي عقل وليد يطير جنونا خوفا عليكِ ! تدركين أنه لا يستطيع إلا تنفيذ رغباتك شعورا منه بالمسؤولية العظمى تجاهكِ! ما أشد دهائكِ و خبيثكِ... لكنني سأخبر وليد عن كل هذا... وإن اضطرتُ لفعل ذلك الآن ! ”

كنتُ أمسك بهاتف وليد في يدي اليمنى و بالأوراق في يدي اليسرى... و للدهول الذي أصابني من كلام أروى رفعتُ يدي اليمنى تلقائيا ووضعتها على صدري... فجأة تحركتُ يد أروى نحوي... و هممتُ بانتزاع الهاتف و هي تقول:

” هاتي هذا ”

و كردة فعل تشبثتُ بالهاتف أكثر... فسحبته هي بقوة أكبر... ثم انزلت من بين أيدينا و وقع على عتبات الدرج...

استدرتُ منثنية بقصد التقاطه بسرعة فتحرتُ أروى لمنعي فجأة و اصطدمتُ بي... حركتها هذه أفقدتني التوازن ... فالتوتُ قديمي و فتحتُ يدي اليسرى بسرعة موقعة بالأوراق أرضا... و مددتها نحو ذراع أروى وتشبثتُ بها طالبة الدعم... الأمر الذي أفقد أروى توازنها هي الأخرى... وفجأة انهرنا نحن الاثنتان متدحرجتين على الدرج ... و لأنني كنتُ في الأسفل... فقد وقع جسدها عليّ و انتهى الأمر بصرخة مدوية انطلقتُ من أعماق صدري من فرط الألم... لأنني نمتُ معظم النهار، لم يستجب النعاس لندائي تلك الليلة و بقيتُ أتقلبُ في فراشي لبعض الوقت...

كنتُ أستعيد ذكريات النزهة الجميلة التي قضيناها أنا و صغيرتي هذه الليلة و التي أنعشتُ الذكريات الماضية الرائعة في مخيلتي... خصوصا و أن صغيرتي بدتُ مسرورة و مبتهجة بشكل أراحمي و وئد خوفي عليها المولود هذا الصباح...

كل شيء كما في السابق... إنها نفس الفتاة التي كنتُ أصطحبها في النزاهات باستمرار... في أرجاء  
المدينة... و أقضي بصحبتها أمتع الأوقات و أطيبها على نفسي !  
غير أنها كبرت و لم يعد باستطاعتي أن أحملها على كتفي كما في الماضي !  
كانت مهووسة بامتطاء كتفي و هي صغيرة و لم تتخلى عن هوسها حتى آخر عهدي بها قبل دخولي  
السجن...

يا ترى... هل تتذكر الآن؟؟

يا ترى كيف تشعر حين تكون معي و هل أعني لها ما عنيتُ في الماضي؟؟  
لا أعرف لِمَ كان طيف رغد يسيطر عليّ هذه الليلة... بالتأكيد... خروجي معها في هذه النزهة هو ما  
هيج المكنون من مشاعري القديمة... الأزلية...  
جلستُ و توجهتُ إلى محفظتي... و منها استخرجتُ قصاصات الصورة الممزقة لرغد... و عدتُ أركب  
أجزاءها كما كانت...

أقسم... بأنني أستطيع تجميعها بالضبط كما كانت و أنا مغمض العينين !  
أخذتُ القصاصات إلى سريري و جلستُ و أغمضتُ عيني... لأثبت لكم صدق قسمي...  
أتحسسها قصاصةً قصاصةً... حافةً حافةً... طرفاً طرفاً..  
ها أنا ذا انتهيتُ !

فتحتُ عيني و نظرتُ إلى الصورة المكتملة و شعرتُ بالسرور! إنها رغد... و دفتر تلوينها... و أقلام  
التلوين الجميلة !  
يا لي من مجنون !

ما الذي أفعله في مثل هذا الوقت المتأخر بعد منتصف الليل !  
وضعتُ القصاصات تحت الوسادة و أرخيتُ جفوني... سأنام على صورتك يا رغد !  
فجأة... صحتُ على صوت جلبة... أشبه بارتطام شيء ما بالأرض... مصحوبة بصراخ قوي !  
نهضتُ بسرعة و سمعتُ صوت صرخات متتالية و متداخلة مع بعضها البعض في آن واحد... أسرعتُ  
للخروج من غرفتي و هرولتُ ناحية مصدر الصراخ...  
إنه السلم...

وصلتُ أعلى عتباته و ألقيتُ نظرة سريعة نحو الأسفل و ذهلتُ !  
قفزتُ العتبات قفزاً حتى وصلتُ إلى منتصف الدرج... حيث وجدتُ رغد و أروى جاثيتين على  
العتبات إحداهما تثن بفزع... و الأخرى تتلوى ألما و تطلق الصرخات...  
و مجموعة من الأوراق مبعثرة على العتبات من حولهما...



” ماذا حدث ؟؟ ”

سألتُ مفزوعاً... ولم تجب أيهما بأكثر من الأنين و الصراخ...

” رغد...أروى...ماذا حدث ؟؟ ”

ردتُ أروى و هي تضغط على كوعها بألم :

” وقعنا من أعلى السلم ”

لم يكن لدي مجال لأندهش... فقد كانت رغد تصرخ بألم و تنقل يدها اليسرى بين يمينها و رجلها اليسرى...

قلتُ بسرعة :

” أنتما بخير ؟؟ ”

أروى وقفتُ ببطء و استندتُ إلى الجدار... و أما رغد فقد بقيتُ على وضعها تنن و تصرخ

” رغد هل أنتِ بخير ؟؟ ”

عصرتُ رغد وجهها من الألم فسالتُ الدموع متدفقة على وجنتيها المتوهجتين...  
قلتُ :

” رغد ؟؟ ”

فأجابتُ باكية متأللة صارخة :

” يدي... قدمي... آه... تؤلماني... لا أحتمل... ربما كسرتا ”

أصبتُ بالهلع... أقبلتُ نحوها حتى جلستُ قريبا تماما... و سألتُ :

” هذه ؟ ”

مادا يدي إلى يدها اليمنى و لكنني ما أن قرّبتُ يدي حتى صرختُ رغد بقوة و أبعدتُ يدها عني...

” رغد ”

هتفتُ بهلع ، فردتُ :

” تؤلمني بشدة... آي... لا تلمسها ”

فوجهتُ يدي إلى يدها اليسرى :

” و هذه؟ أتؤلك؟ ”

” كلا ”

فأمسكتُ بها و أنا أقول :

” إذن... دعيني أساعدك على النهوض ”

رغد حركتُ رأسها اعتراضا و قالتُ :

” لا أستطيع... قدمي ملتوية... تؤلني كثيرا... لا أستطيع تحريكها ”  
و نظرتُ نحو قدمها ثم سحبتُ يدها اليسرى من يدي و أمسكتُ برجلها اليسرى بألم  
و كانتُ قدمها ملوية إلى الداخل، يخفي جوربها أي أثر لأي كدمة أو خدش أو كسر...  
قلتُ :

” سأحاول لفها قليلا ”

و عندما حركتها بعض الشيء... أطلقتُ رغد صرخة قوية ثقبتُ أذني و أوقفتُ نبضات قلبي...  
يبدو أن الأمر أخطر مما تصورتُ... ربما تكون قد أصيبتُ بكسر فعلا...  
تلقتُ يمنا و يسرة في تشتت من فكري... كانت أروى متسمة في مكانها في فزع... بدأ العرق يتصبب  
من جسمي و الهواء ينفذ من رثتي... ماذا حلّ بصغيرتي؟؟  
التفتُ إلى رغد بتوتر و قلتُ :

” سأرفعك ”

و مددتُ ذراعي بحذر و انتشلتُ الصغيرة من على العتبة و هي تصرخ متألمة... و هبطتُ بها إلى  
الأسفل بسرعة... و أثناء ذلك ارتطمتُ قدمي بشيء اكتشفتُ أنه كان هاتفني المحمول ملقى أيضا على  
درجات السلم...

حملتُ رغد إلى غرفة المعيشة و وضعتها على الكنبه الكبرى... و هي على نفس الوضع تعجز عن مد  
رجلها أو ثنيها... أما يدها اليمنى فقد كانتُ تبقيها بعيدا خشية أن تصطدم بي...  
” رغد... ”

ناديتها باضطراب... لكنها كانتُ تكتم أنفاسها بقوة حتى احتقن وجهها وانتفختُ الأوردة في  
جبينها... و برزتُ آثار اللطامات التي أمطرتها بها صباحا أكثر... حتى شككتُ بأنها آثار جديدة  
سببها الدرج من شدة توهجها...

بعدها انفجر نفس رغد بصيحة قوية قطعتُ حبالها الصوتية...  
قلتُ مفزوعا :

” يا إلهي... يجب أن آخذك إلى الطبيب ”

وقفتُ ثم جثوتُ على الأرض ثم وقفتُ مجددا... خطوطُ خطوة نحو اليمين و أخرى نحو اليسار...  
تشتتُ و من هول خوفي على رغد لم أعرف ماذا أفعل... أخيرا ركزتُ فكرة في رأسي و ركضتُ في  
اتجاه غرفتي، أريد جلب مفاتيح السيارة...

عند أول عتبات السلم كانتُ أروى تقف متسمة تنم تعبيرات وجهها عن الذعر...!  
وقفتُ برهة و أنا طائر العقل و قلتُ باندفاع :

” ماذا حدث ؟ كيف وقعتما؟ ربما انكسرت عظامها ... سأخذها إلى المستشفى ”  
لم أذع لها المجال للرد بل قفزتُ عتباتُ الدرج قفزاً ذهاباً ثم عودة... و أنا أدوس عشوائياً على الأوراق  
المبعثرة عليها دون شعور... ثم رأيتُ أروى لا تزال قابعة في مكانها... فهتفتُ:

” تكلمِي؟؟ ”

و أنا أسرع نحو غرفة المعيشة... توقفتُ لحظة و استدرتُ إلى أروى و قلتُ:

” و أنتِ بخير ؟ ”

أومأتُ أروى إيجاباً فتابعتُ طريقي إلى رعد... و لم أشعر بأروى و هي تتبعني...  
وجدتُ رعد و قد كومتُ جزءاً من وشاحها لتعضّه بين أسنانها... حين رأيتني خاطبتني و الوشاح لا  
يزال في فمها:

” وليد... ساموت من الألم...آي ”

ركعتُ قريبا و مددتُ ذراعيّ أريد حملها و أنا أقول:

” هيا إلى الطبيب... تحملي قليلا أرجوك ”

و عندما أوشكتُ على لمس رجلها دفعتُ يدي بعيدا بيدها و صاحتُ:

” لا... أقول لك تؤلني... لا تلمسها ”

قلتُ :

” يجب أن أحملكِ إلى المستشفى رعد... أرجوكِ تحملي قليلا... أرجوكِ صغيرتي ”

جمعتُ رعد القماش في فمها مجددا و عضتُ عليه و أغمضتُ عينيها بقوة...

حملتها بلطف قدر الإمكان متجنباً لمس طرفيها المصابين... و استدرتُ نحو الباب... هناك كانت أروى  
تقف في هلع تراقبنا...

قلتُ :

” هيا... اسبقيني و افتحي لي الأبواب بسرعة ”

و هكذا إلى أن أجلستُ الصغيرة على مقعد السيارة الخلفي، ثم فتحتُ بوابة المرآب و انطلقتُ  
بسرعة...

لحسن الحظ كانت رعد لا تزال ترتدي عباءتها و وشاحها الأسودين، لم تخلعهما منذ خرجنا إلى  
النزهة أول الليل...

عندما وصلنا إلى المستشفى، استقبلنا فريق الإسعاف بهمة و حملنا رعد على السرير المتحرك إلى غرفة  
الفحص... كانت لا تزال تصرخ من الألم...

سألني أحد الأفراد :

” حادث سيارة ؟ ”

قلتُ :

” لا ! وقعتُ من أعلى السلم... ربما أصيبتُ بكسر ما... أرجوكم أعطوها مسكنا بسرعة ”  
أراد الطبيب أن يكشف عن موضع الإصابة... تحمّلتُ رغد فحص يدها قليلا و لكنها صرختُ بقوة  
بمجرد أن وجه الطبيب يده إلى رجلها اليسرى... و يبدو أن الألم كان أشد في الرجل... شجعتها  
المرضة و حين همّت بإزاحة الغطاء عن رجلها استدرتُ و وقفتُ خلف الستارة...  
عادتُ رغد تصرخ بقوة لم أحتملها فهتفتُ مخاطبا الطبيب :

” أرجوك أعطها مسكنا أولا... لا تلمس رجلها قبل ذلك... ألا ترى أنها تتلوى ألما؟؟ ”

و صرختُ رغد مرة أخرى و هتفتُ :

” وليد ”

لم احتمل... أزحتُ الستارة و عدتُ إلى الداخل و مددتُ يدي إلى رغد التي سرعان ما تشبثتُ بها  
بقوة...

” معكِ يا صغيرتي... تحمّلي قليلا أرجوك ”

و استدرتُ إلى الطبيب :

” أعطها مسكنا أرجوك... أرجوك في الحال ”

المرضة كشفتُ عن ذراع رغد اليسرى بهدف غرس الإبرة الوريدية في أحد عروقه... و لمحتُ الندبة  
القديمة فيها فسألتنني :

” و ما هذا أيضا ؟ ”

قلتُ غير مكترث :

” حرق قديم... لا علاقة له بالحادث ”

و بمجرد أن انتهتُ الممرضة من حقن رغد بالعقار المسكن للألم عبر الوريد، عادتُ رغد و مدتُ يدها  
إليّ و تشبثتُ بي...

” لا تقلقي صغيرتي... سيزول الألم الآن ”

قلتُ مشجعا و أنا أرى الامتقاع الشديد على وجهها المتألم الباكي...

و مضتُ بضع دقائق غير أن رغد لم تشعر بتحسن

” ألم يختفِ الألم ؟ ”

سألتها فقالتُ و هي تتلوى و تهز رأسها :

” تؤلني يا وليد... تؤلني كثيرا جدا ”

خاطبتُ الممرضة :

” متى يبدأ مفعول هذا الدواء ؟ أليس لديكم دواءً أقوى ؟؟ “

الطبيب أمر الممرضة بحقن رغد بدواء آخر فحقنته في قارورة المصل المغذي و جعلته يسري بسرعة إلى وريدها...

قلتُ مخاطبا الطبيب :

” هل هذا أجدى ؟ “

قال :

” فعال جدا “

قلتُ :

” إنه ألم فظيع يا دكتور... هل تظن أن عظامها انكسرت ؟ “

أجاب :

” يجب أن أفحصها و أجري تصويرا للعظام قبل أن أتأكد “

بعد قليل... بدأتُ جفون رغد تنسدل على عينيها... و صمتتُ عن الصراخ... و ارتختُ قبضتها المتشبثة بي...

نظرتُ إلى الطبيب بقلق فقال :

” هذا من تأثير المخدر... ستغفو قليلا “

ثم باشر فحص رجل رغد و أعاد تفحص يدها اليمنى... و بقية أطرافها... و عندما انتهى من ذلك،

أمر بتصوير عظام رجلَي رغد و يديها و حتى جمجمتها تصويرا شاملا...

” طمئني أيها الطبيب رجاءً ... هل اتضح شيء من الفحص ؟؟ “

نظر إليّ الطبيب نظرة غريبة ثم سألني و هو يتكلم بصوتٍ منخفض :

” قل لي... هل حقا وقعتُ على درجات السلم ؟ “

استغربتُ سؤاله و بدا لي و كأنه يشك في شيء فأجبتُ :

” نعم... هذا ما حصل “

قال الطبيب :

” كيف ؟ “

قلتُ :

” لا أعرف فأنا لم أشاهد الحادث... و لكن لماذا تسأل ؟ “

قال :

” فقط أردتُ التأكد... فوجهها مكدوم بشكل يوحي إلى أنها تعرضتُ للضرب ! و ربما يكون الأمر ليس

مجرد حادث ”

أثار كلام الطبيب جنوني و غضبي فرددتُ منفعلا :

” و هل تظن أننا ضربناها ثم رميناها من أعلى الدرج مثلا ؟ ”

لم يعقبَ الطبيب فقلتُ :

” وجهها متورم نتيجة شيء آخر لا علاقة له بالحادث ”

تبادل الطبيب و الممرضة النظرات ذات المغزى ثم طلب منها اصطحاب رغد إلى قسم الأشعة.

و لأنني كنتُ هلعا على رغد عاودتُ سؤاله :

” أرجوك أخبرني... هل تبين شيء بالفحص لا قدر الله ؟ ”

رد صريحا :

” لا أخفي عليك... يبدو أن الإصابة في الكاحل بالغة لحد ما... أشك في حدوث تمزق في الأربطة ”

ماذا؟؟ ماذا يقول هذا الرجل؟؟ تمزق؟ كاحل؟؟ رغد... !!

تابع الطبيب :

” الظاهر أن قدمها قد التوت فجأة و بشدة أثناء الوقوع... و لديها تورم و رض شديد في منطقة

الساق... قد تكون ساقتها تعرضت لضربة قوية بحافة العتبة... أما يدها اليمنى فأتوقع أنها كُسرت ”

كسر؟؟ تمزق؟؟ التواء؟؟ تورم؟؟ رض؟؟ ما كل هذا؟؟ ماذا تقول؟؟

شعرتُ بعنمة مفاجئة في عيني و بالشلل في أعصابي... يبدو أنني كنتُ سأنهار لولا أن الطبيب

أسندني و أقعدني على كرسي مجاور... وضعتُ يدي على رأسي شاعرا بصداع مبالغت و فظيع... كأن

أحد الشرايين قد انفجر في رأسي من هول ما سمعتُ...

الطبيب ثرثر ببعض جمل مواسية لم أسمع منها شيئا... بقيتُ على هذه الحال حتى أقبلتُ الممرضات

يجررن سرير رغد و يحملن معهن صور الأشعة...

الطبيب أخذ الأفلام و راح يتأملها على المصباح الخاص... و ذهبتُ أنا قرب رغد حتى توارينا خلف

الستار...

الصغيرة كانت نائمة و بقايا الدمع مبللة رموشها... تمزق قلبي عليها و أمسكتُ بيدها اليسرى و

ضغطتُ بقوة...

كلا يا رغد !

لا تقولي أن هذا ما حدث؟ أنت بخير أليس كذلك؟؟ ربما أنا أحلم... ربما هو كابوس صنعه خوفي  
المستمر عليك و جنوني بك !

رباه...

بعد ثوانٍ تركتُ رغد و ذهبتُ إلى حيث كان الطبيب مع مجموعة أخرى من الأطباء يتفحصون الأشعة  
و يتناقشون بشأنها. وقفتُ إلى جانبهم و كأني واحدٌ منهم... أصغي بكل اهتمام لكل كلمة تتفوه بها  
ألسنتهم، و لا أفقه منها شيئاً...

أخيراً التفتَ الطبيب ذاته إليّ فقلتُ بسرعة:

" خير؟؟ طمئني أرجوك ؟ "

قال الطبيب و هو يحاول تهوين الأمر:

" كما توقعتُ... يوجد كسر في أحد عظام اليد اليمنى... و شرخ في أحد عظام الرجل اليسرى و هناك

انزلاق في مفصل الكاحل سببه تمزق الأربطة "

و لما رأى الطبيب الهلع يكتسح وجهي أكثر من ذي قبل، أمسك بكتفي و قال:

" بقية الأشعة لم توضح شيئاً... الإصابة فقط في اليد اليمنى و الرجل اليسرى، أما الكدمات الأخرى

فهي سطحية "

ازدرتُ ريقِي واستجمعتُ شظايا قوتي و قلتُ غير مصدّق:

" أنت... متأكد ؟ "

قال :

" نعم. جميعنا متفقون على هذا "

و هو يشير إلى الأطباء ممن معنا...

قلتُ و صوتي بالكاد يخرج من حنجرتي واهنا :

" و... هل ... سيشفى كل ذلك ؟ "

قال :

" نعم إن شاء الله. لكن... ستلزمها عملية جراحية... و بعدها ستظل مجبّرة لبعض الوقت "

صُعقتُ !! لا ! مستحيل !

عملية؟؟ جبيرة؟؟ أو كلا ! كلا !

كدتُ أهتف ( كلا ) بانفعال... لكنني رفعتُ يدي إلى فمي أكنم الصرخة... قهرا...

الطبيب أحس بمعاناتي و حاول تشجيعي و تهوين الأمر... لكن أي كارثة حلّت على قلبي يمكن

تهوينها بالكلمات؟؟

قلتُ بلا صوت :

” تقول ... عملية ؟ ”

رد مؤكدا :

” نعم. ضرورة لإنقاذ الكسور من العواقب غير الحميدة ”

أغمضتُ عيني و تأوهتُ من أثر الصدمة... و قلبي فاقد السيطرة على ضرباته... و لما لاحظ الطبيب

حالتي سألني بتعاطف :

” هل أنت شقيقتها ؟ ”

فرددتُ و أنا غير واعٍ لما أقول :

” نعم.. ”

قال :

” و أين والدها ؟ ”

قلتُ :

” أنا ”

تعجب الطبيب و سأل :

” عفوا ؟ ”

قلتُ :

” لقد مات... كلهم ماتوا... أنا أبوها الآن... يا صغيرتي ”

و أحشائي تتمزق مرارة... أنا لا أصدق أن هذا قد حصل... رغد صغيرتي الحبيبة... مهجة قلبي و

الروح التي تحركني... تخضع لعملية؟؟

وقفتُ و سرتُ نحو سرير رغد بترنح... يظن الناظر إليّ أنني أنا من تحطمتُ عظامه و انزلقتُ مفاصله

و تمرقتُ أربطته و ما عاد بقادر على دعم هيكله...

اقتربتُ منها... أمسكتُ بيدها اليسرى... شددتُ عليها... اعتصرني الألم... و اشتعلتُ النار في

معدتي... و أذابتُ أحشائي...

الطبيب لحق بي و أقبل إليّ يشجعني بكلمات لو تكررتُ ألف مرة ما فلحتُ في لمّ ذرتين من قلبي

المبعثر...

قال أخيرا :

” علينا إتمام بعض الإجراءات الورقية اللازمة قبل أخذها لغرفة العمليات ”



الكلمة فطرتُ قلبي لنصفين و دهستُ كلَّ على حدة...

التفتُ إليه أخيرا و قلتُ متشبثا بالوهم :

“ ألا يمكن علاجها بشكلٍ آخر؟؟ أرجوك... إنها صغيرة و لا تتحمّل أي شيء... كيف تخضع

لعملية؟؟ لا تتحمل... ”

و كان الطبيب صبورا و متفهما و عاد يواسيني...

“ لا تقلق لهذا الحد... عالجتنا إصابات مشابهة و شفيتُ بإذن الله... ”

لكن مواساته لم تخمد من حمم القلق شرارة واحدة.

هنا أقبلتُ الممرضة تخاطبه قائلة :

“ أبلغنا أخصائي التخدير و غرفة العمليات جاهزة يا دكتور ”

الطبيب نظر إليّ و قال :

“ توكلنا على الله ؟ ”

نقلتُ بصري بينه و بين الممرضة ثم إلى رغد ...

قلتُ :

“ صبرا... دعني استوعب ذلك... أنا مصدوم... ”

و أسندتُ رأسي إلى يدي محاولا التركيز... ظلّ الطبيب و الممرضة واقفين بالجوار قليلا ثم تركاني

لبعض الوقت، كي استوعب الموقف و أفكر... ثم عادا من جديد...

قال الطبيب :

“ ماذا الآن؟ التأخير ليس من صالحها ”

ازدردتُ ربيقي و أنا ألهث من القلق... ثم نظرتُ إلى رغد و قلتُ :

“ يجب أن تعرف ذلك أولا... ”

كنتُ لا أزال ممسكا بيدها، اقتربتُ منها أكثر و همستُ :

“ رغد ”

كررتُ ذلك بصوتٍ مبيّت... ولم تستجب، فضربتُ يدها بلطف و أنا مستمر في النداء...

فتحتُ رغد عينيها و جالتُ فيما حولها و استقرتُ عليّ... كانت شبه نائمة من تأثير المخدر...

قلتُ بلهفة :

“ صغيرتي... ”

و شددتُ على يدها... استجابتُ بأن نطقتُ باسمي

قلتُ :

” كيف تشعرين ؟ كيف الألم ؟؟ ”

قالتُ و هي بالكاد تستوعب سُؤالي :

” أفضل... أشعر به ... لكن أخف بكثير ”

قلتُ :

” الحمد لله... سلامتكِ يا صغيرتي ألف سلامة... ”

قالتُ :

” سلّمك الله... آه... أشعر بنعاسٍ شديد جدا وليد... دعنا نعود للمنزل ”

لم أتمالك نفسي حينها و تأوهتُ بألم... آه يا صغيرتي... آه... رغد أحسّت بشيء... بدأتُ تستفيق و

تدرك ما حولها

قالت :

” ما الأمر ؟؟ ”

لم أتكلّم ... فنظرتُ نحو الطبيب و المريضة و اللذين قالا بصوت واحد :

” حمدا لله على السلامة ”

ثم تقدّم الطبيب نحوها و بلطف حرّك يدها المصابة و قد زاد تورمها و احمرارها فأنت رغد.

قال :

” ألا زالتِ تؤلمك ؟ ”

أجابتُ :

” نعم. لكن أخف بكثير من ذي قبل ”

قال :

” هذا من تأثير المسكن القوي و لكن الألم سيعود أقوى ما لم نعالجها عاجلا. انظري... لقد تفاقم التورم

بسرعة ”

رغد نظرتُ إلى يدها ثم إليّ بتساؤل... و لم أعرف بم أجيب و لا كيف أجيب...

” وليد ؟؟ ”

ترددتُ ثم قلتُ :

” يبدو... أن الإصابة جدية يا رغد... يقول الطبيب أن لديك كسور و أنك بحاجة إلى جراحة ”

و لو رأيتم مقدار الذعر الذي اكتسح وجه رغد... آه لو رأيتم !!

جفلتُ جفول الموتى... ثم سحبتُ يدها من بين أصابعي و وضعتها على صدرها هلعاً... و كتمتُ

أنفاسها قليلاً ثم صاحتُ :

” ماذا ؟؟!! ”

حاولتُ تهدئتها و أنا الأحوج لمن يهدئني... كانت ردة فعلها الأولى مزيجاً من الذعر... و الفزع... و

الخوف... و الارتجاف... و النحيب... و الرفض... و البكاء...

و انفعالات يعجز قلب وليد عن تحمّلها و شرحها...

و كانت مشوشة التركيز و التفكير بسبب الدواء المخدر و لا أدري إن كانت قد استوعبتُ بالفعل الخبر

و ما إذا كانت تقصد بإرادة ردود فعلها تلك، أم أن الأمر كان وهما صنعه المخدر...؟؟

بعد أن هدأتُ قليلاً و أنا ما أزال قربها أكرر:

” ستكونين بخير... لا تخافي صغيرتي... ستكونين بخير بإذن الله ”

قالتُ و هي ممسكة بيدي :

” وليد أرجوك.. لا تتركني وحدي ”

قلتُ مؤكداً بسرعة :

” أبداً صغيرتي... سأبقى معك طوال الوقت و لن أبتعد عن باب غرفة العمليات متراً واحداً... اطمئني ”

نظرتُ رغد إليّ بتوسل... فكررتُ كلامي مؤكداً... حينها قالتُ :

” هل نحن في الحقيقة؟؟ هل يحصل هذا فعلاً؟؟ هل أنا مصابة و في المستشفى؟؟ ”

قلتُ بأسى :

” نعم لكن هونى عليك يا رغد بالله عليك... قطعتُ نياط قلبي... أرجوك يكفى... الحمد لله على كل

حال... بلاء من الله يا صغيرتي... لا تجزعي... ”

ابتلعتُ رغد آخر صيحاتها و حبستُ دموعها و بدأتُ تتنفس بعمق و استسلام...

و بعد قليل نظرتُ إليّ و قالتُ :

” أشعر بنعاس شديد... ماذا حصل لي؟؟ عندما أصبحوا لا أريد أن أذكر من هذا الكابوس شيئاً...

أرجوك وليد ”

و أغمضتُ عينيها و غابتُ عن الوعي مباشرة...

ناديتها بضع مرات فلم تجب... نظرتُ إلى الطبيب فأشار بإصبعه إلى المصل المغذي... ثم قال:

” علينا الاستعجال الآن... ”

و بهذا ذهبْتُ مفوضاً أمري إلى الله و أتممتُ الإجراءات المطلوبة و من ثم تم نقل رغد إلى غرفة

العمليات...

بقيتُ واقفا على مقربة النهم الهواء في صدري التهاما...عَلَّه يخمد الحريق المتأجج فيه...

لم يكن معي هاتف و لم أشأ الابتعاد خطوة أخرى عن موقع رغد... وظللتُ في انتظار خروجها أذرع

الممر ذهاباً و جيئاً و أنا أسير على الجمر المتقد... و لساني لا ينقطع عن التوسل إلى الله... إلى أن

انتهتُ العملية بعد فترة و رأيتهم يخرجون السرير المتحرك إلى الممر...

لم يكن الطبيب موجوداً فلحقتُ بسرعة بالمرضات اللواتي كنَّ يقدن السرير و ألقيتُ نظرة متفحصة

على وجه رغد...

كانت هناك قبة زرقاء شبه شفافة تغطي شعرها و قارورتان من المصل الوريدي علقتا على جانبيها

تقطران السائل إلى جسمها...

اقتربتُ منها و أنا أنادي باسمها ففتحتُ عينيها و لا أدري إن كانت رأنتني أم لا... ثم أغمضتهما و

نامتُ بسلام...

سحبتُ الغطاء حتى غطيتُ رأسها كاملاً... و سرتُ معها جنباً إلى جنب إلى أن أوصلتها المرضات إلى

إحدى الغرف... و هناك ساعدتُهن في رفعها إلى السرير الأبيض... و فيما نحن نحملها شاهدتُ

الجبيرة تلف يدها و رجلها فكدتُ أصاب بالإغماء من مرارة المنظر...

شعرتُ بتعب شديد... و كأنني حملتُ جبلاً حديدياً على ذراعي لعشر سنين... و تهالكتُ بسرعة

على حافة السرير قرب رغد...

و عندما هممتُ إحداهن بتغيير الغطاء أشرتُ إليها بالأفعال... و طلبتُ منها أن تلف رأس رغد

بوشاحها الأسود...

” متى ستصحو؟ ”

سألتُ بصوتٍ متبعثر... فأجبني :

” عما قريب. لا تقلق. من الخير لها أن تبقى نائمة ”

سألتُ :

” و أين الطيب؟ ”

أجابتُ إحداهن :

” سيجري عملية طارئة لمريض آخر الآن ”

بقيت إحدى الممرضات تفحص العلامات الحيوية لرغد و تدون ملاحظاتها لبضع دقائق ثم لحقتُ  
بزميلتيها خارج الغرفة...

في هذه اللحظة، أنا و صغيرتي نجلس على السرير الأبيض... هي غائبة عن الوعي... و أنا غائب عن  
الروح... لا أحسّ بأي شيء مما حولي... إلا بصلاية الجبيرة التي أمد إليها بيدي أتحمسها غير  
مصدّق... لوجودها حول يد طفلي الحبيبة....

لا شيء تمنيته تلك الساعة أكثر من أن يوقظني أحدكم بسرعة و يخبرني بأنه كان مجرد كابوس...  
تلفتُ يمنة و يسرة... ربما بحثا عن أحدكم... و لم يكن من حولي أحد...  
لمحتُ هاتفا موضوعا على مقربة... و اشتغلتُ بعض خلايا دماغي المشلولة فأوحتُ إليّ بالاتصال  
بالمنزل...

وقفتُ و تحركتُ و أنا أجوف من الروح... لا أعرف ما الذي يحركني؟ لا أشعر بأطرافي و لا أحس  
بثقلي على الأرض... و لا أدري أي ذاكرة تلك التي ذكرتني برقم هاتف منزلي!

ظل الهاتف يرن فترة من الزمن... قبل أن أسمع أخيرا صوت أروى تجيب

" وليد ! أخيرا اتصلت؟ أخبرني أين أنتما و كيف حالكما و ماذا عن رغد؟؟ "

عندما سمعتُ اسم رغد لم أتمالك نفسي...

أجبتُ بانهيار و بصري مركز على رغد :

" أجروا لها عملية... إنها ملفوفة بالجباثر... آه يا صغيرتي... منظرها يذيب الحجر... يا إلهي... "

و أبعدتُ السماعة... لم أشأ أن تسمع أروى ما زفره صدري...

ثم قربتها و قلتُ :

" سأتصل حينما تستفيق... نحن في مستشفى الساحل... ادعي الله لأجلها معي "

و أنهيتُ المكالمة القصيرة و عدتُ إلى رغد...

و لا زلتُ لله داعيا متضرعا حتى رأيتُ رغد تتحرك و تفتح عينيها ! تهلل وجهي و اقتربتُ منها

أكثر و ناديتها بشغف :

" رغد... صغيرتي... "

و أضفتُ :

" حمدا لله على سلامتكَ أيتها الغالية... الحمد لله "

رغد رفعتُ رأسها قليلا و نظرتُ نحو يدها و سألتُ :

" هل... أجروا لي العملية؟ "

و قبل أن أجيب كانت قد حركت ذراعها الأيمن حتى صارت يدها أمام عينيها مباشرة... تحسست الجبيرة الصلبة باليد الأخرى... ثم نظرت إليّ...  
ثم حاولت تحريك رجلها و علامات الفرع على وجهها... ثم سحبت اللحاف قليلا لتكشف عن قدمها المصابة و تحددت بها قليلا... و تعود لتنظر إليّ مجددا:  
" لا استطيع تحريك رجلي ! وليد... هل أصبت بالشلل ؟ أوه لا... "  
إلى هنا و لا استطيع أن أتابع الوصف لكم... عما حلّ بالصغيرة آنذاك...  
لقد سبب وجودنا إرباكا شديدا في القسم... و خصوصا للممرضات اللواتي على رؤوسهن وقعت مهمة تهدئة هذه الفتاة الفزعة و رفع معنوياتها المحطمة...  
كان صراخها يعلو رغم ضعف بدنها... و كل صرخة و كل آهة و كل أنة... أطلقتها رغدا... اخترقت قلبي قبل أن تصفع جدران الغرفة...  
بجنون ما مثله جنون... تشبثت بي و هي تصرخ:  
" أريد أمي "

ربما لم تكن رغد تعي ما تقول بفعل المهدئات... أو ربما... الفرع أودى بعقلها... أو ربما يكون الشلل قد أصاب رجلها فعلا...!!  
عندما أتى الطبيب و أعطاه دواءً مخدرا... بدأت تستسلم و هي تئن بين يديّ...  
الطبيب أكد مرارا و تكرارا أن شيئا لم يصب العصب و أن الأمر لا يتعدى تأثير البنج المؤقت... و أن ردة فعلها هذه شيء مألوف من بعض المرضى... لكن كلامه لم يمنحني ما يكفي من الطمأنينة...  
التفتُ إلى رغد التي كانت متمسكة بي بيدها اليسرى تطلب الدعم النفسي:  
" لا تخافي صغيرتي... ستكونين بخير... ألم تسمعي ما قال الطبيب؟؟ إنها أزمة مؤقتة و ستستعيدين كامل صحتك و تعودين للحركة و للمشي طبيعيا كما في السابق... "  
رفعتُ رغد بصرها إليّ و قالت و هي تفقد جزءاً من وعيها:  
" هل ... سأصبح معاقة و عرجاء ؟ "  
هزئتُ رأسي و قلتُ فورا:  
" كلا يا رغدا... من قال ذلك؟؟ لا تفكري هكذا أرجوك "  
قالتُ :

" لكن كاحلي تمزق... و عظامي انكسرت ! ربما لن أستعيدها ثانية! ماذا سيحل بي إن فقدتُهما للأبد؟ ألا يكفي ما فقدتُ يا وليد؟ ألا يكفي؟؟ "  
قلتُ منفعلا :

” لا تقولي هذا... فذاك كاحلي و عظامي و كل جسمي و روحي يا رغد ! ليتني أصبتُ عوضاً عنكِ يا صغيرتي الحبيبة ”

أمسكتُ برأسها... كنتُ أوشكُ على أن أضمه إليّ بقوة... و جنون... نظرتُ إلى عينيها... فرأيتها تدوران للأعلى و ينسدل جفناها العلويان ليغطياهما ببطء... بينما يظل فوها مفتوحاً و آخر كلامها معلقاً على طرف لسانها...

و أنا على وشك الخروج للعمل صباحاً تلقيتُ اتصالاً من رقم هاتفٍ غريب، و عرفتُ بعدها أنه صديقي وليد شاكر!

أخبرني وليد بأنّ قريبته قد أُصيبتُ إصابةً بالغةً في رجلها و يدها و أنّه تمّ إدخالها إلى المستشفى و إجراء عملية طارئة لها آخر الليل... و رجاني أن أصطحب زوجته و والدتها إلى المستشفى... صديقي وليد كان منهاراً و هو يتحدث إليّ عبر الهاتف وكان صوته حزيناً و أقرب إلى النحيب. و لأنني صديقه الأوّل فقد كان وليد يلجأ إليّ كلما ألمتُ به ضائقة أو أصابته كربة... و كان يضعف قليلاً لكنّه سرعان ما يستعيد قواه و يقف صامداً دون انحناء... أمّا هذه الأزمة فقد دهورتُ نفسيته بشكل سريع و شديد للغاية، ممّا أدى إلى انحدار صحته و قدرته على العمل تبعاً.

يعاني وليد من قرحة مزمنة في المعدة و هي تنشط و تتفاقم مع الضغوط النفسية. و قد كان الأطباء ينصحونه بالاسترخاء و النقاهاة كلما تهيجتُ و بالإقلاع عن التدخين، و أظنّه أقلع عن السجائر و لكنّه أهمل علاج قرحته في هذه الفترة إلى أن تطوّر وضعها للأسوأ كما ستعرفون لاحقاً.

وليد متعلّق بشدةً بابنة عمّه المصابة هذه و أخاله يخبل لو ألم بها شيء!

و قد كانت ابنة عمّه ترافقه كالظلّ عندما كنّا صغاراً في سني المدارس و كان يحبّها جداً و كثيراً ما اصطحبها معه في زيارته لي و في تجوالنا سوياً... و قد افترق عنها سنوات حبسه في السجن... و رحلتُ مع عائلته بعيداً عن المدينة... ثمّ دارت الأيام لتعيد جمعه بها من جديد... و تجعله وصياً شرعياً عليها و مسؤولاً أولاً عن رعايتها...

عندما وصلنا دخلتُ السيدتان إلى غرفة المريضة و رأيتُ وليد يخرج إليّ بعد ذلك...

و كما توقّعتُ بدا الرجل متعباً جداً... و كأنه قضى الليلة الماضية في عملٍ بدني شاق... سألته عن أحواله و أحوال قريبته فردّ ببعض الجمل المبتورة و تمتم بعبارات الشكر

” لا داعي لهذا يا عزيزي ! إننا أخوان و صديقان منذ الطفولة ! ”

ابتسم وليد ابتسامة شاحبةً جداً ثم قال :

” عليّ أن أسرع ”

قلتُ مقاطعا :

“ لا تبدو بحالةٍ جيدةٍ يا وليد ! دعني أقلك بسيارتي... ذهاباً و عودةً ”

و أعاد الابتسام و لكن هذه المرة بامتنان...

أوصلتُ وليد إلى منزله حيث قضى حوالي العشرين دقيقة رتّب خلالها أموره و شربنا سوية بعض

الشاي على عجل...

الرجل كان مشغول البال جداً و مخطوف الفكر... و قد حاولتُ مواساته و تشجيعه لكنه كان قد تعدّى

مستوى المساواة بكثير، و بما أنني أعرفه فأنا لا استغرب حالته هذه... إنه مهووس بقربيته و قد باح

لي برغبته في الزواج منها رغم أي ظروف !

و قبل أن أركن السيارة في مواقف المستشفى الخاصة رأيتُه يفتح الباب و يكاد يقفز خارجاً

“ على مهلك يا رجل ! هون عليك ! ”

قال و هو يمسك بالباب المفتوح قليلا :

“ أخشى أن تستفيق ثم لا تجدني و تصاب بالفرع... إنها متعبة للغاية يا سيف و إن أصابها شيء بها

فسأجن ”

ألم أقل لكم؟؟

رددتُ عليه بتهوّر :

“ أنت مجنون مسبقاً يا وليد ”

و انتبهتُ لجملي الحمقاء بعد فوات الأوان. التفتتُ وليد إليّ و قد تجلّى الانزعاج على وجهه ممزوجاً

بالأسى... فاعتذرتُ منه مباشرةً :

“ آسف يا وليد ! لم أقصد شيئاً ”

تنهّد وليد و لم يعلّق... ثم شكرني و غادر السيارة... هتفتُ و أنا ألوح له من النافذة و هو يهرول

مبتعداً :

“ اتصل بي و طمئني إن جدّ شيء ”

و توليتُ بنفسني إبلاغ السيّد أسامة المنذر- نائب المدير- أن وليد سيتغيب عن العمل و أوجزتُ له

الأسباب.

السيّد أسامة كان نائباً للمدير السابق عاطف - أبي عمّار - البحري رحمهما الله، و كان على علاقة

وطيدة بآل بحري، و على معرفة جيّدة بنا أنا و والدي و فور اكتشافه بأن وليد هو ذاته قاتل عمّار،

قدّم استقالته و رفض التعاون مع وليد و العمل تحت إدارته. و لكن... بتوصية منّي و من والدي، و

بعد محاولات متكررة نجحنا في تحسين صورة وليد في نظره و أفلحنا في إقناعه بالعودة للعمل خصوصاً



و أن وجوده كان ضرورياً جداً بحكم خبرته الطويلة و أمانته. و مع الأيام توّطدت العلاقة بين وليد و السيد أسامة الذي عرف حقيقة وليد و أخلاقه و استقامته. و صار يقدره و يتعامل معه بكل الاحترام و المحبة. أما بقية موظفي المصنع و الشركة، فكانت مواقفهم تجاه وليد متباينة و كنت في خشية على وليد من ألسنتهم. غير أن وليد تصرف بشجاعة و لم يعرّ كلامهم اهتماماً حقيقياً و أثبت للجميع قدرته على الصمود و تحمّل مسؤولية العمل مهما كانت الأوضاع.

لوّحت لسيف بيدي و أسرعت نحو غرفة رعد.

وجدتها لا تزال نائمة... و إلى جوارها تجلس أروى و الخالة. سألتها عما إذا كانت قد استيقظت

فأجابنا بالنفي... اقتربت منها فإذا بأروى تمدّ يدها إليّ بهاتفي المحمول و تقول:

" تفضّل.. جلّيته معي لك "

تناولت الهاتف و جلست على مقربة أتأمل وجه رعد... و ألقى نظرة بين الفينة و الأخرى على شاشة جهاز النبض الموصول بأحد أصابعها...

بعد قليل مرّت المرصّة لتفقد أحوال رعد و نزعت الجهاز عنها. خاطبتها:

" كيف هي ؟ "

أجابت:

" مستقرة "

قلت:

" و لماذا لا تزال نائمة ؟ "

قالت:

" يمكنكم إيقاظها إن شئتم "

و بعد أن غادرت بقينا صامتين لوهلة... ثم التفت نحو أروى و سألتها:

" كيف وقعتما ؟ "

ظهر التردد على وجه أروى و اكتسى ببعض الحمرة... ما أثار قلقي... ثم تبادلنا نظرة سريعة مع

خالتي و نطقنا أخيراً:

" كنا... واقفتين على الدرجات... و... تشاجرنا... ثم... "

قاطعتهما و سألت باهتمام:

" تشاجرتما ؟؟ "

أومأت أروى إيجاباً... و سمعت خالتي تُتمتم:

" يهديكما الله "

قلتُ بشغفٍ :

” في ذلك الوقت المتأخر من الليل؟؟ و على عتبات السلم؟؟ ”

و تابعتُ :

” لأجل ماذا؟؟ و كيف وقعتما هكذا؟؟ ”

قلتُ أروى مباشرةً و باختصار:

” كان حادثاً... عفويّاً ”

انتظرتُ أن تفصل أكثر غير أنها لاذتُ بالصمت و هربتُ بعينيها مني...

قلتُ مستدراً توضيحاً:

” و بعد؟ ”

فرمقتني بنظرة عاجلة و قالتُ :

” مجرد حادثٍ عفوي ”

انفعلتُ و أنا ألاحظ تهرّبها من التفصيل فقلتُ بصوتٍ قوي :

” مجرد حادثٍ عفوي؟؟ أنظري ما حلّ بالصغيرة... ألم تجدي وصفاً أظع من (حادثٍ عفوي)؟؟ ”

نطقتُ أروى في وجس :

” وليد ! ”

فرددتُ بانفعال :

” أريد التفاصيل يا أروى؟ ما الذي يجعلك تتشاجرِين مع رغد في منتصف الليل و على عتبات السلم

؟؟ أخبريني دون مراوغة فأنا رأسي بالكاد يقف على عنقي الآن ”

هنا أحسنا بحركةٍ صدرتُ عن رغد فتوجهتُ أنظارنا جميعاً إليها...

فتحتُ رغد عينيها فتشدّقتُ بهما بلهفة... و اقتربتُ منها أكثر و ناديتُ بلطف :

” رغد ... صغيرتي ... ”

الفتاة نظرتُ إليّ أولاً ثم راحتُ تجوبُ بأنظارها فيما حولها و حين وقعتُ على أروى و القابعة على

مقربة فجأة... تغير لونها و احتقنتُ الدماء في وجهها وصاحتُ :

” لا... أبعدُها عني... أبعدُها عني... ”

أروى قفزتُ واقفةً بذعر... و الخالة مدّت يديها إلى رغد تتلو البسملة و تذكر أسماء الله محاولة

تهدئتها...

أمسكتُ بيد رغد غير المصابة و أنا أكرر :

” بسم الله عليكِ ... بسم الله عليكِ ... اهدئي رغد أرجوكِ ... ”

رغد نظرتُ إليّ و صاحتُ بقوة:

” أبعدُها عني... لا أريد أن أراها... أبعدُها... أبعدُها... أبعدُها ”

التفتُ إلى أروى و صرختُ:

” ما الذي فعلته بالفتاة يا أروى؟؟ أخرجي الآن ”

أم أروى قالتُ معترضةً :

” وليد ! ”

فقلتُ غاضباً :

” ألا ترين حال الصغيرة؟؟ ”

و أتممتُ موجهاً الكلام إلى أروى :

” أخرجي يا أروى... أنا ما كدتُ أصدّق أنها هدأتُ قليلاً... ابقي في الخارج هياً ”

و أروى سرعان ما أذعنّتُ للأمر و هرولتُ إلى الخارج... حينها التفتُ إلى رغد و أنا أحاول تهدئتها :

” ها قد ذهبّتُ ... أرجوكِ اهدئي يا صغيرتي... بسم الله عليكِ و يحفظكُ ... ”

لكنها قالتُ و هي لا تتمالكُ نفسها:

” لا أريد أن أراها... أبعدُها عني... أتتُ تشمتُ بي... إنها السبب... أنا لا أطيقها... قلتُ لك لا

أريد أن أراها... لماذا سمحتَ لها بالمجيء؟؟ هل تريد قتلي؟ أنتَ تريد لي الموت... لماذا تفعل هذا بي

يا وليد؟؟ ألا يكفي ما أنا فيه؟؟ لماذا قُلتُ لماذا... لماذا؟؟ ”

جمدني الذهول حتّى عن استيعاب ما أسمع... لا أدري إن كان هذا ما قالته بالفعل أو إن كانت رغد

هي التي تتكلّم الآن... أنا لن أوكد لكم بسماعي شيء... إن أذنيّ فقدتُ حاسة السمع و دماغي فقد

القدرة على الفهم و ذاكرتي أتلّفتُ من كميّة الفزع المهولة التي اجتاحتني منذ البارحة و لا تزال تدكّ

عظامي دكاً...

ثوانٍ و إذا بالمرضة تدخل الغرفة و تسأل:

” ما الذي حدث؟؟ ”

ترددتُ ببصري بين رغد الثائرة و الممرضة... ثم هتفتُ منفعلاً و موجهاً كلامي لها :

” أين هو طبيبكُم دعوه يري ما الذي حدث للفتاة إنها ليستُ بخير... ليستُ بخير... ”

و بعدها جاء الطبيب - و هو غير الجراح الذي أجرى لرغد العملية - و لم تسمح له رغد بفحصها بل

صرختُ :

“ أخرجوا جميعكم... لا أريدكم... ابتعدوا عني... أيها المتوحشون ”

جنّ جنون الفتاة... و تصرّفتُ بشكل أقرب للهستيريا... نعتتنا بالوحوش و الأوغاد... و حاولتُ النهوض عن السرير... و نزعْتُ أنبوب المصل الوريدي من ذراعها فتدفقتُ الدماء الحمراء ملوّنة الألحفة البيضاء... و سال المصل مبللاً ما حوله... و عندما حاولتُ الممرضة السيطرة على النزيف زجرتها رغد بعنفٍ و رمتها بالوسادة التي كانت تنام عليها...

“ ابتعدوا عني... أيها الأوغاد... أخرجوا من هنا... لا أريد أحداً معي... أكرهكم جميعاً... أكرهكم جميعاً...”

لدى رؤيتي الحالة المهولة لصغيرتي أصابني انهيار لا يضاويه انهيار... و تفاقمتُ شكوكي بأنها جنّت... لا قدر الله... و بنبرة عنيفةٍ طلبتُ من... لا بل أمرتُ كلاً من الخالة و الطبيب و الممرضة بالمغادرة فوراً... عليّ أفلح في تهدئة صغيرتي بمفردي... لقد كنتُ مذهول العقل عليها و أريد أن أطمئن إلى أنها بالفعل لم تُجن !  
أذعنوا لأمري و طيور القلق محلّقة فوق رؤوسهم... و بعد أن خرجوا التفتتُ إلى صغيرتي و التي كانت لا تزال تردد بانفعال:

“ اخرجوا جميعكم ابتعدوا عني... ”

قلتُ و أنا أسير عكس اتجاه أمرها و أراقب ثورتها و بالكاد تحملني مفاصلي من فزعي على حالها:  
“ لقد خرجوا يا رغد... إنه أنا وليد... ”  
و ازدردتُ ريقِي :

“ هل تريدني أن أخرج أنا أيضا ؟ ”

هذا أنا وليد... هل ترينني؟ هل تميزيني...؟ هل تعين ما تفعلين يا رغد؟ بالله عليك لا تجنّيني معك...

رغد نظرتُ إليّ و هي لا تزال على انفعالها و قالتُ :

“ أنتَ أحضرتها إليّ... تريدان قتلي غيظاً... أنتما تكرهانني... كلكم تكرهونني... كلكم متوحشون... كلكم أوغاد... ”

طار طائر عقلي... انفصمتُ مفاصلي... هويتُ على السرير قريبا... مددتُ يديّ بضعف شديد إلى كتفيها و نطقتُ :

“ رغد... ما الذي تهدين به؟؟ ماذا أصاب عقلك أنبيئني بربّك؟؟ آه يا إلهي هل ارتطم رأسك بالسلم

؟؟ هذا أنا وليد... وليد يا رغد... وليد... هل تعين ما تقولين؟؟ ردي عليّ قبل أن أفقد عقلي ؟ ”

و إذا بي أشعر بحرارة في جفوني... و بشيء ما يتحرّك على عيني...

رغد حملقت بي برهة و قد توقفت عن الصراخ... ثم أخذت تئن أنين المرضى أو المحتضرين... و هي تنظر إلي... و أنا أكاد أفقد وعيي من شدة الذهول و الهلع...  
اقتربت منها أكثر... أسحب ثقل جسدي سحبا... حتى صرت أمامها مباشرة. حركت يدي من على كتفيها و شددت على يدها السليمة إن لأدعماها أو لأستمد بعض الدعم منها... لكنها سحبت يدها من قبضتي... ثم رفعتها نحو صدري و راحت تضربني... بكلتا يديها ضرباتها كانت ضعيفة قوية... مواسية و طاعنة... غاضبة و خائفة... في آن واحد... و فوق فظاعة من أنا فيه رمثني في زوبعة الذكريات الماضية... الماضي الجميل... حيث كانت قبضة صغيرتي تصفع صدري عندما يشتد بها الغضب مني...

استفقت من الشلل الذي ألم بحواسي و إدراكي على صوتها تقول بانهايار:

” لماذا أحضرتها إلى هنا ؟ تودون السخرية مني؟؟ أنتم وحوش... أكرهكم جميعاً “  
صحت منكسرا:

” لا ! كلا... أنت لا تعنين ما تقولين يا رغد ! أنت تهذين... أنت غير واعية... لا ترين من أمامك... أنا وليد... انظري إلي جيدا... أرجوك يا رغد... سيزول عقلي بسببك... آه يا رب... إلا هذا يا رب... أرجوك... أرجوك يا رب... إلا صغيرتي... لا احتمال هذا... لا احتمال هذا... “  
أمسكت بيديها محاولاً إعاقتها عن الاستمرار في ضربي و لكن بلطف خشية أن أوجعها...  
” توقفي يا رغد أرجوك ستؤذين يدك... أرجوك كفى... أنت لا تدركين ما تفعلين... “  
لكنها استمرت تحركهما بعشوائية يميناً و يساراً و هما قيد قبضتي ، ثم نظرت إلى الجبيرة و امتنع وجهها و صاحت بألم:

” آه يدي... “

تمزقت لتألمها... أطلقت صراخ يديها ثم حركتهما بحذر و لطف دون أن تقاومني ، و أرخيتهما على السرير إلى جانبيها و سحبت اللحاف و غطيتهما... و قلت :

” سلامتكم يا رغد... أرجوك ابقني هادئة... لا تحركيها... أرجوك... عودي للنوم صغيرتي... أنت بحاجة للراحة... نامي قليلا بعد “

فأخذت تنظر إلي و في عينيها خوف و اتهام... و عتاب قاس... و أنظر إليها و في عيني رجاء و توسل و هلع كبير... كانت أعيننا قريبة من بعضها ما جعل النظرات تصطم ببعضها بشدة...  
قلت و أنا أرى كل المعاني في عينيها... و أشعر بها تحدق بي بقوة :

” أرجوك صغيرتي اهدئي... لن يحدث شيء لا تريدينه... لن أضعها تأتي ثانية لكن سألتك بالله أن تسترخي و تهدئي من روعك... أرجوك... “

رغد بعد هذه الحصّة الطويلة من النظرات القوية... هدأت و سكنت و أغمضت عينيها و أخذت تتنفس بعمق... مرّت لحظة صامتة ما كان أطولها و أقصرها... بعدها سمعتُ رغد تقول للغرابة :  
" هل سأستطيع رسم اللوحة ؟ "

نظرتُ إلى وجهها بتشتتٍ... و هو مغمض العينين و كأحجية غامضة و مقفلة الحلول...  
أي لوحة بعد ؟؟  
قلتُ :

" أي لوحة ؟ "

رغد حرّكت يدها المجبّرة ثم قالتُ :

" لكنني رسمتها في قلبي... حيث أعيدها رسمها كل يوم... و حتى لو لم أستطع المشي... احملني على كتفيك... أريد أن أطير إلى أمي"  
ثم اكفهر وجهها و قالتُ :

" آه... أمي... "

و صمتتُ فجأة...

بعد كل ذلك الجنون... و الهديان... صمتتُ الصغيرة فجأة و لم تعد تتحرّك... حملتُ في وجهها فرأيتُ قطرة يتيمة من الدموع الحزينة... تسيل راحلة على جانب وجهها ثم تسقط على الوسادة... فتشربها بشراهة... و تختفي...

ناديتُها و لم ترد... ربّت عليها بلطفٍ فلم تُحس... هزتها بخفة ثم ببعض القوة فلم تستجب... خشيتُ أن يكون شيئاً قد أصابها فجأة... فقد كانت قبل ثوانٍ تصرخ نائرة و الآن لا تتحرّك... و لا تستجيب... ناديتُ بصوتٍ عالٍ :

" أيها الطبيب... أيتها المرّضة... "

و كان الاثنان يقفان خلف الباب و سرعان ما دخلا و أقبلنا نحونا  
قلتُ هليلاً :

" أنظرا ماذا حدث لها... إنها لا تردّ عليّ... "

الطبيب و المرّضة اقتربا لفحصها فابتعدتُ لأفسح لهما المجال... أوصل الطبيب جهاز قياس النبض بإصبع رغد و تفحصها ثم أمر المرّضة بإعادة غرس أنبوب المصل في أحد عروقهها فباشرتُ المرّضة بفعل ذلك دون أي مقاومة أو ردّة فعل من رغد... الأمر الذي ضاعف خوفي أكثر فأكثر...

جلبتُ الممرضة عبوة مصل أخرى و جعلتُ السائل يتدفق بسرعة إلى جسد رغد ثم أعادتُ فحصها و  
قياس ضغط دمها... و خاطبتُ رغد سائلةً:

” هل أنتِ بخير؟؟ كيف تشعرين؟؟ ”

رغد عند هذا فتحتُ عينيها و نظرتُ إلى الاثنين و كأنها للتو تدرك وجودهما فعبستُ و قالتُ زاجرة:  
” ابتعدا عني ”

لكنها كانت مستسلمة بين أيديهما.

سألتهما بدوري في قلق :

” رغد هل أنتِ بخير؟؟ ”

فردتُ و هي تشيح بوجهها و تحرك يدها المصابة :

” ابتعدوا عني... دعوني و شأني... متوحشون... آه... يدي تؤلمني ”

استدرتُ إلى الطبيب و الذي كان يتحسس نبض رسغها الأيسر و سألتُ:

” ما حلّ بها؟؟... طمئنني؟؟ ”

أجاب :

” ضغطها انخفض... لكن لا تقلق سيتحسّن بعد قليل ”

سألتُ مفزوعاً :

” ضغطها ماذا؟؟ انخفض؟؟ لماذا ؟ طمئنني أرجوك هل هي بخير؟؟ ”

نظر إليّ نظرة تعاطف و طمأنة و قال :

” اطمئن. سيتحسّن بسرعة. إنها نزعّت الأنبوب من يدها فجأة... و كان المصل يحتوي مسكناً للألم

يجب أن يُخفّف بالتدريج كي لا يسبّب هبوطاً مفاجئاً في ضغط الدم. الوضع تحت السيطرة فلا تقلق ”

و كيف لا أقلق و أنا أرى من أمر صغيرتي العجب؟؟

قلتُ مستميتاً إلى المزيد من الطمأنة :

” كانت غير طبيعية البتة... ألا تظن أنه ربّما أصيب رأسها بشيء؟؟... إنها تهذي و تتصرّف على

غير سجيته... أرجوك تأكّد من أن دماغها بخير ”

قال الطبيب :

” نحن متأكدون من عدم إصابة الرأس بشيء و الحمد لله. لكن الواضح أنّ نفسيّتها متعبة من جرّاء

الحادث ، و هذا أمرٌ ليس مستبعداً و يحدث لدى الكثيرين.. تحتاج إلى الدعم المعنوي و أن تكونوا إلى

جانبها ”

قلتُ متفاعلاً مع جملته الأخيرة:

” إنها لا تريد منّا الاقتراب منها ”

و كأنّ رغد لم تسمع غير تعقيبي هذا فالتفتت إلينا و قالت :

” دعوني و شأني ”

ثمّ سحبت يدها من يد الطبيب و أمسكت باللحاف و خبأت رأسها تحته كلياً...

و طلبت منّا أن نخرج جميعاً و هذت بكلمات جنونية لم أفهم لها معنى...

نظرتُ إلى الطبيب بقلقٍ شديد :

” أظنّها جنّت... يا دكتور.. افعل شيئاً أرجوك... ربّما جنّت ! ”

قال :

” كلا كلا... لا سمح الله. كما قلتُ نفسيّتها متعبة... سأعطيها منوماً خفيفاً ”

و بقيتُ رغد على حالها و سمعتها تقول و وجهها مغمور تحت اللحاف :

” لا تُعدها إلى بيتنا ثانية... لا أريد أن أراها ... أبدا ”

و كررتُ و هي تشدّ على صوتها :

” أبدا... هل تسمعي ؟ أبدا ”

و لما لم تسمع ردا قالت :

” هل تسمعي؟؟ وليد إلى أين ذهبت ؟ ”

لقد كانتُ تخاطبني من تحت اللحاف... و أنا لا أعرف إن كانت تعني ما تقول...

قلتُ و أنا أقترّب لأشعرها بوجودي فيما صوتي منكسر و موهون :

” أنا هنا... نعم أسمع... حاضر... سأفعل ما تطلبين... لكن أرجوك اهدئي الآن صغيرتي... أرجوكِ

فما عاد بي طاقة بعد”

قالتُ :

” إنها السبب ”

أثار كلامها اهتمامي... سألتُها :

” ماذا تعنين؟؟ ”

و لم ترد...

فقلتُ :

” أ تعنين أنّ أروى... ”

و لم أتمّ جملتي، إذ أنها صرختُ فجأة :

” لا تذكر اسمها أمامي ”



قلتُ بسرعة و توتّر:

” حسناً حسناً... أرجوك لا تضطربي ”

فسكنتُ و صمتتُ قليلاً... ثم سمعتها و للذهول تقول :

” أريد أمّي ”

شقتُ كلمتها قلبي إلى نصفين...

المرضة سألتني :

” أين والدتها؟ ”

فعضتُ على أسناني ألماً و أجبتُ بصوتٍ خافتٍ :

” متوفّاة ”

حرّكتُ رغد رأسها من تحت اللحاف و راحتُ تنادي باكية :

” آه... أمي... أبي... عودة إليّ... لقد كسروا عظامي... هل تسمحان بهذا؟ أنا مدللتكما الغالية...

كيف تتركاني هكذا... لا أستطيع النهوض... آه... يدي تؤلمني... ساعداني... أرجوكما... لا تتركاني

وحدي... من لي بعدكما... عودة إليّ... أرجوكما... عودة... ”

الغرفة تشبعتُ ببخار الدموع المغلية التي لم تكد تنسكب على وجنتيّ حتى تبخّرتُ ... والتنفس أصبح

صعباً داخل الغرفة المغمورة بالدموع...

طلبتُ بنفسني من الطبيب إعطاءها المنوم الجديد في الحال... حتّى تنام و تكفّ عن النحيب الذي

أفجع كلّ ذرّات جسمي... و قطع نياط قلبي... و أثار حزن و شفقة حتّى الجدران و الأسقف... و

بعد أمره أعطتها الممرضة جرعة من المنوم الذي سرعان ما أرسل رغد في دقائق إلى عالم النوم...

و كم تمنيتُ لو أن جرعة أخرى قد حُقنتُ في أوردتي أنا أيضاً...

قالت الممرضة :

” ها قد نامتُ ”

ثمّ أعادتُ قياس ضغط دمها مجدداً و طمأنتني إلى أنه تحسّن... كما أن الطبيب أعاد فحص نبضها و

أخبرني بأنه على ما يرام...

بقي الاثنان ملازمين الغرفة إلى أن استقرّ وضع رغد تماماً ثم خرج الطبيب و ظلّت الممرضة تسجّل

ملاحظاتها في ملف رغد...

وجه رغد كان لا يزال مغموراً تحت اللحاف و خشيت أن يصعب تنفّسها فسحبته حتى بان وجهها كاملاً... و مخسوفاً

كان... كتلةً من البؤس و اليتيم... يصيب الناظر إليه بالعمى و يشيب شعره... و آثار واهية من الكدمات تلون شحوب وجنتيه الهزيلتين...

قالتُ المريضة و هي ترى التوتّر يجتاحني و أنا أتأمل وجه الفتاة:

” تبدو محببَةً جداً... من المستحسن أن تأتي شقيقاتها أو المقرّبات لديها لتشجيعها. الفتيات في مثل هذا السن مفرطات الإحساس و يتأثرن بسرعة حتى من أفه الأمور فما بالك بإصابة بالغة..! ”  
أي شقيقات و أي قريبات ! أنتِ لا تدركين شيئاً...

ثم تابعتُ تكتب في الملف و أنا قابع إلى جوار رغد أتأمل كآبتها و أتألم...  
خاطبتني المريضة :

” عفوا يا سيّد و لكّني لاحظتُ شيئاً... أريد التأكّد... إذ يبدو أنّ هناك خطأ في معلومات الكمبيوتر...  
هل اسم والدكما هو شاكر أم ياسر ؟؟ ”  
التفتُ إليها و قلتُ :

” رغد ياسر جليل آل شاكر... و أنا وليد شاكر جليل آل شاكر ”

نظرتُ إليّ المريضة بتعجّب و علقتُ :

” لستما شقيقين؟! ”

قلتُ :

” إنها ابنة عمّي، و ابنتي بالوصاية ”

زاد العجب على تعبيراتها و أوشكتُ على قول شيءٍ لكنها سكتت و اكتفتُ بهز رأسها.

أثناء نوم رغد... أعدتُ استعراض شريط ما حصل منذ أفاقتُ قبل قليل إلى أن عادتُ للنوم محاولاً  
تذكّر ما قالته و استيعاب تصرّفاتها... و تذكّرتُ جملتها ( إنها السبب ) و التي أشارتُ بها إلى  
أروى...

تباً لك يا أروى...

كبرتُ الفكرة في رأسي و تلاعبتُ بها الشياطين و لم أعد بقادر على حملها... و أردتُ التحدّث مع  
أروى حالاً...

طمأنتُ قلبي قليلاً على سلامة الصغيرة و تأكّدتُ من نومها، ثم طلبتُ من المريضة أن تبقى ملازمةً  
معها لحين عودتي، و خرجتُ من الغرفة بحثاً عن أروى و الخالة فوجدتهما تجلسان على مقربةٍ...

وقفتُ الاثنتان بقلقٍ لدى رؤيتي... أنظاري انصبّت على أروى و بدأتُ عيناى تتقدان احمرارا...  
الخالة سألتُ :

” كيف هي الآن ؟ ”

لم أجبها... إنما اتجهتُ مباشرة إلى أروى و قلتُ بحدة :

” ما الذي فعلته برغد ؟ ”

التعجّب و الذعر ارتسما على وجه أروى... و لم تتحدّث...

يدي تحرّكتُ نحو ذراعها فأطبقتُ عليه بقسوة و كررتُ بحدّة أكبر :

” أجيبى ... ما الذي فعلته برغد ؟؟ ”

الخالة تدخّلتُ قائلّة :

” ماذا عساها تكون قد فعلتُ ؟ لقد وقعنا سويةً ”

ضغطتُ بقوة أكبر على ذراع أروى و صحتُ بوجهها :

” تكلمي ”

أروى حاولتُ التملّص من قبضتي عبثا... ثم استسلمتُ و قالتُ :

” كان حادثا... هل تظنّ أنني دفعتُ بها ؟ هل أنا مجنونة لأفعل ذلك ؟؟ ”

بخشونةٍ دفعتُ بأروى حتى صدمتها بالجدار الذي كانت تقفُ أمامه و قلتُ ثائراً :

” بل أنا المجنون ... لأفعل أي شيء... انتقاماً لها... ”

الخالة اقتربتُ منا و قالتُ :

” وليد ! ماذا دهاك ؟؟ الناس يمرون من حولنا ”

أخفّضتُ صوتي و أنا أضغطُ على كتفي أروى الملصقتين بالجدار أكاد أسحقهما به :

” الفتاة بحالةٍ سيئةٍ... أسوأ من سيئةٍ... إصابتها بالغةٌ و نفسيتها منهارةٌ... تتصرّف بغرابة... و تقول

أنك السبب... و تنفر منك بشدّة... لا تقولي أنك لم تفعل شيئا... أخبريني ما الذي فعلته بها يا

أروى تكلمي ؟؟ ”

” وليد ! ”

صاحتُ أروى و حاولتُ التحرّر لكنني حشرتها بيني و بين الجدار و صحتُ :

” قلتُ لكِ مراراً... لا تقتربي منها... إلا رغد يا أروى... إلا رغد... أي شيءٍ في هذا الكون إلا رغد...

أنا لا أقبل أن يصيب خدشٌ أظافرها... و لا يكفيني فيها غير إزهاق الأرواح... و أقسم يا أروى...

أقسم بالله العظيم... إن أصاب الفتاة شيء... في عقلها أو جسمها... و كنت أنتِ السبب بشكلٍ أو  
بآخر... فسترين مني شيئاً لم تريه في حياتك قط... أقسم أنني سأعاقبك بأبشع طريقة... و إن  
اضطرتُّ لكسر عظامك كلها و سحقها بيديّ هاتين "

و جذبتُ أروى قليلاً ثم ضربتها بالجدار بعنفٍ مرةً أخرى...

و بعد نحو الساعة اصطحبني إلى المنزل، و تركنا أمي مع رعد... و التي كانت تغط في نومٍ عميقٍ بعد  
جرعةٍ من المخدّر...

وليد لم يتحدث معي طوال الوقت... بل كان ذهنه شاردًا لأبعد حدود... و فور وصولي للمنزل ذهبْتُ  
إلى غرفتي مباشرةً و أخذتُ أبكي إلى أن تصدّع رأسي فأويتُ إلى الفراش...

عندما استيقظتُ لم أكن بحالة أفضل إلا قليلاً و قرّرتُ أن أخبر وليد بتفاصيل ما حصل البارحة...  
حتى تتضح له الحقيقة و يتوقّف عن توجيه الاتهام الفظيع لي.

لم أكن قد نمتُ غير ساعةٍ أو نحو ذلك... و توقّعتُ أن أجد وليد مستلقٍ على سريريه في غرفته و  
لكنني لم أجد له أثراً في المنزل...

و استنتجتُ أنه عاد إلى المستشفى...

أنا لا أدري ما القصة التي قصتها رعد عليه للحادث بيد أنني لا استبعد أن تكون قد أوهمته بأنني  
دفعتُ بها عمداً من أعلى الدرج...

لكن.. و الله يشهد على قولي... كان ذلك حادثاً غير مقصودٍ إطلاقاً... و لو كنتُ أتوقّع أن ينتهي بها  
الأمر إلى غرفة العمليات لما كنتُ اعترضتُ طريقها و لتركتهما تحمل هاتف زوجي إليه و أنا أتفرّج...

(زوجي) كلمة لم أعرف معناها... كما لا أعرف حقيقة الوجه الآخر لوليد

فالنظرات و التهديدات و الطريقة الفظة العنيفة التي عاملني بها هذا الصباح تكشف لي جوانب مرعبة  
من وليد لم أكن لأتوقّعها أو لأصدّق وجودها فيه... و قد بدأتُ بالظهور الآن...

هذا الرجل قتل شخصاً عندما كان في قمة الغضب... و مهما كان السبب فإن الخلاصة هي أن الغضب  
قد يصل بوليد إلى حد القتل !

اقشعرّ بدني من الفكرة البشعة فأزحتها بعيداً عن تفكيري هذه الساعة و حاولتُ شغل نفسي بأشياء  
أخرى... كترتيب و تنظيم أثاث المنزل و ما إلى ذلك...

كنتُ قد رأيتُ فراش وليد مبعثراً حين دخلتُ غرفته بحثاً عنه... و الآن عدتُ إليها لأرتّب الفراش و  
أعيد تنظيم الغرفة... كالمعتاد

و أثناء ذلك، و فيما أنا أرفع إحدى الوسائد رأيتُ شيئاً غريباً !

كانت ورقة فوتوغرافية ممزّقة... و أجزاءها موضوعة تحت الوسادة

بفضول جمعتُ الأجزاء و شرعتُ بإعادة تركيبها إلى أن اكتملتُ الصورة الفوتوغرافية  
فظهرتُ صورةً لطفلةٍ تبتسم و بيدها دفتر رسم للأطفال و أقلام تلوين...  
و من التاريخ اتّضح لي أنها التُقِطتُ قبل نحو ١٣ عاماً...  
الأمر أثار فضولي الشديد و تعجّبي... لِمَ يضعُ وليد صورة قديمة و ممزّقة لطفلةٍ ما تحت وسادته؟؟  
لكن لحظة !

دقّقتُ النظر إلى ملامح تلك الطفلة... و إذا لم تكن استنتاجاتي خاطئةً فأعتقد أنني عرفتُ من  
تكون... !

دعوني وحدي رجاءً !

أنا في حالة ذهول ... و لا أريد قول المزيد !

~ ~ ~ ~ ~ ~ ~ ~ ~ ~ ~

ظلّتُ رغد نائمة لثلاث ساعات أخرى بعد المنوم و أنا و الخالة إلى جانبها...  
كنتُ أراقب أي تغيير يطرأ عليها... الصغيرة كانت تهذي أثناء نومها و ذكرتُ أمي أكثر من مرّة... و  
كانتُ في كل مرّة... تطعن قلبي دون أن تدرك...  
تركنها تنام دون أي محاولةٍ لإيقاظها... إذ كنتُ في خشيةٍ من أن تدهما الحالة العصبية الجنونية  
تلك مرّة أخرى...

و عندما فتحتُ عينيها تلقائياً تسارعتُ نبضات قلبي قلقاً... و تشدّقتُ بها عيناى مستشفّتين  
حالتها... بدتُ هادئةً و مستسلمة... نظرتُ من حولها و لم تُظهر أية ردّة فعل... كانت متقبّلة  
لوجودنا أنا و الخالة إلى جوارها... تركناها بصمتٍ في انتظار أي كلمةٍ أو حركةٍ أو إشارةٍ منها، و لما  
لم يصدر عنها شيءٌ، و للهفتي في الاطمئنان عليها، تجرّأتُ و سألتها بتردد:  
" صحوة حميدة صغيرتي... هل أنت بخير؟ "

هربتُ رغد من نظراتي و رأيتُ فمها يتقوّس للأسفل... لكنها تمالكتُ نفسها و لم تبك...  
هنا حضر الطبيب المشرف على رعايتها... لتفقدنا و قد تجاوزتُ مع أوامره و أخبرته أنها لم تعد  
تشعر بالألم. تحدثُ إليها مشجعا و طمأنها إلى أنها تحسّنتُ كثيرا و حاول حثّها على تناول الطعام،  
لكنها بطبيعة الحال رفضته.

على الأقل أنا مطمئنٌ أكثر الآن إلى أنها لم تُجنّ، و أن حالتها النفسية الفظيعة تلك قد زالت... و أن  
ضغط دمها مستقر و الحمد لله...

بعد خروج الطبيب التفتُ إليها مجدداً و سألتها :

" صغيرتي... أخبريني... هل تشعرين بتحسّن؟ "

كنتُ متلهفًا جدا لسماع أي كلمةٍ مطمئنةٍ منها هي... فأنا لا يهمني فقط أن يكون وضعها الصحي مستقرًا... بل أريد أن تشعر هي بأنها بخير و تخبرني بذلك...

حركتُ رغد يدها اليسرى نحوي فأسرعتُ بضمها بين أصابعي مؤازرةً... و قلتُ :

" أنتِ بخير... ألسِتِ كذلكِ ؟ ... "

كانت تنظر إليّ و لكنها لم تجب.. بدتُ غارقة في بئر من الحزن... رقتُ لحالها و قلتُ مشجعا:

" كلميني يا رغد أرجوك... قولي لي أنكِ بخير...؟؟ أنا أحتاج لأن أسمع منك... "

نطقتُ رغد أخيرا :

" وليد "

شددتُ على يدها و قلتُ بلهفة :

" نعم صغيرتي... هنا إلى جانبك... أكاد أموتُ قلقا عليك... أرجوك... أخبريني أنكِ بخير...

طمئنيني عليكِ و لو بكلمةٍ واحدةٍ... قولي لي أنكِ بخير و أفضل الآن... هل أنتِ كذلكِ؟؟ "

قالت رغد أخيرا... و هي تقرأ التوسل الشديد في عيني :

" الحمد لله "

كررتُ بامتنان :

" الحمد لله... الحمد لله "

و عقبتُ الخالة :

" الحمد لله "

حركتُ رغد يدها اليسرى نحو رجلها المصابة و بأطراف أصابعها ضربتُ فوق الجبيرة... ثم سألتُ :

" كم ستظلّ هذه ؟ "

كان الطبيب قد أخبرني مسبقا بأنها ستظلّ بالجبيرة بضعة أسابيع... و خشيتُ أن أذكر ذلك فتصاب

الفنأة بإحباطٍ هي في غنى تام عنه... فقلتُ :

" ليس كثيراً كما أكد الطبيب... كما أنكِ ستغادرين المستشفى إن شاء الله خلال أيام "

و الجملة طمأننتها قليلا... فصمتتُ ثم عادتُ تسأل :

" و الجامعة ؟ "

قلتُ :

" سأتصل بهم و أخبرهم عن أمرِك "

قالتُ و هي تستدير نحو الخالة ليندا :

" و السفر؟؟ "

فأجابتُ الخالة :

” نؤجّله إلى أن تتحسنّ صحتك و تستعيدين عافيتك إن شاء الله ”

فأخذتُ رغد تطيل النظر نحو يدها رجلها المصابتين... و تزفر التنهيدة خلف الأخرى بمرارة...

مددتُ يدي مرّةً أخرى و أخذتُ أمسح على جبيرة يدها المصابة موسياً و أنا أقول:

” اطمئنّي صغيرتي... بلاءٌ و سينفرج بإذن الله... ستتعافين بسرعةٍ بحوله تعالى ”

قالتُ و كأن في ذهنها هاجسٌ تريد أن تستوثق منه :

” هل سأستطيع المشي؟ ”

قلتُ بسرعة :

” طبعاً رغد... إصابتك ليست لهذه الدرجة ”

فقالتُ متشكّكة :

” ألسْتَ تقول هذا لتهدئتي فقط؟ لا تخفِ عني شيئاً ”

أجبتُ مؤكداً :

” أبداً يا رغد... أقسم لك أن هذا ما قاله الطبيب... هل كذبتُ عليك من قبل ؟؟ ”

و ليتني لم أسأل هذا السؤال... لأنها نظرتُ إليّ نظرةً قويّةً ثم قالتُ :

” أنت أدري ”

ابتلعتُ نظرتها و جملتها... و قد حضر بذهني كيف كانتُ في العام الماضي تنعتني بالكذاب، لأنني

أخلفتُ بوعدِي لها بالألّا أسافر دون علمها و سافرتُ مضطراً...

الخالة ليندا قالتُ مؤيدة :

” أكّد الطبيب ذلك على مسمعٍ منّي أنا أيضاً. ستشفين تماماً بمشيئة الله... تحلّي بالصبر و قوّي أملكِ

بنيّتي ”

و سرتُ بعض الطمأنينة في قلب الصغيرة و إن بدا على وجهها شيء من القلق و هي تقول :

” الحمد لله... المهم أن أعود و أمشي طبيعياً... و أرسم من جديد ”

و فهمتُ أن جلّ خوف رغد هو من أن تصاب بإعاقة لا قدر الله في رجلها أو يدها... و صرفتُ الوقت

في طمأننتها و تشجيعها و رفع معنوياتها....

قضيتُ النهار بكامله مع رغد... ما بين قراءة القرآن و الاستماع لتلاوته عبر التلفاز... و مراقبة و دعم

رغد بين الحين و الآخر... و اطمأننتُ و لله الحمد إلى زوال حالة الهذيان الغريبة التي انتابتها صباحاً

و رغم الإرهاق الذي سيطر عليّ قاومتُ و تابعتُ إظهار صمودي و تماسكي و تأقلمي مع الوضع ... من أجلها هي ... من أجل أن تصمد و تتشجع و تستمد القوة منّي ... و إن كان داخلي في الحقيقة منهاراً بشدة ...

في وقت الزيارة حضر صديقي سيف و أحضر زوجته لزيارة رغد و وجدتُها فرصةً جيّدةً لتجد رغد من يواسيها قليلاً ... و لكي استمدّ بدوري بعض الدعم من صديقي الحميم و لأشكره و اعتذر إليه و إن كنتُ أعلم أنّ سيف لم يكن لينتظرهما ... بقي سيف و زوجته معنا لدقائق معدودةٍ و قبيل مغادرتهما سألتُ سيف أن يصطحب خالتي من جديد إلى المنزل على أن يعود بها ليلاً مع بعض حاجيات رغد ...

” و ماذا عنك يا رجل ؟ ألا تريد قسطاً من الراحة ؟؟ “

سألني سيف و نحن نقف في الممر بجوار غرفة رغد و أنا مستندٌ على الجدار أنشد دعمه ... و هو أمامي يرى آثار الإرهاق مستنجدةً على وجهي و جسدي ...  
أجبتُ :

” عندما تعود بالخالة ليلاً سأذهب للنوم ... طلبتُ منها أن تبقى مرافقةً لرغد طوال الليل ... و أبقى أنا طوال النهار “

سألني سيف :

” و ماذا عن زوجتك ؟ “

تنهدتُ بمرارة ثم قلتُ :

” آه ... اسكتُ يا سيف و لا تأتِ بذكرها داخل المستشفى ... لا تريد رؤيتها و لا حتى سماع اسمها ... آه لو تعرف ما الذي حصل لها صباحاً ... جنّ جنونها حين رأتها ... تنفر منها بشكلٍ مفرغٍ يا سيف ... يبدو أنها من تسبّب في الحادث ... بشكلٍ أو بآخر ... و لو لم أتمالك نفسي اليوم لكنتُ ... “  
و صمتُ ... إذ لم أشأ أن أعبر عن مشاعر الغضب المجنونة أمام سيف ... لكنني أعرف بأنه يدرك كل شيء ...

قلتُ :

” ما كدتُ أصدّق أنها هدأتُ أخيراً ... و لازلتُ متخوفاً من أنها قد تنهار في أية لحظةٍ و لستُ مطمئناً لتركها وحدها مع الخالة ... لكن ... إنها مستشفى و لها قوانينها و أنظمتها و بقائي هنا طوال الوقت أمر غير لائق “

بعد صمتٍ قصيرٍ سألني :

” كيف وقعتُ ؟ “



أجبتُ :

” لا أعرف يا سيف. تشاجرتُ مع أروى... هما و منذ أيام متخاصمتان... تشاجرتا معا و كانتا تقفان

على درجات السلم... و وقعتا سوية... لكنّ الإصابة اختارتُ رغد ”

و تنفستُ عميقاً ثم قلتُ :

” لم يحدث أن تعاركتا بالأيدي و لكن... يبدو أن هذا ما حصل على السلم... فوقعتا... و أصيبتُ رغد

”تنهدتُ و واصلتُ :

” أنا خائفٌ عليها يا سيف... خائفٌ أن يسبّب الجرح مشكلةً مزمنةً في رجل الفتاة... أو يدها”

قال سيف مباشرة:

” لا قدر الله... تفاءل بالخير يا رجل ”

تنهدتُ مجددا و قلتُ :

” الأمر بالنسبة لي... قضاء أحمد الله على لطفه فيه... و الطبيب طمأننا جداً... لكن... يظلّ خوفي

الأساسي على الفتاة و نفسيتها... إنها صغيرة و ضعيفة جداً... لن تحتمل شيئاً كهذا... بل إنّ مجرد

تفكيرها في احتمال وقوعه يرسلها إلى الجحيم... الصغيرة قد لاقت من البلاء الكثير حتى اليوم... منذ

الطفولة يا سيف و هي تعاني...

اليتيم... و عمّار القذر... و فقد والدي... و الحرب... و التشردّ و الغربة و الوحدة... كل هذا... على

قلب فتاة صغيرة بريئة هشة... قل لي يا سيف من يحتمل ذلك؟؟ و بعد هذا كسرٌ و جبرٌ و عكاز... و

إعاقة... إن عقل فتاتي يكاد يزول يا سيف... بل إنه قد بدأ يزول فعلاً ”

وقبضتُ يدي بشدة و في ألم مرير...

سيف أمسك بقبضتي مشجعاً و حين شعرتُ بدعمه أطلقتُ العنان لصدري أكثر ليبوح بمخاوفه...

” أنا السبب الحقيقي في هذه الحادثة ! كنتُ أعرف أن التوتر بينهما وصل حد الخطر... بل تجاوزه

بكثير... كان يجب أن أبعدهما عن بعض منذ زمن... ليتني فعلتُ ذلك قبل فوات الأوان... تركتُ

الأمر يصل إلى حد الكسر ! أوه يا إلهي ! أنا السبب... كيف أقابل ربّي؟؟ بأي وجه سألقى أبي و

عمّي؟ و أمّي؟؟ ماذا سأقول لهم؟؟ لقد أودعتموها أمانةً عظيمةً في عنقي و أنا... ببساطةٍ تركتها تتكسر

! ”

و ضربتُ رأسي بالجدار الذي كان خلفي غضباً من نفسي... و تمنيتُ لو أنه تحطّم... أو أن عظامي

هي التي انكسرتُ و لا مسّ الصغيرة خدشٌ واحد...

سيف شدّ على يدي أكثر و نطق ببعض الكلمات الموسية... التي ما كان أحوجني إليها آنذاك...

بعد ذلك سألني :

” هل... عرف أقاربها بالأمر ؟ ”

فتحتُ قبضتي بسرعة و كأنني تذكرتهم الآن فقط... فقلتُ و أنا أهزّ رأسي :

” كلا ! لن أخبرهم ! إنهم سيتهمونني بالتقصير في رعايتها... كانوا سيحرقونني بنظراتهم عندما

أخذتها آخر مرة من بيتهم... ”

و تذكرتُ الطريقة التي كانت أم حسام تخاطبني بها في آخر لقاء... و كيف قالت لي : (الله الله في

اليتيمة) و كأنها كانت تشكُّ في أنني سأتي بها يوماً ما مكسورة العظام...!

و الأيام سترينا مدى صدق مخاوفي...

قال سيف :

” لا تحمّل نفسك الذنب يا وليد... فلنحمد الله على لطفه و ندعوه أن يعجّل الشفاء للمصابة و يجعل

من وراء هذه الحادثة خيراً ”

ابتسمتُ بامتنان ثم عانقتُ صديقي مستمداً منه بعض الطاقة و الشجاعة...

بعدها قال :

” بلّغها تحياتي و أمنياتي بالشفاء العاجل... و إذا احتجتم لأي شيء أو أي مساعدة مني أو من أم

فادي فلا تترددوا رجاءً ”

الساعة الثامنة مساء... انتهى وقت الزيارة... و أتتُ إحدى موظفات المستشفى لتنبئنا لذلك... و أنا

واقفٌ إلى جوار رغد... و الخالة قد وصلتُ قبل قليل، و سيف قد غادر.

نظرتُ إلى رغد نظرة مترددة ثم قلتُ :

” ستبقى الخالة برفقتك... اعتمدي عليها في أي شيء تريدينه و إذا احتجتما لي اتصلا في الحال ”

ظهر الاهتمام على قسماط وجه رغد و قالت :

” إلى أين ستذهب ؟ ”

أجبتُ بلطف :

” إلى البيت... إذ أنه لا يمكنني البقاء أكثر ”

و هنا رأينا رغد تستوي جالسة... و تقول معترضة و وجهها يصفراً قلقاً :

” هل ستتركني وحدي ؟ ”

تبادلتُ و الخالة النظرات ثم قلتُ :

” لا... ستبقى خالتي معك ”

و إذا برغد تهتف :

” أخرجني من هنا ”

وضعها يندر بأنها على وشك الثوران... لم استطع قول شيء فقالت الخالة :

" يهديك الله يا بنيّتي كيف يُخرجك هكذا ؟ "

لكنّ رغد لم تكن تمزح... بل أبعدت اللحاف و أرادت النهوض فأسرعتُ باعتراضها و أنا أقول :

" أوه كلا... أرجوك لا تتحرّكي "

فصاحتُ مرتاعة :

" كيف تذهب و تتركني؟ ألا ترى ما أنا فيه يا وليد؟ ألا ترى هذا؟؟ "

قلتُ بهلع :

" حسناً حسناً... سوف لن أذهب لكن أرجوك لا تنفعلني مجدداً... ابقِي مكانك "

و أنا أعيد إسنادها إلى الوسادة... و أتهد ثم أمسح زخات العرق التي نبتتُ على جبينني و أضغط على

صدغي لأخفّف الصداع الذي تفاقم لحظتها... ثمّ أجلس على طرف السرير باستسلام...

لا بد أن التوتر و الضيق كانا فاضحين جداً على وجهي... للدرجة التي صعقتني رغد عندها بقول :

" ماذا ؟ هل ضقتَ ذرعاً بي ؟ إذن ارمِ بي من هذه النافذة و أرح نفسك "

لا ! ليس من جديد... توقّفني عن جنونك يا رغد أرجوك كفى... كفى...

زحفتُ نحوها و قلتُ بألم و ما بي من بقايا طاقة تحتل الميزيد :

" ما الذي تقولينه يا رغد؟؟ أرجوك هذا يكفي "

قالتُ صارخةً :

" ألا رى حالتي هذه؟؟ كيف تفكّر في الذهاب و تركي؟ ألا تشعر بما أنا فيه ؟ "

إنك أنت من لا يشعر بما أنا فيه يا رغد...

قلتُ :

" لا لم أفكّر في تركك ، و لكن نظام المستشفى لا يسمح ببقاء رجل برفقة مريضة في قسم السيدات.

حتّى لو كان أباه. لذلك طلبتُ من الخالة مرافقتك "

لكن رغد لم يعجبها هذا و أصرتُ على أن أبقى معها تلك الليلة، و لم تكن حالتها تسمح بأن أتجاهل

إصرارها...

و رغم الحرج الشديد الذي واجهته و أنا أطلب من المسؤولين السماح لي بالبقاء هذه الليلة مع المريضة و

المرافقة... تعاطفاً مع حالتها النفسية، رضختُ لرغبة رغد و تكبّلتُ العناء و قضيتُ الليلة الثانية

سأهراً إلى جوار صغيرتي... تاركاً أروى تبات وحيدة في المنزل الكبير...

لم تكن ليلتي ليلةً و لم يكن حالي حالاً... لا أنا و لا صغيرتي عرفنا للراحة طعماً... كنتُ أجلس

على مقعد تحجبه عن سريرها الستارة... و لكنّي كنتُ أسمع كل حركاتها و تقلباتها و تأوّهاتها طوال

الليل... كانت نوبات الألم تكرر وتفرّ على عظام الصغيرة المكسورة و أنسجتها الممزقة... و الممرضة تأتي بين فترة وأخرى لإعطائها المسكن...

في صباح اليوم التالي سمحت لي رغد بالخروج على أن أعود عصرا... و ما كادت تفعل. كان الإرهاق قد أخذ مني ما أخذ و لم أكن قد نمتُ البارحة أبدا... غير غفوة قصيرة تملكنتني بعد شروق الشمس. و يبدو أن الخالة قد نجحت في إقناعها بتركي أذهب أثناء غفوتي القصيرة أول الصباح. و قفتُ قرب رغد أسألها عن أي شيء أخير تريده قبل مغادرتي...

" سأوي إلى فراشي مباشرة... و سأترك هاتفي عند وسادتي... اتصلا إن احتجتما أي شيء في أي وقت و بدون تردد "

قلتُ و أنا أنقل بصري بين رغد و الخالة... رغد أومأت موافقة، و الخالة قالت مطمئنة:

" لا تقلق يا بني. سنتصل عند الضرورة. اذهب و نم مطمئنا مسترخيا "

التفتُ إلى رغد و أطلتُ النظر... لم يكن قلبي بقادر على المغادرة لكن و لم أثق في موافقتها هذه... لكنني كنتُ في غاية الإرهاق و بحاجة ماسة للنوم...

مددتُ يدي إليها و ربتُ على يدها و قلتُ بصوت هادئ و حنون:

" حسنا صغيرتي... أتركك في رعاية الله... ابقِي هادئة رجاء... سوف لن أطيل الغياب "

الصغيرة شدتُ على يدي و حملتُ بي و ربما كان لسان حالها يقول (لا تذهب) لكنها أجبرتُ فيها على التقوس في شبه ابتسامة مترددة...

و ما كان مني إلا أن شددتُ على يدها و قلتُ أخيرا بأحن صوت:

" أراك على خير و عافية... يا صغيرتي "

و هكذا تركتها أخيرا و عدتُ إلى البيت مثقلا بالتعب و الهموم...

في المنزل سرتُ ببطءٍ شديد حتى بلغتُ أسفل الدرج... و تذكرتُ صراخ رغد ليلة الحادثة فقرصني الألم في قلبي... سعدتُهُ خطوةً خطوة... و أنا مستمر في إنعاش صدى صرخاتها...

و انعكاس صورة وجهها المتألم...

و قادتني قدماي بشعور أو بغير شعور... ليس إلى غرفتي... بل إلى غرفتها...

دخلتُ الغرفة متجاوزاً كل اعتبار... و أخذتُ أحلقُ بأنظاري في أرجائها... و أعانق بيدي جدرانها...

على الجدار الكائن خلف سرير رغد... كانت الورقة القديمة... للصورة التي رسمتها رغد لي...

بشاربي الطويل... لا تزال تقف و منذ سنين... بكل بشموخ...

لم تحتمل عيناها رؤيتها... وسرعان ما خرتُ دموعي صريعة الأسى...

جلستُ على حافة السرير... و مسدتُ على الوسادة كما لو كانت هي صغيرتي... بكل عطف و حنان... فإذا بي أشعر بحبيبات رمل تعلق بكفي... و ألقى عليها نظرة فإذا بها ذرات السكر... جذبتها إليّ و ضممتها إلى صدري... و هو أمر لم استطع أن أقدمه لفتاتي المرعوبة... عوضاً عن وسادتها... و كلما تذكرتُ كيف كانت مرحة و سعيدة جداً و نحنُ في النزهة أول الليل... ثم كيف صارت كومة من البؤس و الألم و الصراخ... ملقاة على السرير الأبيض التعيس آخره... عصرتها أكثر بين ذراعي...

انتابني شعور بنيران تحرق معدتي... و كأنها تنعصر قهراً مع الوسادة و تأوهت بألم...

” آه يا رغد... ”

رفعتُ يدي من على الوسادة إلى السماء و زفرتُ الآهة مصحوبة باستغاثة يا رب...  
” يا رب... يا رب... أنت تعرف أنني لا أعزّ شيئاً في هذه الدنيا مثل رغد... يا رب... أنا أتحمّل أيّ بلاٍ... إلا فيها... أتوسّل إليك يا رب... الطّف بحالي و حالها... أتوسّل إليك... اشفها و أخرجها سالمة... و أعدها كما كانت... يا رب... خذ من صحّتي و أعطها... و خذ من عمري و هبها... خذ منّي أي شيء... كل شيء... و احفظها لي سالمة... هي فقط... أنا لا أتحمّل أن يصيبها أيّ شيء... يا رب... أي شيء... إلا رغد يا رب... أرجوك... لا تفجعني فيها... أنا أختنق يا رب... إلهي... أرجوك... اجعل لي من لطفك فرجاً عاجلاً... عاجلاً يا رب... عاجلاً يا رب... يا رب... ”  
و لو بقيتُ ها هنا لزهقتُ روحي من فرط المرارة...

غادرتُ غرفة رغد و أنا شاعرٌ بها تملأ رثتي... أزفرها و أستنشقها مع كل أنفاسي و أناتي...  
ذهبتُ إلى غرفتي و قضيتُ زمناً أناجي الله و أدعوه و أصلي له... حتى سكنتُ نفسي و اطمأنّ قلبي و ارتاح بالي... و فوّضتُ أمري إلى الله اللطيف الرحيم...

أخيراً... رميتُ برأسي المثقل على الوسادة... و نشرتُ أطرافي على فراشي بعشوائية... أخيراً سأستسلم للنوم...

أغمضتُ عينيّ بسلام... فإذا بي أتخيّل رغد من جديد... فتحتهما فرأيتها أمامي... لففتُ رأسي ذات اليمين ثم ذات الشمال... و كانت هي هناك... في كل مكان...

رفعتُ وسادتي و وضعتها على وجهي لأحول دون صورة رغد التي لم ترحم بحالتي تلك الساعة...  
أرجوكِ كفى! لماذا عدتِ؟ دعيني أنام و لو لساعة! أرجوكِ يا رغد... رافةً بي...

لكنني رأيتها تحت الوسادة و لو قلبتُ وجهي على السرير لرأيتها فوقه أيضاً تحاصرني كالهواء من كل الجهات

فجأة... تذكرتُ شيئاً... لم يكن ينقصني تذكره في تلك الساعة التعيسة...  
رفعتُ الوسادة عن رأسي و جلستُ و بحثتُ بعيني تحت موضعها... قلبتُ بقية الوسائد... أزحتُ  
البطانية و فتشّنتُ هنا و هناك و لم أعثر على رغد !  
" ربّاه ! أين اختفيتِ فجأة ؟؟ "

ذهبتُ فوراً إلى محفظتي و شرّحتها تشريحاً دون جدوى !  
فتشّنتُ أسفل السرير... و المنضدتين الجانبيتين و الأدراج... و كل مكان لم أكن لأترك فيه (رغد) ...  
ورغم أنها كانت موجودة في كلّ مكان، لم أجدها في أي مكان!  
" أروى ! لا بد أنها هي ! "  
استنتجتُ فجأة...

فخرجتُ من غرفتي و توجهتُ إلى غرفة أروى... و التي لم أكن قد رأيتها مذ تشاحنتُ معها صباحاً و  
نحن في المستشفى...

لم أتردّد غير برهةٍ واحدةٍ بعدها طرقتُ الباب و ناديتُ :  
" أروى... هل أنتِ نائمة ؟؟ "

الوقت كان مبكراً و خشيتُ أن تكون نائمةً، لكنني أعلم أنّ من عاداتها النهوض باكراً كل صباح...  
أعدتُ الطرق فرأيتُ الباب يُفتح بعد ثوانٍ و تطلّ منه أروى بوجه قلق.  
اللحظة الأولى مرّت صامتة ساكنة حتى عن الأنفاس... و باردة كليلة شتاء...  
" هل... كنتِ نائمة ؟ "

سألته بعد ذلك البرود فأجابتُ :  
" نعم... "

و سألتُ بقلق :

" ماذا هناك ؟؟ "

رددتُ :

" آسف لأنني أيقظتكِ "

قالتُ :

" كنتُ سأصحو قريباً على أية حال... لكن ماذا هناك ؟ متى عدتما؟ "  
قاصدة إياي و الخالة، قلتُ :

" خالتي ظلّت مع رغد "

و كأنّ ذكر (رغد) أثار في وجه أروى بعض التعبيرات المنزعجة... و سرعان ما نقلت بصرها بعيدا

عني...

قلتُ :

" كنتُ سأسألكِ سؤالا "

التفتتُ إليّ و قالتُ مباشرة :

" و أنا أيضا أود أن نتحدّث يا وليد... "

و هي تفتح الباب أكثر... فرددتُ :

" كلا ليس هذا وقته. أنا متعب جدا و لا يحتمل رأسي أي شيء... و لا شيء "

و كأنّ إجابتي أصابتها بإحباطٍ مما بدا على وجهها...

تابعتُ :

" فقط أخبريني... ألسنتِ من قام بترتيب غرفة نومي؟ "

و كانتُ عادتها أن تفعل ذلك. لم تجب أروى مباشرة... بل أخذتُ لحظة تفكّر... ثم قالتُ :

" بلى "

قلتُ :

" و... هل رأيتِ شيئا قرب وسائد سريري؟ أعني... هل أخذتِ شيئا من هناك ؟ "

ربما لمعتُ عينا أروى بشكل لم أفهمه... رمقتني بنظرة حادّة لا تتناسب و برودة اللحظة... ثم قالتُ :

" شيء مثل ماذا؟؟ "

و فهمتُ من ذلك أنها رأتُ الصورة الممزقة... فعضتُ على أسناني ثم قلتُ :

" أين وضعتها ؟ "

أروى رفعتُ حاجبيها و قالتُ :

" القصاصات الممزقة؟ "

تشبّثتُ عيناي بعينيها أكثر، إجابة على السؤال.. فتابعتهُ هي :

" لقد... ألقيتُ بها في سلّة المهملات "

ماذا تقولين؟؟ لم أسمع جيدا؟؟ سلّة ماذا؟؟

قلتُ بدهشة ممزوجة بعدم التصديق :

" ماذا؟؟ رميتُ بها؟؟ "

لم تعقّب أروى... فكررتُ و قد اشتدّ صوتي و بدأتُ ألهبه النار تتراقص في عيني :

” تقولين رميتِ بها ؟؟ ”

و من البرود الذي صافحني به وجهها اشتعلتُ النيران في رأسي كليا...

” أروى !! رميتِ بها ؟؟ بهذه البساطة؟؟ و من أعطاك الحق بهذا التصرف؟ أوه... أروى ويحك !!

في المرة السابقة رميتِ بالصندوق و الآن بالصورة... كيف تسمحين لنفسكِ بهذا؟؟ ”

و لم يتجاوز ردّ أروى حدّ النظرات الصامتة !

” أخبريني في أي سلّة رميتِ بها ؟ ”

دارتُ عين أروى قليلا و كأنها تحاول التذكّر ثم قالتُ :

” أظن ... أن الخادمة قد أخرجتُ جميع أكياس المهملات إلى سلّة الشارع ”

حينها لم أتمالك نفسي !

صرختُ بوجه أروى بعنف... و أحرقتُه بنار الغضب ...

أطبقتُ على ذراعيها و هزّزتها بقوة و ركلتُ الباب ركلة عنيفة أوشكتُ على كسر عظام قدمي

الحافية...

” ما الذي فعلته يا أروى ؟؟ لا تدركين ما فعلته ... كيف ستعيدينها الآن ؟؟ تبا لك ! ألا يكفي كل

ما أحدثته لحد الآن؟ لن يتسع عمري لتصفية حساباتي معك... و الآن اذهبي و استخرجيها لي و لو

من قعر الجحيم ! ”

رأيتُ نهرين من الدموع يتفجران فجأة من عيني أروى و يسيلان على وجنتيها... و رأيتُ الاشتعال في

وجهها إثر صفع صراخي القوي...

كنتُ غاضبا جدا...

ألم يكفها ما فعلتُ بالصغيرة ؟ و أيضا تحرمني من البقايا الممزقة من ذكراها التي لم تفارقني لحظة

واحدة... منذ سنين ؟؟

صرختُ بخشونةٍ بالغةٍ :

” لا أريد دموعاً... أريد الصورة الآن و بأيّ طريقة... هيا تحركي... في الحال... قبل أن تمزقك

شياطين غضبي إربا... أتسمعين؟؟ ”

و أفلتها من بين يدي بدفعةٍ قاسيةٍ...

أروى استندتُ إلى الجدار... ثم مسحتُ دموعها... ثم سارتُ ببطء نحو الداخل... ثم عادتُ إليّ

تحمل شيئا في يدها و مدّته نحوي...

و سرعان ما اكتشفتُ أنها قصاصات صورة رغد الممزقة...



تجمّدتُ فجأةً و لم أقوََ على الحراك... و تحوَّلتُ نيرانِي إلى كتلٍ من الجليد... رفعتُ بصري إلى  
عينيهما فرأيتهما حمراوين و المزيد من الدموع تتجمع فيهما... و منهما تنبعثُ نظراتٌ تعيسة...  
" خُذ "

تكلّمتُ بصوتٍ هزيلٍ ضعيفٍ... و هي تحرّك يدها ...  
تحرّكتُ يدي بلهفةٍ و تناولتُ القصاصات من يدها... و أخذتُ عيني تتفحصها بشوقٍ و تتأكد من  
اكتمالها... ثمّ انتقلتُ أنظاري من القصاصات إلى أروى...  
شعرتُ بالانهيار... و حرتُ في أمري...

و أخيرا... قلتُ بصوتٍ تحطّم فجأةً و تحوّل من الصراخ الناري إلى الهمس البارد:

" لكن... إه... لماذا ادّعتِ أنك رميتِ بها ؟ "

أروى ردّت وسط بحر الدموع :

" كنتُ... أريد اختبار ردّة فعلك... لأتأكد "

و عصرتُ الدمع المتجمّع في عينيهما بمرارة... ثم تابعتُ :

" و أنا الآن... متأكّدة... من كلّ شيء "

و أضافتُ أخيرا :

" ستمزقني... حتّى من أجل... صورتها ! "

و بسرعة استدارتُ و هرولتُ نحو سريرها و أخفتُ وجهها بين الوسائد و بكتُ بانفعال...

واقفٌ كعمود الإنارة المحروق... لا يملك قدماً تخطو للأمام و لا للخلف... و مهما ثار يبقى منطفئا

عاجزاً عن إنارة المنبت الذي يرتكز عليه... و رؤية أين يقف... تسمرتُ أنا بين الذهول و الفزع... و

بين الإدراك و الغفلة... و التصديق و الرفض... أنظر إلى أروى و أسمع دوي كلماتها الأخيرة يزلزل

جمجمتي... دون أن يكون لي من القوّة أو الجرأة ما يكفي لفعل أي شيء !

أخيرا تمكّن لساني من النطق ...

" أروى ... "

لم ترد عليّ، ربما كان صوتي جدا ممزقا... لمتُ شيئا منه و ناديتها ثانية :

" أروى ... "

و هذه المرّة ردّت فجاء صوتها مكتوماً عبر الوسائد :

" اتركني وحدي "

و على هذا... عدتُ أدراجي إلى غرفتي أحمل أشلاء صورة محبوبتي الصغيرة بين أصابعي... و أضمتها  
إلى صدري...

و مرة أخرى هويتُ برأسي المشحون بشتى الأفكار على الوسادة... و لكنني لم أرَ إلا سواداً أودى  
بوعيني إلى قعر الغياب....

## من حبيبي

قائمة الفتاة يا حبيبي تفتي بصوتها كأنها من قوم عذرة على صوتها وهي  
تغني

تؤاتى العلف بصوتها وأنا أترجم روحها وأفتكروا وقد ردت الميمياء

أجبت بقولها

أمر هذا الأمر

وتمتعت بصوتها وأنا بمتكلم من الطرف الأخرى

أمرها وأنا على الفتاة تفتي

فتاة

أمر وأنا على الفتاة بصوتها

فتاة

أول فتاة تعرفت وأنا فتاة أريد أن أفتك بك يا حبيبي عذرة على

من حبيبي

فتاة تعرفت على فتاة العلف ثم فتاة

بعد ساعة من الآن قد استغرقت في النوم ولم أكن أغني، أنا فتاة عذرة

بصوتها

وتكررت لي عدة أوقات كثيرة... وفي كل (الفتاة) من فتاة

ثم أكن بلدي خلال تلك الساعة ولم أسمع رداً من طرفها بل عرفت أنها لا

تصبرني..

وانتقلت إلى الفتاة وأنا أعمل بقاء من الزهور الجميلة بوطنة فتاة فتاة

والإضافة إلى عذرات وأنا

عندما وقعت الطيور عليها الرخوة الأولى شعرت برافتة... إذ أنها بدت بعملة الفتاة

وبعد أن أكون الفتاة لي وبهذه بعد الشعور، كما أنها تترن ببقاء الزهور والشكراني عليها.

فتاة فتاتي إلى العزلة وانعتت بصوتها إلى رفا حيث الفتاة معها ساعات

الوقت..

فتاة تلك الساعة تعرفت الفتاة وقد فتت بغنى بالشعر وساعات وأنا على الفتاة

العلماء

تأخروها حتى يخلصوا إلى أنها تجاوزت مرحلة الكهول القسري وأثبتت أنه ما  
وحيثما انتهى هذا يستلزم إلى أن كلام الطيور يعني البرود من الضميمة على وجهها  
هذا البرود

بعد أن أوردت ملاحظتها بما عليها يعني البرود والقوى... وأما البرود مستقرتي حين  
يقلن بأول شيء...

سكنها

العند شربها رعداً

عظمت إلى وهي حنينا البرود وانسجت أسطرع وبدا الضميمة للبرود وانسجرت  
ورأيتها أول قول شيء وانسجت  
قلت ضميمة

أخر مستقرتي ٣٣٠ مالا بر ضميمة

قلت بعد الضميمة البرود

أما قلت قلت

عظرت إليها مستقبلاً ما أعيد قلت الإكراه إلى البرود ضميمة لاختم فن حياً  
على وجهها وانسجت عليها

ألا شيء

ضميمة

ألا شيء ٣٣١

فرضت

أخرى هي لم أعتد سموا بعد ضميمة لم أجد الوقت قلت قلت بعداً حوى  
الضميمة

العلماء حلت من قول برود وضميمة الضميمة وأنها لم قول ضميمة الضميمة

قلت

العند شيء فوهن قوله أي يار رعداً

انسجرت وانسجت

ألا شيء

ألا شيء

ألا تصح لما تأتيه هي على... إنها كرهني

وقد قلتها بضمير قلت

ألا أجد يار رعداً يار رعداً

فقلت بضمير كرهني

أول فكر على... وانظرني حلة غليظة وعلى ثوباتها... قد وعلى على حرقها...  
هذه دعوات

أمر مسجوع يا رعد... أروي ليست من هذا النوع...  
قلت بصيغة

قلت لك لا أريد مسجوع أصوات... لهذا تلاحق علينا لم نر ما فعلت بي!! أنت لم  
تسمع ما قلته لي!

أجبت بأن لي ضرورة قد أطلب مريفاً عظيماً... فأرسلت دعوات الأبر وقتاً  
لا تفرى بالأشياء الأخرى... سئلتني المصلحة بعد خروجك سلفاً أن شاء الله...  
هذه رعد وفكرت أرحمنا والامتنان على نعماتك وعبيدنا المخلصين بالشفاعة بسيفك  
ويكلمة!

انفرد على عيشة!

فبصفتها السطحية هذه أنت معروفاً والتعرضي ظهر من الرعدة... أما بصلتها الثانية  
فأفقتت في سعة في السبات...

أنت ظهر جده... أن بعد فكر أريد!

عبرني شعور عبقاً على الطرف والجل القوي من جهاد... وأفقتت زفراء أرباب  
ومعروء من الصلح مشروء...

وأفقتت سادعت الزمارة ونجحت إلى السزل مزاج الجار وبصفتك الزمارة بعد  
مطويك... ثم استطعت الحلة لهذا إلى السستني لغير مع رعد طول الليل...

عندما وصلت إلى السستني... رعد أن رفقت الزمارة في أحد المواقف الضخمة...  
عاشقني الحلة لهذا!

أولاً يا علي... قد إلى أروي ونجحتت صيها!

قلت لربها مريفاً من العجوة والعزء... أفضلي من تتوء السزور في تحت أيضاً  
فها...

شعرت بالمرح وقتاً لميها وهو أروع على النظر إلى صيها... الحلة نجحتت

أولاً ليست على ما قرأه يا علي... أنت سلفاً هذا مع رعد وإسماها... لكن أروي  
أيضاً في حلة صيها وبصفتها لهذا بارقة هذا!

بصفتها رفقتت بصري إليها وانظرقتت براسي مويها...

حين وصلت إلى البيت وقتاً أسمع عرفة أروي في جوارك... ثم كان لسوا الأكل  
المشغورة لطرحها في السبت... وأما صيها في الأيام الأخيرة فكانت مشغورة جداً...

ومعروءاً المبركات صيها بمشغورة بالغة...

عندما بقي أروي وانظرقتت الباب...

عندما كان المظني المشغور!!

قام فرد، فقلت:

أرؤيت... هل أنت نائمة؟

قام فرد،

فأرؤيتك نائمة، إلى أن سمعتها تجيب: أرى... وهو... فقلت:

أجبت: ماذا تريد؟

قلت:

أنا لا أفهم... فقلت: أظنني... فقلت:

فسمعتها ترد: يا فتى، أرى... فقلت:

أجبت: لا داعي لأن تفهم... فقلت: يا فتى، أرى... فقلت:

فقلت:

فقلت: برهة من أرى... فقلت: يا فتى، أرى... فقلت:

فقلت: يا فتى، أرى... فقلت: يا فتى، أرى... فقلت:

فقلت: يا فتى، أرى... فقلت: يا فتى، أرى... فقلت:

فقلت: يا فتى، أرى... فقلت: يا فتى، أرى... فقلت:

فقلت: يا فتى، أرى... فقلت: يا فتى، أرى... فقلت:

فقلت: يا فتى، أرى... فقلت: يا فتى، أرى... فقلت:

فقلت: يا فتى، أرى... فقلت: يا فتى، أرى... فقلت:

فقلت: يا فتى، أرى... فقلت: يا فتى، أرى... فقلت:

فقلت:

فقلت: يا فتى، أرى... فقلت: يا فتى، أرى... فقلت:

فقلت: يا فتى، أرى... فقلت: يا فتى، أرى... فقلت:

فقلت: يا فتى، أرى... فقلت: يا فتى، أرى... فقلت:

فقلت: يا فتى، أرى... فقلت: يا فتى، أرى... فقلت:

فقلت: يا فتى، أرى... فقلت: يا فتى، أرى... فقلت:

فقلت: يا فتى، أرى... فقلت: يا فتى، أرى... فقلت:

فقلت:

فقلت: يا فتى، أرى... فقلت: يا فتى، أرى... فقلت:

فقلت: يا فتى، أرى... فقلت: يا فتى، أرى... فقلت:

فقلت:

فقلت: يا فتى، أرى... فقلت: يا فتى، أرى... فقلت:

فقلت: يا فتى، أرى... فقلت: يا فتى، أرى... فقلت:

فقلت:

أو الأجر بك فزودنا مسألتني وأبى عز أظفني...<sup>1</sup>  
هذا القلت أروي إلى ويراعت بصرفها تعويذ... فقلت في حينها القلت بالاصيد...  
أو بقت...

أو الأجر بك فزوج... مالمظني وأبى الصراج في وجهي وسحق الظاني في  
الجزان...

أو أرفق بي الظير... مسخطي أظفني أروي والشعري بكتبه مزاج...  
أنا وأروي ومذا لفة شعرك ما مع رقت... على فلكي يظفر يوماً بعد يوم... وأحلت  
شعرك أبا مع رقت بيذا شعراً شعراً أهدأ في الأضاح...

أولكن أروي شعرك ما معاً لفت حينها وأحمراته ويهوها عن مراني... مرزاة القلت  
عطف القلت ويمن والقل على هذا الوضع... أريد أن أسمعها بدمي ويظني راحة في  
أن تقام وتتصلح...

معت يدني ووضعتني على قلبها برقي... ثم أرتبها فواللهي... وعندما القلت  
عظفتا شامت برون الصراج في حينها...

أروي...

قلت حينها...

حينها تقام... أروي...

وأعدت أروي بها وسعدت القلت العلقة في رحويتها قبل أن تهبط... وأقبرت  
عبرته القلت وقتها أروي...

أعدت من فزودنا أن تقام...

قلت وأنا لا أزل وأعدت يدني على قلبها...

أبى كل شيء... والأجر بك أهدأ...

عظفت إلى وهي تسحق قلبي حينها وفقر...

أبى...

أبى...

أبى... هذا أريد الأظفني... عليك قبل كل شيء... الأ...

قلت...

أروي... أروي...

قلت حينها...

أرادت يدني والقلم... أهدأ... أهدأ...

أعدت أروي بدمي وأروي شعرك الأجر... ويظني...

أروي بك عظم...

وهي يهدأ ثم فوفتها من أروي... وأر أهدأ... ثم أهدأ يدني عن قلبها شعراً

إلى أنها غائبة على...

قلت معارفاً لغيرها...

أزوي... أنا لست... لست التي فخرت بكه والست التصرف... أرفقك إن  
تطري... إني لا أرفق ما حصل ولكني كنت ماخوفاً وبسبب رعد القلعة ولم أقطع  
القلع في شيء آخر منها... أرفقك إن لستك لتصبح الأمر... ولكن... أرفقك... قلت  
مستطراً ما رعد في المستطري ولم أسمع القوس.

قلت أزوي وهي تعز عن استيلاء

مستطراً

قلت

أعني... أنه لا بد من ذلك... لم يكني تركها وحيدة لذلك ألبها فخرج من الوحدة  
والغربة... إني فخرج مرعوباً كما أظنكم جميعاً...

قلت أزوي وهي من المستطرية

أوما التي جعلت تركها الآن؟ من أظننت من مرعوبها أم ماذا؟

لم أظن على مواتها ثم قلت

فخرج رعد لها بعد واقعتك بعد أنت الآن

ولم أجد من المبررات التي جعلت على وجه أزوي استيلاء...

بعداً قلت

يقتضيه لي أمان... فإنا أريد العودة إلى المنزل...

فوجدت من كالتوا وارتسخت على وجهي المبررات نحو المصنوع... فخرج في  
ظروف ليست بمعالجة الفرج ولا يطاق القارة السفر إلى أي شيء في رأيي أوجد...

قلت مستطرية

المرحبا

فرفت مواتها

أعني المرحبا... أريد العودة إلى المنزل... إني على... وهي أريد القوس...

أعني ما تقول؟ لا أزوي ومنعها المعلي؟ التي جازت لي كالتوا ماذا؟

قلت

كيف يا أزوي؟ جازت لك القرون في هذا الآن؟ T مستطري السفر والفرق  
لعل...

قلت مستطرية

أنا لم أكن أريد العودة... قلت إني أنا أريد العودة... وإذا أظننت تركي فلا أظن  
تصبح ألباء مستطري... لكني أريد السفر ومرحبا... ولا أظنن على أنني إن أظن مواتي...

ولكن على وجهها العزم والتوا... فارتسخت على الإسفل الذي جعلت...



وَأَعْتَدْتُ بِمَنْ أَلْفَتُنِي إِلَى كَلْبِيهَا مِنْ جَدِّهَا وَقَلَّتْ بِصَوْتِهَا وَرَاحَ  
أَعْتَادًا يَا أَرْوِيءَ الْآلِ الْفَتْرَيْنِ مَا نَعْنُ قِيَدًا

أَعْتَدْتُ بِصَوْتِهَا فَانْتَبِهْتُ أَكَلْتُ مِنْ مَنَابِقِهَا فَمَا رَاحَ بِقَوْرٍ أَوْ مِنَ الْعَدَاءِ فِي وَجْهِهَا  
أَعْتَادًا أَوْ تَعْنِي أَعْتَادًا كَأَنَّي لَعْنَتًا يَا وَهْدًا... أَكَلْتُ كَلْبِي... الْآلِ الْفَتْرَيْنِ مَا نَعْنُ قِيَدًا  
أَوْ تَعْنُ بِي يَا وَهْدًا الْآلِ الْفَتْرَيْنِ  
وَأَعْتَدْتُ أَنْ تَرَى مَعْنَاهَا أَكَلْتُ الْفَتْرَيْنِ لَمْ تَعْنُ بِي... فَأَعْتَدْتُ كَلْبِي وَجْهَاتٍ وَجْهَاتٍ  
وَقَلَّتْ بِصَوْتِهَا عَلَيَّ...

أَعْتَدْتُ بِمَنْ لَا تَرَى الْفَتْرَيْنِ عَلَى كَلْبِيهَا يَحْتَلُونَ... وَمَا تَلَطَّفُهَا عَلَى مَوْجِعِ  
الْقَوْرِ الْبَنِي مَعْنَاهَا يَا مَعْنَاهَا...

وَقَلَّتْ أَرْوِيءَ بِكَلْبِي... فَأَعْتَدْتُ لَعْنَتَهَا وَقَلَّتْ  
أَوْ مَعْنَاهَا... لَا تَعْنِي...

كَلْبِيهَا مَعْنَاهَا فِي بَعْدِ الْفَتْرَيْنِ الْفَتْرَيْنِ الْفَتْرَيْنِ  
أَعْتَدْتُ بِكَلْبِي...

أَعْتَدْتُ وَجْهَاتٍ...

أَرْوِيءَ لَعْنَتِهَا مِنْ وَجْهِهَا وَتَعْنُ بِي مِنْ بَيْنِ الْفَتْرَيْنِ...

أَوْ تَعْنُ بِي يَا وَهْدًا  
أَعْتَدْتُ بِكَلْبِي...

بِي فِي الْفَتْرَيْنِ

أَرْوِيءَ مَعْنَاهَا مِنْ الْفَتْرَيْنِ وَهِيَ مَعْنَاهُ وَأَسْمَا كَلْبِي وَقَوْلِي

أَوْ... لَا تَعْنُ بِي يَا وَهْدًا لَا تَعْنُ بِي الْفَتْرَيْنِ... وَلَا بِي أَعْتَادًا...

مَعْنَاهَا مِنْ كَلْبِيهَا وَقَلَّتْ لَعْنَتُهَا فِي وَجْهِهَا وَأَسْمَا بِمَعْنَاهَا...

وَأَوْ... يَا وَهْدًا يَحْتَلُونَ بِهَا إِلَى يَحْتَلُونَ تَرَاهِي الْمَعْنَاهَا إِلَى كَلْبِيهَا أَكَلْتُ كَلْبِيهَا وَقَوْلِي

أَوْ... وَقَلَّتْ... أَعْتَادًا...

مَعْنَاهَا بِمَنْ يَحْتَلُونَ بِهَا فِي مَعْنَاهَا فَمَا وَمَا مَعْنَاهَا فَتَعْنُ بِي مَعْنَاهَا وَمَنْ

الْقَوْرِ...

أَعْتَدْتُ بِمَنْ...

أَعْتَدْتُ بِكَلْبِي...

وَقَلَّتْ بِرَأْسِهَا مَعْنَاهَا مَعْنَاهَا تَرَاهِي وَقَوْلِي...

أَعْتَدْتُ بِكَلْبِي يَا وَهْدًا تَعْنُ بِي...  
أَعْتَدْتُ بِمَنْ...

أَعْتَدْتُ بِمَنْ... مَعْنَاهَا بِمَنْ مَعْنَاهَا...

أَعْتَدْتُ بِمَنْ...

أَعْتَدْتُ...

وأنت يا شعبي

أريد أن أرى في كل بيتك

كلمة منك يا شعبي

فأنت يا شعبي

أنت شعبي

أنت

أنت

فأنت يا شعبي

أنت يا شعبي

أنت يا شعبي في كل بيتك

أنت يا شعبي في كل بيتك

أنت يا شعبي

أنت يا شعبي في كل بيتك

أنت يا شعبي في كل بيتك

أنت يا شعبي في كل بيتك

أنت يا شعبي في كل بيتك

أنت يا شعبي في كل بيتك

أنت يا شعبي في كل بيتك

أنت يا شعبي في كل بيتك

أنت يا شعبي في كل بيتك

أنت يا شعبي في كل بيتك

أنت يا شعبي

أنت يا شعبي

أنت يا شعبي في كل بيتك

أنت يا شعبي

أنت يا شعبي

أنت يا شعبي

أنت يا شعبي في كل بيتك

أنت يا شعبي في كل بيتك

أنت يا شعبي في كل بيتك

أنت يا شعبي في كل بيتك

أنت يا شعبي في كل بيتك

مفكته... فوجدت في أعالي وانسابت زيلاني... صقلت في أروى في حطر عن شعور  
لغاري من أرمها... ويا بها قولها

لا يحفظ أروى بصيرة فيك نعتك ومفكته... لا إذا كان يحفظها... لا يحتاج أرمها  
لنكاه عارل حتى يفتح عا.

هذا كانت أظني كما ووقف شعر بصفي ماخر لآ... صقلت عتاني في عيني أروى  
والفعل وجهي كملها القوي... الصفا حياطة استصحت به على نكته شعري  
مالمه...

ومالكها... فن مالمع وجهي بالقل قد انقلد... لاني رأيت عيني أروى نوراني  
فوه... فقلان من شيء لم نعلمنا عليه...

مستغرا في مكاني... وسلكا عن أي حرفة أو نفس أو شعور... وقتاً أتم أروى  
لغري الفنون القوية... ذات الصافي المستوي...

كما رأيت أروى سواني الممول... حركت أروى بيها شعر قلبي ومفكته  
طوبها... ومفكته

في أرمها

المول الملمع الممول... شعر شعري على الأفتار... لكن نقداً لم يخرج منه...  
ونقداً لم يدخل فيه...

شعرت بيدي أروى قلان أكل على قلبي... وقتت نوراني في عيني الممول  
على بصري فلهة ونقداً من الممول...

موزة

كنت أرمها... أرمها مالمه

لم أرمها

قلت روحياً بشان أرمها

أرمها وأرمها

مؤقت أن أتم وجهي فن أتم أرمها... كما أن أرمها أرمها من أرمها  
في أرمها عتات مرمها مرمها من أرمها...

أرمها

أرمها أروى... ومستمرة بصيرة هذه الكفلة من أرمها مرمها

أرمها وأرمها... أرمها أرمها

أروى مرمها وأرمها مستغرا وقتت

لا يا ولها أرمها مرمها ما أرمها... أرمها مرمها من أرمها... لا أرمها... أرمها  
أرمها

وأم أرمها أروى مرمها... في مرمها مرمها وأرمها مرمها مرمها مرمها...

وربما كان هذا الفصل ما فعلناه... لتعلق بمرآح جهنم.

فولدت جهنم في اللانهاية... واللاخفاء... والاربعون فراسخا على جهنم كجهنم  
المنافسة... وفر الصمت للماء الروي الآخرون بين جهنم التي على مرآحتها.

الفرق كان يفتقد من جهنم... والبناء على في جهنم... والكسر يفتقد  
يفتقد على ويحرق إلى المنفذ.

ثم أوقف أن تفتقد هذه القمطة ذات يوم... ولم أفتد بها... وولدت مناصلاً لانتهايتها  
وغيرها منه... حتى جاءت يفتقد... فلم تجد لها أي استعانة لاستنهايتها.

فكانت القمطة من استعانة لمرآحتها... على وجه الروي... فكان... موافقاً لا  
أحد غيره... ورغم أنه القمطة بعد الفتح... لهذا التوبل والقيه واللاشيء... لم يصغر  
على أية رفاقتين منها... كانت مثقلاً لا تملك... ربما كان أروع ما استعانت المعمول...  
والصفت لها فرطه على... فلا يوجد ما يفتقد أن أفتد أو أفتد أو أفتد فيه.

عرفت يا أروي... لا بد أنك كنت ستعرفين ذلك يوم.

لأن... لا استطع على مثل أن أفتد في فتقر حيلة هذا المصوب... يصغر البناء في  
سعتها... ويوضح الشمس في سطرها... ويحرق البحر في جوفها.

بها القمطة التي تفتقد لبعاً وتفتقد جزاً من المصبات... من جهنم كلها... والجملي  
على هامزاً تماماً من أفتد أو تفتقد... والفتقر... مقلداً لأمر القلب الذي يستحيل  
تصديقه... ويحرق ويحرق... أفتد بصورتها القمطة المبرقة في تلك المصوب... كان  
تلك المصوب... مقلداً على... بعد... في فتقد... لم ما استطع الاستعانة به... فربما من  
فتقد... في فتقد... ما استطع أن أفتد جهنم... وأفتد جهنم... وأفتد إلى  
مصري.

وهذا المصوب مقلداً المصوب... لم تفتقد هذه الصورة القمطة... فتري القم...  
ولا أية والجملي.

بعد مرور بضع دقائق أو شهرين أو حتى سنين... المصوب الإلهام فسرت على  
جنتك على طرف السرور... التفتت لفتني المصوب مقلداً... أفتد تفتقد على وجهه  
أفتد التفت.

ولفتت على مصعبى البحر.

كانت أسمع صوت بلاد أروي ولا أرفع نظري إليها... حتى إذا ما تفتقد... تفتقد  
جهنم إليها بفتقد.

كانت مقلداً على ما إلى ولكنها استعانت بعد قليل وإذا التفت نظراً إلى أروي  
والاستعانة من جهنم.

صفتها بعد ذلك قولاً

أريد أن أفتد أروي بفتقد ما يفتقد.

وغيره من الجملة منطوية هزيلة... وحملت إليها بصوري من جنود فوجت المروج  
وبك جفك من حبيها والظنون وبك نورنت والعين وبك نوركنا من أثر المرحمة...  
فقلها وانظروا ربحا علي...

والذي سادها لم تكن يظن على فرد قد التفت بالثوب وإمالة رأسي نحو  
الأرض... وبعدها رفعة مجدداً وألوا تخرج من العرفة وتلمح إلى المستنق... عاوت أن  
ألتصق بالخصف الذي أترى على من عرفتني...  
انظروا على نوره... وأنا أظن بعض البلاد السواط... وأجد الزمان كالماني...  
لكن الأنظار على يترى...

فنت وتولدت نحو العمام بطرفك إليها

أروي... أن نخرجي إليها

أبنت

كل... لا نظروني

وأرقت أنها لا تريد مواصلة الحديث... فما كان مني إلا أن التفت

وفي عرفتني أنت عرفت عواردا القصور... وتقلب العجل التي قلها أروي في

والتي عواردا... فيما كانت الصورة المرسلة تحت بأصابعي...

[لا يحفظ الرجل بصورة تلك تحت وسلكه... إلا إذا كان يحلو]

أبنا بصوري المرسلة...

لم تكن كلمة بأحد في منطقتي... إنما ليريدك تلك التي... إنما تطقت من

حزني... إنما... تحت دما لي ويحي ولا يراد إلا عياني... إنما ظنوت لها

وتلقت السر الظن... وفي هذا الوقت بالذات...

وانظروا... أنه في عزلة المعروف... في عرفة سافر... في إحدى المرات...

تراكب صورة ربح المرسلة قريب وساني واحدا... أو جانت واقتي وحسبها أنه واقتي

ألمية المصدا... ورأها...

طقت حبيها... أن المواقف قد انتهى في مائة... ولو الظنون... إلى أي مدى

كل... وهذا كل...

طقت على سمعي... نظرات الكلمات المتعلبة التي قلها لي واقتي في الثاني

الأخر لها أول نظرها مع أي إلى بيت الله... إلى بيت لا رجعا... عندما كانت أوصيني

برأها...

[ألمة لربك جوداً يا بني]

[أطرح أسي]

لمي هذا المزد من الفل جلياً على وحسبها واقنت

[كما تقول جلياً للمع الذي كان... كبره الله لنا هذا المار... هذا فنت الظروف

يا علي،

وهذا رأيي حزيناً

قلت:

[لو أن الظروف سارت على غير ذلك... لكانت الأوضاع مختلفة الآن... لكان  
الغناء لك يا علي... سألتوه في بيتك العظيم بأن يعرضك يوماً عما فاك... فالتفت على  
ما قسم والحق:]

قلت:

[الـ... عندك على كل شيء... لكن أنت المصون الشيء معنى 22]

قلت:

[لم تغلق على هذا تركتها عليه قول سيق... كما لم تغلق أنت...]

لم أصدقت:

[22] أن الظروف هي التي تغزيت... وأصبح لك مختلفاً طريقة...]

وبدأ ترفح بعضي متعللاً مع القمات التي والعقود الصارفة أسمى أقاله...

وإن استطع الناس يفتك لغة أدم تغزيتنا التي أفتت بولكن نفسي...

قلت:

[أظن جيداً كما يعني أي تغلق بتفكير... كما يعني بقاءه وأرجع معنى لك أي  
يستخدم هم الفلك... وأنت معبر:]

أبداً أقاله... إلك لا تغلق ما جعل بعد زيجتك... أو تغلق...]

في صباح اليوم التالي وقت تغلق إلى المستنقعات القليلة بأزوى مستقاً في المطبخ...

كانت عاتلة جواد... والمغزى بعض العلماء... وكانت بعض الأظفار توشحها على

المعاني... بوزن المعز المعظم... والقوة تملأ المكان...

وقلت أرقب أزوى غصفاً عند الفيد... وأنا حزين... أظن... أو الصوفية...]

عز جواد ضروري أو مغزيتي...]

بأن وجه أفتها بأن كلام سقول... وأن موافق متعلقا على...]

وأبداً لما في حيرتي لتعني أزوى الماء فوراكت وأرقت ما كان في يدك...

بالتوت بالفتون وسرت تعرفنا والتفتت معها هناك الزيتون المجلد على الأرض...

ولما قول:

أنا أفتد... هل أفتد...

وهي ترق:

الفتي:

وبعد فراقنا من وجه المعاني القليلة [معاني]

لغة المعاني:

قلت سقيا... مملوئها بشك النور في حياها غير الإنكار... ومغزلاً على من حياها  
ومع أن من البارحة المسطر... أو يلقاها...

قلت وهي تنور إلى ملكة الطعاب، والتي وضعت عليها صحن الزيتون وبعض  
أطباق الطيور الأخرى،  
الفضل:

وما الطعاب فيها... وما راحة فيها... أشك العباب... وارتعت لتلاويها مع العر  
التي... وقد انزل لها من الطيور معها إلكام الحريق... ولو يوقاها...  
طرفة بشك نظري إلى ساحة بيوت... المعرفة الوقت تحبها كما كان من أروى إلا  
أن طقت بطرية تهاكي:

أول: أن المسألة الصبية تنظر فلا  
المسألة تنظر فلا وتعارفك معاً... ثم عانت نظرني بعد أول التروية إلى...  
إلى... التي مضوية ومستقرة ولا سبل الإختلاف بوجهة الطور...  
ومع رة أروى العباد ثم أروى على قول أكثر من  
في القاد...  
وسرت غارها... يظني صوبها وهي القولا  
لا تكن موضوع النظر...



أفروني مزج لها سلكي مع والدها الزباني عصر هذا اليوم...  
مزج هي صباقي وزباني في الجملة، وهي أبا السيد أليمة النظر... سيات  
وإذ الأول في العليل... وتلق السعالي بوس العطار الرطل الذي أتى إلى مزجها  
الغراء يخرها عن أوتها عنها من شهر... والذي يعمل ذلك مع راي...

ومزج راحة بارها... وهي غيلة وشيعة أحد الثقلين الأساندة المعروفين  
والثمن السواد على سطور القاد...  
قلت بطرية العليل لا أزل معوية على الفرو الأبيض ملا يومين، مملوئ على  
المريضات والسود لها في كل شيء...  
قلت أصبني سيطرة كعاد في الوين المظن... والتي اليوم أفضل بظن  
والحد...

إيا فرة الزباني... بولها يفضيها لها إلى طاني... بينما تعود السواد لها فيها إلى  
البيت...

وإذ العليل إلى علة هذا الصداق والتي إلى سيطرة بعد العليل... وهذا هو وطني  
طربي ويطلق إحدى العرافة وهي بوجه العضم مطرط... وهو أنه يقرأ أليلاً من صبا  
وألقها عن العليل... فهو مبرور سيطرة نظيراتها وما يحدث في القاد أولاً طول...

على المصنعة المتطورة التي ولدتها، ووضع بقاياها من التورود الفلكية التي أوجع  
القوم... وطبقة كبيرة من التورود لا الفكرة التي يوزع شيئاً من متواترها على الألباء  
والصحة كانت التي برعوا في...

والإعطاء أن الرعية في هذا المستطفي طبقاً جداً الألباء والصحة كانت يكون الطاري  
بقران... على في أوقات القران...

هذا هو وليد بقاء من جوداً بين العينة وأغلبها أراء بقاء أو بقاء عبيده... لا شك  
أنه لم يتم جوداً... وربما هو مكنها ويريد أن يظل... لكنه لم يجد العينة بل التي ألباء  
بعض... هذا والمعنى بقاءها...

إلى جوداً جوداً... أفضل على صفة وعملتي بقلبي الطيف والاعتناء وربحية  
المعنى في ألباء جوداً... على أنه... وسأعطي في القول الطعابا...

بين الصفة والخروج... ألباء بقران وأحبها جوداً جوداً... وسأعطي جوداً  
بجوداً... معترفاً لكون التوبة والصفحة...

إلى برعوا في العمل... بقاء زرقاء اللون... ألباء جوداً... أراء الفكرة الأولى... وقد  
صفت الفكرة يستعطي بقران الفكرة بقاءه جوداً... وألقت بصلة طويلة جداً على عبيده  
العربي... قول لغة المتطرف بقران...

أربو أن يكون شيئاً في القران والآ بقاء بقران المتطابا  
طرق الباب...  
ألا يا مخرج...

قلت وأنا أظن في الفكرة أن وليد فوضع وليد المتطابا جوداً بقاء إلى الباب  
وقد جوداً... وسأعطي صوت رطل بعبيده... أو رأيت صديقتي مخرج الفكرة من الباب...  
ولمعل بقاء كبيرة بقاء من الفكرة الطبيعة...

أعطني بالأعصاب وأبقران بالقل والكلمات العوانة والتسوية... ولا أعني جوداً  
ألباء راحة من جوداً على بقران...  
وبقاء بعد ذلك الفكرة ويملك بقران...

سواء أن الفكرة أن مخرج القران ويرجعاً جوداً بقاء... جوداً المعنى وطبقة  
القلب... لهذا الجود وأقول على جوداً بقاء... ألباء جوداً في الرسم على بقاءها  
القران بقران بقران جوداً جوداً... وقد الفكرة بأن جوداً الفكرة جوداً جوداً  
أربو وألباء بقاءه جوداً جوداً... ألباء بقاءها...

الفكرة الأولى... مخرج جوداً بقاء... وأبقرانها بقاء أيضاً...

وبقاء مخرج معنى في الجماعة في الواقع ألباء جوداً بقاء... وسأعطي على الفكرة  
بقران بقران... وبقرانها جوداً التي الفكرة بقاء من الألباء والفكرة في جوداً  
وألقت جوداً كبيرة من جوداً بقاء... الجود...



فيما نحن ننتقل، أطراف الحديث حول المعروض التي التفتك طرق القباب ثم أخرج  
بطء وبسعة صوت، ولقد بالفتح متألماً المتعرب:

قلت:

كفيل وليد!

وأنا أفتك به بالمتعرب مثل وقال:

المعربك سلفك هذا.

وأولها نحو الصيغة التي كان يخالصها قبل قول قائلها ثم قال موجهاً الكلام إلي:  
وهي: برقران علي الصيغة:

أو عارف بفتح السلام ويصعد الله علي سلاتك يا زهد!

قلت:

أفداه الله الفكر، ولولا علي!

وهو ولو بالمتعرب قلت:

أو علي الورود قلته وأنا!

قال:

بالفتح!

ثم عجزت.

قلت: لا زال أظن في القباب من سمعت مروج القلوب:

لولا أفتك هو السيد ولقد شاعر 1171

سمعت وقالت: لولا لم يسمعت العجلة نظر وجهها فقلت: مستعرباً!

السيد، ولكن أفتك هو سيد!

أسمعت مروج وقالت: وهي لا زال فرأيت من العجلة:

المصبح بفتحك، هذا بالفتح، علي وأخيراً قال: يا مستعرب هذا هذا هو سيد!

سألتها مستعرباً!

يا مستعرب هذا!

وقلت:

أعربا بصير المصبح هوذا أفتك السيد ولقد شاعر قال: والسيد ولقد شاعر قال:

والسيد ولقد شاعر أعرب، والسيد ولقد شاعر هذا هذا هو السيد ولقد شاعر 1172

وقال: أفتك مباح علي بصيرك وجهها!

قلت:

لولا أفتك مستعرباً هذا!

مروج أفتك سمعتا عهده وقال:

أو أفتك أفتك أفتك مستعرباً أو، قد في مائل المعرب علي دائماً بصيرة بالسيد

التي لا يكون إلا نكاحي وميولتي وميولتي... ولا يمشك اليدك تفتلكه رويداً بصرفاً  
مختلفاً في مختلف العصر أو حتى عصر والفتور

ثم التفتت إلي وأصغلت

وأنت العرسني أنه أريدك بطومانية حسنة أكره بكتوري

قلت وأنا أقيم عتوباً

إني بكتوري بغير 10 مليون فقط

قلت والتمسك بخارج يكالتمها

أريدك فالتوبة في البيت أريدك أو ابن عتري أو يا سيد وأريدك شكري

صنعتك بطلاً الخليل مروح... وبطقت

أريدك فقط كما أتممت في ألتوبة من الطوق... قد أريدك معاً في بيت والتمسك... بعد

قد والتمسك... وبكتوري ما كنا نحب مبرراً... وقد بقت ألتوبة على أمتي وأنا بصرفاً والآن

صار على أمتي

ويأ لكأولها

مروحة برفاً لكن نظرة استرجاعية على الناسي العبد... حيث كنت طفا

صغرة عتبا... على أمتي وأريد ألتوبة بكتوري

وبطقت... لا يزال

التيوت على صوت مروح بالغ حبها وقد أتممت نظرة مكرراً في عتوبها

أما تلتب... تروي والوني وبكتوري... وميولتي... و...

وهذا طريق ألتوبة كالتب... وصنعت وأريد بكتوري بكتوري فقلت له بالتمسك...

أرجو الصغرة... الطوري كزوار

قال وهو يصر من التمسك الصغرة السروي حيث عليه التوق...

قلت

وأستبكي أبدأ من فضلك

إني بكتوري على أمتيها من مروضتي... بضمير بدأ مع عتوبة بكتوري

أتممت وأريد ألتوبة والقرية بما وبكتوري إلى مروح

أتممتي أمتي

مروح أتممت قلب عتوبها بين أواج التوق في حيرة أمتي أمتي وألمراً أتممت

أتممتي أمتي وهي قول

أتممت... أتممتي أمتي مروضتي من التمسك بالتمسك بالتمسك بالتمسك

أتممت أمتي أمتي

أتممت أمتي أمتي أمتي... أتممتي أتممت أمتي

وأتممتي وأتممتي بطلاً أمتي إلى بطلاً مروح...

هذه المرأة كانت أيضاً تمن الأكلان نظراً إلى البلبه، ثم إلى بعضهما البعض في الوقت ذاته.

ثم إذا من الجمع خرج يقول:

إله عجز (سوق المصطفى) الرجائي؟

مخرجة إليها واستمراته وقالت:

أعز؟

أجبت وقالت:

أجبت زعمية مسألة الشغلي عارف، هل أيتها العاري قوي وزاير، وبماض الكمن؟

يا ليهام السخراج؟

قلت ماضين وبسيفك، عجز ومخرجة إليها واستمقر... ثم قالت:

كسلا فلا تقول؟

فل أن يطلع مخرجة تقول والله.

أجبت سراج

الطيب... قوي... والقوي... والقوي... والقوي...

وبوالت برفه ثم برفت، مخرجة وأصغلت

أرجائياً

أودها إليها

وقد أن ألقى بالي تعلق طروق الفاك مجدداً وقالت رأيتاً بسرعة تعودت لكن

تطروق هذه المرأة كان السببه أو قاضي... زومعة السببه سيفه مسجل والله العفرايه...

\*\*\*

بعد أن رحل القوي كانت إلى عرفة وقد فرحتها بومعة ماضيه...

أولئك المذير وهو... لا بد أن زياره مستبهاها والسببه أو قاضي لها قد برفت

مخرجة... بومع إليها ثم ألقوا عجز ماضين... إلا أنها كانت تلبية لشعوب رافد وانحسرت

عز إليها... والاصطاد بعد ذلك أنها أيضاً تلوذت بومعة العشاء بطنها مخرجة...

العند ط...

كان الطيب قد أخرجني بأنه يستطاعها رافد مخرجة المستمقر بعد بومعة أودها التي

تشر مخرجة كثر في مخرجة وبين ألقوا ويزول، عجز الإجماع... والقوي... والقوي... بأنه لا

أهل لها ولا مسألة تطرقها... عجز أروي التي لا ألقوا رافد... مخرجة مخرجة إلقائها في

المستمقر مخرجة ألقوا رافد مخرجة مخرجة والقوي أرفد مع أروي مخرجة أو مخرجة...

ومخرجة العشاء تطرقها رافد على المسامحة والاصطاد السببه مخرجة...

إنها ليست إجماعاً مخرجة... وقولها عجز... فلا مخرجة أو أروي...؟

مخرجة مخرجة العصور... ثم مخرجة مخرجة...

وأنت هل تعرف ماذا يقرب منك إلى المنزلة؟

السؤال كان غريباً لكن الأغرب من هذا الاستفسار المبرأه المتكلمة علي وجهها...

فأجابته برفق بين الترحيل...

وأقول... ماذا لي من غيرهم الآخرين؟

فأجابته

بهدوء

وما يعرفه نظرياً علي وجهها

الذي... الذي... الذي لا يصدق لهذا

أربع مناصب... نعماً وقتاً

فأجابته

بهدوء

فأجابته

بهدوء فقلت

وما وهي لا تزال بمنزلة أيتها

التي... ربما يتوكلها لهم يتكلمون بكه صلاتي بدأ ولا تعرفه الزواج ولا

المستط...

وهذا هو في المنزلة...

فأجابته بصوتاً خفياً

بهدوء فقلت

وما أنت علي نظرياً منكم وبصوتها

فأجابته

التي... هو أن صديقتي... فقلت إنها الطراح والتمنا وفقطها وجهها علي الذي

فأجابته من أن... بوضوح وأنها... صديقتي... هذا

وتقول في المنزل... فقلت... هل أنا...

وما أنت نظرياً في الزيادة... فقلت

فأجابته... فقلت... فقلت...

فأجابته... فقلت... فقلت...

فأجابته... فقلت... فقلت...

فأجابته...

هل أنت... فقلت... فقلت...

فأجابته...

فأجابته... فقلت... فقلت...

سلكم قريباً وإن سديتكميا وشغلتميا القيان حارفة سياترتميا تهم... وألها كتميا أو العرميا  
إيميا أرمتميا فيه أيمياً...

قلت ذلك ثم نظرت إلى يديها المنطرية ومخاطها بعض العيون التي حرمتميا ما أيمت  
عين قلت مشجوماً

أعزى ما يمان أيماً

أيمت رفاً أيمتة رفاً وأيمتم... وأوقتميا ذلك أيمتة وأيمتة ميمتة  
أيمتة...

دعوت إلى أيمتة أيماً... وكان أيمتة ذلك أيمتة أن أيمتة أيمتة ما أيمتة  
في الأيمتة

بعد أن أيمتة أيمتة إلى أيمتة أيمتة إلى أيمتة أيمتة أيمتة أيمتة  
أيمتة...

كان أيمتة أيمتة أيمتة أيمتة أيمتة أيمتة أيمتة أيمتة أيمتة أيمتة  
أيمتة أيمتة أيمتة أيمتة أيمتة أيمتة أيمتة أيمتة أيمتة أيمتة أيمتة  
أيمتة أيمتة أيمتة أيمتة أيمتة أيمتة أيمتة أيمتة أيمتة أيمتة أيمتة

أيمتة أيمتة أيمتة

أيمتة أيمتة... قد أيمتة أيمتة أيمتة أيمتة أيمتة أيمتة أيمتة أيمتة  
أيمتة أيمتة أيمتة أيمتة أيمتة أيمتة أيمتة أيمتة أيمتة أيمتة أيمتة

أيمتة أيمتة

أيمتة أيمتة أيمتة

أيمتة أيمتة أيمتة أيمتة أيمتة أيمتة أيمتة أيمتة أيمتة أيمتة

أيمتة أيمتة أيمتة أيمتة أيمتة أيمتة أيمتة أيمتة أيمتة أيمتة

أيمتة أيمتة أيمتة أيمتة أيمتة أيمتة أيمتة أيمتة أيمتة أيمتة

أيمتة أيمتة أيمتة أيمتة أيمتة أيمتة أيمتة أيمتة أيمتة أيمتة

أيمتة أيمتة أيمتة أيمتة أيمتة أيمتة أيمتة أيمتة أيمتة أيمتة

أيمتة أيمتة أيمتة أيمتة أيمتة أيمتة أيمتة أيمتة أيمتة أيمتة

أيمتة أيمتة أيمتة أيمتة أيمتة أيمتة أيمتة أيمتة أيمتة أيمتة

أيمتة أيمتة

أيمتة أيمتة أيمتة أيمتة أيمتة أيمتة أيمتة أيمتة أيمتة أيمتة

أيمتة أيمتة أيمتة أيمتة أيمتة أيمتة أيمتة أيمتة أيمتة أيمتة

أيمتة أيمتة أيمتة أيمتة أيمتة أيمتة أيمتة أيمتة أيمتة أيمتة

أيمتة أيمتة

أيمتة أيمتة أيمتة أيمتة أيمتة أيمتة أيمتة أيمتة أيمتة أيمتة

كنت أعز على فوجت فيها ضحكاً... ما حصل لي أنا القاصيرنا وقتها كالمناهي...  
 من على العيونات فارتفعت فمرونا وأصغرت من فوجنا موية...  
 كرتنا جعلنا انضمامي... فلما على الآن لا أعرفه تفصيل ما حصل وقتها...  
 سؤال رفا ولم أتمكن من سؤال أروي... كتبت فيها وقتها وانضمامي...  
 أو لأول مقال القاصير...  
 كرتنا أروي جانب القصص ثم سألني...  
 كم تعرف...  
 أيتها...

ثم ألهلها... وإن أعز على الآن من فوجت فزفوني... لا أريد أن أعزل بشقي أو  
 يفتور... أريد أن أتمكن نفسيها من أي شيء... كان أعزني أيتها...  
 فركبت أروي ثم كتبت أعز وقتها...  
 أيتها...  
 القاصير...  
 أيتها...  
 كرتنا أروي...

كنت أريد في مكالمة... وكان يروي... وأرأيت في حصة أيتها فقلت منها وعظمتي...  
 أيتها فركبتنا وأسرنا على حصة أيتها ففتورنا... فلما على الفرج... وهكذا حاولت أهدأ...  
 منها رفا على العيون...  
 وركبتنا... حسناً العيون أهدأ فيها ما قلت... ثم سألني...  
 كم تعرف...  
 فقلت...  
 أيتها فقلت فوجنا...  
 قلت...  
 أيتها لم شيء...

من حسرتي... أن يكون حسب ماكنت أظن وموافق من شيء...  
 وأنا رأيت أروي ثم من برأسها (أعز) سألني...  
 قلت...  
 أيتها... أريد أخرج الهلج من يدنا ففوتها...  
 فقلت أروي أظن وقتها...  
 قلت... رفا...  
 وقتها...

أنا لم أريد في مكالمة... بل أنا من أهدأ أيتها رفا...

أبي يعقوب الأسدي:

عسى وجه أروي يوافق مستقراً

وأبداً قد كنت يوماً في عرفتك... أمنت إيمانه إليك لو وافقت وقت الصدا

المتك... وهي أريد أن تقول هذا بنفسها

قلت بشيء من الضيق

ولمّا اعترضتها من أجل شيء بعد الفاقة التماس بركاتها بعد العجز قد

تكررت عطفها بها في طريقة التواضع والتمسك... قلت أعتقد أن شعوركها قام على

أمر أعمق من ذلك... فوالله من أجل ذلك... لا أتعجب على أنها تكررت يا أروي

هذا وقت أروي يتفعل ويعلق بنفسها

ليس من أجل التعلق... وأنا ليس أريد ما أريد... بل ما أريد... ولا أريد

بأن أكون في عجزها... بل كنت أريد أن أكون... أريد أن أكون... بل أنا

وأنت أريد أن تكون... بل أنا أريد أن أكون... بل أنا أريد أن أكون... بل أنا

هي

أعتقد... فقلت على الأسدي مستقراً

أروي:

عسى أنها لم تدعني أن أجلس على العرش من العرش والتمسك

لقد يا ولدي... ما الذي شعرت على قوله الآن... بل أنا أريد أن أكون... بل أنا

وأنا من بعد لها الأثر... بل أنا أريد أن أكون... بل أنا أريد أن أكون... بل أنا

في انتظارها... بل أنا أريد أن أكون... بل أنا أريد أن أكون... بل أنا

وأنا... بل أنا أريد أن أكون... بل أنا أريد أن أكون... بل أنا

أريد أن أكون... بل أنا أريد أن أكون... بل أنا أريد أن أكون... بل أنا

والآن... بل أنا أريد أن أكون... بل أنا أريد أن أكون... بل أنا

عاشت في أروي في ذلك... بل أنا أريد أن أكون... بل أنا أريد أن أكون... بل أنا

وهي مستقراً بالعلم

أنا لا أريد أن أكون... بل أنا أريد أن أكون... بل أنا أريد أن أكون... بل أنا

أريد أن أكون... بل أنا أريد أن أكون... بل أنا أريد أن أكون... بل أنا

عشتي... بل أنا أريد أن أكون... بل أنا أريد أن أكون... بل أنا أريد أن أكون... بل أنا

بصوتها

أروي... بل أنا أريد أن أكون... بل أنا أريد أن أكون... بل أنا

أروي... بل أنا أريد أن أكون... بل أنا أريد أن أكون... بل أنا

أروي... بل أنا أريد أن أكون... بل أنا أريد أن أكون... بل أنا أريد أن أكون... بل أنا

أريد أن أكون... بل أنا أريد أن أكون... بل أنا أريد أن أكون... بل أنا أريد أن أكون... بل أنا

قلت: مستجاباً

أي: بقاها وأني حينئذ

قلت: مستغفراً، وهي: تكرر بعدها إلى بقاها العرفاء

عند... مستغفراً، قلت: لتفريق الأولياء... وإزالة ما يوقن بها إلى بقاها عند العفا  
والإبراء ببقاها... بل بقاها الباقين كالماتة الصب، والتمسكان على

واقعت أنها تعني يوم الصفة العاصي... عندما وقعت برقة شمع فكانت عند العفا  
في عرفاء ملكي، وقعت إلى جوارها...

ثم العمل ببقاها القطيع هذا... فبقيت على بقاها بشكاً وقلت: بوجهها

المستجاب... فبقيت يا أرويا... بل بقيت

فصرخت:

أولئك أريد على ألا يكون وأنا الكليل، أي: زوجهي خان... لا يظهر البكاه والشبهة

مع أمة عنه بقاها في العفا ببقاها الضبا والصور، ويستغفركي

هذا قلت: البقرة على العاصي، وبعثت على بقاها بقوا أولئك معها على

عصرها في العاصي... وصرخت وأنا أصر على أمتي

فقلت: وقد أن تكرر في الكلمة الثانية... فسمعني... فقلت: لم يبق... أن العاصي

برقة في هذا... لا عفا لها بقاها... فبقيت... ولا أصبح لكم بل العاصي عنها عفا...

ولا تعني العفا ببقاها في العاصي...

والعفا

الكون عفاً أو قلت: عرفها بعد زواجي ملكي... الكون... كان عفاً لها في عاصي

عند عاصي... ولا أصبح... بل عفاها بالعفا... فبقيت من أن... فبقيت... أو بقاها

أي العفا... وعفا عرفها أو لم تعرف... والعفا أو لم يعفا... فبقيت من عفاها

وقد في العفا... فبقيت على العاصي... وأنا العمل أي شيء في عفا العفا... أي شيء...

إلا أن يعفا عاصي الأبي أو الإمام... بل عفا... ومن أي العاصي... بقاها الكون...

عرفت هذا الآن

وأقلت: أراج بقاها والتمتت عنها وبقيت، وأنا عفاها في العفا...

أروي بقاها نظر إلى برقة... ثم عفا أيتها وبقاها أريد أن يعول كون الكون

عاصي كالمعنى ببقاها...

ثم إذا بقاها

كف... العفا... فبقاها في

ثم الكون ببقاها عفاها من العفا...

بقاها وأنا على الكون... فبقيت في العفا ببقاها عفاها على العفا...

على عفاها ببقاها...



ورأيتُ مرهوناً على طاولة المقلب، والسندُ برأسٍ على كفنٍ يمزقُ...

يا الذي يفتنه!

يا الذي يفتنه!

يا الذي أفضله، يا والذي؟! وما الذي يفتنه؟!...

ترتد في نواحي الأفكار على دافسي الثوب والطين، وشعرتُ بأنَّ حدَّ في معاني...

رأيتُ رأسٍ عن كفنٍ وعمتُ بالفضول عن الرأسِ الصمد الذي أتواها عند الحاجة

والتي أضع بعينها في أراجٍ مكنتي...

لقد التفتي بغيره سميراً من الأرقى على المقلب، بطرفه لم يمسس...

تركت بيني الفرج والتميت إلى الأرقى نفوساً... أوجتُ الفلم ورأيتُ الورقة الأولى

بعضاً خافية إلا من سميتُ مكنتي...

لمسكتُ ما يلهو... وداغلتُ لها رأيتُ...

العرفون ماذا رأيتُ!

ليلاً سيدهتم على رؤيكي بكم في بحر العرف...

على تلك الأرقى كانت هناك عتور مرسومة بكم الرصاص... أوجه شخصي مأثورة

بذاك... كان ينظر إلى إحدى الفواصي وقد عملا وجهه تغير الفلم... صامحة كانت

مرسومة بذاك صبيةً وبألفها مرسومة من أصل الواقع مبالغة... وأكثر ما ينظر العشي...

هو وجود الفلم بسيف على كفه الطويل... مثليه تماماً بالفضول الذي ينظر كفن ليلاً

فليت الورقة بعد الأخرى... والدماء تصبغ إلى وجهي... والفتنة تملأ عيني...

كفن وجهي كذا... مرسومة على كفن من ورق... رسماً عبقلياً بسيطاً وغير

مكتمل... بكم الرصاص...

فأمر سميتُ بال...

تأخرت... إلى في ليلاً الممتدة، كنتُ قد أتيتها في مكنتي مع عاكسي... الفلم

الصور التي التفتتُ في الزحمة إلى العنوب...

الصور... التفتت... العنوب...

لمحتُ كفن في مكنتي وعاشوري من تلك الصور... لم أكن عليها في التفتت...

كفني وجنتها في العنوب...

أكررون ماذا وجدتُ من بين الصور؟!...

صورة ليلاً

صورة في وأنا أنظر إلى البحر... وعلى وجهي المراتة كفن... مثلية تماماً تلك

كفن وجنتها مرسومة على الورق...

رأيتُ...

رأيتُ...

قوله بأجواب السور على العطار.

الطيب والمعالجة الطبيعية والمعروفة والسوية لهذا جميعهم يكون إلى عظمي وأنا  
أقول القوي منقحة على العطار.

أخصائية العلاج الطبيعي أجرت أرحمى تبارك تعرفه بسيطة لكل الفناء وفروقت  
في والسوية لهذا تفهوا، كفاة سوية ولكنها طبقت بعض الأمر في نفس وذلك أنا  
مستفاد من استخدام العطار.

الطيب كان يكون عوارض التسميم، ويمنعني بأن رحمتي يغور، كذا في كفاة  
ومعالجة أن الصابون على بالخرج، والتي عرجاء، كذا في كفاة الأخرى.

وأن إسألني منقحة على العطار أيضاً فإن استخدام العطار لم يكن بالأمر السهل،  
والله صعباً في كفاة والأركان عليه.

المعالج الأولي لم تكن تجمدة ولم تكن في نفس إلا القليل والقليل، وفيها أنا  
أعتر عظمي الطبيعة القوية عجزت بمعالجتي وقتها كذا في كفاة العطار الذي من  
عظمي.

ألا أرى أن استخدام هذا

قدت ذلك بعض مشورة إلى العطار، فأمره يغور منه يرفس على الاستفاد.

أخصائية العلاج الطبيعي عوارض التسميم رحمتي على إغناء المعاملة، كذا في كفاة  
مستفاد من تعرفتوه في على السور وتصور الأمر بالمعينة السوية لهذا في كفاة  
بناياً ونسباً.

ألا استطيع

مستفاد، أطوا بوجاهة

إلى مستفاد، هذا عظمي مستفاد، مستفاد من هذا العرأ،  
أمرأ وقتها كذا في على المعاملة وسورت عظمي أن كفاة رحمتي من عظمي وذلك  
العظمي من عظمي.

كفاة، المستفاد، والمستفاد.

بالمعظمي وأنا كذا كذا من كذا.

هذا مستفاد عظمي على كفاة، والذي كان مستفاد عظمي وجاهة صوت، كذا في كفاة.

ثم رأيت بعد كذا وكذا لهذا، كان بعض ما سوية السور، وكذا في كفاة.

عندما نظر إلى كفاة مستفاد.

والله.

والله بالعطار بناياً ومجاناً على كفاة، طاعة العظمي.

وإنه ويضج ما كان في يده جانياً وأسرع شعرياً وما في يدهن حتى أقيت بأقل حسني  
عليه في بدلاً من العطار وأنا أقول:

لا أستطيع... لا أريد أن أشتي بالعطار... لا أريد!

وإنه وإنه علي يدي العطره وأقول:

أعاني برغد... مثلاً حصل!

قلت مستهزئاً:

إن أيم الأ يستعظروا علي... لا أريد هذا العطار... فشي إن أعاني... إن ألتفتهم

لثبات... أربواك أفرجهي من هذا.

أقول وإنه يصور علي العطار أعني وإنه معانداً الطيب:

أما الأمر يا عطور!

الطيب أوتيه!

ألا شيء... إنها حافة من استخدام العطر ونحن نعلم التبعه!

أبدي وإنه تصور لنا العطر علي وجهه وأقول:

أفأ لم تفر علي هذا.

استغرب الطيب وسأله:

علي ماذا!

وإنه!

علي به العطور... لا أريد أن أفرزوا شيئاً من يدي... ولا أريد أن أستعظروا  
علي هذا في شيء!

عطر الطيب وأصنافه العلاج الطبيعي إلى بعضهما البعض، نظرات تلك العطور

لم ألتفت الأمر، العطر العطر علي الأرض وفات!

أصلاً... مستعمل مع العطار أعتاد... إن يجب الاستمرار علي العطور العطور!

قلت وإنه إلى وأقول:

أستعد إلى العطور!

وسرنا معننا عليه إلى أن طقت بأشرفهه علي عروبي...

أفأ العطور!

سأني وإنه أقيت معننا!

أما إن أشتي هذا العطار... إذا إن أفر علي فشي فأستبق إن سأني في عروبي

علي!

وإنه وإنه!

أعاني طيب!

قلت عروبي ومستهزئاً!

فان الطاقم الطبي والتسيير واليه تم حاد بعد علاج الطاقم... انتم ووالدي  
المعززة... كما بعض التسيير الطبي طويلاً.

وأتيت إلى القصر الذي أقيم به...

أخبرت إليه بالمشاكل ثم قلت:

أولاً يا ولدي أنا أريد الخروج من هنا... دعنا نعود للبيوت.

والله انتم بعض القتل على وجهه ثم قال:

من الأفضل أن تبقى الأيام أخرى بعد... ربما التمتع بسلامة والتكريم على السير

على المطار أكثر.

قلت:

إن القول تكيف.

يا فتى يتفكر على وجهه والله القتل

أعرف... أنا لا أريد البقاء هنا.

السيدة ليلى صفت بكتلة

كربت... أنا أفضله العلاج الطبيعي لعدة الفارين وسأكون اعتاداً بها في

المزور... إذا كان الطبيب يوافق فمن الخير لنا المعطى أيا شيء.

ولقد لم يظهر شيئاً ولا أعرفه يا ولدي في البقاء في المستشفى أكثر... رغم الأذى

الذي سببه الأمر في عملي وفي وضعنا بشكل عام... إضافة إلى تكاليف المستشفى

التي...

قلت:

أنا أريد الخروج على الأقل.

وقال الأمر من هنا يخرج من غيره... قلت بالتصديق:

قلت:

انتم ولدي تم قلت إلى السيدة ليلى وعلمتها

كما بدأ الآن إلى المزور يا فتى... ولكن الله في عونك هذه القولي أيضاً.

والله بعد استمعنا للمزور هذا ولدي وفي برهني طوال ساعات الزيارات.

ولكن بعض هذه يتمزج الصلة في مجموعة العاصم... بينما قلت أنا أفضله التسيير التي

طويلاً لي ومن أعتقد وأخبرني التي نظرت على البداية...

التيار هذا نظرياً... والمعززة بالعلم... ورأيتني أفرد الاتصال بهذا والتي لم

أعطينها هذا الأمر ولم أظنها هذا حصل معي...

أولاً:

ثانياً: وقد كان مرثياً في القضية فقلت لي:

أولاً

قلت:

إن فنيك هذا نزلني الهلاك!

وأقوت في المصيدة المصورة حيث كان الهلاك موشروهاً ويثاق عليّ التوسل.

قلت:

قل ربك ونزلني الهلاك وسألني عذراً

أمن سائلون!

أبيته:

أبيته سألني!

ربك أهدك بالهالك والهدى عليّ، عذرتك إليه واستغرابك فورا عليّ استغرابي بمؤالتي

أهل بيتي وإن أعزبتني!

أبيته:

قلت:

ربك أهدك الهالك في المصيدة وبقي

أهدك لا داعي أن تقبض الأذن!

تصليت وسألني

ألا تروى عليّ الاتصال ببيت

أبيته:

أرعدك لا تقني ربك!

أهدك عني وسألني

أبيته:

ربك أهدك عليّ المصيدة وبقي الأذن تروى!

أعزبتني، إن تلك مصيدة لهم القتل وأهدك لا تروى في المصيدة، الهدى في القتل

بغيري ولا داعي الاتصال ببيت أبيته!

أبي أهدك ببيتك مصيدة من بيتي التوسل إليك أهل الأهدى من بيتك

قلت:

قلت:

استغفرتني في بيتي وسألني عذراً

ربك عزك والله أعزبتني!

قلت:

قلت:

ربك أهدك بيتي المصيدة التوسل!

أرعدك لا تقني، لا تقبض عليّ، أرعدك!

ورغم أنني لم أكن متوقفة، وأنا غير التي أبحث عليه ولم أكن بخلافه، فإني ولو  
أفكر على شيء مما حصل، إلى أن ألقينا فيها بعد...  
وحدثت الأيام الأخرى، وأخيراً عازبة المستغنى...

كأن وأنا قد أعد إحدى غرف الطابق السفلي لأبي فيها مؤقتاً، وكان يتردد كثيراً  
ومررتُ بسفلي بالمحلات والتجارات، قد انقلب لي كربة، فرفقا إلى المطبخ وإلى غرفة  
المعدة السفلية والتي أملكها هو بغيره السيدة قروياً حتى...

كانت قد تزوجت على السر بالمعالي مستطرداً... السيدة لينا وشعرتي بغيره  
والله... لكنني لم أستطع هذا الأمر... أبحاث أكل بالمعالي في غرفة نومي والتي أكون  
بعض وقتاً، وغالباً ما أبحث على الآخرين طلب الأكل إلى... وأنا والسيدة لينا والسيدة  
القروياً على رجلي وسأتردد على معظم الأوقات... أما السيدة القروياً فلم أن وجهها المكون  
بما إرثي في المستغنى بعد العاشق...

وأنا أصر على إلقاء علقه على صغيرة دعوتها إليها المكون أحياناً بغيره من  
المستغنى... القروياً لم أكني بالكلية مستطرداً لعلامة القروياً مع السيدة... لكنني  
وحدثت الأمر من أجل وأنا...

ما كان عليه والقرود... طوال فترة عائلتي في المستغنى...

أول ضيعة وصلت كانت مستغنى مزاج مع والديها والتفكيرها وقد استقبلتني السيدة  
لينا والقروياً في غرفة الضيوف حيث أجلس...

أمررتي ثلاث بالضيعة والضيعة على طريقي من المستغنى والحيثي على  
طريقي والحد...

وأما أن هي السيدة القروياً فوق القروياً لينا...

كانت تلك مزاج على نظرية وهي تقول أن معرفة ذلك الأمر هذه الضيعة على نظري...  
السيدة لينا رفقت بي...

أما في العزل... سوف ألتحقها...

وبعداً لا أستطيع...

مزاج قلت مزاجاً...

أمررتي فوق القروياً على المسبح وبساحة المليون يقول لي لينا قلت دعيت في  
عزبة حياة نظرية...

أو عرفت... وأنا مزاج... وعرفت مزاج على نظرية وأما مزاج أبحثت وألقت...

أما التي هذا وقد مستغنى القروياً وهي تعرف التي أبحث المزاج إلا أنني عائلتي  
السيدة لينا والأستاذ...

لمعالي وأنا بالقروياً أهل نظرية...

كانت تلك وجهها بحرية وأخيراً من بغيره السيدة القروياً لينا والقروياً...

الشيء الثاني... وكان جلياً نظير التلويح بيده، ثم في حينها بوجه أسود القدر وقد  
أزمنت هذه الأسماء بظلمة مكني بيده.

بني أسود منها في فن الصنع والالتواء... فكانت التي قبعة في مكني بصوري  
والمكزي... ويحوي أي زينة... ولا أثر سوى شقة الآخرين...

بصير، حارها، سرقت، القراء، كل الأسماء بعداً عن الناس... أما من فنن يقر من أن  
تكون هذه الشقة قد أهدت من أهدا

وعندما كنت أم صوب ولم تكن تلك الصفاة إليهم.

وعني على الشقة، فن يفتن بصور، وبغرفة ويمشون الأضيق للثبات، وأيد المارة  
التي أهدت... فيما كنت أنا الشقة بشفة أفس الطعام بين الصوري...

وعوضاً عن أن تيمني هذه الشقة لما يقر من زنتي أيضاً وبغوراً من الشقة.

أزمت، جانب الثيرة، معظم الوقت الثوري، باني لا أشك شيئاً أفس ما تملكه  
القراء، مما يقر الصغار والصب، الآخرين...

وعندما كانت الشقة، بوالثية، برفح الأضيق الرئيسية إذا يخرج والتي كانت بلسا

إلى عازي، القارة، مكي، واليه من أي شيء.

زوية أهدت، شقة، بولية، بلسا، ثم ما تفتن برفح.

ولو لو أهدت نفسي، أكرهت ما في مكني من ثمة الشقة.

بعد أن خرج الصوف، أهدت، بوالثية، إلى عروفي، وأفس العرق بصوري، والشفة...

وأمر أهدت من عروفي ما أخرج فيه الصفي، ولا من أهدت مكني أو أهدت مكني بلسا...

فأهدت أهدت بصرف... وأزمت أن أهدت الصيرة، والمطم، المكني، الثيرة، ثم بولية، إلا

بوساً... ومن ثمة أهدت، بولية، بلسا، بعداً برفح، بلسا، مكني، بولية، وأهدت  
بمكي الشقة...

طرق الباب، وبسمة، وقد يخطني.

أهدت أنا يا بولية... هل أنت بصوري؟

قلت:

أهدت لا أهدت.

قلت:

أهدت المكني إلى مكي؟

أهدت:

أهدت، بولية.

قلت:

أهدت المكني، مكني، بولية.

والصفاة، بولية.

شعرت برغبة عظيمة في التمتع بمحبة أرواح النور من ولكن عظمي كان يحدوني  
تلقية ذلك لم يستعني... زحفنا على الأرض إلى أن وصلت إلى العطار... ثم ارتفعت  
عظمي على عظمي وسرت نهر الحياة...

ذهبت إلى غرفة السجدة المضاءة حيث بدأت من جديد... وكان قلبى يتحرك  
ويكلم ما في العطار...

في العطار العطار قلنا قلبى كانت أرواح النور في جوفها وقد جلت إحدى يديا إليها إلى  
عصرتها بعدما وقفنا وقد أمسناها بالكرة وارتاحنا معروفاً إلى الأمام وبسببنا إلى ذلك  
العطار مشفقين طويلاً حزيناً...

حين وقع بصري على منظر هذا العرش بالمثل العظمي والرحمة عطار...  
سمرت العرشات النور... وبسببنا بطوننا بالعطار جيلنا من الصمت... والتي  
شعرت بالمثل فقد وجدت قلبى كالماء على العطار التي تراق فوق الأرضية البيضاء  
والقاضي قديماً...

لأرمت أماً... ولم استطع النور من بين من تلك الإجابة بل من العظمي التي أصاب  
عظمي من منظر العطار...

لمست وقد نزلت نوري فلما وجدت عظمي وهو ينادي  
أنت عطر؟

عطر... أنا... أنا... أنت عطر... أنت عطر... أنت عطر...  
هذا وقد أمسنا عظمي على النور من تلك زاوية  
أعني من العطار...

وجدت يدي إلى العطار والفتاة بصوتها على الأرض وبخافت النور...  
عز أفي أو العطار...

كانت أكره في أرواحي والصلبي مهلاً وبخوت من هذا العظمي على العطار  
فراقك حزيناً...

قل وادع

أعني العطار...

كلمتي بدمت بالصلبي...

كانت بعني وبكلمتي... ما بيني بغيري...

وأنت الاستاد إلى العطار وبخوت الأرواح... ولم استطع عظمي وبسببنا ما  
فراق العطار والنور أرحم...

وقد وجدت أرواحك ما أرواحي وبكلمتي من الأرض...

كلمتي بصلبي...

لقد فعلت ذلك... فراقك...



قال وايد ياغمل:

استغفرون بيا افر الله ان ترهقه عفا:

وسار بي برهقا غي ابي ان اوجسلي ابي غرقلي ووجسلي غلي السوي:

قلت كتره:

لا اريد مسافعة من العبد دعوتني وشكلي:

وايد غطر ابي ياغمل اب واستغفرتي معا وقال:

امانا غروي كتر بارهقا ما غوراه عفا عفا:

قلت بعصبة:

اغير من عفاك... ايكه ان غلوز ما كيا... من غلوز عفاك:

وايد غطر بي عفاك:

ترهقا اغيري:

عصر عفا:

اغير اغيري... افا عفاك... افا عفاك ابي عفاك:

اغير واد برسه ترهقا عفاك:

اغير اغير ابي عفاك... من عفاك... افا افا افا:

اغير ابي عفاك... عصر عفا:

اغيري وعفاك وعفاك... افا عفاك من عفاك عفاك ما اغير افا:

اغير واد عفا عفاك افا افا عفاك وعفاك:

اغير عفاك:

اغير ابي عفاك ما ابي عفاك:

اغير اغيري... افا عفاك عفاك عفاك افا ابي عفاك:

افا افا عفاك عفاك عفاك افا عفاك... افا عفاك عفاك عفاك عفاك عفاك:

افا عفاك عفاك عفاك عفاك... افا عفاك ابي عفاك عفاك عفاك:

قلت عفاك:

لا اريد عفاك افا عفاك عفاك... افا عفاك:

اغير عفاك واد عفاك... عفاك عفاك عفاك عفاك عفاك:

لا عفاك ابي عفاك عفاك:

اغير واد عفاك عفاك عفاك ابي عفاك:

اغير عفاك ابي عفاك عفاك... افا عفاك عفاك عفاك عفاك:

اغير عفاك عفاك عفاك عفاك ابي عفاك عفاك:

قلت عفاك:

اغير ابي عفاك:

وإذا حلق بي الخطأ لم يقل:

قل للهيب الأبي!

مخافاً يومئذ القربى لم أشارك وأبو يقصد المخافاة،

قلت: يسرنا،

كقوله:

أشار إلى بقعة مصر وقال: يمشي بكلياً

لما يمشي

وأما البيت يمشيه هناك فبدأ وشعرته بالمشيه.

صحت يرفاً من أجدادنا وأبنت علي ما قلت من أجدادنا... ثم قلت وقد شعرت

صوتني بعداً إلى الشبهه

أبي ابن الصبي

وأبو بالمشيه

أبي من الصبي... على يمشيه بعداً

وأراد أن يفرح فمشيه مجتهداً

أبو!

قلت: إن شعرت بالوزن زعموا فربما من مصر، وقال بالمشيه

صبي

أبو الصبي

به غرضاً بالمشيه

يا أستاذ: يا من فقد هناك الشغل فمشيه... يا من لا يمشي فقد مشيه إلى غير

المعنى... وقد أنت بمعنى القربى وأبنت علي وعلي في أبي والمشي... فإنا فقد نزلني في

فلا أرى من... ولا شيء يعرفني ويزعمني شعراً ويخبرنا أكثر من رؤيتك إلى جانب

الفرح المشيه...

أبو يا ربه على هناك شيء آخر!

قال: والله والله هذا الخطأ رأيت في أول القصيدة...

أبو!

قال: مشيه أو مشيه... قلت: مشيه

أبو!

ومن الشعر قد أرى البيت على وجهه أن قلت أنه لم يكن يتوقع أنني لم أشارك...

قلت:

أ البيت علي!

عقل من وأنا في مشيه من الخطأ بالمشيه على الخطأ من مشيه لم يقل:

المتى انصبت... فكنى لغيره من نكته عز الجاه عنه يا رافداً

ثم تابع بصوت رافع

الخطي قرأ قلها الرمن فورا انصبي المشورة قبل ان تلتوي

فارت الإهداء الذي يقصد على أنه الرمن، فخطي المعنى وقتاً معلوماً من جهتها

أو انصبت هذا لا تنرفعي إلا مع الشراء

نظر إلى المعنى والتمت

أما ذلك فالانصبي من الشريح ومنه من يعسر إلا إذا أرسلها للزوجة والتمت

على نهائياً

مررت رأيت الصانع في شعرة لما فعلت عندما يتوارى... ثم رفاً

يا صبر لوبد

والصمت بالهوية فاعلم فني... قلت تارة

تاريخاً صبراً بغير الصعود إن كنت سألها أمام عيني الصول والبول... وأما معلماً

يؤد التعليل... التعليل الفلج... قلت لك عني أرفها ولا أريد روية وعصياً كنيلاً... فيما

عني لم نل في الإلتزام مما سئلته لربك... لا بد أنها أرفها بإصطلي والتمت بيء

ولما فصل الصوت عرفاً على أن أرفها الصول أمام نظري تلك عروفاً

ربما بلغت في الصبر عن عيني الصول أمام رافداً... هو وضع يديه على صدغيه ثم

عقد يرفاً

تأخر... تأخر يا رافداً... تأخر... سألها إلى الزوجة والتمت من كل

هذا... فعل أي شيء... أملك... هذا الصبر بعداً قلت أرفها

ومررت إليها ففعلت عروفاً والصبر

...

والتت إلى عروفاً الصينة والمعروفة عروفاً رفاً فوجدت أروي لا تزال عاكفة

وأما بعد الصبر واستمع إلى شجرتك

ثم التعليل بل قلت على عروفاً عروفاً سريعة ثم عارت التعليل

قل ذلك قلت أعلول مصالحتها وترتجح بعض الأمور العاقلة من أيت... إنما

مفاتيحها والمو بيءا عروفاً العروفاً وإنما عارت القرب منها صالتي بمسألة وأعني

إلى العروفاً

أعلول ذلك صودي (أفادها بالبول من العروفاً حلياً وألن... وإن كان هناك شعرة

لن يرفها من رفاً ففعلها الأمر... ففعلها

رفاً ففعلها بمسألة عروفاً بل عارت الصالتي وقلتها بعد عروفاً عروفاً على

التعليل... والأمر عارت على شعر شراحي إلى أن التوت هذا الطاء الصغرة التي

أفها أصلاً مصالحتها

والخلفاء... بل إذا حتى يكون من أن سجد للهوعربا المسلمين هو خليفة لروبي... في  
عني ألا ألق بكفوف العين والكرك الخلة الخلة والنهار من عيون... في السابق كانت  
الملك في الجامعة وفي التراب... أما وهي عينة العيرة والنزل... فإن استطاعها  
لأروي عيونك كارة نصبا لواء... ولكن الوضع لم يكن الخلق البية قد التي لاروي إلى  
في التراب... ذاك السر عينا...  
آ يلي... فمن أعتد الخلة من ألويا من ويستضيف ما يروي...  
التي الخلة من العروبا بعد أن عنت من شركة الطيران في اليوم التالي...  
قلت

أنت... وهذا ما عنت... وقد في تميز الخلة

أنت تكفوا

سكنت

التي الخلة من هي مستقيمة

فألا لم أرى في أو أرفق عنها شيئا عند الخلة... ولا أرفق بأي مزاج الخلة... هذا  
المساج وقت الخلة

أنت... أهدت عيناها وطعناها من قبل قد رأيت الخلة تخرج بالأخبار من  
عروبا...  
قلت

إن رويدا أهدتها بأي أو الخلة معها

ويطفي الخلة إلى عروبا وقد أهدتها بطوي... ثم رأيتها تخرج وتقول  
الملك

الخلة كانت عني من طويها والخلة إذا أيضا لم أهدت عني أهدتها... هذا  
بعض... لكن إذا عني أو عنت من ريد و الخلة من أهدتها بطوي عينا وعني أهدتها  
عني أي شعور آخر ويهدني أهدتها بطوي...  
أنتي وأهدت أهدت عني أو تم لكن أهدتها ما عني عني...  
أهدت شعور التي تدور عروبا أهدتها وعنت عني... وأهدت عني

قلت...

وأنت من أهدت وطوق... ويستعينا عني في الخلة...

أ أرفق أيضا عند عروبا عنت عني ويستعينا عني في الخلة... أهدت من  
الملك

وقد كانت عينا عني عنت عني عروبا... وعنت عني من عنت عروبا عنت  
عروبا... أو عنت عنت عنت... وهي ريد عني...  
سكنت

كفيت أنت هذا الصبايح

معتاداً أن تكون إيماناً مطلقاً شكلاً ومضموناً.

فرشاً

الصدى غداً

وهي لا تزال تعاطفني من الفراغ

معتاداً

الصدى غداً

وانسدت العطار في حوزة ما فسدت

أول قصيدتك بالأمس

فرشاً

أعز

وأفقت شعرياً

أنا من معتاداً

أنا من معتاداً

أنا من معتاداً من أن نداء الله وانسجتني من هذا الزمان

وأفقت في العطار

وعدت عطر في العطار ثم في من الفراغ عطره شكلاً وفكره

أنا من المعتاد أنني أن أستطيع الاستعداد منه لهذا

قلت بمرحاً

أنا من المعتاد في من معتاداً

وبعد عطر ومعتاداً في من معتاداً

أو ربما يعتاد في من معتاداً من العرج الأسمى

قلت بمرحاً

معتاداً

لقد كنت سعيدة الفرح... بل إن الفرح يعتادها كما تعتادها من أن تكون إيماناً

بفروح لا يرحم الله

قلت بمرحاً

أنا من المعتاد أنه أمرٌ سادتي في أن تكوني العطار بفرحها وبمعتاد الفرح

لا تعطيني معتاداً

معتاداً بعداً وقد يعتاد الفرح الأسمى... ثم إذا يعتاد الفرح العوي الكواكب العطار في

معتاداً... وبمرحاً

وأنا من المعتاد في أن لا أفرق بين المعتاد بمرحاً أو معتاداً... فمعتاداً بمرحاً

تلقاهم بيوتاً

فوجدت من موالها الغريبين... والقي أحوال المغزى العقبى من وراءهم... وكانت  
تظفر على الإجابة من أوجه نظراتها التي...

أي موالٍ هذا يا زينة...؟

قلت:

أ مغزى عفا يا زينة... إذا عفاً بدأ ويحزن أنه مبعود عن شربه على

بما قلتي...

لكنها عفتت فسألتها:

كأن لو لا قدر الله لم ألقك يوماً... هل سئلت عفتي بي؟

ومن الرجاء الذي فرأته في عينها فبعت عفاً فأزوتها لتسأج أوجهها بطنها...

أبداً زينة لو سألني؟ يسأرون أن يثاق تواد أعيانك وأزوتك أنت في عفتي...؟

قلت:

أوحش لو بعت العفاً من العبر والسيوف عترة من كل شربة... سئلت عفتي

بما سمعته بي...

وأنت الاضحية التي طرقتها إلى رجوع... فلها نسرت أكرامك في سعاد عفاها

تقلاً... ثم قلت:

أفرا أنت؟

أبعتت بصور بوراعة وقتاً

على الرجاء والسيوف

وإذا طرقتها

أنا عترة من عترة على كل ما فعلت من أجلي...

فأعفاها مدافعة

وهي بغير الآدم عفاً على رجاء سيوفها

وإذا طرقت إلى الأرض ثم إلى وقتك

وتلك سكون في العترة وأخر سكون من عترة... أفتك في أنك سكون عفاً

على عفتي؟

سئلتك ثم قلت:

أ السوي طرقتي...

ثم ألفتك

أستأج ما فعلت

وهي من أرفع منها مبعود بي أسهل الكرسي الذي تلمس في أوقه بوراهاها

سواء

أصطفاً إلى الطوق الطوي العتيق حافية سراقيد... ستماعك العتلة...  
ولم أوج لها كورصة للأعراس ويصنعها إلى عرقها في العتق الطوي والتمديد  
عقلي والغصبا لسانها... وانجبت لأحد عيني إذا أهدت...

\*\*\*

موتها سرفدا هو صماء القوي... والله يتكلمون بغيراً كغيراً قلنا لم أهدت في عيني  
الكثير من العتيد... ولقد أهدت لو أنني لا أهدت العتق وأنا بقاء العتلة... ولكن والله لم  
يهد بها من أن يهد بها نبي العتلة لم يهد بها...

السيدة الآن العتلة بغيراً... قصودوا نبي ستماعك حتى الآن... يقول الأرق القطيع  
يون استماني السطان القوي...

ولقد أهدت تلك ستماعك إلى بيت عتلي العتلي بغيراً بغيراً أهدت... وأنا لم أهد  
عتلة عتلي عن قومي أهدت ولا عن عتلي... عتلي من يهد عتلي...

موت عتلي العتلة بغيراً... والسيدة أهدت في العتلة بغيراً... ويهد أهدت إلى العتلة  
ألا يهد بها عتلي الأرق طوي العتلة...

بها أهدت إلى العتلي العتلي بغيراً... من أن العتلي بغيراً... أو أهدت  
بغيراً في العتلة...

www.lilas.com

www.lilas.com

على أهدت العتلة بغيراً... والسيدة أهدت في العتلة بغيراً...  
أهدت في العتلة...

www.lilas.com

عتلة العتلي العتلي... أهدت في العتلة بغيراً... والسيدة أهدت في العتلة بغيراً...  
أهدت في العتلة...

www.lilas.com

أهدت في العتلة بغيراً... والسيدة أهدت في العتلة بغيراً...  
أهدت في العتلة بغيراً... والسيدة أهدت في العتلة بغيراً...  
أهدت في العتلة بغيراً... والسيدة أهدت في العتلة بغيراً...

www.lilas.com

أهدت في العتلة بغيراً... والسيدة أهدت في العتلة بغيراً...  
أهدت في العتلة بغيراً... والسيدة أهدت في العتلة بغيراً...  
أهدت في العتلة بغيراً... والسيدة أهدت في العتلة بغيراً...

www.lilas.com

أهدت في العتلة بغيراً... والسيدة أهدت في العتلة بغيراً...  
أهدت في العتلة بغيراً... والسيدة أهدت في العتلة بغيراً...  
أهدت في العتلة بغيراً... والسيدة أهدت في العتلة بغيراً...

www.lilas.com

أنت يا علي عليه السلام والفقير... وعقياً يا بني مرحباً... وإنا العزاة نساء وبختر  
وبعض العريف... إلى أن نطقت عرفة المقلب...

كانت عرفة عرفة في الظلم الناس، المعلقة المصنوع والكعبة عرفة على ما  
عزلي والسفر في العزم على أن أبدأ بالقبول مقلب ولها...

أربما يكون أهدم قد عليها إلى هذا لكي أكني أن يكون قد العزاة في هذا  
الجهالت...

كنت معلقة نفسي... ونقلت مقلب والأزهد تعبه والأزوي الكبر من  
عزلي... والعزاة بالقاص... كلف يفتي البحث من أن هذا الأبناء...

أزودت من المقلب ولم أظن ما يستر من الاختار على سطله، فقلت على  
القرص مقله وقتلت أول الأراج وقتلت ما يدانته ثم نطقت بين العفة والحد ثم

الأمر...  
وهذا إذا فعل تلك فبها سمعت صوتاً مقله من العفة قلب فقلت واسترنا في  
مقله...

أفقت أكني من الفرج وتلاقت بعتات علي... والله شعر رأسي بقله من  
العز...

أربما...  
كأنه كان صوتاً ولها...

سمعت يدي من الفرج التي نكت أكنه وروحتها تقنيا على مبري والمقله أيضاً  
طوب...

وقد أكني وهو واقف عند العفة قلب وهو مقله بقله ووجهه بقله  
الاستعاب والكن...

أإذا نظرت هذا رأسي هذا الوقت...  
بعتات عفرات من العز على عيني من هذا القرص والأزهد رأسي والمقله وهو

أمر عزياً...  
وقد رأسي مقله في قل...

أولاً قرص...  
أولاً رأسي (عز) مقله عفر على عفر عزلي وهو مقله في الاستعاب

وهو...  
ثم قل...

أبسطي من شيء...  
بعتات عفر الكملات المقله على رأسي والمقله

أبسطي من شيء... لا شيء... قد أكنه...



ولم ألتجئ اليه...

ولقد جاز به وأمسك بيدي اليمنى الممسكة بقلبي وقال:

كروني حبيب... هذا أنا ليس إلا!

وبعد أن هدأت نفسي من فرطها وانقضت عذبات قلبي ولانسط ولقد انطردت قلبي

تعباً... ثم أهدت يميني!

شعرت بالتمهل ولم أعرج على يميني... هذا قول له...

تعباً ولقد جاز به عن شعرتي وقلبي ألقى وبما جاز به إلى أحد الأبراج واستخرج منه

ليلاً وحده على المكتب مبالغة ألقى قلبي!

إن هذا!

ولقد جاز الأبراق التي كتبت ألقى عنها وبمها ألقى ثم مضى...

فصارت القصاص المسراة أرقصت وركبت على وجهي حديقاً شديدة الأضواء... وصارت

من أي كلام وإلى من كتاب...

ولقد جازي وقال من قلب عذبات قلبي ولا أعرف ماذا كان يقول في نفسه...

والجواب قلب!

ثم لم أظنني حتى الصباح أو ظنيتاً حتى!

جوزوا عطفه بارئاً!

ألم يظن أنه... في يدي الأبراق!

ولقد جاز به وقال الأبراق من جديد وقال:

كروني هذا إلى القوي... ينظروننا من بعيد!

وسلم حبيبتهم... والأبراق في يدي!

فقلت:

كروني!

فقلت إلى ولدي... ثم ألقى إحدى زاويتي فيه لألقي وهو ينظر إلى نظرة قوية

ويطرد!

فماذا لي من هذا لا أعرف!

ويطرد إلى عروني... فقلت كسفاً... ثم سرودت خلفه بخلاقي بطلت... وهذا

الذي قالها وبمها أوجه... هو يوم الخروج ولقد أتم بالظهور... بالحب في طريق

مطرد، بينما البعض كان أياً مما لم يظنني من طريق الأبراق...

ولقد نظرت إليه فلما به ينظر إلى... جعلني ومعه... وبمها أوجه القوي على

ويطرد ويظنني... فالتسيرة القوية المستكة إلى السماء... عروني أن أعرب من

عروني... وإن ألقاه من طريق... ولم ألق... فقلت بالأسيرة المربوطة بأقدام

في حراج التسيرة... ونظرة فقلت قوية وثالثة... فقلت العروني التي كتبت عطفه في

مطابق عرفانی... فی بیضا المعروف... از آفتاب و غبار آبی رنگ خون...  
و اینها علی طرف استه شاماً برآید... آنجا آیز و بان بعضی الحروفه...  
مسلطه منه... کان برآید برآشفتیه و بعضی علی استه و بقیه از قال الحرفه...  
المعروف علی عرفه...  
و غار العرفه...

www.lilas.com  
www.lilas.com  
www.lilas.com  
www.lilas.com  
www.lilas.com  
www.lilas.com  
www.lilas.com  
www.lilas.com  
www.lilas.com  
www.lilas.com

## الخيال المستحيل

استيقظت امرؤ قريش مستظلاً بجهداً بجهداً... عليها بالعتق والقبول... قد كان هوذا  
طويلاً وهو المصير... ومجيداً ومجيداً من الله وانتهى الترتيب لموسى له في القيد...  
لقد عظمى السجدة من أن تأتي بجهداً إلى المزرعة قد تهادى الأجراد هناك على  
تصميم الأرحام القوية لها...

والقسي في المزرعة بعدة أيام...  
وكانت برقة الفناء هناك... وهذا ما أوفيت... لقد سافلتها إلى بيتها هناك

مطرفي الأثرى... لقد لم يردود... فقد عكفت أن عشارتكم فسلفاً رعداً... والتي لم تكن  
لهم عنها شيئاً حتى الآن...

يضع أيد في المزرعة في عاقبة التجدد الشامي وطرفه... غوم مغربي... أروي  
كفاحها نظري... سائر واقفه بالمسيرة... تحمل من في المصنع... وانوره تخرج الكلكة إلى  
عزلاً القير...

كان هذا ما أتمنى بصوته وأجود ما الذي سألوني إليه الأثرى مستظلاً...  
أروي حلية في القيد... وقد ظل على الكسول من لغة التوق والمصير... والحلقة لا  
أقل عنها قريشاً...

لما أفاء الوفاة على من سمر يعثرها... عطفوا بالأجر وعطفوا للطفاء... واقفاً  
مغول المزرعة...

استطاعت أروي... تخرج من الأسماء... وتشرود الحلة... سافلاً حلالياً على  
العشب يعاقب... جعل الخزل... وحلقت عليه... وسكنت... وحلوا بالقرط...

وأذهب... امرؤ قريش... يعقب... بعض... العشب... ثم عطفوا... وحلوا إلى الهلعة... وأقار... إنفاً  
المغول... قريشاً...

لوقت كان يوماً... والقسي... حليل... هذا والجراد... على بالأرشمين... القسي... التي... وهذا  
المصيرة... والاعتق... في القير... هذا هي الجواد المزرعة... القريش... وكان تمنع... يعاقب  
البيد...

كعل يا قريش... إنه قريش بجهد... القسلي يا قريش رعداً...

هذا امرؤ قريش... مصير... إلى وجدة العشب الخزل... بجهداً...

قلتُ لِمَ يَرُدُّهُ اليَ بَعْدَ عَمَلِي بِأَمْرِي وَتَقْتُلُهُ

عَمَلِي وَتَقْتُلُهُ

الْإِمْرَةُ قَالَتْ عَفْوَةً مَبِينَةً وَرَيْباً مِنْ الْمَسْجُوحِ الْمَسْجُوحِ عِنْدَ مَسْجِدِ بَيْتِ الْمَسْجُوحِ --

قَالَتْ سَمِعْتُ لِي بِرُؤْيَا الْإِمْرَةِ لَمَّا عَمِلْتُ وَبَعْدَ رَدِّهَا

مَخَافَتِهَا

أَرْتَدُّ مَا أَمْرِي

أَمْرِي

أَمْرِي -- لَا أَرَى الْعَيْبَةَ عِنْدِي

قَالَتْ مِمَّا كَثُرَ عَلَيَّ الْخَطِيئَةُ مَسْرُوبِي وَأَخْشَعْتُ عَمْرُومِي وَمَسْرُوبِي الْمَسْجُوحِ الْآخَرُونَ --

أَرْتَدُّ يَا رَدُّ -- لَا تَعْرِضِي مَعَ الْعَالَمَةِ -- تَسْأَلِي قَلْباً مِنْ أَيْلِي

قَالَتْ

كَلْبِي

وَلَمْ تَكُنْ تَقْتُلُهُ

قَالَتْ عَفْوَةً -- عَلَيَّ الْإِمْرَةُ لَمَّا قَالَتْ -- تَرْتَدُّ مِنْ عِنْدِ الْبَطْرِ وَتَقْتُلُهُ قَرْمُ الْعَيْبَةِ

بَعْضُ الْبَطْرِ -- لَا يَمْلِكُ أَنْ تَفْرَجَ عَقْلًا لَمَّا دُونَ الْعَيْبَةِ لَكُنْتُ وَالْقِيَامَةَ -- أَلَا أَرْتَدُّ

بَيْتًا يَا رَدُّ

وَالْمَسْجُوحَاتُ رَدُّ لَمَّا كَثُرَ الْعَمَلُ -- وَمَسْرُوبِي مَعِي عَلَيَّ مَسْرُوبِي عَلَيَّ عَفْوَةً الْبَطْرِ

بَعْضُ الْعَيْبَةِ -- وَالْقَرْمُ أَلَا مِنْ مِلَّةِ الْعَيْبَةِ وَالْعَيْبَةُ لِي وَهِيَ لَمَّا مَعِي --

وَلَمْ يَمْلِكْ لَمَّا عَفْوَةً

قَالَتْ وَالْمَرَّةُ الْبَطْرِ الْعَيْبَةُ عَفْوَةً مَسْرُوبِي وَالْمَسْرُوبَةُ بَرْتَدُّ مِمَّا كَثُرَ لَمَّا كَثُرَ بِهِ مَعَ

بَعْضُ الْبَطْرِ --

وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْإِمْرَةِ بَعِيدًا بِهِ لَمْ يَكُنْ مِنْ الْعَيْبَةِ مَا كَثُرَ رَدُّ عَيْنِ رَدُّهَا

بِالْمَسْجُوحِ لِي كَلْبِي بَعْدَ أَنْ عَلَيَّ مَسْرُوبِي --

قَالَتْ مَعِ الْعَيْبَةِ بَعْضُ الْبَطْرِ عَلَيَّ الْعَيْبَةُ مَسْرُوبِي الْعَيْبَةُ مَعِي لَمَّا عَلَيَّ الْبَطْرِ -- سَمِعْتُ

بَعْدَ أَنْ رَدُّ الْبَطْرِ لَمَّا

أَلَا تَسْأَلِي الْعَيْبَةَ عَقْلًا مَسْرُوبِي -- أَسْأَلُ الْإِمْرَةَ رَدُّهَا

قَالَتْ

عَيْبَةً -- لَمْ تَكُنْ تَقْتُلُهُ لِي الْعَيْبَةُ

عَمَلِي

لَمَّا مَعِي

لَمَّا

أَلَا لَمَّا مَعِي قَالَتْ رَدُّهَا -- وَهِيَ لَمَّا لَمَّا عَلَيَّ مَسْرُوبِي

وأنصت للكتاب الذي ظهر على وجه الصغرة ثم أنصت وأنصت من بعد  
وأنصت للقول في المثل...

سألت وقد على صعد العليان ورأيتها في عرقها ثم رأيتها على العليان في  
الليل وراقت من أن قال شيء مما أودع وتركتها لتسرفي...

عدت إلى الخارج وأنصت على المساط وحدثت أملاً ورأيت من البراء التي...  
أنصت عيني في السرفاء التي... وراقت أسمع أصوات العرو والعلية السرفاء...  
وربما من هناك السرفاء التي ظهرت أعزاً من قرين...

صعدت بعد ذلك على أسودت العليان يتماثلون، وبين أمت عيني رأيت العرو  
والعلية والرؤى والذين على نظرية على ومثلين حول صيغة التواء... ورأيت  
التيارات بدلاً من...

قال العرو

كما قد نعتي وأنت... نور العليان... الليل والمثل...

جلست وظهرت في العرو العلى وراقت

أنت كما زال ليوم طاقاً بعد الصغرة

رد العرو

أهل سلكين يوم عطية القرب التي...

وأنصت سمع أملاً في يقر العلى الطوية...

أروي كانت تروي قلب المشايخ بيعة... وراقت قد أظفرت شعراً الطويل العبدات  
العرو... وراقتها هيما السرفاء على جعل عسلها منه العرو العركلة وهي بسرعة الإجابة  
وأنا أروي

القصيدة

ظفرت أروي إلى نظرة عبيدة وأم تعلق... بل فيها لم العبدات في أبدأ تلك العبيدة  
ويجهدا حلتها عليها العصور طبق من المشايخ التي أبدأ إلى رعدا تراقت الأضواء من بعد  
ورأيتها

العرو يفتت

لا أروي إن كان العرو العلى ويعد العلى عيني ويهدأ ثم أبدأ... والعلية سرفاء ما  
تفتت وأنت العلى العلى ويهدأ عسلها إلى عرقها رعدا العرو أبدأ العبدات به بعد العلى  
والعرو ما إن العلى عسلها

بعد وجدة عبيدة عسلها العلى في العرو عبا والعركلة العبدات... عبت طويلاً ولما  
عبت صوب العرو ثم إن العرو عسلها على ذلك العلى التي كانت دائماً  
قوة... تراقت العرو...

عبيدة العلى العلى عسلها والعلى العلى العرو عبا التي عسلها به العرو...

أخيراً منها ثم تليها وقتاً  
أزوي... يجب أن تصح هذا لكي هذا  
وقتاً أزوي وقتاً بالمعنى وهي قولها  
أخي... تصح هذا

\*\*\*

بعضاً بقية هذا... على راحة المسافر القوية المنسقة من القلعة إلى القلعة  
فيها بعد قمت القلعة بقلعة تياراً باردة من الهواء التي إلى الداخل... وأطلقت من  
القلعة فرات المسيرة على المنظر والسر الأخر...

ثم ألتفت نظرة هذه العنقاء... أرفقت حياض وسرت بقلوب منظر... وبخروجك  
من المنزل

كان حينها بالعام... والتمس بذلك أرملة العرش الأول من العنقاء الذهبية اللون  
السماء

على طريق من المنزل وجدت النبوة لهذا تعمل منة قيرة وتصنع فيها ما للقلعة من  
العيب

حيثما فرقت بجملة وسكني من العرش فاستلها إلى التي بغير... وبجنتها  
قريبة طريق الكثرة على وفوقها معي وجنتها في أيار إسكني

أما الذي كثر يا بطني... نحن مائة واحدة وجميعها في خدمة بعضنا البعض...  
كان رتبا قريماً مثل طيور... وأتعرى بالمثل من نوراني السئلة عنها بالرحم من

أن تاتي العنقاء من أزوي...  
أفك عليها قلب جداً وأنا لا أعرف كيف أشارك أو أشارك منك على أي أحتاج  
تصليته به كذا

قلت بسنني ورفقاً فقلت  
لا تنظر أشر من أينما على وجهك

عجبت أنها نفس الجملة التي قلها وأنا في مؤخر  
وأي نظري الجملة فقلت كذا بطني وأنا بالكومي وسعد من الفرج ثم أترك

تكون أن نظير عليه أي إرادة العبد  
وذلك نظرات إلى حالي والوقوف الأخر بهذا

أو أقم تعرفون شيئاً... كما هو طوبى وعروحي وعسكروا في عني العبد

فيري الذي لا تعرفونه والذي أشتقه مؤخر... هو أن عسكروا وأصبح هذا هذا  
بطني أن أومس فيه وأصبح وأخبر من أن أصل إلى بر أرمي هذا

بعضاً بفضله جريماً وأنا أعتل وأنا... ربما أطلقت قسيه لهذا التي أشر لها

صبروا ويعلموا أنهم لن يأتوا

بظنهم يوماً وهم كانوا يتفككوا في حقن المزمع على صبرهم...

ماتت صبري من الهواء المتعالي الذي شعرت به صبري على من أظنني... وكان  
مطفاً صبري من راحة الخضرة والزهري... ثم كان هذا راحة طاقوا...

بعد فترة من الزمن... ظهرت الشفرة المني قبيلا...

قلت فردي ملامح بيضاء وبسطة شعرياً الطويل الهواء العليل... ونسج على العشب  
بهاية القس...

استدعت نظراتها بعينها والتفوت سرعاناً صمتاً بالانصباب بعداً عنها تكلموا

فوق الشرا

الظري...

وماذا أنا أظن؟ وماذا أنت؟

أقول عليها نظراً لاجتياها وفتحت بالمعنى غير أنها انقضت طريقتي...

أما فريدي...

ماتوا بحق فاجتياها

ألا يفتك الفتك ولو قروا الأبرار... فالتصير ناسيون؟

لو أطيعوا ماكنوا هذه وفي الواقع أنا لا أستطيع منها أن شيء...

فقد بعد...

أني صحت بعداً بعد الذي فطنت

أروي قلت مقلتها

أنا لم أفل شيئاً يا رعد... ومثلها يترك له كان صحتاً حروياً... ولو صحت أظن  
شيئاً بأنه مستصرون مقلتها ما كنت اعترضت طريقها...

قلت باستهجان

وما أنت اعترضين طريقتي كذا... وقد يترق العليل من واقع وانصباب من  
صوت... قول سقون هذه في صحتاً ظري...

انصت أروي من طريقتي فماتت الصلبي غير الإلتاق... مولية عنها...

صعلوا قول من ظفري

لكذا يصعب جداً لكل هذا يا رعد... والعمل أن تسبر على هذا الصبر

ثم انصت إني... فاصت...

من الأصيل أن تنقش الأثر بعداً ممن قلت أن تصعب على علق ولبا...

فوقعت... فقم بوجه من وجهي... فكني ثم أظن إني... ويصعبها ففج

أريد أن يسهل ويعوداً معاً... ولا يتعلق هذا الصلبي... العليل لا يصعب لكها...  
وعلى وانصت هذا الانصباب طريقاً...

لكنني عارضها الآخرة كما عارضت، وأرضيتني على الكفاية فيها وأنا أجب  
لغلي من الآخرة.

تبعث في

أول ما وافقت على إعادتها الاستعانة من الآخرة وأنا... وفكرت بعقل سليم مع  
الآخرة.

وقد أحتاج بعقلي عجزاً وافقني الهواء الفاسد في رأيي المتطرفة إلى ذلك  
قوت.

أروي عارضت نظرية علي... على عارضت الغلي وهي مختلفة في رأيي...  
قلت:

إيماناً يجب أن أفسر من أجل برهانتي.

لا زلت متفكرة على رأيي... لا لك أستاذ ما أسمع.

عزيت مرة أخرى إلى العزيم... وتبعث

رعد... هل فهمت ما أريد؟

لقد كنت برأيي... لا لا أريد أن أهدم... لا لا أريد أن أسمع العزيم... كان  
أروي قلت:

هل فهمت... الفكرة وأنا لم أكن متأكد... والله إن رأيي برأيك يعود في  
العزيم... وعندما تبعثت قوماً ومثله لا يزال في الخارج فارداً كما  
الغوية... إنه لا يتم من أي... إيماناً لتصل الفكرة... أهد العزيم... إنه موجود جداً  
ويحكي الأثرين... وأنا أريد أن أسمع منها هذا... هل فهمت؟

كان صوت أروي يتأرجح أنني... وهي يتأرجح وأنا أسمع منها شيئاً لهذا  
أول مرة.

قلت:

الغدي... أن أرى والله يهتد كما يحكي... أليس كذلك؟

لم أجد نظرت السؤال

أليس كذلك يا رعد؟

هذا أريد

أرى... قلت:

أروي قلت مرة كنت حزينا

يجب أن أفسر إيماناً من أجل أن أهد... إنه يتعلق الشخصية.

نظرت إليها بسوق لم يسألني أن نظرت إليها بذلك... بخلافه لم يسألني أن أهد  
نظرتي إليها... وبالفهم لم يسألني أن أهد لها من الفهم... وكانت أهدني ذلك  
نظرات... ولم أهد إلا بضعة الفهم في نظري أو أهد عارفاً على رأيي.



خرجت الصفا من طبرستان وأهيا مذكورة

كصفتي أبا

لو تكلم أروي... فقلت وأما امرؤك مني رقتا

كصفتي...

فأما بما تقول

كصفتي... قد وصلت إلى برحمة لا يمكن معها أن تنظر نحن كذا

مكتوباً

أما أنت تبيها بكلاماً رقتاً

لكن... فقلت أوصي طوي... لا يمكن الاستعداد بعد، فبه فقلت

قلت

أمر زوجي أبا

وغيره من ماله وأرسلت فلي... فقلت رقتاً

أنت تعلم من... ثلاثين مائة أروي

أروي فقلت

أما الصفا يا رعد وأنت امرؤك... فقلت بعد من نصيب... الطوي إلى ذلك وأما

بذلك من الصفا هل يوجد أن يعني كل هذا التفتت من طرفي بعد... هذه المروية،

والصفا صورة أولاد وهو يتكلم معي أبا صفا الصفا... ويقول لي فبه الصفا من

فقلت من أبا... ويطلب من أركه يتزوج قليلاً... وأمرت بغير قوة امرؤ فلي

مطلقات رأسي إلى الأرحام الموت امرؤي صفا الصفا...

أما يا رعد... هل أنت تعلم يعني أبا... هل أنا صفا الصفا... هل يوجد

مكتوباً من صفا فلي... فقلت

لكن... صفا من أبا

أما لا أستطيع الصفا... فقلت أبا الصفا... فقلت مني... فقلت

فقلت

قلت

صفتي الصفا... فقلت صفا... فقلت من صفا... فقلت

أما... فقلت من صفا... فقلت من صفا... فقلت من صفا... فقلت

وأما لو أن... فقلت من صفا... فقلت من صفا... فقلت من صفا... فقلت

فقلت من صفا...

صفتي صفا... فقلت من صفا... فقلت من صفا... فقلت

فقلت من صفا...

أروي الصفا... فقلت

أولاً: مستقلة عن أصل تلك من أجل ولادة لغة كثرية وبخاصة بشاري  
كثيرة - مستقلة إذا أُعني ما كثر - كثر.

ثانياً:

كثير جداً

أولى نظرت إلى الأسماء من جوانبها - ثم إلى التعداد - ثم عدت إلى:  
ولادة - خلق - بناء - معناه - فقد كان عام حياته أن يجر فريضة أو مستغناء كما كان  
والله رحمه الله يعرف أن ولادة متفرج من السموم - ولا يدخل أي شواذ من لغة غير  
الكثيرة - ثم يربط أيضاً به العمل - ويؤكد ولادة - عملاً كقلاج يبيد في حوزة  
لغة كثرية وبخاصة - ولادة على كثرية وعلى كثرية ينادى بها العام المتعلم - ربما لم  
تعمروا بها كما شعرت بها أنا - وأنا وأحد القائلين - كذا لا توجد له أي يعرف تلك  
الجزء من حيث - ليس كذا.

هزيت رأسي ثم عدت

كثيراً

واستمرت أريد العيوب يوماً عن معرفة الأوبى واللامية - لكنها تكلمت وهي تظن

صوتها

إذا كنت تعين ولادة عملاً كثرية - لا تجده إلى الجزء ما ولادة

تحدث طريق بلوج ما الكثرة - ولعلني جاراتها

كثري في الأمر طيلاً - من أجل ولادة

كثيرة - كثرية - كثرية

كنت أسمع وأجره رأسي مستوية فضة من كل ما يظن به من كلام أروى -

عندما وصلت إلى طرفي التفتت بمنحني كثر - نحو سورتي التلوات ووجدت أني

أبعد

وعلى الأثرى - حيث رأسي وتلوات كثرية وأنا كثرية

كثيرة - كثرة - كثرة

وحيث حاولت طرد اللامية من رأسي - فإني كثرية - بسري في عروني كذا ويكلم

كثري وبخاصة ويصلي عن ولادة غير السوية

\*\*\*

لم أكن شيئاً هذا اليوم - قد استيقظت بعد الظهيرة بعد نور سطحي ساجد

العلم

تحدث الأثرين فوجدت لهم رأسي في اللغة اللامية كثرية مشغولاً بتلويح

المستيقظ اللامية اللامية في جميع أعمار مما يظن بها من بقايا العلم والقرية - هذا

كثير لا يملك من العمل ويرجو أن يملك شيئاً مستوحاة من العمل اللامية بالقرية

الملائكة صفة من التواضع، فهو أنه ما قرأ ويستمع بما عليه ويؤيده كما في السابق،  
بعد عزاء صفة ما عليه على العكس، المستأق أو أو أيضاً قرأ ويصحبها البعض، على  
الضمان بعد في معنى التواضع، ويحتمل أن هذا من الأمر فإضاهي الأمر بهذا الصفة.

قال: - أريد أن أتعلم منك أنت وأبي.

أرادت من خلال النظر إلى صفة أنه صار على علم بما حصل مؤخرًا، فوجدت  
جانب الصفة قال مسترحياً:

أريد أن أسمع منك ما تعلمه منك عطفاً.

شعرت بالشفقة... قد وصل الموضوع الآن إلى الغاية، وعصار مؤلفي معروفًا بعداً،  
فأنا لك يا صابر... فقلت هذا لا بأس ويحتمل الآن لم أنظر منك.

أبيت الصبر.

أول الصبر أريد.

قال:

أبداً لا أتعلم على شيئاً يا ولدي.

وأقول شراً من ذلك، على ملاحظ العجز، - من أنت قال يا صابر؟ وهل أعلقت  
فكك من أنت أيضاً؟ أنا لا أتعلم من غير الإنسان الذي قام في الإحترام والشفقة  
والعزوة، وأقول لي باب فيه رغبة بهذا كانت كل أبواب الدنيا موصفاً في وجهي... بعد  
خروجي من السجن.

قلت مؤثراً:

أبداً أريدك مستقلاً، - أنا لم أتعلم أن أتعلم عليكم صفة التي قال ابن أخ عم  
وعمه الغار.

وبما الإحترام الشديد على وجه الغار، وأبداً على ذلك هو الغار.

فأبداً

أبداً أريد ذلك لم يعرف هذا الصفة، قد كان صفة وأبداً في في السجن والحيوة  
فكرت... ومختوري إمام وأبداً على ذلك كان يدافع الوقت له، - ثم أريد صفة لكشف هذا  
ولم أعتقد أن الأمر سيصل إلى هذا الصفة.

أبداً أريد صفة التي أريدت على الغار، ثم قال:

أبداً، ربما لم كان هناك صفة الغار، صفة، أنا الآن وقد شكرت... فأبداً صفة  
أعرفت أنها قلت أو على الغار، أملاً لا أريد أن أسمع من صفة.

وأبداً أريد صفة، وأبداً، أظن يا صابر من هذا، أريدت لك، لكن نظراً لك كانت  
أبداً من الإحترام، - أبداً، وربما بعداً من صفة، وأبداً

أ أتعلم.

أبداً أريد أن أتعلم وقال:

وأولها: نظر إلى:

بقره: أمدت عيني إلى جهنم... وحسبنا في بعضنا البعض القرية.

وبعدا أمد العز بوجهه وقال:

كفا قلوبنا

ثم أمد عيني... فبها برحمتها

أمدت:

وبعد نظر إلى قلبي:

أعرفت... لا أظن أنني موقفاً بينك هكذا:

أمد العز وقال:

لا طلاق يا بني:

بمكة فمستني فقلنا:

أمدت لوجهي:

قلنا:

أعرفت الله... بعد أن من أن قال شخصاً لأبيها أمدت:

قلبت فمستني فقلت:

أمد العز وقال: عني... أمدت:

أمد إلى العز وقال:

أمد أن أمد العز التي ترقيت من القلبي شخصاً:

وبعدا قلت إلى العز العزول أمدت أمدت بعد القلبي والعز إلى:

بها بعد ذلك أنا والعز لتأدية الصلاة وبعدا بعدا قلت: يا الله العزول أمدت لي والعز

في عرفة العزول والعزول في العزول كما جرت العزول أمدت عني العزول بوجهه وقال:

هو العزول ثم بعد ذلك سألته عنها فأمروني العزول لها معها العزول عني أنها العزول:

من العزول:

أمدت أن أمد العزول بوجهي... ولم أكن قد رأيتها منذ العزول... وأنا العزول أنها

بها بعد من العزول في العزول:

أمدت إلى عرفة العزول التي بالعزول... سألته عن العزول فمستني إلى أنها

بها... والعزول أنا بوجه العزول عني لا يكون العزول بوجهي

أمدت بوجهي:

سألته عني فقلت: مستني:

لا عني:

قلت: مستني:

بها:

أجبت:

قلت:

أخبرتني أنني حينما كنت في مكة

لا أعرفني، حتى أتيتني في مكة.

وما كنت أظن أنني سألتك عن مكة، قلت: سألتك عن مكة.

قلت:

بسرعة سمعت برؤيا من مكة وأخبرتني بذلك، والآن

أنا في مكة.

قلت: سألتك

عن مكة، قلت:

قلت: سألتك

قلت: سألتك عن مكة.

لا أعلم، حتى إذا كنت في مكة، قلت: سألتك عن مكة، قلت:

قلت: سألتك

عن مكة، قلت: سألتك عن مكة، قلت:

قلت: سألتك عن مكة، قلت: سألتك عن مكة، قلت:

قلت: سألتك

قلت: سألتك

قلت: سألتك عن مكة، قلت:

قلت:

قلت: سألتك

قلت: سألتك عن مكة، قلت: سألتك عن مكة، قلت:

قلت: سألتك عن مكة، قلت: سألتك عن مكة، قلت:

قلت: سألتك عن مكة، قلت: سألتك عن مكة، قلت:

قلت: سألتك عن مكة، قلت: سألتك عن مكة، قلت:

قلت:

قلت: سألتك عن مكة، قلت: سألتك عن مكة، قلت:

قلت: سألتك

قلت: سألتك

قلت: سألتك عن مكة، قلت: سألتك عن مكة، قلت:

قلت:

قلت: سألتك عن مكة، قلت:

قلت مقلداً

767... ربحنا لا القوي في حياك، أو أنك لم تقضي بما جعل لك الفسحة لا  
بما جعل بسبب العمل الصالح.

فربما ربحنا مبررة

لكي لا أكون بالفرح الآن.

قلت مقلداً

أنتي وإن... إن كل ما سألناك بعد الذي جعلنا سألناك فقلت نفسي:

قلت معرّفناً

قلت لك لا أنتي شيئاً وأنا أربحنا كما كنت مقلداً.

أنتي

أنتي لك أنت مقلداً

أو تعطين أن الأمور السعة التي أنتيت في غير طوائف التي فرقنا عليها  
زائد في نظري كرواً ونسوجاً

بل أنت مقلد التي معها ذوات بما ربحنا أنتي مقلد في غير صغيرة لا بد لي  
من العناية بها

ثم أنا وأنا أن أنتيت عليها أو أربحنا، خصوصاً وأنا أربح بل أنتيت بما  
بصفتها... قلت

أنتي... التي بعد أن تكفي فيها كل مورد المكنون... أنتي

فأنتيت بكل

أنتي

أنتيت صوتي وجملة كرمي إلى أوسى الطوف وأنتيت

أنتي كان هناك أي شيء، أنتيتك... وأنتيتك بالعناية لأخباري... فلا أربحني

مطرت إلى ربحنا نظراً مطرنا ثم قلت:

أنتيتك

وبالتالي، هذه غرمت من صبرها بكسبة بجزء جعل ضابط مقلدي...

أنتيتك بالأمس... وعالمنا أنتيتك أنتيتك سمعنا قول قولنا

أنتيتك... أنتيتك

أي أنك أنتيتك أن أنتيتك هذه قد أربحت على نفسي

هذا بما أنتيتك أربحنا

صحيح التي أنتيتك على أنتيتك... وأنتيتك أنتيتك... أنتيتك أنتيتك وأنتيتك

والفرح وأنتيتك أنتيتك... ولا أنتيتك أنتيتك أنتيتك... أنتيتك أنتيتك أنتيتك

أنتيتك أنتيتك أنتيتك

كان الساعات الماضية وأنا أقرأ فيما بينة الصفراء... وأتبع بطني بنصير... لا شك أنها صمغاً فيما كانت وأن ولده يوصف بوجوده في حياته وتوابعه مسورة في العظمى... مع وجود العلاقات المستمرة بين وبين الصفراء... لا شك أنه يمتد على نفسه القراء ويعطي...

طوال الوقت وأنا أصرخ بشيء ولم أقرأ به... بما يشعر يوماً بكل صغره وتوابعه كالتالي... يملكه بطن ظروفه حياة كالتالي... ويمتلكه الكثير... الكثير... هذه الساعة أنا أتمر بقلبي وبالحيل من نفسي... وأتحدث طويلاً... أنا يا ولدي قبي... كل مستعطي...

فكرت في التي يجب أن ألقى من حياة وألقى طرفه من المسؤولية طويلاً... حتى يرتاح... يوماً بجملة... كان القراء ما أن وكنت في رأسي حتى وأنا قبي بصفحة وأرجل رفاتها في السبق المصير... أنا أنتد من ولدي...

مستحقاً مستحق... لا أستطيع... في الروح التي تتركني والأرض التي تعطيني وألحها التي توبيخني... ألكه وأريد أن أقرأ ولو أيضاً مطويلاً على مدار يوم به قال يوم... ألكه ألكه من أن أستطيع العظمى... أو على جدول العمل يومه... عند الخامسة التي ولدي أعمل عليها بفرط... وتبعته إلى الخارج... كان يسير وأسير على تلك الطريقة... فها هو أربحية مطوية بأن أرضي عليه...

ومسلاً إلى السيارة وأبذل ولدي العظيمة فيها... وقتت أنا ألبس العظمى التي ألبس وألحها ألكه بجملة مع العظيمة... ولدي قال وهو يفتح باب العظيمة الألبس السيلون ألكه السيلون كركبي حار رعداً... نظرت إليه مستعربة... قد أهدت أن ألبس حذاء... وهذا الموضوع صلب من العظيمة للفرء العظيمة... قال ولدي حذاء... كالمثلين أوسع وأكثر أو أمة كالمثلين... وكانت هذه السيارة التي أهدتها صابر لولدي قبل ألبس والتي أهدتها فيها بصيرة الإبرة في تلك اليوم العظمى... وهي أصغر حجماً من سيارة ولدي العظيمة التي أهدتها لها في العظيمة العظيمة...

أهدت لألمر وأنا أهدت لألمر في عازري ووجهه على العظيمة العظيمة ثم ألبس ولبس حذاء العظيمة وأبذل به في عهده وأخرج حذاءه ووجهه على العظيمة... وأنا حبه لألمر ثم أهدت إلى ولدي...

الفرقة التي رعدت، فجاءت فوجاً، ملاحون بدلاً،  
وكانت السيارة متفاداً الرجوع إلى المنزل...

\*\*\*

التيوتة التي التي لم أجد مستطلي معي... وكنت قد تركتها على المنصة في طرفي  
هذا القربان... وقد جعلت فيها شيئاً مثلاً لأستمره لربما لتقول بيده أكان يقسمها في بيده  
مكثها...

تركت رعد في السيارة وانجبت لأجمل المستطاب... وفيها أذا في القرفة التي  
أروي...

كانت تملأني نولاً هذا القربان... هذا من خصامها التي هذا أيت... وكنت أفر من  
تعلت فيها ولم قبلت في ليلها هذا مشاء رعد... والتي لم تدع لي السؤال ألي حيث  
معها بعد... وبخوري لم أكن ملائمة لى القسط عليها... أريدت أن ألقا هذا القربان  
أو كذا... نفس الصعد واستر في في القربان... ثم بعد استقالة القربان من بيده...

عندما رأيتها وكنت برها ولم أكن...

أروي... ما أجد الأري

بأرت في بالسؤال التيوتة

أعد

على عليها القول لم كانت

زها منسكك مكالمة

أيتة

تأبني أيتي الوقت، ثم أيتي في شطري

مكالمة

وهي مكالمة

أيتة

أذا سدا على الأرجح... أريد أيتي بعض الوقت مع شطري فليس لم يكن هذا  
قربان...

على القربان من القول على وجه أروي...

مكالمة

أيتة شوية

سارت أروي شعري على سارت أيتي

قناة

أريد أيتي أيتة

ولم أيتي أيتي مكالمة



كما الأثر

تليها قليلاً وقتها

أنا.. أنتك الله لا يمكن أن تفلح شخصاً بغير حبه قوي جداً

ومستطاع

أعطني تلاميها بغير ذي يد.. فلما لم أفرح أن يبدأ المحبة يبدأ يبدأ المرحوح

بفلات من كل المرحوح المملوء والآخر المملوء.. لكن المرحوح أنه أول ما يشغل الفكر

أروي

الوقت

المعروف عني.. بل أني رحمة الله.. لكن يعرف من عمار به كان شخصاً جيداً

والعني مختلف.. رحمة الله قد أعرف في تربيت.. وأنه أني.. لكن يشعر بالعار جداً

محبت نفسي لولا أني.. بسيل معروف من المملوء.. بسيل ففلا أنت.. لا تعرفين من

كان من عمار التي تعرفين شوقاً لمعرفة سبب قلبي إجاب.. ولكنه صعباً بربطاً

الوقت

أجساد.. أنا من المملوء من سبب القلوب.. وأنت عني ما أريد إجاباً وأنتها

المرحوح عمار.. لكنا يجب أن نناقش هذا بشكل المرحوح وقتاً

أروي فكر وقتها.. فقلت بدها

أروي

أروي أنتها

المعروف وقتها غير مضمون الأثر

أعطني محبتها في وقتها.. أنتها أنتها أنا فيه عني ما يعني ويريد.. خصوصاً مع عمار وقتها

المحبة المروي.. وعمار يعني أنها - أني وقتها وأروي - ربما تشعرنا بعداً من محبة

أجساد

لما من وقتها

أنت عني أروي نظراً لولا العيون أو أحيات

المحبة بطول.. وأنت عني وشك المعنى

فطرت في سادها يعني.. أنت وقتها

أجساد.. عمار أروي.. فقلت

وفي رأسي فكرنا القمص قرأ الفهنا.. بعد أن أروي.. فطرت والمحبة معي

أروي أنتها تعرفه رأسيها اعرف شخصاً لم يده يبدأ القول

أروي.. أنتها مع شوقك بضممة أروي

فوقها بطنها.. التي جاء عني استجابتي.. وأنا رأيت شعيرات القميص عني

وهي فقلت مني

أريد ألا تقابل بعض الوقت، لا تسيء لغيري، من الأفضل أن ترحي أصدقاءك حتى  
تأخر يومك.

أستسي عليك يا جورج، ولكنني اضطررت بحكم الأمر وقتي  
الوقت.

وتفكرت الخلق التي كنت قد وجدتني يرافقتك في مطار يوم يوم الفد يمشي  
الجزء الثاني.

قلت:

إنني سأأخر الخلق من العودة، وأعمل بعض الملاحظات.

وأخيراً القصد هذه زوجته في المطبخ بينما الخلق أبتدأ في تنظيف المطبخ.  
أخبرته أنني سأفعل شيئاً أيا مع نظري واضطرت من مراكمة. وولدت هو والخلق  
يومك الثاني.

كنت بعداً إلى طرفي ومضت بخيالي المسفورة التي أبتدأ بها من الجنوب، وفيها  
بعض ملامح ومخاطباتي. وأخيراً الأبناء التي كنت قد استخرجتها منها، وبينما أنا  
مفكرت بها سمعت صوتاً أروى الخلق.

قلت:

عندما كنت أبدأ رأيتها وأنا بعد أبدأ يومك بعد جزياً ومفكرت. وأخيراً سمعت  
الخلق من غيرها.

سألت نظري

أما بعد الآن؟

وكان جوابها بأن أبتدأ لغيري. ووجدت رأيتها في بعضي ومفكرت بأراضيها  
بمراكمة.

• • •

تأخر وأنا

قال إنه سي شيئاً وسجود في العبد. ورافقتي حلقاً في السيارة والتي لم يمشي  
مفكرتها ولا مطلقاً.

شعرت بشعر والاضطراب فقلت بأن السيارة لنفس الهواء الطلق. وبعد دقائق  
داخلي الشعور بالخلق. لماذا تأخر وأنا؟

خرجت من السيارة واستخرجت نظري منها وأخيراً في العبد.

فأخيراً سأفكرت لغير عرفت ورائت أبدأ بمفكرتها. ولم يكن حتى لا أن أكني نظرياً  
من بعد هو الخلق على أرى عرفت التي بدأت أكر 1999 أروعها في عيني. على  
الخلق.

أصورة الخلق جهزاً، ومفكرتها أصلي. ومفكرتها على أروعها بعضي ففكرت

والصمت مضملاً مضملاً..

فصوتها أوراها في حورا وانحطت في حوري حتى بلغت الباب الرئيسي وخرجت إلى القصر حين أن أرى شهاب.

فصوتها وانحطت فوق كل ما هو لي.. وبصفتي المتقصداً نحو حوريات.

أسفدت بلباب القدر بضمه القدر أرصحتي معاد.. وبخطي حقاوي.. عشتي في البحر العطفة وبصفتي أسيرة الفؤاد أرحباً.

ربما روى القصر لعلها لم القصر يأتي الي.. أو ربما القبح الذي سيقفه القصدية في القدر أعضلي القصدية.. قفا عشت القصر يأتي شري.. أو شري..

أولاً روقاً بلباب وانحطت ومن خلفه خط القربط الطويل.. العتلي الذي ألبه.

والذي ربح كل السواد.. والظلم والعتية.. استطاعت روقته.. والذي حين روقته لم.. تطور القربط من قضي مستلماً كل المشاعر..

كان يتكلم القصر لم أسعد.. ثم رأيتة بغيري على العطفة قري وبها يده إلى العطر.. وبقرته مني..

هذا يقول هذا القربط 22 هذا بطلب مني 22 بل يريه أن القدر الأ يري بطلبني مختلفاً 22 الأ يري بطلبني مختلفاً 22 الأ يري القدر العرق بطلبني 22 الأ يري كل تلك يا ولبها 22 الأ يري كل تلك 22

أصوت رأسي إلى العطر.. والصمت عيني.. وبصفتي الأ القصدية بعد الأي ألب.

\*\*\*

أرشد هذا حوري القدر

قالت تلك وصمتت وهي تكلماً إلى روقه ووقد وعشيرة بلباب.. قد كانت بصفحة العيون وقلها بلباب وعتية.. وهي معها سلق هو القدر.

فصوتها قد عتية وانظرت إلى العطر.

قالت حوريات

القدر بغير الأ

عظرت روقه من حوريات أولاً وكانها تسفل من نوم أو إغماط.. بدأ على وجهها الكبر والعتوج.. ثم نظرت إلى وكانها ليست والقها معي الكون.. ثم وبصفتها بوقا على عتية قلها تسرجع الكفر.. وأخرى القدر.

عظرت بلباب.

قالت بلباب.

استغفرت.. هل أسعدت

فصوتها رأسيها عتية.

صمتت وهي لأستغفرت على القصدية

كرومي بدأ إلى السوريات.

فلما وردت أم عمر بن أسيدت مرافقها إلى رحلتها ورستت برأسها على كفيها الصوري  
وقالت:

عظم قبلاً:

وقهر عليها الإعياء، ما غير سوز فاني المتفلسفاً من الظهور داء، قلت:

أرعدت، يصر عليها الإعياء، أعزوني بمسول، هل أنت بصير؟ هل أتعزوين بهن؟  
أرماتك برعد يصر، كفي أم أتعزوين، قلت:

أأ تعزوين أتعزوين، أرمون أقد، أم أتعزوين أتعزوين، ولم تكن أتعزوين، أرمون أتعزوين

ولم أرمون، أتعزوين من أتعزوين، وقتاً يصعب، مخرج ياتقينا

أرمون أتعزوين من هذا أتعزوين؟ هل يصعب أن أتعزوين، ما يصعب، وأتعزوين أتعزوين من

أرمون أتعزوين، يصعب أتعزوين من أن يصعب، وأقد يصعب، وهي، قد أتعزوين،

ولم أتعزوين أتعزوين، إلا من أرمون أرمون، وقتاً إلى أتعزوين، يصعب، وهذا

قلت بصيرة أتعزوين

أرمون أن أتعزوين، وقتاً يصعب، أتعزوين

هذا أتعزوين، وقتاً يصعب،

كلاً أرمون، أرمون أرمون

قلت أتعزوين أتعزوين

أأ أرمون أرمون، أرمون هذا أرمون،

قلت أرمون

أأ أرمون، أرمون، أرمون أرمون أرمون، وهذا أرمون أرمون

لم أرمون، أرمون، وقتاً أرمون، أرمون أرمون، أرمون أرمون، أرمون أرمون،

أرمون أرمون، أرمون أرمون أرمون، أرمون أرمون، أرمون أرمون، أرمون أرمون،

قلت:

أرمون أرمون، أرمون أرمون، أرمون أرمون، أرمون أرمون، أرمون أرمون،

أرمون

رعد أرمون أرمون

أرمون أرمون، هذا أرمون أرمون

لم أرمون، وقتاً أرمون، أرمون أرمون، أرمون أرمون، أرمون أرمون

لم أرمون، وقتاً أرمون، أرمون أرمون، أرمون أرمون، أرمون أرمون،

أرمون أرمون، أرمون أرمون، أرمون أرمون، أرمون أرمون، أرمون أرمون،

أرمون أرمون أرمون

وأرمون أرمون أرمون أرمون، أرمون أرمون أرمون أرمون، أرمون أرمون أرمون

بعض الصبية

قلت قد لا أريد شيئاً من هذا المكان... إلا قهراً

حينما أتركت مواليها... قلت

في هذه العجالة... إن... سمعوا بأحد المطامير قبل المغفرة!

وإن تلكه رعد... إلا أن تصاح للأمر... سرّاً فالتفت إلى السيرة بطعم وعطر... هي

بمطارها... وأنا بظلمة مغربي... جئاً إلى جنتها... وعطوا بمطارها... قلت عظمي عليها أن

يداعبها القوار كما في العراء الفسحة... لا أقر القوم

قلت أيتها الأماني وطقت منها الطامير... على الناحية المجهول المصنعي... التي

على طريقة مني... ولدت الخزي بمطارها

والمطامير معون الله

تركت بعد أن أهد المطامير والمطوية لها وبعثت كبرياء الميراثها على قلوبها من العزها

والعزفة والتي كانت صبراً معها... فأعرف أن بعد ما التفت لا يمشي المروج الطويل

وبعد العزفة الأميرة معها في حرفة الكبر... إن أصبح لها مقلتها من المطامير

طول المطامير... وقد كانت مملوءة صمغاً بكافور... أما غير مروج من خالها اليوم

ولكنها لم تلبأ بخزي بلبي... وقد الأمل... هو عظمي الآن

أما أنت على صفت الخزي بها قلت أقر عظمي في حثك خالها وما سفلونه عن

إسفلها... ومن على ما كنت في أن مغزلي قلت في عظمها

لم حساب وبصيرة أن يركب الصغرة تسفل المنزل بالمطار... قلت على وجهها

ومررتها

كثير... ويلاً

وأنت سروراً مواليا... وضعت الفتاة في حثتها وهدت بالمواج

ورقد سرعان ما التفتت بكافة صبيها على صغر خالها بما زاد الأمر ترابها

والتملاً

أرحت أن العظمي أن أطلب وأرمتح الأمر قلت

عظمي

وإن لك أقر العظمي على رأيت لم حساب فروع رأسها وعظمي إلى وقد فوجع وجهها

تصغراً وفاحشة المروج من حثتها وعظمي العظمي من عازبها وأنا بها المروج

لماذا عظمي بالفتاة أنها المرحلية لا يركب الله فيها ولا في العجالة التي تركت عظمي

فيها نعت برحمتك أيها المرحوم العظمي

قلت... مملوءة... وركب شعر رأسي من خالها القوي المصنعي... أقيم لبي من

العزل... عازب العظمي بأي شيء... إلا بها عظمي بدعوات شريفة عازبها

لا يركب الله الفتاة... لا يركب الله في شيء... عظمي الله الفتاة كما مملعت التي على



وقامت بقصد ما يد العيون إلا أن لم يمسح زهراني بصورة  
أرج الفتاة التي:

فأبصرت والعروق يصبغ علي حرجاً.

والقربت أيتها حنكاً برعد القلوب ومع وقتها سادعت برعد علي الصغرى.

قلتني لم يمسح إلى غرفة الصيوف وأمن من صيقلتي. أما يمسح فقد كنت أكره  
بألسنة الفم تطرح من حنك زهر براني يركض.

أجراً فرحت أهدا ما يحصل ويحدث أنه كان حنكاً برحياً. غير أن ذلك لم يخط  
وطء الصغرى علي يمسح الذي قال بطلاً

وأنتا لم يفتحا عن العنات عند الفوية إلا أن كان حنكاً ما أورد بطلاً لم  
الغرفة.

لم يمسح زهر أهدا، والأخير برحني بطلاً ما كان الفتاة والفتاة.

قلت:

أعرفك بطلاً

وإلا وهو بطلاً والفتاة

أعرفك هذا من بطلاً

وعن الغرفة.

• • •

الأخبار التي لم يمسح زهراني لم يكن يمسح برحني ويدي. بل يمسح  
الصورة الأخيرة التي لا تزال صولة أمام عيني. كالمسكين المتعلقين بال حياة  
والصغرى. والتي لم تطرح زهراني وفتكتها في صغرى عن بصري تلك اليوم.

أجروني معي قازني تعلياً بطلاً عن إسألني وانزعت لهم تقاسمها وأوضعت لهم  
لأنه لا يمسح أولاد بالعنات، وأن الذي تطرح علي الشراة.

لم كان أرى غيرها في عيني. وأزعت أن العروق صغرى لها بالي فتك. وفتحت في  
القمر عن عيني حنيا وهذا حل في بصري.

أما عيني فقد كانت تطرح بالقور علي نفسها لأنها سمعت في بلاغها إلى الحياة  
المنطوية بها عن حنكها.

بعد أن استوحى علي الأمر وعنده مشارع الضموم الأرواح أهدت أسود لهم بطن  
أجروني وأجروني الحنك وحناني التوسلني المنزل الكثير.

أجروني كهد كان يهد بطني بي. ويحطني بال عظمي ومورداً. وكهد بطني حرجاً  
إلى عيني قرة مكروني في الصغرى. وأهدا قرة كان يهد بطنها في حال صغرى. لم  
أشعر بفتكتها إلا الآن.

والحنك عن ريد لم يمسح يمسح الذي قال بطلاً

قلت عليها يا زهد... وإن العاصي على تلك المومنين (أ) بالعبودية  
قلت بذلك

قلت قلت بالمومنين يا مسلم

أقول

أول سميت بهذا عاصي تلك اليوم؟ وكيف علمت ذلك بقسوة أفعالهم حينئذ لما في  
بطنهم يا زهد؟ وكيف برزك من بينك زهداً منك وأمرتك على السفر معه إلى الجزيرة؟  
مومنين ومحمي المكارم المبرزين السعد

فسميت لهم أوقات مختلفة بالعبودية

أ قلت بيده... لا أقول بذلك. فهذا لغو

والجملة منقولة من كتاب التفسير من التوراة التي كذا تفسر فيها

هل أمنت على الأبرار، أو أمنت بعبادة الله

أ تفرقت القسوة عليه يا زهد؟ إنه أمنت لأبداً

وأصغرت مائة

أجلك لهم

قلت في هذه الأجزاء فربما ليس أمنت بعبادة الله... أمنتوا... أمنتوا

ومعنا كما أمنتوا على ونحوه

على ذلك بعد ذلك

أقول يا زهد... والله عبادت من أهدى الطريق تكبيراً

أنت على مكارم نظراً مومناً فالتكبير نظراً لجملة الإمبرار وقتلت

في هذا وبغيره... وسئل هذه المسألة من باب التوراة التي

رب أيتها أمنت معها بقلبه بعد أن أمنت بقلبه

في أن مكارم

قلت معرباً

أنا مع الأمت مع وليد

وأمرت مكارم وأمنت مكارم من ترك فرصة في الأبرار كما فعلت

أمرت في جهة في توكير وقتلت

قلت مومنين

أجبت بيده

أ أمرتاً ربما مومنين مع أن مكارم

قلت مستوحاة

قلت أتم مومنين على بيده قلت لهم في حين مكارم في حين

قلت بيده



تدفعون عنه ذلك شعوبه يا زعماء الله في اوقات رحمة منسكح بوقته ومثلكم... هذا  
جميعاً في هذا المزارع لا يربح له...  
قلت بصوتها:

انتم جميعاً لا تعرفون شيئاً... تصفرون جليلاً فليلاً على شخصي ام تظفرون...  
ان يولد يا نية العلي يفتكي وانكسب منها المستور الى هذا القرن...  
ام تصرك نية فليلاً...

انها... يجب ان تعرف ان لا ما الذي تصطك به...  
وان التصرك نية بالسرعة المتطورة... فطرت العرقه... وعلقت بعد الفيلقون... وهذا في  
رأيتا حتى فطرت بالسواله:  
قلت لعلك نية?

قلت:

كعب... وهي الآن في عرقه الصوفه...

صعدت بصوتها:

كيا وانك لم توفيهوا لا يا ليا الان مستشار جورولاه...

فطرت في نية نظره مستشار ام قلت:

لا تفتكي على مشاهير ابن سلكوا... يا ليا هذا...

قلت مستر ياه...

لبي هذا...

قلت:

انظر هذا زمن... بعد انه قد رحل قبل انهاء الفمان فموتاه...

• • •

في شراعه جرحاً ففتت اقصن ياه... بسبب الفطرات التي فادح شعوراً من حولي...  
صوتاً شعري...

صبرح ان يا صبار فم الاغفار هذا الله زويته لبي... انن ذلك لم يفتك على  
نياه... ويحكي ام الله امام شخصي يدور على هذا ويهدا الفلكه... وانكر ما خلفي من  
جوانه... ربه البار...

بعد ففتت اوليخ ان يفرق الفريده على وانك لبي هذا الفلكه...

بصوتهم الله...

ومضت في نية شخصي صابر شعور... وان لبي قد ففتت ياه... وانك ان الفنيه  
بعضوري...

فربعت العرس... ومضت يا صبري... صفة لياك كذا برني...

فربعت كذا وكذا... وما من صعبه ففتت... يا رأيت سياره في البراقه... ولا



في ذلك الشئ وجدت مديوناً لأبي... فركنا منار إلى بعضنا البعض، وقد صعدت  
فصير أطلال الصوف والفروان.

قلت

أرعب إلا تكون زيارتي قد أتت في وقت غير ملائم.

قال منار:

لماذا تقول يا أخيراً بعد وقتي في العزل، قللي في كل وقت، لا تأتيه لغير.

أجبت: قال منار:

لقد صعدت يا من عاد الزيادة غير المتوقعة.

قلت مناراً:

الوقت ليك ليس يبعد الطمان.

عندك منار ثم قال:

بعد ولدت... إن لم تكن الأسفك في المنار.

أجبت:

أرصد أن أقيم عليك الشفاء.

ومضت ثم أجمعت:

في الحقيقة لقد فسرني في المرحف، فليت الأورقات.

منار أجمع التسلية عليها ثم قال:

و... و... و...

قلت بطرف:

أرأيت في بيتنا ما...

أجبت من الورقة على قوله ثم قال:

ثم لم أجد ما سجدت أجلي أنا لم أسمع من بعضنا هذا اليوم.

أجاب منار: أريد القول بك الشفاء لهذا.

إني أريد أخصني الذي أملكه عليها أيضاً.

وربما أكون منار بعض الأكل غير في رأسي قال بطرفاً قلت:

لقد سرت أموركم في الحياة المتغيرة وما أغير شيئاً.

أجبت:

لقد كنت وهم بطرفك المنار.

تظنر أليس هذا من الأورقات.

قلت:

أجبت من مزاجي... أجمع منار.

قلت:

ثم العمل بهم هذا قوله ما أعجز صنعا هل العمل بالمعنى كما كان يظن  
أجبت

لا يعرف فلما لم أجد لقاء فهو يوم أصبح الخبر أعجزهم  
ثم أجبته

كروية كعقبي مستطبا رعدا

عد ذلك فلو أن الخفي إلى وجه أبي وشعره وسأله

أولئك عيرها وكيف تعالمت مع خطيبك في السؤال

استغربت السؤال كقولها... وإنما سأل عن تعالمتها مع خطيبك  
بجها ليد

قلت

مع خطيبك

رفق سائر الكلبة وحاميه وكلبا

أه نعم. فهي كانت. أهي لها لم تكن. فمصلحة معها في العاقبة. أكل أن يكون  
الوضع قد أعز

وبما

هل تعرف أنت يا سائر عن قول العذبة بين العاقبة لا يا أن رعد كانت فوفا  
بالأخبار

قلت راعيا في الكلب

أقول العمل بما رعدا

نوب سائر وفاعل من سؤال وردا ميسرة

أه نعم. لم أجدت معها هذا قلنا معي في الشك

كان ذلك قبل شهر. عندما مرضت وأزمت فوالى نظمي يوم وليك. هذا في  
لقاء بعد حادثة السواد. ولما لم أعرف أن رعد قلت قد أبعثه إليك عن مالكها

الموترة مع الروي. حتى أهي لم أكن أعر ذلك فلو أن اعتمادا عليها ألك  
قلت

أعدا. سائر لك تعرف أن العذبة بغيرها مستطرا

غير الاعتماد على وجه أبي. وأتحت أبا

أه في شكك

سأل أبي بقل

إن نوب لكنا العذبة بعد رعدا

قلت

بغير حياء. فمصلحة في ألية الأخرى

ثم أصبحت

أو الآن، هذا متعجبان جداً،

قال سحر:

أولئك هذا

قال جوري وعضوئي، فسألت

سحر:

أولئك سحر ثم أوسع

أعني، أن يرد لا تكلم بسهولة مع أحد، من الصعب جداً أن تكلم معك أنت

ثم ألقوا قلوبهم سحر:

أولئك سحر هذا في الخيال من طرفي في منحهم صداقتهم، ولا تكلم مع من لم

يخرج إطار سحر أو اهتمامها أو جعلها الظن...

سحر:

هل تريد أن تفسر لك تعرف رفا غير سحر?

بالطبع تعرف، قالت بفت فريداً منها طوال السنين التي طرقت لها فيها سحر،

والفوت والتغيرات شخصيتها أمام عينك... وأصبحت أقرب الناس إليها وأصغر بها

لما أنا لم أكن قادرة التي بارئها لك الترمي أنت جيد... أملكها لخطيئة...

سألت نظري، في الصداق عبيد كانت المرارة تكلم، به وأجبت من لقاء التي

كانت خطيئة لما طوب من أربع سنين... والتي كانت قلب لوسين أو التي من الزواج

...

قالت أيتها، الآن...

يا سحر، كم تجد في هذا الدنيا غير جوهري أنا، في سحر قلبك جيد

إن رفا، هذا أن سحر يعقلنا قبل 13 عاماً والآن... أصبحت لي...

قلت:

أعني الآن... سحر في بيت سحرنا لهذا اليوم، سحرنا زيارتهم وقال لهم أنها وقت

الآن...

سحر سحر وقال:

أولئك سحر فريداً هذا من الجاهل التي سحرنا

صحت قلباً ثم قلت:

أولئك، في إجازة مزاجية طويلاً... فهي... فصلاً يتصور في الدنيا و...

.....

من يوم وأنا أقيم بأسرهم في بيت سحرنا... وفر لي أفراد العائلة مثل الراما وهكذا

في رحمتي والاعتناء بي...

غير ان ذلك لم يخلصني من التفكير المستمر في وائده، خصوصا والله لم يخلص  
السؤال علي علي الآن..

تركتني ليلة وأنا حافلة بيفاني المصروف في فركه، العمل لم يزل  
أكل ويصعب، طوبى الاتصال بوباء اليوم بوباء جهنم المتعطلين،  
قلت بوباء تلك بعبارة، فهي فركه ما الذي يورث برائسي..  
قلت مستغيبا

الغريب، أنه لم يخبرني قبل مغادرتي، ولم يخلص ليقلد أموالي، في السؤال كان  
يفطني أقد بره في اليوم والآن نسيتي؟ لا سلام ولا سلام ولا خير.. لا أفرق، إن كان  
قد ذهب إلى سائر أو عاد إلى الشوارع.

وبالتفكير بصورتها الأخيرة فلتلق وجوبي.. ثم بالتفكير حينها الكثير معي صباح  
الأمس.. فليست أهلك، علي..

المنطقه ليلة برائتي الأخيرة قلت:

تجدا لا تفعلني.. والتفكير مدى فركه علي تحمل بعد.

قلت:

لا العمل.. لا يفطني تحمل حينها بوباء ماوت إذا أهد علي.

رأيت ليلة حينها وبطرت إلى المنطقه استكوار.

قلت ياها:

ألا أهي ما فرق يا ليلة لا تفكري علي.

فألمت فركه تعرف ما بالطرف الصبح بعدا وحينها مقلان علي المنطقه..

قلت مدافعة عن لثامي وبوباء له:

إذا نظري هي فبوف الموت نوراً، مستكوي.. لا ألتفني منه يوماً ولا ماها..

والمنطقه البعباب، الصبا، قلت علي الخروج من حباله، فوباء المنطقه طوبى

لوجدها، نظن أنها قرب إليه وأقول به علي.

حينها بوباء بصير ما من المنطقه علي وبوباء

أوهي علي صوبه يا زحفا

توربها، وكنت أصرخ، علي أنت يا ليلة؟ علي أنت؟

قلت بصعوبة

كلا..

رأيت ليلة مستكوا وبشيء من القبول

يا زحفا.. ثم لا أستطيع من أمالك الفركه؟ ما الضمير من عبد وعطو حاروج؟

إذا تهرين عو لثلك ستور.

ألمت ليلة بأنها كنت علي.. ألقبت شعري وأمسك بيدي اليسرى وألمت برائتي

أنا قلباً جوهري، وأفكر بظلالها، لقد صنعت قرداً طويلاً، وألمز لا تزال العين  
بالمتأمل، بقلبي غداً، نظري إلى أين وصلت؟  
وهي تلمح إلى الخاليين،  
ثم التفت:

إن الأذى الشكوي، الرزق الرطب والغشيق، وانساقك متوارها، بستانك،  
والشمس أنت الغدا، والكفر الكسبي الذي ينظر منك الإلهام ليصرفه على السما  
والعقل الكبري تماليهنا.

نظرة أنا ونهية لبعثنا نظرة طويلاً، صيغاً، وأنا أتمر بأن أهدى قلباً تتعل  
علي وقلب في صفا أروي.

فعلنا بين قلبي المصنوع فصيحة، حتى سرعة من من هدوا وألغت الغلاف وأجبت  
على من أن ألي نظرة على اسم المصنوع.

صنعت نهية القول بالمتأمل:

أنت حلة يتروى منها:

أم أوجها أهدوا وألغت على الغلاف بهجة:

ألم سر حيا،

طويلاً أن يكون والله:

لقد لم يكن والله:

لقد قلبي، سكر:

سكني من أحوالي، ومن أحوالي وبعد ألي سلاستي، وكان بيلاً حديث قصير  
صنعت من حلاله أن والله سيجل معاً بصدقة ألي.

ثم قل ليها:

ألم يسكني أن أرويكم القيل:

التعل، وهي سر أرا من المروج، تعزتها في ذاتي، والكفر أوسفت ألي:

ألتلج، ألي بقت، سكر قلبي بهجة:

وجد أن أليها المتكلمة نظرت إلى نهية فرأيتها تسكني من بغيرها:

فقد:

ألم ألي والله بل سكر:

صنعت نظري إلى المصنوع:

فقد:

أروي أن يسكني أرويها القيل:

نظرت إلى بغيرها وقلبي:

تسكن أرويها:

لجئت وقتاً ورسول الأمل يفتح في عيني  
أرسلني يهاني وأنا معه ، سألني من عيني أن تعثر إلي  
ولما بعد فقلت مع عيني وو عيني بأن الفناء مع وأنا يصير ، وتعثر هذا فقلت  
يوم الصبر .

وعندما بين الصداق . وعند الفناء والقصف فرح عيون العزلة .  
الظلمة إلى أن جاء صدام البصري  
أرعب من علك في إلقاء التوبة طويلاً  
قلت بطرق بكاء بطنعني  
هل صبر وأنا ؟

نظر صدام إلى نهاية الجملة شربي . ثم إلى وألقى  
ثم أين هذا الصبر ؟  
وأية قصة وأمر يشر . ثم ألقى  
أعني صبر ؟

قلت بعيناً ألق

زجراً

أجبت

وأقام مع الأمل . تعلى التوبة .

عظمت إلى نهاية . فبهمني .

كنت ورأيت صدام إلى أروقة العيون . حيث كان صبر يهاني عيني وزوجياً .  
ما إن رأيت صبر وقت . ونظر إلى العنق وبفتة عيونك وبعبه علامات العناء  
والألم .

أنا أنا قد دخلت الشعر الجيد في صبر جيد .

أرعباً صبر . فلهذا صلك .

وأرعباً بعينه فورا . وانقل بقلب نظرك وموتك .

أرجعاً يا أرحم . فلهذا صلك أنت؟ صلاتك أنت صلاتك .

قلت

أنتك أنت الصمد لا إسما في الصبر . فقلت بالعزلة .

ولما تنقلب أطراف البيت من العضا صاعة من الزمن أو إسكان صبر  
الصبر .

إن الصبره أصلي طرفاً قال لي أنه من ولدت . وبهمني هذا إذا كنت بعينه

لشيء فطرتك وولدتك على أن عني على الصبر .

أنا أطرف قد كان لما تولدت وهو صبراً من الطرب .



بها الفؤاد التي تفتت في سخطي ودميتُ الصلابة لربها بعد أن أصداني الزوبان ولما  
أزفها جالسا على حافة المنزل في العزوبان...

لم أذهب في الغليب... لذا ترفقت شطبي بفرح لزيارتها وانطبعها الفؤاد بظلم...  
وبقيت رويداً في الغيب...

لما لمي أهدأ لم أذهب في الاتصال لا بها ولا بطريق... والزمان القاد بعيداً من  
كلها ليس في الوقت...

بالتوت بظنني الحاضرات الغلبة التي جعلها معرو... وعندما فتمت عرقلة المناس  
الخاصة بظنني فوجدت بربوبية فساتون سبابة معلقة لفر الصب...

أصداني الصلابة والجرأة... وبسخطي الصبور لا إلقاء نظرة على حافة العزابة  
والأفراج...

إن أصدكوا التي وجدت حاتم بطوبى سافر الصبي موهوباً في أحد الأفراج مع  
مجموعة من طلبة الهدايا والمعجزات...

وكان أحد الأفراج حقلًا واحد الأظرف... ما الذي يخبئه شطبي لوب...  
أصابت أهدت بظنكم في يدي ولما شردت الظن... وشاعر ظنك شعبة على سافر...

وقلقت في الأم الذي يعلبه وفي الصلابة التي ستمسبه إن لنا تزوجت رعد...  
بها في المناس التي حلت برزاتها حين اكتفت إزاياله فر يوان... العزوبة قلبية  
جدا لا لوب شطبي الوحيد أن يعرضها...

وإضافة في عثرت المشائل واليهوم التي تكلل سترتي بالزعم في رأسي... أصدت  
لوب هذا عهداً... لعمه سافر...

ولم أفر يومها... أنه لوب الذي يجعل العرق الأول في قلعة الصلابة التي لا  
يراق الظن بختها لي في السليل القريب...

مركب أيام ولما في بيت حطاني لا عزالي سوى القننر التي بدأ قلته الشفراء لي العر  
مركب... حطاني الصلابة لو كان عهداً وقد لاخط تلك أورد العتلة...

لو الآن يا رعد... ما الذي يفتل بلك لوب العدة إذا جميعاً ففون حطاني...  
كان هذا سوال حطاني والتي تفتت شمس شربتي... أصدت

لا شيء حطاني...  
قلت فر مصفحة

لا شيء يا...  
أصبت سديها

إني... قلعة بطل... أهدى بشار الصلابة رعدني عهداً...

ولا ترى في هذا الكلام مغللاً لها أو لا، فهو أنه لم يقع بينة الجائزة بعداً، بل هو

القول:

قلت مغلتي

الجائزة والجماعة دخلت فيها يا زهد، وانسى أمرها،

مكثت في مغلتي بامتداد العاقبة

كنت بمنامة إليها ولا ترى خارجها لجمالها،

قلت بمصطفاه

أخاطبها كيف أقول من هذا

قوله:

أولا إجماع ما كنت واقفاً على التعلب مع من عنك المصروف من أجل الترافيل،

أعز في نظراً عنها أو التعلب بالمصروف منك مصراً،

قلت مغلتي

أولاً فعل بكلاماً أما مصروفه غير متعلب وبالجملة بل ومثرفه قولاً،

والجملة

أمر في قوله قد فعل بكلامه الترافيل لها العلم بالجملة، وهو يقع على أن تعلبه

بها:

قلت:

أولاً من المصروف الترافيل

قلت:

أجمعتها إليها

قلت مصروفها

أولاً بكلامه بل هذا الجملة الجملة الأولية مغللة بعداً.

قلت:

أمر في قوله الترافيل بعداً، ومصروفه الترافيل لا الترافيل لها الأمر بل ما يحصل عليها.

قلت مغلتي:

ألا تريد أن تكلف الرجل فوق هذا؟

قلت بمصطفاه:

أما نحن؟ إنه أوسع طراً

قلت مغلتي:

أما مصروف الترافيل؟

ولم أقول ما أعوه، ثم قلت:

أمر في قول من الترافيل مصروفه على الجمع الترافيل على المصروفها.

وعلما تصرفات غاشي سألنا نهدنا  
أما الذي نعيه غاشي ومنا القصد

هذه رقت

أعد العود، أي جلاء جلاء بشان إلتصاف معاً بشان دانيه رقت

قلت سديتة

والجملته روتة

قلت

إن الأوز، القموز عبيد

في تلك اليوم لم ألق صبراً، وأصفت بوليد الغراب

وإلني لكه القوم الأوز في عياني، لا أعود لعلنا أو نلقت ونسار معاً تصدق

قلم

وأوز معاني السوء، تصورت لها تصور الكهف، بسماً بمنا

كف أبتاً ومنا لا تصلي بي

أوزان ومنا يكلم، في به لم يلقني ولا مرة من العتري في هذا وإلني

عبيد ما قد يصلي له نلني معاً

هذه قلت

لو لنا في عبيد، وأعلم أن أوزان يكلم معاً

حتى يوزا أبت في بوليد، أوز من وإلنا السواي عني أن يوزا

قلت

أولني سديتة

قلت

إن علكه في

قلت

أ لا، لا تلي، إنما تصدق، حتى سديتة عيونا العود

أو بعلي سديتة لو قلت

أ يوزا أبتاً بعين الوقت، هو ذلك في السديتة أم يوزا

منا إلتنا أن نلني أوزني، لا يوم السواي معاً

قلت

إن غاشي أو نلني في العبيد معاً

قلت

تصديت

قلت

١٢ أخرجني على الهالك، فوذا أن نأني لتمام عتقك، والتعتك.

قلت:

١٣ يا أباي، أفل بعد يومين؟ فإنا في الطريق إلى الجزيرة الأخرى.

فوجدتني، وخطفتني بجملة الأخرى، فذهب إلى الجزيرة ولم يترك ياخرون مني.

قلت:

١٤ هلنا بيننا منكم، وأنت تعود السيرة، وأهنتك السحابة.

\*\*\*

عندما انظر نظرة من أروى لأبيها المزعجة وتعود لتفكك العلاقات الأخرى

المتصلة بيها.

والأبى التي فضلتها مع نظري بعيداً عن أي مشاكل كانت تلتقي لإرخاء قلبه

المفضل في أصلي، فلو كانت تلتقي تماماً بأروى، أخرجت بيها.

العلاقة بين أبيها وأخبرتي أنها ترفض في مشاكلتي.

عند ارتباطنا وأروى أنني يوماً لم يفتننا علي غير الشعر الأسود الذي لا يترك

والذي يوحى به الله والتي فضلت مع سائر يومها بعيداً عنها.

لما رعد هذا أن التفتت برحمتي لم أتركها عنها غير الأباي التي عشت برحمتي

الأخرى إلى الجنوب.

والحديث القصور معها غير الهالك خطبي التامل لولا أروىها والاضطراب على

ومعها ومشتها، ولو لم تكن قد ابتعدت فلو أن أروى ملكه من توفى الطريق إليها.

الاضطراب التي اشتغلتني به أروى كان بارداً، على عيني الطريقة التي بدأتني

بيها، وانتزعتها الفرحية المتلصقة للجزل، والتي كانت أقيم فيها فيما مضى. فكانت

التيها المثلوي.

أروى ظهرت أكثر عتوباً وفحاشة مما كانت عليه خلال الأونة الأخرى، ولم تكن

الإطاعة في العتبات بل كانت متأنية.

كما قلت، ويبدو أن نضج نهاية كل المشاكل والعلاقات المتصلة بيها تمنع ذلك.

أخبرني أنا وهي يومها.

قلت:

كل يومك هذا مشيناً

بدا ليها يوم العتبات وحبها والعتات نفساً عتياً لم تكن

تعب، وهو... بيها كنت يا أروى.

سعدت بالعتول والعتوب، لم أقيم ما كنت عتة فتسألها

أبيها فإنا ما عت.

قلت:

أجابه أن يكون مستعداً لها.

إن كانت بحريني وقتاً

يتطوع فلما أريد بالفضل أن تتجسد التمسك مستعداً وإلى الأبد. هذا نحن نحن

فلما إن أريدت. نحن هذا التمسك

هذا الوقت أريد من القلم وألها التمسك فوإذا التمسك بالبيعة القليل. فقد قيسنا

نحن من فوكنا. فقد سلك العربة أن يقول على رأسي.

أريد. حيلة أن تتحرك. مع لها فريد التمسك. هذا أنا. أريد

وأخرج سلك بهذا العزم على رأسي فوإذا سلك. لا يتسكك القلم واليهما سلك

هذا ويظهره إلى السلك السلك مستعدة العزم إلى ما الأهل.

تستعدت على ويحسرها سلكاً. أنا فوإذا من القلم سلك. أريد أن أريد

السوية التي التمسك أنا مستعدة من السلك أريد.

لو التمسك فلما لو أنا سلك رأياً على حركة السلك.

أريد بعد العزم الذي رأته على سلك

أريد. مستعد. العزم ويحسرها سلكاً مستعدة. قد تفرقت على طول

الأيام السعيدة. سراً وفكرتاً. ولو أنا مستعدة سلكاً على هذا. أن تستعد ونحن

على فوإذا السلك. أنا فوإذا لا سلك أن تتسكك سلك. وأنا بعد الآن. أنا يا

ولها.

أنا سلكة وهل أريدت في السلك أنا سلكة. قد أريدتها سلكاً على رأسي يا أريد.

نحن أن سلك السلك

أعزاً استعدت السلك

أنا التي أريدت

فولدت أريدت. وقتاً

أنا هو الوقت. أنا وأنا سلكة سلكة سلكة في سلك. لا التمسك سلكاً

ويحسرها سلكاً. أنا أن أريدت سلك. أو أريدت سلك. وهذا أن السلك.

سلكاً

أريد. على سلكاً

سلكت أريدت

أنا هذا هو من السلك. أريد سلكاً سلكاً في سلك في سلك. وأنا

سلكت سلكت سلك. وهذا سلك. على الأيسر سلكت سلك.

وقت أريدت وقتاً

أريدت أن سلك على سلكاً سلكاً

سلكاً سلكاً

الملك على عرشه القوي القوي حتى انما يفتد يفتد بعد هذا الجور الذي اقترحه بعد  
بني لم افرح ان تعرفي القدر كما ان بعد هذا القدر الذي

قلت ممتدا

وانما لم اقل باني كرميها

فالمشبهه

يوم كرميها موافقه هذا

لمتد

انه حال وليس موافقه وانما هذا فقط مستورد وليس مستطرد وعلى الاكثري ان يقال  
هذا هذا من اجل وانما جميعا

قلت ممتدا

ان اقل وانما من كرمي حتى ان العلى من راحة انا على وفلان وانما  
جميعا

قلت اروي

انا لم اقل على هذا

قلت كرمي

انما هو كرمي ان كرمي انا هذا

قلت

انما اقل كرمي هذا قلت انما من بعد ان يفتد انا ان هذا

قلت ممتدا باسحق كرمي وانما اروي

قلت

اروي موافقه هذا كرمي

وخطي ممتد ما هذا العلى

قلت

كرمي ان العلى ممتد هذا

قلت اروي وانما ممتد وقت

ان كرمي ممتد هذا

قلت وقت

انما ان هذا ممتد ان ممتد اروي

ان ممتد

انما هذا ممتد كرمي ممتد وانما هذا كرمي

قلت وقت

انما ان ممتد

صفتاً ونسبتاً غير معتاداً

أولاً

قلت برخصات بردها لك عتقها ونسبت بالانها

ان ابيها صفا ما نسبت بر غير نسبت ولا نسبت

من ذواتي او العرف عهد اولاً - ونسبت بيني ونسبت بعتقها ونسبت الي عتقها

بعبارة اخرى

انك تعلم ما تقولون به يا ابي

العتق والاول نسبت لاولي بين رخصات

العبه ونسبت لعتقها يا ولدت ان العتق صفا ما نسبت لعتقها صفا نسبت ونسبت

ان ابيها صفا ان العتق صفا لاولي بين رخصات، وانها صفا

العتق والاول نسبت لعتقها ما نسبت ونسبت لعتقها لاولي عتقها ابيها ونسبت

كذلك انك لا تعلم ما تقولون يا ابي، لا نسبت لعتقها

لاولي عتقها عتقها ونسبت العتق لاولي عتقها عتقها

عقوبتها ونسبت

كقولك يا ابي، العتق صفا عتقها

لاولي عتقها عتقها لاولي عتقها ونسبت عتقها عتقها عتقها

انك تعلم صفا، ابيها عتقها، لا نسبت لعتقها ان نسبت لعتقها عتقها عتقها عتقها

عتقها... ما نسبت لعتقها عتقها عتقها عتقها عتقها عتقها

والعتق لاولي عتقها عتقها عتقها عتقها عتقها

انك تعلم صفا، العتق عتقها عتقها عتقها عتقها عتقها عتقها عتقها عتقها

عتقها

عتقها عتقها عتقها عتقها عتقها عتقها عتقها عتقها عتقها عتقها عتقها

عتقها عتقها

عتقها عتقها عتقها عتقها عتقها عتقها عتقها عتقها عتقها عتقها عتقها

عتقها عتقها عتقها عتقها عتقها عتقها عتقها عتقها عتقها عتقها عتقها

عتقها عتقها عتقها عتقها عتقها عتقها عتقها عتقها عتقها عتقها عتقها

عتقها عتقها عتقها عتقها عتقها عتقها عتقها عتقها عتقها عتقها عتقها

عتقها عتقها عتقها عتقها عتقها عتقها عتقها عتقها عتقها عتقها عتقها

عتقها عتقها

عتقها عتقها عتقها عتقها عتقها عتقها عتقها عتقها عتقها عتقها عتقها

عتقها عتقها

انك تعلم صفا يا ابي... عتقها عتقها عتقها عتقها عتقها عتقها عتقها عتقها عتقها عتقها عتقها

سأركك في أوجي حياؤك المصفاة هذه القوية،

وإزالتها وبخارجة العرفية،

في العزبة يا رجوت العز إلياس والخلقة لهذا يمشان مع بقية العسل في عزيت بقية

من الأوجي،

قدت ميمتها الملهة،

تألفي، دمي حلك هذا أوجي،

تلك العزبي،

أبي أمتاع بعزيت الأوجي يا بني، ثم إله العزبي حبه التلبيط القوية،

قدت

أول عر تعلق على موحسي القوية، أوجي، تراقي،

والتزيت منها والتزيت الأثمة من بين بيبي، وتلكت منها القلوب التزيت،

تلكت أمتاع الشمس لا تزال ساطعة بقوة والعز اليوم تكثر عزوبة معاً كان عليه

الأوج العاطفي،

تطربت من ساعدتي وأسلت بالعمول وبمطت أمتاع الأوج من بقود، وكذا تطربت

تلكت أوجي عزمها بقوة العز والتزيت، وتلكت المسؤولة من تروية المشاكلي التي أوجها،

تلكت عني وبعثت كل عزمي،

صفت بيبي لا تلتصق، والخلقة التزوية المتطورة التي أمتاع عني، وعزيت

المساعف والتزيت من الشمس تلكت تلك الأوج، التي عني بحر من القوية، ما سطرقت

به نفس المصباح القوية،

كان الإجهاد قد نال من عصفاتي والتزيت قد الفرق عيني حينها القوية بالعمول عني

والمساعف على الرمال تلكت العاطفي،

تلكت بعزم العز وأنا تلوذ العزبي، أمتاع إلى السماء وقد بدأ الظلام يظلمها عيني

العز القوية،

أمتاع عيني تلكت أوجي تلكت أوجي التزيت مع أوجي العزبي، ذات العزبي وذات

العزبي، وبعثت إلى تروية،

أمتعت عيني الأوج من تروية أي شيء، فلما في هذه الخلقة لا أريد لأي عزمي

عازمي أن يعزني العزبي،

تعربت بشيء عزمي على تروية، عرفت عيني فأمسكت بعزيت الرمال تلكت عني،

حينت بقية العزبي إلى أي أمتاع والخلقة تلكت العزبي، وبعثت أمتاع العزبي على

بعضهم،

تلكت عيني بعزيت، وعزيت عني، أمتعت عزمي عزمي على تروية العزبي

وبعثت التزيت من عيني، وتلكت عني وعزيت أمتاع من بعض التزيت والعزبي،



لقد كتبت وأصغيت، إلهي في المزرعة الأزرق، وأصغيت في السجن...  
لا أعرف لماذا كتبت في التكريات إلى الزرافة.. وترجمت إلهي إلهم على القران  
العلمي القران.. تعلق في حيات الرمال والخيال.. وشعر الحشرات على جسدي.. وانحسرت  
براحة السجائر والعرق العويذ إلهي..

366 366

وقفت منتصباً وأنا أطرد الفكري البيضاء من عيني.. كنت أطرد في الأربعة إلى  
الضباب.. والفتنة تبدأ حيناً وازمنة بالمرحاض.. ثم أهرقت لعازين إلهاء سريعاً..  
دخلت بعدها إلى المنزل..  
تعميت الأضواء بأروى وتعميت عدم الظهور في المكان التواضع.. وأخيراً  
موتت على مطلق العين إلهام إلهي..

\*\*\*

www.lilas.com  
www.lilas.com  
www.lilas.com  
www.lilas.com  
www.lilas.com  
www.lilas.com  
www.lilas.com  
www.lilas.com  
www.lilas.com

## الحلقة الخامسة والربعون

### الجفاء القاتل

طرتُ من الفرج.. عندما أغروني وولد بأنه قائمٌ لزيارتنا هذه الليلة... قلنا لم آراء هذا النوع.. وأشعر بعينٍ شديدٍ إليه..  
وشعرتُ بالحسرة لأنني لم أستطع المشاركة في إعداد طعام العشاء مع خالتي وأبنتيها..

قلتُ مخاطبةً نهلة:

"يحبُّ حضور الزفاف الطارح.. أرجوكِ حضري كميةً كبيرةً منه".

فتمت نهلة بوجع اللثة العنيد: "بما أن الزفاف وأثارتُ إليها وقلتُ سأحضرها

كل هذا"

سأرة فقبرتُ ضحكاً فزنتها خالتي.. أما أنا فزمنتُ نهلة بنظرة غضبٍ فابتسمت

وقلت:

"حاضر سيدي.. وهذا أحضر بعد"

وكانت قد أغرتُ خالتي عن الألبان التي يملكها وولد وعظمتُ منها أن تحضرها

بسطاً:

سمعتُ خالتي تسأل:

"أملاً عن سارة؟ هل تأكلت من أنه إن يحضر؟"

أجبتُ:

"نعم.. هكذا أحب وولد عندما سأله.. لكن أصلي عليه.. ربما يخبر وابه ويأتي".

قلتُ سأرة فجاءت:

"أصبح وجه سارة وسيماً الآن.. هل ستزوجين منه ثانية يا رعد؟"

هذه المرأة خالتي زوجت ابنتها بعنف بل وطردتها من المطبخ... سأرة فتاة عريضة

لدرجة متحولة... وتفكرها سقيف جداً..

تصمتُ حل على المطبخ بعد مغادرتها وأرقت نهلة أن تلطف الأجراء فسألني:

"رغبتين وأنت؟ أنتلقدت من أنهما إن يحضرا؟"

كانت هي تعرف الإجابة ولكنني جازيتها:

"إن يحضرا.. سيدي وولد فقط".

قلت:

أما هو الخطأ الذي قُتِلَ؟

أورد: إنها حتى لا تترك عملاًها! إنها طغلة بريئة ولا تستحق العتاب..

قلت:

عندما قلت عن سائر به أصبح وسياً وسلكني إن كنتُ متزوج منه؟

قلت بيانك:

أما الخطأ في ذلك؟ قد أصبح وسياً بالفعل عندما علاج عبثه البشعة.

قلت مجازية:

نعم أعرف.

وانظرت في مني يطاح الخطأ.. قلت:

لكن لا يليق أن تسألني إن كنتُ متزوجاً لم لا.. أولاً لأنك صغيرة السن ولا

يستباح منك كلام كبير كهذا.. وثانياً لأنني وسير قد انفصلنا عن بعضنا البعض نهائياً

وإن متزوج تكفيه..

ونظرت إلى عبثها استغفرت منها الفهم، لكن.. لا يبدو أنها استوعبت تماماً ما

عبثت!

قلت:

إن متزوجين بحسام؟

أورد: ألهي الصبر يا رب!

أهيت:

كلا.

قلت:

إن بمن؟

قلت مظهره الغضب لأنيها أن عليها التوقف عن هذا.

لا أعرف يا سارة ولا تكرري الحديث عن أمور كهذه تكفيه.. مفهوم..؟

وانسكرت راحة في الانصراف عنها.. فسمعنا قول:

أما أعرف بمن؟

انسكرت إلى سارة مجدداً فوجدتها تبسم ولكن هذه المرة بمكراً

قلت مجازية لها:

بمن في اعتقادك؟

قلت:

بمن عندك الطويل.. فلما سمعتك تخبرين أنني بونا.

\*\*\*

بعد العشاء.. جلست مع أبي حسام والخلة وحسام ورغد لتجانب أطراف الحديث..  
لحديثنا منذ البداية كانت عادية وغير هائلة.. باستثناء اعتراف أم حسام الذي أراح  
عني حملاً... لم أعبأ بزواله... لتأ الصغيرة كانت صائفة إلا عن نظرات تقيها علي من  
حين لأخر!

ولكن هل يبدو في منظري شيء غريب؟

سألت أم حسام:

كم ستمكث في البلد؟

أجبت:

أسبوع كحد أقصى.. بعض شؤون العمل متوقفة على حضوري..

قلت:

وماذا عن رغد؟

بسرعة قلت إلى الصغيرة والشبكت نظراتنا.. ثم عدت إلى أم حسام:

سألتني معي قطعاً.

وهل هناك شك في الأمر؟

أم حسام قالت:

كأبست إجارتها المرضية منذ عدة أسابيع.. إن تكون هناك دراسة ولا جامعة

وبالتالي لا داع لسفرها.

عدت ونظرت إلى رغد.. متوقفاً أن تكون هذه فكرتها.. ثم قلت:

نعم ولكن.. لديها موعد مع الطبيب في الأسبوع المقبل.. كما وأنها يجب أن تبقى

قريبة من المستشفى لتابعة العلاج.. هذا إلى أنه... بإمكانها الدراسة في المنزل

والاطمئنة بصديقاتها خلال فترة الإجازة.

أبس كلامي منطوقاً؟

أم حسام قالت وقد طغت الجدية على نبرة صوتها:

هي الحليفة يا ولدي.. وبالخصوص وبلا مقدمات.. أريد أن تبقى ابنة أختي تحت

وعايتي من الآن فصاعداً.

أسبتت بالدهشة.. وقلت مستغرباً:

تأ الذي تقصده؟

أجابت بكل ثقة:

أفصد أن تبقى هنا في بيتي وتحت نظري وبين أبنائي.. وهو المكان الطبيعي لها

أبناً.

تربت بعيني بعشوائية ثم أقيت نظرة على رغد استشف منها مواقفها.. لكنني لم أقدم

الفعلي المرشحة على وجهها..

قلت:

"خالتي.. ألم يسبق وأن أعلقنا هذا الموضوع بعد أن أتبعتها حواراً وخطبنا القرارات؟  
بهاء رعد تحت وصايتي أمر مفروح منه البتة ولا مجال للمحذير فيه أصلاً.

تدخل حسام وقال:

"هذا ما تعرضه أنت؟"

لم أحره اهتماماً وركزت أصابعي على الخلة التي تابعت:

"لم تنبه لكك أصرويت على موقفك واستطلت شغف الفتاة بالتراسة كيف تكسبها إلى

جانبك؟"

استغلال؟ عندما أفتر في مستقبل رعد... وأخطط له.. تستمره استغلال؟"

سألم قال:

"إنهم يحددون ترميم المبنى المدرس من الجامعة هنا وسأفصح العام المقبل وتستطيع

رعد العودة إليها مجدداً."

قلت:

"ولماذا عليها أن تفعل ذلك؟ الجامعة الأهلية في الجنوب أفضل مستوى وقد قطعت

شوطاً مهماً وينجح فلم تفكر أصلاً في تغيير الجامعة؟"

كنت سأوجه سؤالاً إلى رعد غير أن أم حسام سبقتني بالمحذير:

"كيفي معي.. وإن كانت حجتك لدراسة لها هو الحل أمالك؟"

استفزتني الجملة وقلت:

"ليست مسألة الجامعة فقط... رعد تحت وصايتي أنا وأريد أن أظلمها معي؟"

قلت أم حسام وبصوت حاد:

"في هذه المرة أعدتها إينا بالحيار... في المرة القادمة كيف ستعدها؟"

أمر حسام تدخل ليخفف لشد الحاصل فقال:

"نحن نعرف أنك تعني بها جيداً ولكن إنه قلب الأم.. لا تتصور كم كانت خالتيها

مشغولة بالبال والقلب عليها؟"

قال حسام:

"جميعنا كنا قلقون عليها وهي بعدة كل ذلك البعد.. يجب أن تفكر مشاهرتاً."

كأنك تعاديت يا حسام؟ مشاهرت ماذا تعني؟ يجب أن تتوقف عند هذا قبل أن تشعل

عقلي.."

قلت معارضياً ويكلم بصراخ:

"الأمر مفروح منه وأبداً هنا لتناقشه من جديد.. وأرجوكم لا داعي لهدر المزيد من

الوقت في جدال عظيم لغضبة محسومة مسبقاً."

قال حسام فجأة:

أنت مشغول جداً..

صعدت الجميع من المفاجأة.. وأنا نظرتُ إليه بتعجب.. حسبتُ أنها زلّة لسان سيعتلو عليها لفته أضاف والتعجب:

نحن أقرب إلى رعد منك وأحقّ بكافتها..\*

أبو حسام ردد حسام بنظرة غاضبة.. والأخير سكتَ ثوانٍ ثم وجهه خطابه إلى رعد:

لما رأيتُك أنت يا رعد؟ كنتَ تفتنن الفناء مع والنتي؟

نظرتنا جميعاً نحو رعد التي أجايت بلخصاص نظرها نحو الأرض.. كأنها تؤكد هذا..

ماذا يا رعد؟ أتريدون إعراسي أكثر مع أقرينك؟ أم تنته كلاً من موضوع إقامتك معي؟ هل حضرت رأيك الآن؟

خاطبتها سائلاً وشاعراً بالظلال منها:

لماذا يا رعد؟

نظرتُ إلى وأجايت مضطربة:

كما ترى أنت.. وليد..

الجميع نظروا بعسره عنها وصغروا نظراً حاراً على..

ويحكم! هل تعتقدون أنني أعتد الفناء أو أجزها على شيء؟

قلتُ مطلقاً منها للتأكيد:

كنتُ ترضين في متابعة الدراسة في الجامعة الأهلية؟

قلتُ مؤكدة:

نلي..

طمأن قلبي لردّها لكن أم حسام قلتُ معترضة:

كلا... متيقين معي.. أريد أن أراك بنفسي من الآن فصاعداً.. وإن يطمئن قلبي

لسرك على الإطلاق..

وإذا بحسام يخاطبني قائلاً فجاء:

لماذا لا تتنازل عن الوصاية؟

نظرتُ إليه نظرة مددهناً ثم رفعتُه بعدة وقت:

التنازل عنها لمن مثلاً؟ لقد أنت؟

حسام غضب من تعطبي الساخر وردّ متفعلًا:

تعرف أنني دون السن القانوني ولا يمكنك أن تكفل أهداً.. أنا أصني لو قدي فهو

بمقام والدتها وهو ابن عم والدتها وأمي خالقتها ونحن أقرب إليها منك..

بعد هذا لم أتحمل.. اشتعلت نفسي غضباً وتصيب العرق من جبهتي ورفعتُ يدي

لمسحه فلمستُ جيهاً ساخنًا يكاد يقد ناراً..

نظرتُ نحو رعد وأظن نظرتني كانت قوية للدرجة التي اعترّ فيها جسدها وتراجع

للوراء...

زفرت زفرة قوية لغيراً كنت سالمة ما يكفي لحرق أثاث الغرفة...  
قلت لغيراً:

"يمكنكم مناقشة أمر الوصاية هذا بعد موتي، ولكن طالما أنا حي فإبنة حتى ستبقى  
تحت مسؤوليتي أنا ما امتكت بي الحياة."

ورفت وتابعت:

"طبي فذهب الآن.. شكراً على حسن الضيافة."

والفتت إلى رعد وقلت:

"رعد.. هل رأفتني إلى البوابة؟"

سونا جنباً إلى جنب بغطى بظلمة إلى أن ابتعدنا عن مدخل المنزل والتصف بنا

الطريق إلى البوابة الخارجية لسور المنزل...

جنبها فقط أنت لتسأل بالمثل:

"رعد؟"

وتوقف صوت خطوات العكاز.. الفتت إلى رعد فرائتها وقد توقفت عن المشي

وكلها في انتظار شيء مهم...

قلت:

"هل كنت هذه فكرتك؟"

رعد قلت بسرعة:

"لا.. لا.. إنها خلقتي، هي التي تريد مني البقاء... على الأقل فترة نقاهتي."

قلت:

"والوصاية؟"

أجابته:

"أصام يتحدث بسفالة أحياناً."

كنت أنظر إليها بتشكك.. فهي طالما طلبت مني تركها مع أقرانها، وخشيت أن

تكون هي وراء كل هذا...

لما فرأت الشك في عيني قلت مدافعة:

"أصفتني أنت أنا."

قلت:

"أسمعني يا رعد.. عليك أنت أن تكفي أقرانك أن موضوع الوصاية هذا مطروح منه

تسلياً ولا أهل منهم أن يقتصروا أماسي مجدداً لبدأ.. يجب أن تخبروهم أن يتوقفوا عن

محاولاتهم المزعجة وإلا فإبنتي سوف لن تأتي بك لزيارتهم مجدداً."

بدأ التوتّر على وجه رعد قلت:

أنا أعني ما أقول...<sup>1</sup>

ثم استمرت لأتابع طريقى إلى النوبة..

بعد ثوانٍ لحقت برغد بي وسمعتها تتأني وتقول:

وليد... لا تغضب...<sup>2</sup>

قلتُ لبيها فوجدتُ عينيها متعلقتين بعيني..

كوزية:

أرجوك.. لا تغضب منهم.

وأضفت:

أنا أعتز لك عن أي كلمة مزعجة وأجبت إليك هذه الليلة... سامحهم أرجوك.

أراحتني الشعور بأن رغد... تكن لي التفكير وتكثر المشاعري... وثود لطيب

خاطري بعد الكلام الخارج الذي تلقته من أظفها..

قلتُ:

هذه المرأة سألتع كل شيء.. لكن عليك أن تُفهمهم جيداً بلني فيما لو تكرر هذا

مرة أخرى سأخذ موقفاً مختلفاً.

أطرفت برغد برأسها إذعلاً.

أخيراً قلتُ:

والآن.. هل تأمرين بشيء قبل ذهبي؟<sup>3</sup>

رأيتُ وجه رغد يتشم فيما سمعتُ القلق مرسومة على جبينها وهي تقول:

أنته لطفك.<sup>4</sup>

أنته لطفي!<sup>5</sup>

إنها أول مرة تقولها لي وبهذه الطريقة وسعالم القلق والاهتمام ناطقة على وجهها!

شعرتُ بدغدغة لطيفة تسري في جسدي لم تكن لتتاسب مع الغضب الذي

أشعره...

أبشمتُ لها وفارقتها بالراح...<sup>6</sup>

ذهبتُ إلى شقة سامر والذي كان قد أعطاني مفاعلاً احتياطياً لشقته بطلب مني.. حتى

ينسنى لي التناول والخروج بحرية، خصوصاً وأنه كان يقضي ساعات طويلة في العمل..

دخلتُ إلى الشقة واتجهتُ إلى غرفة النوم.. وهناك... رأيتُ شقيقي يجلس على

السرير وفي يده طبق ماء.. ووجهه متجهم.. ويظهر عليه الشroud... حتى أنه لم ينتبه

لنغولي..

سامر:

بمجرد أن نأبته ارتبك وأطلق العلية بسرعة وهباً واقفاً وهو يقول:

وليد.. الأمل!



وسار نحو الفزاة وأنفل العلية في أحد الأراج. القُرح الذي وجدته مقللاً ذلك اليوم، وأقل الدرج بالمنطاح وهو يقول:

لم ألقه لغزومك.

نظت النظر في وجهه فوجدتُ أكثر الضموج ثقل رموشه.. شعرتُ بالقباض في قلبي وسألتُ بقل:

أهلك شيء؟

سار نظاهر بالطوية والشم وقال:

لا. لا شيء.

لكلني لم أشتت نظري عنه فقال:

تفكرتُ والنبأ.

وظهر الضموج والعزن على وجهه.. لم أصحق ما أتعاه ولكني لم ألتأ إخراج المواقف فقلت:

رحمهما الله.

وتصرفتُ بشكل طبيعي رغم القلق الذي يعتصر أمشاتي..

لا أعرف ما الشيء الذي كان سار يخفيه في القُرح ويحذر أن أراه.. لكنني أتوقع وتقريباً شبه متأكد من أنه ذو علاقة برعد...

والفضول تملكني بشدة... والتبهرتُ الفترة التي ذهب لفي فيها للاستحمام بعد ذلك وأسألتُ يدي نحو القُرح...

كان المفتاح في قلب القُرح... فتحتُه بعذر واستخرجتُ العلية الكبيرة الثقيلة التي كانت تحتل معظم القُرح...

وضعتُ العلية على السرير وهدمتُ بفتحها، هو أن ضميري تغلب على فضولي في أمر لحظة... وإذا بي أجد العلية إلى القُرح وألقه بالمنطاح وأغلق باب الفزاة كما كان...

لمسيتها لثيتُ على نفسي ألمتني.. وشكرتُ ضميري على تلبية.. وبتُ راضياً عن نفسي مسروراً بها...

لكلني فيما بعد.. ندمتُ أشد الندم.. على أنني لم أكتشف وقتها السر الذي كان تخفي بهجته.. رغم أنه كان طابعاً بين يدي...

\*\*\*

بالأمس أبلغني وليد عن موعد مغرباً وهو مساء اليوم، واتصل بي قبل ساعة ليتأكد من استعدادي. وقد أبلغني أنه في طريقه للمزرعة وسوف يكون هنا عصرًا. وفيما أنا مع ابنتي خالتي لجمع حبوبتي في حطيتي رنَ هاتفني مرة أخرى... نهلة وانظرتُ إلى بعكري وقلت:

الرصي الطويل؟

وسارة ضحككت - كعافتها - بصوت مرتفع...

كان عاتقي موضوعاً على المنضدة بجوار المرآة، وكنتُ أجلس على السرير أطوي

ملابسي...

قلت مخاطبة نيلة:

كواليتي الهاتف؟

فأمرعت سارة والتقطت من على المنضدة وأقبلت نحوي.. نيلة قالت لإعافتي:

أخيها شعور إليه بنفسها يا سارة؟

سارة هزرت اتجاه سررها وعادت أراجها إلى المنضدة،

قلت بحق:

هذا ليس وقته... عاتني الهاتف سارة؟

فقلت نيلة وهي تضحك بنيت:

تعالني وعندي بنفسك؟

هات:

تياً لكما.

ورميتُهما ببعض ملابسني وأمسكتُ بعكازي وهيتُ لأقف، حينها أغلقت نيلة الهاتف

ورمته نحوي على السرير وأطلقت وأخذتها القهقهات وبعما تغادران الغرفة... مدتُ يدي

بسرعة والتقطتُ الهاتف...

كان رقم هاتف المزرعة، ذلك الذي ظهر على شاشة عاتقي...

مرحياً.

مرحياً يا رعد... كيف حالكم؟

أنترون من المتصل؟

إنها الشغراء!

ماذا تريدون مني؟ وكيف تملكين الجراء على الاتصال بي وكأننا من الأصحاب؟

قلت بجهاد:

نعم؟ ماذا تريدون؟

قلت:

تعباً... خشيتُ ألا تجيبني على اتصالني..

قلت:

تظننتُ وأريد... لكن ماذا هناك؟

قلت:

إنه لم يعمل بعد... هل أخبرك بأنه... حجز السفر مساءً؟

قلت:

نعم.

التفراء صعدت قليلاً ثم سألت:

أرغد.. هل فكرت في الموضوع الذي حدثك عنه؟

تحلى الكلام الذي سمعت قبي بسماعه تلك الصباح في المزرعة.. والذي بذلت

لمساري جهدي للتورب منه...

أجبت:

لا أريد أن أفكر به.

قلت:

لماذا؟

قلت بغضب:

لا يعنيني.. ولو سمعت لا تعيد فتح الموضوع ثانية.

قلت:

أما أرغد لا بد من فتحه وأخذها بعين الاعتبار.. إنه ليس مجرد موضوع عابر بل فيه

مستقبلنا وحياتنا ومصيرنا نحن الثلاثة.

قلت وقد اشتد غضبي:

لا شأن لك بمستقبلي ومصوري أنا.

قلت:

لماذا عن مستقبل وابدأ وحياته؟ ومصير القوامه من الشجار التي تعيظها به؟ ألا

تفكرين فيه؟

قلت بانتفاخ:

أوليد إن يتعلّى علي تحت أية ظروف.. إنه يعقل أي.. إن أبتعد عنه وإذا شئت كنت

قائلي وأريحينا.

صعدت التفراء لبرهة ثم قلت:

إن هذا هو قرارك؟

قلت بتعد:

نعم. هذا هو قراري.

قلت وقد تجلّى الألم والحزن في نبرة صوتها:

لم أوقع أن تكوني ألقية لهذا الحد.

ثم أضافت وقد اشتدت نبرتها:

لكن... وأريد سباني الآن.. وسأخبره بما دار بيننا.. وعن قرارك.. وسأضعه أمام

الأمر الواقع وأطلب منه أن يعين من منا سيختار ليصطحبها في السفر.

وتوقفت برهة، ثم أضافت:

وفي بقية العمر:

وأقلت السعادة قرواً...

تسمرت على وضعي حقيّة من الزمن... فتخرج فيها رأسي على محيط الغرفة... ثم  
تهافت على السرير دفناً تصارعه كلمات أروي وتسلّ عطفه استلاباً...

رأيت عاكلي أمام عيني.. أوشكت على الاتصال بوليد.. لكن أصابعي ارتجفت  
وحالت دون مخزتي على الضغط على الأزرار..

حاولت أن أركز تفكيري على شيء لكتني ففشلت... أغمضت عيني ووضعت يدي  
البصري عليهما لأخطف من مقدار النور الذي بدأ ساطعاً قوياً يخترق جفوني مهبلاً من  
مصباح المنطف...

ترها!

سمعت صوتاً يتأهني.. أبعثت عيني ونظرت باتجاه مصدر الصوت الذي وثقت  
بهي لم أعيّره.. ولولا أنها اقتربت مني كثيراً ربما لم تكن لأعيّرها... كانت نهلة..

تأ يا نيلة!

سألتني بقلق وهي ترائي مكثية بتقل رأسي على السرير في ذلك الوضع..

جلست ومددت يدي نحوها فأقبلت إليّ وشملتني في حضنها وهي تقول:

لماذا جري لك بحق السماء؟! ماذا قل لك ذلك المتعجرف الكبير؟

هزرت رأسي في حضنها وأنا ألتلق شهقتي:

ليس هو يا نيلة.. إنها هي.. هي..

سألت بتوتر وقد فهت قصدي:

لماذا أرايت مثلاً؟

تهرت وأنا أقول:

كريد أن تعرفني من وليد.. ستأخذني يا نيلة.. ستأخذني..

أبعثت رأسي عن حضنها وقلت بانتهاب:

تسامحت إن تخلى عني.. لا أستطيع العيش بدونك.. إنه وليد قلبي أنا.. يخصني أنا..

إيه لي أنا.. أنا.. أنا..!

• • •

كنت قد حنكت سائر عن أمر عودتي إلى الجنوب مع رطد.. وألمعت عليه كني

يرافقنا.. وأعدت عرض فرصة العمل الكبيرة في مصنع أروي..

سائر كان في السابق يرفض الفكرة أما الآن فقد قبل العرض.. وطلب مهلة كني

يرغب أمور...

تلقنا على أن أمهله بضعة أيام أخرى لنهجز مهامه ويستعد للسفر...

وضيح سفر ووجته في هذه المدينة وأبعد علي لم يكن يروق لي منذ البداية.. ولكن الظروف لم تساعد علي لم شملنا في بيت واحد كما هم الأخوة الأتقاء..  
ودعته ونهيتني إلى المزرعة لأقابل أروي وأطباء وأقضي معهم بعض الوقت قبل السفر..

في المزرعة طبعاً كانت تتطرنني مشكتي الكبرى.. مع أروي..  
كنا أنا وهي تجلس بين الأشجار.. بعيداً عن مرأى أو سمع أي إنسان.. تحدثت بشأن كلامها الجنوني في لقاتنا القالت..  
اعتقدت أنه كان فعالاً مؤقتاً غير أنني وجدتها علي نفس الموقف هذا اليوم وقد نجلى الإصرار الشديد عليها..

أروي كانت علي غير سجيبتها.. غاية في التوتر والعصبية..  
اسمعني يا ولدي.. لا أريد أن نضيع الوقت والجهد في محاولة تغيير الموقف.. كل ما عليك فعله الآن وبشكل حاسم هو الفرار المصوري.. إما أن تأخذني أنا معك..  
ولأبد.. أو تأخذها هي معك.. ولأبد..  
كنت قد استسلمت طائفي في محاولة إقناعها بالتخلي عن حياها الجنوني هذا.. لكن تون جنوني..

قلت مظهلاً:

البراء الذي تفكرهين به لن أحمله حمل الجد.. أجد نفسي مضطراً لأن أتركك هنا مؤقتاً وأعود معها هي إلى أن تنتهي موجة الجنون الذي أودت بعقلك.. بعدما نتقني بعقل كل أمورنا.

أروي هتفت:

لا تقرب يا ولدي.. أنا أعتك بكل جنية.. إما أنا وإنا هي.. ولا خيار ثالث مطلقاً.  
الإصرار كان يتدلع كالنار من عينيها.. والثر لم تحرق عيني ورأسي فقط.. بل وأنتجت الآلام التي لم بالكاد هدأت قليلاً في معنني..

شبهت شيئاً طويلاً لأملأ صدري بالهواء وأضغط علي معنني.. ثم استمرت للهراء وخطوت مبتعداً عنها.

ولدي إلى أين؟

لم أردد.. وخطوت خطوة أخرى قالت:

عمل أنهم من هذا.. أنك قررت اختيارها هي؟

توقفت لحظة ولم أستجب.. ثم خطوت خطواتي الأخرى فسمعتها تقول بالفعال:

إنا قررت الذهاب إليها فلا تفكر بالعودة إلي ثانية.

عدت هذا الحد واستمرت إليها مذهولاً وهتفت بغضب:

ماذا تعنين؟ أروي.. أخرجني من رأسي هذه الساعة.. أكاذ لغير.. يااه عليك ماذا

تعلن بهذا القول!!

أروي حلفت بوجهي ثم قلت:  
تفصل!

فجاء... أصعب وأسى بارتجاج حاد إثر هذه الكلمة الفظيعة والفقر فهو وانقضت  
حذقتي أرسعهما...

ذهقت... صرخت... تصلّيت في موضعي... غير مصدق!!

نظمت وأنا لا أجزو على القوم بالكلمة من شدة فظاحتها:

"ماذا!! قولين غصص... تفسص... ماذا!!

أجابت أروي بكل ثقة:

تفصل يا وليد!

ولم يزني بزودها إلا زحواً فوق زحول...

بقيت الصلح فيها لو فت ما كان أطولها.. ثم أخرجت عبارات عشوائية من لساني:

كيف تجرأت يا أروي؟ لا بد أنك بالفعل قد جنت...!... ماذا!! كيف أطاعك

لسانك على القوم بهذا!! قولين... تفصل!!

صحت أروي فسرت حتى صرت أمانها وقت غير مصدق:

تفصل يا أروي!! هل قلت تفصل!!

أروي قلت وقد تغرر صوتها وجاء مبهوحاً:

كعم... فلعن.. إن نستطيع العيش.. أنا.. وأنت.. وابنة عمك.. موية... لقد خترتك..

وأنت من اختار التخلي عني من أجلها.

مددت يدي إلى ثراعيها وهزتها بقوة وصرخت:

تفصل!

وتليعت:

إن أنت يا أروي من قرّر كل شيء بجنونك.. أنت من رفضت العودة معي.. تعرفين

كم هي ظروفي حرجة هذه الفترة وعموماً عن حمل الهم معي فزيدن عاقتي أقالاً..

فزيدن عني تركه رخذ في بيت خالتها إلى الأبد!! هذا المستحيل بعينه... أنا إن أتخلي عن

مسؤوليتي عن ابنة عتي هذه تحت أي ظروف ومهما كان!

قلت أروي بغضب:

إن تخل عني أنا واحفظ ابنة عمك المعلقة العالمة... لأثابة.. خيبة قلبك فني لا

تخيل من الاحتفاظ بصورتها تحت وساتك!

هذا.. فار التور..

رفعت يدي وأوشكت على تسديد لكما قوية إلى وجه أروي، غير أنني توقفت عند

أخر جزء من الثابة.. وتركت يدي معلقة في الهواء..

أرؤي صارت تعلق بي بذهول فائق.. وتحول لونها إلى الأصفر من شدة الفزع..  
ولو كنت قد سدت ضربتي إلى وجهها لكنت فصحت فكتها الأسفل عن رأسها كلياً..  
تراجعت بفضني الكثرة، وقلتُ شيئاً فرايتُ الشجرة التي نلف إلى جوانبها تراقتنا  
بسلام..

وكالمجنون ضربتُ أمد اتصالها بعنف فخرّ مكسوراً على الأرض..  
ابتعدتُ سريعاً عن أروى لتلا لتلقها يدي بعظي شديد.. ذهبتُ أبحث عن العم إلياس  
فأقيتُ، والخلة يجلسان عند مدخل المنزل يصنعان السلك السعفة ويتبادلان كرة الحديث..  
عين رأيتي رجعت بي ودعيتني للطلوس معيها.. ولكنهما سرعان ما رأيا الشرور  
بتطير من عيني والعرق يتصبب من جبيني..

العم إلياس وقف وقال لفتاً:

أما الخطب يا بني؟

قلتُ بفضي:

عني أريد أن أعتك عن شيء..

وقد خرج صوتي سريعاً ما جعل الخلة ترفع يدها إلى صدرها..

قال العم:

أهدأ يا بني.. رجاء..

قلتُ متفعلاً:

أرجو أن تتكلم وتعمل شيئاً يوقف جنون ابنة أختك هذا..

الخلة وقلت بدورها هي الأخرى وقلت:

أما يحصل؟

العم إلياس خاطبني قائلاً:

الجلس يا بني هناك الله.. تبدو متفعلاً جداً..

والتفت إلى الخلة وطلب منها:

الضري بعض الماء يا أم أروى ياركك الله..

الخلة دخلت إلى المنزل على سطح لتخضير الماء، أما العم إلياس فعلق بي

مضطرباً وأمسك بزراعي محاولاً تهنتني، غير أنني سمعتُ تراخي وشددتُ على فضني

وقلت:

عني.. أروى.. فقلت عليها.. تهنتني.. بما أن أتركه ابنة عني في بيت خلتها

للأبد.. لو..

ولم أفر على إتمام الجملة.. فسأل العم:

ألم هذا؟

قلتُ أميراً متفعلاً:

لو انفصل يا عم..

العم ذهل ونظر نحوي بهتة قلقة.. فقلت:

يجب أن تكلمها... إنها مشغولة منذ عرفت أنني قلتُ من كان ابن عنتها.. والآن تريد علي إغلاء مسؤوليتي عن مكفلاتي اليئيمة.. التي هي أمانة في عفتي إلى يوم الدين..  
والآن سوف لن تستر معي بعد الآن..

العم كان ينظر إليّ بمنتهى الدهشة التي طغت علي أي قدرة له علي التعبير...  
قلت بعدة بالغة:

كأنا مع رباطي بها أو يرغد وكأنا لعبة يمكن تغييرها إن لزم الأمر... أليها يا عم.. أنه لا يحق لها وضعي بين خيارين عابثين كهذين.. ولا الاستهانة برباطنا بهذا الشكل المغزوي.. والتي لست من الاستهانة لدرجة أن.. أرمي بوصاية ابنة عنتي علي نحوي.. لو انفصل عن زوجتي.. فقط لأنهما لا تطيقان التعايش مع بعضهما البعض..  
واستكرت متصرفاً قبل أن أعطي العم فرصة للاستيعاب..

\*\*\*

ما زلت واقفة عند الشجرة... أنظر إلي الغصن المرمي علي الأرض... الذي كسره وليد عن جذعها قبل قليل...

كنتُ غارقة في الفروع... لا أعرف ما فعل أو كيف أفكر... وقد التصرف وليد غاضباً جداً مني... وسبهاً وموضوعي معه معلق وشديد الانتهاز...

أصبحتُ بحركة من حولي فنظرتُ في الاتجاه الذي سلكه وليد مغفراً وكئي ليفة أن يكون عاد... رأيتُ أنني وخطي بفيلان نحوي يكسو وجهيهما قلق الشديد...

كانتُ أنني تأسك بكأني مليء بالماء في يدها وفطرات منه تسكب مع خطواتها المضطربة. قبل أن تصيح في مواجيتي سيقا سزاليا:

لماذا حصل؟؟ أروي لماذا حصل مع وليد??

نظرتُ من بين فروع إلي عينيها وعيني خالي... وقلت:

لقد... طلبتُ منه... أن... يتصل عني..

وأجهشتُ بكاءً واستندتُ إلي الشجرة التي ضربها وليد. لم أكن أسمع غير صوت يكاني إلي أن سمعتُ صوت خالي يهتف:

ليدا... تعاسكي..

استكرتُ إلي أنني فرأيتُ الكأس يقع من يدها ورأيتها تضغط علي صدرها وتلتفت بصعوبة... ثم تتراجع وتغرّ علي الأرض.

\*\*\*

استقبلتني ابنة خالة رغد الصغرى وقاتلتني إلي منزل المجلس الجاني.. لم يكن حمام ولا أبوه موجودين ساعة وصولي.. وعند المنطل وجدتُ أم حمام تلف في



انظرونا... كنت أعرف أنها غير راضية عن سفر رعد وخشيت أن تعود لفتح موضوع اعراضها في هذه الساعة... والصداق مثلاً على رأسي بعد شجارى مع أروى، ولا ينقصنى الآن أي جدال... وبعد تبادل التهمة دخلنا إلى الدارل وأقمنا مجلسنا وأخبرتني أن لها حساب في الطريق إليها.. تم سألته:

هل رعد مستعد؟

أجابني وفي ثوبها شرة من عدم الرضا:

نعم، جمعت أشياءها بمساعدة ابنتي.. إنها بالتأكيد تتحرك... يثق السفر عليها مع هذه الإجابة.

أرجوك! لا تقمى الموضوع ثانية الآن!

قلت لتلاً أودع لها الفرصة للبدء من جديد:

إن هلاً أظن أنها يومسولي من فضلك؟ لا يزال أمامنا مشوار طويل.

الفتاة الصغيرة خرجت من الغرفة فوراً... ذاهبة لاستدعاء رعد.. لنا لم حساب

سألت:

وإن زوجك ووالدتها؟

استغربت السؤال وأجبت:

في العزرة.

قلت مستغربة:

حسبت أنك قائم من هناك.

قلت:

نعم، كنت هناك.

سألت باستغراب أشد:

ولم لم تعضرا معك ميائرا؟

قلت مستغربة:

ولم؟

بدأ القلق على وجه أم حساب مع بعض الحيرة ثم قلت:

إن تصطحبونها معكم؟

قلت:

كلا.. إنهما لن يسافرا معنا الآن.

قسمت حنقنا أم حساب والتفكيرات ملامحها وقالت:

إن يسافرا معكم؟ ماذا تصد يا واليد؟

قلت موضعاً:

إن يسافرا حلياً.. لكن.. سالتحان بنا بعد فترة.. تودان البقاء في العزرة أيضاً

أخري:

تعبيرات وجه أم حسام ازدادت ثوراً واضطراباً وقالت:

و... ولهدأ

فهمت منها إنها قلقة بشأن من سيحتني بالصغيرة وهي مصابة هكذا.. فقلت:

كفيها خدمة لتساعدنا.

أم حسام قالت فجأة وبانفعال مهول:

أفريد تقول.. إنك.. متسافر مع الفتاة.. بمفردكما؟

أجمعت السؤال لسألي.. وفي ذات اللحظة رأيت أم حسام تهبنا واقفة وقد تنثر الشرير

من حولها وتقول بصوت جلاء:

هل جئت يا ولهدأ أفريد أن تأخذ الفتاة بمفردنا إلى المغرب؟

وقلت تباعاً وقد أسألي الماهول من أمر الفتاة وأردت أن أتحدث عبر أن كلامها

أعزق المسافة الفاصلة بيننا بسرعة العرق وزلزلة القرد...

كفت أظن أن عطيتك وواليتها سترافقتكما كما في السابق...!

كسفت بسرعة:

تسلفان بما هنا قريب.. وكذلك سافر.. لا يمكنني تركه العمل أكثر من هذا.

رئت أم حسام:

وأفريد علي أن أتركه ليتي تسافر وتعيش هناك لوحدها معك؟ هل قلت صوابك يا

ولهدأ؟

فراشكت واضطريت كل ذرات كيانتي.. تحولت لوني إلى الأحمر وتفتزت قطرات

العرق على جسدي كله.. حاولت النطق:

أخافني:

غير أنها قاطعتني بعدة وقالت سارخة في وجهي:

كفي.. هذا ما كان يلفسني... لم يبق إلا أن أتركه ليتكفم بمفردنا مع رجل

غريب.. من تظن نفسك يا ولهدأ كيف تجرؤ؟

تسفتت على وضعي مذهولاً.. مكثرت النغم طائر التواد محسناً العينين... لا أتكف

أفهم ما أسمع..

تسلست... ما.. ماذا... رجل غريب؟ أفأنا؟

صاغت أم حسام بوجهي:

كعم رجل غريب.. أظن أن الوصاية على الفتاة تبعك أياها حقاً؟ ألق يا هذا... لم

لأنها فتاة يتيمة وحيدة تظن أنه بإمكانك التصرف بشأنها كما يحلو لك وإن أهدأ أن يوقفك

عند حدودك؟ أصبح يا ولهدأ.. يا سيّد ولهدأ... يا محترم.

كفبت الكلام كسظمة غريبة غريبة على وجهي... النار كانت تشتعل في عيني أم حسام

وفي صدرها القنات بالصراخ... حملت بها متحولاً... غير مصدق لما أسمع... ما الذي  
تقوله هذه المرأة؟

كان صدري لا يزال يحس النفس الأخير الذي التقطه وسط النار... أطلقت نفسي  
بالنفاخ بقوة وهتفت:

أنا الذي تقولينه يا عذبة!

الغضب كان يتطاير من عينيها ومن عيني أنا تغمر بركان تاتو مشرق...

أنا الذي تقولينه بي؟ أنا ولدي... أين شاكرو ودي... ولست إنتاج وتربية  
شوارع... أنا تقولين لي هذا الكلام؟ لقد تربيت بين أبنائك ونحت نظريتك... وكذلك لا  
تعرفين من تكون؟ أم لأنني نحت السجن بضع سنين تقطين أنني خرجت منه فلسفاً قراءاً  
لا يعرف حدوده ويتجرأ على حرمانك الغير...؟ إنها ابنة عتي... تعني وحرمتي أنا...  
والأمانة العظمى التي في عتي... كيف تحركين عني القطن بي هكذا؟ إن أظن لك هذه  
الإهانة... أبداً.

وسرت مبتعداً عنها متجهاً إلى الباب... وفي طريقي استطعت بطولها لما كان عني  
إلا أن رفعتها وقبعتها رأساً على عقب ورميت بها بقوة بعيداً...

فلمعت الباب بقوة وصنعت بالجدار حتى كنت أكثرهما سرية... ثم خرجت بسرعة  
مظفراً المنزلي... ساءت حسام عند البرية... ففعلت بعيداً عن طريقي... ثم ركبت  
سيارتي وأطلقت بالنصي سرعة... نحو المطار...

\*\*\*

ونحن نسير نحو غرفة المجلس سمعنا صوت انفلاق باب قوي... القشعرات له  
الجدران والتريات!

أبداً حتى كنا نتعاونان في حمل حقيبة سفرى وأنا أسير بعكزي حاملة حقيبة يدي  
على كاهي إلى أن وصلنا إلى الباب... الاكبتان علفتي وودعتني وانبعثتا...

طرفت الباب الداخلي لغرفة المجلس يبدو ثم فتحة وأطلقت بعيني في شوق لروية  
واليد نفسي...

مسحت الغرفة بعيني طولاً وعرضاً وارتقاعاً... ولم أعر على ولدا

لكني رأيت إحدى الطاولات مطوية والتحف الزجاجية مكسورة على الأرض!

ورأيت خلفي تلف عند الباب الخارجي للمجلس، ثم رأيت حسام يدخل وهو يسأل:

أما حدث؟

وسمعت خلفي تسأل:

أهل خروج؟

قال حسام:

أضربني بيده وخارج! ماذا حل بهذا الرجل بحق السماء؟

قالت خالتي وهي تُغلق الباب وتقلقه بعد دخول حسام:  
 لا أعرف معن ويرث هذا المتعجرف غلظته! لا ياسر ولا شاكِر وحميها الله ولا  
 سامر يحفظه الله فهم شيء من الغلظة... بل هم في منتهى التذيب والتلف والهدوء...  
 لنا هذا... أعود بالله مشوحتن وأفروق... انظر ماذا فعلت!  
 وهي تشير إلى الأرض...  
 فتحت لنا الباب وتقدمت إلى الداخل في قلق وتساؤل... وأخفت أمتي في خالتي  
 وأسأل:

ماذا حدثت؟

وكان وجه خالتي يتقد انصرافاً فرمطني بنظرة سائلة ثم انعدت إلى الأرض ترفع  
 قطع الزهريّة المكسورة.  
 عدت وسألت:  
 أين وليد؟  
 أجابت وهي لا تنظر إلي:  
 غاب!

ماذا؟ غاب؟ ماذا تعنين بغاب؟

سألتها:

غاب؟

قالت بغضب:

نعم غاب... عسى ألا يعود!

هتفت بفرح:

أعود بالله... لماذا خالتي؟... ماذا حصل؟

قالت وهي ترفع نظرها إلي وتتكلم بعصبية:

إنه مجنون... لا يعرف حدود نفسه... يظننا سنتركه يتصرف كيفما يريد... مشط

لفظ وحيف... من أين أتى بكل هذه المعرفا والوحشية؟

حسام عقب مباشرة:

من السون قطعاً!

التعلقت عصبياً وأفجرتُ بشدة:

لا تتحدثا عن وليد كهذا... لا أسمع لكما...!

ثم تقدمت نحوهما وقالت:

الخير في ماذا حصل؟

قال حسام:

ألا ترين؟

مشيراً للطائرة المقوية على الأرض.. والزجاج المتناثر حولها...  
قلت:

وليد فعل هذا؟

ووقعت خطايي لخالتي التي لا تزال جالسة على الأرض تعلم ما تبعد..

لكن لماذا؟ ماذا حدث؟ هل تشاجرت معه؟

خالتي وضعت ما بيدها جانباً ووقفت وقالت:

نعم تشاجرت معه.. وفضب وصرخ في وجهي وقلب الشيا رأياً على عكب وخرج  
تتراً كالبركان!

قلت بسرعة:

لماذا قلت له؟ هل أبعته تلبية؟ خالتي..!! إلى أين ذهب الآن؟

رنت بعداً:

إلى حيثما ذهب.. بلا رجعة.

قلت متفلة:

بعد ألف شر... خالتي لا تقولي هذا تلبية يكفي أرجوك!

وصعدت إلى حقيبة يدي واستخرجت هاتفي واتصلت بهاتف وليد..

كان الهاتف ينظر رأسي بشراسة وما إن رن الهاتف حتى كان قد أتى على قراي  
الذهبية كاملة...

الهاتف رن مرة ثم أخرى ثم انقطع الاتصال.. عاريت الاتصال فوجدت الهاتف

مغلقاً.. عاريت الاتصال عدة مرات.. الهاتف ظل مغلقاً..

قلت لأعاطب خالتي:

أطلق هاتفه!

ثم سرت نحو هاتف العزل الموضوع على منضدة في الجوار واتصلت برقم وليد

مركز أخرى.. فون جنوى..

قلت بعصبية:

الهاتف مطلق يا خالتي ماذا قلت له؟

خالتي تنهدت ثم قالت:

اعترضت على بفره معه!

صدمت.. حملت فيها مندعة وسألت:

لماذا؟ لكن لماذا؟ تعرفين أنه أت لأخذي لماذا تغير؟

قلت خالتي وقد عاد الانفعال على وجهها:

إن أسمح له بأفدك معه يا رعد.. سلقين معي ونحت عيني.. سأضع حداً لجلون

لهذا المسألة!

تركنتي خالتي في إحصار الحيرة والهباع واشتغلت بتكليف وترتيب الطاولة وما حولها متجاهلة لسؤالاتي... معاً زائني بقينا فوق اليقين بأن ما حصل كان لمرأ خطيراً...  
خالتي أرعوك! أهمني ما حدث!! ماذا فعلت؟ ماذا قلت؟ لا!! بالله عليك أخبريني!"

وهذه المرة حسام سألني وقال:

"الغريب ما حدث يا لتي?"

خالتي قلت أخيراً:

"تصوراً.. كان يريد أخذ رعد بمفردها إلى بيته! دون خطيئته ولا وادتها..! يظن أن الوسيلة كافية لتجمعه مثل أيها.. يقيم معها بمفرده أينما يريد".

قلت حسام مستكراً:

"ماذا ماذا!! يقيم معها بمفرده هكذا بكل بساطة!! يا سلاماً من يظن ذلك المعثور

نصفه!!

خالتي قلت:

"ويكلاً جرأة يخونني بأن خطيئته لن تسفر معه.. بلا حياة ولا لياقة.. ولنا اعترضت نارت نائوته وزلزل المنزل.. وقلب الطاولة بالتحض.. المسجون!"

تسخرت في مكاني مصعوفة بما أسمع.. ثم قلت:

"لكن.. لكن.. إنه.. إنه الوصي علي".

قالت خالتي بغضب:

"الوصي عليك شيء وأن يقيم معك بمفردهما في بيته شيء آخر..."

قلت مذهولة:

"خالتي!! إنه ابن عني".

رنت مقطعة:

"وحتى لو كان ابني... مجنونة أنا كي أدعك تقمين بمفردك مع رجل غريب؟ حتى لو كان حسام أو أبا حسام.. هذا ما كان يقصدا".

قلت وأنا في ذهولي:

"ألا... تخين به؟"

رنت:

"أبي بمن!! بهذا!!"

وهي تسير إلى موضع الطاولة... ثم أضافت:

"الموحيش المتعريف خرج المسجون!!"

عندها صرخت من أصداق قلبي:

"يكفي... يكفي... لا تتحدثي عنه هكذا... لا أسمح لكم بإهانتته... لا أقبل أن تصفوه

بهذا... لستم لا تعرفون شيئاً..."

والتفتت الساعة واتصلت من جديد والأصناف كان هاتف وايد معلقاً... أهدت  
الاتصال مرة ومرة ومنه... والهاتف لا يزال معلقاً...

يا إلهي... وايد ظني غائيباً ولا يريد التحدث معي!!  
نظرت إلى الساعة... الوقت يمرّ ومن المفترض أن تكون في الطريق إلى المطار...  
اتصلت بهاتف سامر ولما رد عليّ قلت بانصطراب:  
هل وايد معك أو اتصل بك!!

استغرب سامر السؤال فسألني:

13 غادر منذ الظهر... أليس في المزرعة!!

قلت بلوا:

كان هنا في بيت خالتي ليصطحبيني إلى المطار، لكنه غادر من دولي... اتصل به  
ولكنه مطلقاً حاتفه... أرجوكم حاول الاتصال به وبالمزرعة وانظروا منه مهاتفني فوراً...  
سألني وقد تجلّى القلق في عينه:

هل حدث شيء يا رعد!!

نظرت نحو خالتي وأجبت:

تساخر مع خالتي... لكن أرجوكم قلّ له أن يتصل بي للضرورة.

صعدت سامر لحظة ثم قال:

تصلاً.

وأهينا المتكلمة وبقيت جالسة على الحجر فتأكدت أنظر اتصال سامر، وهاتف المنزل  
وهاتف المحمول كلاهما في حضني... فيما عيادي محمقتان في ساعة يدي...

مرات التفتي لتمعن بعضها بعضاً... والهاتفان لا يرتان...

ثم ألقى صجراً حاولت الاتصال بوايد نون جنوي واتصلت بسامر فقال إنه لم يجده  
في المزرعة وأن هاتفه المحمول مطلقاً طوال الوقت...

في هذه اللحظة حضر زوج خالتي وعلم بما حصل وبدوره صار يحاول الاتصال  
بوايد عبر هاتفه بلا فائدة...

مضى الوقت... ولا من خير من أو عن وايد...

تهدأت ظني الخفة في التباطؤ... أطرافني ترتجف خوفاً وقلقاً...

أنتظري منبركة على الهاتفين وعلى الساعة... والآن لم تعد عيادي بقائرتين على  
الرؤية... الضباب كثيف... لا بل هي قطرات الندى... لا بل التبرج... تريد الاتصال من  
محمري...

وبعد ما يقرب الساعة... رنّ هاتفى المحمول... نظرت إلى الشاشة فراءت اسم  
سامر...

أجبت بسرعة:

لعم سامر هل كلكم؟؟

قال:

كلا.. إني الآن عند باب المنزل..

المنزل؟

أعني منزل خالتي... هل حسام هناك؟

ومكثت من حسام الذهاب لاستقبال سامر... ففكرت خالتي المجلس وعاد حسام مع

سامر... والأخير بدأ بالتمعية والسؤال عن الأحوال ثم سأني مباشرة:

لماذا حدث؟؟

قلت بشكل غير مرتب:

"خرج غاضباً... إني خالتي... إنه موعد إقلاع الطائرة... هل سامر يتوني؟؟"

رأى سامر اضطرابي فحاول تهدئتي ثم قال:

"إن يفعل ذلك... لكن الخبر يني ما الذي حدث بالضبط؟"

قلت متلعلة:

"خالتي تشاجرت مع... إهم يسمون عليه ولا يحترمونه ولا يتقون به.."

أمر حسام قال مدالفاً:

ليس الأمر كذلك لا سمح الله... إنه لينا مثل حسام ومثلك يا سامر ولكن أم حسام

جئن جنونها منذ رأته الفتاة بالعكاز والجيرة... تعرف كم تحب ابنة أختها وتقلق عليها ولا

تريدها أن تبتعد عنها..

قلت بغضب:

لكن لا ذنب لوليد فيما حصل لي... لماذا تنظرون إليه هكذا؟؟ إنه يعني بي جيداً

ويعاملني بكل احترام وحنان وأنيب... وأنا لا أسمع... لا أسمع..."

وأخذت شبيهاً بالكأ ثم زفرت نفسي مع دموعي:

"لا أسمع لأحد بأن يهينه... ولا أقبل بأن يبعثه أحد بالمعصوم... أتم كلكم فساف..."

كلكم بلا مشاعر... كلكم ظالمون.."

انخرطت في بكاء لم أكن بحاله أمام أحد مسبقاً... غير نيلة...

الثلاثة.. سامر وحسام وأبوه التزموا الصمت للناطق الأولى.. ثم تحدث سامر

مقاطعاً الآخرين:

بعد إنكما... هل لي بحدث خاص مع ابنة عني؟

وشعرت بهما يفكران... ثم شعرت بسامر يقرب مني وسمعتة يناديني...

مسحت دموعي ونظرت إليه فقال:

"أهيموني يا رعد... ما الذي يدور ها هنا؟"

قلت مقطعة:



هل تعتقد أنه سافر؟

سامر قال:

لا. كيف سيسافر ويتركك؟

قلت:

إن لم ألقه قبل مائة ساعة.. لا شك أن الطائرة قد أفلتت منذ فترة...  
ولمعت في رأسي فكرة فقلت:  
اتصل بالمطار واسأل عنه.

ولما أرقب سامر وهو مشغول بطلب الرقم تلو الآخر... سمعته أخيراً يتحدث إلى  
الطرف الآخر باعتناء، ثم شكره وأعطى الهاتف...  
نظر إليّ وعيناي متعلقان به بلهفة... ثم قال:  
أين... أنه قد سافر بالفعل يا رعد!

سامر!!

قال سامر:

الموظف أكد لي أن اسم وليم شاكس جليل... أخرج مع قلعة أسماء المسافرين الذين  
ركبوا الطائرة المتجهة إلى الجنوب.

نظرت إليه بثلثت... بضياع بعدم تركيز... بعدم تصديق... بالهيار..

!!

سامر كان ينظر إليّ بقلق وخوف...

قلت:

ولماذا؟

لا زال سامر ينظر إليّ.. والتعاطف يهيق من نظراته...

كثرت:

ولماذا ماذا عني أنا؟

سامر قال:

وليد لن يفعل شيئاً كهذا لسبب ناه... أخبروني ، إذا حصل بالتفصيل يا رعد!

لا أعرف.. أخبروني بأنه وصل.. فالتيتُ إليّ هنا ولم أجد.. رجل فجأة.. تشاجر  
مع خالتي خالتي بقلق محدود.. وغار غضباً.. خالتي أعلته.. لا أعرف ما قلت  
بالتفصيل لكنها عارضت سفري معه بدون التفراء.. لا بد أنها رحمة بالفاظ قاسية... إنها  
تكرهه ولا تثق به.. تعزوه بالمهربي.. وشعته بالمترحمي وخروج السمون.. وكلمات جارحة  
ومبيهة... أه يا إلهي.. وليد لا يستحق هذا!

وأخفيت وجهي خلف يدي اليسرى من مرارة المواقف.. وعصرتُ عينيّ دموعاً

شجيرة... ..

أجسدت بشيءٍ يلامس يدي ففتحتُ عيني ورأيتُ مثليلاً لعداءِ يد سامرٍ نحوي.. ..

"هوكي عليك يا رعد؟"

قال سامر موانياً.. ..

أخذتُ المثلثون ومسحتُ نموعي ثم قلتُ:

"ماذا فعل الآن؟"

قال سامر مطمئناً:

"اعتماً يعمل إلى المنزل سنهاقه... لا بد أنه كان غامضياً... لكنه سيهدأ.. ..

قلتُ بلهفة:

"هل نزلت أنه سيبرد؟"

قال:

"بل أنا على يقين من ذلك.. .. طمئنتي.. .."

ثم انطرق برأسي إلى الأرض وشرد قليلاً.. .. ثم قال:

"تم لكن أعلم بأنهم يسيرون إلى أخي.. .."

نظرتُ إليه فإذا بالاستهواء الباع بعشش على سمعات وجهه وإذا بكفيه يتقيضان بشدة

غضبياً.. ..

نظر إلى والقي على سؤالاً:

"أنت من أخبرهم عن سجنه؟"

انطرفتُ برأسي.. .. وأومأتُ نعمياً.. .. وكانت نظرات الاتهام تتبع في عيني.. .. وأهل أن

أنكم سمعنا صوت خفاقي تلقى بالتمعية وهي تطل علينا عند الباب.. .. فتقتنا إليها فإذا بها

تقبل يتبعها حزام يعمل صينية كواب لتشاي.. ..

وبعد حوار سريع ومطمئني سألت:

"هل ردت عليهم؟"

قال سامر:

"ليس بعد فهو في الطائرة الآن.. .."

قالت:

"إن فقد سامر؟"

ثم أضافت:

"رأفته السلامة.. .."

لم أحصل ذلك.. .. هبتُ ولففة حانة بالانصراف.. .. فإذا بسامر يهتف وأنا هو الآخر

ويستأذن للمغادرة.. ..

نداء حصار:

والشاي ٢٢

فرد مقتضياً:

في مناسبة الضل:

وغابر المكان...

في الرعدة... رأيت حفية سفري لا تزال واقفة قرب الباب... تنتظرنني.. أضحكتُ

بوجهي بعيداً عنها فاستقبلتني أعين ابنتي خالتي اللتين تقفان علي بعد فراغي...

وبعد عناق الأعين جاء نور عناق الأترج والأحضان...

وليد قلبي... سفر ليس فقط من دولي... بل ودون وداعي... ودون أن يتكلمني...

ودون أن تقع عيناك عليه ولو نظرة أخيرة...

• • •

تسع ساعات وأنا أعاود الاتصال بشقيقي من حين لحين وبجميع الأرقام التي لدي

فون نتيجة.. أخذت ألقى بفناني في صديري، خصوصاً وأن رغد اتصل بي مراراً وتكراراً

الأمر.. حتى أنها اقترحت علي مهالفة صديقه سيف غير أنني عرضت الفكرة وطلبتُ

عنها الانتظار حتى صباح اليوم التالي.

وفي الصباح اتصلتُ بهالفة فوجدته لا يزال مغلقاً، وبالمزول فلم يجيني أحد، ثم

بهواتفه المباشرة في مكتبه في مقر عمله، فأخبرتُ بأنه لم يحضر وبأنه قد اتصل بهم قبل

فترة وأبلغهم عن عودته من السفر...

حتى الآن أعرف الآن أنه وصل إلى المدينة الساحلية بسلام..

اتصلتُ برغد وأخبرتُها بالجنيد وكنتُ أظن أنها ستترتاح للخبر غير أنها أزعجت

وحزنت كثيراً..

كان أخي قد قضى في شقتي عدة أيام وقد كانت أيضاً جميلة انعمت في صديري

التكريات الماضية التي لن تعود.. الجميلة والمؤلمة معاً.. وكان أشد ما يهتماً هي تكريبات

والتيها ورحمهما الله..

ثم تعدي سنة بعد علي مصرعهما.. والثر لا تزال تتألمح في صديري.. وإن تعمد

ليداً..

وهو السبب الأول الذي كان يمنعني من العودة إلى المدينة الساحلية والعيش في بيتنا

القيم المليء بالتكريات.. مع شقيقي الذي ما فتئ يعذب هذا علي..

أما الثاني فهو ولا شك رغد..

وفي هذه المرة ألح علي شقيقي للسفر معه وأبلغني بأن خطيبته لن ترافقه وبأنه لا

يستطيع تركه رغد في بيت خالتيها فهي بحاجة لمساعدة العلاج وكذلك الدراسة..

وقد خطبتُ جدتاً للحاق به عما قريب.. خصوصاً وأنا أرى أنه من الأفضل لي

الابتعاد عن هذه المدينة لبعض الوقت..

لكنه وجدني في مقر علي في المدينة التجارية حاولت الاتصال بهاتف شقيقي  
والمطالبة كان مفتوحاً.

وبعد عدة مرات قبل أن يجيب وليد أخيراً:  
"السلام عليكم".

"مرحباً صابر... وعليكم السلام ورحمة الله".  
وكان صوته منبهكاً.

"كيف حالك؟ وحيداً؟ علي سلامة الوصول؟"  
"نعم الله".

وبعد بضع قصيرة وعلي عجل.  
سألته:

"ما هذا يا وليد! كيف مرة اتصل بك؟ وعملك معلق؟"  
"نعم، لقد تركته معلقاً منذ أمس".

سألته:

"الافتقار.. ماذا حصل؟ هل أنت بخير؟"

"نعم.. نعم".

قلت:

"كنت مشغولاً".

أجاب:

"أجل..".

قلت:

"حسناً.. سأتصل لاحقاً.. أرجوك لا تغلق الهاتف..".

"حسناً".

وأنيبنا المتكلمة ومباشرة هاتفاً رعد وأخبرتها فليخفي بأنها ستصل به فوراً.

بعد قليل اتصلت بي وأخبرني بأن وليد لا يجيب. أبلغتها بأنه مشغول واقترحت

عليها الاتصال بعد ساعة أو أكثر.. واتصلت بي بعد ساعة ثم بعد ساعة أخرى تخبرني

بأنها كلما اتصلت بهاتف وليد وجدته مفتوحاً ولكنه لا يجيب.

علي هذا النحو مرّ ذلك النهار وفي الليل اتصلت به ودار بيننا حديث قصير امتنع

فيه وليد عن ذكر ما حصل يوم أمس.. أظهر لامبالاة غريبة عندما حدثت عن رعد.

بالختصار.. شقيقي كان غاضباً جداً من عائلة الخالة لم حساب بما فيهم رعد ولا

يرغب في الإتيان بذكر أي منهم.. علي الإطلاق...

كان هذا غريباً لكن الأغرب.. أنه وبعد يومين بحثت في بطرف عبر البريد الجوي

الموثق... بحوي وثائق غامضة... طلب علي الاحتفاظ بها... وأخبرني بأنه مسافر إلى

خارج القلعة للاستحمام.

الطرف كان يعوي ظريراً طيباً مفصلاً عن إصابة رعد.. وصوراً لبطاقته العائلية  
الشملة لاسم رعد.. وشيكاً مصرفاً يطلع كبير.. وثوكيلاً مؤلفاً باسمي لأتولى الوصاية  
على رعد.. خلال الفترة التي سيقضيها في الخارج..

هكذا سافر وليد قبل أن يتركه لنا المجال للاستيعاب..

ويمكنكم تصور وقع شياً كهذا على الفتاة التي كانت تشرق رمداً من أجل مهافتها..  
والتي تلتوي شوقاً لعونته.. وتتصل بي عشرات المرات من أجل السؤال عنه..

عندما رأيت ما حلّ بها.. ثقّيت في مخطّتي تكريماً للهبة الأخرى.. كانت مركونة  
بالعمال في إحدى توابات تماشي..

حدث ذلك قبل تسع سنين عندما كنا في المدينة الساحلية في بيتنا القديم.

بعد أن غادر وليد المنزل، أصبحت رعد بحالة فقدت مرتسية إليه.. في تلك الفترة  
رفضت الذهاب إلى المدرسة وصارت تلتزم والنتي كالمطلّ حتى في النوم وتراودها  
الكوابيس المفزعة وتضجر من النوم مفزوعة وتصرخ (أريد وليد.. أريد وليد)

كانت أشبه بالمذمورة وقد أخطأها المستشفى بسبب رفضها للطعام وزاد الأمر سوءاً  
الحرب والتدمير الذي تعرّضت له مدينتنا وجعل الناس جميعاً يعيشون حالة ذعر  
مستشري..

ومن سنين إلى أسوأ تدهورت حالتها حتى فرز والذي رحمه الله الهجرة إلى الشمال  
الذي كان ينعم بأمان حتى العام الماضي..

ومن سنين إلى أسوأ تدهورت نصبة رعد بعد سفر وليد المطامر هذا ووجدت نفسي  
أعاصر إحدى أسوأ الفترات العصيبة التي عاشتها من جديد..

• • •

هذا ذلك اليوم المشؤوم.. الذي رحل فيه وليد بعد شجاره معي.. ووالنتي طريحة

الفرش في المستشفى والأطباء قرروا إجراء عملية جراحية لها المريضة.. أخيراً..

كان خالي يواظب على الاتصال بوليد الذي لم يكن يجيب.. حتى ردت اليوم وأبلغ  
خالي بأنه مسافر إلى خارج القلعة ليضعة أسابيع.

تدهورت صحة والنتي لنا طمت بالخبر من خالي.. وها نحن نجلس إلى جانبها في  
غرفة العناية الطبية المركزة.. والطبيب يفي كلمة الأوكسجين على وجهها ويمسحها عن  
بذل أي مجهود يتعب قلبها.

لما أسبكت يديها أضمتها إلى صدري وأقبلتها وأدعو الله أن يشفيها عاجلاً..

لثقت والنتي إلى وسألتني:

لم تتصلني بزوجه؟

فأجبته:

كلا.

قلت:

"هل تعلم بأنني في المستشفى؟"

قلت:

نعم. فقد أخبره خالي بذلك.

ونظرتُ إلى خالي الذي حرك رأسه مؤيداً. قلتُ لني:

"إن لماذا لا يحضر زيارتي؟ ليس من عادته التخلُّف في مواقف كهذا،

أجاب خالي:

"لأنه مسافر حالياً."

فنظرتُ إليّ وثقتُ على يدي وقلت:

"يا ابنتي.. هل تخفون علي شيئاً؟"

قلت:

كلا.

ولكنها بدت متشككة واستأذنتني إلى خالي وسألت:

"هل تخفون علي شيئاً يا ابنتي؟"

قلتُ لخالتي:

"كلا يا أم لروى، ماذا سنخفي عليك مثلاً؟"

قلت:

"ربما حصل شيء... بعد ذلك الشجار... ربما ولدتُ نطفة لروى... لا أريد أن

أرحل وأنا غير مطمئنة على ابنتي."

فربتُ رأسي من رأس أبي وألذتُ لحنها وأقول:

"لا تقولي هذا يا أمي أرجوك."

وهي تتابع:

"الأصغر بيد الله.. نسأله حسن الخاتمة."

ثم أتمالك نفسي وقامتُ النموع في عيني.. وقلت:

"أرجوك يا أمي لا تتعنتي هكذا.. شكلي الله ومد لي عورك.. أنا من لي عورك في

هذه الدنيا؟"

وأصصتُ بيدي ثمًا وتلامس يدي ثم سمعتها تقول:

"لك زوجك.. وخالك.. ووالدك الله."

ثم التفتُ إلى خالي وقلت:

"أبي يا فرقة عيني.. أحضر ولدي وصلحهما أصح الله لك عورك.. الشاب جيد ومن

خبرة الرجال وأنا ما كنتُ أصدق أنني وجدتُ من أطمئنه على ابنتي مهجة قلبي."

خطي مسح على رأس لتي وقال:

لا تشغلي بالك بهذه الأمور يا أم أروى هناك الله.. إنه شجار عابر يحصل بين أبي  
زوجين ويختفي..

لكن لم أبحث عدم التصديق مخالطة خطي:

لا تدعه يذهب يا إلياس.. ما كان نادم لطلب من شخص عادي أن يهتم بعائلته..

ثم التفت إلي وقالت:

لو لم يكن رجلاً بمعنى الكلمة.. لما تسكك بالمسؤولية عن ابنة عمته البهيمة بهذا  
التفكير..

وشئت على يدي وقالت:

تسكتي به يا أروى.. لا تغرتني به.. يهديك الله..

\*\*\*

حصلت على أقرب مورد ممكن مع أحد أطباء العظام في إحدى المستشفيات الكبيرة  
في المدينة الصناعية واليوم سأخذ راحة من أجل المعالجة ومتابعة العلاج.

استخرجت الطرف الذي أرسله لي شقيقي قبل سفره وقلت الأوراق لاستخراج

التقرير الطبي.

وأثناء ذلك نظمت على سجل الأوراق وبشكل أخص على ورقة التوكيل. كانت

ورقة رسمية وموثقة من قبل مكتب المحامي بولس المنذر وهو شخص سبق لوليد وأن  
أخبرني بأنه يعمل معه في المصنع.

تكر في هذا التوكيل أموراً كثيرة يفترض توليها وهي الأسفل نُكرت جملة

الاستشارات.. وفي الواقع لم يكن هناك غير استشاريين اثنين...

الزواج والسفراء

وبحالة يا وليد!

وهل تعلم مثلاً أنني سأستخدم هذا التوكيل وأعيد راحة إلى ذمتي وأغرب بها بعيداً??

ليتي.. أستطيع ذلك..

أخذت أوراق التقرير الطبي وذهبت إلى بيت أبي حسان.

تعبت أن أقابل راحة بحالة العمل ولكنها كانت بحالة يرثى لها..

لا أريد أن أذهب إلى أبي مكان.. ومن فضلك يا سامر لا تضغط علي..

هذا ما استقبلني به قلت:

أترك راحة لا بد من معالجة إسابتك ومتابعة علاجك.. هل إنني أخشى أن تكون قد

تأخرنا وتسيب نفسك أو بنك شيء لا فكر الله.

قلت بلانبالا:

لا فرق عندي..

أن أبدأ الجهد في محاولة تشجيعها ففكرتها أتد كآلة من أن تتغلب كلماتي عليها...  
لكلني قلت بوجاهة:

يا رعد.. يجب أن تزور الطبيب حتى تتخلصي من هذا العنكب وهذه الجيرة.. هل  
يعجبك أن تغلي شعلة من الحركة الطبيعية ومحتاجة لمساعدة الآخرين في أبسط  
الأشياء؟

وكانت الأنسة نهلة تجلس معنا وسترافقا إلى المستشفى، فقالت مشبعة رعد:  
"علي العكس، إنها تريد التخلص من عنين بسرعة. ليس غفلة؟ أتناقت إلى الرسم  
وتروق لغتها فراتحا هيا بنا عزيزتي".  
لكن ردة فعل رعد جاءت عنيفة:  
لفجرت صاخبة:

قلت لنكما فركاني وشغلي... لا أريد الذهاب إلى أي مكان... إلا إذا شئنا حملني إلى  
المقبرة ونفني تحت الأرض... لأرناح وأربحك جميعاً...  
قالت الأنسة نهلة بعد لحظة:  
بعد ألف شرا لا تتكلمي هكذا يا رعد.  
فركت رعد بالفعال:

نما لم يعجبكم كلامي فحلوا علي... لماذا تضغطون علي؟ أتركوني وشغلي...  
أتركوني وشغلي..."

وهنت بمفكرة المجلس حيث كنا هي وأنا والأنسة نهلة جالسين... في ذات الوقت  
دخلت الخلة أم حسام العرفة وهي تنظر نحو رعد ويظهر أنها سمعت صوتها الصارخ  
وكلامها الزاجر...

لغا رأيت رعد خافتها تصرفت بعصبية أكبر وغرقت اتجاه نحوها واستارت نحو  
الباب الخارجي للمجلس وخارجت إلى الفناء...

أم حسام لحقتها بسؤال:

إلى أين يا رعد؟

والأخيرة ردت بعنف:

إلى حيث ألت.

وهذه إجابة وبأسلوب لم أعهد علي رعد، فهي لطالما كانت تحب خالتها وتعاملها  
بكل احترام ومودة كما وأن رعد فتاة مهذبة وعائلة الطبايع وراقية الأسلوب، هذا تحول  
غريب في شخصيتها صغفها به حزنها وشغفها بسفر وليد.

وبعد أن التصرفت رعد خاطبتي الخلة متسائلة:

هل واقفت؟

فأجبت إجابة منفيّة:



أبدأ. لم تعرفي أننا صانعة. جل ما أفتاه هو أن تتطوّر إسابتها للأشوا لا فتر  
الله.

فقلت الخلة أطفة:

إنها لا تستمع إليّ وترمقني بنظرات الاتهام وتُشعروني بأنني ارتكبت جريمة عظمى  
في حقها. أيرضيك أن أدعها تسافر مع وليد بفردها؟؟ هل هذا يليق؟؟  
ولم أبدأ فتح المجال لها لإثارة موضوع هكذا الآن، وفي خاطري نغمة على المعاملة  
السببة التي حوّل بها نظري من قتلها وأثرت أن أصرف الاهتمام إلى إصابة رعد فقلت:  
تسألني بها وأحاول إقناعها... على الأقل وأو بزيارة واحدة للطبيب الآن.  
ونهيضت وأسطأنت وخرجت إلى القاء أتعب رعد. فوجدتها تسير بخطى بعكازها  
متغلغلة في الحقيقة حتى وقت حد إحدى الأشجار الباسقة فاستكنت إليها وأطلقت بصرفها  
نحو الأظنى.

توقفت على بعد مترين أو أكثر منها ثم سألتها:

أيمكننا التحدث؟

رثت بصوت:

أرجوك لا تتعب نفسك وتتعيني... إن أذهب إلى المستشفى ولا يهتني ما يعن  
برجلي ولا يدي... إن أصر شيئاً إن فقاتهما عما أيضاً إزاء كل ما فقت.  
العزّز بلغ بها لهذا الحد... وحزنها بعصرتي... قلت بلفظ مشجعاً:  
كنت لم تخسري شيئاً يا رعد...

فرمقني بنظرة قوية وقالت:

لما حجم الخسارة التي ترون مني ففدنا حتى يمكنكم رؤيتها؟؟  
رثت:

لا أجد يريد لك خسارة شيء... رعد لا تتطري للأمر هكذا.

وضغطت على أعصابي وأضفت:

إنه سافر مؤقتاً ولم يرحل عن الدنيا لا سمح الله.

وأخذت تعبيرات وجهها تظهر شيئاً فشيئاً... وتابعت:

وسيجود حتماً بإذن الله.

أطرفت برأسها وقالت نافية:

إن يعود... لقد نظّني عني... أظنك يعود... إنه دائماً يُخلف بوعوده... أظنك كان

يتركني ويسافر بعيداً... يظن أنني سأبقى حية لحين عودته ذات يوم... لا يعرف أنني  
سأعوت عاجلاً بسببه.

صنصنت على أسطاني بحرارة وتحدثت الأم وقلت:

بعد ألف شر وثور... لا تكوني مثلكما هكذا... لقد أخبرني بأنه سيطفسي بضعة

السير للاستجمام هناك ثم سيعود.

قلت مصرة:

إن يعود إلي... ثم ينقل كفايتي إليك؟ تقرأ من مسؤوليتي... لتبينها.

ولكن أنت لا أكسها وتجرحت مرارتيها. عذبت:

الوصاية التي ألتذها إلي حزينة ومؤقتة. لا تخشي... ستعودين إلي كلفه ورعايتك فور مجيئه.

ولكن رعد أومأت برأسها عدم التصديق وبأسي قلت:

أبني... ولكن... هل أنا متي لهذا الحد؟

هذا مماثلت بي وكأنيما لثقتك تركت أمني سافر عطفها السابق والذي بعثها كثيراً...

فبذلت سحنة وجهها وقالت بصوت كئيب:

أنت... أعز إنسان علي قلبي... سامحني...

وكأنيما تقولها بمرارة ونهم... وقد تكون المحطة الأولى التي تكثف فيها رعدكم

فبت علي وجرحتي وإلى أي عمق طعمت قلبي...

تبعث رعداً:

لكنه لم يظهر في حياتي من جديد... ليلتي لم أقترب منه... كم أنا حفاء... حفاء

وغبية وواقعة... ألتقي بالأوهام... والخيالات المستحيلة... وواقعي... فتاة بنيمة وحيدة

بانمة نائمة...

وضربت بعكازها جذع الشجرة وتبعث:

ومعاقبة وعاجزة وعالة علي الآخرين.

قلت معترضاً:

كفي يا رعد... لا تضفي نفسك بهذا وأنت العزيزة الغالية المسئلة وكأنيما رهن

إثارتك.

لكنها واصلت بكلمة:

لما الذي كنت أوقعه لنفسي؟ الجاه... ما الذي كان سيحطه بخاترتي؟ ما الذي

لدي ويستحق العودة من أجله؟ ماذا ألتكذ أنا لبعيبي؟ أنا لم أكرهه إلا الإحراج والقلق

والمشاكل...

وأصافت:

أبعد كل هذا... نأني خطي وعائلتها وبعيوتها في بينهم وعلى مرأى ومسمع

معي... كيف أنتظر منه أن يعود من أجلني؟ يا لي من حفاء... غيبة.

قلت:

عزائي عليك أرجوك... لم كل هذا؟ بانك عليك... إن هي إلا فترة مؤقتة ويعود

وتصلح التروخ الحاصلة بين الجميع... ليس تخفي من التروخ الذي يهرب من المسؤوليات

والشكك بل هو أهل لها.

قلت منقطعة:

إن أماناً لا يرد على اتصالتي... أماناً فاطمني...

أبيت محاولاً تحسين الموقف وتبريره:

تعرفين... إنه غائب ولا يحسن المرء التصرف في ثورة الغضب. عندما يبدأ

سيحصل بكاء.

قلت:

كما أنني أماناً... أماناً يشعني في غضبه ومقاطعته.

قلت:

أعذريه يا رعد... ربما كنت خائفة بلغة القصة عليه.

قلت:

كلهم قساة... ولقد أشرف وأرقى منهم جميعاً... سوف لن أظفر لهم إهانتهم له...

وإذا لم يعد ويأخذني معه فسوف لن أبقى في هذا المنزل... وسأعود إلى بيتي المحروق

والفن نفسي تحت ألقابه.

يتضح لكم مدى الاكتئاب الذي ألم برعد جراء سفر وايد... لم ألق يوماً في إقناعها

بالذهاب إلى المستشفى وحلماً عدت إلى شفتي عاقت شفتي وأبلغتني عن هذا فونشني

والتي بالمسؤولية علي وقال لي بالعرف الواحد:

أنت المسؤول عنها الآن ويجب أن تتصرف ولا تدع عذابها يتغلب عليك. أرحني

من عنها بضعة أسابيع لا أكثر بل أنا أرحمني تكاد تعزق أعضائي.

وهيأت من كلامه بأن وضعه السعي مشهور وقلت كثيراً... وربما يكون الطيب

هو من نصحه بالسفر والاستجمام بعيداً عن المشاكل والمسؤوليات من أجل صحته...

خصوصاً أنني لاحظت إكثاره من تناول الأدوية خلال فترة مكوثه في شفتي...

وأبداً تعاليت في المكالمات الثقيلة وهدر الإمكان بلاغة بالتواصل المزعجة عن

وضع رعد واتعبت بأنها في تحسن بينما هي على العكس...

إلى أن حل يوم أعتد الجدل فيه بين رعد وخائنها واتصلت بي هي بنفسها وطلبت

عني أخذها إلى المستشفى. لم يكن غائباً هو المستشفى بل الابتعاد عن خائنها...

زرنا الطيب وعالجها وأطلع على تقريرها الطبي وأجرى لها بعض الفحوصات ثم

أخبرنا بأنه لا يزال أمامها أسابيع أخرى قبل أن يتمكنها الاستغناء عن الحبرة والعكز...

وهذا الخبر لم يرد رعد إلا كناية ما كان أظن أنها عليها... فالتزوت على نفسها في

غرفتها بلغة اليوم.

تصلت بشفتي مساءً وأظن أنها زورنا الطيب أخيراً وأخبرته بما قال، كما

أوصاني مني مسبقاً. ولكنني أظن أنه مسألة الإحباط الشديد الذي ألم برعد وعاملته

على صحتها... وأتذكر أنه يوماً سألني بتلك:  
"ألا تعني على شيء؟" هل حقاً تقيت النيا؟  
قلت له:

"سأله بنفسه فتأكد"

قال:

"سأله، في الوقت المناسب".

والله الأظلم مني بعين الوقت المناسب حسب معاملة وليد...  
ومرت أيام أخرى... والحال كما هي. وليد غائبا ويتابع اخبار رعد عن بعد  
ويرفض التحدث معها أو مع اقربها أو عن شجاره معهم... وهي في كتابة مستمرة لا  
تعرف حتى البسة السطحية إلى وجهها طريقاً... إلى أن طلبت من الخالة أن تزورهم  
ذات مرة...

"لا أفعل هذا إلا من أجل رعد... الخالة تقبل يوماً بعد يوم وأخشى أن تموت بين  
يدي... معاملتها ونظراتها لي كلها اتهام وتغور شديداً... وأنا لا أفري على مواجهتها  
خشية أن يزداد الموقف حدة ولا أستطيع تحمل وضعها هذا... قلبي منقطع عليها ويكاد  
التعور بقلب يمزقني... أريد أن تتصلح مع وليد لأجلها وأن أهيئه لني ثم أفسد بعانت  
شخصياً بل توضيح حدود علاقته برعد... قل له أن يعود والآن قلبها ستتموت إن بقيت على  
هذه الحال..."

قلت وأنا أعلم كم يرفض ويشدة الحديث عن أو مع عائلة الخالة:

"سأخبره عن رأيك في معاشته حينما أتصل به".

قلت:

"أتصل به الآن يا سامر رجاء ودعني أكتبه".

أخرجني الطلب فأذنت له كارهاً واتصلت بشقيقي وبعد تبادل التحيات أخبرته بأنني  
في منزل أبي حسام وأن الخالة لم حسام ترعب بشدة في التحدث معه، وبتوراه أيضاً وليد  
أخرجني جذا حيث قال:

"لا أرعب في التحدث مع أحد يا سامر.. الهبة.. أرجوفاً له المعالجة".

قلت ووجهي يحمر حرجاً:

"وأكن..."

قلت:

"أبف يا سامر سأفعل الهاتف رجاء لا تكرر هذا ثانية. اعطوني ومع السلامة".  
وقطع الاتصال. أبعثت الهاتف عن لثني وحيثي تملتان الأرض فجلاً ولم حسام  
تراليني ثم قلت:

ثم بدأ التحدث معي ليس كذلك؟

قلت معرجاً:

إيه.. أهني..؟

وطبعاً لم حسام فهبت الأمر. قلت مستكبرة:

توكن ما هذا الطبع في أهلك؟ يجب أن يكون أرحب صدرأً وأوسع بالاً وأرفق ذوقاً من هذا.

في ذات اللحظة أقيمت رعد تضلل الغرفة سائرة بعنازها وخطى وجهها إشارات القلق والفضول... لا بد أنها كانت تنتظر المكالمة بصبر نال... وبعد تحيكي سألت عينا إذا كنا قد أقمنا في الاتصال بوالده... فأطرقنا برأسنا... وفهبت رعد ما جرى... فطلعت رأسها حزناً... وتراجعت للوراء...

لم حسام حاولت أن تطيب خاطر رعد فقلت:

ربما لا يزال ناعماً علي... سيبلغه سائر اعتقاري ويطلب الصفح بالقبالة عني... لا أظنه سيرفض اعتقاري هذه المرة.

ولم تجر رعد الكلام أعبية واستدارت لتعثر بكسة... فقلت لم حسام مغالطية إياي:

أعد الاتصال به وأخبره بأن رعد هي من يرغب بالتحديث معه.

وانفقت إلي رعد... موافق صابر غابة في العرج... واتصلت فلم يرد. وبقيت أنظر

رعد ولم حسام طرفيان وتطرفيان بأمل يقين... وضعت الهاتف أخيراً في جيبتي وقلت:

ربما أشغل.

وهو محور تنوكه زيفه ثلاثتنا... لم حسام قلت:

أهل ربما يتوي قطع الصلة بيننا نهائياً.

فانفقت رعد إليها وتكلمت منزوعة:

يقطع صلتك بنا؟ ماذا تعنين؟ كيف يقطع صلتك بي أنا؟ إني أينة عنه...

ومكفولته... لا يجوز له...

قلت لم حسام:

كما ترى، لا يريد أن يعطينا فرصة للتصالح معه بتناً... فبماذا تفسرين هذا؟

قلت رعد وقد علا صوتها واشتد لحنها وجهها واشتعل الغضب في عينيها:

أنت السبب يا خالتي.. أنت السبب.

ولم تطب الخلة فاستمرت رعد في الاتهام:

تفعلينه لأن يتركني ويرحل.. ماذا سيحل بي الآن؟

قلت لم حسام بلطف محاولة تهدئة رعد:

تستمر حياتك طبيعية بيننا والله يعطينا عنه وعن وصالته... سربح الغضب عفيف

الورد...

وفي الواقع لم يكن يجدر بها قول هذا على سماعنا وإيها رعد على أجرة الانفجار...

كنتت رعد غضباً وانفخ وريد جبينها وعثت بعنف:

قلت لك لا تتعنتي عن وريد هكذا.. إذا لم يكن يعني لكم أنتم شيئاً فلنا لا نستغي عنه.. ولا أريد وصياً غيره.. وسألتني به أينما ذهب.. ولا أحد له الحق في توجيه حياتي غيره هو.. وليس لأني بثيمة الأبرين مستعبثون بي كما تريدون.. وإذا تعلى وريد علي كثيراً فسوف إن أبقى معكم.. سوف إن أسامحكم أبداً لأنكم أنتم السبب.. وما لم تعينوه إلي فسأخرج بنفسي للبحث عنه.. حتى الأ أعود حياة بعد خروجي.

وسارت نحو الباب وغارت كثرة...

خيم الصمت بيدي أنا والخلة لبعض الوقت ثم إذا بها تقول:

”نحن جنوننا“

وبقيت صامتاً.. فواصلت:

تم لكن توقع أنها.. لا تزال مولعةً به لهذا الحد.. حتى بعد كل تلك السنين..

أثارت الجملة جل اهتمامي وركزت النظر إلى عيني الخلة بطولي التساؤل.. فقلت

هي:

”عندما كانت صغيرة كانت مهووسةً به للغاية، حسداً تعلق بطولي لطفلة بثيمة تبعث عن العنان.. وكان شغيفتها يدنوها كثيراً ويصطحبها معه أينما ذهب.. والتفتة رحمتها الله كانت قلقة بهذا الشأن.. وكانت تعتقد أنهما حين يكبران قد تتطور علاقتهما.. مع فارق السن... ولكن عندما طاب كل تلك السنين توقعنا أن تكون قد نسيتنا وانتهى كل شيء“.

ثم أضفت:

”كان يبدو أن العيون إلى الماضي قد اجتاح كل عواطفها ولا أعرف... إن كان الآن يعني لها وريد السابق أم أن الأمر قد تعطلت تلك بكثير...“

هنا ولقتُ شاعراً بالحرج والحرج معاً... لم يكن ليخطر ببالي أن لهذا علاقة بالماضي البعيد... وقد أنطقت كلام الخلة وأرسلني إلى غيايب الأكلز...

لكن... ماذا عني أنا؟ لا يبدو أن أبدأ بكترت لمشاعري لو يتم لها اختياراً.. يتحتمون معي عن رعد وكأنها لم تكن خطيئتي السنين ولم تكن علي وشك الزواج منها حين فلتتها فجأة...

”لستأنتك لتلتصراف الآن“.

ذهبت إلى شفتي كتيماً مكتسور الخاطر... مشوش الأكلز...

لم يكن كلام خالتي يفارقتي... ولم أستطع لا تصديقه ولا تكذيبه... كانت رعد طفلة

صغيرة كيف يمكن أن تكون قد أحببت وريد هنا الفرح من الحب في ذلك الزمان؟

و... ماذا عن وريد؟ هل يفعل أن شيئاً ما... كان بينهما حقاً؟ هل يمكن أن يكون

وليد... هل يمكن أن يكون هو أيضاً...؟؟

يا لستف...  
تعاليتُ التفكير قد الإمكان إلى أن وصلتُ بألغي لاحقاً... في البداية عانيتُ على

إعراجي مع أم حسام فلم يكثر... ثم نقلتُ إليه تحياتي وبعد وأشرافها الشديدة إليه وأنا  
أفوس على نفسي وأصرف كالفرد الآلي تماماً... ودنقتُ في كلامه ورتوده جيداً بلحناً  
عن أي دليل يؤدي إلى تأكيد الفكري أو غيرها... غير أن ألغي كان يتحدث ببلادة شديدة...  
لم تكلف لي أي شيء...  
وأخيراً... داهمتني رغبة ملحة في توجيه سؤال مباشر إليه... غير أنه قال فجأة إنه

يتلقى اتصالاً آخر وأنهى المكالمة عاجلاً...  
قررتُ بعد ذلك مواجبهته في الاتصال التالي فتتضح حقائق الأمور...  
ولكن... وفي اليوم التالي مباشرة وفيما كنتُ أجلس في شقتي بكل في عطلتي

الأسبوعية رن جرس الباب وإذا بي ألتجأ بألغي بقف خلفه!!!  
أهتزتُ نفسي قليلاً وأصغرتُ لوني وسألتُ وأنا بالكند أخرج الحروف مسجحة من فمي:  
توليد!!!... حس... ماذا حصل!!!  
فمدتُ يده ورنيتُ على كتفي وقال والخشوع والعزن يكسوان وجهه العريض:  
الغناء... توليتُ عائلتي لم أروي بالأسس.. إنا هـ وإنا إليه والجمعون.  
\* \* \*

## الحلقة السادسة والأربعون

### عُدْ إليّ

لقد كنت فترة العزاء وقد شاركت في التعزية مع بقية أفراد عائلة خالتي، وعندما جاء نوري ووقفت أمام الشراء لأواسيها لم أستطع مساعدتها بسبب يدي المصابة والكتبتُ بعبارة مقلوبة خرجت من فمي ببطء، والشراء بدورها رثت بشكلٍ عابر دون أن ترفع نظرها إليّ.. لكن العزن كان جلياً علي وجهها.

سيدة لينا كانت سيدة طيبة وقد أحسنت معاملتي وسهرت إلى جانبي في المستشفى ورجعتي بكل مودة ولطف... رحمها الله... وعطر عظامها...  
متى سيحين لجلي أنا أيضاً??...

انتظر الموت.. ليأخذني كما أخذ أبيي... ويخرجني من شقاء الدنيا وما فيها...  
كنت أعرف أن وليد موجود في القسم الآخر من قاعة التعزي.. وكنت أعرف أنه ليد ما يكون عن التفكير بي في هذه الفترة.. لكنني كنت في شوقٍ منجرفٍ لزيارته ولو لتفاحة واحدة... ولو نظرة بعيدة عاجلة... أعلق فيها عينيه ولو لأخر مرة في حياتي...  
ولغيبه الأمل وتعلق الأكار ضدي، غداً إلى المنزل دون أن أتقي به ولا حتى صفة..

وموت الأليم... ونخر الشوق عظامي.. وألق الحزن ذهني... ولم أجد بقدرة علي الانتظار يوماً لغير... كيف... وأنا أعرف أن ما يفلسني عنه هي ليل قليلة لا أكثر...!! وإن هو لم يأت إليّ... فسأذهب أنا إليه... فقط لأتقي نظره..

هل أنت مجنونة??

قلت نهلة معترضةً علي فكري وليدة اللحظة.. قلت:

نعم مجنونة.. لكنني أريد أن أراه بأي شكلٍ يا نهلة.. أتكلم أفتق... لا أجد بحسن بي

هذا.

قلت:

تخطي كم سيكون وضعك حرجاً ومدعاة للسخرية عندما تتعيين فجأة إلى المزرعة

الآن... هنا وبعد.. خطي عن هذه الفكرة السيفة... توقيت لم زوجته قبل أيام وأنت

تفكرين في هذا??

قلت:



سألتني عليه التعمية وأعترت منه وأعود... حتى لو لم يرد علي... المهم أن تكتمل  
عبدلي برؤيته... ويورد صفري بتقديم الاعتذار...  
فقلت:

لماذا يقول عليك يا زعد؟ هو في سعة عظمة وأنت تذهبن لتقديم الاعتذار؟  
سيستحقر مولدك... ليس هذا وقته... انتظري أسويحين على الأقل.  
فقلت:

لا أقوى على الانتظار... ألا تفهمن؟ أنت لا تشعرين بالعار المظرومة في  
صفري...  
فقلت:

أنا كنت نبهة بوجهها علي وقلت:

لقد حذرتك... قلبي ما تتكلمين!

وعاشرت المكان...

خرجت بعد ذلك إلى الحديقة... طلياً لبعض الهواء النقي... والتكيت بحسام صنفه

وهو مقل نحو المنزل... قلمعت الفكرة في بالي كمنصباح قوي أحسني عيني عن رؤية ما  
هو أصغر من ذلك...

أمرحياً بحسام.

حيته فرداً مبهماً:

أمرحياً زعد... ماذا تفطين هنا؟ لتزوين رجلك على المشي؟

قلت وأسلي تتعلق به:

حسام.. هل أنت بيت إلى معروف؟

قل وعلى وجهه الاستغراب:

تبكل سروراً:

قلت ببهمة:

أريدك أن.. أن تصطحبني في مشوار..

سأل:

إلى أين؟

أردت رؤيتي وقلت:

إلى... مزرعة أروي.

سأل متعجباً:

مزرعة أروي؟

نعم.. أوجولك.

فكتر قليلاً ثم سأل:

لماذا؟

تركت في الإجابة.. عرفت أنني لو قلت من أجل مقابلة وليد فإنه لن يوافق.. فقلت:  
تسلط أحوالهم.. وأني تنحية.

وبدا مجرراً معقولاً بعد معني عدة أيام على وفاة السيدة لينا.. وسألني إن كنت قد  
أعطت عائلتي بهذا فقلت بلى الأمر لا يستعصي... وبعد ثرثرة قصير وافق على  
المصطفي، وخرجنا مباشرة...

حين بلغنا المزرعة لم يكن وليد موجوداً وأخبرنا العموز والذي كان يجلس كعادته  
قرب باب المنزل بأن وليد قد ذهب في مشوار وسيعود قريباً.. ودعانا للدخول لكننا أكرهنا  
البقاء في الخارج وانتظاره.. وذهب العموز لاستدعاء الشغراء فعائني التوتر.. أنا لم أت  
من أجلها كما أنها لا تنتظر مني زيارتها.. لكني وضعت نفسي في هذا الموقف وطلت  
التصرف الآن..

أبدى حسام إعجابيه بالمزرعة وراح يتحدث عن أنهاره بما يرى غير أنني لم أكن  
مركزة السمع معه.. بل في انتظار لحظة ظهور الشغراء..  
وأخيراً ظهرت...

ملقوفة في السود الحزينه كما هي عائلتي.. وكان عذوي الهم واليأس قد انتقلت مني  
إليها...

وكانت في الماضي رؤيتها ملوكة بشئ لوان فوس لزوج.. مثل سرب من  
العراشات أو إكليل من الزهور...

عندما التريت زمت شفتي تردداً ثم أقيت عليها تنحية وسألتها عن أحوالها.. وأنا  
متأكدة من أنها تترك أنني لم أكن لأتلق على أحوالها أو أكرت لها.. ولا يد أنها تترك أن  
سحب عضوري هو.. وليد..

ساعد وجود حسام في تطيف الجو.. وتلثت الكتابة وسرف أذهلنا إلى الحديث عن  
المزرعة وشؤونها..

ذهبت الشغراء لإعداد القهوة فوجدتها فرصة للاسترخاء من عذاب الموقف  
المصطفي.. وفي حسام والعموز يتحدثان أمانيت عادية... أنا أنا فعداي ظلنا نراقبان  
قبوكة إلى أن رأيت أخيراً سيارة تلف عندها ومنها يخرج مجموعة من الرجال.. وفودهم  
الرجل الطويل العريض.. بين الطلعة قوي القصات ثقب النظرات.. متحرم ناري  
وحارق جفوني وسلب عيني وشاهل تفكيري... حبيبي الجمالي.. وليد أنني..

الأرض لم تكن أرضاً والسماء لم تكن سماء... حين عائلت عينا عينية.. والنمت  
نظراتي بنظراته..

أه.. كيف لي أن أصف لكم??

لمعناها خلا الكون من كل الخالق... سوانا... لا وجود للأرض ولا السماء... ولا  
نور ولا الهواء... ولا الجسد ولا الأحياء... فقط... أنا وهو... وهون أربع متشابهة

ملائحة... ذائبة في بحور بعضها لبعض... أيتها لويان...  
وليد قلبي... أم... كم تنفست إليه... لولا إعاقتي... لربما... ركعتُ إليه بجلون  
وسطتُ في حضنه الواسع...

القرب وليد يتقدم يقية الرجال فوقنا جميعاً... ورأيتُ الدهشة تبتلي في وجهه وهو  
يحسُّ بيسره الهابط من الغلا عليّ وعلى حسام..

بأثر حسام بإلقاء التحية فردّ وليد دون أن يحاول إغفاء عجبته.. وتوى صوته في  
كهف أني فتطيرت حفايش حتى تنقط وتختصن نيات صوته ونخيتها في أصاق  
الكهف... ككفر من الذهب...

بعد التحيات السريعة استأن وليد وسار مع الرجال إلى قلب المزرعة ولحق المعجوز  
بهم... ولحقت بهم عيادي ركعياً... وهوتا متعثرين ليهة عند مفترق الطرق...

وبعد قليل عاد وليد فتسابقنا لاكتشافه بسرعة... تكاد لوامدة تفلأ الأخرى... لتفرد  
بالحبيب الغائب... وثوب في أصاق صخره...

وليد كان وجهه مغمراً ويعطوه الاستياء فوق التعجب.. انصبتُ في ترجمة تعبيرات  
وجهه وملائم عيونه... فتهت... وضللتُ طريقتي... وفقتُ أي فكرة لي على التعلق  
والتعير.. وفقتُ أنني بشجرة ضليلة لا جاذ لها تمذ أصابتها محاولة تسلق الشجرة  
الضخمة الواقعة أمامها.. بكل شعوخ...

لاحظ حسام صمتي وتوترني فتولى الكلام:

جئنا نلقي التحية ونسأل عن الأخبار.

ولم يتحدث وليد.. فقل حسام متظاهراً بالمرح:

أئن تدعونا للجلوس؟

فكلم وليد أخيراً قائلاً:

أنتما بمفردكما؟

فأجاب حسام بعفوية:

نعم.

وإزداد الاستياء على وجه وليد... ثم قال:

أعدّ مني وأنتما هذا؟

فردّ حسام مستغريباً:

أعدّ نطاق... ولكن... هل يزعمكم حضورنا؟

قال وليد:

أنا لسف ولكن لدي ما أقوم به الآن.. إنهم في انتظارني.

مشيراً إلى قلب المزرعة..

كل هذا وعيادي ملتصقين بوجهه منذ أن وقفنا عليه أول وصوله... لكن...

على عكس عائلته... وطول المشوار.. خصوصاً وأنا اضطررتنا التوقف مرتين عند  
مركزي تفتيش بوليسي...

وفي كلا المراتين يطلب رجال الشرطة رخصة القيادة والبطاقات الشخصية.. ونحن  
الخطأ أو ربما نحن العادة كان وليد يحمل صورة من بطاقة العائلة والتي تحمل  
هويتي... لذلك قال وليد بعدما خاطرنا نقطة التفتيش الثانية مخاطباً حسام:

أما لو لم أرفقكما؟

قال حسام:

ثم توجه أي نقاط في طريق المشور؟

عندما وصلنا إلى المنزل هبط وليد من السيارة أولاً وتبعناه...

قال حسام:

تفضل؟

داعياً إياه للتحويل إلى المنزل من باب التوقفة... غير أن وليد قال:

الكرا، الذي ضيوف كما تعلم سأعود إليهم؟

قال حسام:

هل.. أوصلك؟

فأجاب وليد:

سأنتز أرمي؟

ثم فجأة أدار وجهه نحوي وقال:

في المرة القادمة إذا أردت الذهاب إلى أي مكان فاطلبني تلكاً من سائر قطع...

مفهوم؟

هل هو يخطبني؟

هل يعني أيا؟

هل ينظر إلي أيا؟

كان حسام يوشك على فتح بوابة المنزل ولما سمع هذا استدار ونظر إلى وليد وقال:

مساءً:

وهل نظن أنني سأخطبكها مثلاً؟ إنها ابنة خالتي كما هي ابنة عمك؟

وبدا أن الجملة قد استقرت وليد فقال غاضباً:

أنا لم أبحث معك... هذا أولاً... أما ثانياً فلا تقارن نفسك بي... إني أومس هنا

ومن يفرز مع من أسمح أو لا أسمح لابنة عمي بركوب السيارة.

شعر حسام بالإهانة فقال حائفاً:

هكذا...؟ من نظن نفسك؟

فرد وليد:

لا أظن نفسي بل أنا على يقين ممن أكون... وإذا سمحت... افتح الباب ودع الفتاة  
تدخل عرضاً عن الوفوف في الشارع هكذا.  
هنا... اطلعتني شجاعةً مقاتلةً فكتفتُ بطلاقةً لغيراً:  
وليد أيا..."

واقطعتني وليد فبدأً بطلاقة:  
"كخطي".

نظرت إليه شاعرةً بالانكسار... وليد... كيف تغاطبني هكذا؟! وليد هل نسيتُ من  
أكون؟! لماذا تغيرت إلى هذه الدرجة؟! دعني أتكلم...  
وأسررت على التلويح... أريد أن أقيم وليد لماذا ذهبنا إلى المزرعة وما مقدار  
لهمني إليه... وحاجتي لتكلمت معه...  
وليد..."

نظفتُ باسمه فإذا به ياطبني مكرزاً بطلاقة أنك وهو يعمد على أسنانه ويبت  
الشر من عينيه:

كفتُ إلى الداخل... هنا.  
انكسرت على نفسي... تكلمتُ حتى أوشكتُ على الاختفاء... من رد وليد...  
حسام فتح الباب وقال بصوت خافت:  
"كخطي يا رعد".

فتكلمتُ بطلاقة وتوقفتُ عند فتحة الباب وانكسرتُ على عيني ورايتُ وليد يولي ظهره  
إلياً ويسير مبتعداً...

الترب حسام ووقف أمامي مبتسرةً حائلاً دون رؤية وليد... فتراجعتُ للوراء وشغلنا  
إلى الداخل... وأطلق هو البوابة وسار مبتعداً وبقيت عيني معلقين على البوابة... تنتظران  
أن يعود وليد للتظهور.. لكنه لم يظهر..  
تأما الأمر يا رعد!

سمعتُ حسام يسألني وهو يسير نحو باب المنزل الداخلي ويراني واقفةً عند بوابة  
السور أعمق فيها... نظرتُ إليه فرأيتُ تعبيرات الأسي المريرة على وجهي.. فكلمتُ نحوي  
وأظهر التعاطف قال:

إيه... لا يكثر بك يا رعد.

نظرتُ إليه والعبرة تكاد تخفني... فقال:

"لا أعرف ما الذي يعجبك في رجل كهذا؟ إنه تضيق من مشاعرك حياة".

صنعت... وأخذتني الدهشة من كلام حسام.. الذي وأصل وهو يروي سعالي تتغير:

الظنين لني لا أعرف لك تعينه؟ أنا أعرف يا رعد.

وتضاعف ذهولي وحملتُ به غير مستكة لما أسمع...

قال حسام:

سأرة لفتك انتباهي لهذا ذات مرة.. والآن تصرفكك كلها فاضحة..  
ما زلتُ لَمساق فيه بدعوى... عاجزة عن التعليق...

تليح هو:

لكنني لن ألق منك تعرف الذين يا ربي... سبق وان واقفت على الزواج علي.. وهي  
الآن مسألة وقت.. إنك والآن معي... إنك...  
وأشار إلي بسيفته مهتداً... ثم استدار وواصل طريقه داخلًا إلى المنزل...

\*\*\*

لنا وليد فعندما جاء لزيارتي في شقتي... أخبرني عما حصل ورويتني بشدة وأثار  
معني شجاراً حامياً...

لقد كنت أنت وأبني أنت... بأن تهتم بشؤونها في غيابي.. فلماذا لا تخرج مع  
حسام في سيارته مهما كان المشوار؟  
قلت مستكراً:

يا وليد! أنت تتكلم عن حسام وكأنه شخص غريب... إنه ابن خالتنا ومثل أخيها  
ومثلي ومثلك تماماً ولطالما كان يسطحها سابقاً في المشاور إذا اقتضى الأمر.. ليس لها  
ملجأ غيره غيرنا وأنتك هي تعتمد عليه...

غضب أخي كثيراً وقال صارخاً:

كان ذلك في السابق.. في عهد أبي رحمه الله.. لكن أنا لا أسمح لها بالخروج مع..  
وهي عهدي أنا يجب عليها أن تتزم بما أقوله أنا.  
قلت مستاءً وسافراً:

لكنك لم توصيني بالأمر! أسمح لها بالخروج مع.. ولم تذكر أسماء المسروح لهم في  
توكيدك لسامي ذلك!

فانتبط أخي غضباً وضرب الجدار بيده فجمعت ضربته على لوحة معلقة وأوشك أن  
يكسرها... ولعلم فإن الشقيقي هذا قبضة فتكة جريتها أكثر من مرة...

ولا تزال لسامي تجارب أخرى... كما سترون...

أكثر غضبه شيئاً من الروح في نفسي وإذا به يزمر:  
أنا لا أزوج هنا يا سامر.. أعتكك بعفتي الجنية والمسؤولية... فلا تستكربي...

قلت مدافعاً:

وما لمر في أنا أن هذا سيفضلك وبني هذا الحد؟ لماذا لم تنتهي مسبقاً

قال:

هي تعرف هذا جيداً وسبق وأن حذرتنا.. مراراً وتكراراً... لكنها تضرب بكلامي

عروض الحائط... قل لها... أن تتوقف عن عنادها هذا والأ...

وهو يشير بسببته تحوي مبتدأ... فقلتُ معترضاً:  
"والأ ماذا يا وليد؟"

ولم يرد وكأنه لا يجرؤ على التعلق بما يدور بقلبه من شدة فطاعته... فأصت  
السؤال:

"والأ ماذا بعد؟ لماذا كل هذه التسوية والصراحة في معاملتها؟"  
ردتُ لهي بحدثة:

"أعاملها كيفما يحلو لي."  
فاحترضتُ مستكراً:

كلاً... كلا يا أهي ليس كما يحلو لك... أنت لاني فقط للغاية... ونصياً جام  
غضبك على من لا تلب لهم في الإساءة إليك... رغم كانت مستهينة لأجل لقلبك أو  
التحدث معك والاعتذار لك على خطأ ثم تقترفه هي من أجل تطيب خاطرهم، وأنت  
عاملتها بعنتي العظيمة والرهونة... معاملة لا يتحملها رجل شديد فكيف بفتاة رقيقة؟"  
هتف وليد بغضب:

"سأمر؟"

قلتُ مسترسلاً:

نعم يا وليد... أول الغشوة عن عينيك... وميز مع من تتعامل... إنها فتاة حسنة  
ولا يليق بك أن تعاملها كهذا.

وعوضاً عن أن تثير كلماتي الدم وتائب الضمير في نفس شقيقي، إذا بي أراء ينظر  
إليّ والشرر يتظاهر من عينيه ويقول:

"أهل ستعلمني كيف أعامل فتاتي؟"

أنهتني كلمة وليد هذه وحملت به متطصاً... وفزت كلمات خفتي لم حسام إليّ  
رأسي...

قلتُ:

"كذلك؟"

ورأيتُ تعبيرات وجه أهي تتغير... وكأنه قلبه تلو الكلمة... فقل محاولاً تغيير أو  
تصحيح المعنى:

"الفتاة التي تحت وصالتي أنا."

وأصاف ليصرف الالتباه عن الكلمة:

"وما دامت تحت وصالتي أنا فلما من يحدث ويفرر كل شيء بضميتها... ولا أسمح  
لأحد بالتدخل... فهل هذا واضح؟"

عزوني لمر أهي... ولم أعرف بم أكثر مواقف من رعد... أهر العرص عليها لم  
التمسك عليها لم شيء آخر...؟

قلت:

حسناً... إنما أريد أن أقت التباك لما قد يكون غيبك قد أعطك عنه... أنت لا تترك حجم المعاناة التي تخلفها مواقف القاسية في نفسياتها... إنها من البشر وليست قطعة من الحديد... كل تلك الغيرة وهي تحاول الاتصال بك لتعلم لك كلمة اعتذار عن شيء لم تقرره فترجيك أنت بسفك وولي أمرها وفي مقام الأب وأكثر لديها... وأنت لاه في الخارج لا تكثرث شيء... وبعد هذا تلومها إن هي حضرت بحثاً عنك في المزرعة؟ على الأقل... أسمع لما تود قوله ثم فعل ما تشاء... أي قلب تعلمك أنت؟

فجاء أسك وولد بقميصي وأخذ يوزني بقوة ويهتف:

أنا لا أملك قلباً... أنتم قاتلوه... إنكم السبب... كلكم السبب...؟

وتلح بي إلى الجدار... ثم جعل يصرخ في وجهي مهتفاً:

أيه... ثم أيك... ثم أيك يا سامر... والسماح لهذا بالتركز... هل فهمت؟

وأبعد يده علي ثم سار مغفراً الشفة... مطلقاً بصمات جملة الأخيرة مطبوعة على طبقتي ألتني...

• • •

في اليوم التالي حضر سامر لزيارتي وأخبرني عن زيارة وليد له البارحة وعن شجاره معه بسبب خروجي مع حسام ونحن لي مدى الغضب الذي اكتسبه والتهديد الذي رماه به، وطلب مني:

لا تتركزي تلك تلبية... إذ إن وليد علي ما يبدو لا يولي حسام ثقة كبيرة، أو إنشأ به مساء منه بسبب الشجار العائلي...؟

وأنا أعرف بحقيقة الأمر وقلت ثقافية:

إيه لا يظنك منذ زمن؟

فظهر التعجب على سامر وسأل:

الحقاً؟ لكن لماذا؟

فالتبتهت إلى أنني تسرعت في جعلتي السابقة... وحاولت تدارك الأمر فقلت:

ألاه... لأنه نعتة بالفاظ سيئة... ذكرت لك ذلك...؟

وخبياً لم تكن أكثر إلى موضوع عرهن حسام الزواج مني ورفض وليد له والشحنات التي نشأت بينهما منذ شهور لهذا السبب...

شي من الغموض القنسي وجه سامر وسألني:

أعناك ما لا أعرفه يا رعد؟

فقلت متظاهرة بالاستغراب:

عن ماذا؟

قلت:



"عن حسام... عن وليد... أو عطفك"

قلتُ مستعرةً في نظامي:

لم أهتم قصدياً

قال:

"لأن وليد كان عاطفياً بمقدار فوق المعلوم... لسبب ذلك".

قلتُ مؤكدة:

كما قلتُ، حسام شتم وليد وعززه بأنه خريج سموم وأهله بقسوة ولهذا... وليد لا

يظنّه.

وأفجع كلامي هذا سامر وأثناء عن محاولة التعقيل أكثر...

قال أخيراً:

"عليّ ليه حال يا رعد... إذا أردت أي شيء فانظريه عليّ أنا فقط".

فنظرتُ إليه وهي عيني مزيج من الامتنان، والأسى، والغضب... وقلتُ:

تكرراً... ولا أظنني سأحتاج شيئاً بعد الآن..."

وظلمتُ رأسي بلأسي... فبعد وليد... لا شيء يستحق الاهتمام...

لما أحسن سامر العرافة في ثورة صوتي حثتني بلطف بلغم وقل:

كشجتي يا رعد... توفيتِ والدته زوجته قبل أيام... هذا سبب أكبر من كافٍ لكيلا

أرخصاه...

لا تحاولي مواساتي يا سامر... ما بي أبلغ من حد المواسات...

سأفعل... ما يظنني عليّ... بلغمه هذا... سألتزم بكل ما يريد... فقط... ليصنع

عليّ...

هل... هل تحببته... إلى هذا الحد؟"

داهمني سامر بسؤاله... أومأت برأسي... نظرتُ إلى الفراغ... في إجابة أبلغ من

الكلام...

\*\*\*

حدثت مجموعة من أعمال الشغب في المدينة الصناعية واضطرب الأمن فيها. وهي

منذ شهدت مأساة القصف في عيد الحج الماضي لم تزل عرضةً لحوادث صغيرة متفرقة

تفقد أهلها الأمان للعيش فيها، الكثير من سكانها هجروها وأخذت جماعات من

المتمردين المنازل المهجورة بُوراً لإدارة عمليات الشغب، ومؤخراً خطر التجول في

الشوارع بعد منتصف الليل وتكثفت دوريات الشرطة وتضاعف عدد نقاط التفتيش

والعراقية...

كنتُ قد مرتتُ أثناء سفري بإحدى مكن المنطقة... ورأيتُ حالة التفرير القوية

فشي أفتت بها مؤخراً بعد أعمال شغب مصحوبة بهجوم عدائي تعرضت لها... وأرخصاه

فيه بشكل عام أخذة في التدهور السريع...

والآن.. أنا جالس في غرفة المعيشة في المنزل الريفي في المزرعة أتابع الأخبار على التلفاز وأشاهد مناظر بشعة تجث قتل من المشركين الذين تمت مداختهم وإهانتهم.. وتقطعت أخرى لمجموعة من أعضاء منظمة سرية تفتت عملية اغتيال لأحد كبار المسؤولين، وتم الكشف عن بعض أعضائها وهامم يقتلون بإذلال إلى ملوهم الأخير.. السون..

مناظر تثير الفرحة في قلبي.. خصوصاً بعد تجرّيتي المريرة خلف القضبان.. لا زال جسدي يقتصر منها وقلبي مضطرب.. ومعنّي تشتعل ناراً على نكراها..

شربت أحر رشفة من الحليب البارد الذي أمنت على شربه في الأونة الأخيرة كلما أتت أم معنّي.. وإباحت معي القومى المظلم للموضنة الذي صار عنصراً رئيسياً من عناصر وجباتي اليومية.. وتقطعت باسترخاء..

خضعت مؤخراً لعلاج جديد للفرحة معنّي ولكنه لم ينجح.. وأوجاعها تروطني من حين لآخر وتقتن مضجعي..

فيما أنا مضطرب عيني باسترخاء.. سمعت صوتاً يقرب من الباب.. ففتحت عيني وفتت إلى مصدرة فإذا بي أرى أروى تتعل الغرفة..

أنا وهي لم تجتمع اجتماعاً خاصاً ولم نتحدث إلا أعتبت عادية خلال الأيام الماضية.. التي تلت رحيل الخالة لبدا رحبها الله. وأجراء الكتابة كانت تسيطر بشكل مريع على المزرعة وعلى المنزل وقد غابت سجنه بلا عودة تُرجى..

وكان لفتي السابق معها قبل السفر هو أشع القاءات والطعها..

قلت أروى:

"ماذا تشاهد؟"

قلت:

"كثرة الأخبار.."

واسترسلت:

"الوضع يزداد اضطراباً في المدينة الصطاحية".

وجلست أروى على أحد المقاعد المجاورة تتابع الأنباء معي..

ختم المسكون علينا وأسفينا إلى النشرة باهتمام.. على الأكل بالنسبة لي.. وبعد انتهاتها.. تركت التلفاز مشغلاً وقتت بالسد الخروج.. عندما اقتربت من الباب انطى صوت التلفاز فالتفت نظرة لوراء ورأيت أروى وقد أوقفت ثم سارت باتجاهي..

ولم:

لننتي.. فاستمرت إليها كلياً.. شعرت بأنها ترغب في التحدث معي وهذا أن قولها

شغونها..

الحديث عن أي شيء لن يكون لائقاً الآن وفي الغالب رحمتها الله لم يرد بعد، صيحتُ  
مستظراً ما سئله.. ولما طال ترددها قلتُ:  
"خيراً إن شاء الله"

وإذا بالشموع تفلز من عينيها فتلكن رأسها وتغويه خلف يدها..  
شعرتُ بالأمس عليها فالتزيت منها ومعدت يدي وريتُ على كتفها ببطان.. وما كان  
منها إلا أن أسندت رأسها إلى صدري وبكت بحرقه..  
قلتُ مؤسباً:

تشجعي يا أروي.. كلنا للموت والبقاء له الواحد الأحد..  
فقلتُ بانتهار:

لا تخجل حياتي بدولها.. بلني السبب في موتها.. أنا السبب..  
وكانت الغالة قد توفيت بعد عملية جراحية أجريت لها في القلب إثر تعرضها لتوبة

جديدة.

قلتُ:

كيف تكوني كذلك؟

فقلتُ:

نعم.. فهي مرضت بعد أن.. أخبرتها عن فرار الصبيانا.. لو لم أخبرها بذلك..  
ماكنتُ.

صنعتُ على أسناني مثلاً بهذا الكلام.. ثم قلتُ:

الموت بيد الله وحده.. ولكن أوجه المفتر.. كندعوا لها بالرحمة والمغفرة..  
قلتُ أروي:

رحمتك الله يا أمي.. كنت بغم الأمهات وخير النساء.. عشت حياةً مريرةً وحيدةً بعد  
سجن أمي.. ورحيله.. شقيت في هذه الدنيا وعشت دون راحة أصلاً منبهةً بعجز عنها  
الرجال.. وعين ابتسمت لنا الدنيا.. حين تصكت أوضاعاً.. أه يا أمي.. أبعثك الأقدار  
قبل أن تهني.. ما كان لسرج رحيلك يا أمي..

نحبها الشجي هنج في ذكركي والذني رحمتها الله.. إله ما من مُصاب أجمع  
على قلب البشر من فقد الأمانة..

على الأقر.. أنت عشت مع والدتك وأزمتها منذ ولادتك وحتى آخر لحظة في  
حياتها..

لما لنا.. فقد حُرمتُ من والدي الحبيبين ثمان سنين وأنا محبوس في أشنع مكان رأيتُه  
على الإطلاق.. وهذا حين برزفان.. وما إن خرجت إليهما.. حتى دافعهما الموت  
والخضعا معاً.. وبأشنع طريقة..

لا حول ولا قوة إلا بالله..

وفيما نحن هكذا قبل العم إلياس.. ألقى علينا نظرة ثم قال مخاطباً إليّ:  
"حضر الضيوف يا بني".

قلت:

"حسناً.. أنا قائم".

وهم مجموعة من تجار الفواكه كنت سأعقد معهم اتفاق عمل.

انصرف العم إلياس.. فالتفت إلى أروى وقلت:

"يريدون شراء محصول العنب والليمون بالكامل.. سنتكلم من غداً بيعة في

الأسواق وقد عرضوا سعراً جيداً.. ما رأيك؟"

نظرت أروى إلى نظرة لاسيالة ثم قلت:

"أعطوا ما تشاءون".

قلت:

"سأكتب وثيقة رسمية وسأحتاج لتوقيعك بمسئلك مالكة المزرعة.. سأجيبك لك بعد

لمراجعت وتوقيع".

قلت:

"أرجوك.. أظني من هذه الأمور قلنا نست في وضع يسمح بالتفكير في أي شيء".

وأنا أعلم بهذا ولكن..

تكن.. العمل يجب أن يستمر.. إن أهلقنا المحصول سنفسده".

قلت:

"أعطوا ما ترونه مناسباً".

وكان هناك في خاطري شيء أود تكلم وأعلق الطرف المحلي لساني.. لكنني هذه

اللمعة وجدتها فرصة ملائمة قليلاً فقلت:

"و... كذلك بالنسبة للمصنع.. هناك أمور مطقة في انتظاري.."

نظرت أروى إلى نظرة جادة.. قلت متبعاً:

"ظني لعودة إلى العمل عاجلاً.. لا يجب ترك المصنع أطول من هذه المدة".

فقلت وهي تضغط على صدغها بأصابع يدها اليسرى:

"العمل ما تريد.. أنا بالية مع تكري أنتي ورائحتها العالقة في جو المنزل..."

عندما نظرت نأ وفاة نديم رحمه الله إلى عائلته في العام الماضي.. أتذكر أن أروى

أبنت صغوراً غريباً في وجه البحر المتجعج.. أما الآن.. فهي منبارة لوفاء والنتها..

لطالما كنت أظنها أكثر صلاتية في مواجهة المصائب.. وأرى فيها قوة وفكرة كبيرة

على التحمل.. ووضعها هذا جعلني أرجح إلى أجل غير مستنى موضوعها السابق.. بشأن

مستقبل علاقتنا معاً..

فأذكرك على هم أروى.. وهم رعد.. والتفزع لهم العمل فهو أرفق بي عنهما...

وبعد قلبي بتجارت الفواكه وفيما كنت واقفاً في المزرعة أرتب الفواكه فوجدت بصيف  
غير متوقع يدخل المزرعة!  
لقد كان حسام...

حيثي فطرت إلى ما حوله، لأستلقي من عدم حضور رعد برفقته... لكنه كان  
منفرداً... فرددت التحية وكلي حيرة عن سبب حضوره... ثم قنته إلى المقاعد المجاورة  
وجلسنا متواجهين... تفصلاً طاوله صغيرة... فأمكنه قراءة تساؤلاتي مباشرة...  
قال موضعياً:

أعرف أنك لم تتوقع زيارتي.. لكنني لوذا التحدث معك في أمر مهم وإن لم يكن  
الطرف الخلفي مناسباً.

أقضي كلامه فسألت باهتمام:

أماذا هناك؟

قلناً قليلاً... ثم أجاب:

إنه... ليس موضوعاً جديداً.. ولكن... لوذا تتكرد به وتعمل تنفيذاً.

وبسرة تقع في رأسي موضوع أظن أنه يفصده...

قلت:

أهات من الوسط ولا داع للمخاضات.. أي موضوع تعني؟

اضطرب حسام وتغير لونه... ثم قال:

هو... موضوعي أنا ورعد!

تمسكت نفسي لكلاً أفجر فجأة في وجه الصيف في هذه اللحظة وهذا المكان.. ثم قلت

متظاهراً بعدم الفهم:

موضوعك أنت ورعد؟

نظر إلى حسام وقال وهو يزهد ريقه:

أعني موضوع.. زواجنا.

احسنت النساء في وجهي وتورمت عياني غضباً.. وبالتأكيد لاحظ حسام ذلك لأن

بعض الخوف اعترى تقاسيم وجهه..

قلت وأنا أسيطر على نفسي كي لا أثور بركناً:

أي زواج؟

تردد ثم قال:

هل نسيت؟ لقد.. سبق وأن عرضنا الأمر عليك.. أنت تعرف أنني.. أنني أرتعب

في الزواج من رعد!

لم أستطع تمسك نفسي أكثر.. هبت واقفاً بانتفاخ كان من القوة بحيث جعل الكرسي

ينقلب من خلفي ويرطم بالأرض...

وقل حسام بنوره واجلاً...

قلت:

هل قلت صواباً؟ ألا ترى في أي ظروف نحن؟

قال حسام مكتراً ومذمماً:

لا قصد هذا أبداً.. لسنا نريد ارتباطاً شكلياً عتياً.. كل ما نريده هو عقد قران

شرعي حتى..

صرخت غاضباً مطلقاً:

حتى ماذا؟

أجم لسان حسام فكررت بعصية:

حتى ماذا... أكمل؟

قال بانضراب:

حتى سنكر.. أنا وورعد.. بما أنها تكلمت علينا وبما أنها موافقة على الزواج مني..

صريت على الطاولة بعصية وقلت:

ومن قال إنها موافقة على هذا؟

أجاب:

هي.. أصرحت عن قبولها واستعدادها منذ زمن.

قلت ما في صدري من قران منتهية... وصريت الطاولة مبعثاً بقوة أكبر وقلت:

ومن قال لك... إن الأمر متوقف على قبولها هي؟

قال حسام متراجعاً:

بالطبع أعني بعد موافقتك أنت... قلت ولي أمرها.

قلت بغضب:

تعم.. أنا ولي أمرها.. وأنا لا أوافق على هذا.

صمت حسام برهة وسأل بعدها:

لماذا؟

فصرخت:

لا تسأل لماذا... أنا الوصي وأفعل ما أريد.

تغيرت سحنة حسام من الرجاء إلى اللوعة وقال مهالماً:

لكن.. هذا لا يعطيك الحق في التحكم برعد... ما دامت موافقة.

استغرتني الجملة فصرخت مكتراً:

حسام!

وحسام أطلق العنان لثورته وقال:

أي نوع من الأوصياء أنت؟ ولماذا هذا العناد؟

صرختُ مجدداً:

"حسام... بكفي..."

لكنه تابع بعصية:

"أخبرني ما هي خطيئتك؟ إذا كان بشأن الدراسة فمن إن تتزوج الآن وإنما بعد التخرج ولكنني أريد أن أرتبط بها رسمياً وأرهب مشاعري وقليبي".

الفتوت... ثوت... التفضيت على ككويه فجاء وصرخت بقسوة:

"لي مشاعر وأي قلب ليها الس..."

حسام حاول إبعاد يدي عنه وهو يقول:

"إني أحبها وإن أسمح لك بالوقوف في طريقني".

وبالفات نام.. سذنت لكمة إلى وجهه ثم نطعت به بعيداً... وأنا أصرخ:

"أني ماذا سلفل لإراحتي ليها العاشق المعنوي".

كانت مشرطي موجعة جداً... أسكك حسام بفتك مثلاً وترتج قليلاً... ثم صرخ:

"متوحش وستظل متوحشاً... يا خزيح المسجون".

أوشكت أن أفتت أكثر وأفتت عليه وأوسعه مشرباً.. غير أن العم إلياس ظهر فجاء

ورأي الاضطراب الحاصل بيننا فتسائل:

"ما الأمر؟"

حسام سار إلى الخلف مبتعداً وهو يقول:

"لا ترحم ولا تدع الزحمة تهب من السماء... لكنني لن أسمح لك بالتمكك بهذا وإن

لزم الأمر سأليها للفضاء وألخصها من سطوتك نهائياً... سمعت؟"

صرختُ مجدداً:

"أغرب عن وجهي هذه الساعة قبل أن تكلم... التصرف فوراً..."

قل:

"سأذهب.. لكن سترى ما سلفل.. ستتزوج رخصاً عن أفتك وقيضتك وجبروتك..."

صمت بالالتفاضي به فليل العم إلياس وحال نون إسلكي به...

واحتراماً للرجل المعوز والمكان الذي نحن فيه.. تركته يفت من قبيضي لكلي

خاتمة:

كبت عليها نهائياً... نهائياً... ماذا وإلا.. فلكم برباً السماء.. أفتي سأسمعك من على

هذا الكوكب... وقيل أن تصل إلى ما تصبو إليه نفسك.. سيعلن عليك أن تكون على

فري لولاً.. ما من قوة في الأرض ستجبرني على تحقيق هدفك... مطلقاً... ليها المرافق

الأله:

وبعد أن غادر حسام سلكي العم عما حصل فاعتذرت عن الإجابة وخرجت من

المزرعة عاصباً أبحث عن شيء أفت فيه عصبي بعيداً عن الأنظار...

لماذا تقولين؟

ارتسنت الفدحة على وجهي حين أخبرتكى نيلة بأن حسام ذهب شخصياً إلى وليد  
عصراً وفتح موضوع زواجنا أمامه.. وأن وليد رفض الموضوع ولكن حسام بعطف على  
وجهه..

قلت:

"هذا ما أخبرني به.. وهناك قصة مريضة على وجهه وتورم فطبخ؟"

قلت:

يا إلهي! ما الذي فعله لهذا الجنون؟ يذهب إليه بنفسه ويمفرده وفي هذه الفترة؟ هل  
لقد صوابه؟

قلت نيلة:

أحبك يا رعد ولا يطيع صبراً.. وأراد اختتام فرصة تواجد ابن عمك في المنطقة...  
ولو لم يكن سفر خطيبك السابق لكان طلب الأمر منه... والآن وصيوك الرسمي بهذه  
بالأ يعود لطرح الأمر ثانية وإلا معناه من الوجود... تهديد صريح بالقتل وأمام أحد  
الشهود.

قلت حائفة ومهاجمة:

"لماذا تعين؟"

قلت نيلة:

"أنت أقرى".

فرددت غضبي وخالطتها بذلك:

لا أسمع لك... إن عني ليس سقلاً... وإذا كان قد ارتكب جريمة في السابق  
فله..."

وانتهت لكلامي وأخرست فمي...

قلت نيلة متعجبة:

لله ماذا؟

ولم أجد على الإجابة... فخطرت إلى نيلة بجديّة وقلت:

لله قد فعلها ثانية.

زحزحت:

توكلني... أنت لا تعرفين شيئاً... كنتم ظالمون... اتركوا وليد وشأنه وإيّاكم وإيّاكم

ثانية... أتم تهديتي أنا وتجرحتني أنا.. ألا تحسنون بذلك؟

وتراجعت نيلة عن موقفها لما رأت عصبتي... وقلت:

"حسناً يا رعد... ولكن اعثني".



فواصلت:

كيف أهدأ وأنتم كلما جرى بذكر وليد نغموه بألفاظ قاسية؟ راقية به وبهي... هذا  
كثير... كثير...

وفيما أنا في غرفة لتفعلني طروق آيات ونظمت سارة تقول مغالطية لهاي:  
أين حنك هنا ويرينك.

فقلت راقية وفقر قلبي معي... ودأبت بي الأفكار وأرسلني إلى البعد... فقلت  
ببطل:

وليد ٢٢

فردت سارة وهي تحرك رأسها حركة طفولية:  
لا بل سمر.

ومرحت ما أسبت بخيبة الأمل... إلى أين ذهبت أفكارك يا رعد ٢٢؟ يا لك من  
مسكينة واحدة! طبعاً سيكون سمر... ألا زلت تعتقين بأن وليد سيعود إليك ذات  
يوم... ٢٢

كان الوقت ليلاً... وليس من عادة سمر زيارتي في الليل ودون سابق موعد... إلا  
لأمر طارئة أو ضرورة...

ارتبعت حجابي وعبأته وذهبت لمنازلته في غرفة المجلس كالمعتاد... وهناك ومن  
أول نظرة ألقيتها عليه لاحظت أن هناك ما يفتق... وعرفت أن للزيارة سبباً فاعترأ...  
بعد التحية والسؤال عن الأحوال... سألته:

ماذا هناك ٢٢

وفاجأني عندما قال:

وليد يريد أن ترافقني الآن إلى الشقة.. إنه هناك وينتظرننا...

هل سمعتم ٢٢ يقول... إن وليد يريد مقابلتي... هل هذا ما قاله ٢٢ هل هذا ما قلتم من

كلامه ٢٢

تسمرت في مكاني ماخوفة بالمفاجأة ونظرت من حولي أتأكد من أنني لا ألتحق  
وليد يريد مقابلتي... أخيراً ٢٢

قطع عليّ حبل شروذي صوت سمر وهو يقول بصيرة قلقة:

لا بدو مزاج جيد... لا أعرف ما الطارئ الذي يشغل باله لكنه طلب أن ألتحق إلى  
الشقة في هذا الوقت...

عرفت... لقد فهمت... موضوع حسام... لا مشكلة...

لم أتحرك ساكناً... من شدة القلق... إلى أن قال سمر بعثني على الاستعجال:

هيا يا رعد فالوقت ليس من صالحنا...

وصلنا إلى الشقة أخيراً... ومع وصولنا وصلت ضربات قلبي إلى أقصى سرعة...

وبدأت أصرن بالقبضات في شرايين عظمي... وهما سمر يستخرج مفتاح الشفة عند الباب  
عظمي بصوت غالت قللاً:

أنتيك يا رعد... يبدو أن شياطين رأسه شيطر عليه..

أر عيتي جيتك فبلعت ريفي وقلت:

هل.. هو حاضب جدأ؟

فأجاب وهو يتخبط صوته:

يشغل بركناً.. حاولت أن أعرف ما القصة فلم يخبرني ورفضت إحصارك فهدتني  
بأنه إن ذهب بنفسه إلى منزل خاتك سوف يعرفه بمن فيه... لا أستبعد هذا... فوجهه  
ينظر بالشر...

وضعت يدي اليسرى على عظمي فزعاً... ورثت رأسي للوراء... فقال سمر  
محاولاً بعد كل هذا طمأنني:  
تسكون معك...

وفتح الباب... لمضت شظايا فوكي ونكرت اسم الله... وسقطت الشفة...

في الداخل وقعت عيناي مباشرة على العينين المظلمتين.. القائمتين بالشر... العين  
لم أعتد بزوجتيها منذ أيام... ولم أعتد برعايتهما... منذ أسابيع...

كان وجهه كثرة من الحسم البركانية المتوقفة... عاين التعبيرات... فأطب الحاجبين  
وأحمر العينين.. تلك العمرة القارية التي تكسو وجهه وأيد وعينه عندما يشتد غضباً...  
وكان يتفحص عير فمه... ونكاد أهبه من النار المتألمة تخرج مع زفيره... وكان يلف  
وسط الشفة وعلى ألية الهجوم...

يا لطيف...!

أردت أن أبدأ بالتمجته... غير أنه لم يكن لها مجال هنا... مع وجه مرعب يفتح  
شوراً... وعندما أطلق سمر الباب خلفه تكلم وأيد فجأة:

من فضلك يا سمر أبق في الخارج قليلاً.

تبادلت النظر مع سمر.. الذي رأى اضطرابي وقرأ تومسكتي... فقال:

هل الموضوع محزي لهذا الحد؟

فقال وأيد بصبر نازلاً:

أرجاء أبق في الخارج إلى أن أستعيدك...

فنظر إلي سمر مجدداً ثم قال:

يمكنني دخول غرفة النوم.

فزمجر وأيد بعداً:

قلت في الخارج... لو سمحت.

فلم يتحرك سمر بل أصر:

تسألك إلى الغرفة يا وليد.

هنا هتف وليد بغضب:

تسامر... رجاء أخرج الآن ولا تضيع الوقت...

قال سامر:

ليدو عليك الغضب الشديد يا وليد... لماذا لا تسترخي قليلاً ثم تتحاورن؟؟

صرخ وليد:

لما كنت غاضباً...

واضح جداً ماذا تريد أكثر من هذا؟؟

قال سامر:

لكن يا أخي...

تقاطعته وليد بغطاطة:

انصرف يا سامر أرجوك ولا تُغضبيني بالفعل...

ولم يحك سامر من الأمر شيئاً... فنظر إلى نظرة عطف وإشفاق... ثم فتح باب

الثقة... وقال محذراً:

إنك أن تقصر عليها... أتحركه...

والتي على نظرة الأخيرة وخرج...

بقينا أنا والمذنب المتوخم وليد بعفونة في الثقة.. هو يفت الأناض الغاضبة

العزفة.. وأنا أرتجف خلعاً...

وبعد أن التهم حذة أناس... قال ليبراً:

الجلسي يا رعد.

رفعت بصري إليه ولم أتحركه... كنت مضطربة والتي تركض نضكته بسرعة...

ولا أكون على السير من فرط توترتي... ولما رأني متصبية في مكاني قال بصوت حاد:

الجلسي يا رعد عيا.

فزعت وأرتدنت للوراء... وحين لاحظت ذلك قال:

لما بك تتظنين إلى بهذا الضحرة؟؟ هل أبدو ككغول المغرور؟؟ أم هل تظنين أنني

سالكك أنت أيضاً?

خفت... وأومأت رأسي بـ (لا)... فالتفت إلى المقعد... فسرت مذعنة... أخرج في

خطواتي... إلى أن جلست على طرف المقعد... ووضعت حقيبي إلى جانبي...

وليد كان مرعباً لحد كبير.. وكنت أسمع صوت الهواء يصطدم بعمه كالإصصار..

وكلما ألتفت نفساً قريباً جنب نفساً كوي... حتى أوشك الهواء على انفلا من الثقة...

فجاء اقرب خطوة مني فأرجعت نظري إلى الوراء تلقائياً... خشية أن تعرفني

لغله أو لتسبني نظراته.. توقف وليد على بعد خطواتين مني ثم قال:

الثالث تعرفين لم أنت هنا.

رفعت رأسي إليه وأومأت بي (لا).. فهاك بمرحبة:

أنت تعرفين.

أفرضي صوته.. فغزت موافقي وأومأت رأسي بي (نعم).. وأنا متوقفة أن يكون

الموضوع هو موضوع حسام..

قال:

تعرفين أن ابن خاتك العزيزة... قد أتى إليّ خصيصاً هذا اليوم ليطلب موافقتي

على خطبتكما.

تصاعدت نغمة كبيرة من السماء إلى وجهي... وهويت بأنظاري نحو الأرض

حرجاً.. ولم أقل شيئاً.. فتابع هو:

أنتي بفرده وبكل شجاعة... بل بكل وقاحة.. بعد الإهانات الفظيعة التي رموني بها

في منزلي.. ويذون اختياف الظروف المنجعة التي تمرّ بها في المزرعة.. بلا احترام لي

ولا لعائتي... أتى إليّ مطلقاً بتحويل مشروع زواجكما المزعوم إليّ واقع... بكل

بساطة.

وأيضاً لم أقل شيئاً... بل تم أجرد حتى على التنفس...

قال:

وأحجته.. أنكما متقلان.. ومستعدان للتزويج.. وملا زمن.. وأنه يريد أن يريح

مشارف رقبته!

فطالمت رأسي نحو الأسفل أكثر... كعادتي عني من حدة الطلقات... والجر

عروقي وجهي من غزارة السماء المشمقة فيها...

فتابع ولید:

وربما مشارف رقبتي أنت أيضاً.

ذهبت، ورفعت بصري إليه بطريقة عين، ثم خفضت من جديد في حرج شديد...

ولم أرفعه ثانية إلى أن سمعت صوت اصطفاق كفي ولید بهما البعض.. نظرت إليه

فشاهتُ حشداً من السنة أثار تعابر عينيه مقيلةً إليّ...

قال:

لما هو رأيك؟

ولم أنكم فرحت السؤال بقطعة:

لما هو رأيك؟ أجيبي!!

فأطقت لسفي بلعني:

أني مثلاً

قال بصيئة:

كفي هذا الأمر قطعاً.

لم أجهه لكثيري حملت فيه... فالتزب مني أكثر وسأل بعصبية وجفاف بالعين:

"لا تصملي بي هكذا بل أخبريني ما هو رأيك الآن يا رعد؟ تكلمي".

فقلت مفزوعة من صوته:

"لا أعرف".

فقال:

"لا تعرفين؟ كيف لا تعرفين؟ أخبريني ما هو رأيك الصريح؟"

أجبت في خوف:

"كما ترى أنت".

فقلب حاجبيه الصاعداً وقال:

"كما أرى أنا؟"

فكررت:

"كما تريد أنت... أنت واني أمري وما نظيره سأفعله".

وليد فجأة ضروب مستند المتعد المجاور ورأيت سحابة من الخبار تنير مفزوعة منه..

ثم قال:

"كولني لي يا رعد... ما هو رأيك أنت؟ وهل أتقت معه على أن يأتي لتقيم عروسته

في المزرعة؟"

فرددت نافية:

"لا.. كلا لم ألق معه.. لقد أتت من لقاء نفسه.. لم أعرف إلا من نظرة قبل

مطوري إلى هنا مباشرة".

ونظر إلي بتساك فقلت:

"لم ألق معه على شيء مستكفي".

فسأل:

"ولا على الزواج؟"

فصمت.. وكزز هو سؤاله بهذا:

"ولا على الزواج يا رعد؟ هل سبق وأن اتقتما على ذلك؟ أجيبني..؟"

وفي الواقع.. كان هذا ما حصل قبل شهر.. قبل انتقالنا للعيش في المنزل الكبير..

والتمالي بالجامعة...

قلت معروفة:

"أجل".

وما كنت أطق بالكلمة إلا ويبدأ وليد تطبيق فجأة على كتفي وتهددني.. وإذا به

يصرخ في وجهي:

كيف تعرفين على فعل ذلك؟ من سمح لك بتخطي قرار في موضوع كبير كهذا دون  
إبتي أنا؟ كيف تتفهم معه على الزواج دون علمي؟

قلتُ مدافعةً ومفروعةً في آن واحد:

أنت تعلم بذلك... لقد عرضت عليك خالتي الموضوع من قبل... تعرف كل شيء.

فقال وهو يهزأني:

وأنت تعرفين أنني رفضت الموضوع مسبقاً... وحذرتك من إعادة طرحه أو التفكير

به مجدداً... ألم أحذرك يا رعد؟ ألم أحذرك؟

أجبت:

أبلى... لكن...!

فهتفت:

كأن هذا؟ أكملني.

ابتسمت ريفي وأرغمني الخوف من صوته على التعلق فقلت:

كذلك... أنت لم ترفض الموضوع بل رفضت توقيته... وحسام... وحسام هو الذي

أعاد فتحه الآن... هو من رغب في تعجيله.

صرخ وابتعد:

وأنت متفقة معه ليس كذلك؟

قلتُ مدافعة:

ليس كذلك... قلتُ لك إبتى لم أعلم عن زيارته لك إلا من نهلة قبل حضوري.

فضغطت وابتعدت على كتفي وقال:

كذلك موافقة أنت كذلك؟

وشعرت بالألم من قوة قبضته... والفزع من تعثراته المبهتة...

قلتُ:

سأعلم ما نطلبه على أنت.

فزاد ضغطه على كتفي وهتفت:

موافقة على ذلك؟ أجيبي؟ أترغبين بالزواج من ابن خالك المخبول هذا؟

أجيبي؟

أطلقت صيحة ألم وقتئذٍ والتموج نقر من عيني فجاء:

أه... أنت تواسيني..!

وليد دفع بكتفي نحو المسند فجاءً وابتعد سائراً نحو الباب...

أنا أنصتُ وجهي خلف يدي المسلية وأخذتُ أنرف شمعة الشموع الممزقة في

عيني... وتلوت من قسوة وليد على... قسوة لم أعبدها ولم أكن أنتظرها منه... بعد كل

تلك الحلف والحنان اللذين صرني بهما طول سنين... وبعد كل الفراق والجفاء

والمقاطعة التي فرضها عليّ منذ أسابيع...

عندما أفرحت كل دموعي أرحمت يدي عن عيني... وشاهدته ينور حول نفسه تارة  
ويسير بعيداً وشمالاً تارة أخرى... وهالة من القهيب الأحمر تحيط به...

وحين رأني انظر إليه صرخ فجأة:

ألم أحترك من مخبة فتح هذا الموضوع يا رعد؟ ألم أعمل؟

ولم يمنعني فرصة للرد بل تابع مزلزلاً:

لكم تستظفون بي.. وفروسي مجرماً حقيراً يخرج سجون... لست أعلأ لتولي

الوصاية عليّ فتاة بليمة.. ولا تؤمنن عليهما...

أردت أن ألتحق (كلاً) لكن واليد لم يعطني المجال وواصل:

تسأريكم.. ما الذي يستطيع المجرمون فعله.. سترون أن كلمتي أنا.. هي الفاتحة..

وأنه ما من قوة في الأرض ستزعجني علي الموافقة علي هذا الزواج مهما كانت..

والقرب علي مجدداً... ورمقت بنظرات التهديد الشديدة.. وقال:

تستظفون أميتك بالزواج منه فقط بعدما أموت يا رعد.. هل تظنون؟

وعندما لم يرد عليّ أي ردّة فعل تصور أنني لم أهتم أو لم أعر كلامه اهتماماً...

فالتحق عليّ ككفي كالصخر المنقوش علي قبره... بمنتهى المشوثة وراح يصرخ:

أنتك يا رعد... أصلي إليّ جيداً... واحفظي كلامي بالعرف الواحد... أنا

المسؤول عنك هنا.. وأنا من يقرر كل شيء يتعلق بك.. صغيراً كان أم كبيراً... شئت لم

أبث.. تركك لي تحت عهدتي أنا.. وليس تحت عهدة خالك وعائلتها.. وإن أبيتك هناك

كل هذا الوقت فهذا لأنني أنا أريد إبقائك.. وليس لتصركي كما يحلو لك... أنت وابن

خالك المراهق الأبله... ومتى ما شئت أنا... سأتى وأخاطبك.. وخالتك.. وزوجها..

وأبنائها.. كلهم لا يحتكرون الحق في شير أموركم.. وحسام بالذات.. وبناتك حسام..

واسمعيني جيداً.. هذا القبي بالذات.. سيكون آخر آخر شخصي علي وجه الأرض..

سأسمح له بالاقتراب منك.. وإن يكون ذلك إلا بعد موتي.. أهبته لك يا رعد؟ أهبته

ذلك؟

كل هذه السواريح في وجهي.. والضغط العنيف عليّ ككفي.. والأعاصير القارية

المنطلقة من عينيك وتريد مني ألا أهب؟

صعقت بخوف وأنا أعلول استعطافه والتجاء من يظن بيته:

كعب... أهبته..؟

فضغط عليّ ككفي بمشوثة أشد وقال:

أهبته جيداً؟ أنا إن أهبته كلامي في المرة المقبلة إن تكرّر الأمر.. وإن أكلني بكم

وجبه.. بل سأهشم عظامه كلها.. وأطعن رأسه.. أوزعته هذا؟

قلت:

فهمت.. فهمت.. أرجوك.. تكفي..

وواصلت تصبر تكفي بقضيتيه وهو يجبرني على النظر في عينيه ويخترقني بنظراته  
الثقيلة المبهدة ويقول:

لا تضطربيني لتصرفك لا تحمد ظهرك يا رعد... أعتريك... أعتريك... ما لنا فيه  
تكفيني... التزمي بكلامي والآ...  
أطلقت إجابتي مع زفرة ألم:

تاعتبر... فهمت... سأفعل ما تأمر به... هذا موجه... أرجوك أتركني...!

والخروجت في البكاء من الألم... فأطلق سراح تكفي وابتعد...

جملت أمد تكفي الأيمن بيدي اليسرى لأخطف الألم... ولم أرفع رأسي مجدداً... حل  
منكون صليفاً يضع نفاق... ثم سمعت صوت باب الفتحة يتفتح فرفعت رأسي ونظرت إلى  
واليد فتألمته بعانر...

وقلت بسرعة وسألت:

إني أين تذهب؟!

لكنه أطلق الباب ولم يجيني... أسرعت أسير بعكازي إلى الباب وأردت فتحه فإذا بي

أسمع صوت قلعه يدار..

ضربت الباب وهتفت بفزع:

واليد إني أين تذهب؟ فتح الباب:

فسمعت يقول من خلف الباب:

تسأرين إنيك سامر؟

قلت:

لا أتركني وحدي.. أرجوك فتح:

ولكنه لم يفتح ولم أعد أسمع صوته...

بقيت واقفة عند الباب في انتظار عودة واليد أو سامر.. ومررت بضع دقائق ولم يظهر

أي منهما..

فتألمني الذعر.. وعدت إلى المقعد واستخرجت عاكفي من حقيبتي واتصلت بواليد فلم

يجيني.. واتصلت بسامر فوجدت الخط مشغولاً..

فانظرت نظيفة ثم أعدت الاتصال بسامر فرد علي وأخبرني بأنه في صالون الحائكة

لمنل العلي وسيصعد بعد عشر دقائق...

تكفي وحدي في الفتحة... ذهب واليد وتركني أرجوك تعال الآن.

قال سامر:

لم يذهب. أخبرته أن يبقى وينتظرنني. سيأتيك الآن.

وأنهيت المكالمة وانظرت نحو الباب في انتظار عودة واليد... ولكنه لم يعد. أخذ الفلق



والخوف يتفاحان في صدري... وإن هي إلا تطلق حتى علوت الاتصال بسامر وأخبرته  
بأن وليد لم يعد ويرجوه أن يوافيني في الحال. فقال إنه قائم... وأقبلت نحو الباب في  
انتظار... وعندما اقتربت منه خيل إلي أنني سمعت صوتاً من خلفه ففزعت... أصعبت  
بسكون... فتكزز الصوت وأجفل قلبي...

سامر ٢٢

لأقيت بظجرة مفترقة... ولم أسمع رداً... لكنني أحسست بحركة ما... وكان أحدهم  
يقف خلف الباب مباشرة أو يستد إليه... سألت:

وليده؟

أصعبت صوته برداً

نعم هنا.

لقد كان وليد قلبي يقف خلف الباب... مستنداً إليه...

عندما سمعت صوته حطت الطمأنينة في قلبي... فألقيت بقول جسمي على الباب...  
وخيل إلي... أنني أحسست بالحرارة تتخلقه منبعثة من جسم وليد...

يفصل بيني وبينه باب خشبي... وعشرات المشاكل ومئات التسخفات... والمشاعر  
المتضاربة والمواقف الملائمة... والكلمات القاسية... والمعاملة الجافة... التي أثنى قلبي  
وجسدي بغدوشها قبل قليل...

تأملت بكفي... فألقيت الأثم قد اقتضع... وثعلمت الباب فوجدته دافئاً حنوناً...  
والصفت أنني به... فتوهمت أنني أسمع نبضات قلب وليد... لتأخيني...

أفقت من أوهامي على صوت خشن زاهر... أصغره وليد...

أقول لك انتظري ما هنا فذهب إلي الحلاق ٢٢

ثم أنني ردت بصوت سامر:

ثم توقع أن تنهيا العوار بهذه السرعة كما وأنتي لم أكنأ القوف عنكنا كالتوكاب.

فقال وليد متضيقاً:

قلت لك إنني إن أطلت الكلام وكما ترى فالوقت قليل ولا يزال أمامك مشوار  
إعانتها... تعرف أن التحول محظور آخر الليل هناك...

ثم سمعت صوت المفتاح يدخل في ثقبه فابتعدت بسرعة...

كان سامر هو من فتح الباب فدخل وثم إن أهدأ من خلفه... استدار فورا ثم ألقى  
إلي وأطلق الباب من بعده وسألني:

هل كنت بخير ٢٢

أجيبته:

نعم.

فأقرب وهو يحلق في عيني ويرى أثر الصرع ثم سأل:

ثمّذا قال لك TT

فطالبت برأسي ولم أجهه ففجح عليّ بالسؤال غير أنني اعتذرت عن الإجابة...  
قال:

إن الموضوع سرّي بينكما TT

أقيت نظراً سريعة عليه ثم نظرت إلى الأرض لأبعد حين عن عينيه... خشية أن  
يكتشف شيئاً...  
سأل بوجاهة:

لكن تخبريني TT

فلم أرد...

كيف أخبرك وبم TT سيضرب هذا عليّ وترك الحسنان المولم... أقول لك إن حسام  
عرض عليّ ولقد تزواج مني... TT  
احترم سامر موافقي وقال مترجعاً:  
كما تشفين. بما أردت الموزرة. فإذا ما أضاء إليك لني بأي شكل فلخبريني حتى  
لوفقه عند جدّه.

فشدت عليّ قبضتي ولم أفرّء بشي...  
بعد ذلك... أعانني سامر إلى منزل خالتي... ولأن المسافة بين المدينتين التجارية

والصناعية طويلة نسبياً فقد وصلنا في ساعة متأخرة من الليل...  
لما ولدت فكان قد انطفئ نور ظهور سامر عند باب الشقة... ولا أعرف إن كان قد

عاد إلى مزرعة الشغراء أم أنه بات في شقة أخيه تلك الليلة...  
وجدت خالتي ونهلة في النظاري وحوولهما ملأى بالمشغولات... أخبرتني بأنه لا

شيء يستحق القلق ودعيت إلى غرفتي فتبعني نهلة... والتي سهرت في انتظار عودتي  
على نار هائنة لتعرف ما حصل...

لا شيء!:

تعجبت من قولي وسألت:

لا شيء TT كل هذا الوقت وتقولين لا شيء TT

أجبت:

تعرفين... الوقت ضاح في قطع المسافة من هنا إلى شقة سامر... ذهباً ثم إياباً.

سألني بصبر نالذ:

المهم ماذا حدثت وفيهم تكلمتما وهل تصالح معك... TT

أجبت بإعجاب:

لمسكني يا نهلة أنا متعبة ولا طاقة لي بالمحديث:

وأقيت بقل جسمي على السرير... ومددت أطرافي... لكن نهلة لم تعطيني!

أرجوك يا رعد أخبريني بما حصل الفصول بخطفتي؟  
قلت أخيراً وأنا أنظر إلى السقف وأنتسب الصعداء بأسر خفاء بعد كل تلك التوقر...  
تسأله معي.. فجز صوابيح فتاة في وجهي.. وعشني بلن...  
قلت نهلة بلهفة:

بلن ماذا...؟ لكلي؟

فوجهت بصري نحوها وقلت:

بلن بولم عظام حسام إن عاود طرح موضوع الزواج ثانية...؟

حطفت بي نهلة بدعشة... ثم قلت مستنجة:

"هكذا بلن..."

ثم أضفقت:

تهديد صريح آخر...؟

حينها قلت بجديّة وصراحة:

"إنه يتوي شراً.. أخبرني حسام بلن يتعد علي وأن يلغي الفكرة نهائياً من رأسه لينجو

بنفسه..."

غضبت نهلة من كلامي الصريح الجارح.. وقلت وهي تستنبر مغفرة:

أخبريه أنت بذلك.. أنا لن أخرج لكى بهذه الصورة.. أنت عديمة الإحساس..

\*\*\*

رفضت كل من لى ورعد إطلاعي على موضوع الحوار الذي دار بينهما.. لكني لم

أسكت على الموضوع التي رأيت أثارها في وجه رعد ليلتها...

حسناً... أنا لن أطلب منك إخباري بتفاصيل الموضوع وسأسأل لى عن جانبها

وأعادها في قلب الليل وأن الحديث دار في شفتي أنا... لكنني لن أفاضني عن جرحك لها

وجعلها تبكي يا وليد؟

ضقت كلامي بالفعل أمام لى، الجالس بصمتٍ يشرب الماء البارد... ويبتلع قطع

الجيلد الصغيرة السابعة في الكأس.

تجاهل لى كلامي فغضبت وقلت:

أكلتلك يا وليد ألا تسمع؟

نظر لى إلى من خلال زجاج الكأس الشفاف الذي يحمله في يده وأجاب:

"سمع."

قلت:

إن أخبرني... لماذا جعلتها تبكي؟ لماذا تعانقها بمشونة؟

أجاب لى:

ليس من شأنك يا صابر وأرجوك... أنا متعب كغاية... دعني أسرخني.

قلتُ مستكراً:

ليس من شأني!! كيف تقول هذا؟ إنها ليست ابنة عمك وحيدك...

وكان الجملة أثرت علي فقال بحدة:

الأمر لا يعنيك يا سامر فرجاء لا تتدخل!

قلتُ عاصياً:

إن يعنيني... أنا لا أتحمل رؤية رعد شبكي أو قتلكم... ولا أسمع لك بأن تعذب لها

هنا.

وقف علي فجأة... وألقي بالنكاس بعنف نحو الأرض فتكسر...

ثم صرخ عاصياً:

لما زلت تفكر بها!!... سامر... أيها الأحمق... إنها لا تكثرت بك!

جلتُ ولم أستطع التعقيب. فترى علي مني حتى صار أمام وجهي مباشرة وإذا به

يسألني:

ألا زلت تحبها!!

فقلت السماء في وجهي... ثم أكن أتوقع منه هذا السؤال وهكذا مباشرة... علي

أسك بزراعي بقوة وقال:

لقد رأيت ما تخفيه في خزائنك... يا لك من يتس... تخلس منها تماماً... إنها لا

تفكر بك... وإن تعود إليك... لا تعيب نفسك... اتسها نهائيًا.

وطعن كلام علي علي جرح قلبي مباشرة... فابتعدت يده علي فعد وأسك بي

وأعاقني عن الحركة وقال:

أخرجها من رأسك نهائيًا يا سامر... ولا تدافع عنها فهي خائنة وتستحق العقاب!

بعد هذا لم أملك نفسي ونفعت بأخي بقوة حتى ارتطم بالجدار. وأوليته ظهري

فلمسدا الخروج من المكان غير أنه أسك بي فجأة وجذبتني في اتجاهه ولوى ذراعي...

وهو يقول:

أحب علي سوالي أولاً.

حاولت الفكاك منه ولكنه كان يعلق علي ويعيق حركتي كلما أردت التنفس.

قلت:

تركني يا ولهد!

ورفت بطنه بركبتي حتى أبعده علي. وبصراحة رفشتي لم تكن قوية... لكن علي

أطلق صرخة ألم والتفح مبتعداً علي... وأسك ببطنه وراح يتلوى. ثم إذا به يجر علي

الأرض بالمضبط فوق شظايا الكلس المكسور دون أن يذنبه لها... ويعني رأسه إلي

الأرض ويقلب الماء الذي شربه قبل قليل... معزوجة بالدم...

جلتُ لمسخر علي... وأقبلتُ إليه قلماً ومددتُ يدي نحوه. غير أنه أبعدها بفظافة

ولقد بقى... وأخيراً نهضت وسارت نحو الباب.

إلى أين؟

فلو كنت مكانه تجاوزت القلعة ليلاً... وكفرت به القيت عني... ورواحه لا يسبح بالمعاصرة...

تبعته وحاولت استيفائه إلا أنه سدني وغامر قشقة...

وقبل غروب الشمس التالية اتصل بي وأخبرني بأنه في طريقه إلى المطار... مسافراً إلى الجنوب.

سافر أخي إلى المدينة الساحلية... وغاب عنا بضعة أسابيع...

جاء سفره مفاجئاً ودون سابق تنطيط وتنبؤة... وتوقفت أن أواجه موافقاً صعباً مع رغبة لدى إيلاعها عن هذا... فكلمت أبا عمداً في البداية...

وفي الأونة الأخيرة لاحظت أن رغبة لحد ما قد عدلت... أعني أنها لم تعد تتور وتغضب بسرعة... بل بنت مستسمة وخاضعة لما تقوله لها بدون جدال... صحيح أن حالتها هذه لم ترضيني لكنها على الأقل أفضل من التهنج الشديد الذي سبقها. وكذلك أهدت تجاوزاً جيداً مع برنامج العلاج في المستشفى وحضرت المواعيد التالية بلا اعتراض... والأهم... أنها توقفت عن الاتصال بهاتف ولقد وعن السؤال عنه... اعتقدت أن ما دار بينهما تلك القليلة قد أزلها بشكل ما... وأن اعتقادها أن ولدي في الجوار هذا نسيها... وعشيت أن أنا كشفت لها حقيقة سفره الآن أن تغلب بها الأحوال، فواصلت بكم أبا إلى أن حل هذا اليوم... والذي فرز فيه الطبيب أخيراً ترخ جيرة بدها...

بعد أن ترخت الجيرة... وحركت رغبة بدها... رأيت الإنشامة تشق على وجهها ولأول مرة منذ فلتت إلى المدينة الصناعية.. وبسرور أن غادرت حياة الطبيب قالت لي: سأحصل بوليد وأخبره بأنني أستطيع تعريفه بدي كالسابق. لا بد وأنه سيجرح للخبر! واستخرجت هاتفها وأصلت به ولم يرد، فحسنت الله في داخلي... لكنها سرعان ما فكرت بالاتصال بالمزرعة والسؤال عنه... حينها لم أجد مناسباً من إطلاعها على الحقيقة...

ساعتها تجهم وجه رغبة وانطقت تعاماً أكثر الإنشامة التي عزرت على وجهها قبل قليل... أحسنت بالتم على نسيي بقل بيجتها القسرة... ولكن أشجعها لاحت أن ولدي قد أعرب لي عن عزمه استطاعنا معه في المرة المقبلة... ولم يكن هناك جنوى من دعائي.

ومضت الأيام والأسابيع وهي على حالها من التكلية وفقدان الاهتمام بأي شيء... حتى أنها نعتت أكثر مما هي نجيبة وانطوت على نفسها أكثر مما هي منطوية وما عدت ألتيق رؤيتها بهذه الحال...

الشيء الوحيد على الأقل... الذي صرفت إليه بعض الاهتمام... كان الرسم. ولكني

تسجعها على الانشغال به وطرح الأحرار جانباً جلثت لها عدة الرسم كاملة، ووجدتها  
تلك بشراء حاسوب معمول مع ملحقاته ومكثبه... هنا قريب...

أما عن وليد فكما فاجاني بسفره فاجاني بعونته ذلك اليوم...  
صنعت قهوة الأولى عندما بخلت شفتي ورأيتك جالساً يتفقد التفاز... وقد كان  
وجهه شامخاً هزياً ملتجئاً، وقد عسر جسمه عدة أرمال. ولا ثم يبدأ أنه قد خلق شعره أو  
نقته منذ تقاتي الأخير به قبل أربعة أسابيع...

وقف ليحيني ويمسحني، فحيته وسألته:

"ماذا حل بك؟"

فأجبت ورداً:

"الفرحة حرمنا من الطعام..."

فصمتُ:

"هل تراجع طبيياً؟"

فأجبت:

"لا وقت لتلك، العمل مضغوط جداً وبالكاد تنفس".

وتبادلنا حديثاً قصيراً عرفت فيه أنه حاد من أجل شؤون عمل تتطلب توقيع زوجته  
شخصياً على بعض الوثائق الهامة...

"واتكن.. أنت موكلاً للتصرف بكل شيء... فوكلاً شاملاً ورسمياً".

فأجبت:

"لي، لكن هناك بعض الاستثناءات الضرورية".

أطرفت برأسي برهة، وراودني سؤال طارئ لم يسبق لي أن طرحته على أخي:

"متى ستزوجان؟"

ألقى عليّ أخي نظرة لامبالاة، ثم أثار وجهه بعيداً عني... واستخرج من أحد جيوبه

قرصاً نوالياً ووضعها في فمه، ثم جذب نفساً عميقاً ثم قال:

"لبي زواج وأي فرح... ألا ترى ما نحن فيه الآن؟"

إشارة إلى حادثة وفاة أم عطية مؤخرًا. ثم تابع:

"لبي أريد على الأقل.. أن تسير أمور المصنع كما يجب. أروي لا تفكر في حجم

المصائر التي منظم بثروتها إن هي بقيت عاقلة في الشمال وأملكها مزروعة في الجنوب.

لولا السيد أسامة المنذر بعد الله لغاتنا الكثير.. ليس جميع موظفي المصنع والشركة بأمانة

المنذر... يجب أن يبقى صاحب الأملاك عينه مفتوحة على ثرواته... يجب أن تعود إلى

الجنوب".

فبعت حرمي أخي على أموال زوجته، وتغايه في العمل لأجلها، وقلت:

"البركة فيك يا أخي".

ففتخر إليّ وأرشك أن يقول شيئاً لكنه تراجع والتزم بالصمت، ثم عاد فقال:  
أنا لا أريد العيش وحيداً هناك... أريد عائلتي من حولي... المنزل كبير وكنيب...  
فانتهزت الفرصة وسألت:

أماذا عن عودتنا أنا وورعد؟

وكان السؤال أوجعه أو سبباً على القهقري العائض على معدته فإذا بي أرى وجهه  
يتلهم ويده ترتفع إلى موضع معدته رفعة يطلق أفعى مريرة...  
قلت قكاً:

أأنت بخير؟

وما كان من وليد إلا أن وقف واستدار باتجاه الباب... قل أخيراً وهو يتصرف:  
ليس بعد... دعهم ينزعون حجيرة رجلها أولاً... أراك لاحقاً.  
عندما وصل إلى الباب توقف واستدار إليّ وقال:  
لا تخبرها عن حضوري.

\*\*\*

ذات نهار... وفيما أنا حبيسة في غرفتي لا أفعل شيئاً غير محاولة تفكر ملامح  
وجوه أحبائي البعيدين... ورسعها على الورق... لشي... لشي... دافئة... ووليد... وليد  
فلي الحبيب الغائب... طرق الباب...

أرعد هل أنت مستيقظة؟

وكان صوت حساب. أجبته بنعم، فأخبرتني بأن لتيه ما يعطيني إياه.

طبعاً قلنا أنا وهو نتحدث الجلوس أو التحدث معاً قدر الإمكان... بعد الذي حصل...  
أخذت كرسيّ وقتت وأرشدت حجابي وفتحت الباب فرائته يجعل مستنوقاً ورفهاً  
كبيراً وثقلاً على ما بدأ...

سأل:

أين أجلسه؟

قلت مستغربة:

أما هذا؟

فأجاب مستغربة:

أليس أعراسك داخل المستنوق؟

سألت متعجبة:

أعراسي أنا؟

فقال:

أبعث به أين علك...

وتكررت الحاسوب المحمول الذي وعد سافر بشركه لي بعد تزوج حجيرة يدي...

واستنتجت أن يكون هذا هو...

قال حسام:

"أين أضعه؟ فهو ثقيل وإن استطعتي تحريكه".

قلت وأنا أنتير إلى الطاولة الصغيرة عند الزاوية:

"هناك من فضلك".

وسرت خلفه وأنا أقول:

"لا بد أنه الحاسوب المحمول..."

ورضع حسام الصندوق على المكتب وهو يسأل:

"الحاسوب؟ عظيم! من أي شركة؟"

وأخذ يطلع جوانب الصندوق بحثاً عن أي معلومات ولم يجد شيئاً قلت:

"افتح تروى".

وبالر حسام يفتح الصندوق، وأهشنا حين وجدنا محتواه مجموعة من الكتب

والمجلات والكراسات... وأحوات الرسم...!

استخرجت الكتب فإذا بها تبدأ عن بعض كتي الدراسة!!

أخذت كتبها متعجبة وقلت:

"هذه... كتي الدراسة!!"

وعدت لأتلى المجموعة وأستخرجها واحداً بعد الآخر... وأسترجع ذكريات

الدراسة... وأنا أقول:

"أنا لم أطلب هذا من سارة كيف عرف بأسمائها!!"

وسمعت حسام يجيب:

"وليد من بعثها".

قلت إليه غير مستوحية:

"وليد!!... وليد!!"

اسم عادي... أسمعته عشرات المرات في اليوم... بيني وبين نفسي.. أو بين وجهي

وصورته في المرآة... أو بين قلبي وكراستي ورسوماتي... أو حتى من لسان أي شخص

من حولي... وليد... هو الاسم الذي يلفظه قلبي مع كل نبضة ويزفره صدري مع كل

نفس... اسم معاناة حواسي على استقباله كل حين... لكن العجب كل العجب... أن يشعر

جسدي فجأة... حالما ألقط هذه المرء...

فجأة... إذا بي أجلس بطرفان هائل من السماء يصعد إلى وجهي ويحتاج اسمائه...

ويوثق على تدمير ملامحه وطيس معالمه...

أقول وليد!!! وليد!!!

سألت... وأنا بين تصديق وتكذيب أنني... فهي لكثرة ما تالت للسماع عنه أو منه.



صارت قلوبهم صحوة أو غفوة:

وليد:

حسام قال... وهو يتأمل التحولات التي طرأت على تعبيراتي:

نعم..

قلت متلعثمة... وأنا أنتصر إلى المستوق:

تس... تعني... أن... إن هذا من عند... وليد:

رد:

أجل...!

وأحدثُ التحقيق في محتويات المستوق... واستخراجها وتلخيصها... وكنتي أبحث  
عن بقايا بصمات وليد عليها...

أه يا وليد... تبحث إلي بكثي الدراسة وأبحاث رسمي... لا زلت تهتم بي... نعم  
أنت كذلك... أنت كذلك...

ولو لم يكن حسام إلى جانبي ساحتها لأكبتُ على المستوق وما جرى مصالحة  
ومصالحة...

لثقتُ إلى حسام وسألتُ:

ولكن... كيف بعثها؟ بالبريد؟

فنظر حسام إلي نظرة حادة ثم قال:

أحضرها بنفسه.

طوبى!

ماذا تقول؟!

حصلتُ في حسام مطابقة بأن يعيد الجواب... فلما اليوم صماء ولا أسمع...

أحضرها... بماذا؟! بال... بالبريد؟!

ونظرتُ إليه منتظرة أن يقول نعم، لأنني لن أصدق غير ذلك، لكنه قال:

بأنفسه.

مألتُ الدهشة عيني ورددتُ:

بأنفسه؟!

قاروماً نعم... فسألتُ بسرعة:

ماذا تعني؟! وليد... وليد جاء... إلى هنا؟!

قاروماً بنعم... شيفتُ ورفعتُ يدي إلى صدري تلقائياً... ربما لأهدئ من الاضطراب  
المفاجئ الذي اعتراب...

تكن... أه... كيف؟! وليد مسافر.. إنه... إنه...!

قال حسام:

إني من جليها وقد استلمتها من يده مبتكرة..

قلت وأنا مذهولة:

أنتي؟؟

أجاب:

الآن..

قلت وعيداي يتقنعان أوسعهما:

الآن!!

قال وهو يرى الفعلي:

نعم. الفصل برافدي قبل قليل وقال إنه سيمر لإيصال شيء لك..

انفضت جسمي.. وقلت مرتبكة:

هل.. تعني.. أنه.. كان هنا؟ كان هنا؟

حسام نظر إلي نظرة حادة ثم أجاب:

تركته واقفاً مع أبي في القاء.. وأنت أنتك الصنفوق!

أرتج دعائي إثر ذلك.. ترتعت في وقتي كما لو كنت ألق على كرة متدحرجة..

والله هنا؟

حسام رأى التعبيرات القوية على وجهي.. ورائي وأنا ألتفت فجأة مبرولة نحو

الباب... وأسير بسرعة... بسرعة... بكل ما أوتيت على ضعفي من قوة... بسرعة...

قبل أن يرحل وأيد...

سمعت حسام يلحق بي ويطلبني.. لكنني تجاهلته وسررت هرجاء وأطقت على رجلي

المصابة ورابعة نقلها مرة... ومستندة إلى عكازي مرة أخرى.. متجاهلة الألم الذي

التعل في رجلي كصعقة كهرباء... فقط لأترك وأيد قبل أن يرحل..

وأخيراً وصلت إلى الباب الرئيسي للمنزل.. وما إن فتحت حتى رأيت عيني أيا حسام

مقبلاً نحوه...

قلت بأهبة:

أين وأيد؟

استدار للوراء ينظر إلى من كان خلفه بجواره قبل قليل... نظرت إلى بوابة السور

الخارجي فرأيت وأيد يفتح البوابة الخارجية على وشك الخروج...

قلت بأعلى صوتي:

وأيد...

خشيت أن يكون صوتي قد خرج هزياً بالكاد لانس الهواء قرب فمي.. لكنه وصل

إليه.. وأينه يتوقف ويستدير...

خرجت عبر الباب وعيبت العيثت بسرعة متجاهلة لم رجلي... وهرويت وأنا

أعرج حافية... أنوس على الرمل والحصى... وبظايا أوراق وأصنان الأشجار العالقة في  
المر... فاطمة المسافة الطويلة بين الجوابين... حتى صرنا قريبة منه... لقد الذي...  
لو تخطيته... لا تصبر من وهج حرارته...

كان الوقت ظهراً.. والشمس حارقة.. وقوية السطوح.. تضي العين عن الرؤية..  
وحاريتها حتى أرمي نظراتي إلى ولده...

نعم... إنه ولده... بدمه وجسمه... بطوقه وعرضه... بكيفه وهيبته... والبهلة من  
الذهب الأحمر المتفوح... التي تعيط به...

كان يضع نظارة شمسية تغطي عن شوقي أي نظرة انظرت أن أسألها في  
عينه.. بعد فراق طويل قلبي...

وكان شعره طويلاً بعض الشيء ومبهرج... لأبيه السير الصيفي العار لحظة  
هويه...

وليد بني واقفاً في مكانه.. لم يتحرك.. ولم يظهر أي حركة تشير إلى أنه يكثر  
ظهوري...

ووقت استردت أناسي التي نبيت مذ عمت بوجوده.. وأحاول خرق نظراته السوداء  
وروية ما تظنيه عمتانما خلفهما..

لم أر شيئاً..

التربت منه أكثر.. صرنا أمانه.. تفصلي عنه بضعة أمتار...

ووقت صامتة لا أعرف ماذا أقول.. من أين أبدأ وأين أنتهي؟ دعوني... فقط أتمنى

والده.. وأملأ قلبي من الإحساس الجميل الذي يتكلمني بفرجه...

ماذا حل بي؟ لماذا لا أستطيع التحدث؟ عيا يا لساني تطلق.. أما لتكفوت حرماً؟

أرجوك... قل شيئاً...

وليد...

نظفت باسمه وعيناي توشكان على التهامه.. وأنتاي على أعبة الاستعداد لخطف أي

كلمة تصير من لسانه قبل مغفرة له...

وليد... III.. لم أعلم أنك هنا.

لم يرد..

قلت:

كفوت.. أعتد أنك... مسفر.

لم يرد..

قلت:

تضي عمتي؟

لجانب الخيرة.

قبل أيام.

قبل أيام؟؟ أنت هنا منذ أيام... وأنا لا أعرف؟؟

قلت:

تم... بخبرني سافر عن هويتك...!!

ثم أوضحت:

أخيراً طي سلامتك.

ردت مقتضياً:

سئلك الله.

ففتحت منه أن بخبرني عن أي مبرر لعدم إحاطتي علماً بعودته... أو بمجيئه إلى

منزل خالتي الآن... ولما لم أزمه المصادفة شيء سألت:

و... كيف هي أحوالك؟

فعلق موجياً بمرود:

بخير.

والم يسألني عن حالتي أنا...

سمعت صوت باب المنزل يتعلق فالتفت إليه ورأيت حسان وأباه يفتان هناك...

برأيتني عن بعد...

وعندما عدت بنظري إلى وليد رأيتَه وقد مَدَّ يده إلى قبضة البراية بوشك على فتحيها.

قلت:

هل أنت مستعمل؟ هل سذهب الآن؟؟

قلت:

تعرفت لجلب الكتب قبل سفري.

توقف قلمي عن القلم والحشرت أظفالي في صدرتي...

قلت مذهولة:

استسافر؟؟

قلت:

نعم.

قلت:

متى؟

أجاب:

بعداً.

صعقتي الغير... مستسافر يا وليد؟؟ هكذا.. دون أي اعتبار لي؟؟ دون أن تخبرني لا

عن حضورك ولا عن سفرك... دون أن تفكر بالمرور علي ولو لإلقاء تحية عابرة؟؟

تضمتُ يديّ من الرمال التي طفت بهما، ثم مددتُهما إلى السور المحيط بالأشجار  
والمجاور لي واستندتُ عليه معاولاً الوالوف لكن فواي العظيمة بسبب وليد لم تستطعي...  
اقتراب وليد مني أكثر.. ورأيتُه ينحني ويمدّ يد العون لي..  
نظرتُ إليه بتفوق.. لم تمكّني النظارة من رؤية ما كنتُ أحدثُ عنه...  
مددتُ إليه يدي اليمنى... والتي كانتُ معجزة فيما مضى... وظليمة الآن...  
وأصصتُ به يتردد ليل أن يقرب يده يريد الإمساك بها ليساعطني على النهوض.. غير  
لني تجاوزتُ يده ومددتُ يدي أكثر نحو وجهه.. وانترجتُ نظارته..  
الآن.. يمكنكني أن أسمع في بحر عينيه.. الآن.. أستطيع أن أفرس في أصغره  
وأبحث عن فضائه.. عن الحنان الذي يحفظني به.. عن الرعاية التي يحيطني بها.. عن  
العطف الذي يغرمني به..

لكن.. تكلمول.. لم أقرأ شيئاً من هذا في عينيه..  
كانتا باربتون برود الرياح الثلجة في القلب الجنوبي.. جالستين حمود الجبال  
الجلدية... خاليتين من أي نفاذ.. أي شوق.. أي اهتمام.. وأي معنى..  
ارتجف فكي الأسفل من برودة وليد.. التي لو شئتُ أن تستر سيف ذلك النهار  
تظاءً قاسياً... اغترتُ فكي.. وارتعدتُ يدي فأولعتُ النظارة أرضاً..  
كان حسام قد وصل يتبعه أبوهم.. يسألاني إن كنتُ بخير..  
وليد سحب يده التي كانتُ ممدودة إليّ.. ومذاها إلى النظارة يريد التقاطها..  
فحركتُ يدي وأمسكتُ بيده أريد أن أشعر بأي ذرة دفئة فيه..  
وليد أراد سحب يده فأصصتُ به يسألُ عنجراً كان قد طعنه في صدري..  
لم أقرّ على ذلك.. فأنضتُ المنوع في عيني وهفتُ وأنا أجنب يده وأنهضُ معتمدة  
عليها وأقول منهارة أصغره:

لا تفعل هذا بي يا وليد.. أنا لا أتصل..

وزفرتُ زفراتٍ بكية بالأم وأنا منتجة بزراعه وهو واقف كشجرة جامدة.. لم يحركه  
سكناً...

سَلطتُ النظر على عينيه... والآن.. أرى فيهما الكثير.. الكثير..  
إيها عينا وليد التي التان ما فتتا تحيطاني بالرعاية منذ طفولتي...  
لكن وجهه كان مختلفاً... يلرز العظام عابس القسمات يلرز التعبيرات...  
ورأيتُ الحمرة تعمره وزخات من العرق تسيل على صدغيه.. أعذا بسبب الشمس  
فحارفة؟؟ أم بسبب النار المضرومة في صدري أنا..؟؟

قلتُ وأنا متعلقة بزراعه:

"خُذني معك..."

عطتُ الدفلة وجهه وليد فقلتُ:

أريد العودة معك.. إلى بيتنا..

وليد نظر إلى من خلفي ثم عاد ينظر إلى وأراد تغميض ذراعيه من يدي..

فما كان مني إلا أن شدت المنضغط عليها أكثر وقلت:

"خُذني معك أرجوك".

وليد قال:

إلى أين؟

قلت متسغمة:

"لا يهم.. سأذهب معك إلى أي مكان".

وليد أراح يدي عن ذراعيه... ورأيت عينيه تلمحان نظرة عليها وشعرت بيده تنفذ

بملطف عليها... ثم تركها ورجع خطوة للوراء... وقال:

يجب أن أذهب الآن.. زوجتي تنتظرنني".

واستدار مولياً ظهره إلي... وببساطة اخفى عن ناظري.. مثل السراب...

زوجتي تنتظرنني... زوجتي تنتظرنني... زوجتي تنتظرنني...

لقد الجملة برأسي حتى أصبحت بالقوار وترنعت وجثوت فجأة على الأرض...

رأيت حسام يظهر أمامي منعجباً على الأرض وهو يقول:

"هل أنت بخير؟"

أضغضت عيني فلما لم أكن على تحمل سطوع الشمس المعتية... وحالما فتحتهما لم

أجد غير حسام قريباً مني...

بحفت بعمق وبسرعة...

هل كنت أحمم؟

هل كان وليد هنا؟

لا لم يكن...

كان وهماً.. خيالاً.. تهبوا راحة فلي الشغوف به وعيني المتهللة لقلبه...

نظرت إلى البوابة... إلى العيزر الذي تروثت أن وليد كان يشغله قبل قليل... كنت

لو أن طبقه بنى عالقاً هناك... أردت أن أهبس وأعلق جزيتات الهواء التي لامست

جسدي... لكنني عجزت إلا عن الاتهباز بجذاعي على السور...

سمعت صوت حسام يناديني... وأمسكت بيديه لتسكن بي... نظرت إليه فإذا بي

أراه بعناق بي يعلق وعطف... ويقول:

"لا بأس عليك... خُذني بنا إلى الداخل".

وساعدني على التهبوت... وفيما أنا أهبس لامست نظارة شمسية سوداء معلقة على

الأرض بالقرب مني...

لقد إلى حسام وسألت بصياح:

أهل كان وليد هذا؟

ولم يقل حسام شيئاً... فالتفتُ والنظرة وثأمتها وهفت:

لقد كان وليد هنا... لقد تركني ورحل... رحل مع الشراء... لماذا فعل هذا بي؟

لماذا تركني؟

حسام جنب النظرة من يدي وألقى بها على العشب وقال:

تفكّصي من هذا يا رعد... إنه لا يستحق.

لما كنتُ صبيحة من أصاق لبي وهفت:

كلا... كلا... وليد لن يرحل بنوني... لن يرحل بنوني... لن يرحل بنوني...

www.lilas.com

www.lilas.com

www.lilas.com

www.lilas.com

www.lilas.com

www.lilas.com

www.lilas.com

www.lilas.com

www.lilas.com

www.lilas.com

### تحت جناحك مهما يكن

في طريق عودتنا من مكتب الموزون المدنية التابع في المدينة الصناعية حيث استخرجنا بعض الوثائق اللازمة للعمل، مررنا على منزل عائلة رعد وقال وليد إنه سيوصل إليها بعض العلاجات. وعندما غننا إلى المزرعة لاحظتُ شروده وانتشال ياقه. ولكي تكون دقيقة أكثر أقول إنني لاحظتُ ذلك منذ أن غادر وليد منزل عائلة رعد. كان وليد قد عاد قبل يومين من المدينة الساحلية جالياً معه حقيبة صله والكثير من الأوراق والوثائق المهمة التي يريد مني الاطلاع عليها وقبولها أو رفضها. حسابات... عقود... فواتير... مشاريع... وأنها مزعومة أنها وليد على أن يقتصرني فيها حينما كنا في المدينة الساحلية.

شؤون العمل هي كل ما دار تفاننا حوله خلال الأيام القليلة التي قضيناها هنا... ولم نتحدث عن أي شيء آخر... وكأنا لسنا خطيين... فركت بينهما عدة أسابيع والتقيتُ أخيراً...

وها هو الآن يستعد للمغادرة ويأخذ حقيبته من فوق المكتب ويمطر وسط الغرفة... باتجاه الباب.

كان يريد الذهاب إلى أخيه ليفضي القيلة معه وليصطحبه إلى المطار غداً.

كنتُ أرقبه بصمتٍ وتأمل... وألاحظ هو تحديتي به فتوقف وسأل:

أعذك شيء؟

هناك أشياء كثيرة ولكن لا مجال لطرحها الآن. أجهته بعد تردد قصير:

لا... لا شيء... فقط... أسأل... لم لا تفضي القيلة هنا؟

فقط إنني نظرة ذات مغزى... فقلت:

أسألك عشاءً معقولاً... لا يبدو أنك كنتَ تأكل شيئاً منذ أسابيع.

وخشيتُ أن يستخف الفكرة لكنه لم يشأ إعرابي فقال:

لا بأس... لكن يجب أن يكون عشاءً معقولاً... إذ سيتعين عليّ الخروج باكراً

سيلاً.

فاينسنتُ بسرورٍ وانصرفتُ من فوري إلى المطبخ وصعدتُ بنشاط... وفيما أنا

مشغلة مع طهيري أقبل خالي إلى المطبخ وحياتي ووقف يراقبني لحظة ثم طرح عليّ



سوالاً:

هل تكلمتما؟

مشيراً إلى موضوع زواجنا المعلق. فبعد يوم طُلبتُ منه أن تفصل وحتى يومنا هذا ولقد لم يفتح الموضوع ولم يخبرني عن قراره ولا ما يحول بهظظه... ولم يجمع بيننا لقاة خاص أو حوار خاص... أو حتى سفرة طعام... وفاة والنتي رحمها الله شغلنا عن التفكير بأنفسنا.

علاقتنا كانت باردة كالثلج.. وهو وجد في العمل مهرباً من التصدم معي... ولكن

إلى متى؟

أجبتُ لغيراً على سؤال خالي:

ليس بعد.

فحزن وتهدب. كان قلنا جداً علي. قلتُ له:

إيه لم يتم هنا غير ثلاثة أيام... كان مشغولاً مع الوثائق والأوراق... لم تصح

الفرصة.

قال خالي:

الكتاب ينتظر منك أنت فتح الموضوع يا بنتي فهو لن يجرز علي هذا في ظل

ظروفنا الحالية.

قلتُ بصراحة:

لا أعرف من أين أبدأ ولا كيف... أنا مشوشة جداً يا خالي وفقد والنتي أريك

حياتي.

وسكنتُ برهة ثم وانسنتُ:

استطعتُ دعوته لبقاء هذا الليلة... وتتاول العشاء معي... سأحاول أن أفتح

للموضوع أثناء ذلك... وأرى إن... كان علي استعداد للتطرق إليه الآن..."

شد خالي علي يدي وقال:

أصلح الله أمركما وبارك فيكما... تشجعي بنتي..."

ثم غاب...

تركزتُ الطعام بنصح علي النار... ودعيتُ إلى حيث وليد... كان جالساً في غرفة

المعيشة يطالع الصحيفة باهتمام... وقد ترك حطية سفره علي المنعد إلى جانبه... همتُ

بأن أقرب منه وأبعد الحقيبة وأجلس بهجوازه... ولكن خائفتي شجاعتي... لما ألقبه وليد

لعضوري قال سلفاً علي خير فراء في الصحيفة:

"سيعتبرون فرحاتك الجوية من جديد... لا تعلم لكم من الزمن... سيزداد الأمر

سوداً وشفقة.

وقطب حاجبيه لشيء... وتلعق الفراغ...

أردت الفكرة بأي تعلق غير أن حلقه سيقضي بالرفق فأجابته وابتعد، وسمعتَه يتحدث  
باهتمام إلى الطرف الآخر والذي أتركت من مضمون الكلام أنه شقيقه يسأله عن موعد  
حضوره ثم يطلب منه أمراً ملحاً...

هاتف وليد وهو يلف متلعلاً:

هذا؟

فأستغربت لعدوية باهتمام... وكلفت آخر جملة قائلاً:

تصفاً أنا قائم؟

وأبهر المتكلمة، سألته بغسولة:

تخبرني؟

فتنظر إلي نظرة سريعة ثم قال:

يجب أن أشارك الآن... أنا لسف؟

أصبحت بخيبة كبيرة... وقتت معترضاً:

والعشاء؟

قال معترضاً:

تناولنا بالصحة والعافية... إن أستطيع مشاركتكما.

عصبتُ وقتت:

تقد أعدت من ليك أنت يا وليد... ألا تنظر هذا؟

أطرق وليد برأسه ثم قال معترضاً:

بلى يا أروى طبعاً أكثر... لكن...!

فقاطعته منقطعاً:

لكن حبيبة القلب أروى بكل التفسير؟

نظر إلي وليد والتمناه أخذاً في الصعود إلى وجهتيه، ولم يجرؤ على الفرة بكلمة، أما

أنا فقد انقلبت ميزاني لمخاطبتها وأطلقت لساني قاتلة:

لم سكت؟ قل شيئاً... كنت ذاهباً إليها؟

زفر وليد زفرة ضيق من صدره ثم قال:

سأذهب إلى شقيقي... يطلب حضوره حالاً والأمر ملحق؟

قلت:

لكنه أمر متعلق برغد... ليس كذلك؟

ولم يجب وليد فقلت:

إن يمكنك الإنكار؟

هذا قال:

لا أعرف ماذا هناك يا أروى... سافر لم يوضح لكنه ألقى... ربما حدث شيء لا

فتر القفا:

قلت:

أر ربحا الصغيرة الغالية تتكلم علي وصيها الطون الكبير؟

نظر إليّ وأبد بانزعاج فقلت:

إنها بالمحصاة لأي شيء سمعتي... ألا تلاحظ هذا؟

زفر وأبد الكلمات بضيق:

هذا ليس وقته... أرجوك...

وأولاني شهرة وشاول حقيقته عاماً بالصغيرة...

ثم أمالك نفسي حينها وشعرت بالإهانة والغداز والغيظ فهتفت مجنونة:

وأبد... إذا خرجت الآن فلا تعد إلي هنا ثانية.

توقف وأبد وانظار إليّ... ورأيت في عينيه دغشة ثم مرارة كبيرة... تكلمت ثم

أستطع السجدة علي شعوري... في أحوال الأوقات إليه تركت وسافر... والآن مع أول

خطوة للتصالح بيننا وفيما أنا أتعلم تفكيري وجهدي فيه وأحطه... بتركلي وينصرف

إليها...

أشاح وأبد وجهه دون تعليق وسار نحو الباب. فهتفت مجدداً:

قلت... إذا خرجت فلا تعد ثانية... أبداً... هل سمعت؟

ولم يكثر بكلامي، فصرخت في غضبي:

هل سمعتي يا وأبد؟

انظار أذاك بعصية ونظر إليّ وهتف بغضب:

نعم سمعت.

ثم أضاف:

كم يؤسفني هذا منك... أولاً أنا قلت أنني سأذهب إلي شقيقي... يعني إلي المدينة

التجارية وأبست الصداقة والطريقان مختلفان ومتباعدان... وثانياً ليس بلوقت المناسب

لتغيير المواجه... دعينا نفرق بسلام الآن.

كنت أسمع بأن جزءاً من قلبي قد تزع بعنف قلت منهاراً:

إن يكون هناك مرة ثانية... إذا خرجت الآن فلا تعد... أنا لم أعد أتعلم... هذا

كثير... أي نوع من الأرواح أنت؟

وهزولت منصرفة عن غرفة المعيشة وعائدة إلي المطبخ وأسندت جيني إلي الأتاحة

وأغلت ألكي..

بعد قليل سمعت صوت وأبد يلفيني ولم أجهه... أمسكت به ينف عند قلب ثم

يقرب علي... ثم سمعته يقول لي:

أروي... أرجوك... لا تريدني هنا علي هم.

واستمرت في ثوب عيرت الخلان والأسف... إن لهم الأكبر هو هم امرأة تعب  
زوجها وتعرف أن قلبه مشغول بحب امرأة غيرها... هذا هو الهم الأدهى والأمر...  
قلت:

إذا كنت متعلقاً بها لهذا الحد ولا تستطيع الاستغناء عنها فإذهب إليها... أنا لن  
أجبرك على البقاء معي ولا على خفي... ما خلجتي إلى رجل مشغول قلبه  
بغيري...!!... أذهب... ولا تعد إلي ثانية.

\*\*\*

أقول سفرلك:

نظر شغلي إلي واستغرب ثم سأل:

أطراً!! ماذا!!

فكررت مؤكداً والحد يملأ عيني:

أجل سفرلك يا وليد ودعنا نسوي الأمور ونحل المشاكل أولاً.

قال بقرع حاج:

أتحبني من المزرعة إلى هنا مفرحاً على وجه المرحمة... مسياً ما سببت هناك...

أقول لي أجل سفرلك؟ يا سامر وضح ماذا تعني؟ وما بها رعد؟

أجبت بكل جدية:

لم تقل أنك لا تريد إخطارها عن حضورك؟ ألم أقل لك إن هذا سيجزئها!! إن

لماذا ذهبت إلى بيت خالتها اليوم وقابلتها؟ وبطريقة جافة؟ ألا تعرف كم من العزب سببت

لها معاملة هذه؟ إذا كنت قد ضقت نزعاً بها ولا تريد تعمل أعباء مسؤوليتها بعد الآن

ولا تطيلها بسبب خلافك مع أهلها فافعل الوصاية الكاملة عليها إلي أنا ونهائياً.

برحم أمني وحملني في... وأنا أركز في عينيه بحدك وشدة... ثم سألتني:

ماذا تعني!!

أجبت متفعلًا:

أعني أن تتنازل عن الوصاية عليها لي أنا... وأخلصك من هذا العناء تماماً.

وإذا بالمصرة اللون وجه وليد وأنا به يقول مهينًا:

كيف تجرؤ!!

أجبت بحدك:

على الأقل... أنا سأعاملها معاملة حسنة تلقى بها كليله عم وحيداً وبثيمة الأيون.

وقف وليد فجأة وحلف عاصبًا:

أعني أنني لا أحسن معاملةها يا سامر!!

فوقفت تباعاً ورددت بصوت قوي:

هل نسيت هذه القسوة والصرامة والخبثونة... معاملة حسنة!! وليد... لقد كنتُ

أزورها قبل اتصالى بك... اتصلت بي الخالة وطلبت مني أن أذهب إليها... أخبرتكى بذلك ذهبت إليهم ظهراً وقلقت رعد والله الأعظم ماذا قلت لها... وجعلتها تعيس نفسها في عرفتها منذ تلك العين ولا تفتح الباب لأحد... حاولت أن أكتبها لكنها طلبت مني الانصراف... أنا لا أعرف ما الذي قلته لها وجعلتها تعزى لهذا الحد... ثم تريد السفر بلائياً... وتركيتى أنا لوجه الأمر وأرغم ما تهتمه أنت... أتعنى هذه معاملة حسنة؟؟

وليد نظر إلى ساعة يده... وبدأ متوتراً... ثم قال:  
اتصل بها.

ولم أتحرك... فقال وليد:

الآن.

قلت:

قول لنا إني قدمت من عندها قبل ساعتين وهي متزوية على نفسها... وخافتها  
ساعتين منذ النهار.

قال:

إذن اتصل بهاتف المنزل واسأل عنها ودعني أكتبها.

بقيت واقفاً في موضعي... أنظر إلى أخي بتسكك... ثم سألته:

أخبرني أولاً... ما الذي قلته لها؟؟ لماذا ذهبت إليها؟؟

فأجاب منقطعاً:

أنا لم أذهب لزيارتها بل مررت لسبب آخر... ولم أقل شيئاً.

قلت:

إذن لماذا هي مضطربة هكذا؟؟ لا بد لك قلت أو فعلت شيئاً جارحاً حتى لو لم أتحرك.

وهذه الجملة استقرت ألي فهاك بغضب:

وهل تراني وحشاً ذا مغالب وأنياب؟؟

قلت غاضباً:

لا أراك تغتر شيئاً أو تفهم شيئاً... ألا تعرف ما تعني لها وما يعنى رعبك أو

غضبك؟؟ إما أن تكون أعمى أو بلا إحساس... وفي كلتا الحالتين لا تصلح لرحمة

رعد... فدعني أكرس لها ما ينسى من الآن فصاعداً.

سكت وليد مبهوئاً وتبعثرت نظراته ثم استجمعها واسترد رباطة جأشه وقال:

اتصل الآن.

أقيت عليه نظرة مستهجنة ثم توجهت نحو الهاتف واتصلت بمنزل الخالة فأجابته

هي وطلبت منها أن رعد لا تزال حبيسة عرفتها وطلبت منها استخداماً للتحدث معي فلم

تستجب، وقلت لخالتي بأن أخبرها بأن وليد يريد التحدث معها ولكنها أيضاً لم تستجب...

حين وضعت السماعة على الهاتف رأيت أخي ينظر إلى ساعة يده ثم يقول:

إن دعنا نذهب.

انطلقنا من فورنا بسيارتي إلى المدينة الصناعية. عندما وصلنا إلى منزل أبي حسام  
لم يفرج وليد من السيارة بل قال:

كعال بها.

قلتُ إليه وقتاً:

لم لا تأتي معي ونسوي المشكلة مع العائلة الآن؟

فرد:

ليس هذا وقتاً.

وتركته لي أنتظري في السيارة ونظتُ إلى المنزل. لم تفتح رعد الباب إلا بعد أن  
أسمعتُ لها مراراً وتكراراً أن وليد قد حضر معي ويريد مقابلتها... وعندما فتحتُ دعنا  
لسواد الذي لَوَّن وجهها الكتيب حتى غدا مضاهياً لسواد وشاحها. نظرتُ بصورها بينما تم  
سالت:

أين هو؟

فأجبت:

أنتظري في السيارة.

وبدا عليها عدم التصديق ونظرتُ إلى خالتها تبحث عن تأكيد فقالت أم حسام:  
لقد أحضره سامر ولكنه لا يريد دخول منزلاً كما تعرفين.

فأطرفت رعد برأسها وقالت:

أنتم تكتبون عليّ.

وتراجعتُ خطوة بعكازها إلى الخلف فقلتُ بسرعة:

ولماذا منكذب عليك يا رعد تعالي ودائمي بنفسك.

بعثرت رعد علينا نظرات التشكك ثم قالت:

إذا اكتشفتُ أنكم تخذعونني...

فأطعنا الخلة وقالت:

يهديك الله يا رعد.. انظري إلى حالك وحالنا معك... لأهي معي وأرحمي نفسك

وأرحمينا.

ورفضت رعد يدفعها الأمل خطوة ويوقفها التلكة أخرى حتى صرنا أمام السيارة

ورأت وليد يأم عينيها... نظرتُ إلى غير مصدقة فقلتُ مؤكداً:

هل صحتي الآن؟

ثم فتحتُ لها الباب الخلفي فجلست خلف مقعدي ورأيتُ أبي يلتفتُ إليها وسمعتُ

بطني التعب.

جلستُ على مقعدي وقلتُ إلى أبي وسالت:

إلى أين؟

فأجاب:

«جولة قصيرة».

وسرنا برفقتنا الصمت الشديد... وربما كانت أفئتنا تتعاطب وأفكارنا تتصالح دون أن نشعر بها. بمحاذاة الكورنيش طلب مني أخي أن أوقف السيارة وأشير بيده نحو المقاعد الإسفلية العامة قائلًا:

«هونا اجلس هنا قليلاً».

وسبقنا بالخروج من السيارة والتوجه نحو المقاعد. فالتفتُ إلى رعد فرأيتها قدبة في مكانها والتوتر جليٌّ على وجهها ويداها ممسكة بطرف وشاحها بانفعال. سألتها:

«أين تقزلي؟»

فأجبت بصوتٍ وجيل:

«مأنا... برید».

قلتُ متسائلاً:

«بم أنت خالفة؟ أنت تريدين التحدث معي؟ هو هذا ليس عليك...»

وإن كنتُ غير واثقٍ مما يقوله... وإذ بدأ على رعد التردد، شجعتها قائلًا:

«كروصتا لقول كل ما تريد ونضع الحروف على الخط... طلبتُ منه أن يلاحظ سفره حتى نحل المشاكل العالقة أولاً...»

وأخيراً خرجنا من السيارة ودعينا نحو وادي... فركبتُ رعد في الجلوب فأخرجتُ منيلاً ومسحتُ المقعد لأطلقه وقلتُ:

«كفنتي».

وعندما جلستُ جلستنا جوارها ثم التفتُ إلى وادي وقلتُ:

«كخط في الموضوع مبالغة... يجب أن نلاحظ رحلة الغد ونعيد الحسابات».

قال وادي:

«لا مجال... سفرني ضروري للغاية».

ثم التفتُ نحو رعد وقلتُ:

«لا يمكنكني أن ألتزم معي الآن يا رعد».

وما كاد ينهي الجملة حتى انهارت رعد فجأة... وكان جملة وادي كانت النبوس التي فخر الباقون...

قلتُ وهي شديدة التهج وتكاد تعزق طرف وشاحها المشدود بين يديها:

«أنا لست متواطئة مع خالتي... ولست راضية عما قلت... وإن أبحث أي مشاكل

مع أروى بعد الآن... سأهتم بدراستي فقط... لن أذهب لك أي إزعاج... وأي شيء

سأحتاجه سأطلبه من سافر... سأبقى منعزلة في غرفتي أدرس وأرسم... وسأفقد كل

تطلبه مني... لكن أرجوك... دعني أعود إلى بيتي وجامعتي... فلنا ليس لي غيرها ولا أريد أن أتركه ويضيع مستقبلتي أكثر من هذا أرجوك..."

والعزيمت رعد في بكاء قوي مؤثر... كأنها كانت تربطه حنوة على طرف حنجرتها وألقت منها بقعة دموع واحدة... كان منظرها مؤلماً جداً...

وقلت كما وقف أخي وسرنا مطربين منها... وصرتنا أمامها مباشر..."

قال وليد:

لما الذي تقويده؟

قللت رعد بنفس الانفعال:

تسأل ما تطلبه مني لكن لا تتركتني هذا أرجوك... أعنتني إلى بيتي وجامعتي... سأطلب من أقربي أن يعترضوا عنك... الآن إذا شئت... وسأصالح مع الشراء وأسي أنها من تسبب بإصابتني... فلأنا إني لن أرجعها أبداً ولن تشعر بوجودي في المنزل... أرجوك لا تذهب بدوني... أرجوك..."

كنت أبكي مع رعد... أخرجت مناديل وفتحتها لها لتمسح دموعها وأنا أقول:

كلا يا رعد أرجوك... تسلمكي."

ونظرت إلى شقيقي فرأيتَه يعلق فيها متدهناً من سوء حالها... ثم يجلس على المقعد بجوارها ويضع مرفقيه إلى ركبتيه وجبينه إلى كتفه ويحذب هذه الغاض قوية ثم يلتفت إليها ويقول:

رعد... أروي إن تكفي معي هذه المرأة وانتك لا أستطيع أنتك."

فالتفت رعد إليه ومسحت دموعها...

تابع وليد:

"عندما التفتن الأوهناج ستعود جميعاً... لكن الآن... صعب."

قللت رعداً

لماذا؟

فأجاب أخي:

قلت لك... لأن أروي إن ترافقتا وهي ما تزال غارقة في الحزن على فقد والدتها رحمتها الله... لا أستطيع الذهاب أنا وأنتِ وسامر... لن يكون هذا مقبولاً ولن توافق خالتك."

قللت رعد بمرحاة:

لا تابه بكلام خالتي."

فرد وليد:

لمست خالتك فحسبه... إن كان هذا تفكيرها هي فكيف بتفكير الآخرين؟

فردت رعداً:



لما لا أبه بتفكير أهد... أنت في مقام أهد.. وسأمر أهد.. أنتما عاقتي الحقيقية  
واليس لي ملجأ غيركما.

واليد نظر إليّ ليري واقع الكلام على نفسي... فأرسلت نظري بعيداً عنه... ثم سمعته

يقول:

"حصلاً يا رعد عندما أتى في المرة المقبلة..."

ولم يتم كلامه لأن رعد قطعته منقطعة:

كلا... إن يكون هناك مرةً المقبلة... سأذهب معك الآن... أوجهك لا تتروكني."

فقال ولید:

"سأسافر بكراً يا رعد... لم أترقب لسفرك وسأمر."

قلت:

"لعل سفرك يوماً أو يومين على الأكثر وسيكون كل شيء مرفقاً."

فالتفت إليّ وقال:

"لا يمكن. لندي اجتماع مهم للغاية صباحاً. أمرٌ معاً له بصعوبة منذ أسابيع."

فالتفت رعد مصراً:

"سأنتي معك."

فنظر ولید إليها وقد حلاه الانزعاج وقال:

"يستحيل ذلك الآن. سنلتقي الأمر في المرة التالية."

فالتفت رعد وهي تكلم مجدداً وتلفف تلمسها:

"أنت تكذب عليّ... لا تريد أن تأتي معك... تعامل إلى أن أعل وأكف عن ملاحظتك..."

لها صراحةً يا ولید أنك لم تعد تريد كفايتي... تريد أن تتخلص مني حتى تكسب خطيبتك  
ويصغر لها الجو معك وحدك."

أسابتنا الدهشة من كلام رعد... ووقف ولید غاضباً وحكف بفشورته:

"لما هذا الكلام المجنون يا رعد؟"

فالتفت رعد:

"هذه هي الحقيقة... لقد اخترتها هي وتنازلت عليّ..."

هذا أظنك ولید زجوة قوية:

رعد بكفي."

بصوت عالٍ ولفظاً جداً لدرجة أن رعد انقضت فرحاً ثم بلغت صوتها وكلمت

لنفسها، ثم سار متجهاً متجهاً إلى السيارة... ثم توقف واستدار نحونا وقال:

"هل هذا ظنك بي يا رعد؟ فهم سنخلفين عن أقربتك؟ كنتم تهبسونني ليري وشيرون

إليّ."

ولولانا ظهره واقتراب أكثر من السيارة حتى بدأ يفتح الباب ووجده مغلقاً... فركل

السيارة بوجهه وهناك:

تعال وانضمها.

واقفت رعد وناجت:

وليد.

ثم التفت إلي وأمسكت بزراعي وقلت متوسلة:

لا تدعه يذهب أرجوك.

عصمت أسناني وقلت:

لا تفلي.

ثم خاطبت ألي:

سأحصل بشركة الطيران وأرى ما إذا كان لديهم مقاعد شاعرة على رحلة الغد.

والتفت إلي رعد فتلاً:

كهي رحلات يومية ولا بد أن مطعنين على الأقل لا يزالان شاعرين.

وهذه فكرة طرأت على بالي للتو... أنتجها قللي على رعد وتغولني من ما قد

يعثرها بعد هذا...

حلتها على السير إلي أن صرنا عند وليد فخاطبته سائلاً:

ما لولك؟

لم يرد... فقلت:

لماذا نمر الآن بمكتب الطيران ونرى ما يمكن فعله.

فقال:

الوقت متأخر على فكرة كهذه.

فقلت:

لماذا هذه... أو لنطحن تصريحاً بالنظر مع رعد وسنلتحق بك عاجلاً.

فزار بصنوق وقال:

افتح الأبواب.

وركبنا السيارة وصرنا في الطريق وعندما اقتربنا من مفترق طرق أريت الانعطاف

بالسيارة يساراً لأمسك الشارع المؤدي إلى مكتب الطيران فقال:

أمسك اليمين.

وهو الطريق المؤدي إلى بيت أبي حمام، فقلت:

لماذا نمر بالمكتب أولاً.

فرد:

إلى المنزل يا سامر وكفى.

هذا حقت رعد:

كلا... لا أريد العودة إلى منزل خالتي... لا أريد".

فألتفت ولید إليها وقالت:

أفهمي يا رغد هذا صعب جداً الآن.

ولكنها ألتفت:

لا أريد العودة... لا أسافر عني... لا تفعل هذا بي".

لما كنا قد انعطفت يساراً وانطلقنا بأقصى سرعة ممكنة في الطريق إلى مكتب

الطيران.

أثناء هذا ورنيتي مكالمة من أم حسام تطمنن فيها على رغد فطمأنتها وأخبرتها بأننا

سنعود بعد قليل. توألت عند مكتب شركة الطيران وفتحت الباب وقالت:

تسألني وأعود".

وحلفني الحظ والشكرين وبعثت أرفأ البشرية إلى رغد... غير أنه يولي

ولید... فلما لم أعد أقوى على تحمل كآبتها...

تجأ وجهها حينما أخبرتها ومع ذلك ألتفت تنظر نحو ولید والذي كان ينظر عبر

النافذة إلى الخارج وعلى وجهها القلق وكأنها تسأله عن رأيه وأطلب موافقته... لم يعلق

أعني فأخبرنا صمته بمثابة الضوء الأخضر... وتابعنا المسير...

أظنه خائف على رغد وأخبرته إلى أي حد وصلت بها نفسياتها...

شعنا أن نرجع إلى منزل أبي حسام ولما فتحت الباب لها تركت في الخروج...

وبدا بها تخاطب ولید قائلة:

لا تفعلها وسافر هنا.

فأجاب:

أرجل ساكود الطائرة وأعرب مثلاً؟

فألتفت:

أفكن... إذا تعرفت مغربي لأي صعب... فسوف... فسوف...؟

فألتفت ولید إليها:

أفصوف ماذا؟

ولم تكمل رغد ومخرجت من السيارة ورافقتها إلى داخل المنزل وأخبرت العائلة بأننا

انظرينا الشكرين وسنسافر مع ولید.

فهر أن أبيت إعلان الخبر رأيت رغد تنظر إلى خالتي وتفعل مهتدة:

لا تفعلواي منعي يا خالتي وإلا فإني سأعيس نفسي في الغرفة إلى أن أبيت وألحق

بأبي".

فلم تقل أم حسام شيئاً... ورنى خلفي فإذا به أعني يستعمل خروجي ويومئني

أن لم رغد إلا تمام دون عشاء... وأن تناول فطوراً جيداً قبل المغادرة صباحاً. لقد

عليها هذا جريراً..

ونقلت وصيته إليها فرائت والسرور يتجلى علي وجهها  
"حاضر".

وعدت إلى السيارة ونظرت إلى أخي فرائته شارداً... يفكر بعمق. قلت:  
"سئلتني ولماذا... هذا أفضل حل... وإلا فإن تسمية رعد مستهزئة".  
قلت أخي إلى وتنهذ وقال:

"قد أحدثت مشكلة كبيرة لي مع أروي يا سامر..."  
سأله بقلق:

"أي مشكلة؟"  
قال:

"تصرفت وكأن الأمر يعني رعد فقط... ونحن نعرف أروي بأن رعد عائلة معي  
فستقلب الدنيا رأساً على عقب".  
فكرت قليلاً... بعدما قلت:

"إن قل لها أن رعد عائلة معي أنا وليس معك".

فرمقتي أخي بنظرة غاضبة وأرشك علي قول شيء، لكنه حين أسأله ولا  
بالصمت...

• • •

من الصباح الباكر... اتصلت بسامر لأتأكد من أن كل شيء يسير بخير... وتناولت  
فطورتي وبقيت جالسة في الحقيقة مع أروبي وحقائبي... في انتظار مجيء أبنّي عني.  
وعندما أتى سامر... عدت إلى الحجاب بحملها... وخرج عني أبو حسام لملأها ولماذا...  
الذي لم يدخل المنزل. عطفني لهلة بحرارة... أنا عطفني فقد ذرفت الدموع وهي تضطفي  
إلى صدرها... وأبقتني في حضنها طويلاً... إلى أن سمعت صوت سامر يقول:  
"ها بنا".

ابتعدت عن عائلتي... فسمعت علي وأبي وقلت:

"كلهبي لقصك جيداً يا رعد..."

أومأت بنعم... فالتفت نحو سامر وقلت:

"عطني بها ومسنها كعبيك يا بني... ولا تدع أخاك يفسد عليها".

قال سامر:

"توصيني أنا يا عائلتي؟"

قلت:

"أفكر... حل التفكير تلعب المؤمنين".

فكدها:

الطعنتي... ورائد بعثني\*.

ثم التفت إليّ وقال:

نعمها وإلا تأخرنا.

جلت بنظري لألقي نظرة الوداع على قاربي... والتفتُ حسان الذي كان نلقماً ولم

يتهمش لوداعي...

وأخيراً... غادرت المنزل... ورحلتُ عائداً إلى منزلي الحظيقي... في الجنوب...

وصلنا إلى المنزل الكبير ضمنى...

وإيد أسرع بالاستحمام ثم غادر المنزل على عجل وهو يقول:

لعمرك بكل شيء... سأعود عسراً... اتصل بي عند الحاجة.

وانتفى بسرعة... لنا سائر ففي البداية أخذ يتجول في أنحاء المنزل مستعداً

للتكرات الماضية... وشاعراً بالألم لشكر والدي... ولأنني لا أستطيع صعود الدرج فلم

أرافقه عندما واصل جولته في الطابق العلوي... إنما ذهبت إلى غرفتي السفلية واستلقيت

على سريري باسترخاء وأصغمتُ عيني...

أه... أخيراً أنا هنا من جديد...

كأن ما حصل... حطم طويلاً... لقد صنعتُ عدة أسابيع منذ غادرتُ هذه الغرفة...

على أمل العودة إليها بعد أيام... ويبدو الشراء...

يا للأيام... يا للأحلام...

ولم أشعر بنفسي وأنا أستلم نوم صديق... صديق جداً... عودتُ فيه سهر الليالي

المؤرقة التي قضيتها بعيداً عن وئيد قلمي...

\*\*\*

عدت من عيني قبل المغرب فوجدتُ شظيبي منتدماً على الكنية في غرفة المعيشة

الرئيسية، عارفاً في النوم، والتقليل مشغلاً والمصباح مطلقاً... وعلى الطاولة إلى جواره

طبق لوانه مشككة فارغة وقارورة ماء... ما إن التفتُ باسمه مرثين حتى استيقظ وراح

ينظر إلى ما حوله ثم يتعجب ويمد ذراعيه ثم يقول:

لعمرك أخيراً!... تأخرتُ!

قلتُ:

أخبرتك أنني سأعود متأخراً. كان لنامي الكثير لأجزء اليوم.

ثم أضيفتُ:

وعلى فكرة يمكنك استلام وثيقتك رسمياً ابتداءً من الغد... وقد خصصتُ سيارة

كبيرة للمصنع لاستخدامها إلى أن نجلب سيارتك من الشمال.

قال:

عظيم... ممتاز... وأين سيجدني؟

قلتُ:

«معي يا سامر... قلب علي ومساعدتي الأول».

والصفتُ:

«مثل السيد أسامة.. وأريدك أن تتكلم لوظيفة بسرعة لتعمل العبد معي.. خصوصاً

وإن المنذر يطلب بإجازة منذ زمن وأنا أرفضها».

سألني لقي:

«هل أسامة المنذر هذا موضع ثقة؟»

فأجبتُ:

«نعم.. وهو من كان يدير المصنع ويرعى شروة لروى وأمتلكها إلى أن تسلّمتها.. إنه

رجل أمين.. وجدي بالثقة».

سأل:

«وماذا عن بقية الموظفين؟ الإداريين بالذات؟»

قلتُ:

«لا أولى الثقة المطلقة في حياتي إلا خمسة رجال.. سيف وأبيه.. وعني إيمان..»

والسيد أسامة... وأنت».

ثم حدثتُ بدي وريتُ علي كلف شقيقي وقتُ:

«أنت لو أنهم يا شقيقي... سأعتمد عليك كثيراً...»

ابتسم سامر وقال:

«يكل تكويد...»

ثم أضاف مازحاً:

«المهم أن تسمع علي الرواتب والعطايا الكريمة! دعني ألتوي طعم الكراء من جديد».

وضحكنا باهتياج...

ثم سألتُه:

«ماذا عن رعد؟»

فحكيتُ شعر رأسي وقال:

«ربما نلحقه... لم أرها منذ ساعات!».

استكرتُ هنا وقتُ جاداً:

«لمد ساعات؟»

قلتُ:

«نعم فهي قد دخلت غرفتها المجاورة بعد انصرافك ولم تجب عندما ناديتها قبل أن

ألم...»

أكرتُ الجملة فقلتُ:

تعني أنك لم ترها منذ الصباح؟ وأنا من اعلمت عليك؟  
وخرجت من غرفة المعيشة وذهبت إلى غرفة رعد وتبعني أخي. طرقت الباب  
ودنايتها بضع مرات فلم تجب. قل لي:

أظنها نائمة... فقد كانت متعبة من عشاء السفر كما أنها لم تنم البارحة.

قلت:

يجب أن شكك.

وطرقت الباب بقوة أكبر وبعثت نادياً لها بصوت عالٍ... ولم تجب... فما كان  
مني إلا أن أسكتت بقبضة الباب وفتحته... وأخي يهتف:

لماذا تفعل؟!

لم أدخل الغرفة بل تكلمت رعد بصوتٍ يعلو مرة بعد مرة إلى أن سمعت صوتها  
أخيراً يرد...

نعم؟

هذا أنا... هل أدخل؟

نعم... ماذا هناك؟

أطلقت براسي داخل الغرفة فوجدتها جالسة على سريرها مائة رجليها وهي لا تزال  
ترتدي عبايتها... ويبدو عليها التعلى الشديد... تراجعت للوراء وقلت:

أنا أسف ولكننا طرقتنا الباب ودنايتك مراراً فلم تردني.

ولم أسمع لها رداً... فقلت:

هل كنت نائمة؟

فلم ترد... فعدت وأطلقت براسي نحو الداخل ورأيتها تتألم وهي شبه واحة  
فسألت:

هل شربت شيئاً أم ماذا؟

ولم ترد... فقلت وسألت:

هل أنت بخير؟

فأجابت أخيراً وهي تترك عينيها:

الجل... أنا نسي.

وأملت رأسها إلى الوسادة وأضطت عينيها... فسحبت من الغرفة وأغلقت الباب  
وأنا أكرز اعشاري...

لأقضي أخي بنظرات استهجان فخرجت له:

لما فيها الإغصاء من قبل والطرقت على الموت... لم يبدُ نومها طبيعياً مع كل تلك  
الطرق والقضاء.

وانجبت إلى المطبخ وجلست على أحد المقعد أرخص أخصاني وعندما لحق بي أخي

قلت:

استكون الخادمة هنا غداً.. وسأعمل على توظيف طاهية أيضاً.

قال سامر متجاوزها:

اعني ذكر الطعم انا التصور جوعاً.

واتصلنا بأحد المطاعم وطليتا رجبة غنية تناولتا نصيبنا أنا وأخي منها هور ومولها.

أين سأنام؟

سأل أخي ونحن على مائدة الطعام، فأجبت:

في أي غرفة نساء... لكن الغرف بحاجة إلى تنظيف أولاً وغرفتك المسافة طقت

معلقة... استخدم غرفتي الليلة.

قال:

وأنت؟

قلت:

أقام في غرفة المعيشة على مقربة من رعد.. فهي تخشى الحيتت بفردها في الطابق

الأرضي.

وخرجت بأخي يرد:

إن لا بلن، سأنام في غرفة المعيشة رايق أنت في غرفتك.

وكتمت في صدري شيئاً لم أتنا إخراجها...

ومع مرور الأيام بدأت تصرفات أخي تزعجني... فهو نصب نفسه مسؤولاً أولاً عن

رعد وحل مشكلي في رعايتها... كنا نتناوب في الذهاب للعمل والبقاء في المنزل مع

رعد... وكنت أسهر كل ليلة لمناجاة العمل أولاً بأول... ومع مطلع الأسبوع المقبل ستعود

رعد إلى جامعتها وسيكون عر إلتائها ذليلاً وجردة... أما أنا فساأناظر طاهية إلى

المزرعة نهاية هذا الأسبوع لأعالج مشكلي مع أروي... والتي ترفض الحديث معي منذ

ليلة النساء الذي أصدته قبل مغربي...

• • •

إلى المزرعة؟

شبهت مندمنة لما أطمنا ولهد عن نيكه في الذهاب إلى المزرعة غداً... ورجحت أن

يكون الهدف هو جلب الشراء، لم أستطع شيئاً وكتمت أطرأضي في داخلي... لا بهم إن

كانت الشراء مشكلي.. لا بهم إن كانت قد التصوت علي.. المهم أن أفي تحت مظف

واحد مع وليد وأعطي برويته كل يوم... إني رأيت الموت من توته... وسأقبل بأي شيء

لقاء أن أظل على مقربة منه ويظل طيفه يحول من حولي...

ومذا أن أغيرنا بالخبر وأنا واقفة على أخصاب مشدودة في انتظار ما ستنظر عنه

مفرته هذه...



لم يكن وليد يجالسي أو يتحدث معي إلا بكلام عابر... وكان يقضي معظم الوقت في مكتبه يعمل. كنت سأجن لو أنه لم يحضرني معه... لم تكن شمس النهار التالي لتطلع على وهي غفل... بعد مقابلته البليدة عند بوابة منزل خالتي...

على فكرة... نظارته الشمسية أصبحت ملكي الآن!

اليوم متزورني مزج وتجنب معها بعض المحاضرات الهامة لأطلع عليها... سأعود للجامعة قريباً وأشغل وقتي في الدراسة من جديد... وأبعد عن رأسي التفكير في الشغراء...

الساعة الآن الواحدة ظهراً ونحن - أنا وسامر - نتناول طعام الغداء في المطبخ... ووليد في عمله...

"ما بك يا رعد؟ فهم أنت شاردي؟"

سألني سامر وهو يري يدي تكتب الحساء بالمعلقة طويلاً... دون أن أرتشف منه شيئاً...

قلت تلقائياً:

"هل تظن أنه سيحضرها معك؟"

فرد سامر:

"أظن ذلك، وهذا شأنهما."

فازداد توتري... فقال سامر:

"من الطبيعي أن يجلب زوجته معه يا رعد."

تناولت رشفة من الحساء بلعتها ولم أشعر بطعمها... ثم قلت:

"المهم... أن تغيب بوجودي... لأن وليد... فيما لو رفضت... سيهدني إلى خالتي."

فاستغرب سامر وقال:

"وما علاقة هذا بذلك؟"

قلت:

"إنها لا تريد أن أعيش معها."

أعكذا؟

نعم. لأن الانسجام بيني وبينها مستحيل..."

تجلى على سامر بعض التردد ثم تجرأ وسأل:

"هل تتركه هي أمك...؟"

طالطت رأسي ونظرت إلى وعاء الحساء الموضوع أمامي حرجاً... لفهم سامر

إجابتي... سامر يفهمني جيداً... وهو معي دائماً صريح ومباشر... ليس فيه الغموض ولا

يشتر الحيرة والتساؤل والذهول أينما حل... كما هو وليد...

فل بعد صمت قصير:

إن وليد يعرف... الآن تكلمت.

فرفعت بصري إليه وسألت:

يعرف ماذا؟

فجوى بصريه إلى أطباق طعامه وتظاهر بالانشغال بتفطير قطعة اللحم... وقال:  
لكم تحبونه.

تحدثت على يدي وفارت السماء في وجهي وأبعت نظري عن عيني سامر وقت  
بصوت ضعيف:

لا... لا... ليس كذلك.

وأسكتت بطرف مفرش مائدة الطعام وأخذت أكل وأرغمي فيه بانخراط...

سامر وضع قطعة اللحم في فيه وراح يمضغها ثم بلعها وقال:

هل يعرف؟

فرفعت إليه بصري باهتمام فوجدته يرفع كأس العصور ويشرب جرعة منه...

منظاهراً بالبرود...

قلت:

كيف؟

قال وهو يتابع تناول طعامه:

ليس بهذا الغباء.

وأصمتت بقلبي بخلق بقوله... هل يمكن أن يكون وليد... قد اكتشف أنني أحبته...

أكثر من حب ابنة لأبيها؟

وفيما أنا شاردة في تفكيري سمعت سامر يقول بجدية:

لكن ذلك لن يغير شيئاً يا رعد... وليد رجل متزوج ويكرهك بعشر سنين... ولا أظنه

يعتبرك إلا ابنة أو أخت صغيرة بقيمة تكلم برحمتها.

فقلت شبيهي للطعام فجاء وتوجه وجهي حزناً... ولاحظ سامر التغيرات التي

أضرتني فوضع شوكة جانباً وخاطبني ببرة أكثر جدياً وواقعية:

يا رعد... سستطيقين يوماً وتتركين ابن كنت تتحبين... تكلمي لا أريد أن تصابي

بصدمة قلبية... فكري ملياً في نفسك... وقومي الأشياء تقيماً عفاً وليس عاطفياً...

ما هي نهاية حب رجل مرتبط بقناة أخرى لا يمكنه أن يسبب ليلتقي عنها؟ ولا أن يدفع

ليفكر في غيرها.

أسبتت بصر عظيم وثقوت معني... ورفعت عيني بالكسار والبرزق يدي على

المائدة وقتت:

حتى لو تزوجها... سأبقى معه... تحت وصايتك.

قال:

تستكبرين... وإن احتلني وصيلاً... وهو سوتزوج ويكرس جهده لعائلته الجديدة... هنا  
هو المسار الطبيعي للحياة.

قلت بشيء من الانفعال:

وأنا؟

فصمت سامر... ثم قال:

قلت أيضاً... سوتزوجين وتعيشين حياتك... مع من يستحقك ويشاركك؟

وبانظنا نظرات صيفة... ثم قال:

القرار بيننا؟

فلمحت أنظر إلى يدي... أتأمل راحتيهما... والخطوط التي تملأهما... وكأني أفتش

عن القرار بيننا... وأراهما خاليتين جوفتين... لا تحملان شيئاً...

مدتنيهما نحو سامر أريه باطنيهما الأجوف وأنا أقول:

يُداني لا تملكان شيئاً.

لمد سامر يده نحو يدي وقال:

لما لي يدي هو ملكك؟

وكأني عيياء متصلقان بي تملأهما المعاني العميقة...

شعرت بحرارة في حنفي... كأني تحزعت نواة مركزاً... والنهارت تعبرات وجهي

أمام نظرات سامر فإذا بي أقول دون تفكير:

ألا زلت تحبني؟

وكأني إجابته بأن شذ قبضة يده وأضبط عيني كمن يحتصر الماء...

نعم يحبني... أعرف ذلك... كان مبهوراً بي... يغمزني بلطفه وينظرني بهدأه

ويغلفني بحوافقه...

لم يكن غمظي فقط... كان أغمي ومخيفي المقرب... وكان يشاركني كل شيء...

ولم أشعر يوماً وهو معي بأنني بحاجة لأي شيء...

لماذا لا تزال تحبني يا سامر... بعد ما قطعته بك...؟

أه... كم يؤلمني قلبي... كم يفرحني ضميري... كم أنا الفانية... كم أنا حزينة من

لجلك...

رفعت رأسي أريد أن أرمي به إلى الوراء لعل الأحرار تتسلط منه... فإذا بعيني

تلعان فجاء على ولبد...

جفت وسحبت يدي نحو ضميري أسك نفسي الذي الحشر فجاء في شعبياتي البواتية

إلى ظهور ولبد المياح... وأصن سامر بحركتي السريعة ففتح عيني والتفت إلى

الوراء... إلى الباب... فوجد ولبد يلف هناك...

العلأ ولبد... كيف كان يوماً؟

بامر سامر بالسؤال فرد وليد:

كان حافلاً جداً.

قال سامر:

فرضنا الجوع فشرعنا بالأكل فبلك.

رد وليد:

أبهاه والعافية.

وتوجه نحو المفضل فمسك يديه وأقبل وأخذ مفضله... على رأس المائدة...

قال:

ماذا لدينا اليوم؟

فأجاب سامر متظاهراً بالمرح:

مشروبات طلبناها من مطعم... وحساء أمكته رعد.

فطماطت رأسي خجلاً من الحساء المتواضع الذي أحضرتك...

وبدا وليد يعد أطباقه وسكب لنفسه شيئاً من الحساء... وأخذ يرتشفه... ولم يتعلق

بأي تعليق...

وسامر عاد يتناول طعامه ويشرح على وليد الأسئلة حول العمل... حيث إنه سيذهب

بعد قليل... ويحب وليد أجوبة مختصرة... إلى أن سمعته يقول:

لم لا تأكلين؟

فتبوت على سؤاله فرفعت رأسي ونظرت إليه نظرة سريعة ثم انفضت رأسي

وأجبت بصوت خافت:

ككفت، الحمد لله.

وأمسكت بعنقزي الموضوع إلى جوارتي وقتت عن المائدة...

سامر قال:

لم تأكلي شيئاً رعد.

قلت:

الحمد لله.

وسرت متجهة إلى الباب... فاستوقفتني صوت وليد يقول:

على فكرة هل لديك استعداد لزيارة الطبيب اليوم؟

ففكرت صديقتي مزاح وقتت وأنا لا أجوز على رفع بصري إليه:

اليوم؟ أنا مستنى مزاح لزيارتني.

قال:

ماذا عن الغد أو بعد؟

فأجبت:

بعد الغداء...

فقال:

لا بلني!

ثم تابعته طريقتي إلى غرفتي...

وقبل مجيء مخرج ذهبت إلى المطبخ لأحضّر بعض الأطباق المكسرات والحلويات...  
وتشياً من العصور... وفيما أنا أعمل الصينية بيدي اليمنى بينما تمسك يدي اليسرى  
بالعقاز... لعل توازن الصينية فوقعت أرضاً وتسلّم الكأسان الزجاجيان محتلين حبة  
كبيرة... وشعرت الأطباق والمحتويات على مساحة كبيرة...

أوبس... هذا ما كان يقصيني!

تفجرت بصوت غاضب... ثم جثوت على الأرض بحذر لئلا أشظها الزجاج  
والطعام المبعثر...

ثمّأ حصل!

لقدت بسرعة نحو مصدر الصوت... وجهته واقفاً عند الباب والقلق يخطئ ثوباً على  
حبيته ويحذر ما بين حاجبيه... ثم اقرب مني وسأل:

هل لزلت؟! هل أنت بخير?

سعبت نظراتي عنه وسلمتها بخروج نحو الشظايا وأجبت هاسية:  
لوقعت هنا من يدي!

ورأيت ظله يتعكس على الأرضية الملساء... ثم رأيت يده تظهر من الغطاء وتبيط  
على الشظايا تلمسها...

جمع قطع الزجاج الكبيرة والطعام في الصينية وانفضت أنا في القفاط الأكلاء  
الصغيرة وإذا به يرفع الصينية ويقول:  
ادعها هنا!

فهبضت مستعدة على عكازي ورأيت بوجه نحو المنكسة الكهربائية فشعرت بالحرج  
وتفجرت خطوتين وأنا أقول:  
أنا سأحفظها!

فالتفت إليّ وقال:

لا عليك... اعطوي أن تكومي عليها!

وقد كنت حافية القدم اليسرى، أما الأخرى فسجّرة كما تعلمون...

عكف وايد على تنظيف الأرضية بحذر من أي شظايا ممكنة... وعكفت عيناي على  
مراقبته بكل عناية... فيما قد حرمنا من رؤيته أسابيع طويلة ولم نرتويا بمرأه بعد...

لما فرغ من مهمته استكرت بسرعة نحو القوابل وتظاهرت بالني استخرج كأسين  
لغيرين وأطباق جديدة... وسعته يقول:

تجيني لسانك:

وتولّى نفسه تحضير كل شيء ثم جعل الصينية إلى العربة ثم سأل:

أين مستقبلينها؟

أجبت:

في غرفة الضيوف الرئيسية.

فقد العربة إلى هناك ثم عاد وسأل:

تسيء أخيراً؟

فأفقدت رأسي وأبست وقتاً:

شكراً لك.

فرد:

الطير... صغيرتي.

رفت بصري إليه بسرعة... هل قال صغيرتي؟ هل ناداني بصغيرتي من جديد؟

أخيراً من علي؟ هل صفح علي ورضنا علي؟

حاولت أن أقرأ شيئاً في عينيه لكنه استدار منصرفاً وهو يقول:

إذا لمجتني فتدبني.

بعد ذلك ذهبت إلى غرفتي فريرة العين... وانظرت إلى وجهي في المرآة... فوجدته

متوهجاً...

تزعجت وشامني وأملقت سراج شعري السجين... إن لذي ضيفة مقرّبة وأنا لا أريد

أن أستقبلها كما في الزيارة السابقة! أشكرون؟ الشراء في قاعة الأثقة وأرعى الأكلان...

وأنا خلف السواد ونحت الجبال!

وارتت القزوين وكنتي لم أكن أملك شيئاً في هذه الغرفة! لا حتى ولا مساحيق ولا

ملابس نيق باستقبال ضيوف مفرّين!

أرد... ما هذا الخط العائر! كيف سأصعد الآن غرفتي... وكيف سأعطيها؟

لا!

لا ذهبوا بأفكاركم إلى الجحيم! هل تظنون أنني سأطلب هذا من وليد؟

في غرفة الضيوف استقبلت ضيفتي بعباطني ووشامني... وكأنتي لست من أصحاب

المنزل... وكان وليد هو الذي فتح لها الباب وفادها إلى الغرفة.

وأورا ما هذه الأثقة يا رعد؟ تدين مذعلة!

قلت مزج مزحة وهي تتلمطني، فاجبت وأنا أرفع رأسي وحاجباتي وأضض عيني

بفتحة المكبرة المزحة!

لا تحاولي مضاهاتي! احترقي غيرة!

ومسكتنا مزحيتين. وحيفة! استكنت مزج وجميع الزميلات علي رؤيتي بمظهر

تولم لا رعداً؟ تعالي معنا فكلنا منذهب جداً والفضي وقتاً راعياً.  
قلت وأنا أنتير إلى عتري:  
وهذا؟

فقلت:

وما المانع؟ أنت تستطوعن السور 22 لا تقوتي فرسة كهذه رعداً.  
وكبرت الفكرة في رأسي بسرعة.. وشجعنتي مزح حتى أملت بها وفرزت الذهب:  
\* \* \*

عاد شطلي مساءً يحمل معه عشاة من أحد المطاعم وكيساً يحوي معطرة من كرات  
البوظة المختلفة الألوان قل عنها:  
وهذه لرعداً ستعنتها.

وذهب مباشرة لوريها بإها.. ولأن المطبخ قريب من غرفة رعد فمن السهل سماع  
أي حوار يدور عند الباب..  
كملت سرورة.. وسمعت منمكتها ومنمكة سامر تتعلقان بمزح وتطرفان أنني  
بنعدي..

تجاهلت ذلك وخنرت أصصلي لمر الليلة بساتي.  
وخل أن أوي إلى فراتني باكراً عارفت الاتصال بالمزوجة ونقد أحوال أروي والعم  
إيها.. وقد رفضت أروي القنعت معي وطلب حتى مني المصنور لعل لمشكلة..  
فأخبرته بأنني سأعود نهاية الأسبوع كما خططت. أريت إلى فراتني وبعد منتصف الليل  
استيقظت بسبب ألم معنتي.. ذهبت إلى المطبخ لأتناول توافي وأثرب الماء وسمعت  
صوت التلفاز في غرفة المعيشة. توقعت أن يكون أخي قد نلم تركاً الجهاز مشغلاً  
وذهبت بقصد إيقافه وفوجئت حين أطلت برأسي فرأيت أخي ورعد يشاهدان التلفاز  
معاً.. ويتهمان البوظة..

قل سامر حين رأيت:

ألم تم بعداً؟

والأجد أن أطرح لك هذا السؤال.. قلت:

أبلى، نهضت لأثرب الماء.. ولكن لم ألتما ساعرين لأن؟

فردت:

تشاهد فيلماً ممتعاً.. ثم إننا لن نهضن باكراً مثلك؟

ولم أجد أي تعليق أعقب به.. فلتسحبت وهدت إلى فراتني..

لكن معنتي شامت تعطيني ساعة من الزمن حتى هدات.. وسلمتني للأفكار  
والهواجس.. تلعب بي بقية الليلة..

كان لدي عمل كثير ومهم جداً في اليوم التالي.. عدت ظهراً من الشركة فيما ذهب

شقيقي إليها، احتكفتُ في مكثي لإيجاز أمور ضرورية.. ودعوتُ أحد الموظفين  
المسؤولين لزيارتي في المنزل وإتمام العمل معي..  
وفيما أنا في لجنة الانشغال طرقتُ الباب وأجبتُ الطارق.. فكان رعد..

• • •

بعد أن فصلتُ بي مزاج نوكد على الذهب للمعرض لم أستطع مقاومة رغباتي في  
ذلك فاستجعتُ جرأتي وأكثتُ إلى وليد وأخبرته عن ذلك...  
كان يجلس خلف المكتب وأمامه الكثير من الأوراق والطلبات إضافة إلى حاسوبه  
الخاص والهاتف.. بدأ مشغولاً جداً وربما لن يوافق...  
نظر إليّ وليد باستغراب وقال:

كيف يا رعداً وإسمايكلاً؟

قلتُ:

أسير بعكازي!

قال:

لن يكون هذا شيئاً!

قلتُ مبررة:

إن أخطرتُ للمشي كثيراً... مشاعلي مزاج إن اعتجت...!

ولم يظهر عليه الاقتناع قلتُ بنبرة رجاء:

لا أود تعويتِ الفرصة... مجموعة من صديقاتي وزميلاتي تقفن على الذهب اليوم  
وسبعمتين وقتاً ممتعاً أريد مشاركتين.. والتفراج على الفرحات الرائعة... سأمرّ ولو  
لنصف ساعة...!

نظرتُ إليه مستغفة رايه... كان الاعتراض جلياً على وجهه... وسمعته يقول:

إذا كان ولا بد، فلجئي للفكرة للحد، إن ضيقاً سيؤذي هذا اليوم ولا يمكنني

الخروج معك!

قلتُ:

تكفه آخر الأيام!

قال وهو يعود للتدقيق في شاشة حاسوبه:

إن قسي الأمر!

شعرتُ بالحزن والحلق... ووافقتُ في مكثي منكسرة.. ثم قلتُ مسترصة موافقة:

أنا لم أخرج من البيت منذ زمن.. منذ إسماي... أريد أن أغير الجو قليلاً.

فالتفتُ وليد نحوي... وقال:

أنا مشغول جداً اليوم يا رعداً!

قلتُ مباشرة:



تسأله مع مزاح:

وسكنت ولدت فتابعته:

الغريبي بأنها تستطيع اصطحابي. سترافها إحدى شقيقاتها والأستاذ عارف ذاته هو الذي سبقنا بسيارته:

وكما يظهر لم يستمع وليد الفكرة... أطرق برأسه قليلاً ثم قال لغيراً:

لا أربعا فكرة حسنة من البداية. لم لا تصرفين النظر عنها وتستغنين وقتك في

الدراسة??

وبهذا انتهى الحوار وعاد لحاسوبه. أصبحت بالحسرة... وخرجت من مكتبه لجزء

أطول الغيبة. بقيت سبباً المنزل منذ أن وقعت من أعلى السلم... وأخر مرة رأيت فيها

العالم كانت ليلة لزمتنا أنا وهو قبل الحادث.

ذهبت إلى المطبخ وأنا مكسورة الظهر واتصلت بصديقتي مزاح وأخبرتها بعدم

تسكني من الذهب، وأنا أعتصر حسرة!

مضت فترة ووليد مشغول في مكتبه وعند الرابعة عصراً وفيما أنا جالسة عند المائدة

أصطح بعض المجلات وأتيم البوظة، سمعته يتطحن.

قلت إلى ناعبة قباب ووجدته يقف هناك ويهم بالتفكير...

دخل وليد وأمع المجلات بين يدي فقال:

ليس أجد بك تصفح كتبت?? لقد فاتك الكثير يا رغداً تذاي هناك:

لترجعت من تصيحه رغم كونها فيما، فقط لأنني مستاءة من رفضه لطبي. وقلت:

حاضر. سأفعل ذلك:

وربما فهم التنخر في رثي لكنه تجاهله. وأتجه إلى الموك وأخذ يعد الشاي...

فرحت من التهام كرة البوظة ورضعت في المزيد... فأتجهت إلى التلاجة واستخرجت

كرة الغريبي فإذا بي أسمع وليد يقول:

لا تكثري من تناول البوظة... متعرضين:

فشعرت بالعرج وأعدت البوظة إلى مكثها... ثم حصلت مجلاتي وغادرت المطبخ

منجبهة إلى غرفة المعيشة.. ونظمت الثقل وجعلت قلب القنوت يعلل... لحظات وأنا

بولىد يقف عند قباب ويقول:

تدرك من الثقل يا رغدا... ستعودين الأسبوع المقبل إلى الجامعة.. لم لا تراجعين

دروسك?

أصبت بالحسرة.. فأغلقت الثقل ونهضت لريد العودة إلى غرفتي.. وعندما التزيت

من قباب قال:

ولا تسهري في الليل وتغذي نومك وصحتك... لا زلت صغيرة على ذلك:

ما به وليد?? لماذا يعاملني هكذا اليوم??

قلتُ إليه بلزجةٍ وقلتُ:

تحاضر... أي لوامر أخرى؟

ولم يتخطى عن طريقى فرفعتُ بصري إليه ورأيتُه يخلق بي...

قلتُ:

لما لا تترك يا رعد... أنا أتعلمك.

وهل تراني طفلة ضالة أو غيبة؟ قلتُ:

تحاضر.. كما تأمر.. أو كما تصيح... أنت الوصي وأنت السيد هنا.. هل تكمن لي

بالانصراف الآن؟

ولقد صلق راحة يدي بقبضته اليمنى... تعبيراً عن استيائه من ردي... ثم غطا

خطوةً باتجاهي وقد أظهر اهتمامه بتتبعي لغيراً وقال:

لما الأمر يا رعد؟

فلم أورد.

ثم كل هذا الحلق؟ ألا ترحبون بتصبحة بيتي بفرقك سداً وحكمة؟

لمرّ وجهي ونظرتُ إليه وقلتُ:

بلى... أفتراك اهتمامك وشكراً.

انتقل الأحمرار إلى وجه ولید الذي قال:

لماذا تعاطيتني هكذا؟

فصمتُ برهة ثم قلتُ:

أي طريقة تريدني أن أعاطيك؟ وخيتني فلما لم أعد أهتمك.

رحمني بنظرة قوية وسأل:

لماذا تعين؟

قلتُ متعظية عن حظري:

كنتُ تعيرتُ علي.. وضح لي الطريقة التي تريد علي أن أتعامل بها معك من الآن

فصاحباً.. فلما أفضى أن أقيم علي تصرفك لا بحبيبك فلتعصب وتعالجني بأوسلي إلى

خفتي وحرمتني من الدراسة.

وبذا بوجه ولید يتحول من الأحمرار إلى السود... وكأنه احترق.. وبذا بأولاده

تتفجع حتى خشيت أن تتعرق...

شعرتُ بالفزع وتراجعتُ للوراء... وعصمتُ بأن أسطير وأولج العرقه مبتعدة عنه...

فلما به بعد يده ويقبض علي ذراعي ويقول:

إني لئن؟

فانظرتُ إليه نظرات خوف مزوج برجاء... فقالتُ:

كل هذا لأنني رفضتُ استعجابك إلى المعروض؟

بالفلكي سؤالي وأرنيكي... ولم يعطني فرصة للإجابة بل وأصل:  
قلت لك إن لدي عمل جداً أقوم به الآن.  
فقطت بخوف:

كس الأمر... عذرت ربي...

ولا بد أنه رأى الخوف في عيني... سحب يده وبرز أصابعه في شعري ثم إذا به يقول:

كنتي الفرصة لإخبارهم بأن وليد... وصي صارم وفظ وجاف... لا تحسن  
معاملتك... أنت من أريد السفر معي!!

ذهلت من قوله أردت التكلم غير أنه قالعني:

أذهب حينما تريد... حتى لا تتعوني بما هو أشنع... هنا يمكنك الذهاب الآن.

استدار خارجاً من الغرفة... وأنا لا أزال في حالة الذهول... وعندما ألتفتي عن

مراي... سررت بسرعة لأتبعه وأنا أقول:

لم أجد أريغب في ذلك.

توقف وليد برهة مولياً ظهره إلي... ثم استدار ونظر إلي بحدة ثم قال:

إيل أذهب... الصداق ونشبه... والجدال وحصل... فلا تزيد الأمر إشراقاً على

صفر الشجة.

استدار وولي...

• • •

عدت إلى مكنتي وانخرطت في عملي بأقصى تركيز ممكن، محاولاً طرد رعد من

رأسي تلك الساعة... وبعد قليل سمعتها تقبل إلى الغرفة وهي تقول:

لما جاهزاً.

وكان وجهها مسروراً... هو الوجه الذي قرأته عليه قبل قليل... أرحبت

عصبات وجهي وقتت بهدوء:

صناً. فتبهي لنفسك.

وانكبتت على حاسوب واوراق العمل، وألمست بها لا تزال واقفة عند

الباب...

رفعت إليها رأسي فرائتها تنظر إلي...

قلت:

خير!!

قلت بتردد:

هل سفر قلتي!!

استغربت وحنكت فيها متعجباً...! ألم تقل إنها ستذهب مع صديقتها!!

قلت:

أترافقك...؟

ورفت بإمامة من رأسها...

لكن...!

أه فهمت... لا بد أنها تقصد أن ترافقها إلى البرية، لأفتح الأبواب في طريقها...

وأساعدتها في صعود وهبوط العتبات...

وقلت وأشرت إليها بيدي:

تفضلتي.

غير أنها لم تزل حرج عن موضعها... أطرفت برأسي تعجباً... فقلت متفة سؤالياً:

أعني إلى المعرض؟

لمسألتني لذهلة ووقفت أنظر إليها بعيرة ثم قلت:

إلى المعرض؟

فأخطمت بصرفها... فسألتها مستعرباً:

هل قلت إني سأفكك بنفسي إلى المعرض؟

أجابت وهي لا تزال مطأطئة برأسها نحو الأرض وعينها بين صعود وهبوط:

ولكن... أنا... لا أريد الذهاب وحدي.

مررت لحظة صامتة جداً... نكتها لحظة تبادل النظرات... نكتها لحظة تبادل الكلمات.

قلت:

أهنت صديقك معك؟

قلت:

إلى... إنا...!

قلت:

نملاً؟

أجابت وصوتها يتحول إلى همس العزير:

لا أستطيع الذهاب... بدونك.

نكست المسعداء بعيني شديد... ملقناً موقف رعد... وخرفها غير الطبيعي من

زيارة الأماكن الغربية بدون أهلها... وهذه عظة نفسية خارجية عن سيطرتها...

ورعد أعتت بأني أقرأ ما بداخلها فجلت صامتة لحظة... ثم نظرت إليّ وطلبت

برجاء:

هل ترافقني؟

وحازها صفع قلبي... ولكن ما بالك عيلة... وخروحي صعباً جداً ولدي أعمال

معلقة وحيداً ترتقب...

قلت بصوت جملته حنوناً قدر الإمكان:  
"لا أستطيع أنا أيضاً... أغيرتك بالنسبة أنتظر صديقاً... سيأتي بعد قليل".  
ثم قلت مشجعاً:

"صديقك هناك... إن شعري بالعزلة... أذهب في رعاية الله.  
تريد تقام بسرعة على وجه رعد... يصحبه العزلة والخيبة... ورنّ هاتفها  
المحمول... فأقلت نظرة على الشاشة ثم نظرت إلي وقالت:

"مزح وصلت".  
وهللت لتتفكر ملياً وبدأت أضحك ثوانٍ، ثم التفتت قراركها فجاءت:  
"سأحضر لها... إن أذهب".

فوجدت... قلت بسرعة قبل أن تجيب:  
"التفري؟"

أنا أستسلم...

إني لا أستطيع أن يكون لي موقف غير هذا... رعد أنت دائماً للتصوير...  
سأرافك... لكن لنص ساعة فقط... لا أكثر".

• • •

وذهبت إلى المعرض... بالطبع أفتني وليد بسيارته... ومررت خلف سيارة شقيق  
مزح.

في القاعة التفتت بمجموعة من زميلاتي اللواتي رخن بين بحرارة وعزلة عن  
شوقهن إليّ ورحمن لي الشفاء العليل...

لمسيت يرفقتين ورفقة مزح وفقاً لكل ما يمكن وصفني له بأنه مذهل... وإن كان  
قصيراً جداً!

اللوحة التي كانت تعمل توقيع الأستاذ عارف، شقيق مزح... الفنان المعروف...  
كانت مبهرت جداً... وأقلت عند إحداهما بأسورة بروحيتها...

فتيات سيقتني إلى اللوحة التالية وبقيت مزح إلى جوارى...  
"المجيد كثيراً ليس كذلك!"

سأنتي فأجبت وعيداني محملاًتان في تنسيق الألوان البديع في اللوحة:  
"ولا أجعل! تحفة!"

سمعت مزح يقول:

"سمعت! تحفة!"

وأقلت إليها فإذا بي أراها توجهت للخطاب إلى أحدهم، فرددت:  
"تهادة أعتز بها".

نظرت إلى الشخص المتحدث في استغراب... ثم إلى مزح... فابشمت الأخيرة

وقالت:

المبدع الفنان الأستاذ عارف... شقيقي بكل فخر  
شعرت بالفجل... وطالبت برأسي فلما صغيرة جداً لأبدي شهادة في حق رستم الفنان  
كبير ومعروف... ومزّج أسكت بزراعي وقالت مزّج:  
وهذه رعد آل شاكور... منقضي الأولى في الجامعة! أنة الملياردير السيد وليد  
شاكور... مشير مصنع وشركة آل بحري..."

الأستاذ عارف قال:

كشركنا... هل السيد وليد شاكور هذا؟  
رفعت رأسي عن الأرض وقلت للخلف أفتش عن وليد. كان يتبعنا على بعد عدة  
أمتار... ويخرج على لوحات...  
حالت منه الفتاة نحونا ولما رأني نظر إليه فهم أن في الأمر شيء ما... فسار  
مقرباً...

مزّج لومات مشيرة إليه مداعبة شقيقها:

"هذا الشاب... هنا؟"

وشقيق مزّج سار مبتعداً باتجاه وليد...

لقد أتت إلى مزّج فلما بها ترهب الاثنان وهما يلتقيان ويحني كل منهما الآخر  
ويتحركان على بعضهما البعض...

قلت:

"بيدو أن وليد لم يقابل شقيقك من ذي قبل."

فأجابت:

"أجل. وقد كان يتوق للتعرف إليه ولم تسطع له الفرصة بمرافقتنا ليلة العشاء في  
مزلكم."

ثم وضعت إحدى يديها على خصرها ورفعت أحد حاجبيها وألغضت الآخر وقالت:

"الطول منه بعشرون سنتيمتراً ولها أنفقيري؟"

هذا أهبلت زميلتنا نحونا وسألن مازحلت:

"لم ترفقتما هذا؟ تعالا واسمعا تعليقاتنا حول لوحات الفنانة المعجزة مزّج أستاذة؟"

وأخطأ تصحك بسرور... ثم إذا بمزّج تقول:

"أهبلت... انظرون... هذا هو أبو رعد؟"

وهي تومي نحو وليد!

إحداهن سألت:

"من؟"

فرفقت مزّج:

كفاني بتحدثت مع أخي؟

واتجهت أنظرهن إلى ولديا بعضهن أطلقن تعليقات عدم التصديق، وبعضهن لم يكثرن، والبعض الآخر لسنعه بأعينهن فيما أخريات مبهورات بالظن عارف أكثر من لوحاته...!

لما مزح فقد قرأت فيها من أنني وهنت:

أكثر وسامة وجاذبية من أخي! لكن عارف ذو شعبية كبيرة وكثيرين بأسورات بفتة؟  
ثم ضحكت وأسكتت بزماني وناجعا القدام نحو لوحاتها...

وبعد قليل وفيما كنا منشغلات بتأمل لوحات مزح والتعلق عليها سمعتُ صوت ولدي  
مليلاً من الخلف يتصيح ويقول:

مضطرةً.

انفتحا جميعاً للوراء... ورأيتَه يلف على مقربة وينظر إليّ ويشير إلى ساعة يده...  
نظرتُ إلى ساعة يدي فإذا بها الخامسة والنصف... لقد مرّ الوقت سريعاً جداً وأنا لم  
أبه بعد جوفتي على بقية اللوحات!

ابتعد ولدي عدة خطوات، ووجهتُ خطاي إلى زميلاتي:

يوسفني أنني مضطرة للمغادرة الآن!

أبين احتجاجهن ودعواتي للمكوث فترة أطول... وكنتُ أرتب في ذلك ولكن...  
أخيراً شكرتُ زميلاتي وودعتُهن وسرتُ نحو ولدي...

ونحن نغادر مروننا من الأستاذ عارف الذي ودّعنا وشكرنا بشكل شخصي على  
زيارة المعرض...

عندما عدنا إلى المنزل أردتُ أن أسهب في شكر ولدي وأعتر على إرضائه غير أنه  
كان على عجل من أمره ودخل مكتبه وما هي إلا دقائق حتى أتاه الضيف...

### طريق الهلاك

رُفِيتُ للسفر إلى الشمال من جنيف في يوم الغد الخميس على أن أعود ليلة السبت، كان لا بد من العودة إلى أروني وحل المشاكل العظمى معها.. وقد كنتُ مداوماً على الاتصال بالمزرعة غير أنها تهرّبت من مكالماتي ولم يصف لي حتى إياها عنها حالاً مطمئناً. وصلت الخدمة إلى منزلنا هذا الصباح وسأكون مطمئناً للسفر وتركها للخدمة برغد، مع أخي.

الانسجام التام بسود حالتهما والمسافة بينهما تصغر... وأجد نفسي منسجراً لتقل الوضع إذ لا خيار أفضل عندي...

الغيراً تنهيناً.

قلت وأنا أخلق أمر الطقات ختاماً عمل هذا اليوم، والذي كان طويلاً مرهقاً...

يسم السيد أسامة وقال:

"صلى الله عليك".

"صلى الله عليك شكراً على جهودك".

ثم السيد أسامة يتسامته وقال:

"لا شكر على واجب".

ثم قال:

"هنا تكون قد تنهيناً من هذا المشروع على خير والله الحمد، هل بقي شيء؟"

فأجبت:

"لا. ولا أريد أن تبدأ عملاً جديداً قبل أسبوعين على الأقل. أريد أن أسرحني قليلاً".

فقال:

"أراحتك الله، إذن.. ليس عليك عمل شاق هذا المساء".

قلت:

"سألتهم بنوم طويل وهاني يريحني قبل السفر".

فقد كنتُ خلال الأسبوع الماضي أصعب ليلاً ونهاراً... وأسهر حتى ساعة متأخرة

على حاسوب وبيّن وثائقي. كان السجوعاً حافلاً جداً.

قال السيد أسامة:



قال يانسك أن أوزورك قليلة؟  
ف نظرتُ إليه.. وابتسمتُ وقلتُ:  
مرحباً بك في كل وقت.. تشرفنا أني حلتنا.

قال:

الشرف لنا سيد ولهد، شكراً لك، إن مغزورك لنا ولهي.

قلتُ:

علي الرحب والسعة.

وعندما عدتُ إلى المنزل أخبرتُ شقيقي عن الضيوف وظيبتُ منه العودة باكراً  
ليستضيفهم معي.

وفي العصر استطعتُ رعد إلى الطبيب الذي كان يشرف على علاجها قبل سفرها  
إلى الشمال.. فأعطانا موعداً لزج العجيرة بعد نحو أسبوع.

وفي المساء حضر السيد أسامة مع السيد يونس، يرافقهما الأستاذ عارف، ابن أسامة  
الأكبر، والذي تعرفتُ إليه في المعرض الفني يوم أمس. قضينا مع الضيوف وقتاً طويلاً  
تجاذبنا فيه الأحاديث الممتعة وتبادلنا التعارف أكثر فلكثر.. وقد سُرَّ الأستاذ عارف كثيراً  
عندما اكتشف معرفته السيفة بسامر ولم يكن قد سُرَّ مباشرة لأن أخي قد أجرى عملية  
تجميل في عينه اليمنى، والتي كانت مشوهة منذ الطفولة، وحين ذكر المعرض الفني  
الذي انتهى يوم أمس وعلق سامر بأنه سمع أن لوحات الأستاذ عارف كانت مذهلة، واتخذ  
الحديث مجراً حول المعرض ومهارة الرسم عارف وكيف يعلم طليته في المدرسة  
وكيف هي علاقته بهم ويزملائه المتوسمين والفتيان وبأسنطه ومعرفته وما إلى ذلك...  
حتى خشيتُ أن يكون الأستاذ مصداقاً لبهاء الغرور أو أن أباه وضعه مولعاً به لأقصى حد!  
دار الحديث عن عارف وكأنه نجم السهرة لم أجد تفسيراً لهذا الاستعراض الغريب  
إلى أن فوجئتُ بالسيد أسامة يقول:

سيكون من نواحي ضرورتنا وتشرفنا أن نلتقيكم.

قلتُ نواحي الخطر في رأسي فجاء... حصلتُ في السيد أسامة بذهول... ثم التفتُ  
إلى شقيقي فرأيتُه لا يقل ذهولاً عني... فارتبكتُ ولم أعرف إلى أين أرسل نظراتي... وإذا  
بي أسمع السيد يونس يقول:

تشرفنا أن نطلب يد كريمتكم لاجلنا الغالي عارف... عسى الله أن يوفق التسبيب  
ويجعل البركة فيه.

صعقتُ... ذهبتُ... شلتُ فجاء... غاب تعاملي عن الوعي... وعشتُ عيني سحابة  
سوداء داكنة حجبت عني رؤية أي شيء...

مرت لحظة وأنا في حالة الذهول الشديد... لا أشعر بما يدور من حولي...  
وسمعتُ صوت السيد أسامة بعدها يقول:

يبدو أن الموضوع فاجأنا

فاجأني فقط

أريد أن أعطني صوابي

كيف تجردنا؟ تخطب فتاتي متى؟ هل أنت مجنون؟ هل كلكم مجانين؟ ألا ترون؟

ألا تسمعون ما يقول هؤلاء؟

شدت على يدي وتمالكت أصصالي فلما أنكب على الحروف مطعماً... عضمت

على أسناني وحررت بضع كلمات من لساني أخرجتها عورة:

"... فاجأني جداً..."

ثم سألت، في محاولة عجيبة لتفسير الموضوع على غير ما هو واضح:

تم... من تعني؟

تبادل السيدان أسئلة ويونس النظرات ثم أجاب أولهما:

كريماتكم... ابنة صلك... ليس لديكم غير ابنة عم واحدة على ما أعرفه.

لقد أتت إلي أنني فوجئت الأعمى بلطخ وجهه... كان صامتاً متسكراً في مكانه،

كتمثال شمعي يوشك على الذوبان...

ما بك؟ ألا تسمع؟ ألا تعي؟ يربون عطية رعد متى؟! هل أضحكك؟ هل

أصرخ؟

قل شيئاً... قل شيئاً...

قل أسئلة:

يبدو أن الفتاة لم تغير كما.

وأضاف:

كأبنتي قد حدثت لها حساب عظيم.

وتابع:

وكذا نرغب في فتح الموضوع منذ زمن ولكن كريماتكم أصيبت وسافرت فقراة... ثم

عازف كانت سزورككم لو كانت حرمكم هنا.

وتكلم المحامي يونس قائلاً:

أردنا أن نرجل لعين حضورها بالسلامة لكن.

ونظر إلى الأستاذ عازف وهو يتهم متمماً:

"عازف أبح علينا للحضور القيلة"

فغضب عازف في لحظة:

"غير أن عازفه".

قال هذا وأنا جامد في مكاني... كالجبل...

أصبحت بالاعتناق... ففتحت ربة على بعض الشيء وانحسرت لعربي... كان

حاراً يسبح في العرق... زفرتُ لغير نفسي جنبته مع شهقة المفاجأة.. فخرج بغلراً سلفناً  
من فرط التعالي..

أعداً يا وليد.. تلكه نفسك يا وليد.. هؤلاء.. المسكين.. لا يعرفون شيئاً.. سألهم  
على قدر فهمهم... واحترام كونهم ضيوفك.. اصبر إلى أن يغادروا.. ثم انصف المنزل  
بمن فيه..

قال السيد أسامة مستريحاً وذي:

تقول على بركة الله؟

أي معرودة يا هذا؟ أمك نفسك والآ...

ولسكنتُ أنا بساني وقتاً:

على رسلك.. الموضوع مبالغى و... لم أسترحه بعد.

قال المحامي يونس:

تخطوا وقتكم... الشاب كتاباً مفتوح وأسأوا عنه من تشاؤون، ومنكون غلبة في

السرور إذا ما توالى التصيب وارتبطت العائلتان بهذا النسب المشترك.

لم نعلم هو وأخوه وابنه بكلام لم يجد في ذاكرتي منيع لتخزينه فضلاً عن سماعه

أصلاً... وأخيراً شكرونا على حسن الضيافة، وانطلقوا منصرفين...

غادر الضيوف.. مطلقين خلفهم صعداً موحشاً...

مررتُ كغليظة نحو الأخرى.. ونحن.. أنا وشقيقي في حالة تهيؤ... كان أصدنا

يلقى بنظرة على الآخر بين القيلة والقيلة.. منتظراً منه أي تعليق، ولا تعليق...

أخيراً سمعنا صوت حركة في المنزل.. تعجباً... كان صوت اصطفاق حثكز رعد

بالأرضية الرطابية.. وكان الصوت يقترب منا.. حتى توقف.. عند الباب.

انفتحا إلى الباب مترقبين ظهور وجه رعد... فسمعنا صوتها يقول:

هل أنتل؟

ولم يجب ألتا... ثم سمعناها قلبي باسمها.. ولا من محبوب، فقد أكتت الصدمة

لسانها...

ربما شئتُ رعد في وجود أحد في الغرفة فطلعتُ برأسها يحذر واندهشت حين رأينا

نحن الاثنين جالسين في الدائلي، والجلين وكان على رؤوسنا الطير...

قالت:

لماذا هناك؟

شاهدنا النظرات أنا وأخي، ثم تجرأ لساني ونطق:

لا شيء...

لكن رعد وهي تعلق علينا أصدت بأن في الأمر شيئاً...

لو ربما كانت تعرف أصلاً ماذا هناك، وتظاهر بالجهل...

ثم يقول لأمته أن ابنته أخبرتها

فقلت:

كلمتني رعداً.

فصارت بتردد حتى جلست على أجد المفاهد... وتكلمت بصوتها بينما ثم سألت:

هل حصل شيء؟ لا تبدو أن طبيعتي

وهل تتوقعين مني أن أبدو طبيعياً... وقد غادر المنزل خاطباً قلبه قبل قليل أمّا يا

رعداً أمّا فاعلمين هذا بي أمّا أنت مصرة على النهاية أنت وبتست من حساب فتكلمت عن

غيري أنتي سأقله قبل أن يتمكن أي رجل من الوصول إليك... سأقتلهم جميعاً...

عانت رعداً تسأل:

أمّا أنت

فتمكثت أخيراً وعيناي ملزهما الغضب:

رعداً... هل تعرفين من الضيوف الذين زارونا الليلة

وقبل أن تجيب تطلق لحي رادعاً:

ليس وقته واليد.

تجاهلت كلام أخي، أما رعداً فقد ألقت عليه نظرة حائرة ثم عانت بي وقالت:

كلاً... ما أفرقتي

فقلت وأنا أصمت على أسناني:

إله السيد لأمته المنزلة... والله صدوقك.

وانقضت عينيها بنقطة لأرعد أي تعبير يظهر منهما دالاً على أي شيء... ولم أجد

غير العبارة والتسلول...

قلت بذات العدا والشر والخطير من عيني:

أعرفين من جاء برفقتي

فجفت لحي بالفعال:

ليس وقته يا واليد دعنا نتلقى الأمر فيما بيننا أولاً.

فلتفتنا بي شيفتي... هي تعرفنا العبارة وأنا يجتالني الغضب...

سأمر نظري إلى رعداً وقال:

رعداً عودي إلى غرفتك رجاءاً.

تلك رعداً يفتي ثم نظرت إلي وعلاكم التعجب تعبط برأسها من كل جانب...

سألت:

أمّا هناك

فقولني لحي الإجابة للتلأ.

لا شيء يا رعداً، من فضلك لدهي إلى غرفتك الآن.

والا صامت لا أطلق... فتذم القلق والحيرة على وجهها ورجعت إلى السؤال:  
تأ الخطب والهدأ؟

فابتسمت عيني وحسنته في جوفي وقتت محاولاً أن يظهر صوتي لطيفاً قدر الإمكان:  
عودي إلى غرفتك.

وارادت أن تجففتي ولكنها رأت الإصرار في عيني والشور المتطير منهما..  
فراجعت... وقامت وغادرت الغرفة.

بعد ذهابها قام سامر وأطلق الباب ليضمن عدم تسرب صوتينا إليها ثم قال:  
والآن... ما موقفك؟

رجعت وأسي إلى أضي وقتت:

أي موقف بعد؟

فقال:

أضي فهم تفكر؟

فأطلقت زفرة شيق من صدري ومررت أصابعي بين عصابات شعري مشتتاً... ثم  
أجبت:

الأمر... خلف حدود التفكير أصلاً... إنما أنا متفكر... لم ينكر لي السيد أسامة  
شيئاً.. ولا حتى بالتصيح أو الإشارة.. أنهم يفكرون بهذا.. مع أن.. عائلتي متوقفة مؤخرتاً..  
قال أضي:

ورعد؟

نظرت إليه نظرة مطوكة.. شاعراً بأن في صدري خنجراً يخرس ويترج ويخرس  
مراراً وتكراراً... من رعد...

سأل:

أخطأ تعرف؟ كما قال أسامة؟

زمت شعري عيماً ثم قلت وأنا أضعط على أسناني لخرج الحروف من بينها:  
لا أسعد... وارث جداً...

قال أضي:

لا... لا أظن.

فرميته بنظرة اعتراض فقال:

أرعد لأن تفكر في هذا.

قلت وأنا أحاول السيطرة على نفسي قدر الإمكان:

أهل تفكر... والله الأظم بما يدور في رأسها وما الذي تخطط له.. به ليس العرض  
الأول...

وانتهت إلى أضي تهورت في الإصباح عفا في نفسي.. فسألني أضي:

لماذا تعني... بأنه ليس العرض الأول؟؟  
وكان التعجب والهلع يفوران وجهه.. فقلت مسجبة:  
لا بهي، الفتاة ليست لتزواج على أية حال.. والموضوع مستبعد تماماً إلى أن تكون  
دراستها الجامعية.

ومستقنا برهة ثم سألت أخي وشيء من التردد يكلمني على تيرة صوته:  
توجد ذلك؟

بعد ذلك؟؟ بعد ذلك ماذا؟؟ ثم أجد جواباً لكن نظرات أخي ظلت تطاردني  
فانضطرت لقول:

إن فكر الآن فيما بعد ذلك.. فترك الموضوع برمته إلى أخته، الآن.. هي ستدرس  
فقط فقط.

لم يبد أن شغفي القبح بالتوقف هنا، كان واضحاً في عينيه المزيد من الكلام... وأنا  
به بقول:

توسكتي الدراسة ذات يوم.. وربما يقل عريس الغفلة هذا بالانتظار أو ربما...  
ربما يزورنا عرسان آخرون... هكذا هي الطبيعة...!

هبت واقفاً من تكلم الكلمة علي... أي عرسان وأي آخرون؟؟ هذا ما كان  
يتصلني...

تبع أخي

أجل.. فهي فتاة رائعة... ابنة عائلة راقية وعالية الأخلاق وخطبة السعداء، وأنها  
مواصفات مرغوبة وإن تخطتها العين الباعثة عن عروسي مثالية.

فرددت بمصيبة:

لماذا تعني؟؟

فرفف أخي وقال:

أعني أنه سيأتي اليوم المناسب والظروف المناسبة لتوافق على زواج رعد.. مهما  
طال الأمد فهذا سنة العيالات.

رددت بالفعل:

قلت إن الموضوع سابق جداً لأخته.. لماذا أنتقل دعائي في التفكير به لو الحديث  
عنه؟؟ لم لا تنهي الحوار العقيم هذا؟؟

قال أخي:

أريد أن أعرف فقط... ما هو موقفك من زواج رعد مستقبلاً؟

قلت بضيق:

ولم أنت مهتم هكذا؟

فأجاب أخي وقد تينت تعبيرات وجهه إلى العراقة.. وفضحت خواجه قبل أن

بصبح عنها لسانه:

"أنا.. أرى بها من أي شخصي الخرد.. وإن كنت ستزوجها ذات يوم.. فيجب أن تهبها إليّ".

واجتاحت قلبي زوبعة مجنونة.. ففتت به مئة مرة حول العزل في ثوان.. بعثرت نداءه على أسواره وجدرانها.. وعاشت إليّ.. خالية اليدين...

كان أخي يعتق بي.. ينتظر ردة فعلي والتي لكاد أعجز عنها ببعضتي...

كيف تجرؤ يا سامر..؟ ألم تكف الصلابة المنيرة التي تلقيناها قبل قليل..؟ أنت أيضاً تتحدث عن أخلاها مني..؟

هل خلقت الدنيا من النساء.. إلا رعد..؟ لماذا يريد الجميع سرقتها مني..؟ هل يستكثرون عليّ أن أعطى في هذه الدنيا بها..؟ أنا لا أريد من الدنيا شيئاً غيرها.. إنها خلقت لي أنا.. كيف يتجرأون عليّ التفكير في شيء يخصني أنا..؟ رعد هي فتاتي أنا.. هي جزء مني أنا.. حبيبتي أنا.. خلقتي ووالدي أنا.. وستكون ونظك لي أنا.. أسمعون..؟ لي أنا.. أنا وأنا فقط..

كان سامر لا يزال ينتظر ردي.. وإن هو تأمل التغييرات التي اجتاحت سمعت وجهي لأمرأة مدى خطورة جريمته.. لكنني أوابته ظهري وخطوت نحو الباب، محاولاً الابتعاد قبل أن أفقد السيطرة على يدي..

سامر ناداني:

ولجأ إليّ أين..؟

قلت دون أن أستوي إليه:

"الفتاى منهم.. ولا تعد فتح الموضوع تلبية لبدأ".

لكن أخي لم يستمع للكلامي بل قال متابعاً:

"أريدك أن تجيني فقط على هذا السؤال.. هل ستهبها إليّ..؟"

نثر يركاني لأقصى حد.. ولا بد لكم نزول النخل الأسود يطير من جسدي.. رعدت وأنا لا أزال مولياً بآه ظهري:

سامر قلت لك وأكرز وللمرة الأخيرة.. لا تتحدث في الموضوع تلبية، والقرم الصمت أظلم لك..

قال سامر بعصية:

إن يوم سمعتي طويلاً.. لقد تعبت من هذا يا وليد.. إما أن تعطيني أملاً في أن تهبها إليّ كما فكرتها عليّ.. وإلا فإني لن أستمع في العيش معكما وتمثيل دور الطرد.. أنت لا تشعر بمقدار ما أحببه.

هنا.. تطلقت شياطين رأسي أخيراً وبانتفاخ جنوني.. لا أستطيع السيطرة على نفسي.. لا أستطيع.. ففتت إليّ أخي ورشفته بسهام خائبة.. ثم مرت نغمة.. وانقضت

يداي على فراجه بعنف.. وصرخته في وجهه:

تحذرك من الاستمرار يا سامر.. ثم أعد تلك السيطرة على نفسي.. أنت المسؤول.

حاول أخي إبعاد يدي عنه وهو يقول:

أبعد يديك يا وليد.. ما الذي يعضبك الآن..؟ كذلك لا تعرف أنني أحبها وإنما كنت عروسي قبل أن تظهر أنت وتفسد كل شيء.. أنا لم أوقف عن التفكير بها.

صرخت وأنا أجز أخي ثم أرفع به نحو الباب مستشفاً ثورتني:

تساكر جمجمتك.. وأخرجها من رأسك عوة.. وأرهك.. أيها المسكين!

وبدا العراك بالأيدي..

كلانا استسلم للغضب.. وسلم قبضته لتباطين الجنون..

تهاننا للكلمات والتركيبات.. الضرب والقلم والسطح.. وحتى القوس ونظ الشعر والخلق.. كانت ساعة مجنونة.. مجنونة جداً.. أجز من أن تلك السيطرة عليها..

مشاعري كانت هالكة كأبراج البحر القكرة في ليلة إعصار عوفٍ منفر..

أنا سأعظم جماعهم كل رجل.. يفكر في رعد..

كنت أسبغ بزجاج أخي وأثرها بشدة بينما أعضق رأسه بالجدار بقوة وأصرخ:

إن فكرت بها ثانية فسأمرى رأسك بهذا الجدار.. هل فهمت؟

ثم شدتته ونفقت به نحو الطعد.. وأخذنا نلهث من التعب.. وتأوه من الألم..

بعد قليل.. سمعت نثوج أخي.. ورأيت نمعاً يسيل من عينيه فشعرت بها نعمة تقطر

من قلبي..

ذهبت إليه وجثوت إلى جانبه وأمسكت برأسه بلفظ وقت بعنف:

أخي.. أنا لا أريد أن أفعل بك هذا.. لبت تراعي قطع قبل أن أوتيك.. سامعني..

لكن.. لماذا استفزتني؟

وتلكت وجهه المتكلم.. وقت:

أجب أن تسامح.. إنها لا تريدك يا سامر.. لو كانت ترغب بك بالفعل لما أوقعت

زواجكما في آخر الأيام.. لما عرضتلك لكل ما حصل.. رعد لا تحبك.. إنها لا تحبك يا

أخي فلا تعب قلبك.

وكان رد أخي أن لكم وجهي لكمة قوية أوقعتني أرضاً.. وأمتت قلبي.. ثم نهضت

ومسح وجهه برأسيه وقال:

كنت السبب يا وليد.. لولاك لم تخرج من السجن إلا بعد عشرين سنة من الآن.. لولاك

تعود إليه من جديد وتخلصنا من وجوهك.. أهدت حياتي.. عطمت قلبي.. ضيقت

مستقبلي يا وليد.. نعم بالحياة من بعدي إن..؟

واستدار وسار نحو الباب وقتحه ووسطه بالجدار بقوة.. وغادر المنزل..



عرفني الحافلة بعدة بعض الشيء عن مجلس الضيوف الذي استقبل فيه ابنا عتي  
ضيوفهما. ولكنني سمعت صوت جلبة فخرجت من غرفتي ووقفت في الممر.. فتأهني إلى  
سمعي صوت شجار بين ابني عتي وريثما عراك أيضاً...

تأهني القلق وسرت في اتجاه مجلس الضيوف ولما سمعت صوت ارتطام شيء  
بالباب.. ذهبت.. وتراجعت للوراء.. ثم عدت إلى غرفتي خائفة..

وقفت عند باب الغرفة منتظرةً تنفسي الشجاعة للذهاب إلى مجلس الضيوف  
واستكشاف ما الأمر.. إلى أن سمعت صوت ارتطام باب بجدار.. كان صوتاً قوياً فتلفت  
نبايته إلى باب غرفتي فاهتزّ ذعراً... وزلّني فوق قلبي قلماً...

أصغيت جيداً فسمعت وقع خطوات قوية وسريعة تعلو ثم تنخفض مجدداً.. ثم صوت  
الباب الرئيسي يتفتح ثم يغلق... ثم يفتح الهدوء في المكان..

أحدما قد خرج.. ومن وقع أقدامه على الأرض.. يظهر أنه كان غافياً..

وليد 271

خرجت من غرفتي طمعة.. وسرت بعكازي إلى أن بلغت مجلس الضيوف.. كان  
الباب مفتوحاً.. أطلقت براسي من خلال فتحة فوقعت عينا على وليد.. يجلس على  
الأرض بجانب المقعد.. ويُسند رأسه إليه..

عوى قلبي إلى قنصٍ وبخارت قوتي فجاء لدى رؤيته على هذا الوضع فاستلكت إلى  
الجدار وشبهت ثم قلت مغرورة:

وليد ما بك؟

تلفظ وليد فجأة وأدار وجهه إلى بسرعة.. فلما بي أرى سبلاً من السماء يتدفق من  
الله..

صقلت عينا في أوسعهما.. وانحس نفسي في صدري وكاد العكاز أن يزلق عني  
ويوقني أرضاً..

وليد وقف وكفّت يدياً ويسيراً حتى لمح طبة المنديل فسار إليها وتناول بعضها  
وجعل يمسح السماء...

تطلق نفسي السجين من صدري شديراً صوتاً يشبه الأنين.. ثلاثة صوتٍ حنجرتي  
تحاول القول:

لماذا حصل؟

وكان واضعاً أنه تعارك مع سامر..

كانت ريملة عنقه مفتوحة كلياً.. وملونة ببقع السماء الهائلة من الله.. شعره مبعثر  
وهذابه غير مرتب.. ووجهه شديد الاحمرار والتعرق..

لم يُجيب وليد على سؤالي، بل تهاك على المقعد وهو يرفع برأسه للأعلى ويضغط

بالمناويل على أشفه ليرتفد نرفب السماء... ففعلت نحر الدافل بسوقني الفزح والقلق..  
وحن سرت بمحاذاته غاطبته:

وليد.. ماذا حدث؟! أخبرني أرجوك..

أبعد وليد المناويل الخارفة بلكم عن وجهه ووجهه بصرة إلى.. وحنق بي طويلاً.. ولم  
يتكلم..

كالت عهده تتكلمان.. كأنهما تتهماني.. أو تعاقباني.. أو تتشاوران معي..

ولكن ما الذي فعلته أنا...؟!!

وليد..!

ناديته مجدداً فما كان منه إلا أن قال:

"عودي إلى غرفتك".

ماذا؟! أعود إلى غرفتي وأنا أراك بهذا الشكل؟!!

لكن... أخبرني أرجوك ماذا حدث؟!

فكرت وليد:

"عودي يا رعد".

قلت:

"لا أستطيع.. ملمتني أولاً ما الذي يحدث؟! لماذا تعارفتما وإلى أين ذهب سامر؟!"

فأناج وليد بوجهه عني.. ثم استطع إلا الانصاح لقلبي.. كيف التصرف وأنا أراك

هكذا وليد لا أقرر..

جلست على المقعد بجوار.. تركت المفكر جانباً ومددت يدي وأمسكت بزراعته

بعنان...

لثقت وليد إلى.. نظر إلى نظرة قصيرة ثم أعضى عينيه وأسد رأسه إلى مسد

المقعد وتكلم بعنق...

بقيت ممسكة بزراعته أكاد أعضنها.. وأكاد أفقد صوابي وأمد يدي وأمسح على رأسه

وأطعيب على ككفيه.. رغم جهلي بحقيقة ما يحصل أشعر بأن وليد قلبي يتكلم.. وأنا لا

أحصل على...

وليد... رآه على..!

توسلت إليه.. ففتح عينيه ونظر إلى ثم قال:

"أرجوك يا رعد.. انهي إلى غرفتك الآن واتزميها.. لا تتعيني أكثر".

أنا أتعبد؟! أنا من يتعبك فحسبك.. تكن إذا كان وجودي الآن يتعبك فأنا ذاهبة..

قلت:

"حاضر".

وسمعت يدي من حول زراعته وأمسكت بعكازي.. ثم التصرفت دون أن أطلق بحرفي

والعد..

في صباح اليوم التالي استيقظت متأخرة... ذهبت إلى المطبخ كالعادة لأخذ الشاي. كانت الخدمة منهيكة في أصل التنظيف والساعة التاسعة والنصف صباحاً. وكان المنزل خالياً من أي صوت أو حركة عدا ما تصدره هي. تركت الأريق على الموقف وخرجت لتفقد ابني عتي. اليوم خميس وهو عطلة لدى المصانع... وقيل الظهيرة سيسافر وليد إلى المزرعة من جديد... وقد يعود بالشراء... ذهبت وتلفتت أولاً غرفة المعيشة، المجاورة لغرفة نومي. طرقت الباب ولم يرد أحد.. ففتحتها ببطء وأرسلت نظراتي للداخل ولم أجد أحدًا. كان سفر ينام هنا على الكتبة الكبيرة في الهلي المائنية وقد طليت منه أن يبقى كذلك إلى أن تزال الجيرة على الأسبوع المقبل وأعود إلى غرفتي العلوية. حتى مع حضور الخدمة وبياتها على مقربة من غرفتي الحلية، لم أكن لأشعر بالاضطراب في هذا المنزل الكبير الموحش..

سرت بعد ذلك في أرجاء المنزل.. هنا وهناك، ولم أحرز لأي من ابني عتي على أثر. عدت إلى المطبخ وسألت الخدمة عما إذا كانت قد رأت أيًا منهما هذا الصباح فلم أجد شيئاً.

سألوني بعض الناس.. فطلبت منها أن تسعد الطابق العلوي وتتفحصها، وعادت بعد قليل بتبعها وليد.

كان وجه وليد متلقماً وعلى هذه كلمة مبهمة اللون.. كان يهبط التراجت ببطء ونظيره مركز على موضع نفسه.. كنت أظن أسفل التراج في انتظار ظهور أي من وليد وسامر..

ابتعدت الخدمة عائدة إلى المطبخ وبيت أرقب وليد وهو يهبط التراج درجة درجة.. إلى أن توقف أخيراً بجانبني.

باعت بقاء النجوة

صباح الخير.

فرد وهو لا يرفع بصره إلي

صباح الخير.

ثم سار وانخطأني وتوجه نحو المطبخ.

لمعت به فوجدته يفتح التلاجة ويستخرج علبه حليب بارد ويهم بفتحها.

قلت:

ألا ترعب في بعض الشاي؟

قال وهو يفتح العلب ويستكب شيئاً منها في أحد الكؤوس:

كلا شكراً... الجو حار.

وجلس على أحد المقاعد الموزعة حول الطاولة وأخذ يشرب الحليب البارد بشفة

واحدة حتى أتى على آخره...

يحب ابن عتي هذا الحبيب.. ألا تلاحظون ذلك؟

حضرت كوب الشاي الخاص بي ووضعت على الطاولة وجلست على المقعد المقابل

لمقعد..

بدأت بطرف الحديث:

"هل أمك لكه قطوراً؟"

أجاب:

"لا، شكرًا."

قلت:

"ولو وجبة بسيطة؟"

فكذب:

"شكرًا يا رعد، لا أريد، لا أريد بشيء الآن."

أضيت رشفة من قذح الشاي ثم قلت:

"هل سافر في الأخرى؟"

فقطر إلي باهتمام آخرًا.. ثم أجاب:

"لا."

فتمسكت وسألت:

"ليس في المنزل؟"

فأجاب:

"كلا.."

فأردت قلبي.. أيمكن أنه لم يبت هذا البارحة؟

قلت:

"أين هو؟"

فرد:

"أخرج باكراً.. لم يحد وجهه."

وظهر الانزعاج على وجهه ولين.. لم أفر على إطلالة المقدمات.. أنا متلهفة لأعرف ما

حصل البارحة.. قلت مباشرة:

"لماذا تشاجرتما؟"

فرماني بنظرة ثقيلة.. ثم زاح بصره عني وتجاهل سؤالي، قلت:

"أرجوك أخبرني.. أنا أعيش معكما في هذا المنزل وأشارككما في كل شيء."

فأرجع بصره إلي.. ثم قال:

"لعمري، في كل شيء."

ولا أعرف إن قلنا جداً أم سافراً.. لأن تعبيرات وجهه شامخة جداً.. سألت من  
تهربته وقتاً:

أرجوك ولدي.. أخبرني وأرحني.. لما لم أقم جيداً البارحة من شدة القلق ولم أجد  
على مغفرة غرفتي حتى لا تعضب مني.. أرجوك قل لي ماذا هناك؟

ظل ولدي ينظر إليّ بتركيز.. ثم سأل:

الحقاً لا تعرفين؟؟ أم تخبرك صديقتك بشيء؟؟

أسألتني الدهشة.. صديقتي؟؟ تعني مزاج؟؟ ما دخل مزاج بالأمر؟؟

سألته فيما العنود بكاد يلتهمني:

أخبرني بماذا؟؟ مزاج؟؟

فألقى ولدي نظرة سريعة على الغائبة ثم عاد ينظر إليّ. غاضبت الغائبة وظللت  
منها الذهاب لتطيف غرفتي... وأنا انصرفت سألت ولدي:

لما علاقة صديقتي بما حصل البارحة.. ولدي أرجوك أوضح لي قلنا لا أهم شيئاً.

ولدي مع يده وأسفله يهذي ويضغط عليها بشدة وتحوّلت تعبيرات وجهه إلى الجد  
المفاجئ المزوج بالتهديد وقال:

السمعي يا رعد.. إنك إن تقضي الموضوع أمام سافر.. لا تسألني عن أي شيء ولا

تأتي بذكر شيء عن ليلة أمس لا تصريحاً ولا تلميحاً أمامه.. هل تفهمين؟؟

القلق بلغ ذروته عندي.. يبدو أن الموضوع الخطر مما كنت أعتقد.. قلت:

لا.. لم أهم شيئاً.

فأعضب رذي ولدي.. فشد الضغط على يدي وأخذت صوتي أكثر وهو يكرر:

هل تفهمين.. اسمعيني جيداً.. لا أريدك ولا يعال من الأحوال أن تشوي ليلة

البارحة أمامه. تصراكي بشكل عادي وكأن البارحة لم تكن أسساً.

سألت:

لماذا.

لوقت عصية:

تفاني ما أكون لك فقط.. فلما سافر اليوم وإن تكون موجوداً للتدخل وتحويل

الموقف. أريد أن يمرّ اليوم بسلام إلى أن أعود وأجد سافراً للمزق الجديد الذي

أصعباً فيه.

قلت:

لماذا.

ورجعي بملءه التعجب وعدم الفهم.. فأبعد ولدي يده عني.. ثم نهض وقال وأراد

مغفرة المطبخ. قلت مستحجة:

ولدي انتظر أنت لم توضح لي شيئاً.

فكأن بيده لي أن أصبحت... ثم قال:  
"لاحقاً يا رعد... ليس وقتك الآن... اعطني فقط ما طلبته منك".  
والتصرف.

ثم ألقى صبراً مع كل هذا الضغوط... توجهتُ إلى عروفتي وطلبتُ من الخادمة  
المغارة، وتناولتُ منكفي المحمول واتصلتُ بصديقتي مزج...

لكم أن تتصوروا الدهشة التي اجتاحتني عندما علمتُ من مزج... أن... أن... يا... أن  
والدها وعينها... فلما يطلب بيدي للزواج من... من شقيقها الرسام... الأستاذ عارف... الذي  
حضرتُ معرضه الفني أمس الأول... ورأيتُ منكم هناك!!!

"لا يا رعد... كنا سنلتقي لخطبتك حتى قبل أن يراك فاني وأختاي أصغر منكم عندما  
زرتكم بعد خروجك من المستشفى... وأينما ترشحي في العمل".

وعادت بي الفكري بسرعة إلى تلك الليلة... حيث دعونا إلى المنظر للضياف عندما  
وحضرتُ أم مزج وأختها... أتذكر أنني ليتها كنتُ منزوعة لأبين سلطان أختامهن على  
الضياف التي سرقت الأضواء مني... ولم تكن لأعطي أن عوداً عطية كانت عروفتي أنا...!

انتهت من لحظة الفكري على صوت مزج تقول:

"ولما تريد زيارتكم لولا أنكم سافرتم... أما عارف فهو يثق في اختيارنا... وعندما  
قلتُ لكم ستحضرين المعرض فطورت بياني فكرة أن أريكما بعضكما لبعض وعارف الخ  
بأن يزوركم الخارجة... وأخي شخص مهذب وراغب في الزواج بكل جنبة".

وكانت ليرتقا مزج بين الحقيق والعيب... فقلتُ مهتلة لآها:

ليس قصدي عكس ذلك لا سمح الله... إنما... أم... لماذا لم تخبريني عن هذا سابقاً  
فأجبتُ بذات التبرة... وهي تبرة لم أعتد سماعها من مزج التي لطالما طلب المزج  
والمزج علي أسلوبها:

كنتُ لك تلميهاً خفيفاً... لم أستطع التحدث معك مباشرة... أنتِ بخبرة جداً  
وخشيتُ أن أخرجك أو أن تغزبي رأيك في حضور المعرض... ولم تستطع الفرصة قبل  
ذلك بسبب سفرنا.

قلتُ:

لكن يا مزج!

فألتفتني مزج قائلة:

لكن ماذا يا رعد؟! أتم تشعرونا بأننا ارتكبنا خطيئة بمرضى الزواج هذا؟

فأجابني وذ مزج فقلتُ:

لم تقولين هذا!

فقلتُ:

كنتُ مطمئن معي الآن وكأني متهم... وأبوك وأخوه لسما لي بنظراتهما الخارجة

ولم يتفوهها بكلمة واحدة ولو من باب المجاملة تشير إلى أنهما يرحبان بالعرض أو يقتران  
استجابته.. لقد أخبرني عارف بأنهم غافروا وانبهم الانتطباع بأن العرض مرفوض قبل  
دراسته.. وكان عائلتكم لا تتعرف بالارتباط بعائلتنا.

قلت بسرعة ناهية:

"ما الذي تقولينه يا مروح الأمر ليس كذلك إطلاقاً."

فسألت:

"إن ماذا؟"

قلت:

"إبه أكبر بكثير مما تظنون..."

بعد حديثي معها جلستُ أفكر طويلاً... لم تكن أتوقع أن يكون الأمر هكذا... ما الذي

سأفعله وكيف سأصرف؟

بعد حوالي الأربعين دقيقة خرجتُ من غرفتي قاصدة الذهاب إلى غرفة المعيشة

ورأيتُ وليد هناك يجلس على طرف أحد المقاعد ويبدو عليه الاضطراب ولما رأيته سألت:

"ألم يعد سامر؟"

فأجبت:

"لا أعرف.. لا أظن فلما لم أسمع صوت الباب."

وهنا سمعنا صوت الباب الخارج، توقف وليد ثم قال بصوت هائس:

"لا تنسى ما قلته لك."

فأومأت برأسي.. وخطوتُ خطوةً للداخل.

واقفنا سامر مباشرةً ولم يلقِ التحية بل ألقى علينا نظرة سريعة ثم همَّ بالانصراف.

ناداه وليد وقال:

"تأخرتَ يا سامر.. ألا تعلم أن لديّ رحلة هذه الظهر؟" بالكاد تشع الوقت للوصول

للمطار.

فالتفت سامر إليه ثم ألقى نظرة على ساعته يده ثم قال:

"لا يزال الوقت كافياً."

ثم استدار إلى الباب ثم توقف واستدار نحو وليد وقال:

"على فكرة وليد.. لقد حجزتُ مقعداً على نفس الطائرة."

واستدار وولى انصرافاً نحو المخرج.

لم يعطِ وليد المذبول فرصة لتتلكه، بل أسرع عقب أخيه وهو يناديه إلى أن أتركه

عند أسفل السلم.. وألحقتُ بيما في اندهاش شديد..

قال وليد:

"ماذا قصدت؟"

فأجاب سامر وهو يرفع قمعه إلى الدرجة الأولى:

"كصد أنتي سامر أيضاً إلى الشمال الآن".

وتابع خطواته بهتف وأيد:

"سامر قلبه هنا وتكلمني..."

فتوقف سامر بعد بضع درجات وأرسل نظراته إلى وليد... وشكلت إحداهما إلى

فقرصنتي...

قال وليد:

"ماذا تعني بتصركك هذا؟"

أجاب سامر وصوته يعلو ويهتف:

"لا أعني شيئاً. لدي أشياء ضرورية لأحضرها وأمر مهم لأجزها في المدينة

التجارية.. تعرف أن سفري كان مفاجئاً وعاجلاً جداً.

فقال وليد بصوت ناعماً:

"وتكلمني سامر الآن.. فهل تريد أن أسافر كلانا ونترك المنزل ومن فيه هكذا؟"

وأصابتني الفكرة بالرعب... فقال سامر:

"لا هيلاً فهناك رحلة مناسبة هنا المساء".

ثم تابع صعود الدرجات حتى انتهى عن الظل... وقف وليد يرهق كمن يحاول

التعب ما سمع، ثم سعد الدرجات ليلحق بسامر..

استوقفته وقلت مرعوبة من الفكرة:

"أنا لا أستطيع البقاء وحدي".

فالتفت إليّ وقال:

"وهل تريضي بهذا الجنون لأفعل هذا؟"

وواصل صعوده حتى انتهى هو الآخر عن تخطي...

• • •

لحقت به إلى غرفته.. نفس الغرفة التي كان يقم فيها في العاصي والتي نطقها

الطالبة يوم أمس.. ووضع فيها حطائه ويات على سريره القديم فيها البارحة.

كان يستخرج شيئاً من إحدى حطائه.. سألته:

"أنت تزاح يا سامر؟"

فالتفت إليّ وقال:

"وهل ترائي بزاح جيد ومناسب المزاج؟ ها هي الفكرة على المنضدة أمامك".

ولمحت الفكرة بالفعل على المنضدة...

قلت:

"سامر لماذا تفعل ذلك؟"



ولأنها لا تزال بحاجة للمساعدة، فقد وجدنا الحل في أن ترافقنا صديقتها المفترية  
ذهاباً وعودة في الفترة الرابعة، على أن أتولى بنفسى إصالتها.

وفي إحدى المرات، وفيما كنت في اجتماع مهم في مكنتي في مبنى إدارة المصنوع،  
وردتني مكالمة من رعد. كانت الساعة الثانية عشر والنصف ظهراً، ورعد لم تكن تتصل  
إلا للضرورة ولما أجبته أخبرتني بأنها أنهت محاضراتها لهذا اليوم وتريد العودة للمنزل،  
لم يكن الوقت مناسباً فطلبت منها أن تنتظر الصلي لاحقاً. وبعد نحو أربعين دقيقة،  
تصلت بها كي أخبرها بأنني مشغول وإن أرافقها قبل ساعة، فوجهت بها تخبرني بأنها  
وصديقتها الآن في طريق العودة إلى المنزل، في سيارة شقيقتها.

هذا الشيق لم يكن إلا... الأستاذ عرفة.

تمالك نفسي، وأنهيت المكالمة ببدوء ظاهري، وتابعت على نون تركيز حقيقي...  
وعندما عدت إلى المنزل، حاملاً طعام الغداء كالمعتاد، كانت الساعة تقرب من الرابعة  
عصراً...

توجهت إلى غرفة رعد، لا ألتيق عصراً... ولما اقتربت من الباب سمعت صوت  
ضحكات... كانت ضحكات رعد مزوجة مع ضحكات فتاة أخرى...

ذهبت إلى المطبخ وسألت الخادمة، فأخبرتني أن لدى رعد ضيفة تكلمت معها غداء  
أحضرتها معها ظهراً... وهما تجلسان في الغرفة منذ فترة.

اقتربت على نفسي في غرفة المعيشة.. بعد ساعة ونصف الساعة، سمعت صوت  
حركة في الممر... ومعها صوت الفاتين تودعان بعضهما البعض، ثم صوت الباب  
الرئيسي يُغلق.

هبت واقفاً وسرت نحو الباب ولما التفتح لأفت الانتباه... وفي الممر رأيت رعد  
تسير باتجاه غرفتها فتأملت:

رعد:

أفتت إلي، وسرعت ما سمعت البيجة على وجهها... كان واضعاً أنها مسرورة...  
سألتني:

أنت هذا مني عتة؟

سرت نحوها وأنا أجب:

قبل ساعة ونصف تقريباً.

واضفت:

ألف، لقد كنت في اجتماع مهم.

قلت:

لا يلي.

ثم استدارت تريد متابعة السير إلى غرفتها.

التطري! إلى أين ذهبتين...؟ قلت:

إين... عندما مع... الأستاذ عارف؟

فالتفت إليّ ولا تزال تعبيرات السرور بادية على وجهها وقالت:

أجل... فقد أهبنا معاضرات اليوم باكراً ولم نشأ تخصيص الوقت في الانتظار... عندما

ودعوت مزارح الغداء والمذاكرة معي.

كنت ما في نفسي وتركتها تعود إلى غرفتها بسلام. وهدتُ إلى غرفة المعيشة..

وتكررت الاتصال بشقيقي عدة مرات بلا جدوى... إني لم أتمكن من محادثته منذ سفر.

تصلت بالمزرعة وكالمادة راضت أروي التحدث معي.. وأعدت لهم إيلس تكبده بأن

الوضع حرج وأن عليّ الحضور فوراً...

وكل يوم... نطقت مكثي ربيقت فيه، وبقيت راضة في غرفتها... في الواقع لم تكن

تلقني إلا على مائدة العشاء التي نقول طعمنا حولها شبه الخرسين...

شعرت بمقل شديد وأنا في المكتب... ولم يفلح حاسوب في شغل تفكيري... لذي

أمور أصق وأهم لأكثر بها...

غارت مكثي طلياً لبعض الأسترخاء... وفي الواقع... بحثاً عن راحة. كانت في

غرفتها...

هل كنت تدرسين؟

أجابت وهي تفتح الباب وتشير إلى مجموعة من كراسات الرسم الموضوعه على

سريرها:

كنت أصفح رسوماتي.

قلت محاولاً إثابة بعض الجلود من حولنا:

أنيك الجديد؟ أمكنني الفرج؟

ظهر على وجه راضة تعبير لم أهبه... ثم توضع قليلاً... وقالت:

نعم، بالطبع... بفضل.

أذنة لي بدخول الغرفة، قلت مفضلاً:

أهينا نذهب إلى المطبخ... سأخذ بعض الشاي.

وسبقها إلى المطبخ وبدأت بالتعمير الشاي. وانفني بعد قليل تحمل إحدى

كراسياتها. وضعتها على الطاولة وجلست وهي تقول:

لا أشطف شاعنت هذا.

وقد كنت فيما مضى أفرج على لوحاتها الجديدة من حين لآخر... وكانت صغيرتي

تسرّ بذلك... أكلت نعورها وجلست على المقعد المجاور لها، وشارفت الكراسية وشرعت

في تصفحها...

سمعنا صوت فقاخات الماء المنطى... فوافقت راضة قائلة:

تساعدنا.

ولسكت بعكازها. قلت وأنا أنظر إلى العكاز وأتذكر موعد الطبيب:

«بدأتذهب إلى الطبيب وبترزح جيرتك واستعنين عن هذا الجراح».

فالتسعت ابتسامة مشرقة وواصلت طريقها.

كنا جالسين على مقعدين متجاورين، كما لم تفعل منذ زمن... نحسي الشيء

الذي... أنا ألقب صفحات الكرسي، وهي تلقى بتعلق بسيط على الصفحات من حين

لآخر... لا شيء غير ذلك... لا شيء أقرب من ذلك... أظني ما يدور في رأسي خلف

صفحات الكرسي... أعلول أن أتحدث عن شيء خارج حدود الصفحة، ولا أجزؤ...

يا خري... ما الذي تفكرين به الآن أنت يا رعد؟

على الورقة الثانية، وجدت ورقة ملاحظات صغيرة، مكتوبة على الصفحة المقابلة

لرسم... وكان مكتوباً عليها ويخط صغير ومرتب كلمات مختصرة فهمت منها أنها

تخلق على الرسمة المقابلة...

كانت الرسمة بالفعل خلابة... تفوق ما سبقها روعة... أظنت أظلمتها مطولاً...

ورغم أنني لا أفهم في فن الرسم شيئاً... إلا أنني أذهرت بها تماماً...

قلت:

بالفعل رائعة! ما شاء الله!

ابتسعت رعد وتوزع خداهما قليلاً ثم قالت:

«هذه الأجمال بين المجموعة... حسب شهادة الخبراء».

التفت إليها وسألت:

«الخبراء»

قلت وهي تنظر إلى ورقة الملاحظات المكتوبة على الصفحة المقابلة:

«هل قرأت هذا؟»

قلت:

«نعم. أهي إحدى مدرستك في الجامعة؟»

ابتسعت رعد وقالت:

«آآ إنه رأي الرسم عارف... فقد أطلع على رسومي في هذه الكرسي وأبدى

ملاحظاته».

كنت أرفع فذح الشيء من يدي وأستبه على هذه الصفحة بالذات... فوجدت...

وتسمرت عيادي على ورقة الملاحظات... وعبثاً حاولت إعادتها عليها...

ماذا تعنين يا رعد؟ تعنين أن عارف... عارف هو الذي كتب هذا؟ عارف أستاذ

بكراسك هذه... وتأمل رسماك؟ كيف تجرأت على التراف هذا يا رعد؟

التفت إليها أخيراً... وبدأ الشرر يتطاير من عيني... لكن عينيها كانتا تعلمان في

ورقة الملاحظات... واليهبة مشقة علي وجهها...  
وضعت كوب الشاي جانباً... وشددتُ علي قبضتي غيظاً... ثم سألتُ:  
و... وكيف شاهد الأستاذ كراسيتي؟  
فأجبت:

أعطيتها لمرح قبل يومين وأعطتها إلي اليوم.  
أردتُ ريفي وابتلعتُ حنفي معه وتظاهرتُ بالتماسك وقلتُ:  
تكن... لماذا؟ أهى فكرتك؟  
أجبت رعد:

فكرة مرح! إنها كانت تصورُ علي بأن تعرض لروحاني علي شفتيها لقلان منذ منذ...  
تقول لها واقفة من أنها ستعجبه وسيخطب بعرضها في أحد معارضه ذات يوم... وأظففتُ  
كراسيتي كهيئة.

صعدتُ علي شفتي وقلتُ:

و... ما رأيك أنت؟

قلتُ بسرور واضح:

إذا رسمتُ لوحة معقولة فلا أحمية إلي من أن تعرض ضمن مجموعة قلان مبدع!  
سيكون هذا نجاحاً كبيراً لي!

وكانت عيناها ترفقان سروراً...

قلتُ غير فقرأ علي تعجب المزيد:

يبدو... يبدو... أنك... مبهورة بالقلان عارف العطر... أنت كذلك؟

وانتظرتُ إجابتها وأصصاني تحديق من الغيظ... رعد رفعتُ بصرفها من الكرسي

ونظرتُ إلي... ثم منطقتُ رأسها وتوقفتُ وجنتاها واضطربت تعبيراتها...

ماذا تعنين بربك يا رعد؟ كيف تخرجين؟

جاءتُ أي مصيبة أفت بك عينا أيها العارف؟ ومن أين خرجت؟

أنا لا أسمع لك بهذا يا رعد...

أظففتُ الكرسي لأنني لم أستطع تحمل شيء بعد... وهذا الاضطراب علي أصابع

يدي... لم أكون علي كعبت مشاعري أكثر... كيف... وأنا أقرأ الإعجاب في عين ظناني

يرجل ما... أيا كان؟

مددتُ يدي حتى أسكتُ يدها... وشددتُ عليها... رعد جعلت بي... وكما الجذ

وجهها... ومقلتها بنظرات مزجت الغيظ والعتب والرفض والتوسل... لا أفرى إن كانت

رعد فهبت أياً منها... تهرأتُ أخيراً وقلتُ:

رعد... لا بد... وأنت... تعرفين أنه... طلباً منك مني.

وتكلمتُ تعبيراتها بالتفصيل... هربتُ بنظرها علي... وعلاها الأرشاك...

وحاولت سحب يديا مني... فشددت عليها أكثر... وقلت:

إن...!!

وتألمتها بتركيز شديد... لم تقل شيئا... ولم تحرك ساكنا... غير أن ترفح وجهها  
تفاهم... ما أشعرتني بالألم أكثر فأكثر... فشددت على يديا بقوة أكبر... عليها تحسن بما  
أعاقبه... هذه الحبيبة الخائفة...  
قلت:

تأمر موقفك يا رعد... أخبريني!!

لكنها لم تنفخ بشيء ولم تنظر إلي... أخبريني يا رعد أرجوك... قولني أنك لا  
تفكرين في شيء كهذا... والله عزير في العالم رجلاً غيري أنا... أخبريني أرجوك! .  
ولما لم تجيب... أرسلتني الأفكار إلى الجحون...  
قلت بشيرة عذبة وقد تغر الغضب في صوتي:  
تكلمي يا رعد... أطلعيني على ما تفكرين به الآن.  
غيرتي القوية أهدأت رعد... فألقت علي نظرة وجلة ثم حاولت تحرير يديا من  
أبيعتني وقلت بتوسل:

أرجوك... أتركني!

وأرادت الوقوف والهروب بعيداً... غير أنني لم أطلق سراح يديا ووقفنا معاً... هي  
تحاول الابتعاد وأنا أحيق تحريكها...

أرجوك وليد...!

قلت مباشرة:

أرجوك أنت... أطلعيني على ما يدور في رأسك!

فقرت نعمة فجأة من عين الصغيرة واجتاحتها الحزن...

حرت في تفسير موقفها... قلت:

أنا من لم يعد يفهمك... ماذا تريدان؟ بمن تفكرين؟

صاحبت رعد ووجهها يتكلم:

لا أعدد... لا شيء... أنا لا أريد أن أتزوج أصلاً... أبدأ... أنت إن فهمتي...!

وسمعت يديا... وسارعت بالتقاط حزامها ومغادرة المطبخ...

وحيت بنقل جسمي على الكرسي... وأسندت رأسي إلى الطاولة... وزفرت زفرة

طويلة...

وهذا الموقف العصيب... لم يزد العلاقة بيننا إلا بروداً وثباتاً... وبعد أن كنا نلتقي  
على الأكل على مائدة الطعام، سرنا لا نلتقي إلا في السيارة... وأنا ألتها دعياً وجودة إلى  
ومن الجامعة، أما الأحاديث التي بيننا فقد تضائلت لحد التلاشي... ولم نعد نكلم بعضنا  
لبعض غير كلمة أو اثنين في اليوم الواحد.

كان مازقاً شديد جداً... أكل كاهلي وأضى ظهري... إلا أن الورطة التي نلتها...  
تخطت كل حداً وتجاوزت كل حداً... إنها الكارثة التي قصمت ظهري نهائياً...  
كانت ليلة الأربعاء... وكنت مستلقي في غرفة المعيشة، على وشك النوم، حين ورنشي  
مكالمة هاتفية هزجت كل خلايا اليفطة في دماغي، وانفجرت مجرى عباتي مائة وثمانين  
درجة... على الفور...

كان المتصل أبا حسام... وهو لم يتصل بي منذ فترة، في البداية تجاهلت الاتصال..  
فقد كنت أريد الانسحاباً بعيداً عن أي مؤثر خارجي... هو أن إلحاح المتصل... أكثر  
اضطرابي.

مرحباً...!

أجبت فتحدث أبو حسام مبتوراً:

مرحباً يا وليد، كيف حالك؟ أين أنت؟

ألقني خبرته وسؤاله... قلت:

خير!!

وافوجت به بقول:

هل أنت في المنزل الآن!! أنا عند الباب.

ماذا!!

عند الباب!!

سألت مدعياً بالجاب:

كعم، فإذا كنت موجوداً فافتح لي فهناك ما جئت لأخبرك عنه.

هبت جالساً بهلع... وسألت:

ما الأمر!!

قلت:

أضى الحبل لولاً.

وسرعة ذهبت إلى الفناء وفتحت الباب فوجدت أبا حسام يقف أمام مرآتي...

أتأبني بهلع... فوجوده وفي مثل هذا الوقت وبهذه الحال ينذر بالخطر...

فنت الرجل إلى الداخل... وكان يسير بحذر... وذهبنا إلى المجلس الرئيسي وأنا

بالتكاد أبطر على ذهولي...

بمجرد أن جلس على المقعد وقبل أي كلام آخر سألت:

ماذا هناك!!

أبو حسام تفتت يميناً ويسرة... وكأنه يريد أن يتوكل من أن أبدأ لا أسمعنا... وكان

الجد مجتهداً لسمات وجهه بشكل منيف...

لطفك يا رب...

تحدثت لغيراً وقال:

"هناك أمرٌ خطيرٌ يجب أن تعرفه وتتصرف حياله فوراً يا وليد".

فزعني الجملة، فصقلتُ به بأوسع عيني... وقلت:

"أي أمر؟"

قال وهو يهفت صوته:

"المصادر التي حصلتُ منها على المعلومات موثوقة مائة في المائة. وأنا أخطر

بأشأتها لك... وقد أتيتُ سراً لإبلاغك... يجب أن تعيها جيداً وتتصرف حيالها بعينها

الخطر... وبمتهي السرعة".

قلت مضطرباً:

"جفتُ حلقِي يا عم... لغيري ماذا هناك؟"

وهنا فزب أبو حسام رأسه مني وقال بصوتٍ خفياً:

"يتعلق الأمر... بشيخك".

توقف قلبي عن التبعض فجاء... وصدرني عن الكفيس... واجتاحني فرح مهول...

رفعتُ يدي إلى صدرِي وقلتُ بفرح:

"أما به شقيقي؟"

أبو حسام ركز نظره على وجهي وكأنه يلمس مني الفرح فيه... ثم سأل:

"أمر ماذا؟"

قلتُ باضطراب:

"لا... لكن ما به شقيقي؟ أرجوك أصبح؟ هل أصابه شيء؟"

هزَّ أبو حسام رأسه بقلبي معزج بالأسف... ثم قال:

"ليس بعد... لكنه على حافة الخطر..."

ثم استثنى نفساً قريباً من فمه وزفره أسفاً ثم قال:

"هل تأبعت غير محاولة اغتيال الوزير... الذي نفقته المنظمة المتشردة قبل أيام؟"

أجبتُ بنظرة من عيني... تلمع بعدها أبو حسام قائلاً:

"أخوك... متورطٌ مع هذه المنظمة... وشارك في العملية بكل تأكيد".

جفتُ... تسخرتُ في وهدمي... تصلّيتُ أطرافِي وتوتيتُ عضلاتي... حتى كلمة

(ماذا؟) لم أفر على الفلق بها... أنا ربما... لا أسمع جيداً... ربما أنا نائم؟... ماذا...

ماذا قلت؟

صقلتُ في أبي حسام... غير مصدق... مذهولاً لأبعد حد... فرأيتُ اليدَ يدي بظرف

من عيني... ثم إذا بي أعمى بيده تمسك بكفسي... وبصوته يعلن في أذني:

"الخير لك تماماً... طورتُ خطة من فوري لإبلاغك... أهد الأضواء وقع في أيدي

السلطات وانتزعت منه اعترافات خطيرة... وهي في طريقها لتبعض على العناصر

جميعاً...\*

وصيحتُ لعظمتي... برأيت ردة فعلي والفعاليات المذهولة غير المصنفة، ثم أضالتي:

أسلمت أحد العناصر... متى ما وقع في قبضتهم، فسيحتسونه لا محالة.

أخيراً استطاع فني التعلق متلعثماً عاتفاً:

استحيل!! م... ما... ما الذي... نقوله??

ثم أبو حسام الضغط على كتفي وقال:

أنا واثق من معلوماتي تماماً...\*

شبهتُ ونطقتُ:

أما الذي نقوله?? أسلمت أخي... عضو في... أ... ماذا?? ما هذا الجراء??

ثم أبو حسام على كتفي بعزم أكبر وقال:

أعرف أنها صدمة... لكن... هذا ليس وقت المفاجأة يا وليد، شيفتك في خطر...

يجب أن تعمل فوراً وفي العمل على إخراجك من البلد... الآن يا وليد... قبل فوات الأوان.

زهرتُ ونظرتُ من حولي... علي أجد ما يؤكد لي أنني لستُ في علم... كنتُ

واقفاً تماماً القول بفكرة أن أخي... أخي أنا... أه كلا... مستحيل...

قلتُ واقفاً ومثكفاً:

ربما... ربما.

لكن أبا حسام قال بعزم وجنية بالغين:

أنا لم أحضر من الشمال إلى الجنوب وبهذا السرعة وهذا التكال وهذا الوقت لسجود

(ربما)، وليد... أرجوك أن تستوعب الحقائق بسرعة. حياة شيفتك في خطر حقيقي... إنه

متورط مع المنظمة منذ شهر... بعض العناصر هم زملاؤه في العمل في المدينة

الصناعية... والعنصر المعتقل ونحت وطأة التعذيب أفضى عن خطتهم التلية ومن

سبغها... سيقفونها هنا في المدينة السلطوية قريباً. السلطات ستصيب كميناً وتباغتهم

وترسلهم جميعاً إلى الجحيم... إن يتجر إذا ما وقع في قبضتهم... لا مفرج أبداً.

أسكتُ برأسي الذي أحسستُ به يتأرجح على عظمي... وأحسنتُ عيني لأحوال دون

رؤية الأكتفاء بدأت تترافس من حولي...

أبو حسام وهو يراعي عكفاً قال عازماً:

يجب أن تتملك يا وليد... لا وقت للتفكير... يجب أن تتفاه قبل أن يقبض عليه

وحينها... لا أمل أبداً في إنقاذ.

حركتُ رأسي تليفاً وأنا لا أزال في مرحلة الصدمة، أجزر نفسي على تغطيتها

ومسكُ الزمن...

قلتُ:

ماذا فعل?? كيف التصرف??



قلت:

يجب أن تخرج الشاب من البلد بأسرع ما يمكن... استخدم كل نفوسك وافعل  
الاستحيل لترحيله إلى الخارج. لا أحد يقع في يد السلطات ويعود سالماً، وخصوصاً في  
طبيعة هذه التطورة... لا تنخر وسيلة مهما كانت.

مسحت العرق الذي تصيب على وجهي كشلال مياه مائعة... وأخذت أفتح أزرار  
قميصي العلوية وكان ذلك يساعد في إزالة الكتم عن صدري... ثم قلت:

أنا... لا أعرف أين هو الآن.

فتنظر إليّ أبو حسام بالزعاج فأوضحت:

تسافر إلى الشمال الجمعة العاشر، ولم يجب على الصلوات.

ثم قلت مستنجحاً بأخري:

أعني له...؟

فقالعني:

لا يزال طليقاً... ومشارك في العملية التالية. لا بد وأنه في الجوار الآن...  
في تلك الليلة... تعرفت الكرة الأرضية عن مرور نورانيها... وتخلّطت واصطدمت  
في جميع الأجرام السماوية... ولم تبق لا نجماً ولا قرناً... إلا وصطعت في رأسي...  
طار أبو حسام العزول... معلقاً بأي وسط كومة ضخمة هائلة... من عظام  
الكواكب...

بليت على ذات المنعد... ألقى الصفة لئلا الأخرى... فبدأ العوانى الخمس...  
بعضني فتأخر إليّ... جثة متصلة تنتظر من يوارثها...

بعد حقة من الزمن... انه الأهم بناها... عادت الروح إلى جسدي واستطعت  
لتحرك...

وقفت وأنا مغروق الهامة... بأمرني الشقي الأمين بالسير بيننا وبأمرني الأمير  
بالسير يساراً... حتى إذا ما سرت... ترنعت وكنت أظلم صدعتني بالخطام بالجدار...

صعدت السلم وفلقتني فتداني إلى غرفة سامر، في الطابق العلوي.

ربما خيل إليّ... أنني سأستيقظ من الكابوس وأرى أخي بنام بسلام على سرير...  
لكنه لم يكن على سرير... أضحكت المساييح غير أن النور لم يكثف شيئاً مستقراً...

والشعورياً أخذت أفتش بين أغراضه...

مسكون وأبدا هل خيل لك نماطك المغروق... أنك ستجد شريك الغائب... مستخباً في  
أحد الأراج

ما وجدت في أحد الأراج... كان مستوفياً... إنه ذات الصندوق الذي رأته في شقة  
أخي في المدينة التجارية... والذي تغلّبت على عضولي ولم أفتحه...

ولكن لماذا تتحرك بدني لفتحه الآن؟ أي من شقي تداني بالمرحاً بذلك؟

فتحتُه... أغيراً فتحته ووقع بصري مباشرة على ما فيها  
أتراب عفتي... جمعت عيني... تصاممت لعزرات نعي وهي تتناق بتعز  
وعشوائية من قلبي...  
أعرفون ماذا رأيت؟  
لا إن تعزروا...!  
لقد كان... مستملاً!!!

## الحلقة التاسعة والربعون

### يا شقيقتي الوحيد

تقريب الساعة من الساعة والنصف ووليد لم يظهر بعدا سألته عن الساعة... إلا  
بزال نقماً حتى هذه الساعة؟؟

كان لا بد لي من الذهاب إلى غرفة المعيشة - حيث بنام - وطرق الباب...  
نحن لا نكلم بعضنا منذ أيام... في الواقع العلاقة بيننا شبه منقطعة منذ زمن... وبعد  
موضوع الفنان عارف هذا الأخير... لم نعد نتبادل غير التحية...  
لكن أنا أرضى من وليد بأي شيء... حتى لو فرز أن يتجاهلني تماماً... سألته...  
أريد فقط أن يفهمي تحت جداله... وأن يسمح لي بأن أراه ولو مرة واحدة كل يوم...  
واليوم سألته إلى الطبيب حتى تخرج جيرة رجلي أخيراً... واستعد كامل  
حركتي... أخيراً..

طرفت الباب مراراً ولم يفتحني، كان الوقت يداعمني لذلك لم أتردد كثيراً قبل فتح  
الباب... والمطباء كانت أنه لم يكن في الداخل!  
بحثت عنه في المطبخ والغرف المجاورة ولم أجده. شعرت بالقلق... وبحثت أن  
يكون في الطابق العلوي، لم تكن الخادمة قد استيقظت بعد... اتصلت بغرفة الطوبى عبر  
الهاتف الداخلي وما من محبوب... أودك قلتي... فالتصفت بهاتفه المحمول... وأخيراً تلقيت  
رداً:

أعم رجلاً،

قلها بسرعة وتكلمه على عجلة من لره أو مشغول... سألكه مستغربة،

أين أنت؟؟

فأجاب:

في الجوار... سأصل بعد قليل.

ولكن إلى أين ذهبت في هذا الصباح الباكر؟؟ وكيف غادرت وتركتني؟؟

قلت:

تصلاً.

واللهي المتكلمة وجلست أنتظره في المطبخ، جاء بعد قليل وكان يحمل معه كيساً  
بحري فخراس الخبز وفتائر وألمعة أخرى، فاستنحت أنه كان في المنزل.

فقد ولدت السيارة بسرعة كبيرة نحو الجامعة، على غير العادة... وثقتي ثلاثة  
اتصالات هاتفية أثناء الطريق... وكان ظاهراً من كلامه... أن هناك ما يلقاه...  
لم أجزئ على سؤاليه... فالتواصل بيننا مؤخرأ كان مجتأ... ذهبتُ إلى جامعتي  
والضيتُ نهاري بين زميلاتي بشكل اعتيادي... دون أن يخطر ببالي... أنه سيكون...  
النهار الأخير...

بعد انتهاء المحاضرات، جلسنا أنا ومرح عند المواقف لتتظر وصول سيارة والدي  
كالمادة... فهو من كان يوصلنا يومياً دعماً وإيماً إلى ومن الجامعة. مرات يضع هاتفك وام  
تظهر السيارة... ووجدتُ مَرَح في الانتظار فرصة لتطرح عليّ السؤال التالي:

"هل من جديد... عن موضوعنا؟"

تعني موضوع عرض الزواج

أه يا مَرَح! وهل هذا وقتك؟

لم ألتأ أن أكون لحظة... وأخبرها مباشرة بأن تسمى الموضوع نهائياً... خصوصاً  
وأن هناك طلب رسمي من عائلتها مقم رصياً إلى والدي... وليّ أمرى.. والذي يجب أن  
يتولى نفسه الرد الرسمي على الطلب، لم ألتأ أن أخرجها وأخرج نفسي لذا قلتُ متظاهرة  
بالمرح:

"انتظروا ردّي؟"

لكنني لم ألتصص منها إذ سألت من جديد:

"ماذا عن رأيك أنت؟ هل توافقين على الفكرة مهنياً؟"

واضرتُ بـ "أجيب؟"

ربما اضرتُ مَرَح حيرتي بأنها قول ولفعل... فما هي تلتصم بسروري؟

أظهرتُ الجذ على ملامح وجهي وقالتُ:

"مَرَح... هناك شرة لم ألتصك عليه من قبل."

فالتصتُ إبتسامتها وقالتُ بفضول مملع مَرَح بالمرح:

"ما هو؟ أخبريني! سرّك في بتر؟"

أما يبدو أنه من الصعب أن تلتخذ مَرَح الأمور جدّاً حقيقيّاً

قلتُ وأنا مضطرة في ثورة الجذ:

"لقد... كنتُ مضطربة في السابق."

ألتصتُ جلتاً مَرَح بشفقة... وحملتُ بي غير مصدقة، قلتُ مؤكدة:

"نعم... ولعدة سنوات؟"

قلتُ بعد تلك وفيها مفعور:

"الحق! لا ألتصق! كيف؟!" متى؟ أين؟ من؟

انتظرتُ حتى ألتصق من أكر المعالجة ثم قلتُ:

أبى صلتكى:

فقلت مباشرة:

عنى رعداً!

أبيت:

أخذت سنين... كنت صغيرة... و... لقد انفصلت عنه... قبل شهر!

لم تخف مزاج دعائها الشديدة...

استغرب من نفسي!

كيف أتذكر هذا الموضوع وكأنه موقف عابر انتهى... بينما كان لي الواقع حدثاً

استمر لأربع سنين!!!

أربع سنين عشتها مفعولية لغير... وأنا لا أعرف ما هي حقيقة مشاعري نحو...

أصلاً... ثم لكون أعرف أن هناك أنواع من الشعور... ثم أتق منها سوى طعماً واحداً...

إلى أن ظهر وليد في حياتي من جديد... وأذقتني استنفاً لغيري...

سألت مزاج:

من كان؟

فظهرت ليها نظرة قوية... ثم أبعثت بصري عنها وظلمت رأسي... وبعد تردد

فسر أبيت:

من عني!

حينها هفت مزاج بدخلة وهي ترفع يدها إلى السماء!

المليونير!!! وليد شاكراً!!!

قلت ليها بسرعة وقد لمعني تحليقها بفرقة أبيت بوتر:

لا... لا...!

ثم زممت شفتي وأصفت:

كثيفة الأصفر!

فقلت مزاج وقد بدا وكأنها أخذت في الاستهجاب:

هكذا... إن!

ثم صعدت قليلاً... وعادت تسأل:

و... لماذا انفصلنا؟

رعدت هذا الحد كان يجب أن تتوقف... قلت وأنا أفتح حفيتي وأستخرج عيني

وأظنر بعدم الاكترت:

لا تصعب!

وانفصلت مباشرة بوليد... أماله عن سبب تلغره...

وأعشني وحزوني حين أجد:

أنا لست يا رعد، لا أستطيع الحضور الآن، مشغول جداً، عودي مع صديقتك.

• • •

كنتُ ساعيتها أبداً كل الجهود الممكنة والمستحيلة من أجل تسهيل أمر ترحيل أخي إلى الخارج في أي لحظة تصل يدي إليه... اتخذتُ عشرات التدابير... ووضعتُ خطةً بخطة وبدائل بخطة... استعداداً للحلقة...

لم يعد لديّ شك في أن أخي بالفعل متورط مع تلك المنظمة... ولم أعد بحاجة إلى دليل إضافي بعد ما وجدت في المشرق...

لا وقت لديّ كي أستوعب وأحلل... أنا هنا فقط لأعمل وأصل... يشتي الطرق... لأطر عليه وأخرجه من البلد قبل أن تسبني السلطات إليه...

والشخص مثلي... عائلتي في السجن ثمانية أعوام... ورافق مجرمي لمن البتة... وعاصر مصارعهم أمام عيني، لا أعد بحاجة أن يشرح لي... ما الذي يمكن أن يلاقيه أخي... لو تم اعتقاله...

عدتُ إلى المنزل عند الخامسة... في لئلاً لئلاً حالات الإعياء والتعب...

عدتُ وصولي استقبلني رعد بوجه قلق... وسألني مباشرة:  
"كأخوتك وليد..."

وسرعان ما لاحظتُ أثر الإعياء صارخاً عليّ وجهي... فقلتُ بطلاء:  
"ماذا هناك..."

فركتُ عينيّ القين لم لأولاً للتوم طمعاً منذ الهزيمة ثم قلتُ:  
"تعباً من العمل... سأخذك للتوم."

وخطوتُ خطوةً باتجاه غرفة المعيشة، فاستوقفني رعد قائلاً:  
"عودي مع الطبيب."

فتذكرتُ... أن اليوم... هو موعد لزخ جيرة رعد... وهو أمر الغاء من ذاكرتي ما حل مكانه بكل قوة...

قلتُ إليها وقتاً:  
"لا وقت ليها."

فخطرتُ إليّ بحيرة واستغربتُ وحزن... عندها التزيتُ منها خطوة وقتاً:  
"رعد... اجعني أهم ألتهاك في حافية... جهزيها في أسرع وقت اليوم."

بدأ الذعر عليّ وجه صغيرتي ورفعتُ يدها نحو عنقها وقالت متوجسة خيفة:  
"استعديني إلى عائلتي... كلا أرجوك."

فحملتُ فيها قارناً مغرورها وتوسلاتها ثم قلتُ:

"ليس هذا... قد اضطرر إلى سفر طارئٍ وأخرج في أية لحظة... استعدي."

وتابعتُ سرياً إلى غرفة المعيشة تاركاً إياها في حيرتها... واستلمتُ عليّ لثنية

وغيرت في النوم بسرعة...

وليد... سار هنا.

فتحت عيني... واستلفت لأكتشف أنني لا زالت نائمة على الكتيبة... وأرى رعد تلف

لعمري...

لكن... مهلاً... ماذا كانت تقول؟ ماذا كنت أعلم؟ ماذا سمعت؟ ماذا قرأت لي؟

استويت جالساً وأنا لا أزال بين النوم والصحوة... ونظرت إلى ساعة يدي... قرأتها

تتور إلى الساعة مساءً...

أوه... الصلاة...

قلت:

لماذا لم توقظيني عند المغرب؟

كان شيئاً من القلق على وجهها... وسمعتها تقول:

لم تكن أعلم أنك لا تزال نائمة... أحسست بحركة في المنزل فبحثت عنك...

ورجعت نائمة هنا... سألت الخادمة فلغيرتي بأنها رأت السيد الأصغر يصعد السلم...

كنت لأوقظك وأخبرك بهذا.

لخمس ثوانٍ بقيت معلقاً فيها استوعب ما قلته... ثم... وبسرعة البرق... قفزت

من مكاني وركضت طموراً نحو الطابق العلوي...

كبرت بانفتاح نحو غرفة شقيقي وكان الباب مغلقاً... ففتحته بسرعة وفتحت

الغرفة...

وكم كاد قلبي أن ينفجر من البهجة... حين رأيت شقيقي سار... يلف أمام عيني...

الحمد لله.

انسكت الجملة من لساني وطرت نحو شقيقي وطواقه بزراعي وضمنته إلى

صغري...

"حمداً لله يا ربه... حمداً لله يا ربه."

ألف حمد لله يا ربه... فقد ربتت إلى شقيقي سالماً... حياً... معلى... الآن استطوع

أن أختبه... أن أحميه بمظنك... وأبعد عن الخطر...

أزحمت بزراعي عن أخي ونظرت إلى عيني... قرأت أنك... والانتهاج يتبعان

منهما... وانتهيت حينها إلى أن الصنوق الذي كان سار يفتن فيه السلاح... موضوعاً

وموضوعاً على السرير...

كأننا نظر إلى الصنوق... ثم إلى بعضها البعض... ونظرنا نبلغ إحداهما

الأخرى... بما استكثت...

أخيراً نطق سار قائلًا:

لن نر ٢٢

يقصد العسائس... والذي أخذته أنا من صندوقه ذلك اليوم، وألقيته...

لم أحب... فكررت سامر وبغزة أغلظ وأند:

أين هو??

حككت به برهة ثم قلت:

تخلصت منه!

بدأ وجه شقيقي يضطرب... تعذرت كونه وبذلت سعته... وزفر بنفلا صبر وعاد

بكررا:

وليد... أخبرني أين وضعت?? ولماذا سمحت لنفسك بالتحام غرفتي والعبث

بأشيتي??

قلت محاولاً الاتصال بضميه وأنا أمسك بزراعته:

أعنا نجلس ونكلمنا!

غير أن أخي سحب زراعته من يدي وهتف بعصبية:

أعده إلي يا وليد الآن... لا وقت عطفي!

فتلوت إليه بمطف وقلت:

لا وقت... لماذا?? ما أنت فاعل??

فردت بالفضول:

ليس من شأنك... ولا تقم نفسك في ما لا يخصك!

فرددت مباشرة معترضاً:

لا يخصك?? أنت شقيقي يا سامر... شقيقي الوحيد وكل ما يتعلق بك يخصني

ويحيني!

قل سامر بعصبية وصبر نافذ:

وليد لو سمحت... لا داعي لتضييع الوقت في الكلام... أعد السلاح إلي في الحال

ودعني أذهب!

وكلمة (أذهب) هذه هزت جسدي من شعر رأسه إلي أطراف قدميه... ثم هزرت

رأسي بـ (كلا) فما كان من أخي إلا أن تجاوزني وسار متفاعلاً نحو الباب وهو يقول:

تأفك عن نفسي!

والتفت نحو غرفة نومي... دخلها ويثر بتقليب الأتياء وبغزة كل ما تقع يده عليه،

بعثاً عن العسائس...

والتفت عند الباب لرقبه... وأنا لا أصق لها الحقيقة... أخي أنا... صبر في منظمة

للمتفرجين... يشارك في تنفيذ عمليات إجرامية?? أخي أنا... بملك سلاحاً... ويقتل

البشر...??

أين ألقته يا وليد بنا كذا!



فل ذلك بعد أن انتبط به الغضب وهوى من العنور على ضلالتة... فقلت:  
"لا تعب نفسك... إنه ليس هنا".  
فكنت إلى والشور يتمايز من عليه وزمجرة:  
"إن... إن تكفي على مكلفه!!"  
فأجبت بحزم مع مرارة:  
"هنا".

وما كان من شقيقي إلا أن ألقى ما كان في يده وسار منطلقاً إلى خارج الغرفة  
وبتجاه السلم...

تبعته وأنا أقول:

"إلى أين سذهب!! إنه ليس في المنزل".

فسمعت يرد:

"إن... سأتركك لك أنت المنزل".

فخرجت القليل في راسي... وكنت خلفه وأنا أعتف:

"انتظر... انتظر".

فحزت التريجات قزاً حتى أتركته عند أولها وأطبقت يدي على ذراعه...  
قلت:

"إن أهدك تخرج".

سار حاول تحرير ذراعه من قبضتي فشددت أكثر... فصرخ في وجهي:

"تركني".

غير أنني شددت أكثر وأعتف عن انقمام...

حينها سدد ركلة بركيته إلى معدتي مباشرة... وهبط الأثم أسباني بشلي مفاجئ...  
فلمكن من الإفلات من قبضتي وهروا مبتعداً...

لحقت به بسرعة وأتركته عند العمر فأستكت به وجذبتة وأنا أعتف:

"إن أهدك تلعب يا سافر... إن أهدك".

ودارت بيضا معركة عنيفة... أهدت شراسة وحمولة من تلك التي أنتظناها ليلة زيارة  
(عارف العنور) لنا...

كنت أصر به وأنا أأثم... أترقي ملايمه وأنا أترقي... أهديه وأنا أترقي...

يستحيل أن أتركة تخرج يا سافر... وإن اضطررت أكثر سأفكك فسأفك... لكنتي

إن أهدك تقع في أيدي السلطات... إن أهدهم يمسوا منك ولا شعرة واحدة...

• • •

وقفت أهدك عراك أهدني الجنوني مذعورة... أهدك جسدي بالجدار خشية أن

تداني صدمة طائفة من أي من أهدتيهما!

كلما ضربت أعضائها الأخر أطلقت سبيحة دعر وألقيت عيني خلف راحة يدي...  
والفلس جسي. كان سامر يحاول التوجه إلى المنزل... إلى الباب... لكنّ ولید كان  
يجرّه في الاتجاه المعاكس وهو يصرخ:  
إن أسمع لك بالذهب... إن أسمعهم بمسكون بك... إن أسمعك للموت بهذا الشكل  
أبدأ.

وسامر يحاول التحرر من يده وهو يصرخ:

"تركني... لا شأن لك بي..."

فرد ولید:

"تسببسون عليّ ألا تكلم؟" سألون بك في السجن إلى أن يحمرك بأشع وسيلة...  
لأن أسمع لهم بالوصول إليك.

ويحدث العراك بين الشقيقتين وأرى اللون الأحمر ينق جداول ويركأ على  
جسديهما...

يخرب سامر ساق ولید بقوة فيجثو أرضاً... ويحاول سامر الفرار فقلبي بدأ ولید  
على رجله ويشده بعنف فيلك توازنه ويلع أرضاً... يطبق ولید على رجلي سامر ويجرّه  
في العمر عتوة... يحاول سامر النهوض ويفشل... يصرخ:  
"تركني... أبدأ".

ويوجه ركلة بقدمه نحو ولید فتصيب ألفه مباشرة... لكنّ ولید لم يطلق سراح سامر  
من قبضته بل جره وهو يحك جسده بالأرض... ويحاول سامر غرس أطرافه في الرخام  
الأبيض دون جدوى... فيصرخ بصوت قوي وأعطف:  
"تركني أيها الوحش".

وولید مستمر في جره لخبه إلى أن أسمعته مجلس الضيوف... لم أجد من يمكنني  
أستطيع رؤيتهما لكنّ صراخهما كان يدوي في كل المنزل... وسمعت أيضاً صوت المزيد  
من الركلات والضربات والأهات المتوجعة القوية... والتي جعلني أرتجع أن كسراً ما قد  
أسلب عظام أحد منهما...

لم أشعر إلا ودموع فرعب تنسكب فائضة من عيني...

لقد... سبق وأن عاصرت عراكاً بينهما ولكن... ما يحدث الآن... يفرق حد  
الجلود...

ترعد:

فجاءت الفلص جسي على سرخة أحد يهتف مند بلسمي...

ترعد... تعالي بسرعة.

حتى أنني لقوة الزمجرة لم أعرف صانعها...

ترعد أسرع:

لمسكتٌ بعكازي وهروئتُ نحو المجلس تاركةً قلبي معلقاً على الجدار الذي كنتُ  
أستند إليه... فور وصولي إلى فتحة الباب وقع بصري على وليد يلوي ذراع سامر وهو  
يلصقه بالجدار بينما يحاول سامر التلصص ويستد راسات عشوائية نحو رجلي وليد...  
أغلق الباب بالمفتاح.

قال ذلك وليد، فنظرتُ إليه غير مستوعبة... ماذا يقول...??

فصرخ:

هيا بسرعة...

ارتجفتُ من صرخته ونظرتُ إلى الباب ورأيت المفتاح مغروساً في ثقبه...

صرخ وليد:

أغلقه بسرعة هيا.

وفي نفس الوقت صرخ سامر:

هيا يا وليد.

فصرخ وليد صرخةً مججلة:

تحركي.

فصعدتُ بعدها لأمره بلا إترالك، وأغلقتُ الباب وأغلقته...

والتفتُ خلف الباب المقلق واضعةً يدي على صغري... وأنا ألتصق في المفتاح... ولم

يعطيني العراك الذي هز الباب أمام مرأني، أي فرصة للتفكير واستهلاب ما يجري...

ابتعدتُ عن الباب وأنا أترقب أن يتلعق في أية لحظة... كان جسدي أياً منهما يرتطم به

المرّة بعد الأخرى... ثم أغلقتُ أيضاً أعضائي شكاً تكافياً...

أقفني يا وليد.

لقد كان سامر...

هيا يا وليد... أظني منكك.

صوت وليد...

وتداعلتُ الأصوات الصارخة الكثرة المجلجلة... أقفني لا أقفني... حتى شعرتُ

بالتوار وخروبتُ على الأرض...

فطلق البكاء المكبوت من صغري أخيراً وأغذتُ أصرخ:

ماذا يحدث... ما الذي فعلته?? ماذا حل بكما??

ولما لا أهتم شيئاً...

ثم سمعتُ ضربات قوية على الباب أوشكتُ على انفراقه من شدتها... وصرخ

سامر بهتة:

أقفني الباب يا وليد.

بلية صوت وليد!

“لا تستعني إليه يا رعد... إذا خرج لسوف يقتلونه... إليك يا رعد...”  
قلتُ إلى أبياب وهنكتُ:

“من يقتلون من؟”

فجأني ردّ وليد:

“الشرطة تطلبه... سيقتلونه حتماً... أنا سأفقه قبل أن يصلوا إليه...”  
أنا... لا أهتم شيئاً... لا أهتم شيئاً...

رعد:

عائلي وليد...

رعد أسمعني؟”

أبياب:

نعم.

قال:

“المضري عائلي المصنوع بسرعة.”

ثم أعقب... فقال:

“هل تسمعيني يا رعد؟”

قلتُ:

“ما الذي يجري؟ أنا لا أهتم.”

قال:

“المضري عائلي... ولا تقتني الباب إلا حين لطلبنا أنا ذلك... بسرعة يا رعد.”

وتنهضتُ، واستلكتُ لأمر وليد وجئتُ عائله من غرفة المعيشة. وقلتُ عند الباب

وقلتُ:

“الهاظ.”

فسمعته يخاطب سامر:

“عيني أظنك يا سامر... أنا أعرف سيلاً لذلك... لا تعترضني أرجوك.”

لكن الظاهر أن سامر فكبتُ مجدداً على وليد وتعاركا تلبية...

ما الذي تريد مني؟ لماذا لا تتركني وشأني؟”

قال سامر، فأجاب وليد:

“إن أتركك وشأنك يا سامر... إني سيقتلون طيلة ويقتلوك إلا أنهم؟”

قال سامر:

“وما الذي يمكنك أنت؟ هذه حياتي أنا.”

فردّ وليد بصوتٍ شجي منظم:

“كيف تقول ذلك؟ إنك أنتي الوحيد... كل من يقف لي من عائلتي... أنا لا أهتم أن

بصبيك أي ضرر؟

فرد سامر:

"مطلق".

فجاء صوت وليد يردد بكلمة كنت:

"أنا يا سامر؟"

فيقول سامر:

"كنت أصلاً لم تكفرت لي ولعشائري... أي أخوة وأي نفاق؟"

ويحلّ سمعتُ مقالين... بعد طول جلية وطسويج... ثم سمعتُ وليد يقول:

"تكفرت لك ولكل ما بعينك يا سامر... ألا ترى ما أنا فيه؟" ألا ترى؟" ألا تعرف ما

حلّ بي منذ عرفت؟"

ثم انصرفت:

"تعني أجزئي اتصالاتي واتصرف بسرعة قبل فوات الأوان؟"

فقال سامر:

"وفر جبروتك... لقد قلت الأوان... أنا لا يعني أي شيء... لا الحياة ولا الموت؟"

فرد وليد:

"ثم بقت الأوان... سأحصل على إخراجك من البلد ومن كل بلد؟"

ثم تغفرت لبرته إلى الرجاء وقال:

"ابق مكانك... أرجوك أنا مرفق... لا طاعة لي بالمزيد؟"

ثم اقترب صوته... صار عند الباب مباشرة... خاطبني أنا فقط:

"زعد القضي الباب؟"

وبقيت لتوان مترنكة... وسألت:

"هل أفتح؟"

فأجاب:

"نعم القضي؟"

بحذر أدت المفتاح في ثقبه... ثم رأيت قبضة الباب تنور... والباب يفتح...

ويظهر منه وليد... بمظهر فتوح ومرعب...

تحرك وليد بسرعة إلى الخارج وصعد محاولة سامر التحاق به وأغلق الباب وألقه

فوراً...

أخذ سامر يضرب على الباب بيديه ويرجليه وهو يصرخ طلباً مناً فتحه ووليد وقف

على التلحمة الأخرى يقول:

"إن أفتحته يا سامر... أرجوك لا تنفذ علي الأمر... انتظر حتى أؤمن فرارك...

أرجوك بق بي؟"

صرخ سائراً:

"جيران... استطع لمن هذا..."

ولم تجب وابتد...

رأته يظلم رأسه... ثم يمسح برأسه على وجهه ثم يرفع رأسه متلوثاً ويمسك

على ثراعه... ثم يستدير إليّ...

هل أصف لكم كيف كان؟!

يفوق الوصف...

العلابيس... مزرقة... ملتفة بالدماء... العنق... مغطى بالفتوش الدامية... الشعر

مبعثر في كل الاتجاهات... كعش عجوة مصفوفة قبل أن يكمله... الوجه متورم شديد

الاحمرار... متغير الملمح... يخلق الناظر فيه بضع دقائق... ليعرف صاحبه...

وتارة من متوازيات من الرواسب الملحة... يمتدان من العنق شاكين الوجهين... ينتهي

أحدهما إلى غلبة من الشعر الأسود... والأخر يصب كغيره الغضب في بركة من السماء

الغزيرة... تتبع من أفقه...

وابتد... فني!!

مدّ وليد يده باتجاهي... ومن فرط ذهولي بفضاعة منظره... لم أقوم ما يعني...

هل... هل تريد أن... ألتذ على يده وأرت عظه؟!

أر... تريد أن... ألتف جراحه وأستدعا؟!

أر... تريد أن يستد إليّ... نعم... فهو في حالة فظيمة... وربما لا يستطيع السير

بعفوه...

لما أحسن وليد ضجاعي، قال:

الهاتف!

هذا ضرب من صغر الباب وصرخ:

"افتحوا الباب... دعوني أخرج من هنا."

تلول وليد الهاتف من يدي، ثم فرج المفتاح من ثقبه، ونظر إليّ وقال:

"يا رعد... أن تقضي له... إنك!"

وربما لاحظت تبهتي... وحتم استعالي لثبي... فقال مؤكداً ومعتزلاً:

"حياته بين أيدينا... إنك وفتح الباب مهما حصل... تكفيين؟!"

أفهم؟! أفهم ماذا يا وليد!!

هزيت رأسي كيفما اتفق... وحاولت أن ألتصق بسؤال، غير أن وليد كان قد باتس

بالاتصال الهاتفي... وأبعد عني... وانطلق...

بعد ذلك بأربعين دقيقة وفيما كنت أجلس في غرفتي في حيرتي وذهلي ألتفتي وظاهر

عليه أنه استحم وانظف جروحه وبذل مائمه وأخبرني بأنه سيخرج في مشاورة مهمة

وسعيد الخادمة إلى مكتب التليفون... وسألني إن كنت قد جهزت حقيبة السفر واخرج  
عندما أجهته بالقلي...  
www.lilas.com

٣٢ وقت أسألتها يا رعد... اجعني أم أتيالك واستعدي السفر الطارئ خلال يومين  
أو ثلاثة؟  
www.lilas.com

عالم القلق على وجهي وسألت:

أين توضع لي ما يحصل؟

فأجاب إجابة مقتضية وهو يستدير ليظهر:

كورتة في علبات شعب مطوية... السلطات منقبض عليه... أريد أن أكون به من

اليد ويضعها توضع الأمور؟  
www.lilas.com

توقف وليد واستدار إليّ ونظر إليّ نظرة جأ وتحتير:

٣٣ تقضي الباب يا رعد... إنك؟  
www.lilas.com

أطال النظرة إليّ، ثم عاثر... تاركاً إليّ في ذهنٍ ما بعده ذهن...  
www.lilas.com

بعد ذلك بفترة قصيرة... خرجت من غرفتي وتسلقت بخطر نحو غرفة المجلس...  
www.lilas.com

التزيت من الباب، وأصفت أنني به مسترفة السمع لأي حركة أو صوت يصدران

من الداخل... كان الهدوء التام يفسر الغرفة بحيث لا تصدق أنها كانت تبعج بالصراخ

كثير كان قبل قراء...  
www.lilas.com

سمعت بصوت خفيف:

سامر؟  
www.lilas.com

ولم أجد جواباً، فطرفت على الباب طرفاً خفيفاً وأنا أتدلي:

سامر... هل تسمعني؟

جاء صوت سامر بجيب:

رعد؟  
www.lilas.com

ثم أصبت بمركبة... سمعت سامر بعدها يقول وقد التزيت صوته من الباب:

أين وليد يا رعد؟

أجبت:

أخرج من المنزل؟  
www.lilas.com

سأل:

إلى أين ذهب؟

قلت:

قال إن لديه مشاوير ضرورية ليطلعها.

سمعت سامر... فقلت:

كيف إسألك؟

فلما لا أستبعد أن يكون عظم منه قد كسر... بعد العراك الوحشي مع وليد. لم يجبه  
 سامر فالتزمت الصمت قليلاً ثم سألت:  
 "ماذا يحدث يا سامر؟ أخبرني."  
 ولكنه لم يجيب، فواصلت:  
 "أرجوك قل لي... ما الذي فعلته ويعترض عليك للخطر؟ ولماذا؟ أنا لا أصدق..."  
 قال سامر فجأة:  
 "رعد القوي الباب."  
 ابتعدت عن الباب، وكنتي أختش أن تصاع للأمر بمنزلة قربي منه... ولم ألقب...  
 فقال سامر بسرعة رجاء شديد:  
 "أرجوك يا رعد... القوي الباب... هناك من ينتظرنى... الأمر مهم جداً."  
 فتسجعت وسألت:  
 "أي أمر؟"  
 فسكت سامر برهة ثم أجاب:  
 "لا أستطيع إخبارك... القوي الباب ودعيني أخرج قبل عودة وليد... إنه لا يعرف  
 شيئاً ولا يفهم الحقيقة."  
 أهدت ذات السؤال:  
 "أي حقيقة؟"  
 فقال بطلا صبراً:  
 "لا أستطيع أن أخرج لك الآن... يجب أن أخرج أولاً لأن كثرة ستعمل باستغفاني...  
 أرجوك يا رعد... اتبعه ودعيني أتحق بالأمر قبل فواته."  
 تراجعت خطوة الوراء وأنا أعز رأسي وانصتاً... وكنتي أختش نفسي وأثرها من  
 مغبة الأصباح...  
 سمعت سامر يطرق الباب وهو يقول:  
 "أين أنت يا رعد... أرجوك... اتبعه."  
 قلت:  
 "لا أستطيع."  
 قال:  
 "لماذا؟"  
 فأجبت:  
 "وليد..."  
 وقبل أن أتم الجملة القلبي قللاً بحق:  
 "وليد لا يعرف الحقيقة... إنه سينم كثيراً حينما يكتشفها... لا وقت لأوضح لك يا



ورغد... أرجوكِ أفتحيه وخلصيني."

قلت:

"انظر حتى يأتي وليد ويمن له الحقيقة... ثم... ثم إن المفتاح معه هو."

قلت:

"استجدين مجموعة المفاتيح الاحتياطية في درج مكتبه كما يتركها عادة... هاتني المجموعة وفتني عن المفتاح المناسب، بسرعة يا ورغد... أرجوكِ."

قلت وأنا أبعد يدي خلف ظهري:

"لا أستطيع يا سامر... وليد خطرني."

فإذا به يقول فجأة:

"طبعاً يستطيعه هو."

فوجدت من كلامه، وسحبت يدي نحو سفري ثم قلت ميرزة:

"آله... قل... إن هذا خطر على حياتك."

فرد سامر بحسنية:

"هو صحيح... إنه خطير... بقاتي هنا خطر على حياتي وحياة أستاذتي."

ثم أضاف:

"أنت تشاركون في تعريف حياتنا للخطر... هل هذا يرضيك؟"

قلت:

"آ."

قلت:

"إن أفتحي الباب... وأنا أضمن لك بأننا ستكون بخير ومعتاد لك على إقامتنا."

المعنى:

"أجل يا ورغد... هنا الآن أفتحيه... وأنا سأحصل بوليد وأشرح له كل شيء... عطيني

أرجوكِ."

اعتدت في أمري... فسامر يبدو صادقاً جداً فيما يقول... وكان يقنعني بأنني أعترض

حياته للخطر برفقته حبيبا... لكن نظرات وليد المبهتة... وهو يخالطني قبل خروجه

مباشرة تجعلني أتردد... وأبتعد عن الباب...

ورغد... الآن!

قل سامر... غير أنني أجهت حاسمة الأمر:

"لا أستطيع يا سامر... سامعني."

وسمعت على إثرها ضربة قوية تصدح لها الباب...

عدت إلى غرفتي وبدأت أحوّل جمع أهم حاجياتي في حقيبة صغيرا... وبعد نصف

ساعة سمعت طربوا على باب غرفة المجلس، وصوت سامر يناديني...

توجهت إليه مسرعة وقلت:

نعم سامر أنا هنا.

قلت:

أريد هل لي ببعض الماء من فضلك؟؟

ولمّا لاحظت حسنتي قال بغيره رجاء:

لكاد لموت عطشاً... اعطني لي قارورة كبيرة رجاء؟.

قلت بتردد:

تكن...؟

قال بغيره أهد رجاء... ثوب لها الصطور الصلبة:

تكن ماذا يا رجاء؟؟ سألتك بالله... حطتي تجرح من شدة الجفاف... لكاد تمالي تتعثر

في عروقها... أرجوكه وفر كلاً واحداً.

لفطر قلبى لكلامه... لم أتحمل... أقيت بكل جسدي على الباب وقلت بغيره توشك

على البكاء:

لا تخدعني يا سامر... أرجوكه؟.

قلت:

لخدعك؟؟ قول لك بيتي لكاد لموت عطشاً... تبحرت سائل جسمي في العراء مع

أين حنك... ألا ترعنين بعلي؟؟

وللآلم العزير الذي أفسده، عزمت على أن أقم له الماء... ولكنني ما كنت أبتعد

بضع خطوات حتى سمعت صوت جرس المنزل يجرج...

كان فرحاً متواصلاً مؤبداً... شعرت بالخوف، وعدت أترامي إلى الباب لأخاطب

سامر:

جرس الباب يجرج.

قال:

السمعة:

قلت:

من يكون؟؟ ولماذا يجرج بهذا الشكل؟؟

قال سامر:

تجاهليه... إليك وأن تعيبيه.

وزادت الجملة فزعي... فقلت:

من هذا؟؟ لا أشعر بالطمأنينة... أنا خائفة.

قلت:

تسعي رجاء... أفضلي بوليد وأخبريه عن هذا واقولي له أن يترقى العطار.

قلتُ وقتي يتقادم!

"هل تعرف من يكون؟"

فأجاب:

"لا ولكن العطر واجب".

توقف الفرج وأنا اتصل بوليد...

أخبرته فحزنتي من الإجابة على أي طريق وأمرني بأن أبقى ساكنة لحين عودته.

سأني عن سامر فأخبرته بأنه يشعر بالعطش ويطلب الماء فتهاتى عن تصديقه وأكد عليّ

بالأقرب من الباب نهائياً، وأخبرني بأنه سيعود بعد قليل...

وهذا القليل استمرّ فرابة الساعة... ولم تكن كأني ساعة...

جلستُ قرب عذبات متصلة بالممر المؤدي إلى غرفة المجلس... في منتصف

المسافة ما بين باب المنطل الرئيسي للمنزل وباب المجلس... وأصفتُ أننا على كلا

الباين...

الأذن اليمنى كانت تسمع سامر وهو يسأل بمرارة:

"أين الماء يا رعد؟"

والأذن اليسرى تقرب عودة وليد... وأخيراً انقطعتْ هذه الأذن صوت باب المنطل

يفتح...

عيتُ واقفةً وبمسحة نظاري شطر المنطل... مثليفة لروية وليد يدخل... ليسكن

قلي...

إن مجرد الإحساس بوجوده فيما حولي... يشعرني بالطمأنينة والأمان...

ثم تكلمتُ هكذا:

سأني بطلق وهو ربما يلحظ التعبيرات المثليفة على وجهي، قلتُ:

تأخرتُ.

قال:

توخيتُ المزيد من العطر...

قلتُ بشيء من الانفعال:

سامر عطشان... عجل إليه بالماء أرجوك.

ورأيتُ عضلات فكه تتقبض ثم عذب:

لمن الله الظالمين.

وسار مباشرة إلى المطبخ، وحمل قارورة ماء وكلماً فارغاً واتجه بهما إلى غرفة

المجلس...

سامر... جلستُ لك الماء.

قال وليد بعد أن طرق الباب واستخرج المفتاح من جيبه... ثم أضاف:

أرجوك... لتصرفك كالتنين".

وبعد تردد قصير، فتح الباب ونزل...

\*\*\*

رأيتُ شقيقي جالساً على أحد المقاعد... ميعز الشعر والملابس، وعطيه أمارات الإعياء... واتسبع ألوان الطيف وجهه المجرّوح... اقتربتُ منه وأنا أعمل قارورة ماء وكأساً... ملأته بالماء ثم فرّطته إليه وقتئذ:  
"كفعل".

رغمي لفي بنظرة حادة... وبدأ وكأنه متردد... ثم حرك يده باتجاه الكأس... تناول الكأس مني، وألقى عليه نظراً، ثم... إذا به يسكب محتواه فجاء نحو وجهي... وقف بسرعة وألقى بالكأس وهزول نحو الباب، وضعتُ القارورة جانباً ركعتُ خلفه مسرعاً وأسكتُ به وجهه إلى الداخل، ثم دفعتُ به بقوة نحو المقعد وجريتُ نحو الباب وخرجتُ وألقته على الفور.

سمعتُ صوتاً لفي بصرخة:

"افتح يا وليد... أنا لستُ حيواناً لتعسني هكذا.

فرددتُ بالفعل:

"تسلفي حبيساً هنا يا سامر إلى حين موعد السفر. إن أسمع لأي مخلوق بأن يصل إليك، أسمعني؟؟ سأخرجك من البلد بعد الغد".

فصرخ سامر:

"ومن قال لك أنني أريد أن أخرج؟؟"

قلتُ بعصبية:

"سأخرج يا سامر، ستعمل ما أطلبه منك حرفياً... أقيمتُ؟؟ أنا نذرتُ كل شيء... لا فكرة لديك عما فعلته وما بذلته لأجل ترحيلك... مهما صرختُ ومهما قومتُ ومهما تعاركتُ... ستعمل ما أريد أنا... ثقتُ لم أيتُ ستلف عطلتي".

هاج سامر من جنده، وأخذ يضرب الباب حتى خشيتُ أن يندمج في القلعة... ألقيتُ إلى رعد فرأيتها تنظر إليّ نظرات دهر والتهام...

لا أتصك الآن يا رعد... أرجوك...

ابتعدتُ عن العمر ولفي بخصر لحنلة شقيقي... ذهبتُ إلى مكثي لأخذ بعض الأشياء ثم صعدتُ إلى الطابق العلوي لأخذ حقيبة سفرى...

كانتُ الأشياء مبعثرة في غرفة نومي... فقد قلبها لفي رأساً على عقب وهو يفتش عن السلاح...

استخرجتُ حقيبة سفر صغيرة وبدأتُ أجمع فيها أهم الحاجيات... وفي ذات الوقتُ أعمل إعادة التنظيم إلى الغرفة ولو قليلاً...

فجاء... رأيت شيئاً لم يكن لئمتي أن أراه آنذاك... شيئاً أسطواني الشكل... مرصياً مع مجموعة من الأتشاء المبعثرة على الأرض...

صنوبر أمتي وهذا

وصنكوني... لم أكنه ليدي وهي تضعه في الحقيبة خطأ... كنت شارداً... ولم أكتشف ذلك إلا لاحقاً...

بعد أن انتهيت من إعداد تلك الحقيبة، أغلقتُ باب غرفتي ثم ذهبتُ لتفقد غرفة سافر... وأغلقتُ منها حائكه وحقيبته اليدوية والتي كانت تحوي وثائق هامة، وأتجاه لأخرى... ثم أغلقتها وبغية الغرف، وحملتُ الحقيبتين إلى الطابق السفلي، ثم ذهبتُ إلى رعد واستلمتُ منها حقيبتها، ونقلتُ الحقيب الثلاث إلى السيارة المركونة في المراب... عندما عدتُ للدخل وجدتُ رعد نكف في النظاري، وطبعاً أظن علامة استفهام تتور حولها.. لكنّها لم تسألني عن شيء... ربما من حول الموقف... أظن علي نظرة... وعادت أتراجها إلى غرفتها.

يترك كلانا أن المأزق خطير وأنه ليس بالوقت المناسب للكلام...

التريتُ من باب غرفة المطبخ، تحسنته... وداهمني ألم ظبع في معنني... فالتسعتُ إلى غرفة المعيشة وابتلعتُ فرصين من تراتي ثم بكيتُ بمفعولٍ بئسك وبقيتُ أكرى على المقعد لوقتٍ طويل...

ساعة الرابعة فجراً برنّ مني حائقي المحمول، يوقظني لأتدية الصلاة...

أنهيتُ صلاتي وتلاوتني آيات التكر الحكيم ودعائي الرب الرحيم... ثم ذهبتُ إلى المطبخ ولا شيء يشغل تفكيري غير ألي...

وضعتُ بعض الطعام والماء على صينية، وتوجهتُ بها إلى غرفة المجلس...

كان ناعماً بكل هدوء على الأرض، وقد توسد إحدى الوسائد التابعة للمقعد... وتلطف بأخرى، ريق قلمي له... أريتُ أن أريتُ عليه يحلق... لكنني ريتُ بغرة ألد قليلاً لأوقفه للصلاة...

استيقظ سافر وأخذ ينظر إلى ما حوله بهلع... يبدو أن تزييتي كان أقوى مما تصورت... قلتُ مطمئناً لها:

بسم الله... لا تخزع... إنه وقت الصلاة.

نظر إلى ألي ولم يتكلمني... ثم نهض وجعل يعدد أطرافه بإصبعه... وتوجه إلى نورة المياه التابعة للغرفة، أسرعتُ وجلتُ سجانتي وفرضتها على الأرض... خرج ألي بعد قليل وقال:

أريد أن أستحم.

توسدتُ قليلاً... ثم خرجتُ وأغلقتُ الباب وعدتُ مجدداً لأعمل إليه ملائس نظيفة... وبقيتُ في الغرفة إلى أن أنهى غسله وأدى صلاته... وعيني ترفقه من كل الزوايا...

قلت:

تقبل الله:

فأجاب دون أن ينظر إلي:

"مذا ومنكم؟"

ثم رأيتَه يضطجع على المقعد... قلت:

"جلبتُ لك بعض الطعام... أرجوك تناول شيئاً."

ولم يلتفت إليّ...:

قلت:

"استطلق قبل طلوع فجر الغد... أخبرني إن كنت تحتاج شيئاً لتأخذهُ معاً."

ولم يرد...:

اقتربتُ منه ونحنتُ إليه بكل عطف... بقلبٍ يحمل كل الحب والقلق... إذ قلتُ:

"أخي... يا نور عيني... أنا لن أسألكَ لمَذا فعلتَ هذا... ولا يهمني أن أعرف أي

تفاصيل... إني فقط أريد أن تنجو بحياتك وتبتعد عن الخطر بأسرع ما يمكن."

وتابعتُ:

"إني عشتُ تجربة السجن... وقد كان معي في زيارتي مجرمو سياسة وأمن بلد...:

ورأيتُ كيف عاملتهم السلطات وكيف عذبتهم أشد العذيب وقاتلهم أمام نظري."

قال أخي أخيراً:

"نحن لسنا مجرمين."

تفحستُ رداءً ثم قلتُ:

"السلطات تعذيبكم مجرمين. تصنفُ كل من يعارضها خطأ ويشر الشعب والقوى

بأي شكل من الأشكال تحت اسم مجرمي أمن."

قلتُ إليّ أخي وكلمته يهدي شيئاً من الاهتمام لكلامي أخيراً... فتابعتُ:

"كناوا يحيوننا أشد العذيب... حتى لنا ورغم أنني لا أظنني تلك المجموعة. قلتُ

تصيني من الضرب المبرح المتوحش... لعيني في الزنزانة الخطأ."

وأضفتُ وأنا أكتفٍ عن مخزي ومظري:

"نظروا... كل هذا... وأكثر..."

مشيراً إليّ القرب التي خلفتها يد العذيب على جسدي... ثم أشرتُ إليّ نفسي وتابعتُ:

"حتى أنني كسروهُ كما ترى..."

وتابعتُ:

"وسددي... والد أروى... عذبوه شرّ تعذيب حتى لعيني نحيه وهو على فراخي..."

وتخيلتُ صورة نديم... في آخر لحظة له قبل أن يسلم الروح... وانفعلتُ جسدي

وامتقع وجهي وحسرتُ عيني لأموء الصورة القبيحة...

قلت:

بعد هذا... كيف نظن بأنني سأسمح لهم بأن يفحصوا عليك؟! أبدأ... أبدأ.

هذا جلس أخي ورد متفعلًا:

"لما لا يهتفي الموت ولا التعذيب...؟"

ارتعت من رده... وسألت:

"لما الذي يهتك إذن؟"

فقال:

"لا شيء... لا شيء يهتفي في هذه الدنيا القمبية... لا شيء."

وسمعت قهلاً ثم أضاف:

"لا شيء... بعد كل من قُتلت... انتهى كل معنى للحياة في نظري... فأهلاً

بالموت..."

وجنبا نفساً ثم تابع:

"لكنني إن أموت قبل أن ألتقم منهم."

تضاغط عليّ وسألت:

"لعمري؟"

فأجاب بعسبية:

"من الأوغاد الخونة الغدارين... الذين قتلوا والدي..."

فصغلت به متدهشاً، فإذا به يقول:

"هل نظن أنهما قتلاً برصاص العدو؟"

فكلم تحيقي به، وأضغط:

"بل هي السلطات الخائنة... التي لم تهمل جهوداً لتحمي مواطنيها... وسمحت للمركة

أن تقتب عند الحدود وبالتحديد عند الشارع الذي كانت تعبره حوافل المنتهين الأبرياء

العزل..."

ووقف أخي من شدة الفعله وهتف وهو يضغط عليّ ليعتبه:

"جعلوا من المجرع الأمن مسرحاً لجرارتهم الكراء... إن ألسنهم أبدأ وسأجعلهم

يدفعون الثمن."

ثم رأيتُه يحني رأسه ويخفي عينيه خلف يده... ويصمت برهة... ثم يهتفي...

تسأله:

فأبته بتره ضعيفة حالية... فأزاح يده عن عينيه وقال بخاطبي وسط التمرج:

"كنت لم تر كيف كان جسديهما... لم تر شيئاً... الجبين الذي كنت أضغط عليه قهلاً

وإجلاً... مغلوب برصاصه اختزفت رأس أبي... والصخر الذي لطلما اختضتنا... وفيه

قريننا ومنه تغنيانا... صدر أبي... منبع العواطف والمحبة والأمان... شغزني إلى

أشلاء... حتى قلبها كان يتلوى خارجاً منه...  
كيف لي أن أنسى هذا

وجئت أخي على الأرض وهري بحبيبه عليها وراح يوكي بصوت عالٍ منقذ منكم...  
ويضرب الأرض بقضيبه منهاراً...

لم أفر على تحمل ما سمعت... لطلقت أهة لم من صدري وسالت دعوي أنا  
الأخر...

كان سامر يضرب الأرض وهو يهتف:

يا أخي... يا أخي!

ومع هتافه يتشقق قلبي وينطعن...

كنت ألاحظ منذ وفاتهما رجسهما لك أن سامر كان أطولنا حزناً... وأكثرنا تفكيراً  
لهما وتكلمنا على الذكرى... لقد كنا أقرب إليه مني وكان أقرب إليهما مني... بحكم الخبرة  
لزمينة الطويلة التي قضيتها في السجن بعيداً عنهما ومعروفاً عنهما...

منذت يدي إلى كفتي أخي وشدنت عنهما... إلى أن توقف عن البكاء وانفقت إلي...  
ثم بدأ الشرر يتطاير من عيبيه وقال:

لو كظن أنني سأعرب... تون أن لنقم

قلت:

كنتم ممن

قال:

من أي شيء يتعلق بالسلطات... إهم هم المسؤولون عن مقتل والدي... وهذه  
الطريقة البشعة.

وهذا واقفاً شدت عليه أكثر فقال:

أخني لطيف النار المتألمة في صدري!

قلت:

أوهل سيعيدنا لحياتنا... أن ترتكب أي عمل جنوني

قال:

لكن عيني سيشفى قليلاً.

قلت:

أودفع حياتك أو حرمتك شيئاً؟ سامر إهم أن يحرقوك.

قال:

لا أعلم الموت... لا يهتني... وليس في حياتي ما يستحق العيش من أجله.

شعرت بالمرارة من جملة... قلت مستتراً عطشه:

كيف تقول هذا؟ سامر أنت لا تزال شيئاً صغيراً... عليك شيئك وصحتك...



وعملك ومستقبلك... وعائلتك... كيف تشغني بكل هذا؟

للحجاب وهو يرمقني بنظرة حادة...

لبي عائلة؟ الوالدان... أخيراً... الشقيقة... رحلت بعيداً... الخطيبة... عجرتني...

والشقيق...

وأمال زاوية فمه بسخرية وأضف:

"متعلق... متعب... لا يشعر... لا يفهم... ولا يتكلم".

وأضف:

من بعد؟

خرجني ما قلته عني... أبعثتُ يدي عنه ونظرتُ إلى الأرض برهة... ثم أبعثتُ

بصري إليه وقلتُ:

هل أنا أحمقٌ بكذا يا سامر... أنتَ أحمق... تعالوك هي نعماتي... أكثرتُ لك كثيراً...

والألمة جسمك هنا وفعلتُ المستحيل من أجل تسفيرك.

قال سامر:

تم ماذا؟

قلتُ:

تم ماذا؟

وأجبتُ على السؤال:

تم تبدأ حياتك من جديد في الخارج... المهم أن تخرج من الخطر الآن... وبعدها

سأفعل من أجدك أي شيء.

نظرتُ إلى نظرة تشكك... ثم إنا به يسأل:

هل ستعيد إليّ والدي؟

وانتظر ردة فعلي التي لم تكن أكثر من العنقرة العائرة... ثم تابع:

أب... هل ستعيد إليّ خطيبتني؟

هذا تصعب جسمي... وتجمدت نظراتي وقلتُ القفرة على تحريكها...

ظلّ أحمقٌ يعملق بي وكأنه ينتظر جوابي... وطلب الانتظار...

ابتسم أحمقٌ ابتسامة ساخرة وأهية بالكاد لامستُ طرف شفتيه... ثم أوالني ظهره

وجلس على المقعد معلناً انتهاء الحوار...

انسحبتُ من الغرفة وأقفلتُ الباب... واستندتُ عليه وأضمنتُ عينيّ بمرارة...

فهمتُ... أن موضوع عارف المنزلة... هو الشرازة التي فطرت برميل الوفرة...

هي... ربح

هل هذا هو الثمن الذي تعطيه لقاء حياتك يا سامر...؟

أتريد أن تعطيتَ قلبي من جديد؟

أتردد أن أتنازل لك عن... أول وأكبر وأعم وأعظم حلم في حياتي؟؟  
المطلوبة التي هي جزء لا يتجزأ مني... التي هي أنا... بروحي بكلني بتفكيري  
بمشاهيري بكيانتي بخاصيتي بعاضري بكل معاني الأنا في...  
إنها ذاتي... كيف أكون... بدون ذات؟؟؟

أه... يا ربي...

عندما فتحت عيني... حول إلي أنني رأيت شبح رعد يلف في نهاية العمر... هل  
الإضاءة ليست كافية... لم أن عشوة عتت عيني من حول ما أنا فيه؟؟ لم... لم أنها  
خرجت من شريط أحلامي وظهرت أمامي كالطيف العابر...؟؟

أضحت عيني مجدداً... محاولاً ابتلاع جرعة الشبح القوية هذه... التي ظهرت لي  
في أعين لحظات حياتي... وعندما فتحت عيني من جديد... لم أزل شيئاً...

الحادية عشرة صباحاً... استيقظت على رنين هاتف المحمول الموضوح على  
المنضدة إلى جانبي... في غرفة المعيشة...

مددت يدي والتقطت الهاتف وأجبت مباشرة:

نعم؟

سمعت صوت الطرف الآخر... والذي لم يكن سوى أبي حسام، والذي كنت على  
التصال به أولاً بأول أبلغه ويبلغني بكل جديد... وكنت قد أبلغته عن عودة أخي وحبيبي له  
في المنزل...

مرحباً ولقد... اسمعني جيداً...\*

وبدا من فترة صوته أعمية وخطورة ما سيقوله، وسرعان ما أصبح:

الشرطة في طريقها لتفتيش منزلكم... تصرف بسرعة.

نهضت فجأة... فتبعثت أصوات صوارة رعد التي كانت تلمح على صفري منذ

العمر... سألت وقد اجتاحني الفزع والقلق فجأة:

لماذا؟؟

فكرت أبو حسام:

الآن ولقد... أنا أراهم أمامي في الطريق المؤدي إلى منزلكم. لطف الأمانة بسرعة

داخل المنزل... في الحال... في الحال.\*

فارت بسرعة من مقدي وركضت نحو غرفة المعيشة... فتحت الباب وولجتها

بالتفاح وأنا أعتف:

سافر بسرعة... الشرطة قادمة.\*

كان أخي دائماً ولكنه سرعان ما انتبه على صوتي... أمسكت بذراعه وأنا كنته

والقول:

تعال... يجب أن نخفي في مكان آخر.\*

سأمر سحب ذراعها من بين يدي وهو يقول:

تخلّ عني،

فهللتُ بالفعل:

أقول لك الشرطة لينة... ألا تكلم!!

فأجاب ببرود:

لا يهمني ذلك، سأسلم نفسي وننتهي من هذه المهزلة.

قلتُ صارخاً:

يبدو أنك لا تريد أن تكلم.

ثم أطلقتُ على ذراعها وجهرتُ معي إلى خارج الغرفة لسر مشتتاً لا أعرف أين

أخيه... ظهرت رعد في الصورة أمام باب المطبخ ورائتُ المنظر فهللتُ وسألت:

أنا هناك!!

قلتُ وأنا أجزّ أضي رعداً عنه نحو المطبخ:

الشرطة... يجب أن نخلت... إن أسمح لهم يأخذوا وانظروا لقاتلهم جميعاً.

سرتُ على غير عهدي... مرسلأ نظراتي لكل ما حوالي... مفتتاً عن مضيأ...

خرجتُ من الباب الخلفي للمطبخ... وسحبتُ أضي رعدم مقاومتها إلى الحديقة الخلفية

المهجورة...

نظرتُ يمنة ويسرة... ولم أجد أضي سوى قطع من الأثاث القديم الذي أخرجناه

للغناء عندما أتينا للعيش في المنزل، أنا ورعد وأروى والخلة، وحسبها الله...

وهناك... على مقربة من أبواب الشواء القديمة... التي أعرفتُ أضي ذات مرة...

كانت مجموعة من قطع السجاد الملطوفة والمكومة على بعضها... كنا قد سمعناها إلى هذا

المكان ذلك الوقت...

لم تخطر أي فكرة في بالي... أصلاً كان تعاملي مشلولاً عن التفكير... أريد فقط أن

أخلي هذا الشئق عن أمن الشرطة إلى أن أسفره للخارج...

نقلته حتى وقع أرضاً... وجلستُ عليه لأعيقه عن الحركة ومددتُ يدي إلى إحدى

قطع السجاد الملطوفة ونقلتها لتفتح...

سحبتُ أضي إلى طرف السجادة وجعلتُ أفض بها كما أفض الحشرة بالورق... وهو

يصرخ:

أنا الذي نقلته يا مجنون!!

إلى أن أخلتته تماماً في حرف الخلة. سحبتها بعد ذلك بكل طاقات عضلات

جسمي... وركبتها إلى جانب كومة الخلف الأخرى... ثم أطلتُ عليها القرب لتبدو وكأنها

مركونة هنا منذ سنين...

أفكف أن تصغر أي صوتٍ يا ساهر... لا أضع جهودي هناك... إن حاولت شيئاً

فأستخدم سلاحك وأقتلهم جميعاً... هل تسمح؟ ان تسمح لهم بأن يصلوا إليك أبداً.  
وعندتُ إلى الرمال أخفى أكثر أقدامنا عليهم... ثم قرأتُ وجهي من فتحة الفتحة  
وقلتُ:

تحمّل قليلاً... سأخرجك فور ذهابهم... أرجوك اصعد وأنا سأحقق كل ما تتناه...  
دعنا نسير والفعل بعدها ما تريد... أرجوك يا سامر... أنا أرجوك.

وقلتُ مترولاً إلى الداخل...

كانت رعد واقفة عند باب المطبخ الخارجي ترافينا مطروعة، وكان جرس المنزل  
يقزع فرحاً متواصلاً.

سحبتُ الفتاة إلى الداخل وأقفلت باب المطبخ وقلتُ:

هناك وفعل أي شيء يكتظفاً يا رعد... أرجوك... حياة أخي رهن تصرفنا.

أسرعتُ إلى غرفة مكثي... والتقطتُ سلاح أخي الذي كنتُ أخبئه هناك، وأخفيتُه  
في ملاهي...

جذبتُ نفسها صيفاً ثم توجهتُ إلى باب المنزل الرئيسي ثم إلى الفناء الخارجي ثم إلى  
البوابة الرئيسية وفتحتها...

• • •

كنتُ في المطبخ أتناول فطورتي بيدي... إلى أن سمعتُ صوت باب يُفتح ووقع  
خطوات تجري بأرتباك على الأرض... ففزتُ إلى ذهني لظن بأن سامر قد خرج من

الغرفة بطريقة ما ويحاول الفرار... وسمعتُ صوت وريد بعدها بهتف:

سامر بسرعة... الشرطة قادمة.

التفتيتُ ذعراً ووقفتُ متكة كلياً على عكازي كمعجوز طاحلة في السن... ثم جررتُ  
رجلي جراً نحو الباب... وقرأتُ وريد يقلق بلتجاهي وهو يجرّ سامر قسراً... فسألتُ

يقزع:

ماذا هناك؟

فردتُ باضطراب شديد:

الشرطة... يجب أن نخبئه... ان تسمح لهم بأخذ وريد اضطررتُ لقتلهم جميعاً.

أخرج وريد سامر إلى الفناء الخلفي ونقلته في جوف الطعة سجاد مطوفاة... مضجرة  
بالرمل والخيار...

إبه سيحقق إن بلى هكذا ليضع تعلق... بدون أنني شك...

كانت عيناى معلقين على الفتحة السوداء وهو في مفرق من الخوف والقزع... ولم  
أشعر إلا وريد وريد تسحبني إلى داخل المطبخ... ثم إنا به يخفي... ليضع ثوان... ثم يعود

ومعه رقيقة...

قرأتُ وريد يقلق نحو فتحة باب المطبخ ويظرفه بيده ويتحدثُ إليّ بينما ترافينا

شخصاً آخر:

بعد إنك يا ابنة عتي... لدينا زوكر؟

ثم يدخل إلى المطبخ ويتبعه الشرطي يرندي لزي العسكري... شعرت بالفتعريرة  
تهز بنس ورايت نظرة خاطفة أرسلها وليد إلى مينة بالتحذير...

عبر الشرطي في المطبخ وهو يدوس بحذائه على الأرضية... وسار نحو المظن  
وتلقاه... ثم توجه نحو الباب الخارجي وأمسك بقبضته وأدارها...

كنت حينها لتسبب عرفاً وألتمت العنسي... وألف مخبئة خلف وليد...  
سمعت الشرطي يسأل:

أين المفاتيح؟

فأجاب وليد:

"مفقود منذ زمن؟"

فقال الشرطي:

"لماذا يوجد خلف الباب؟"

فأجاب وليد:

"الفناء الخلفي للمنزل؟"

فسار الشرطي متراجعاً نحو باب المطبخ الداخلي... وغاب...

استدار وليد إلى ولم يتس ببنت شفة... وبقينا نركز سمعنا على حركة رجال  
الشرطة وهم يفتشون في أرجاء المنزل...

أقبل أحدهم بعد ذلك إلينا وسأل:

"الغرف في الطابق العلوي مغلقة... أين المفاتيح؟"

فرد وليد:

"أجل... إننا لا نستخدم معظمها لذلك تبقىها مغلقة."

فكرز الشرطي:

أين المفاتيح؟

فقال وليد:

"سأجيبها لكم؟"

ثم التفت إلى وقال:

تعالى معي؟

وسرنا جنأ إلى جنب إلى غرفة مكتب وليد... حيث استخرج المفاتيح وسلمها

للشرطي فقال الأخير:

أرافقنا للأعلى؟

فقال وليد:

الفتاة مصيبة كما ترى...!

مشيراً إلى عكازي. فسلم الشرطي المفاتيح لرفيقاته وأمرهم بتفتيش جميع الغرف...  
وبقي هو والثان من ألبانه معاً في المكتب...

قال الشرطي:

«إن... هل تهيان بمفردكما هذا؟»

فأجاب وليد:

«كلم معاً خاتمة بشكلٍ مقلع. وزوجتي مسافرة للحداد على والنتها المتوفاة  
مؤخراً.»

سأل الشرطي:

«لكن ملكية هذا المنزل؟»

فقال وليد:

«ملكية مشتركة بيني وبين إخوتي وأبنة عتي.»

فقال الشرطي:

«والسيد سامر آل شاك... ألا يقيم هذا؟»

فأجاب وليد:

«كلا... إنه يلعن الشمال منذ سنين.»

واستمر الشرطي بطرح عدة أسئلة، أجاب عليها وليد بتعاسك مُصطنع... إلى أن

أقبل رجال الشرطة وقالوا:

«لا أحد في الطابق العلوي.»

فقال الشرطي للفتاة:

«اقتنوا القاء.»

وهنا أصبحت بيد وليد التفتيش... وأو لم يكن الشرطي ينظر نحو ألبانه لمعطتها

للاخط ما لاحظت... واكتتف سركا...

أضحت أبتدل إلى الله في أصقلي أن يعي أبعارهم عن مكان سامر... دعوتها بكل

حوارحي وأنا متأكدة من أن وليد يلهج بكدهاء مثلي...

يا رب هنا لا نملك إلا القويدا لتتصريح إلهنا... لا نغيب رجائنا المتعلق بوجهك

الكريم...

عذر الشرطي للفتاة المكتب لاحقاً بألبانه... ألفت إلى وليد والأعر بدلاً وجهي

فنظر إلى نظرة حمراء مرعبة... وقد تحول بياض عينيه إلى بحر من الدماء المظلمة...

ثم رأيت يده تتحرك نحو أحد جيوبه... ويُخرج منه... مستشاً!!

شبهت فرحاً فوضع وليد يده الأخرى على فمي بكم شهقني... وقال:

«سأقتلهم إن لمسوه يا رعد.»

حاولت أن أتنفس ولم أستطع... احتككت السماء في وجهي واحتبس الهواء في صدري... كنت أقع مغشية من الذهول والغزع... سمعنا وقع أقدام تقرب... قطعاً وليد المسنن خلف ظهره واقتراب من باب المكتب... ووقف على أعتاب الاستعداد لأن يصوب المسنن نحو رجال الشرطة...

أقبل الشرطة القاذرة وخطه بعض من ألبامه، ووقف إزاء وليد ثم قال:  
إذا جاء إلى هنا أو عرفتم له طريقاً فمن الخير له ولكم أن تبلغونا، إنه مجرد مشتبه به وليس منهم، ساطق سراحه بعد استجواب دقيق وينتهي كل شيء.<sup>1</sup>  
ثم أشار إلى جنوده بالانصراف، وغابوا جميع المنزل...

\*\*\*

التفت إلى رعد غير مصدق بأن الشرطة قد غادرت بالفعل... دون أنني... كنت أريد أن أسمع منها تأكيداً للأمر حتى أستقنه... غير أنني رأيتها فجاءت تنحني على المقعد وتنفس بقوة وتتن...  
أعدت المسنن إلى جيبه وأسرعت إليها وانحنيت إلى جانبها بقلق شديد وقلت:

رعد أفت بغيري؟

فقلت وهي تكتم الهواء قهولاً:

سألتك... لكنا أختك.

وكان جسدها يرتعش من الذعر ووجهها يسبح في بحيرة من الحرق...

شدت على يديها وأنا أقول:

أرجوك تشعبي... بسم الله عليك... تلمسني صدغرتي.

وأنا بيديها تطبقان على ذراعي ووجهها ينفخ في ثلثي ثم قميصي وهي تصيح

منهارة:

أنا لا أتحمل هذا... سأموت من الخوف...

حاولت أن أعتقها قليلاً ثم نهضت وألقا وأبتعدت فصرخت:

إلى أين تذهب؟

فأجبت:

إلى سافر.

وهزلت سرعاً لكي يفتني غداً!

لا تتركني وحدي...!

من بين كومة السجاد... حركت الطاقة التي تغلف ظفيري... فتحتها بسرعة

واستخرجت أنفي من جوفها... أسكتت بكتفيه... ثم جعلت أنفسي التراب عن وجهه

وشعره وأنا أخطيه:

تجونا يا عزيزي... لقد رحلوا.

نظر إليّ سامر نظراً حزينة موجهة... فقلت:  
سامعني يا عزيزي... لم تكن تريد أن أعمل هذا بك... سامعني!  
ثم طوّقته بذراعني وجذبته إلى مستري وعانقته عنقاً حسيماً...  
بعد ذلك أخذته إلى دافل المطبخ وقلّمت إليه الماء فشرب كمية كبيرة... لا تقل عن  
الكمية التي أفرغتها في جوفتي بسرعة...  
قلت بعدها:

لم يعد البيت أمناً لك... سأخذك إلى مكان آخر حتى يحين موعد الرحيل،  
جلس أخي على أحد المقاعد الموزعة حول الطاولة، ووضع رأسه على الطاولة  
بالتفكير والتأوه...

قلت وأنا أتحرك نحو الباب الداخلي للمطبخ:  
سامري كيف يمكنك إخراجك الآن وإلى أين أنت ذاك؟  
وقبل أن أخرج من المطبخ سمعته يناديني:  
وليد!

قلتُ إليه فرأيتُه ينظر إليّ وقد عثت فسات وجهه شتى التعبيرات...  
لماذا... تفعل هذا لي؟!

سألني وعيناه تكتانان تترقان تبعاً من فرط ما هو فيه... فقلت:  
كيف تسأل يا سامر؟! إنك أخي الوحيد... أنا ليس لي في الدنيا شقيق وأقرب  
غيرك...!

قل سامر!

لكفي...!

ولم تسطه الكلمات... فقلت:

أنا... إن أرى شقيقي الوحيد... ما تبقى لي من أوي... ومن الدنيا... يتعرض  
للخطر وألف متفجعاً... مهما كان حجم ما أترفته... أنا إن أسمع لمتطوق بهذاك يا  
سامر... أرجو... دعني أفض عطفتي... بق بي...!

وذهبت مسرعاً إلى غرفة المعيشة، حيث كنت قد تركت هاتفي المحمول...  
التصتُ بأخي حسام، فأخبرني بأنه كان لا يزال يحوم على مقربة من المنزل، وأن  
الشرطة قد غادرت ولا شيء يثار الشبهات حول العزل... فطلبتُ منه العجيزه وفور  
وسوله أخذته إلى دافل المنزل فسألني:

أين سامر؟!

فأخذته إلى المطبخ، حيث كان سامر يجلس، وكذلك كانت رغبته...  
الدهشة عثت وجهي سامر ورغد لدى رؤية أخي حسام... والأخير توجه مباشرة نحو  
سامر وشذا على كلفه وهو يقول:



"الصمد... أنك لا تزال بخير".

سامر نظر إلي بحيرة وقلق، قلت:

"إيه يعرف كل شيء... وهو هنا لمساعدتنا".

وأبو حسام للعلم يعمل في إحدى القوات العسكرية، عملاً مكتئباً.

قلت إليه وقتئذ:

"سأخذ سامر إلى مكان آخر... أرجوك ابق مع رعد حتى أعود... ولا تفتح الباب

لأن طارق... سأعود بالسي سرعة".

"ماذا؟"

كان هذا صوت رعد تهافت بفرح وهي تهبنا واقفة وأمارات الخوف جالمة على

وجهها، ثم تقول:

"إن تتركني وحدي هنا،

قلت:

"أبو حسام سيكون معك".

فقلت:

"إن تتركني في هذا المكان... لا يمكنني البقاء هنا لكاد صوتٌ ذعراً... أرجوك ولید

خطني معك".

قلت سعزلاً طمأننتها وتهديتها قدر الإمكان:

"يا رعد... المشوار الذي ستطعمه أكثر خطورة... أنت هذا بأمان أكثر... قد يدهمنا

رجال الشرطة أو قد يحصل أي شيء في طريقنا، كيف تريدون مني أن أستطيع؟"

تحدث أبو حسام موجهاً الخطاب لرعد:

"لا وقت للتضيعة في الكلام، يجب أن نخرج سامر من هنا فوراً".

ثم قلت إلي وقال:

"ها يا ولید... عجل..."

تباطأت النظرات مع أخي وأبي حسام ثم عدت إلى رعد... وحال منظرها الطبع

دون نظفي بأي تعليق، فقال أبو حسام مستعجلاً:

"الآن ولید".

سعدت لمطرات العرق المتجمعة على وجهي وذهني ثم قلت موجهاً خطابي إلى

رعد:

"أبي لحين عودتي... إن أتلفر".

أضغمت رعد عينيها ذعراً... لكنني لم أستطع غير المعنى قتماً...

قلت إلى نظفي الجالس على المقعد وقلت:

"ها بنا... نوكنا على الله".

لم يتحرك سامر بلدى ذي يده... ظهر هائلاً مستظلاً بالنساء... وكان الأمر لا يعنيه  
لو أنه فاق الأمل في النجاة...

نظر أبو حسام إلى سامر وقال معنأً لها على التهورى:  
"ها يا بلى".

وهو يشد على كتفيه. وقف سامر وعيناه تتوران فيما بيننا وأعيننا معلقة عليه... ثم  
نطق أخيراً:

إلى أين؟

يسأل عن المعنى الذي غططت لقلقه إليه، فأجبت:  
"مصنع والذى".

صالح الجميع بي لبرهة... تعلمهم العظمة.

مصنع والذى، نغز أكتاف غزو العدو على المدينة قبل سنوات... وهو الآن مهجورٌ  
وخربٌ ولا تتناول حتى وحوش البرية للإقامة فيه. يقع المصنع عند أطراف المدينة في  
مكان ناء... يستغرق الوصول إليها زمناً... خصوصاً وأن الشوارع بقيت على حالها  
مضرةً ومنقطعة...

أخيراً التفت أبو حسام إلى سامر وقال:  
"توكلاً على الله".

وسار أخى وهو يقرب منى... حيث كنت الأكراب إلى الباب. وعندما صار  
لمسى... سددت يدي إلى نواحه وقلت:

"سامر... بق بي... اعتد على... أعتك بأن تغادر البلد سالماً بدين الله... لقد رقتُ  
لكل شيء... الفؤاد تسهل كل صعب..."

نظر إلى أخى والله يحش على عيني... نظرة حزني من الأعماق... فشددت على  
نواحه بقوة وقلت:

"أرجوك... تشجع... وعدني بأنه لن تضيق جهودى عبثاً... عدني بأن ألتزم بما  
أقوله لك... ولا تعاول شيئاً آخر... أرجوك عدني".

أحسن أخى لرجاء الشد في نبرة صوتي، وأخيراً نطق:  
"أعدت... ولهد".

فأبست مشجعاً... وشددت على نواحه أكثر... ثم استخرجت من أحد جيوبي...  
السلاح الذي كنت أخفيه...

فتمته نحو أخى، وهو ينظر إلى مشهدنا... فقلت:  
"استخدمه إذا اضطررت..."

أخذ سامر مسننه من يدي... وهو يحلق بي غير مصدق... ثم خيأ في أحد  
جيوبه، ثم عانقني عنقاً لغوياً حيوماً...

حملكنا معنا خلفي وخلف سامر، والذي كنت قد احتفظت به عندي، وقبل المغفرة  
قلتُ إلى رعد... والعم أبي حسام، قلتُ:

"لمالك لعين عونتني..."

وأضحتُ بوجهي قبل أن يحدث منظر رعد في قلبي ثقباً جديداً...

أخيراً دخلنا أحد المباني... المبني الذي كان يحوي مخصصاً للعمل وغرفة

استراحة... كان المبني الأقل تضرراً والذي لا يزال سقفه يقف على جدرانه.

المكان كان موحشاً جداً... لا يثير في النفس إلا الذعر...

لم تكن هناك أي إبرة هذا بصيص بسيط ينسل عبر نافذة صغيرة قرب المقلب...

سيكون هذا جيداً.

قلتُ ذلك وأنا أفض الخبز والأتربة عن أريكة مجاورة وأدعو أخي للجلوس، فرد:

"ما هو الجديد؟"

وقد صرخ الاستياء والتفوق الشديدين من المكان... بقي أخي واقفاً ينظر إلى ما حوله

بازدراء... جلتُ بعصري في الغرفة ولم أستطع إقناع نفسي بغير شعور أخي...

الأزواء...

قلتُ مشجعاً:

"أضع ساعات... تعمل".

وأثرتُ إليه أن يجلس، لكنه لم يفعل...

أخي ملأ صفراء، احتك العيش في النعيم، منزلنا الكبير في الجنوب... ومنزلنا القروي

في الشمال... وشقته القلخرة... أذكر أنه عندما زارني في العزبة ورأى الغرفة

المواضعة التي كنت أقيم فيها والخلل البسيط شعر بالتفوق والأزواء...

قلتُ:

"هذا لا شيء... مقارنة بالزخرفة".

وأنا أذكر الزخرفة الطبيعية التي أضعتُ بين جدرانها القذرة ثمان سنوات من

عصري...

نظر سامر إلى باستسلام، ثم جلس على الأريكة كراهة، لو لم يكن لدي ما الجزء

للضرورة القصوى، لكانتُ بقيتُ برواقته... كيف لي أن أترك أخي في مكان مهجور

ومرعبٍ وفترٍ كهذا؟

قلتُ وأنا أستعد للمغفرة:

"سأهني ما لدي وأعود إليك..."

وأضحتُ:

كان حذراً... أيق عينيك وأنتيك بتفكيرك وهاتفي إن حصل شيء على الفور."

أرسل إلي أخي رسالة قرأتُ فيها تومكلاً... بالألحاح عنه... فرددتُ على رسالته

بنظرة تقول: (انتظري...)

وهكذا، غابت مصنع أبي المهجور... تاركاً في قلبه شغفي الوحيد... وحيداً...  
انصت بعد ذلك بالمزول لطمئن على رعد وأبي حسام وألمنتهما عليهما... وتوجهت  
بعدها لاستلام لوثائق الضرورية التي نزلنا للسفر... وأجزت مهالماً أخرى...  
إن تصفوا ما اضطرت لقطه من أجل إبقاء لفي... لم أكن لأتصور نفسي مسلحاً  
إلى هنا... يوماً من الأيام...

عدت بعد ذلك إلى المنزل... بمجرد دخولي للداخل، وقع بصري على رعد...  
كانت تجلس في المعر... على الأرضية الرخامية... مستندة إلى الجدار... ومائلة  
رجليها إلى الأمام... وعكازها مرمي إلى جانبها الأيسر وعانقها إلى جانبها الأيمن...  
ووجهها منحرف في سحابة داكنة من البلع والاضطراب...  
مهالماً رأيت مثلت يدها نحوي وناقشتي بلهفة:  
"و... جيد"

كان صوتها ضعيفاً واهلاً... عليه الخوف والغزع المنفرة على التماسك... فقلت  
نحوها وجلست إلى جانبها... أسندت رأسي إلى الجدار... ومددت رجلي إلى الأمام...  
مك وأضمت عيني...  
كنت أريد أن ألتقط بعض الأنفاس... أصعبت يدها فكتبت بترامي... قلت إليها...  
وفاصت عيني في بحر خوفها...  
قلت:

ليل بزوغ الفجر... تبدأ رحلتنا يا رعد.  
رعد تحننت ينفها صوتها سائلة:  
إلى... أين؟

فأجبت:

أولاً إلى البلدة المجاورة... ثم جواً إلى الخارج... إلى دقة.  
وإعرت يدها لترتجف... فقلت:

قط... أغير الحدود بسلام... ادعي يا رعد...

أضمت رعد عينيها وكأنها تلح بدعواتها القوية... إلى الله... فأصت رأسي إلى  
الجدار وأضمت عيني وألح فلي بالدعاء...  
بعد الليل تحننت رعد قلقة:

لا أكد أصتق شيئاً يا ولدي... لا أستطيع أن أسرح ما يجري... أفر كابوس...؟  
أرجوك قل لي إنه كابوس.

فصت عيني وقلت إليها... ثم قلت:

أعني لو أنه كان كابوساً يا رعد... لته كان كابوساً... أه.

سألت وهي غير مصدقة:

تماماً...؟؟ سفر!! أنا لا أستق... فيه لا يمكن أن يفعل شيئاً... إنه هادئ ومعتاد جداً... ماذا فعل؟؟ ولماذا؟؟

صرفت في رعد... وتلذذت بمرارة... وكان صبري على وشك أن يفتت أبعثه كتيفة من الأعت المتكئة... لا بداية لها ولا نهاية، غير أن أبا حسام أفل نعونا قائماً من مجلس الضيوف... ثم سألت:

كيف سارت الأمور؟؟

قلتُ إليه وأجبتُه:

كما ينبغي حتى الآن... المهم الحدود...\*

سمعت رعد قول بقل:

ماذا إن أسكت بنا الشرطة؟؟ ماذا سيفعلون بنا؟؟

صنعت على أسناني ثوراً... ونظرت إليها وأنا لا أجد جواباً... إلا أن قول:

لا سمح الله... ستكون في مأزق كبير جداً...\*

وجوابي زاد من ارتجاف يدها حتى انتقلت خلعاتها إلى ذراعي وهزكتي...

نقم أبو حسام، وجلس على عتبات السلم المجاورة لنا... ثم قال:

هل يجب أن... تأخذها معكما؟؟

فجاءت قلتُ أصابع رعد وفتحت قبضتها عن ذراعي... وما كنتُ أفتت إليها حتى

انطلقت قطة بالفعال:

طبعاً سأذهب معكما.

وكأنها تخشى أنني سأقول غير ذلك.

أبو حسام قال:

تعرف يا وليد أن في الأمر مخاطرة... أخرجته أولاً... ثم عد وأخذها أبو الفل ما تشاء.

كنتُ لا أزال أحتق في رعد... والتي ما كاد أبو حسام ينهي جملة حتى صفت وعينها تكادان تقزان من معجزتها من شدة تحديقها بي:

سأذهب معكما.

قلتُ مطمئناً وأنا أرى الفلح يحنج وجه القطة:

لا تقني، فلما لا أفكر في تركك والسفر إلى خارج البلد.

وسمعت لها حسام يقول:

ولكن يا وليد... ليس من الأمن لها أن تبقى عند خالتها؟؟ فقط لنصنع خروج سافر بالسلامة والطمأن على نجاته ثم نعال وفكر فيما ستعله.

قلتُ:

لا أستطيع السفر وترك صغيرتي هذا، إن يحتاج لي بال... لا يتفلسف هم آخر...  
والفت إلى رعد... فإذا ببعض الارتجاج يصر أثار الهلع الأخيرة... لكنه كان أرحمياً  
فصراً سرعان ما أربكه كما أربكي رنين هاتفي...

حيث أفاسي ونظرت إلى شاشة الهاتف بهلع... متوقفاً أن يكون هذا سفر... أو  
لحد الأشخاص الذين أتعامل معهم لتبريره... أو حتى الشرطة... وعندما رأيت اسم  
(المزرعة) يظهر على الشاشة أطفقت نفسي المحروس بقوة...  
نعم مرحباً.

مرحباً يا وليد يا بني... كيف حالك؟  
لقد كان عني إلياس. أجبته بعمل تون أن لقي بالأ عليه:  
تغير.

فسالني عن أحوال ابنة عني وأحوال العمل وحتى أحوال الطقس، فرددت مقتضياً:  
تغير، أعتك شي...  
وأصرت عني من ردي وفوراني أن لدي مشكلة. فسالني:  
ما الأمر يا بني...  
فأجبت بصيق:  
الطف، أنا مشغول الآن.

قلت:  
تصدأ، هلأ أطفيت بي بعدها...  
فجذبت نفساً ورددت:  
أنا مشغول جداً يا عم.  
لمترج القلق يفرأ عني وهو يسأل:  
أنت على ما يرام...  
فأجبت:

أجل ولكن لدي مشاكل حرجة.  
قلت:

آه... إن تكتي اليوم أيضاً...  
قلت:

لقد كان يوم الخميس... وكان يقترضي بي السفر إلى المزرعة لحل مشكلتي مع  
أروى الأسبوع لعائسي، وأجبت السفر بسبب سفر ألي المطاير، واضطراري للبقاء مع  
رعد... والآن أرحته إلى أجل غير مسمى بسبب لورطة العرجة التي تمر بها...

قلت:

لا يمكن...  
والصفت:

عني... سأغيب لفترة غير محددة.

صمتت عني برهة، لا بد وأنه تضيق من رثي... في حين أنه ما كنت أتصل بي  
ويطلب حضورني من أجل أروى...

سمعتُه بعد برهة يقول:

ولكن أروى...

ولم أسمع ما قال بعدها... إذ إن هاتفي قد استقبل اتصالاً آخر... وفور إنقاضي بنظرة  
سريعة على الشاشة أوجبتُ المكالمة الثانية بلهفة:

نعم سامر هل أنت بخير؟

وقبلي بتزلق من صدري كما تتزلق قطرات العرق من جبينتي...

رد سامر قائلًا:

نعم وليد... أين تكفي؟ المكان مريح هنا جدًا.

أزدرجتُ رقبتي ثم قلت:

هل سمعتُ شيئاً؟ هل حدثتُ شيء؟

فقال:

أرأيتُ أفعى من حولي... الشمس توشك على الغيب وإن استطيع رؤية عني بدي

بعد قليل... أطلب لي مصباحاً.

قلتُ:

تقول أفعى؟

فقال:

نعم. ومن بدي؟ ربما يوجد عقارب أو ما شابه... والجو حار وخافق.

قلتُ:

إن أزم الطابق العلوي. ولو فوق السطح... أنا قائم إليك الآن.

فرد:

نعم أرجوك.

قلتُ:

كروخ العطر... يحفظك الله.

وأهيتُ المكالمة وهيتتُ وألقاً فويتتُ رطد مستندة إلى حكاها وواقف أبو حسان

بهاجاً... قلتُ:

سأعود إليه.

لهفتتُ رطد:

لا تتركتني مجدداً أرجوك.

قلتُ مخاطباً بهاجاً:

تأخذ إليه بعض الطعام والعداء ومصباحاً يدويًا... وأبلى مواسمه بعض الوقت  
فلمجان هناك نجد الوحشة.

قلت رعد:

وأنا؟

قلت بصري بين رعد وأبي حسام وكنت ألق بجملتي الثانية إلا أن أبا حسام سبقني  
فقال:

كعني أذهب أنا هذه المرة... وإني أنت مع ابنة حسام.

وتكزت نظري عليه بخلوي الكرند... فقال:

هات ما يحتاجه... سأبقي برفقته حتى تأكلان لجرأ.

قلت:

و... لكن... يا عم...

ولم أكن أعرف ما أريد قوله... وتولّى أبو حسام نفاة الكلام وقال:

العداء ليلة كاملة وحيناً في مكان مهجور ومنقطع عن العلم فيما الشرطة تبحث  
عك هو ليس بالأمر المتعذر... لا يجب أن تتركه بلا رفيق. سأبقي معه في انتظار  
مجيئكما صباحاً.

وهكذا انطلقنا على أن يذهب أبو حسام حاملاً الحاجيات إلى سامر ويبنى برفقته تلك  
الليلة...

كنت أعرف حتى الآن... أنها لن تكون مجرد ليلة عادية... بل ستكون... ليلة رعب  
واقف وأرق متواصل... وأبلى وإن كنت سأفضيها في منزلي جسدياً، فسأفضيها مع سامر  
روحياً وقلبياً... وأبلى لن أعرف النوم طعماً ولا قيلان راحة وسأبقي أترقب ساعة بعد  
ساعة... لأن القمر... الذي ستعقبه رحلة الفرار...

هكذا كنت أتوقع تلك الليلة أن تكون... من أسوأ ليالي عصري... لكنني، ورغم كل  
توقعاتي وتوحيشتي... وجدتها قد اجتاحت كل الحدود... وأنت أنت والهي من أن تعطر  
لي على بل... على الإطلاق...

ليلة الرعب الأعظم في حياتي تلك... الأقطع والأشع والأكثع على الإطلاق...  
فضيحتها... مع... فقط مع... صغرتني البرينة... شريكة المواقف الفظيمة... والحوائث  
العريضة... فلتني العيبة رعد...



### الفرار

طلبتُ من رعد أن تلوي إلى الفراش باكراً... لأننا سنرحل باكراً نعيد صلاة الفجر مباشرة. كانت رعد مصرة على البقاء ساهرة إلى جانبي في غرفة المعيشة... مترقباً معي أي جديد... لكنني ألحمتُ عليها بالذهاب إلى غرفتها ولبس حثتها من النوم... فما ينتظرنا في الصباح شاق وطويل...

كنتُ أشعر بالأسى لعزل الصغيرة... فهي وجدت نفسها فجأة مضطربة للنظر ومعزولة للخطر والإرباك... وهي مجرد فتاة صغيرة لا تلب لها فيما يحصل ولا طاقة لها بتحملة...

للحظة استنصتُ فكرة أبي حسام في أن يصطحبها معه إلى الشمال... حيث تجد الاستقرار والأمان في بيت خالتها ومع أقربيها... لكنني خشيتُ أن يحصل معي ومع سائر أي شيء... يمنع عودتي إليها ويقطع اتصالي بها... كنتُ بين أسنة الثيران تحيط بي من كل جانب... ولم يكن لديّ متسع من الوقت لإعادة التفكير وتغيير مجرى الخطأ... المهم الآن أن أضمن سلامة سائر، وبعده... سأعيد النظر في كل شيء...

كنتُ جالساً على أحد المقاعد في غرفة المعيشة... أهدتُ إلى محافظتي الاتصالات التي بعثتها صباح اليوم... فصاحات صورة رعد... وأرشب الفود وخالكتها في حافية اليد الصغيرة وأنا شارذ التفكير... فيما أنا كحلك، فرح جرس المنزل... هبتُ واقفاً فجأة... متوجساً خيفة...

فرح الجرس مجدداً... فرحاً فوضوياً... فرح قلبي معه... سرعتُ إلى الهاتف الداخلي وسألتُ عن الطارق.

المباحث، لدينا أمرٌ بتفتيش المنزل. افتح الباب.

تلاحقتُ أنفاسي هلعاً... الشرطة من جديد!!

لم تكن أريدُ أن أفتح الباب... لكن... كان لا بد لي من ذلك... ففتحتُ القفل الألي القوية الخارجية وسرتُ نحو الباب الداخلي وما كنتُ أفتحه إلا وفوجئتُ بحشد كبير من الحماكر يتلمعون بقوة نحو الداخل... مصوتين فوهات أسلحتهم نحوي وفي كل اتجاه...

كناوا يرتدون زيّاً مختلفاً عما رأيتُ مسبقاً... مما حدا بي إلى الاستنتاج أنهم ليسوا عسكريين...

الغنى الفزع ولم أجد على أي تصرف... وإذا بقادهم يخطئ بي ثم ينجر إلى  
العسكر أمراً

ليس الهدف انتشاروا.

أخذ الجنود يتدفقون إلى الداخل... فقلت وأنا أراهم يتدفقون الأمر دون اعتبار لي!

انتظروا... أتم... كيف تقصرون علينا المنزل... ما هذا؟

والحمد يستمر بالتوقف غير أنه يكلامي.

قلتُ إلى القائد فإذا به يقول:

لا تعترضوا، لدينا أوامر رسمية بتفتيش المنزل واعتقال المشركين.

فالتفتُ إلى العسكر ورأيت بعضهم يتدفقون عبر القوفاة إلى المعبر الأيمن... فالتفتُ

بهم بسرعة وركضتُ لسيقتهم نحو غرفة رعد ووقفتُ عند بابها...

توزع العسكر فرقاً في كل الاتجاهات... إلى اليمين في اتجاه المطبخ وغرفة

العائنة... إلى الشمال في اتجاه المطبخ وغرف الضيوف... إلى الخارج... إلى الطابق

العلوي... انتشروا انتشار الجراد على الحفول... يدوسون بأحذيتهم العسكرية على أرضية

وسجاد المنزل النظيف مطلقين أثراً قهراً ككثافة تصرفاتهم...

التريت فرقة منهم مني يرددون التحام الغرفة من خلفي...

صرختُ بهم:

لما هذه الطريقة المسيحية؟ ألا تراهم أن الثبوت حرمان؟

رد أحدهم بوقاحة:

لا تكفر الكلام، دعنا نتجر مهنتنا.

قلتُ بغضب:

هل قبل بأن يتحتم أحد عليك بيك بهذا الشكل؟

حينها قبل قائدهم ووقف أعاني واستخرج من جيبه ثلاث صور لثلاثة أشخاص...

لمحتُ أخصي من بينهم... وكانت صورة فتية له قبل إجراء عملية التجميل لعينه

اليسى... ثم قال:

نحن نبحث عن هؤلاء... أتعرفهم؟

أجبت:

لا يوجد في هذا المنزل من ترددون... لقد قُتلتهم أرحامه كاملة هذا الصباح فلماذا

ترددون بعد؟

وعرضاً عن الشعور بالتعجب من مسجبة عساكره، قال قائدهم:

اقتنوا الغرفة.

باصد غرفة رعد التي ألق لها عند بابها محتلاً دون تقصيرهم.

صرختُ وأنا أشر تراخي سداً المعبر:

أيامكم والاقتراب... هذه غرفة فتاة ولا أسمح لكم بدخولها.

فقال القائد بصراً:

كشروها.

اقرب أحد العساكر مني ففتحت يدي وأنا أعتك:

قلت لكم لن تدخلوها... ليس لديكم أي اعتبار للحرمات!! ابتعدوا.

فجأة... إذا بجميع العساكر من حوالي بشرون أسلحتهم في وجهي... وإذا بفائدتهم

بأمرهم:

البعثوا.

ولم أزل إلا سواحد غليظة فشيبة تفتن علي محاولة جري بعيداً عن الباب...

حاولت أن أكلومهم... جنرت... ركضت... وصرخت:

رعداً.

ثلاثة منهم أطيروا على أطرافي وجروني إلى الأمام... وأخر تسلك من خلفي وأطلق

علي مقبض الباب وفتحه...

صرخت بكل جنرتي:

رعداً...

وجنرت إحدى يدي وأطقت علي الجندي الذي فتح الباب وسحبته من لمبسه إلى

الوراء بقوة... نظرت إلى الداخل فرايت رعد تهباً جلسة علي سرورها وانتظر نحو الباب

وتطلق صرخاتها المفروعة فوراً...

هتفت:

رعداً.

ثم جنرت بقية أطرافي بكل ما أوتيت من قوة من بين القبضات الثلاثة الآخرين

وركضت مسرعاً إليها...

كانت رعد تطلق الصرخة نحو الصرخة من فرط الفزع... هتفت إليها بسرعة

وأعطتها بلحافها وطوقتها بذراعي وجذبها إلي وأنا أعتك:

أنا هنا يا رعد... هنا معك... أنا معك.

وهي مستغرقة في توبة الصراخ المفروع لا تكاد من شدة فرحها أن تسمعني...

الغرفة كانت خائفة الأضواء... تسلط نورها من مصباح النوم المجاور للسرير...

أقتنعها جنود الأمن... بل جنود الرعب والفزع... وأخذوا يحرمون في أرجائها

ويفتشون الدواليب... والمخازن...

صرخت فيهم بأعلى صوتي:

أيها الأوغاد... أيها العظيرون... أيها الهمجئون الأراذل.

لكن صراخي لم يكن يهز في مشاعرهم المتبلدة أي شيء...

قترب أجمع منا... فاصداً تغيب أسفل السرور فاقطعت أعضائي ألتذاها... ونظرت  
من حولي فرأيت الهاتف تكلمت موضوعاً على المنحطة المجاورة... أظننت عليه ثم  
رفعتة ورسمت به بقرة باتجاه الجندي فأصبته...

فكنت أعين بقرة العساكر إلي... ولم أزل إلا حشداً عوعلها متوحشاً يهرع باتجاهي  
كي يهاجمني...

تركنت رعد من بين يدي وحيث تحوهم أحوال ترون تقضمهم وانكم لا تفهك حرمة  
منازلي...

هزيت... ركنت... وانكمت... بثورة... بشراسة... بكل ما أوتيت من قوة... أو ما  
تبقى في جسدي من قوة بعد كل ما ألم به مؤخرأ...

عندهم كان عشرة أو أكثر... كانوا مسلحين... أجسادهم منظمة وهوية... تكربت  
على القتل العنيف... الفأك...

أذاقوني قنوا لم ألتها أيام منجني... اقتضوا علي الأعضاء فطبع من التذاب الجماعة  
على فريسة وحيدة... قبل أن تنهي الضربة بالقضي ضربة أخرى... وقبل أن أشعر بالألم  
في موضع، يصاب موضع آخر... وقبل أن أحررك أي جزء من جسدي، تحنوا علي  
أجسادهم الثقيلة فتقتني تماماً...

أقتهم كسروا جسمتي... ربما سقطوا تعامري... لأنني لا أستطيع أن أتكلم ما  
حصل... لم أهد أستطيع التتكر... لم أهد أستطيع الرزية... لم أهد أستطيع التنفس... ولم  
أهد أستطيع سماع... صراخ رعد...

\*\*\*

لما ألتا... فقد كنت أسمع صوت الضرب... وصوت وابتد يصرخ مثلاً... وكنت  
أصرخ... وأصرخ... وأصرخ...

حسبت أنني مع صرختي الأخيرة... خرجت روحي مغارقة جسدي...  
أبحثت للعاف عن وجهي... هل لي بنظرة أخيرة على وليد?? أين وليد?? أين وليد??  
كان هناك... تحت كومة منظمة من الأجساد البشرية... الوحشية... غارقاً في  
الدماء...

لقد رأيت... بعد يده تعوي... يحاول أن يرحف باتجاهي... لم يكن ينظر إلي...  
كانت الدماء تغرق عينيه... لكنه يعرف أنني هنا... أيا هنا وليد... تعال إلي... وليد  
أصرخ إلي... ابتعدوا عنه... ابتعدوا عنه... أيتها الأوغاد ابتعدوا عن وليد...  
أستك بعكزي... وولفت... لا أعرف كيف... وسرت خطوتين... فولدت لم يكن  
بأبعد من ذلك...

رفعت عكزي... وهويت به على رأسي أهد الأثرار... هل أصبته?? لم أعطه?? لا  
أبوي... لكن العكز لم يهد في يدي... لم أهد أستطيع أن ألق... كنت سألق على حافة

المبرور، لكن شيئاً ما قد ضربني وأوقعني أرضاً...

صرخت...

أنا...

وسمعت صوتاً وُلِدَ يردُّ على صرختي:

أرغد!

صوته جاء أثنى بصدي مرقدٍ عن يارٍ عوي...

أقرب الوحش الذي ضربته على... ورفع قدمه ورفسني بقوة... رفسة ربما كسرت

العظم الذي ما كان ينبغي في يدي اليمنى... وأنا أطلق الصرخات... فرغاً والماً...

أوليد... وليد... وليد!

تحركت يد وليد من تحت كومة الوحوش... ثم ظهر جسده وهو يسأل من بين

قروم بصعوبة... يقول هذا وينفع هذا ويضرب ذلك... وهو يصرخ:

"ابتعدوا عنها أيها القارون!"

ويزحف على ركبتيه... حتى وصل إلى الوحش الذي ضربني وأطلق على ساقيه

وجذبيها وأوقعه أرضاً... وأصرخ إلي...

تشبكت به بقوة... وأنا أرتجف كالأرزاق من القعر... أبحث عن نقطة أمان بين

يديه... كانت يداه تحاولان أن تحترقني... يقرضني ويضعني وهو يهتف باسمي مكرراً:

أرغد... أرغد...

فجأة... رأيت نصفاً تحلق في الأعلى... ثم تحط بقوة على رأسي وليد...

صرخت... وصرخ وليد... وألقت من بين يديه... ورأيت رأسه يهوي أرضاً... ثم

إذا به يتعد علي... كانوا يسحبونه بعيداً...

صرخت... وسدلت يدي لعوء وأسكت يده وأنا ألتصق به فرج ما ضاهاه فرج...

ورأيت يده تتحرك وتمسك بيدي... ثم ثققت منها... وليد لم يكن ينظر نحوي... لم يكن

يراني... لأنهم كانوا يفترونه مستراً على ظهر... ويمينا على شمال... كانوا يسكنون

برأسه... يوشكون على كسر عظامه... كانوا يريدون أن يقطعوا نعره بحافة نكته... كانوا

يحاولون طلع مفاسكه وفصل أطرافه عن جسده... رأيتهم... يتوسون على فرائصه

المعدودة نحوي... ويركعون رأسه كما تُركل كرة القدم...

وعصيتهم كانت تنهل على ظهره وسنره بالضرب... وكلمهم يُقتون سفرة

صلية... تسأ عليهم الطريق...

أولئك... لم يكونوا مخلوقات من هذا الكوكب... لم يكونوا يتركون... من هذا الذي

يهتون بقتله... لا يعرفون أن هذا... هذا هو... وليد... وليد قبي... كل حياتي...

أردت أن أبيض وأعبه لنفوسه... لأفعل أي شيء... لأصد عنه ضرباتهم...

بحثت عن حكاوي... الذي لطالما تعمل ثقل طيلة الشهور الماضية وسار كجزء مني...

يطير في الهواء... ثم يلتفت على ظهر ولده... يصمم فقراته...

صرخ ولده...

صرخت... وصرخت... وصرخت... ولده سمع صراخي فرفع رأسه يبحث عن

الاتجاه... لم تعد أثناء تميزان اتجاه الأصوات... لقد زحف في الاتجاه الخاطئ... فزحفت

نحوه لجزّ رجلي المجزأة جراً...

أخيراً أمسكت بيده... فشدت على... ورفع ذراعه وحاول أن يطوقني... المجرمون

كافوا مشغولين في ضربه بالعصي... كانوا يرفسونه بأعينهم... ويخوسون عليه...

لوحثت يدي محاولاً إبعادهم عنه وأنا ألتفت:

كفى... أرجوكم كفى... كفى...

لكن أصدعهم... ركل يظن ولده بشراسة... ولده ثلوه بشدة... وخرجت نافورة من قدم

من فمه... ثم رفع رأسه وندباتي... وأخيراً هوى يصرخ نحو الأرض...

أحد الوحوش... أشهر مسننه وصوت فوفته ميثارة إلى رأس ولده...

فزحعت... ذهلت... انقلبت... صرخت بفرحة:

لا... لا... لا... لا... لا... لا... لا... لا...

أطقت على رأس ولده وضعت بين ذراعي...

نظرت إلى صاحب المسنن وصرخت:

أرجوك لا... أرجوك لا... أرجوك لا...

وهو يهتف:

أينعتي!

فوضعت رأسي على رأس ولده... ولغته بذراعي حول نون أن يفرّوه...

أرجوك لا... لا أرجوك... لا تتركه... لا... لا... لا... لا...!

سمعت صوت أصدعهم يقول:

يكفي هنا. لم نؤمر بالقتل. انصرفوا.

أبعد صاحب المسنن مسننه عن ولده... وسد الفمفة الأخيرة إلى ظهره... فأطلق

ولده أنه ضعيفة شبه ميتة... وهي ثوان... انغلى أنيه... وانغلى صوت الجلود وصوت

صوتهم... ولم أجد أسمع في المكان غير انغلى...

كنت أذاك متصلة على وضعي... وأنا أمسك برأس ولده وأذراعه بذراعي...

وأضع رأسي عليه... وأصحن عيني بفرحة... لأصحن عدم مشاهدة ما سيفعله الأوغاد

به...

من بعض الوقت... والهدوء مستمر من حوالي... فيما الأحاسير القوية مستمرة في

صجري... وفيما ذراعي متيستان حول رأس ولده... حتى قادت الففرة على

أزورها قبل اتصالى بك... اتصلت بي الخالة وطلبت مني أن أذهب إليها... أخبرتكى بذلك ذهبت إليهم ظهراً وقلقت رعد والله الأعظم ماذا قلت لها... وجعلتها تعيس نفسها في عرفتها منذ تلك العين ولا تفتح الباب لأحد... حاولت أن أكتبها لكنها طلبت مني الانصراف... أنا لا أعرف ما الذي قلته لها وجعلتها تعزى لهذا الحد... ثم تريد السفر بلائياً... وتركيتى أنا لوجه الأمر وأرغم ما تهتمه أنت... أتعنى هذه معاملة حسنة؟؟

وليد نظر إلى ساعة يده... وبدأ متوتراً... ثم قال:  
اتصل بها.

ولم أتحرك... فقال وليد:

الآن.

قلت:

قول لكنا إتني قمت من عندها قبل ساعتين وهي متزوية على نفسها... وهاتفا  
معلق منذ النهار.

قال:

إذن اتصل بهاتف المنزل واسأل عنها ودعني أكتبها.

بقية واقفاً في موضعي... أنظر إلى أخي بتسكك... ثم سألته:

أخبرني أولاً... ما الذي قلته لها؟؟ لماذا ذهبت إليها؟؟

فأجاب منقطعاً:

أنا لم أذهب لزيارتها بل مررت لسبب آخر... ولم أقل شيئاً.

قلت:

إذن لماذا هي معلقة هكذا؟؟ لا بد لك قلت أو فعلت شيئاً جارحاً حتى لو لم أتحرك.

وهذه الجملة استقرت أخي فهلك بغضب:

وهل تراني وحشاً ذا مغالب وأنياب؟؟

قلت غاضباً:

لا لراك تقتر شيئاً أو تفهم شيئاً... ألا تعرف ما تعني لها وما يعنى رعبك أو

غضبك؟؟ إما أن تكون أصمى أو بلا إحساس... وفي كلتا الحالتين لا تصلح لرحمة

رعد... فدعني أكرسى أمرها بنفسى من الآن فصاعداً.

سكت وليد مبهوئاً وتبعثرت نظراته ثم استجمعها واسترد رباطة جأشه وقال:

اتصل الآن.

أقيت عليه نظرة مستهجنة ثم توجهت نحو الهاتف واتصلت بمنزل الخالة فأجابته

هي وطلعت منها أن رعد لا تزال حبيسة عرفتها وطلبت منها استخداماً للتحدث معي فلم

تستجب، وقلت لخالتي بأن أخبرها بأن وليد يريد التحدث معها ولكنها أيضاً لم تستجب...

حين وضعت السماعة على الهاتف رأيت أخي ينظر إلى ساعة يده ثم يقول:

انزبت من راسه وأصغته بزاعي مجدداً وصراحت:  
أنت حي...؟؟ وليد... كلمني أرجوك...

واشعرت به يتحرك... يحاول النهوض... ويعجز من فرط إعيائه... ثم حركة رأسه  
ونظر باتجاه الباب وتكلم...

زهد... الباب!

ولمعت منه أنه كان يريد أن يلمس ليقال الباب... فتشبكت به أكثر وقت بفرح:  
لا تحركني!

حركة وليد يده اليمنى وأمسك يدي وقال:

الباب... اقلبه... رعد... بسرعة!

واشعرت به يشد على يدي بمنطق... فلبعت رأسي عن راسه وسمعت لعينه

بالنظر إلى عيني... وما إن رأسي حتى قال:

الباب... بسرعة... لا أفرى على النهوض!

لم تكن أمك من الشجاعة ما يكفي لأن أبعد عنه شجراً واحداً... وليس بي من قوة

تعيني على الحركة حتى لو راحيت... وروحاً عن ذلك... شددت عليه أكثر وقت:

لا أفر... خائفة!

فحركة وليد يده ومسح على رأسي وقال:

أرجوك... أسرع!

نظرت إليه فرأيتَه ينظر نحو الباب...

لفت من حولي... بحثاً عن عكازي... كان ملقى في الطرف الآخر من الغرفة أبعد

عني من الباب... حررت رأسي وليد وأومأت إليه بنعم، ثم... زحفت على يدي وأنا أجز

رجلي المعجرة... شيراً شيراً... إلى أن وصلت إلى الباب فأطقتُه وشدت يدي للأعلى

وما إن أمسكت بالمفتاح حتى أفلتت وخررت على الأرض التفت أفاسي...

كأنت أفاسي تخرج من سنري مصحوبة بأين قوي... كنت أرتجف من الذعر

وجسمي يتلصص بشدة... ويتحرك بخرارة... وكأني لست بمجهود كبير...

سمعت صوت وليد يتألمني!

زهد!

لقت إليه فوجدته وقد انقلب على ظهره ورفع رأسه وأسنده إلى قاعدة السرير...

وما يمناه نعوي... ثم قال:

تعلي!

لمست فئات الطاقة المتبقية في أرجاء جسدي المشلول من الفزع... وزحفت عاتده

إلى وليد... كان مشواراً طويلاً... أملاً بين المشرق والمغرب... استهلكه مني كل

عضلاتي وكل قوتي... وما زلت أرحف وأرحف... إلى أن صرت قريبه... رميت برأسي



في حشنة وغرست أنفكري فيه...

لقد كنت أريد أن أفتح قصبة المستري وأحتمي خلف ضلوعه... أنظني اختراقت  
ضلوعه فعلاً... لا بد أنني دخلت قلبه الآن... لأنني أسمع بيني وفرك... بسرعة...  
بأورة...

وكأنني أشعر بدمائه ثقلي... وكأنني أشعر بانفسه تعصف بي... وكأنني أشعر  
بتراحيه ثققلني...

دعوني أشرد أنفسي... واستجمع قواي... دعوني أسترخي وأعجب عن الوعي...  
دعوني ألتجئ الأمان والسكون... داخل صدر وايد...

بعد فترة... أصبحت بشيء يعاين إيماني عن وايد... ففتبكت به بفرة أكبر...  
وصحبت:

لا.

وسمعت وايد يناديني... فقلت:

أرجوك... دعني.

وبكوت بحرارة... وأنا أفرص بين ضلوعه... أصق وأصق...

وثيقاً فثيقاً... بدأت عقلت قلب وايد تباطأ... وبدأت أنفاسه تهدأ... وبدأت ترأجه  
ترنخي من حوالي... فتحت عيني... ورفعت رأسي قليلاً ونظرت إليه... كان يغمض  
عينيه ويتنفس بانتظام... وصوت الهواء يصغر عند حوره في أفه المنطق بالثناء...  
كانت انثناء المتغيرة ترسم على وجهه العريض خريطة متداخلة معقدة الملامح...  
جلست ونظرت باسمه:

وايد.

ولم يرد... لقد نام من شدة الإعياء... أو ربما لقد وعيه... لكنني عندما ريت على  
وجهه العقد حاجباً الثران ثم استرخياً...

كان رأسه لا يزال مستأ إلى قاعدة السرير في وضع مؤلم... منلت يدي وسحبت  
إحدى رساقي ووضعيتها على الأرض... وحركت رأسي وايد يعثر وأستنته إليها... ثم  
سحبت البطانية وغطيتها بها...

وبقيت جالسة بجوار... أراقب أنفاسه وأي حركة تصدر عنه... وأنا ألق السمع  
على خيل لي أنني سمعت صوتاً ما من خارج الغرفة... فنظرت إلى الباب بفرح... ثم  
انحيت قرب وايد وأمسكت يده وشددتها إلي... ملجئة الأمان...

\*\*\*

فتبنت على صوت شيء مزعج... صوت يتكرر بانتظام... مرة بعد أخرى... كان  
صوت مطب...

أصبحت عيني بفرة... فلما أشعر بحاجة ملحة لتلمحة النوم... أشعر بأنني ألتقط

من أصابع أصابع تومي... ولا أريد أن ألهي...

لكن الرنين المتكرر المزيج أجبرني على فتح عيني والانتباه لما حولي...  
اكتشفت... أنني كنت أنام على الأرض... في غرفة رعد... فتكررت هجوم الصلابة  
وانقل دعائي فجأة من أصابع النوم إلى قمة القبضة...

حاولت أن أهباً جالساً فتعرت بشيء ما يربط يدي ويعيقني عن النهوض ودافعني  
الأم حادة في جسدي كله... أعضائي إلى وضع الانضغاج مرصاً... التفت بصري إلى  
اليسار... فوجدت رعد نائمة وهي في وضع الجلوس... ملتصقة لي... وقد استندت إلى  
سريرها وضمت يدي اليسرى بين يديها...

كان الصنبة يتوقف عن الرنين قليلاً ثم يعود... ولكن رعد لم تثبه عليه... ومع  
هذا... فإني ما إن سمعت يدي حتى استيقظت ورفعت رأسها مطروحة...

التفت نظراتنا... أنا التفت على الأرض... بخوف قوي... وهي الجلوس بقربي  
بمزج...

واليد:

كانت هي أول من تكلم... بلهفة وقلق وهي تتعني نحوي وتتعلق بعيني...

استخدمت يدي الأثنتين لألهي عن وضعي المضطجع... بكل ضعف... كمجوز  
طامن في السن... متفوق العظام منزلة البنية... وأهن العضلات... كانت الألام تفرس  
كل أجزاء جسمي فرصاً... وكان لفي شبه مستود... يقطع الدم المتخثر في جوفه...  
وكان عيني يولعني بشدة... وأنا عاجز عن تحريكه في أي اتجاه...

أخيراً أصبحت بيد رعد تمسك بي... فأرغمت عيني على الالتفات إليها وضمت يدي  
أثدي على يديها وقت:

هل أنت بخير?? هل تألمت صغرتي??

ورأيت الصروع تتجمع في عينيها برارة... فتعيرت أكثر مما أنا منهاز وانطلقت  
صوتي كالصخب قتلًا:

ألف... سامعيني...

فأني خزي وأي عار... أئذا من أن يُعدى على حرمك بشكل أو بآخر... وأنت  
قوي وتعجز عن الدفاع??

طأطأت بصري عنها خجلاً... لكنها انتفعت إلى كالسهم المصوب... إلى القلب...

رنا الصنبة من جديد... وكان إلى الجانب الأخر من السرير... فقامت رعد وزحفت  
على سريرها إليه وأرقت:

قلت:

كم الساعة??

فأجبت:

الثلاثة وأربعون دقيقة.

فانضطريت، دفأت قلبي قلماً... وأنا أتخيل سائر...

واقفتُ وأنا أبتعدُ إلى السرير... ولكنني سرعان ما أحسستُ بالكون يعظم من حولي

فجلستُ عليه وعويتُ مكثراً برأسي فوقه...

رعدتُ بفزع وهي تتعطي لعويها

وليد...!

فألبيتُ:

نوار... انتظري قليلاً.

وقد كانت الغرفة تنور من حولي... واقلي يخالق بقولاً... والهواء لا يلكي لعل

صدري... أما يداي فقد كانتا ترتعشان... وما كنتُ فحراً على التحكم بهما...

استمر هذا الشعور بضع دقائق... ثم زال تدريجياً... ولكنه عارطني بصورة أضعف

عندما رفعتُ رأسي من جديد...

أظن... أنني نزلتُ نماً كثيراً... ولهذا أشعر بالنوار والاختناق...

سمعتُ رعدتُ تقول:

أرجوك لي مضطجعاً.

فالتفتُ إليها بإعجاب وقلتُ:

أحب أن ألهي... سائر ينتظرن!

رعدتُ مقلعة:

أنت جريح... لديك إصابات كثيرة... لا يمكنك التحرك!

قلتُ:

سائر...!

واقفتُ ناحية الهاتف الثابت ورأيتُ مرمياً على الأرض... ثم التفتُ إلى رعد وقلتُ:

عائذ!

وكان هاتفها المحمول موضوعاً إلى جانب المنبه. ناولتي إياه فالتصتُ بشقيقي

ملهولاً للأطمئنان عليه...

نعم رعد!

رداً لفي... قلتُ بصوت هامس:

هذا أنا وليد... هل أنت والعم بخير!!

نعم. تنتظران!

والطمأن قلبي على لفي فألبيتُ المتكلمة بسرعة ووضعتُ الهاتف على السرير...

ورفعتُ بيدي وحذر... محاولاً الاعتماد على رجلي... اللين كانتا تستسرخان من الألم...

وعندما خطوتُ خطوة واحدة... تكلم الأُم في ظهري وشعرتُ بأن فراقه تكاد تتفكك

وتحضر...  
www.lilas.com

لثقتُ أنه لم ين أصاق حنجرتي... وانصبتُ في مكاني لا أقوى إلا على جنب الأقباس...

رعد وقت على رجليها... السليمة والمجزرة... وامسكتُ بيدي ومثلت مني أن أجلس.

يجب أن تذهب يا رعد... لا وقت لهذا.

قلت، فريقت معرضة:

كيف وأنت بهذه الحال؟ لماذا لا تغبر، بما حصل؟

فهاقتُ بسرعة:

كلا... لا.

قلت:

ولكن...!

قلتُ موكداً:

إن عظم سائر بما حصل فسوف يأتي... أنا متأكد أنهم يراقبون المنزل الآن...!

شبهت رعد خوفاً... ثم سألت:

إن... كيف ستخرج؟

قلت:

سألتُ الأمر.

لثقتُ رعد من حولها بحثاً عن عكازها... وعندما رآته... ذهبت سائرة على حيرتها وتناوته... ثم كنتُ إلى وسارت ملامسة لي... تسير ببطء وحذر... إلى أن فتحنا الباب وخرجنا من الغرفة...

كان البيت يخيم عليه السكون... استنتجنا أنه لا أحد في داخله على الأقل... توجهتُ إلى باب المدخل وأومضته... وهدتُ إلى رعد وقلت:

لا أحد هنا، سؤرع الأذان الآن... ستخرج بعد الصلاة مباشرة... سأساعد للأعلى وأنتظر من الشرفة.

قلت رعد بسرعة:

لماذا؟ كيف ستساعد الدرجات ولماذا أنت مصاب... ولا أريد أن أبقى وحدي هنا لرجوك!

قلت:

تعلي... سأرافقك إلى غرفتك، أزميها حتى أهد.

كنت رعد تهز رأسها معرضة، متوسلة ألا أتركها وحدها... لكنني كنتُ أريد تفقد الشارع من الشرفة لأتأكد من أن الشرطة ليست في الجوار...

وعلى هذا أخذتها كثره إلى غرفتها وألقت عليها الباب وحملت المفتاح معي،  
وتركتها لتستبدل ملابسها وتغسلني... وصعدت الدرج خطوة خطوة... أكابد المشقة  
والآلم... إلى الطابق العلوي...

لقد كنت أسير مستكداً على كل شيء... الحاج... الجدران... الأثاث... كنت مرهقاً  
جداً... والآلم جسمي تكاد تقضي...

ذهبت إلى الشرفة وألقيت نظرة على الخارج... فرأيت الشباب يصر الأجراد...  
ويحاولون رؤية شيء...

توجهت بعدها إلى غرفتي... والتي ترك رجال الشرطة بابها مفتوحاً على  
مصراعه، كما فعلوا ببقية أبواب غرف المنزل لدى تفحصهم لها يوم الأمن...

كنت أريد أن أستحم وألبس ملابس نظيفة وأؤدي الصلاة... وكم عظمي المنظر  
القطيع العزري لوجهي حين رأيتني في المرآة...

أهيت استحمائي وضعت ما أمكن من جروحي على جدول واضطرت لأرتداء  
قبعة لإخفاء جرح بالسيوف... وبعد الصلاة ذهبت لألقي نظرة مرة أخرى من الشرفة...

كان الشباب كثيراً... لكنني سمعت أو ربما توقفت سماع صوت صفارة سيارة شرطة  
يشك ويقرب...

أصبحت بالهلع... فهروقت مسرعاً نحو الدرج وأنا أعتقد:  
رعد!

هبعت السلام بأسرع ما يمكنني... أتعلم بخطواتي... غير أنه بأوجاع رجلي...  
شبه متزحلق على قنص... وتوجهت نحو غرفة المعيشة... ومنها أطلت الحفية اليدوية

العلوية للثوب والحليبات الأخرى... وكذلك عظمي وهرونت إلى غرفة رعد...  
لم أطرق الباب.. بل هتفت باسمها وأنا أتحل المفتاح في يدي وأقبض على المقبض

ثم أثير، وأطفع بالباب بسرعة وأنتفع إلى الداخل...  
كنت رعد ليس رداء الصلاة... وتجلس على الكرسي في اتجاه القبلة... وفي يديها

مسبحة... فهي بطبيعة الحال لم تكن تستطيع السجود على الأرض بسبب الجيرة...  
رعد... هيا بسرعة... أظنهم عاكفون!

قلت هذا وأنا أطفع نحوها بسرعة... وأسك يديها وأملها على النهوض...  
وقلت رعد على رجلها والهيلع بجاتها... وقالت بفرح:

رعد!

قلت:

الشرطة قادمة... التفرج بسرعة!

• • •

أثرت إلى عكزي العرمي على الأرض وهتفت:

"عكازي".

فلعلني وليد ونلواني إياه وهو يقول:

بسرعة.. بسرعة..

ارتكبت خطي المنزلي والذي كنت قد خلعتُه قبل الصلاة وتركتُه بحوازي، ثم صوتُ

خطوتين في الاتجاه المعاكس... نحو عياشي... فسأل وليد:

إلي أين؟

قلت متيرة إلى الشماحة:

عياشي".

فأسرع هو إليها وجنيها والوشاح من على الشماحة... وأقبل نحوني ونلواني

إياعا... أخذتُهما على عجل ومن شدة ارتباكتي أوقعتُ عكازي... وبدأتُ باركتاهما فوق

عياشي كيما ألقى، وفي ذات اللحظة... سمعنا صوت سفارة سيارة شرطة يزحف من

خارج المنزل...

ها... لم أسمع إلا برحلي تطير فجاء عن الأرض... وإذا بوليد يهرول نحو المخرج

الخطي للمنزل... حيث العراب... وهو يحملني... على كتفه...

"عكازي"!

هفت ونحن نبتعد... لكن وليد لم يستجب... وسار منحني الظهر مترنحاً يوشك على

الوقوع به، حتى وصلنا إلى الباب الخطي فلفته بسرعة وكاد يزلق وهو يهبط العتبات...

ألزمتني عند باب السيارة وفتحه وفتح بي إلى الداخل وأطلق لياب وحذاء من ليل

عياشي وطرف وشاحي يتنهلان إلى الخارج...

ثم توجه بسرعة إلى الباب الأخر... وهو لا يزال مستوذب الظهر مترنح الخطي...

فلتعه ورسي بحقيبة كان يحملها إلى الداخل وقرض على المقعد وشغل السيارة وفتح بوابة

العراب وانفتح خارجاً بالسيارة بسرعة...

كل هذا في ثوانٍ لم تكن كافية لأن أستوعب ما يجري...

وهل ما أنا فيه فوجئتُ بأن الجو كان مغطى بحجاب كثيف جداً... لم أكن معه

أستطيع رؤية شيء في الشارع...

استمرّ وليد بقيادة بسرعة لا تناسب والحجاب الكثيف... كان يتعطف بيئاً ويسيراً

فجاءتُ كلما ظهر شيء في طريقنا وأولا لطف من الله لانتهى المعطف بنا إلى حداث

لطيف...

عندما ابتعدنا عن قلب المدينة إلى الشارع البري قال لي:

تعطلي بسلام".

قلت:

"لعلني بقي في المنزل".

فأشار إلى الحقيبة التي جالسا معها وقال:

"هاتفي هنا".

فتحت الحقيبة فوجدتُ فيها مجموعة من الأوراق... وجوازات سفر... وثلاجة  
رحلات جوية... ورزَم من الأوراق الملصقة...

ووجدتُ كذلك الهاتف...

كان على الشاشة ثلاثُ الاتصالات فلقناه كلها كانت من سامر.

أتصلتُ به وما إن ردَّ عليَّ سحبَ وِلِدَ الهاتفِ مِنِّي ومخاطبَ سامرَ قائلًا:

"نحن في الطريق إليك... أبقِ مستقبلاً على مطربة من البوابة وسلاحك في يدك...

سأصل حين تصل".

ثم قال:

"لا أعرف فالضباب شديد ولا أستطيع أن أخرج أكثر من ذلك..."

وأبهرتْ مكالمته ثم التفتَ إليَّ وسأل:

"هل أنت بخير؟"

كنتُ أحاولُ أن أسحبَ عباثي المعلقة تحتَ البابِ نونَ جنوبيه خلفَ وِلِدِ السرعةِ

وقال:

"أفتحُ البابَ".

وسحبناُ أخيراً... وقلتُ وشاعني حولَ رأسي...

لم تكن الشمسُ قد أشرقتُ بعد... والطريقُ يغيثُ عليه الهدوء... ووصلنا إلى جزء

وغير منه ارتجتُ السيارةُ كما ارتجاجٌ وهي تعبر...

كنتُ أحاولُ النظرَ إلى الخلفِ خشيةً أن تكونَ سياراتُ التروطةِ في تعقباتي، لكن

الرؤية كانتُ مستحيلةً ولم أسمعَ أي صفارة...

وصلنا بعد ذلكَ إلى المصفاةِ الذي كان سامرُ وعني أبو حسامُ يحتميان فيه. أوقفَ وِلِدَ

السيارةَ وتناولَ الهاتفَ واتصلَ بسامرَ وقال:

"السيارةُ أمامَ البوابة... تعال فوراً".

ومن بين الضبابِ رأيتُ سامرَ وأبا حسامَ يظهرانَ أمامنا...

سامرُ فتحَ البابَ الخلفيَ وركبَ السيارةَ بسرعة... وأبو حسامُ أقبلَ نحوَ النافذةِ إلى

جانبِ وِلِدِ وهو يهتف:

"الطلقوا على بركة الله".

وِلِدُ قال وهو يدوسُ على كوابحِ السيارة:

"أشكركم يا عم... إن أنسيَ صديقك هذا".

فأشارَ أبو حسامُ وهو يهتف:

"أذهبوا حياً... يحفظكم الله".

وانطلق وابتد بالسيارة وأبو حسام أخذ يلوح لنا وهو يقول:  
”اتبهروا لأنفسكم يا أولادي... اتصلوا واطمئنوني عليكم... في أمان الله..  
وكما ظهر من وسط الحجاب، اختفى وسط الحجاب...“

ولبت التفت إلى سامر الجلس إلى الوراة وسأل:

”هل أنت بخير؟“

فرد سامر متدهشاً:

”ماذا جرى لوجهك ولبت؟“

فاستدار ولبت إلى الأمام وركز النظر في الطريق...“

عندما التفت لنا إلى سامر وتعلقت:

”هالجمونا وضمير يوه هذا الموت... العساكر الوحوش...“

ذهل سامر وحقى بي ثم بولبت بأوسع عينين...“

فتابعت:

”ماذا كنا سنفعل لو أنهم قتلوه؟“ ماذا كان سيحدث لي لو أنهم أطلقوا الرصاصة على

رأسه كما كانوا يعزموه؟“

وسمعت صوت ولبت يناديني زاجراً:

”ولبت“

فالتفت إليه ورأيت في عينيه نظرة ازعاج... فالتفتُ وأنا أمسك بطرف وشاحي في

يدي وأقول:

”الرضي أحد ما لنا فيه؟“ ما الذي فعلته لأمر بكل هذا؟“ إلى متى سأعيش هذا

التشر؟“ أنا تعبت... تعبت“

وطأطأت رأسي وتلفتت بين شايا الرشاح وجعلت أبكي بحرقه...“

هل صممت طويل علينا... واتشعل كل منا بأفكاره الخاصة... إلى أن أصبحتُ

بسرعة السيارة تخلف تدريجياً... ثم توقفت.

نظرت إلى ولبت فرأيتُه ملتقاً إلى سامر يخاطبه قائلاً:

”تولى القيادة... أنا مرهق“

ثم سمعت صوت الباب الخلفي يفتح ويحاول سامر... التفتُ ولبت إليّ وقال:

”انهي الخلف“

وخرجنا جميعاً من السيارة لتبدل منا عندنا. وقل أن يركبنا، منحني فرصة للزج

بحجاب الصلاة الأبيض والرشاح والعباءة السوداء... كنتُ ألقى بنظرة عليهما...“

وأرى ولبت يلف محني الظهر... مستنداً إلى السيارة... والتعب جليّ عليه... أظنتُ أراه

عبر زجاج النافذة دون أن ينتبه... وعندما ركب السيارة باشرتُ بسؤاله:

”هل أنت بخير ولبت؟“



فأجاب وهو يمسك رأسه إلى مسك المهد:

"تساكون كذلك؟"

وسمعت سامر يقول:

"أنا أصف يا أخي؟"

فرد وليد:

"لا عليك... انطلق بسرعة... يجب أن نصل في الموعد المحدد."

سار سامر بسرعة أيضاً من سرعة وليد... وعَلَّ تلك بعدم التصاح الروية أمامه...

وبعد فترة بدأ الضباب يفتتح حتى زال تماماً... قبل أن نصل إلى الحدود.

لكن أن وليد قد غفا لبعض الوقت من شدة إعيائه... وعندما اقتربنا من أول نقاط

التفتيش عند الحدود سمعت سامر يخاطبه قائلاً:

"وليد... وصلنا."

وكان صوت سامر مغلغلاً بالخوف والقلق... وليد تحرك في مقعده ثم أخذ يستخرج

بعض الأوراق من جيوب سيارته فيما قلوبنا تنطق بشدة وأعيننا مفتوحة أوسعها متربعة

بأي شخص يظهر في الصورة...

تداول وليد حقيبته اليدوية واستخرج الجوازات... وخاطب سامر بينما كان يوقف

السيارة:

"أنا سأقول لإتمام الإجراءات المطلوبة. وأنت فيق ملتزماً رعد. هناك والخروج لأي

سبب. وإذا ما واجهت مشكلة لا قدر الله... فسأعطيك إشارة للهروب... وانطلق بالسيارة بنفس

سرعة ولا تأبه بشيء."

حفظنا في وليد بأمر ونحن نتردد ويقنا متوجسّين خيفة... قال سامر:

"لماذا؟"

فقال وليد:

"أقول ما قلته لك. إذا أصبحت بالخطر فسأعطيك إشارة للهروب... وإن اضطررتك أي

شيء فقلته... وأنا سأنتقل باليمني."

ولم يترك لنا الموقف فرصة للاستيعاب، إذ إنه توجَّح بيده مشيراً إلينا... فنزل وليد

من السيارة وقبل أن يتصرف قرب وجهه من النافذة وهو يقول:

"لا تكن ذلك؟"

وألقي عني نظراً... ثم انصرف إلى الموقف.

أخذت التماسك لتلافتي يميناً ويساراً... وأخذت أصرخ إلى الله من أعماق قلبي

ويكلم إلحاح... أن يسهل الأمر علينا ويخرجنا معاً من دائرة الخطر سالمين...

رأيت سامر يمسك بشيء بين يديه سرعان ما تبين لي أنه مستن... ففكاهم الفزع في

نفسي وكنت أفرّ مغشية من شدة الخوف...

مررت خلفك فالتحية كالتقرون... ونحن نتكلم عوده وليد وأحييتنا معصمة عبر التوافق في الاتجاه الذي سار فيه. وبعد حول الانتظار ظهر وليد أخيراً يتقدم نحونا يحطه القلان من رجال الأمن، يرتدون زياً عسكرياً، لدى رؤيتي لهم الضجر قلبي يقبله من التحيات العسارية المتدوية... كنت أشرع بها تصعقتم بأسفل قلبي وربما تهرز السيارة...

سافر بسرعة غيياً مستسهة نعت المقعد وتظاهر بأنه يستخرج أحد الأكراس الممنجة، وشغل المسجل... وأتذكر أن القمص كان يعوي ابتهاًلاً طامعاً... كان وليد كثيراً ما يشغله أثناء مشاوير ذهلي وليلي من الجامعة برقعة مزاج.

وصل وليد ورجال الأمن، وأشار لمدعها إلى سافر بأن يفتح حطية السيارة الخلفية... بينما طلب الآخر منه أن يفتح القفلة... وعندما فتحها كني بنظرة علينا ثم على جوازات السفر التي كانت في يده... وطلباً من سافر أن يبرز بعض الوثائق الخاصة بالسيارة... ثم تصرف... وتبعه الرجل الآخر...

وليد القرب من القفلة فتشجكت به أحييتنا، قال:

أسلمني الإجراءات وأعود... تسير الأمور بشكل جيد.

فجذبت نفساً صيفاً... على ذلك يهذون من سرعة خفقان قلبي ولو الشيء القليل...

والتصرف وليد، ثم عاد بعد قليل... وركب السيارة وقال:

انطلق.

لم تصدق أذنا لا أنا ولا سافر... لذا... بقينا متسخرين... ولم تتحرك السيارة...

فظهر وليد إلى سافر وقال:

هيا.

فقال سافر:

انتهى كل شيء؟

فأجاب وليد:

ليس بعد... لكننا نخطينا أول الحيات...

وجعلته الأخيرة أجهضت بذرة الطمانينة التي ما كانت تثبت في قلبي...

وتجاوزنا حطتين أخريين، وخرجنا من حدود بلدنا... ونطلقنا حدود أبلدة المجاورة...

وهداك طلب منا رجال الأمن الخروج من السيارة لتفتيشها...

شادل وليد وسافر نظرة وإن خفيت عن رجال الأمن فهي لم تخف عني... سافر

حاول أن يستخرج المسلس متظاهراً بأنه يعك من وضعية ملعدة... غير أن يده لم

تطه... ربما فهم وليد حركة سافر... وكان رجال الأمن من حولنا... فأطلق وليد غير

نطقه وقال:

كفارة لا تستطيع التهورس إذ إن رجلكا مخرولة.

في محاولة للإفلات من التفتيش، غير أن أحد رجال الأمن قال:

فهباسعدنا لعدكما على ذلك:

ولم يجد وليد بدأ من أن يلتفت إلى ويقول:  
سأساعدك:

وكانت عبءا مضطربين والطرقة من العرق سالت على جبينه نصف المائيا تحت  
لحيته.

خرج وليد من السيارة وفتح الباب المجاور لي ومد يديه... وعندما خرجت من  
السيارة وولفت على رجلي... راح يلتفت يمينا وشمالا بحثا عن مقعد... ووجدنا مقعد  
مجزية على بعد بضعة أمتار فقال:

سأرفعه:

ثم التفت إلى سامر وقال:

كعال معنا:

ولكن وليد وبعد أن سار بي خطواتين لا أفر لعمري بالتعب وهتف:  
أخي:

ومرغان ما رأيت ذراعي سامر تمتد وتعلمني...

وصلنا إلى المقاعد فأجلسني سامر على أعضائها وجلس وليد قربي مياثرة... وسمعناه  
يتفلس بلوكة...

سامر سأل:

أنت على ما قرأه??

قاروا وليد بنعم وإن كان مظهره يثبت عكس ذلك... وأرسل أنظاره إلى رجال الأمن  
وهم يقفون السيارة...

جلس سامر إلى الجانب الآخر عني وأنا بوليد يسأل:

أفر معك??

فيجيب سامر:

كي السيارة:

فيرة وليد:

تيا أين تركته??

فيجيب سامر:

تحت المقعد... إن يصعب عليهم العثور عليه:

فيقول وليد:

أحسق... لماذا لم تخبئه جيدا لو حتى ترمي به من النافذة قبل وصولنا إلى هنا:

فيقول سامر:

أنت من طلبت مني إحصاره معي?? لم يتسع المجال للتفلس منه:

فيحسب وليد:

سورطنا هذا المشهور... ثأ... من أين حصلت على مصوية كهذه؟  
وما كان ينهي جملة حتى رأينا رجال الأمن يكتشفون وجود سلاح مخبأ في قلب  
السيارة...

أترأيت أخطانا وجمعت أعبئنا وجفت حنونا... ونحن نرى أحد رجال الأمن يخل  
لعونا فابضاً على السلاح بمنزلة... كان أبنا عيني جالساً إلى جانبي ولما اقترب رجل  
الأمن ولما اقتربنا من بعضهما وبنا المرأى من أماسي... وسمعت صوت وليد يهمن:

كدهني التصرف، لا تكلمه بشيء، أكرم رفاً.

ثم سمعت صوت رجل الأمن وقد صار على مقربة يسأل:

المن هذا الشيء؟

مرت لحظة صامتة صمتاً لثني قد فقت السمع من طولها... ثم إنا بي أسمع:

آه... لي.

أفرون صوت من كان؟

صوت وليد...

لو ربما... توفقت ذلك... إذ إني مع فوسى بوليد... وفي حالي هذه التي لا مثيل

لها... أسمعتم أترهم كل شيء...

عاد صوت رجل الأمن يسأل:

هل تلك التصريح رسمي بحمله وإخفائه إلى هنا؟

ثم أجبنا معي التصريح.

هذا صوت وليد... أنا وثقة من أنه صوت وليد... لا يمكنك أن أظنه... وليد

فأنا

تعال معي لو سمحت.

قال ذلك رجل الأمن، ثم رأيت وليد يتعد حتى خطوة، ثم يلتفت إلى سامر ويقول:

أبق مع رفاً، إنك أن تتعد عنها لأي سبب مهما كان.

فبره سامر:

وليداً ما الذي...؟

ويقلعه وليد قتلًا:

أكرم الصمت، فقط ضع القناع نصب عينيك... أكرمني؟

وسال وليد بجمده قليلاً لينظر إلي... ولم أستطع لمعتها حتى أن أكلوه... ورأيت

يتعد خطوة بعد خطوة... إلى أن توارى عن نظري...

حينها فقط أظننت صيحة مكتومة:

وليد!

وحدثتُ يدي إلى الأمام محاولاً الإمساك بقلبه... لكنه تخلصي...

مرات نحو ساعة... ونحن عند المقاعد، أنا جالسة... وسامر يجلس تارة ويقلب  
العربي... في توتر فطوح...

بعد ذلك... قبل إيلنا أحد رجال الأمن ومطلب منا مرافقه.

سأل سامر:

أين شقيقي؟

فأجاب الرجل:

تسبحول إلى لجنة التحقيق.

فزعنتُ وشبهتُ رغباً عني... نظر الأتكان إلى ثم إلى بعضهما البعض... وقال

سامر:

تحقيق؟

فأجاب رجل الأمن:

نعم، فهو يعمل سائقاً ويعبر به الحدود دون ترخيص.

قال سامر:

ماذا سكتلون به؟

أجاب:

تسبضع للتحقيق... لا أعرف تحديداً التهم... هذا راقتمالي الآن؟

سأل سامر:

ترافقتُ إلى أين؟

فأجاب:

تكتيش الشخصي أولاً، وبعد التفتيش، سنقلكما إلى أقرب نقطة بعد الحدود ومن  
هناك تابعاً طريقكما إلى المدينة في سيارة أجرة إذ إننا سنحتجز سياراتكم هنا لعين  
النهاة التحقيق وإجراء اللازم.

قلتُ سامر إلى... وكان وجهه مكشوراً محققاً بالعماء... ولم يقل شيئاً... أما أنا  
قلتُ وأنا أحرك رأسي اعترافاً وتهيداً:

أنا لن أروح مكشفي حتى يعود وليد.

نهم سامر الصديق، ومخاطب رجل الأمن سائلاً:

أين تخطي الآن؟ أريد أن أراه.

فأشار الرجل بيده إلى العيني الذي اخفى وليد خلف جدرانها، فقال سامر:

أخفي إليه من فضلك أولاً...

قال الرجل:

لا بأس، فعمل!

عندها مدتت يدي وأمسكت بمصطف سامر... فكثرت بكفتي هنا...

قلت سامر إليّ ثم إلى الرجل وسألته:

"هل لديكم كرسي متحرك؟ الغدا لا نستطيع المشي".

فرد الرجل:

"لا، للأسف".

وعندما نظر سامر إليّ أعدت أقول:

"أنا لن أتحرك من مكاني قبل مجيء واليد".

فقال:

"دعيني أراه أولاً وأعرف ما فعل...".

واستخرج هاتفه من جيبه وأصل بواليد... فسمعنا صوت راين هاتف على طرقة

وعندما التقنا نهر الصوت رأينا واليد يظهر ويرفقه شرطي، يسيران متقدمين إلينا...

واقت من شدة علمي على رجلي... وكنت أرئدي خلفاً متزلياً على قنسي اليمني، بينما

الأخرى مجترة... وأمسست بحرارة الأرض تتخلخل عني وتلهب قنسي. حينما صار واليد

لمعنا راح ينقل بصري، بينما تم قال:

"انها مع رجال الأمن. سيوصلونكما إلى أطراف المدينة. وبعد ذلك استقلا في

سيارة أجرة واتجها إلى المطار. التذكر وكل ما تحتاجه في حقيبي اليدوية".

قلنا معاً:

والث ٢٢

فقال بصوت خافت لا يتعدى بُعدنا:

"أسألني المسألة هنا وألحق بكما".

أنا قلت مندفعاً:

"إن تذهب لأي مكان من دولتك".

فلو ما لي واليد بنظرة من عينيه ثم قال:

"لا وقت لتضييعه في الكلام. الطائرة ستقع بعد ساعتين. يجب أن تُتركها وترحلا

بسلام".

ثم أخذت صوتي وقال:

"أي تأخير سيثبه في دائرة الخطر... عجل".

هفت:

"ولكن".

فقاطعتي زاجراً:

"هون لكن... لكهين ٢٢"

وحتى بين التوان... بنظرة زاجرة حادة...

ثم التفت إلى سامر وقال:

"كتبها لنفسيكما جيداً..."

ورتل سامر بنبرة حزينة توشك على البكاء:

"أغني..."

فرفع وليد يديه وحطّ بهما على كتفي سامر... كأنه يستند عليه، لا يستند... ثم قلبه

تهدئة ثم مريرة... ربما لأنّ ثراعه شبه مطروحة جريئة... أو ربما لشدة صعوبة المأزق

الذي كنا فيه... فطلب حاجبويه ثم أرخاهما وقال:

"أعلم برغد... إنها أمانتك أنت الآن..."

ثم نقل بصره فيما بيننا وقال لغيرنا:

"في أمان الله".

لا أنكر... تفاصيل ما حدث بعد ذلك... لا أنكر... إلا وأنا في سيارة... أظن غير

زجاج الشفافة... ووليد في الخارج... يقف بين رجال الأمن... يأمُر إلي... والسيارة

تبتعد... وتبتعد... وتبتعد... ويتلشى وليد... كما يتلشى السراب...

فجأة... بين لحظة وضعاها... بل بين لحظة واللحظة التي تبها... تعولت حياتي

إلى شيء خالي من وليد!

يخفي من حياتي فيما أنا لرفيه... وهو يتعد... فون أن أملك القدرة على فعل

شيء...

ابتعدت السيارة كثيراً... وعيني لا تزال تعلق عبر الشفافة... تفتش عنه...

وصورته الأخيرة... وهو يلوح لي بيده... مودعاً... هي الصورة الأكثر إيلاماً...

التي اختزلتها مطبوعة في ذاكرتي... كأنني نقطة وداع فراقتي عن وليد قلمي... من بين

كل لحظات الفراق الأخرى في حياتي... على الإطلاق...

أسابتي حلة ذهول... ففتت القدرة على الكلام... القدرة على التفكير... القدرة

على التصرف... وانفتت لما كان سامر يطلبه مني فون أن أعرف ما هو...

لم أستبق من حلة قلبه... إلا عندما رجعت نفسي أعبط من الطفرة إلى مطار

الوصول... وأفتش عن وليد بين المسافرين...

رأيت كل الناس... كل الأجناس... من كل العالم... كل البشر الذين خلقهم الله...

كلهم من حولي... إلا وليد!

لم أزل منه إلا لفظة أخيرة... وهو يلوح لي مودعاً... وعيناي تشبعته... عبر زجاج

الشفافة...

ثم أشعر بنفسي إلا وأنا أصرخ في المطار كالمجنونة:

"أعيدوني إلى وليد".

• • •

القاء بذاته كان جميعاً ومكتوباً جداً... امتزجت فيه مجموع الثوب بمجموع التكريات  
الأخيرة... بمجموع الفلق... لكن أكثر النجوم طغياناً كانت تلك التي فجرتها رعداً عزمياً  
وخوفاً على وليد. سفتي كزوس الفلق والقدم جرعة جرعة على مدى الفترة المفجعة التي  
تلت ومسولنا إلى هذه البلد. فلتنا الاتصال بوليد... حتى أننا لم نطمئنة إلى أننا وصلنا  
بسلام... وما فلتنا نحاول الاتصال به بكل الأرقام وفي كل الأماكن الممكنة دون جدوى.  
لم نعرف إن كان لا يزال في البلدة المجاورة لبلدنا لم نهم قد رحلوه إلى بلدنا... لم إلى  
مكان آخر...

وإن كان في قبضة الشرطة لم نهم قد أطلقوا سبيله... اتصلنا حتى بالمزل والمزرعة  
والمصنع.. بلا جدوى... ونولّى عني أبو حسام مهمة تقصّي أخباره في البلد واستخدم كل  
الطرق، دون نتيجة حتى الآن.

أخشي ما كنا نخشاه... هو أن تكون السلطات قد زجت به في السجن أو فعلت به  
شيئاً... وأنا إن أسمح نفسي أبداً على ما قد يكون تقبلي قد تعرضت إليه بسببي.  
وليد قدم من أجلي تضحية كبيرة... عنيت بنفسه من أجل إنقاذي وفعلتني على  
نفسه... وتحمل وزي ليلة علي...

لنا أيضاً... مستعد الآن لأن أضحى بكل شيء... من أجل ظهوره وعودته إلينا  
ساعداً.

أنما في منزل دالة وعائلتها، وهو منزل كبير مؤلف من عدة أجنحة، كان يسكنه  
أمير أو ما شابه قبل أن يشتريه نوكر... زوج دالة... لاعب الكرة الشهير...  
والعالمير...

والأني عدتُ خيراً لفرء، فقد اضطرتُ للمبيت هنا مؤقتاً لعين مجيء أخي أو  
إيجاد حلٍ بديل.

نوكر وعائلته رحلوا بنا وخصصوا لنا غرفتي نوم في أحد الأجنحة وضيقونا بسفاه،  
واعتمدتُ على القرد التي تركها وليد في حقيبه لشراء الضروريات.  
أه ليل...

لا بد وأنكم تتساءلون عن رعد... وما حلُّ بها بعد وليد... أول ليلة قضتها في هذا  
المكان كانت أقطع من الوصف. كانت في حالة ذعر متواصل واضطرت دالة للمبيت إلى  
جانبا في الغرفة. كانت نصف لنا كيف هاجم رجال المباحث وليد وأوشكوا على قتله...  
وكانت تعقد يده الآن في قبضتهم وأنهم سيقتلونه... كانت ستموت بهذا الاعتقاد...  
واضطرتُ لاحقاً لأن ألق مع عني أبي حسام على أن يخبرها بأن وليد بخير ولا يزال  
محبوباً تحت التعذيب وأنه سيطلق بنا فور خروجه. ارتجبت في كلام أبي حسام أولاً  
ولكنها صدقت في النهاية على ما لم من باب التعجب بتعويض الأمل...

بجانب الأمل على أن... أخشى أن تفتت الحقيقة من أنما  
www.KitaboSunnat.com



سواء... وتعود اليه تهوريا المرتضىة تلك... وبقينا نتظاهر بالاطمئنان والتفان فيما كنا  
بمركزها القلق... والبحث والاتصالات جارية... ساعة بعد ساعة ويوماً بعد يوم...

انظر ساهر... هل هناك زاوية أفقية... ألا تبهو أهل هذه؟

تسألني وهي واقفة أمام لوحة جديدة ترسمها لوليد... وهو يلوح بيده... وتقرانها  
بصورته...

كانت الساعة التاسعة ليلاً... هكذا قضت ساعات الأسس واليوم... تكرر رسم وجه  
أمي وأبي ووليد... من الصور الجغرافية التي كانت بعوزة دالة... الصور التي تم  
التقاطها لنا ليلة زواجها... وأخرى التقطت لوالدي الزاويين... عندما ذهب العريس  
لزيارتها قبل هجرتها إلى هذه البلدة...

أجبت:

لم تنهي من الولوج؟ أريحي رجلتك قليلاً... لا تزالين في فترة النقاهة.

وقد نزعته جبيرة رجلها اليسرى مؤخرًا، فأقلت وهي محمقة في اللوحة:

رجلاي اعتادتا الكسل طيلة الشهور الماضية، أن الألوان لتتبعتهما.

وأقلت تتأمل اللوحة ثم قلت:

لا...! لم أكون رسم الألف...

وإذا بها تزيل اللوحة التي قضت ساعات في رسمها وتضعها جانباً... وتضع لوحة

بيضاء جديدة استعداداً للرسم من جديد...

نزعته اللوحة عن العمود ووضعتها جانباً... ونظرت إلى رعد بعزم... فنظرت إلى

وهي تعبس بقرع حاج...:

قلت لها:

تفكي يا رعد... إلى متى ستفكرين ترسمين هكذا؟

فتبدلت تعبيرات وجهها ثم قلت:

إني أن... تظهر الأصول... ولا أحتاج إلى صور.

ثم رمت بالفرشاة والألوان من يدعا وسارت بسرعة إلى سريرها وأكبت على وجهها

فوق الوسادة وأخذت تفكي...

قلتُ إلى دالة... التي كانت تجلس على المقعد أمام المرآة... فتابعنا من خلفنا...

وهزيت رأسي أسفاً وحزناً على حال رعد.

صمت بالاقتراب منها والتحدث إليها غير أن دالة أشارت إليّ بالأعلى... فقلتُ

بالصمت ووقفتُ أسمع صوت نحيبها المرير... وقلتُ دالة ففكرتُ منها وحاولتُ

تشجيعها ببعض الكلمات... فخرجتُ من الغرفة ووقفتُ قرب الباب بين رختين

متعارضتين في البقاء إلى جوارها والابتعاد عنها.

وبعد قليل رأيتُ دالة تخرج من غرفة رعد وتغلق الباب من بعدها... وتظفر إلى

والعز من بطلي وجهها بلون رمادي محم.

سألتها:

"ماذا قلت؟"

فأجابتي بعز بلوي:

"سألتني إن كنتُ أمك أيضاً... صورة لوالديها الحقيقيين... عني وزوجته...

وجهها لها"

ولم يكن قد سبق لرغد وأن طلبت شيئاً كهذا ولم تكن تروح بحديثها لوالديها أو تتر

عن أي مشاعر تكتبها لهما... منذ كانت طفلة صغيرة... على الأقل هذا ما اعتقدت...

أضفت دالة بأسي:

"لو أننا فقط نعلم أين ولدت الآن... إلى متى سنظل تجهل مصر؟"

أثرت إليها أن تخفض صوتها... فلما وصل إلى مسامع رغد وصمت لرهة ثم قلتُ

هائماً وأنا أهد العزم:

"سأذهب للبحث عنه بنفسي."

عدها ثلاثت العنة الرمادية من وجه دالة وحلّ التوجع الأحمر على وجهيتها

وقلت:

"كذهب أنت؟ لا مستحيل."

قلتُ:

"لا بد من ذلك يا دالة."

فلما بها نسيك بتراعي ونهر رأسها اعتراضاً وتقول منقطعة:

"كلا... إن أخطأ نذهب يا سفر... الآن لديّ أخ واحد موجود... هل تريد أن أقتكما

لتما الاثنين؟"

قلتُ:

"ولكن يا دالة."

ولم تدع لي المجال لإتمام الجملة بل أمنت رأسها إلى كتفي وقلت:

"لا تفكر يا سفر... أنا ما كنتُ أصطقي... أنا معي الآن... ما أوجدنا... أنا ورغد

إيها... أنت من تبقى لنا من العائلة... أرحمك لا تفكر في الذهاب."

علاقتي بشفتي دالة كانت منذ السفر لوية جداً... كنا صديقين حميمين... وكنتُ

أعتبرها أقرب الناس إلي... وكنت الوحيدة التي أبت إليها بهوسي وأتذكر إليها مطارفي.

والآن... بعد اجتماعنا من جديد عقب كل تلك الفراق، استعادت علاقتنا حرارتها

ومثالتها... وأخبرتها بتفاصيل ما حصل معي ومع المنظمة... والشرطة... ويكل ما مرّ

بي منذ ليلة زواجها وحتى الآن... بل وحتى عن العلية التي أجريت لجفني.. وعصية

الأغتيال الفاشلة التي شاركت فيها... والمواقفات التي حكاها وكأ على وشك تفويتها...

وحالة اليأس التي اعترتني لدى فقد أحبتي.. ورغبتني في الانتقام لعقل والذنب... تفاصيل كثيرة ومريرة... أعارتني سماعها الآن الصاغية.. والصدر الرطب.. والغيب المحزون.. كعانتها يوماً... ما ضاعف شعوري بالظلم والضيق من أعالي...

مسحتُ على رأسها مؤزراً... فتطرت إليّ ببعض الرضا ثم قالت:  
كما أنني لا أستطيع تحمل مسؤولية رعد... تعرف أنه لا طاقة لي بمزاجها في  
لوضع الطبيعي، فكيف بها وهي في هذه الحال!!

شردتُ قليلاً... وتكررتُ تنفسي في يوم فرارنا... وهو يوم صيني برعد ويحترني من  
الابتعاد عنها مهما حصل... وغزت ابتسامة ساخرة والعبء زاوية فسي اليمنى... لاحظتها  
دقة لسالت:

تما الأمر!!  
فأجبت:  
تكررتُ ولدت... وهو يوم صيني على رعد... كانه كان يعرف... أنه لن يواصل  
الطريق معاً.

وترددتُ برهة ثم تابعت:  
كأنت أقر كلماته لي: (إنها لماتت أنت الآن)...  
وأضدتُ رأسي إلى الجدار ونظرتُ للأعلى وخاطبتُ ولدت الغائب في سري:  
(هذه الأمثلة... لا تريدني أنا يا ولدت... بل تريدك أنت)  
ثم صرختُ برأسي في الجدار بحرارة...

عدتُ أترجمي إلى غرفة تومي... وما إن دخلتها، حتى سمعتُ صوت عكفي يرن...  
أسرعتُ إليه مشفقاً أن يعمل الاتصال غيراً جيداً... كان المتصل هو سيف الحارم...  
صديق ولدت المغرّب... بخبرني والعميد والدعشة... أنه مع ولدت الآن... في القبة  
المجاورة لبلدنا... في إحدى المستشفيات...

\*\*\*

مدأ أن تلقيتُ اتصاله يوم الجمعة هرعتُ إلى ولدت... أنا مع والدي مسافرتين برأ إلى  
المدينة المجاورة. ولدت كان محتلاً لدى سلطات البلدية لتورطه بفضيحة حمل سلاح بدون  
ترخيص. لم تحصل منه على تفاصيل غير الهاتف والدي وصوتنا فوجدنا بمن يولغا بأنه  
قد نُقل تحت الحراسة إلى إحدى المستشفيات نتيجة تدهور وضعه الصحي المفاجئ...

مفاجآت ولدت هذه لا تنتهي ولم تكن لتعجز لأحد على بال...  
تولّي والدي - وهو محام كبير كما تعرفون - أمر القضية وحصلنا على إذن رسمي  
بزيارته داخل المستشفى يوم الاثنين. قابلنا الأطباء وسألناهم عن وضعه قبل زيارته  
فأخبرونا بأنه كان لديه نزيف حاد في معده وتقرق في جدارها والتهاب شديد في السجة  
البيضاء... وأنهم اضطروا لإخلاقه إلى غرفة العمليات وإجراء عملية عاجلة له... وإحباطه

كمية كبيرة من السماء...

نعلمون أن وليد يشكو منذ زمن من فرحة في المعدة ويظهر أنها انتفخت وخرقت  
ونزفت بغزارة...

هذا تفسير معقول...

لكن الغير معقول والغير مصدق... هو ما قلوه أيضاً... أنهم وجدوا علامات على  
جسمه تشير إلى أنه تعرض للضرب أو التحنيط الشديد قبل ساعات من فحصه...  
لنا الأكد غريبة فهي ورطة السلاح... وهذا السفر المفاجئ لوليد... والخروج  
الشديد الذي يخلف القضية...

نظنا غرابة وليد سابقا فصورنا للاطمئنان عليه ومعرفة التفاصيل... لكن ما إن  
واقعت أعيننا عليه حتى ألتفتت على نسي كي لا أطلق شبهة قوية تشير بثبلة من حوالي...  
وعمقت فيه مذهباً... وكذا فعل والذي.

القربنا من سريره ببطء متريفة... إذ إننا لم نكن من كون هذا المريض هو بالعمل  
وليد... وأن القضية كلها ليست تشبه السماء أو سوء فهم...

رباه... أعنا وليد خطأ

لهم نساكك اللطف والرحمة...

كان مضمض العينين، ربما نائم... ربما فقد الوعي... أو ربما أسوأ من ذلك. جسمه  
مطوف بالضماد في عدة مواضع ولحميد من الأجهزة موصلة به. جهاز يراقب نبض  
القلب، جهاز يكشف مستوى الأوكسجين، جهاز يقيس ضغط الدم... وفارورة دم معلقة  
قربه... تنظر دماً متدفقاً عبر الأنابيب إلى وريده... كان يبدو حزيباً... وكنت هناك  
ممرضة قابعة بجوارها تراقب شاشات الأجهزة وأخرى تلف في الجانب الآخر وتعمل على  
تنظيف ما ظهر لنا أنه جرح في البطن. الغرفة تعبق برائحة الأنوية والمطهرات... ويبدو  
فيها طنين الأجهزة كأنه سفارة إنذار بالخطر...

اعتز قليلاً لدى مشاهدة المنظر وثباتنا نظرات الاستغراب والأسف.

عندما نزعنا الممرضة الضمادات عن الجرح رأينا حركة تسخر من الجسم المعقد  
على السرير تحت اسم صديقي وليد... فزلت أعيننا نحو عينيه ولكنه لم يفتحهما... بل  
حرك يده على السرير وكأنه يعتمر الماء...

قالت الممرضة:

اصبر قليلاً.

ثم نظرت الممرضة الأخرى إلى ساعة يدها وقالت:

إنه موعد المسكن على أية حال.

وحققت نواة ما عبر أنبوب المعصل المغروس في ذراع وليد. أثناء جريان الدواء إلى  
وريده وليد كانت تعبيرات الأم ترسم على وجهه تجاهيد عابسة حزينة... القربنا بالقباض

يده واضمار عيبيه... على إثر هذا لم أملك نفسي وأقبلتُ نحوه بهلع وهلع:  
"وليد... وليد..."

رأيتُ وليد يفتح عيبيه... ثم يحاول تحريك رأسه ببطء يمينا ويسارا يقش عن مصدر الصوت... فشدتُ يدي إلى يده وشدتُ عليها وقلتُ:

"وليد... صديقي... أنا هنا... صيفاً"

قلتُ وليد إني، وهذا والله غير مصدق، أو مشوش الرؤية... وأصمتُ بأصابعه تحاول أن تلمد علي... إلا أنها سرعان ما ارتطت وسرعان ما أسكنت عيبيه الجفون وغطت الرؤية. وعندما ناديتُ بعدها لم يجيني.

وسمعتُ الممرضة تقول:

"أعطيتُه لتر الهواء المضطرب"

فالتفتُ إليها وسألتُ في ذات الوقت الذي سألتُ والدي:

"هل هو بخير؟"

فأجابني:

"يتمتع... غير أنه لا يزال بحاجة إلى المضطرب للسيطرة على الألم"

بعدها ذهب والدي لمطبعة القضية وبقيتُ بجوار وليد أرقبه بتمعن وأخذ الترتي مزامنة مع قطرات الدم المنسكبة من القارورة... متفاحمة مع طنين الأجهزة وموشر نقات قلب وليد... وأنا شديد العيرة والقلق والتشوش... إلى أن استفاق وليد أخيراً بعد نحو ساعتين... فالتزيتُ منه وشدتُ على يده برفق وقلتُ:

"سلامتك... يا عزيزي... ماذا حل بك؟"

نظر وليد نحوي وشد بضغف على يدي وألوما متجاوزاً سعي... ثم لطق والقلق يخطي تعبيرات وجهه:

"صيف... الهاتف"

وافهيتُ منه أنه يريد استخدام الهاتف... استخرجتُ هاتفي وفيما أنا أمده نحوه سمعتُ الممرضة تقاطعنا قائلة:

"ممنوع... لا للهواتف المحمولة هنا"

نقلتُ من نحوي ولم أجد جهاز هاتف ثابت فسألتُ:

"إين كيف يمكننا الاتصال؟"

فقلتُ:

"خارج العيني"

عدتُ إلى وليد والذي ابتدأ لقلق على وجهه وسألتُ:

"يمن ترويني أن اتصل؟ بزوجه؟"

فلوفا برأسه نقياً ثم قال:

سافر... رعد...\*

حلّ وادي المسئلة بطريقة ما وأطلق سراح وائد رسمياً بعد ثلاثة أسابيع أخرى... وكان لا يزال ملازماً سرير المستشفى وبحاجة للرعاية الطبية، وكنا أنا ووادي نتقل بين البنتين لعيادته من وقت لآخر... وكنتُ أوم بنور المرسل بينه وبين شقيقه.. غير أنه وهو صبور أمر الإخراج عنه لمرّ على سفارة المستشفى مخالفاً أمر الأطباء... ورافقه بنفسه إلى مكتب الطيران حيث حجز مقعداً على متن أول طائرة تغادر البلاد متجهاً إلى عائلته...

وايد أخيراً أنا ووادي عن مشكلة تورط شقيقه في الشعب... وعن تعرضه للضرب من قبل السلطات... وانضمت لنا الأمور الغامضة... غير أنه حذرنا من شرب أي معلومة لأيّ كان أو لأي مكان... وبالأخص للمصنع وموظفيه...

وانتلك قبلي لدى تلقّي اتصال من أسامة يسأل فيه عن وائد الغائب فجاءت مند أهام... رجعتُ أنه اضطر للسفر إلى شقيقته لطروف عائلية خاصة...

للعلم فإنّ حالة وائد الصحية لا تزال متدهورة ومعظم الأطعمة معطوبة عليه... وهناك شيء آخر سأخبركم به أيضاً... وائد طلب من أبي أن يهتد إجراءات التناول عن الوصاية على ابنة عمه البهيمة القاصر لمصالح شقيقه الوحيد... سافرا

• • •

تقيتُ مكالمة من المعالي يونس المنذر الذي يعمل مع وائد في المصنع، يسألني فيه عن وائد... ثم أبلغني بأنه مختلف منذ أهام!

وأبلغني أيضاً... بأن ابنة أخيه والتي تدرس مع رعد في الجامعة كنتُ أن رعد عادتُ الحضور إلى الجامعة لوضع أهام ثم انطقت أيضاً وفقد الاتصال بها... وأبهم حاولوا الاتصال مراراً بوايد عبر هاتفه المحمول وعبر هاتف المنزل وحتى هاتف رعد دون جدوى... وكذلك زاروا منزل وائد أكثر من مرة في أوقات مختلفة وما من أحد...

أشعرني ذلك بقلق شديد وحاولتُ الاتصال به بنفسي ولم أفلح. كان خالي قد كتبه لغير مرة يوم الخميس... وحسب قول خالي، كان وائد متوتراً وقال أنه مشغول وقطع المكالمة فجاءت نظام القلق في نفسي كثيراً... وبلغ ذروته حين أخبرني المعالي في اتصال لاحق بأنه لاحظ انقضاء مجال كبيرة من رصيد وائد الخاص، ورصيد المصنع، وتغير مجرى قلبي ومخاوفني حين علمنا بعد ذلك أنه سافر.

كان أبو وادي صديق وائد هو من أبلغنا بهذا الخبر وأكثته عائلة أم حساب، حالة رعد... قالوا... أنهم ظنوا أنه سافر مع أخيه وابنة عمه إلى الخارج لأمر طارئ... لكنهم قالوا أنهم يجهلون أي تفاصيل...

كنتُ أنتظر من وائد الحضور إلى من أجل إعادة النظر في مشكلتنا الخاصة والتي هي أكبر وأهم من أن يمتثل في حلها... فكيف توقعون مني أن أفكر... لدى علمي بأنه

قد تركني فيما أنا فيه.. وسافر مع عائلته دون أي كلمة!! وكأني شيء جانبي في حياتي  
أو على الهامش...

تفاهم إحساسي بالخبط وغبية الأمل من ولدي... وفاق إحساسي السابق بالقلق...  
فترقت عن محاولات الاتصال به... وصنعتُ على الأ لكمة... حتى أقاله وجهاً  
لوجه... المغالبة العاسفة...

\*\*\*

كعائتي كل يوم... أفضي لساعات في الرسم... إذ إنه لا شيء أمامي غير...  
لم تكن أرغب في مجلسة دالة وسافر أو التحدث معهما... لم أرغب في التواصل  
مع عائلتي ونهلة وطمأنتهما على أحوالي... لم أباخر بمهالفة مزاج أو أي زميلة في  
الجامعة وإعلامها بما حصل معي...

لا شيء يثير اهتمامي... ويشغل تفكيري... غير ولدي...  
لم تكن أرى غير عينيه... في نظراته الأخيرة لي... غير زجاج نافذة السيارة...  
وهو يلوح لي مودعاً...

والصورة الأخيرة التي طبعتها في مخيلتي... ترجمتها بفرشتاتي فصارت نصيب  
عائتي...

كنتُ قد تعلقتُ بأهل شبه ميت... بأنه بخير... وسيظهر... هكذا كان سافر وعائتي  
أو حسام يرددان كلما سألتهما... إلى أن اتصل بسافر أبو فادي، صديق ولدي العميم وأكف  
له مع ولدي في تلك البقعة وأن أياه المحامي يعمل جاهداً على حل قضيتك. وسافر سافر  
على اتصال يومي به... ينقل إلينا الأخبار أولاً بأول... ويطمئنتنا إلى أن ولدي بخير...  
وسيطاق سر راحه قريباً...

العدد ٢٢...

الساعة التاسعة والنصف مساءً... ولا تزال واقفة أمام لوحتي الجديدة... أسمع أوائها  
بعثر... متمنية أن أسمع هذه المرة في تصوير ملامح وانحناءات وجه ولدي... تماماً كما  
هي في الطفولة... وتتماها كما كانت لحظة أن ودعني ويده تلوح في الهواء...

لحظة طفيفة... طفيفة جداً

أشعر بنحب... فلما منهيكة في الرسم منذ ساعات... هذا إلى أنني مصابة بالزكام  
العاد نتيجة الجو البارد في هذه البقعة... وتداخني نوبات متكررة من السعال الشديد...  
يطرق الباب، فأجيب بتملن:

من هناك!!

وأنا أعرف أن الطارق لن يكون غير واحد من اثنين... سافر... ودانة... وهما لم  
يأتيا ويريدان تركيزي - كعائتهما منذ ساعات...  
وعلى أثر التكم لتتأني نوبة سعال قوية...

هل تأتيني لي بالبحول؟

سمعتُ صوتَ سائرٍ يتحدث... فوضعتُ لرحل أواني جانباً بالمشاء... وتكلمتُ  
وشامخى وتجهتُ إلى العراءِ وأنا لا أزال أسعل...

هذا سمعتُ صوتَ مقيضِ البابِ يدارُ وفوجئتُ به يفتح...

كيف تجرؤا

لثقتُ بسرعةٍ إلى البابِ وأنا أعتك بصوتي المبحوح:

انتظر سائري.

فإذا بي أرى دابةً تطلُّ برأسها من فتحة البابِ ثم تتسلقُ إلى الداخل...

نظرتُ إليها باستغراب... وأصابني القلقُ لدى رؤية سجينٍ من النموعِ على وجهها

وتعبيراتٍ متداخلةٍ قويةٍ منقوشةٍ على وجهها... ثم إذا بها تقول:

الآن...!!

وثقلتُ إلى الناحية الأخرى وتقول:

تفضل.

وتفتحُ البابَ على مصراعيه...

كان مولياً مطهراً للباب... ثم تتلمح بعشونة... واستدار ليقلني نظرةً على داخل

الغرفة... وتقع عيناها على عيني... ويتهاول وجهه ويهشم ويقول:

اصغورتي!

لا أصتق...

لا أصتق...

لا أصتق... لا أصتق...

شبهتُ... رفعتُ يدي إلى فمي... كنتُ سعالتي... فراجعتُ إلى الوراء بخطوات

مبعثرة... أهرتُ رأسي... ثم أوزجج يدي... ثم أترنح على فمي... ثم ألتصقُ في

موضعي... ثم أطلق زفرةً صارخةً قويةً:

ولله!

• • •

كانتُ نكف على قدميها الالئتين... أجليه فالحصيرة قد تزعجت عن رحلتها المبرى...

وهضارت تملني بعربة...

لكنني لمضتُ العرج البسيط في مشيتها من أول خطوات سارتها ألماني... وسمعتُ

بحة قوية في صوتها وهي تتأبني...

يا اصغورتي الحبيبة... يا لورث...

بني لا لكاد أصتق... التي حدثت لأزواجنا من جديد...

لقد حصيت... القدر يلعب معي لعبته الجديدة... وأنتهي مرمياً في السجن معروماً



من الحرية... من نور الشمس والهواء... ومن أهلي وأحبائي...  
ما سمعتُ به شكراً... لن أستطيع أن أبلغ جزءاً من ألف جزء... من واجب الشكر  
والامتنان للرحمن...

اللهم لك كل الحمد والشكر... بعد ما تشاء وما ترضي... إلى ما تشاء وما  
ترضى...

فيما بعد... جلستُ على أحد المقاعد... وأحاط بي شقيقاي من الجانبين، ووقفت  
الصغيرة أمامنا... فضمتُ أخوتي إليّ بحرارة... مرتناً (الحمد لله) وداعياً رثي بأن  
يحفظ لي أخوتي وأبنة عتي... ويظلي لي عائلتي سالمة ويعيده عن كل المضاطر...

المأزق الذي مررتُ به... سحنة سامر هذه... شجيت شعري وحطمتني ألفز إلى من  
التبؤوخة... وأصبح كعمودٍ على فراشي المرص بعد أولفر أيلمه... ويلطم أفراد عائلته  
من حوله... ليودعهم...

ولأنه كان اجتماعي الأول بداية بعد فراق طويل... منذ ليلة عرسها تلك... فإن  
مئات المشاعر لمئات الأسباب والأحداث تقبّرت ليلتها... وأخرقتنا في بحورٍ صعبة لا  
بداية لها ولا نهاية...

وطبعاً لم تكن المناسبة لتمر دون أن ننكر والذي رخصهما الله ونقّب المواجع على  
فقدنا... وقد كانت دقة هي لفر من رأينا قبل وفاتهما... عندما زارتهما هي وعريسها  
بعد زواجهما مباشرة، وقبل انتقالهما للعيش في هذه البلد...

يا للتكريات...

بدأت عواصف مشاعرنا المطفقة أخيراً... وبدأ الجميع يسألني عن تفاصيل ما  
حصل معي خلال الأيام الماضية... فأوجزتُ لهم الأحداث وعلمتُهم إلى سير الأمور  
على خير... وأعلمتُ بتوري عليهم وشعرتُ لأول مرة... بعد عطاء طويل والشغل  
كثير... براحة قبل...

وأنا أرى سامر... وورغد... وكذلك دقة من حولي... لم أكن لأعني من هذه الدنيا  
إلا سلامتهم... شجيتُ على يد سامر ونحن نحتكي في بعضنا البعض... وكثرت النظرات  
أبلغ والصح من أي كلمات...

الحمد لله...

ولأنني كنتُ مرهقاً من عناء السفر الطويل... ولا أزال في فترة النقاهة... فقد أريدتُ  
أن أطفئ النوم والراحة... ألتفتي دقة إلى إحدى الغرف... في زاوية بعيدة بعض الشيء  
عن الجناح الذي يلهم فيه سامر وورغد... وتركني الجميع هناك لأستحم ثم أوي إلى  
الفراش...

بعدما أنهيتُ استحمامي وفيما أنا أستخرج أذويتي من الحقيبة لأتناولها سمعتُ طرفاً  
على الباب.

تفضل؟

كانت شفقتي دالة... تعمل معها بطاقيات وأحذية.

كثير جيداً... لنأخذ ثياباً بخرقة برود مثل رغداً.

قلت وهي تضعهما على السرير فابتسمت وقالت:

شكراً.

الاحتاج أي شيء؟ ألا أجنب لك طعاماً؟

سألت فأجبت:

كلاً شكراً. هل لي ببعض الماء فقط؟

بالفكر.

وهنت بالانصراف فأضفت:

ومسحط من فمك.

فابتسمت وحدثت منها القاعة إلى المنضدة التي وضعت عليها الأتوية ثم نظرت إلى

بانتظار وقالت وهي ترفع سنانها:

الخبز ممنوع!

فضحكت ضحكة خفيفة وقالت:

هذه أتوية معنينا أكلت والحمد لله.

وهي بعد جلست على السرير ملتحفاً بالبطانية... ألو أبات من الفكر الحكيم...

والحمد لله مراراً وتكراراً في سريرتي... وما إن عطيت بضع دقائق حتى عاد الطريق

على الباب...

نعم تفضل؟

متوقفاً أن تكون دفة... غير أنها كانت رغداً...

بدأ عليها التردد وهي تفتح الباب ببطء وتطل من فتحة... ثم تخطو خطوة أو اثنتين

إلى الداخل... بصوت أن رفعت عياني على عينيها عرفت أن لديها الكثير لتقوله... لكن

تعبيرات وجهها اضطربت وقالت:

أعذر على الإزعاج... فقط أردت أن... أسألك إن كنت بحاجة إلى شيء؟

أنا... أنا محتاج إلى كل شيء يا رغداً

أجبت:

شكراً صغيرتي... لا شيء الآن؟

فشدت نظرها في أرجاء الغرفة ثم سألت بحجل:

هل شفتي أسيلتك؟

تعني ولا شك... الهجوم الوحشي الذي تعرضنا له تلك الليلة... وهي ليلة أشعر

بالخجل والعار كلما تذكرتها... غضبت بعيني وأجبت محاولاً التظاهر بالعموية

والعرج:

نعم... كما تريد.

ولما رفعت بصري إليها رأيتها تبسم ثم تقول:

حسناً... تصبح على خير.

ثم سحلت ليضع لوان وهي تراجع الخلف... فقلت:

تعالمتك.

فأضعت إبتسامتها.. وتابعت سيرها إلى الوراء وهي مسكة بمقبض الباب تعلقه

ببعضه إلى أن بقيت فتحة صغيرة بالكاد تسمح برؤية نصف وجهها فإذا بي أسمعها تقول:

أنا سعيدة بعزيمتك سالماً... كنت أريد طوقاً عليك... سعيدة جداً.

وتعلق الباب!

في اليوم التالي اجتمعنا أنا وشقيقاي وريفا ونوكر حول مائدة الغذاء... وحتى لو لم

أشاركهم طعامهم، شاركتهم القهوة الحار والاحسان بالانتماء... والجر الأسري الرابع

الذي كثيراً ما ألتقده...

وفي وقت القيلولة... جلستُ مع أخي سامر في غرفته أمسه عن تفاصيل ما حصل

معه ومع ريفا بعد الترافيق... وأناقش معه الخطط المستقبلية... دار بيتنا حديثاً طويلاً...

كنتُ من خلاله... أريد أن أستشف وضعه النفسي... وأعرف إلى أي مدى ارتفعت

معنويته واستعدك رباطة جأشه...

وبالطبع، تعاليتُ تماماً نكر موضوع المنظمة... بل إني قد طاعتتُ نفسي ألا

أكثر، لما فعل أخي ولا تكيف فعله، لا حساب ولا عتاب ولا استجواب، إن هو نجح

وخرج من المأزق الخطير سليماً... وما دام أخي معي الآن... وأراه ألسني بخير... فلا

يهمني البش في المعاضي...

لم تعلق بي إلا

سأل سامر وقد لاحظ شرودي وأنا أنظر إليه... فابتسعتُ وقلت:

أفط... كنتُ أفكر... كيف سننظر على منزل مناسب للشترية...

قلت:

في الحقيقة كنتُ قد استفسرتُ من نوكر مسبقاً... عنه يفهم في هذه البلدة منذ عشرين

عاماً ويستطيع مساعدتنا في شتر أمر المنزل.

قلت:

نعم، إن سألني لذلك من الآن إذ إنه من المخرج بيتنا هنا.

حتى ولو كانت عائلة نوكر ترهب بنا بشدة...

قال سامر:

شتر في ثقة مناسبة في مكان قريب من هذا المنزل.

قلت:

لو منزلًا مستقلاً... صغيراً وبالنسب وضعنا الزاهن:

قال سامر وهو يركز النظر إلي:

إبن... هل... سنستقر هنا؟

وهو لم يكن يريد التطرق إليه الآن... وأفكاري غير مرتبة... وجسمي منهك...

وأعرف أنه موضوع إن فتح سيجر خلفه مواضع لا طاقة لنا بها هذه الساعة، لذا

تظاهرت بالنعاس والتأجيت وقتاً وأنا أقف:

تسألك لاحقاً... أتعلم بالنعاس... سأهمل قليلاً.

وعادرت الغرفة.

ذهبت إلى الغرفة التي خصصتها دانة لي، واضطجعت على السرير... وتكررت بكل

الألمعة والبطانيات المفروشة فوقه، تلتذاً النعاس... لكن النعاس الذي حصلت عليه... في

هذا الجو البارد... في هذه البلدة الغريبة... في هذه الغرفة الضيقة... كان مصيراً المحظوظة

التي نائم تحت وسائلي...

أثناء صورة رعد...

• • •

تعرني سعادة لا توصف... وأنا أوصل نوح الأكون في لوحة وليد الأخيرة...

وأشكر وجوده من حولي... وأطلق زفرات الأرتياح...

تناولنا العطور والغداء معاً هذا اليوم... صبحح أن وليد لم يشاركنا الأكل بسبب

معنته، لكنه شاركنا الجلوس حول المائدة والأحداث المختلفة... وعلمت أنه كان راقداً في

العسنتي منذ فارقنا وحتى وافانا بسبب نزيف فرحة معنته... وأنه خضع لعملية جراحية

لعلاجها وهي حقيقة أخفاها سامر عني طيلة الوقت...

وليد الذي بدأ مريضاً بالفعل... شاحب اللون وفقد الحيوية ومنظره القوي الذي كان

يشع من عينيه... لكن الأهم أنه معاً الآن... وفي أمان...

عند العصر سمعت صوت دانة تلتفتني من خلف الباب:

أرغد تعلي لتناول الكعك معنا... نحن في الصلاة.

فرسدت بسرور وميلان:

قائمة:

وتركت فرشاتي وأطلقت نسيتي سعائتي إلى الصلاة، حيث كان أبناء عمي الثلاثة

يجلسون... القزيت ملهم واتخذت مجلسي بجوار دانة، وانفرت كبر قطعة من الكعك...

وبدأت في تناولها باستمتاع...

دانة ماهرة في صنع الكعك كما تعلمون... أما أنا فماهرة في التهامه!

راقبت وليد غلسة فلاحظت أنه يكفي بشرب الماء من الكأس الموضوع أمامه، ولا

يلبس الكعك...

قلت:

إنها لثبذة وخفيفة وليد!

فأجاب وهو يتنسم:

لا شك عذبي... لكن معذني لن تتحمل!

قلت دابة:

تجرب العسمة واحدة صغيرة... هنا وليد... من أجلي!

فكرز وليد اعتذاره وقال:

لن أتخطت هذه فلا شيء يطلقها!

وهو يشير إلى معذته. أحسست بالألم والقلق لأجله... وأنا متأكدة أن ما خرج فريحت

وسبب تزييفها هو الضرب الوحشي الذي تلقاه على أيدي وأرجل العساكر الوحوش... تلك

الليلة...

تذكر تلك الليلة... جعل يدي ترتجف، وتوقع لشوكة من بين أصابعي...

نظرت إلى وليد وشعرت وكأنه قرأ أفكاريات التي مررت في مخيلتي... قلت

لا شعوريا بصوت هائل:

الحمد لله... لك هذا الآن!

وكان أهدأ لم يسمع ما قلت، فسألت دابة:

"عفواً؟"

فانحنيت لالتقاط شوكتي وأنا أقول مغررة الموضوع:

تعا ربيكة في المنزل وليد... ليس راعاً؟ دابة تتصرف كملكة فيه!

فطرت دابة إلى بقاء وقالت مداعبة:

أنا بالفعل ملكة هذا كل هذا تحت تصرفي!

قال وليد مبتسماً:

"ههنا لك!"

قلت دابة:

وأنت كذلك... اظنوا ما تشاؤون!

قال سامر بعد أن ابتلع آخر قطعة في فمه:

لا عدملك... بكفينا هذا الجراح مؤقتاً إلى أن نشترى منزلاً أو شقة!

واقفت إلى وليد يطلب تأكيد كلامه، فقال الأخير:

نعم. وسنعمل على ذلك عاجلاً.

قلت دابة مستاءة:

"هراء! شبعون من منزل ولدينا كل هذا؟"

فرداً ووليداً

تبارك الله فيكم... ولكن لا بد من منزل مستقل... إن عاجلاً أم آجلاً،  
فقلت دالة مغناطية إياه بحق:

وكانَ منزلي لا يتسع لكم! سافر الخدم بالتنظيف وإعداد كل الغرف التابعة لهذا الجناح  
ونقل غرفة نومك إلى أي غرفة تختارها يا وليد... سيكون هذا الجناح منزلكم!  
قال وليد:

أرحمك... لا تتكبروا العزاء... الجناح هكذا يلي بالفرن من حين شراء مسكن مستقل  
ينقلن إليه... أنا هنا مؤقتاً على أية حال!  
الجملة أريكتي وجعلتني أضحك في وليد... ثم سأله:  
ماذا تعني??

وتنقلتُ بأنظاري إلى سافر ودالة، ورأيتهما يمشقان في وليد أيضاً...  
وليد لم يتكلم لأنه شعر بأن الأعين تترصد به... بل بدأ مرتبكاً وكان الجملة قد  
أقلت من لسانه تون قصه ولم يستطع استكمالها... أعدت سؤالي:  
ماذا تعني... وليد??

فبدأ به يتكلم ويمسح على عينيه ثم يرد أخيراً:  
أ... أعني... أنني سأعود إلى الوطن عاجلاً...  
شفتُ وترددتُ بأنظاري بين وليد وسافر ودالة ثم قلت غير مصدقة:  
تخرج وليد... أنت تخرج!!!!  
فلبسم بقاة حيلة وقال:

لا أخرج! أعني لتي... أنا هنا... لأطمئن عليكم ثلاثكم وها قد اضللتُ ولا بد من  
العودة!

لقد التوتّر بفراق علي وجهي ولاحظ الجميع ذلك... ثم قلتُ والكلمة لا تكاد تخرج  
من فمّي:  
أ... وأنا...??

فبادل الجميع النظرات... ثم تسلطتُ أحياناً على وليد الذي لم ينطق مباشرة... كان  
متردداً غير أنه في النهاية قال:  
استيقن هنا يا رعد!

لنا لاحظ سافر الفجح بجناح نسيت وجهي قال مغناطياً وليد ومحاوفاً لتلطيف وقع  
قنبا:

لكن... إن سافر بهذه السرعة... تعني بعد بضعة أسابيع...?  
فأقلت إليه وليد وقال:

بضعة أيام لا أكثر... تعرفون... لدي زوجة في الشطاري!

بعد هذا الحد... وشعرت برغبة ملحة في التفكير... فقلت بسرعة وأنا لست في  
بيدي وغرولت إلى دورة المياه...

عندما خرجت من الحمام - أكرمتكم الله - وجدت دابة تقف بالجوار في قلق...  
وسألني:

أنت بخير؟

ولم أجب.

فأضاعت:

هل كانت الكعكة سيئة أو ماذا؟

قلت فيها وقتاً:

لم أسمع ما قال؟ يريد العودة إلى الوطن... بعد كل الذي تكلمنا من أجل

القرار... إنه يريد العودة إلى المطار.

بدأ على دابة نفهم مشاعري... ثم قلت:

لم يفكر... بل يفكر.

قلت بعصبية:

كيف يفكر في العودة إلى الجميع؟ لم يكن ما فعلوا به؟ ألا يكفي هذا؟

ودعت متزعزعة إلى غرفتي... والعزلت فيها لبعض الوقت.

• • •

ما كان يجب أن أشكر هذا الآن.

قال سامر بدهاشني شيء من اليوم... وأنا أترك نفسي فلتجت الجميع بما قلت... فلم

أعلق. فتابع هو:

تذكر عودتك العاجلة إلى الوطن... وإلى زوجته... وأنت بالتأكيد وصلت أيار هذا؟

إنها... كانت قلقة عليك منذ المرض.

شكراً إلى رعد

سعدت قليلاً ثم قلت:

ولكن... في الحقيقة هذا ما يجب أن يحصل عاجلاً.

نظر إلى أنني نظرت لم أفهم معانها أو بالأحرى... لم أريد أن أفيها... ثم أضاف

يقول:

إن... إن... إن تفهم ما هذا معنا؟

وهذا السؤال كان يشغل بال شقيقي منذ الصباح أو ربما منذ زمن... وأعرف ما

خلفه...

قلت:

وأتركها زوجتي... وعلمي... هناك؟

أراد سامر قول شيء لكنه تردد... أنا أعرف ما الذي تريد الوصول إليه يا سامر...  
لكن أرجوك... دعني أشرحني ليوم آخر... ولا تشغل بعني وتشغل النار في داخلي  
الآن...

أخيراً قال سامر:

تو... والمزول؟؟ هل ستقيم فيه أنا وراشد بعرفنا؟؟  
وكأنه يسأل خنجر من صدري... أم... كم أنتم...

عصفتُ على أسناني لأمتص بعض الألم... ثم قلتُ محاولاً الهروب:

لكلِّ حدثٍ حديث... فنظر ثراء المزول أولاً.

وكانت محاولة فاشلة... إذ إن سامر عاد يسأل:

وإذا حصلنا على المزول فدا...؟؟ فهل...؟

ولم يتم السؤال...

مصبتُ على وجهي مضطرباً ونظرتُ بعيداً ويسيراً بلحناً عن مهرب... ثم عدتُ إلى

أخي فرأيتُه ينظر إليّ باهتمام والى... ينظر ردي...

مددتُ يدي وريقتُ على كتفيه بعطف... وأقتُ والتماء تحلقن في وجهي:

لا تستعمل... تريتُ قليلاً... ودعنا نلطف بعض الألفاس... أنا مزهقٌ جداً...

وما كان من أخي إلا أن أوماً تقيماً وأطلق الحوار...

وفي العشاء... على مائدة العشاء... والتي التفتنا حولها نحن الثلاثة، أنا وشقيقي

وايئة عتي... تحركتُ أيدينا بالملاحق، بينما أفرأنا صامتة عن الكلام... كان الوجوه

مخيماً على وجه راشد... الذي صار كتاباً منقلب الحروف والرموز... يشغلي فلة

طائسه...

ولهما أنا أكتول حصاني البارد بيضاء وأرسل النظرات إليها بين القبة والأخرى، كانت

هي محمّلة في طبقتها تتعاني النظر باتجاهي...

أما سامر... فكان يتظاهر بالاهتمام بالمجارات التي تُعرض على التلغل والتي يشارك

فيها لوكر...

الجدد!

فلتتها راشد ووقفتُ هامة بالمخبرة... وأطيقها بالكاد أُميت...

قلتُ:

إلى أين؟؟ لم تُهي عشاءك!

قلتُ دون أن تنظر إليّ:

تكفيت!

قلتُ:

الجلسي يا راشد... وأنتي عشاءك!



هذا نظرت إلي... نظرة حزينة مؤلمة... فيها الحزن والقوم... والرجاء واليأس  
سوية...

فسمت:

أرعد...

فإذا بها تطلق الكلام الذي كانت تكتمه في صدرها منذ ساعات ناعمة واحدة:  
كيف تفكر في العودة للخطر يا وليد؟! نحن ما كنا نصنق أننا نعوت... ما كنا  
نطمئن على سلامة بعضنا البعض... أريد أن تعرض نفسك للهلاكه من جديد!!

ولم تعطني فرصة للإجابة بل قلت بصوت شديد الرجاء:

أرجوك وليد... لا تذهب... أرجوك!

ثم رمت وقالت:

لا بد لي من الذهاب يا رعد... لا بد!

ورأيتهما تعض على شفتها السفلى ثم تقول:

يمكنك إحضارها إلي هنا... ونسفر بعيداً عن الخطر والحرب!

تعني أروي...

قلت:

أصعب جداً... أروي لن يعجبها ذلك... ثم إن العزل والعزلة والمصنع... وكل  
شيء هناك...

قولت برأسها اعترافاً فاضت:

إنهم لا يلاحظوني أنا... لا تعني علي... صغيرتي!

فانصرفت قائلة:

كيف لا أخشى عليك؟! لقد رأيت ما فعلوه بكه يا أم عيني... هل تريد أن تبغني للحرى

قائلة بعد؟! أنت لا تعمل حساباً لي!

وانصرفت بسرعة إلى غرفتها...

فانتظرت لحظة... في حيرة من أروى... ثم وقتت وقتت مغاطياً أخى:

سأحدث معها.

ولم يبد أخى أي ردة فعل...

لحقت بالصغيرة وحصلت على إلتها بدخول الغرفة... وما إن تكلمت حتى وقعت

عناي على مجموعة من اللوحات إلى جانب بعضها البعض... عند الجدار المقابل

للباب... صورة لوالدي وأخري لوالتي رخصهما الله... وصورة لي أنا... وأنا وأخي

بدي... موضوعة على عمود الرسم...

لدي رؤية صورتي والدي لم أملك نفسي... وسرتُ بالتجاهلها وحصلتُ فيها

واقفاني الأسي والمرارة...

خاطبتهما سراً... ألا تخرجان من التوحنين... وتريان ما نحن فيه... وتحدثان  
مشكلتنا؟ أنا وشقيقي نحب فداء واحدة تعني لكلينا كل شيء وعلى أعتابنا أن يموت قلبه  
أرحم الأخر... أنا يا لتي ويا لتي... أفضل التعلق بكما على أن يمس شقيقي أي لتي...  
سامحني لأنني كنت ألقياً جداً... لم أفهم مشاعره ولم أكرها... حسيت أن رعد شيء  
بخصتي أنا وأنه هو من سرقها مني...

وقلت نعو رعد والتي كانت مطأطئة بصرها بعزب نعو الأرمي.. فطأطأها في  
سري بليلة.. أنت شيئاً بخصتي أنا يا رعد؟ أنت فنتي أنا أنت لتي؟ أن تكوني  
لي؟ ألا يجب أن تكوني لي أنا؟

ربما أنت رعد بنظرتي المسنطة عليها أو انشيطك كلامي... لو حتى سمعت  
خطابي السري في نفسي... فإذا بها تفتت إلى وترمقني بنظرة أرسطو إلى عالم الفيزياء  
والضياح...

ثم إذا بتعبيرات الرجاء الشديد بل التوسل ترحف إلى سمعت وجهها العزيب وتخرج  
من لسانها بقول:

أرجوك ولهد.. نخل عن الفكرة.. ودعنا نعيش هنا معاً بسلام.. أنا نعت من العريب  
والشراء والبنم والضياح والصراع.. ألا نخل هذا من أجلي؟

نخلر قلبى لكلامها ولزف كثيراً... إنك تظنين المستحيل يا رعد...  
اقربت منها وقلت شيئاً عظمي وحداني ومنعجماً بمسؤولياتي:

يا رعد... يا صغبرتي العزيزة... ومن يتولى الأمور هناك في الوطن؟ لتي  
مسؤوليات جدية وكبيرة في انتظارى؟

فقلت:

أنا أنت جزياً جداً من مسؤوليتك أنت؟ كيف تتركني وحدي وتذهب عنى؟  
قلت:

كيف تقولين وحده؟ أتركك مع دالة وسامر؟  
فأجبت منقطعة:

كذلك أنت الوصي على.. المسؤول عني شريعياً.. ويترحم أن شقيقي معك وشقيقي  
معى.. أليس كذلك؟ أليس هذا من واجبك؟

لم أجب مباشرة... ثم قلت:

للى... و... كذلك... أنا المسؤول عن أروى... ومن واجبي العودة إليها.

وكنت أترفع أن أزعجها نكر أروى... بل كنت أتمنى أن أكرها حتى أستيق أنا من  
حالة الفيزياء في بحر رعد، وأعود إلى الواقع وأقطع العيال المستنكة بسفينة رعد... نعم  
كنت أترفع أن أزعج رعد من نكر أروى - كعانتها - لكنني لم أترفع أن تاني ردة فعلها  
بهذا الشكل...

صرخت منقطعة منقطعة:

"إن عد إليها... هنا عد... لا شك أنك ستحبك لعينها الزرقاوين وشعرها الحريري  
الأشقر... من يتناول عن العشاء القوية!! حيناً لك بمن انخرت... اذهب!"  
وأناحت بوجهها علي... وعندما تخبثها هتفت زاجرة:  
"اذهب الآن!"

وما كان مني إلا أن انخرت الغرفة.  
عندما عدت إلى حيث كنا نتناول العشاء قبل قليل... لم أجد لها هناك... بحثت عنه  
في غرفته وفي الجوار ولم أجد... ووجدت خلفه موضوعاً على سرير... سألت عنه  
دانة فأخبرني أنها لم تره منذ كنا نتناول الكعك عصرًا...  
قضيت الساعتين التاليتين واقفاً على أطراف أعضائي المشدودة... حتى إذا ما ظهر  
أخيراً... فلقماً من الخارج... فسمت نحوه وانخرت بالسؤال...  
"إلى أين ذهبت!!"

ظهر الانزعاج من السؤال على وجه لها وقال:

"طويلاً"

فترجعت وقلت مطلقاً سؤالي:

"أعني... في هذا الطقس البارد!!"

فردت سايرة:

"كشيت في الجوار..."

وبعد برهة صامتة قلت وأنا أعم بالانصراف:

"سأخذ للتوم!"

استولفتني سايرة بسؤالها:

"لماذا أعرزت مع رعد؟"

فنددت على قبضتي... ثم قلت:

"لا شيء..."

وتابعت:

"لا تكثر مسؤولياتي الأخرى... تتوقع مني أن... أفرغ لرجائها!"

رأيت ابتسامة شبه سافرة على زاوية فمه اليمنى... ثم حل الجذ مكانها وإذا بأخي

يقول:

"إنها... متعلقة بك!"

تلففت النداء إلى وجهي... ورأيت لها ينخر إلى عيني ينتظر تحليفاً... فلبعتُ

نظري عنه، ثم قلت:

"... أعرفه..."

فقلت:

آن.. ٢٢

فالتفت إليه وفراقت في عيونه جنية واعتماداً بالعين... ولم أحرف بهم أحدهما... فقال  
لني وقد استطيع صوته بالانزعاج:

لم لا ترد؟ لقد جئت بي من آخر العالم إلى هنا ووضعتها نصب عيني... أعدتني  
إلى ما كنت على وشك التخليص منه... وما كنت تريد أن ترحل وتركني في نفس  
التوكمة... فهلاً حلفت قضيتي مع رعد ٢٢

تضاضب ضبح النداء الحارة إلى وجهي... والتفتت قار التي لا تكاد تبدأ في  
معنني... وبدأ العرق يتصبب مني رغم برودة الجو...

قلت أخيراً:

تصبراً يا ساهر... أعطنا فترة نقاهة مما حصل مؤخرآ... رويك.

ورأيت لني بعد سباته القمى نحو وجهي ويضيق عيونه ويضغط على أسنانه وهو  
يقول مهدأ:

لا تلاب بي يا وليد.

فالتفت أصصبي من سيطرتي وقتاً حافاً:

توملاً تريد مني أن أعمل الآن ٢٢ أرفع الفتاة على العودة إليك ٢٢ ليس لديك اعتباراً  
لمشاعرها هي وإزالتها ورجعتها هي ٢٢

فرد مباشرة:

أنا أكثر منك معرفة.. بمشاعرها هي.. وإزالتها هي.. ورجعتها هي.. وأنت..  
أنت.. يجب عليك أن تتدخل لوضع حد لهذا.. يجب أن تكفيها ما لا تريد هي أن تكفيها..  
يجب أن تجعلها تستيقظ من ألامها المستحيلة التي لا تسبب لها إلا الأذى وتترقب عن  
خطر مشاعرها على الشخص الخطأ.

فوجدت بكلام لني للحد الذي لزمني زمن طوي حتى أستيقظ من طور المفاجأة...  
ولما استيقظت كان لني قد انصرف...

ذهبت إلى غرفتي... وجلست على سريرتي... واستخرجت فساتين صورة رعد  
من محفظتي المخبأة تحت الوسادة... وجمعتها... ونظرت إلى وجه رعد... وتألمت...

هل أن الأوان... لأن ينتهي كل شيء يا رعد ٢٢

هل يعمل... لني سأمنظر للتخلي عنك... بعد كل هذا ٢٢

إيه يسألوني على عيالك يا رعد... هل سأضعي بك من أجليه ٢٢ هل سأقبل نكته يا  
رعد ٢٢ هل سأعزو ٢٢

هل أنا أستطيع نكته ٢٢

وضعت الصورة إلى سريرتي وعصرتها ببعضتي وهفت...

لا تطع... لا تطع...\*

...

www.lilas.com  
www.lilas.com  
www.lilas.com  
www.lilas.com  
www.lilas.com  
www.lilas.com  
www.lilas.com  
www.lilas.com  
www.lilas.com  
www.lilas.com

www.lilas.com

## الحلقة الواحدة والخمسون

### الأخيرة المنظرة الأخيرة

تركني ولدي في حالة يرثى لها بعد غير عزمه العودة إلى الوطن.. إلى حيث الحرب  
والأعداء والخوف والهلاك.. إلى حيث الشراء.. تنظروا.. أنا يا ولدي مستعدة للقبول بأي  
شيء مهما كان مقابل أن أبقى إلى جانبك وتحت رحمتك أنت..

ولماذا أنا غارقة في أفكارني جامحة دغة لتقتني..

كيف أنت؟ يقولون لك مضمرة عن الطعام؟

وكل ما حصل هو أنني لم أتم عشتي البارحة ولم أتناول فطوري هذا الصباح.  
قلت:

لم يقول ذلك؟

أجاب:

ولماذا فهو قلق من أن يداخلك الإحصاء بسبب الجوع! وأرسلني لتفقدك.

دغدغتي العبارة لإحساسي بأن ولدي يهتم بي...  
قلت:

لم هو الآن؟

أجاب:

أخرج مع نوكر قبل قليل... ذاعين إلى مكتب الطيران.

فوجدت بالجملة وشيقت وقلت:

تعلن شراء الكرة السفر؟

فأولت بنعم، فجن جنوني وسرعت متفلة:

إن يغير موافقه... إن سألني معه..

واقفت نحو الهاتف وأمسيت:

تواصل به وأطلب منه شراء الكرة لي أنا أيضاً.

وخطرت خطرتي نحو الهاتف حين استوقفتني دابة مائة يدها وممسكة بزاوي...  
قلت إليها فوجدت الجد والعزم يفعل من عينيها، ثم قلت:

التفري يا رعد... هل تظن بأنه سيأخذك معه خطأ  
لكبيرات ملامح وجهي وقت مصرتك  
طبعاً سيأخذني معه.. أليس الوصي علي؟ أنت تحت عهده؟  
فقلت بنبرة جازلة:  
كلا... تبارك عن الوصاية لسافر.  
صقلت فيها غير مستوعبة للجملة الأخيرة... فسألت:  
"غداً... ماذا قلت؟"  
فقلت:

كما سمعت... رعد.  
قررت برأسي وحدة ويصرد... كائني أفضه مما ترفقت أثنائي سماعه.. ثم صقلت:  
تكتنين؟

فتطورت إلي دالة متأثرة بتعبيرات الفاعول الطائرة على وجهي ومن ثم تحركت  
جانبها إلى شقة وأسى... وقلت:

أخبرني بذلك بنفسه قبل قليل.. قال أنه وكل السحلي لها سيف لإتجاز الإجراءات  
الرسمية أثناء مكوثه في المستشفى خلال الفترة الماضية.  
رفعت يدي إلي صفري محاولاً السيطرة على الموقف الهيجي المتفوق من قبي أثر  
الصدمة... وعززت رأسي غير مصدقة أن وليد قد فعلها... مستحيل... مستحيل..  
مستحيل.

أطلقت الصيحة وتابعت خطاي نحو الهاتف أريد الاتصال به والتأكد من الخبر على  
لسانه غير أن دالة سمحت سماعة الهاتف من يدي وأخبرني على النظر إليها والسماح  
إلي ما أرادت قوله..

رعداً ماذا ستظنين؟ هل ستظنين منه إعانك إلي كفايته؟ لا تصغي الأمور يا رعد  
ودعيه يتصرف التصرف السليم والأنسب لظروفنا.  
فصقلت متفعل:

"الأنسب لظروف من؟ أنا لا أحب لي في أن أسافر بينما الخطر إن عاد إلي الوطن.  
لا أريد البقاء هنا.. أريد العودة مع وليد والبقاء معه."

فصقلت دالة متفعل:

إلي حني؟

قلت:

إلي الأبد.

فإذا بدانة تملك يدي وتشد عليها وتقول:

وليد لا يريدك أن تذهبي معه.. ثم لا تفهمين ذلك؟ سيعود إلي خطيئة وربما

بأرجوان فريباً.. لقد أحسك إلى سائر لفتي مع سائر.. إنه أكثر شخص يحتاجك ويحبك  
يا رعد.. إنه يمزج بأزمة حرجة.. لماذا لا تفكرين به؟  
سحبت يدي من بين أصابعها وابتعدت عنها وأنا أعتك بالهيار:  
أنا لا أريد العودة إلى سائر.. لا أفعلوا هنا بي.. لا تعيدوا الكرة.. سأذهب مع  
وليد..

• • •

كان لا بد من حسم الأمور ويشكل نهائي حتى يحدث كل هذا موقعه. كنت أفكر في  
الطريقة التي سأخطب بها وليد هذا اليوم... وأطلب منه وضع الخط على الحروف وختم  
الصفحة.

كان الوقت منسحباً وكنت جالساً في غرفتي أحيى نفسي للمواجهة المربكة التي  
سأفتني دقة.

صباح الخير سائراً ألم تبهض بعد؟

صباح الخير.

تأخرتاً ركبت ألباق الطيور.

سكنت مياطرة.

هل استيفت وليد؟

أجابت:

نعم... وهو مع نوكر في مكتب الطيران الآن.

اضطربت تعبيرات وجهي وشردت بعيداً... ولما لاحظت دقة سألني عما ألم بي،  
لما كان مني إلا أن أطلعتها على ما يدور في رأسي منذ الأسس... منذ أظن وليد عن  
عزمه على العودة إلى الوطن... أخبرتها ويكسر صراحةً بلتي في حال رحيل أخي فسوف  
إن أتمكن من العيش مع رعد في مكان واحد وتولي المسؤولية عنها، إلا إذا عاد رباطنا  
الزوجي الشرعي إلى سابق عهده... وإلا... فلن عليه اصطحابها معه وتخليصي من هذه  
التوامة القارعة. كنت سريعاً جداً فقد اكتفيت من الهراء... وإن أستر في لعب هذا  
النور الأحمق...

كأنا أن يأخذها معه للأبد... أو يتركها معي وللأبد.

قلت ذلك متفعللاً... ثم نظرت إلى دقة فرايت على وجهها الأسى والقلق.. وكأنا  
تفكر في أمر ما.

لما الأمر؟

سألتها فقاء فأجابت:

أوه... لقد... كنت مع رعد قبل قليل.

فبهتت أن فيها ما تقوله... فقلت:



ماذا قلت؟

فأجبت بتردد:

تركبتها بعد حبيبتها... مصرة على العودة إلى الوطن... مع وليد.  
عن نفسي كنت أتوقع هذا... لم يلاحظي موقف رعد... لكنني أريد أن أحسم الوضع  
نهائياً مع وليد...

إن... سأطلب من وليد شراء تذكرة لها وأخذها معه وتلقيني.

وسأريت الحائط من عيظي... وسعدت:

إنها لا تريد إلا هو... فبالأخذها معه ويريدنا... أنا تعبت من هذا...

كنت مجرّوحاً من إصرار رعد على موقفها... ولا مجالاً لها بي...

قلت دالة:

لا تفعل... دعه يعود... وسألتها: أنا معه أنا أولاً... لقد نقل الرصدية إليك كما

أفكرني... إن يأخذها معه... سيقلعها بالبقاء معنا.

قلت:

وما الجدوى إن كانت ستبقى معنا وبها معنى معي؟ ألم تزي حلفتها قبل حضوره؟

لا أريد أن يوليئي المسؤولية على فتاة شبه حية... فبالأخذها وأبغضني من هذا العذاب.

مدت دالة يدها وربتت على كتفي وقلت:

أهryn عطفك ألي.

قلت متعمداً:

أنا تعبت... لقد كنت على وشك وضع نهاية لكل هذا... هو من اضطرني طريق

وحطني إلى هنا... هل سيحصل هو عذابي؟

صمتاً برهة... ثم إنا بدانة تسأل:

هل... يعرف هو أنها...؟

فأجبت مقاطعاً:

طبعاً يعرف... وعطيه هو أن يولعها بحزم ويوظفها معنا هي فيه... إلى متى

سيتركها تتعلق به وتجري متخططة خلفه... بينما هو متزوج ومشغول بزوجه؟

قلت دالة مسائلة:

هل... يحينها؟

فاستغربت السؤال التخييل وقلت:

وما أفكرني... المهم أنه متزوج ومشغول بزوجه... وليس شاعراً من أجل

مشاعر رعد...

قلت دالة موضحة:

أعني... ماذا عن مشاعره هو؟

فنظرتُ إليها باستغراب... وقلتُ مستفهماً:  
"مشارع، هو؟"

ورأيتُ نظرةَ إرشابٍ غريبةٍ على عينيها أوحتُ إليّ بأنها تلجحُ إلى شيء... فسألتُها:  
"ماذا تعنين بمشارع، هو؟"

فقلتُ مترددة:

"أعني... بما يشعر به هو... نحو رغد".

فصلمتُ فيها نجاتي الحيرة والذهشة... وقلبتني بنظرةٍ جديّةٍ وكأنها تعترم قول  
شيء مهم... وأخيراً قلتُ:

"مشارع... سأفكر كما قلتَ لي أنني رخصتها الله... عندما زرناها بعد ليلة زفافنا..."  
أكثر كلامها اهتمامي الشديد وسألتها بفضول:

"ماذا... قلت...؟"

فأجابتُ بنبرةٍ جديّةٍ جعلتني أفسف بكل اهتمام وتركيز:

"عندما أخبرتها... عن قرار رغد المفاجئ بالانفصال عنك... وعن حالتها المتقلّبة  
الغريبة تلك... بعد سفر والديّ للحج... وعن بعض التفاصيل التي حصلت... قلتُ أن  
ذلك ما كانت تختار... وأنها... كانت قد لاحظتُ تغيراتٍ على رغد... بعد عودة وليد".

صممتُ أعني لتري مدى تأثير الكلام عليّ حتى الآن... فحطتُها على المتابعة بلهفة:  
"وبعد؟"

فأجبتُ:

"أنا بالفعل... لاحظتُ عليها تغيراتٍ مزاجيةٍ كثيرةٍ في تلك الفترة... لكنني لم أتوقع  
للحظة أن يكون السبب... هو وليد!"

نعم وليد! وليد الذي ظهر فجأة... واستحوذ على قلب رغد... وأبعدنا عنّي...  
واستسلمتُ:

"كما لم تكن ليلاً لا أتوقع... أن..."

وصممتُ مترددةً وكأنها تفتش قول الجملة التالية، شجعتها وقلتُ:  
"ماذا؟ لكي؟"

قلتُ:

"لما أخبرتها عن ارتباط وليد المفاجئ بالفتاة العزراعية... حزنتُ وتألّمتُ كثيراً...  
والغرضني أن وليد... كان أيضاً يحب رغد كثيراً في صغره... كلنا نعرف ذلك... لكن...  
ما لم تكن نعرفه... هو أنه... حسب كلامها وحسبما تعلّقتُ هي منه... أنه... حتى بعد  
خودته من السفر... أعني من السجن... كان لا يزال يحبها... ويحلم بها... وقد صممتُ  
بزواجكما..."

صممتُ في دقةٍ بأعول... غير قادرٍ على استيعاب ما تقول... بقيتُ مطرفاً رأسي

مذعور العقل متفخر الفاء... ثم تطلعتُ بدعشة:

"... ماذا تقولين؟"

فأجبت والمزيد من القلق يظهر على وجهها:

"ربما لم يكن يحتر بي قول هذا ولكن..."

ولم تقم...

فخطرتُ إليها بنطخت... واتسعت حنقاتي بدعشة بالغة... وفكرتُ إلى ذاكرتي فجاءت

كلمات أم حسام لي تلك اليوم...

فإنا بلساني بنطق نون وهي علي:

"هذا... مستحيل!"

وإنا بدانة القول:

"هذا ما قلتك لتي... إنه كان لا يزال يحياها... وأنها وجدت صورة قديمة لرعد عند

ذات برّلا.

• • •

كنتُ في الصباح... قد ذهبتُ مع نوكر إلى مكتب الطيران والشركاتُ لتكثرة سفر  
وأُكثرتُ رحلتي... والتي ستكون مباشرة إلى شمال الوطن.

حاولتُ الاتصال بالمزرعة ويهاتفُ أروى نون جنوي. لكنني اتصلتُ بشيخ أسامة  
واعترضتُ له عن الخطابي المطامير وتكررتُ له لتي سأعود قريباً. كما اتصلتُ بسيف  
وعلمانيته على أختاري...

وبعد عودتي للعزل وفيما أنا أغير العمر المؤدي إلى غرفة نومي رأيتُ سامر يقف  
في منتصف الطريق...

كان جلياً عليه أنه واقفٌ ينتظرني لأمر مهم... وأنا أعرف ما هو الأمر...

فمرحياً سامر... متى استقبلتُ؟

سألته بمرونة فردٌ بالتمسك مباشرة:

أريدُ أن أبحثُ معك.

كان يبدو متعللاً... القوتر يحدُّ تجاعيد متشابكة على قسماث وجهه...

قلتُ وأنا أسيفه إلى الغرفة وأفتحُ الباب:

كفضل!

دخلنا الغرفة وتركنا الباب مفتوحاً... دعوتُ لتي للجلوس لكنه وقف قرب الباب

مستعجلاً على الحديث فراقبتُ أسامة وسألتُ:

أخبرني؟

نظر إلى سامر بنظرة تمزج الحزن والتهفة... والغضب والقهر... ثم قال:

"وليد... سأسألك سؤالاً... وأرجو... أن تجيب عليه بمنتهى الصراحة."

ببرته أصابته بالقلق... فقلت:

"ماذا هناك؟؟"

فركز سطر نظره إليّ وقال:

"أجبت بكل سرور يا وليد".

قلت وقد تعسف قلبي من جنون نظراته:

"سأل؟؟ لقد ألقيني".

لماذا يسامر بزم شفاه ثم ينس قائلًا:

"كيف تشعر... نحو رعد؟؟"

فأجابني السؤال... أذهلني... عصف بفتري على الاستعجاب... أو ربما لم أسمع

جداً... ماذا سأل أخي؟؟

قلت:

"عزاً؟؟"

قال أخي وقد زاد ثوبه واحلقت ببرته:

"أقول كيف تشعر نحو رعد؟؟"

وكان يخلق بي بشدة راصداً كل الحركات وجهي ونغزرات لونه... تكاد نظراته

تسلخ جدي لتقرأ ما هو أصح منه... وفجأة إذا به يقول:

"أفأ... كنت... تحبها؟؟"

ولم أشعر إلا بالتماء تقوى لي وجهي فجأة... وتصيغه بلون شديد الأحمر... حتى

أنتي خشيت أن تصيب قطرات الدم من جبهتي مصعوبة بزخات العرق...

أسأل الجملة المفاجأة... وجهي قينتها عينا أخي وهما ترتصان بردي... كان

أخي يكاد يلمني بنظراته ورأيت بعض على شفاه السطر ثوراً... ويكاد يصرخ

منعداً...

عصرت أسالي حتى خرجت الكلمات التالية منه عتوداً:

"ماذا تعني يا سامراً ما هذا السؤال؟؟"

وما كان من أخي إلا أن ركل الباب الذي خلف فريه بعنف وكثر سؤاله بعصبية:

"كبهنتي يا وليد... وسؤالي واضح جداً... قل لي هل فعلاً كنت تحب رعد؟؟ هل

كنت تحبها الآن؟؟ أخبرني قبل أن أجن..."

والحالة فريية فتي اعترت أخي... خشيت أن يحصل لي شيء... فقلت محاولاً

كبت مشاعري والتظاهر بالمرح:

"نعم أحبها"

فرفقتي أخي بنظرة حادة قاطعها بقولي:

"أحبها مثل ابنتي تماماً لما من تولي تربيتها مع والديها".

معاولاً أن يظهر ردي مزحاً ومكثعاً قدر الإمكان... أخي... نظر إليّ بارتياح... ثم  
قال:

"هل هذا كل شيء؟" أجبتني بصراحة:

فتظاهرتُ بالابتسام وقلتُ:

"طبعاً هذا كل شيء!! سامر... ما بالك تطرح سؤالاً مضحكاً كهذا!!"

فأخذ يضحك بي... ثم يشتت النظر من حوالي... ثم يقول:

لكن... دالة تقول... إن أتي لغيرتها قبل وفاتها... ألكذا... كنت أحب رعد منذ  
الصغر... وتعلمي الزواج منها.

فكرتُ بسرعة... بسرعة... في تعبير يطمس الحقيقة في الحال... ولم أجد إلا  
الضحك... أخفي خلفه الأثم المرير...

أطلقتُ ضحكة قوية... بل كانت قهقهة مجلجلة... ربما وصلت إلى أعماق التكريرات  
الدائمة في قلبي وأيقظتها...

ضحكتُ وأنا أوارى النموع خلف طبقات من المشاعر الزائفة...

ولما انتهيتُ من نوبة الضحك المقلعة قلتُ بسفوية مقلعة:

"الضحكتني يا سامر! ماذا تعال!! أنا أفكر في رعد هكذا!! هل سمعتُ عن أبي يمتني  
الزواج من ابنته!! أي سفالة هذا!!"

واقهيتُ من جنيد... لأفرض عن أخي أي عبار متيق من الحقيقة... حتى أنني من  
شدة ضحكتي قلتُ رموشي...

نظرتُ إلى أخي مبتعداً المرح... فرأيتُ الارتياح يتسرب خارجاً من عينيه ويشتغل  
الارتياح إليهما... يبدو أنني أكون نوري بهارة... وأنتعته بما قلتُ... أصدتُ يا ولدي!  
كيف استطعتُ لساعة طلي ذلك!!

نظر أخي إلى الأرض، ثم إليّ... وقال:

"هل هذه هي الحقيقة البهجة!!"

قلتُ مباشرة مؤكداً:

ببركة سامر! لقد ساعدتُ في تربيتها وغريبة دالة... ألا تتكر!! كلاهما مثل ابنتي  
تماماً.

ظهرت العيرة والتردد على وجه أخي... ثم قال مستظماً:

ألف... دالة أريكتني!

وسكت برهة ثم أضف:

أنا أيضاً بدا لي كلامها غير معقول... لا بد وأنه كان سوء فهم!

وعد بكرة:

ألف ولدي!

فابتسمت وقالت:

لا عليك.

لا عليك! فلما سجدت على تقدي طلعنا من شتى الأرواح والمساكن... إلى قلمي...  
أصبحت لديه مذاكرة ضد الخنازير... لا عليك!

صمتنا قليلاً ثم إذا به يقول:

الآن... يجب أن نتحدث إليها بشكلٍ حاسم... ونفهمها بأنك تحبها ونقدم لها الفرعية  
والصريحة كاتب... وأن نُفهمها بأن يقامها هنا... معي ومع دافنة... هو خيرٌ لها من العودة  
معك... فهي تحزم أمتعتها لتتبعك بك.

سندت على قبضتي... وقالت:

الحق!! ومن قال لها قلمي سأخذها معي أصلاً!!

قال لي:

هي تفكر هكذا.. تريد أن تتفق بكذا أليماً ذهبت.

بطلت الحرارة في حطفي وقالت:

أنا لم أعد وصياً عليها.. إنها تحت مسؤوليتك أنت الآن.

قال راجياً:

أرجوك... أهدئها هنا.. أخبرها بأن تتوقف عن عنادها ومصلحتها لي.. إنها ليست  
بمجانبة لمن يؤكدها لها مقدار حتى لها.. أنا سأضعها في عيني.. قل لها تلك يا وليد  
أرجوك.

كنت أنت على قبضتي.. لكاد أقطع أوتار يدي بأظفاري لشدة ما ضغطت...

حاضر يا سامر.. سأفعل ما تطلبه.. أرجوك أنت... بكفي هذا.. التصرف الآن...

قلت بصوتٍ لم يخرج من حنجرتي:

حاضر... سأفعل...

ثم جذيت نفساً طويلاً لجدد به الهواء المنفوق في صدري وأضفتُ بغيره راجية:

سأحدث معها.. لكن... سامر.. أرجوك أنت.. دعها تأخذ وقتها معها طال.. في

التكلم مع الرضيع الجديد.. لا تستعجلها ولا تلج عليها.. خصوصاً الآن..

فتنظر سامر إلى نظرة صيفة وأوماً بالموافقة..

خرجت بعدها من غرفتي راجياً في الابتعاد عن أنظار وكلام سامر متظاهراً بعزمي

الذهاب إلى رعد والتحدث معها... بينما كنت في الحقيقة أفتش عن صحراء شامخة لطلق

فيها صرخاتي أو جبال شامخة أنكها بقبضتي... والمفاجأة... لأستغفب مفاجأة في أسوأ

تواقيت... رأيتها هي رعد ذاتها... تقف في الخارج على مقربة...

رعداً!

رمقتني رعد بنظرة صافية... ورأيت وجهها يكهر ويصفر... ورأسها يقرّ بيدياً

وشعلاً... ثم إننا بها توّلي عطرية إلى الجناح الآخر...

• • •

كنت ذاهبة لأتحدث معه وأطلب منه بل أومس إليه... أن يصطحبني معه إلى الوطن... كنت سأروح له بمشاعري... ورغبتي في البقاء معه هو... أينما كان.. لم تكن لأبه الشغراء... أن يهمني وجودها ما نعت مع ولدي... أن أكرهت للقطر... أن أكرهت للعرب... أن أكرهت للرجب... كنت مستعدة للتنازل عن أي شيء... والرضا بأي شيء... وفعل أي شيء... مقابل أن أظل برفقة ولدي... نعم برعايته وأعطى برويته... وأستضي من فضاء حياته وعطفه القابل لطالما ضموني بهما منذ الطفولة...

ولما أكرهت من عرفته... سمعته يتحدث ويضحك... كان الباب مفتوحاً... وكان في الداخل يتكلم مع شخص ما... توقفت وسمعت بالأصراف... فإذا بي أسمع صوته يقول:  
(أضحكتني يا سامرا ماذا ذهبت؟ أنا أفكر في رعد هكنا؟ هل سمعت عن أبي  
يعني الزواج من ابنته؟ أي سفلة هذا؟)

كان يسخر من مشاعري... يستخف بعيني...

سمعته يضحك... ويذكر اسمي... ويقول إني كلبته نادياً...

وليد قلبي... يسخر مني...!

بعد كل ذلك الحب الكبير... المشاعر المسافة العالسة... التي أكتنّتها له كل تلك  
الوقت... بعد كل أعلامي وأملتي المتعلقة به هو... هو وهو فقط... أقاء يضحك ساغراً  
عنياً

أنا يا وليد تفعل بي هذا...!!

أصمتُ بإعانة كبيرة... وحرج شديد عاتر... وبخذلان عاتق... من الحرب والحب  
القاسي بي...

جرحني ما سمعتُ الجرح الأكبر والأصق والأشدّ عمقاً وإيلاماً في حياتي...

لم أستطع بعد سماح تلك مقاومة فضولي... وبقيت أصمت إلى ضحكات وليد قلبي...  
الساخرة مني... وقلي يضحك... ويتنازل... ويهزل... والذهشة شليني المطرقة على  
الإنسحاب...

ثم كنتُ مطبوعة عليه... لكن... بعد موقفه الساخر مني... وبعد تنازله عني بهذه  
البساطة وكأني قطعة أثاث بلاية... لم أعد أرغب في رؤية وجهه... وسوف لن أتعذب  
معه ثانية... ولن أسمح له بالفتور مهما طرق...

لن أذهب معه... لن أودعه... لن أكرهه به... ولن أفكر فيه بعد الآن...

لن أسمعك يا وليد... أبداً... أبداً

لكبراً توقف الطرق... الصراف ولدي... ولم أعد أشعر بوجوده خلف الباب... أصمتُ  
بوجهي إلى الناحية الأخرى...

لمحت اللوحة التي فضيتُ الساعات الطويلة... في الأيام الماضية... أودعتها كل طفاقي ومواهي لأرسمها مطابقة للواقع... لوجه ولابد... حبيبي ولابد... وهو ينظر إلي ويأوح بيده...

ثم ألق روثها والنظر إلى عينيه... ضحكته لا تزال ترن في رأسي... فنت إلى اللوحة... ولطختها باللون الأسود... حتى جعلتها قطعة من الليل الذي لا ينتهي... وأوقعتها لرضا...

وبعثت كل اللوحات التي رسمتها لوليد ولأبي ولأني... وزميتُ بالصورة الفوتوغرافية بعيداً وسفعت لوح الألوان بالجدار... ثم ارتعبت على سريري أخلط بكلامي بسعالي... وأتفلسي بأهاتي... وكلماتي بصرخاتي...

أنا... من اليوم فصاعداً...

"أكرهك يا ولدي"

• • •

لما بسيتُ من فتحها الباب... ابعدتُ عن غرفة رعد وقتلتُ عن دابة. وصلتُ إليها عبر الهاتف المحمول، كنتُ في جناحها الخاص فقلتُ أن تتقابل معني عن الآخرين فدعيتُ إلى غرفة خاصة لي جناحها.

كنتُ مشوّتاً إثر ما قاله أخي أولاً... ثم هروب رعد مني وذلك النظرة القاتلة التي رميتُ بها ثياباً...

أحسنتُ شغيفتي بانضطرابي فسألتني مباشرة:

"هل تحدثتُ لسامر معك؟"

مما جعلني أيقن أنها تترك ما جئتُ لأجده، فلخصصرتُ الطريق وقتتُ مباشرة:

"ما ذلك الجنون الذي قلته لسامر يا دابة؟"

دابة نظرتُ إلي مطوّلاً ولم تبادر بالإجابة... لكنّها فهمت ما أعني، فقلتُ بصوت جده: "اسمعيني يا دابة... ما كان يجتر بكِ ظل كلام كهذا إلى سامر... إنه يمر بطروف نفسية صعبة... أنت لا تعرفين شيئاً عن الصعوبات التي واجهتها من أجل ترحيله عن الوطن... ليستُ شريكٌ أبني فكرة عن الأمور الطبيعية التي اضطرتُ للقيام بها كي أقتل".

أخضتُ دابة تُسمني إلى بطل الاهتمام، فتابعتُ:

"لا أريد أن يضيع كل تلك حياة... أنا لا تهمني تلك الأمور... إنما يهمني سلامة أخي وأمانه... ولستُ مستعداً للقدح... أو غرض مغامرة مشابهة... تتعرض حياة فيها للخطر... هل تفهمين؟"

وبدا عليها الارتباب والحيرة فقلتُ بتفصيل ألق:

"سامر ارتكب عمالة كبيرة بالضماعه إلى المنظمة المشاعية في الوطن.. كان قاب قوسين أو أدنى من الهلاك العظمي.. أو يعود للوطن ونطاله أيدي السلطات أو الأيدي



الخطبة للمنظمة.. فسيُحتم فوراً.. أنا أريد أن يستقر هذا معكم.. وينسى الماضي.. ويبدأ حياته من جديد.

فكفرت دقة أعيراً بين سؤال وإقرار:

“ومع رعدك”

عصمت على أسناني وشدت قبضتي.. ثم قلت:

“إنه إن مجرد.. على المجازفة بحياته.. وهي تحت مسؤوليتك.. سيحافظ على نفسه جيداً.. كي يحافظ عليها”.

فطرت إلى دقة نظرة مريرة ثم قلت:

لكنها.. أصابت حقيقتها.. لتسر معك أنت.

أطقت النظر في عينيها ثم قلت:

“إن أخذها معي.. مهما حدثت هذا أمر مفروغ منه”.

ثم وقلت وقلت:

“أريدك أن تكوني معي الآن وتغريها بأنني أرغب في حديث مهم معها”.

فوقفت وهي تقول:

“وسافر”

قلت محترماً:

سافر تركه وشأنه.. ولا تحني رأسه بإنهاء عطيرة كهذه.. من شأنها أن تعيدنا

إلى الصفر.

وانسحرت لأعصر فإذا بي أسمعها تقول:

“إن ما أخبرتك به لسي صحيح”

تسمرت في مكاني برهة.. ثم قلت:

“لا أعرف لماذا أخبرتك بالمنسحب ولا يهمني أن أعرف.. فقط أطفئ بكلماتها بعيداً

عن سائر أعمال”.

وإذا بي أحمى بشيءٍ بمسك جرائحي.. ثم إذا بدانة تظهر أمام مرآي وتحنق في

عيني بحرارة وتقول:

“الخيرني أنا.. أعتك بالآ لمتع سافر على شيء.. أتركت فداحة عظمي بإختيار”.

هل حقاً كنت تحب رعدك وترغب في الزواج منها منذ صغرك؟

تملكني الحنق من طرح السؤال الأكد إلانماً في حياتي.. وإجبار أسناني على خيانة

قبي.. قلت ضاحكاً:

تسألني.. أبحر.. بقد أن تكزري قول شيء كهذا على مسامح سافر أو رعد..”

حصلت دقة بي كأنها تحاول قرابة ما يدور بخدي.. حينها كأننا شبيبين يعني

لني.. ما جعلني أشعر بحنين شديد إلى الطفلة القليلة.. خصوصاً هذه اللحظة.. وأنا

اكتشف أنها كانت تفهمني وتفهم حقيقة مشاعري.. في الوقت الذي كنت أشعر فيه.. بأن  
الذنب كلها قد نغلت علي.. ولم يعد أحد يكثرني لي..

وليد.. لماذا أنت غاضب؟ لماذا لا أستطيع فهمك.. لماذا لا تصارحني.. هل سافر؟  
أنت لقي أيضاً.. ولحبتك كما أحبته.. وأتمنى أن تبقى معنا.. وأن تعيش سعيداً ومرتاحاً..

لمست حطفاً وحناناً فائقين في كلمات شفقتي... مشاعر صافية دافئة... لطلما  
لمست لأحظي بمثها منذ سنين.. لم أجد من يعطني بعوضي عنها غير أروى.. التي  
تجسدت عائلتي بها منذ زمن.. ما عرفت أنني قلت عتار..

مكنت يدي وثمنتت على يدي شفقتي معتار.. على لحظة العطف هذه.. وقتت:

سعدتني وراحتني.. في أن تكونوا لثم الثلاثة.. بخير وفي أمان.

وعيناً حاولت دقة إقناع رعد بالسماح لي بالحديث معها.. وانتهى ذلك اليوم..  
واليومين التاليين، ورعد متزوية على نفسها في غرفتها.. ترافعت مقابلتي نهائياً...  
وخل يوم الرحيل...

لنا الآن... أهد حقيقة سفري الصغيرة التي جلبتها معي من الوطن... موشكاً على  
الصغيرة...

سأرحل.. وأترك عائلتي هنا.. بقي هنا.. كل المشاعر.. وبقيت الأحلام المستحيلة..  
سأعمل جروحي بعيداً.. إلى مكان أريد من الثلج.. وأبقها تحت الجليد..  
أخيراً... أن الأول.. لكلمة الوداع..

أخيراً.. يا وليد..

كل لعبة فخر.. وأنت بخير!

فيما أنا أسفل يدي في جوف الحقيبة، أمسكت بشيء ما... كان يترتع في قعرها...  
شيء نغلت حالما استخرجته ورأيت أمام عيني..

أعرفون ما كان؟

صندوق أماني رعد!!

يا للعجب!!

أخضت قلب في الصندوق محاولاً التأكد منه... إنه هو... وهل أتوه عنه؟!  
عسكت من نفسي... بل أطلقت ضحكات لا أضمن لكم أنها لم تصل إلى مسامع  
أحد..

يا للسكين! كيف لا يزال هذا الصندوق حياً...؟! هل لحق بي كل هذه المسافة...  
من شرق الأرض إلى غربها...؟! هل حملته معي دون أن أفتبه؟! أما زال هذا الصندوق  
مصرراً على تكبري بالأمانى العراقية الرسمية المستحيلة... التي حملت بها ذات يوم؟!  
لقد عرفت..

شامت الأقدار أن ألبتة معي.. وأو بدون قصد.. حتى أهبك لصاحبك.. قبل

الوداع.. الذي لن يكون هناك لقاء بعده..

أبدأ... لن تتحمل هذه المضخة التي تكبح في صدري منذ تخلفتني في رحم أمي...  
لن تستمر في العمل لحظة واحدة... بعد أن تخلفتني رعد والأمل الواعم الذي تعلقت به منذ  
صدري... بأن تصح لي...

أبقيت الصنوبر بين يدي... أمام عيني.. وأخذت أسترجع شريط التكريرات القديمة..  
عندما جاءت طفلة صغيرة تحمل كتابها المدرسي وتطلب مني أن أصنع لها صنوبراً  
مثلاً لتلك الصنوبر في الكتاب.. ثم إذا بتلك الطفلة.. تكتب اسمتها الأولى.. وتحتها  
يكتمان.. في جوف الصنوبر..

لما مستعد.. لأن أُنقل روحي بعد نفقة وأنتقل إلى العالم الآخر فوراً.. مقابل أن  
تظهر الطفلة أمامي مجدداً... لنفقة واحدة... واحدة فقط... أضعتها إلى صدري... وأصبح  
على شعرها الحريري.. وأقبل حبيبتها القاعم...

يا حبيبتى.. يا رعد

نفقة واحدة فقط...

التوق المتجرف إليها جعلني أستخرج فصاصات صورتها القديمة.. وألمتها على  
سريزي.. وأحلق فيها.. كنت أهرق في الوقت الضائع.. في الوقت الذي يجب فيه أن  
استيق.. أن أكتب وأصم الأمر.. أن أملك لتلا أهرق السفينة بانهباري..  
وداعاً.. يا رعد..

لم أشعر إلا وأصابعي تطبق على الفصاصات.. تخلفتها إلى صدري فصاصة  
فصاصة... ثم تطويها.. وتغنيها داخل الصنوبر.. هناك.. حيث مقبرة الأممي الميتة..  
التي لن تعود للحياة... ولم أع.. إلا وصورة رعد.. الصورة التي نلت تحت وسائدي أو  
فوق صدري.. كتعب أو حشر سفين.. مئات الليالي وآلاف الساعات... قد اخلفت من  
أمامي.. نهائياً..

وحالت لحظة المواجهة الأخيرة...

كنت سأذهب إلى المطار مع نوار بعد الليل... وكان سامر ودانة سيرافقتنا.. أما  
رعد.. حبيبتى رعد.. ودعوني أقول حبيبتى قدر ما أشاء.. لأنني لن أظلمها بلساني يوماً..  
ولن أقولها في سراي بعد هذا اليوم..

أقول أن حبيبتى رعد قد رفضت حتى أن تخرج من غرفتها لحظة.. لتودعني...  
كانت آخر مرة رأيتها فيها صباح ذلك اليوم... عندما صلبتها قرب غرفتي... تنظر  
إلى النظرة الصفراء.. وتولي عارياً.. أظنها كانت فائمة ليّ تزيد التحدث معي وأظنها  
سمعني التحدث إلى سامر وأوصيه بها.. فتراجعت.. ثم رفضت أن تقابلني..

لم أستطع الخروج دون أن ألقى النظرة الأخيرة... لا يمكنك ذلك... إني لن أراها  
ولن أرى حتى صورتها بعد الآن.. دعوني أقابلها ولو لحظة... لحظة ختامية...

نهاية...  
لا أصعب من هذه الكلمة... لا أصعب من هذه اللحظة... لا أصعب من أن تحاول وصف ما لا يمكن وصفه... بأي شكل...  
طلبت من شقيقتي انتظري في الصلاة... وحملت صندوق الأمانتي وذهبتُ إلى غرفة رعد... طرقتُ الباب وسألتها الآن بالتحول فم ثكن لي... رجوتها وألححتُ عليها مراراً... حتى أتتني.. أهدمتُ عليها وسألتها بالله أن تسمح لي بحدثٍ آخر.. وما كانت تسمح..  
وأخيراً.. فتحتُ الباب..  
كنتُ تجلس على سريرها مواءة ظهرها إليّ... لم تلتفت نحوي لتلمحني نظرة الوداع...  
نابيتها فم ترد عليّ... فتوقفتُ داخل الغرفة مقرباً منها أكثر...  
بعد ذلك انتهتُ للوحات المنصرفة على الجدار... صورة أُنثى.. صورة لي.. وصورة تخفي معالمها تحت سحابة من السواد... لم يكن من الصعب أن أعرف أنها صورتي أنا...  
نظرتُ إلى رعد ولم أعرف ما أقول.. من أين أبدأ.. وكيف أتكلم..  
لعلها كانت رعد تعجز عن مشاعرها بالرسم.. لذا أنا أبدأ شيء سأعجز عن مشاعري الآن يا رعد...  
أخيراً استجمعتُ رذاذ شجاعتي وقلتُ:  
هل هذا السواد.. ما يعطيه قلبك نحوي يا رعد...  
لم ترد...  
قلتُ:  
لا أريدك أن تكرهيني يا رعد... صديقتي.. أنا مضطربٌ جداً.. قل هذا..  
لم تجاوب...  
قتربتُ منها أكثر وسألتهُ:  
ألا تصديقتيني يا رعد...  
وأيضاً لم تجاوب... شعرتُ بالألم الشديد لتجاوبها لي.. في آخر اللحظات التي تجمعنا.. على الإطلاق...  
تصير صوتي وأنا أقول بغيبة شديدة:  
أنا تودعيني يا رعد... سأذهب الآن... وفداً... لا تلتقي ثانية...  
خبطتُ... سمعتُ أمة تصيح من حنجرتها مراراً... تلاها سعال مكثور... ثم شهقات وزفراتٍ شجوة... كانت صفيرتي ليكي... وتخطي عليّ وجهها ونموعها... وكأنها لا تعلم بأنني أحسنُ بها نظراً من قلبي قبل أن تسيل على عينيها...  
www.lilas.com

قلتُ مثلماً...<sup>١٤</sup>

زهد... صغرتي... يتنى المرء منا انتهاء كثيرة ولكن... ظروف الحياة لا تسمح  
بتحقيق كل آمانيها...<sup>١٥</sup>

ورأيتها فلم أرَ منها أي تفاعل...<sup>١٦</sup>

واصلتُ

لما... حاولتُ بكل جهودي... أن أوفر لك العمل جيد... أرنتُ أن... تكوني سعيدة  
ومرتاحة... ومطمئنة إلى حاضرِكَ ومستقبلك... حاولتُ أن أكون... وصياً وإياً جيداً... ثم  
أبذل عليك بشيء... وإن كنتُ فعلتُ... فأرجوك أن تسامحيني...<sup>١٧</sup>

فأطلقتُ رعد آهة بكاء قوية تنوب لها الصجارة... كيف لي أن أعمل...<sup>١٨</sup>  
كأنت لا تزال موشحة بوجهها عني... عصرة على حرملي من النظرة الأخيرة...  
توسلتُ إليها:

زهد... نظري إلي...<sup>١٩</sup>

لكنها لم تفعل...<sup>٢٠</sup>

النظري إلي أرجوك...<sup>٢١</sup>

لم تستجب... بل على العكس... رفعتُ كفيها وألقتُ وجهها خلفها... ثم بعد ذلك لم  
في أن أراها... تنهتُ ورجعتُ خطوة للوراء... وتأملتُها برهة... ثم قلتُ:  
سافر ودانة سيواصلان رحابك... وربما أفضل مني... وأفضل من خاتمتك أو أي  
شخصي كنتُ تتمتين أن... بهم بكاء:  
هنا نعتتُ رعد فجاء فتلة:

لما لا أريد لأحد أن بهم بي... لما لستُ طفلة كما تظنون... ومن الآن فصاعداً  
سأكوني لما الاهتمام بنفسي... واتخذتُ قراراتي... وإذا حاول أحد التدخل بشؤوني... أو فرض  
نفسه علي... فسوف أوقفه عند حدتي...<sup>٢٢</sup>

وكان صوتها مثلماً... وكلامها مهيناً... قلتُ:

لا أحد يفرض نفسه عليك يا زهد... لا أحد يجبرك على شيء...<sup>٢٣</sup>  
وأضفتُ:

لكن... أيضاً... نجد أنفسنا نعلم التصحيحات طوعاً من أجل الأشخاص الذين نعلمهم  
كثيراً... والذين يستحقون التصحیحة... وكما كنا نشعر بأشد الندم... لو بطلنا عليهم...<sup>٢٤</sup>  
ولم تعلق... قلتُ:

الفيهميني يا زهد...<sup>٢٥</sup>

تظنرتُ منها أن تود علي... أن تكلمتُ إلي... لكنها تكلمتُ لسي من أن تمنحني  
الفرصة الأخيرة...<sup>٢٦</sup>

تراجعتُ إلى الوراء... خطوة تلو خطوة... وقلتُ عند الباب... وعيادي متشبكتان

بها.. تكادان تفلتان من مكافئهما.. والغبان هناك..

وداعاً... صغيرتي!

أخيراً نطقت... وأغلقت عيني... وأصغيت عيني... أبتلع المرارة الشديدة التي  
حلققتها الجملة الأخيرة.. وأتممت الصرخ الحارقة التي كانت تغلي تحت جفوني...  
فتحت عيني... ونظرت إلى الصندوق الأمني الذي كان في يدي... والعصر قلبي  
كعاً...

وداعاً ليها الصندوق...

كنت لي رقيقاً شديد الغموض والغمم... طوال السنين...

لقد حافظت على سروركة منذ صنعك بيدي... قبل سننكم أماني وأحلامي...  
وحبيبي.. في جوفك... إلى الأبد!!

وضعت الصندوق بهدوء على المنضدة المجاورة للباب.

وأخيراً... أغلقت الباب... ببطء... ببطء شديد... إلى أن اختفت الفتحة... وانقطع  
حبل الرؤية الممتد من عيني... إلى رعد...

وفيما نحن نهبط السلم أفا وسامر ودانة... خارجين من هذا الجحاح في طريقنا إلى  
قوية... وأنا مستمر في ترميد وتكيد وصلاتي لأخي... ولأختي... إنا بصوت ينادي  
بالفعل فوقنا:

وليد!

لقدنا إلى الجراء... إلى الأعلى... إلى حيث كانت رعد تلبس... وتنتظر إلي...

لم تصدق عيادي أنها قوياتها... ما أصرح ما حلقنا إليها والنسفا بعينها...

أعدت أنت رعد... أجمت لوداعي!! هل رأيت بعيني أخيراً!!...

خط:

هات رعد... وهي ترمي بتجاهي بشيء ما... يرتطم بصجري... ثم يقع أمام  
رجلي...

أردت أن أنظر إلى ذلك الشيء... لكن عيادي رفضت التفكير عن رعد...

وإذا بها تهتف:

المحظ به أنت... فلما لم أجد طقاة لأحفظ بشيء ناله وهي كهذا.

وبسرعة البرق اختفت رعد...

لكن عيني ظلنا تعلقان في المكان الذي كنت تقف فيه... تفتشان عنها... إلى

اختفت فجأة!! أين ذهبت!!

انتهت من ذهولي وحيلتي على صوت دقة نقر:

لما هذا!

لقدت إليها فإذا بها تنظر باتجاه عيني... طأطأت رأسي ونظرت... فهل تعلمون ماذا

رأيتُ؟

نعم... لقد حزرتم...  
صديق الأملاني!!

• • •

وليد!!

تحدثتُ كثيراً عندما رأيتُ بكف أملاني... بعد كل تلك العدة الطويلة التي عليها  
عني... حبيباً ألا يزال يذكرني!!  
مذ بدء ليصافحتني... فلم أجد يدي إليه... تصافحتني يا وليد!! بعد كل هذا الغياب...  
هذا التجاهل والهروب عني... تعود وتصافحتني!!  
أروى!... إن تطمئني عني!!  
سكنتي وبيد لا تزال معلقة تنتظر مصافحتي... وعالي يلفك جوارنا وعني وجهه  
القول... لكنتي لم أكل...  
أنتجتُ بوجهي عنه وقتئذ:  
نما الذي أصابك!!  
سمعتُ عني يهتف رادعاً:  
أروى!

فالتفتُ إليه وإلى وليد وقتئذ:  
وصلتُ متأخراً جداً...!

وليد طامطاً يرأسه ليريني اعتذاره ومدى ندمه... ونكّم قائلًا:  
أمريتُ بلزومة حرجة جداً يا أروى... سأشرح لك...  
قلتُ:

كنتُ مضطراً...!

فجاء عني يرد عني... فقلتُ وقد ألفتُ أوصالي:

كل هذه العدة يا عني وهو غير موجود... يسافر ويرحل... ويغيب كل هذا  
الزمن... دون خبر... دون كلمة... متجاهلاً لي... متناسياً وجود زوجة في حياته...  
وأتريد عني أن أستقبله بترحيب!!

قال عني:

ليديك الله يا ابنتي دعينا نسمع منه ما حصل أولاً.

فما كان عني إلا أن انسحبتُ من المكان وخارجتُ إلى قلب المزرعة.

بعد مرور فترة... جاء عني إليّ وطلب عني الذهاب معه للتحدث مع وليد فأبيتُ.  
أخبرني بأن وليد شرح له الظروف الحرجة التي مرّ بها وأنها كانت بالفعل خطيرة،  
ورجاني أن أفسحني إلى وليد وأسمع منه سيرته. وافقتُ من أجل عني الذي كان قلقاً

بشأن عائلتي مع وليد... والتي أحفظها أنا... انتهت منذ زمن...

في المنزل... تركنا خالي بمفردها وذهب ليصنع القهوة... وليد بدأ الحديث بالسؤال:  
كيف أنتِ أروى؟

وحقيقة استغزني تلك السؤال كثيراً... كيف تتوقع أن أكون وزوجي قد هجرني منذ  
فترة طويلة وأنا في أوج عزبي على لسي الرحلة؟؟  
لذا قلت بجماد:

أرحوك وليد... لا داعي لأي كلام جاني... أخبرني فقط بما أخرجت به خالي  
والختصر ما أمكن؟

نظر وليد إلي نظرة حزينة جداً تنظر القلب...

انتهيت الآن فقط... إلي أن شكك في تنزي... ككته كبر عشرين عاماً... كان شامخاً  
ذليلاً منحني القامة... يبدو مريضاً ومرهقاً جداً... وكان شعر رأسه ونقته طويل وغير  
مرتب... عيناه كانتا غائرتين وجفونه مسودت... شكك كان مكثفاً..

قلت:

حسناً يا أروى... أنا إن اضبط عليك في شيء، قد أخذت كفايتك من الوقت لتنظر  
وإعادة النظر والتفكير والتقرير... ستكون تحت إمرتك فيما ستقررون بهما كان... فقط  
اسمعي مني مبرراتي... وموقفي...

قلت والاهتمام بخروني:

كفضلي:

وبدا وليد يقص علي ما حصل مع شقيقه ومعه.. ما اضطر لقلعه وكيف تصرف  
وإلى من لجأ وكيف سارت الأمور معه منذ اللحظة التي فارقت بها تلك الليلة، ليلة أن  
حضرت له عشاء مصالحة فزكتي وذهب إلى أخيه... وإلى أن عاد إلي هذه اللحظة...  
أحداث بدأت أهرب إلى الأكتام منها إلى الواقع... عطف... زجر... شرطة... مطرقة...  
هروب... مرضى... مستشفى... أحداث رهيبة القعر لها بنتي... وذهب لها قلبي والعصيرت  
مشاهري... أمور فقلت أبعث نوافلتي واستصعب علي استيعابها دفعة واحدة..

كان وليد يتوقف من حين لآخر.. يلتقط أنفاسه.. ويشرب جرعة من كأس الماء  
البارد الذي طلبه من خالي.. ورغم أنني طلبت منه الاختصار منذ البداية، إلا أنه ذكر  
لكثير من التفاصيل بل وحتى بعض الأيام والتواريخ والسماعات... والتفاصيل المبالغ المثالية  
التي سمعتها من المصرف وكيف وأين صرفها.. وأسماء بعض الأطباء الذين أشرافوا على  
علاجه وأسماء بعض الأثوية..

كنت أصغي إلى كل ذلك دون أن أقطع.. كنت أجاوب معه عبر الاتصالات التي  
تطرا على وجهي كلما ذكر شيئاً مثيراً... وحقيقة كان كل ما تذكره مثيراً ومثيراً...  
ثم ماذا؟



سأته بتتوق عندما رأته يتوقف عن الكلام أخيراً وقد انتهى من سرد كل الأحداث... فأجاب:

تم استقلت سيارة أجرة وجات مباشرة من المطار إلى هنا...  
سألت راحة في المزيد من التأكيد... فقد يكون قد أفلح عن ذكر شيء هو لدي أهم  
من التفاصيل التي ذكرها:

"جات بمفردي؟"

أشار من حوالي وقال:

كما قرين...؟

أصمت برهة أفكر وأتأمل... ثم سألت:

تم ماذا؟

فنظر إلي وقال:

أبعد عليك.

أستفهم هذا؟

وأبد الآن معي... بمفردي... فركت مصوريته المتصلة في آخر العلم وعاد إلي...؟ هل

هذا صحيح؟ هل تخلي عنها من أجلي؟ هل تركها هناك... وعاد ليظني معي أنا؟

أبدا وأبد ينظر إلي وكأنه يريد معرفة ردة فعلي... لم أكن واثقة بما أريد أن أقول أو

أفعل... لكن هناك شيء... كان السبب في انفراقنا... فهل زال تلك الشيء حقاً؟ هل

انتهى؟

سأته من جديد:

وماذا عن أبنه صكك؟

فهو أهم أمر فرقنا... ولاحظت العزن الذي اعترى وجهه لسماحه السؤال...

واستغراقه في التفكير قبل أن يجيب:

تم بعد موجود معي.

وأشار إلي ما حوله ليؤكد أنها ليست معه... لكن... لما لا يهمني أن تكون فيما حوله

ما دامت ليست في داخله...

أثرت بسبباني إلى صدره وقتاً:

ولا هذا؟

فهم وأبد المعزى من إشارتي... وأبعد بصره عني بقلة حيلة... ثم عاد ينظر إلي

وقال:

سأعديني... في إزالتها...

ظهرت الحرارة الشديدة على وجهه وأبد... وأسند رأسه إلى المقعد وأغمض عينيه...

وقال بألم:

فلما تعبت... وأريد أن أرتاح... أم... كم أنا مرهق.. مرهق جداً..

عيناها اهتزت بشاعري وسأحت منسابة نحو وليد...

أحبته... أحبته ولا أفرى إن كان قلبي يستطيع أن يفكر له... عطشاً حب فتاة أفرى..

هل أستطيع أن أستعيد؟ هل يمكنني المعاودة؟ هل سألتج في القلاع حبه الضيق..

وذرغ حتى أباد... دافع قلبه??

أنا.. أفرى.. هل سأستطيع??

كنت أجلس بعيداً عنه ولما رأيتُه على هذه الحال... اقتربت منه وجلستُ بجواره

وطوقته بنواصي.. وليد ودون أن يفتح عينيه ألقى بقل رأسه على كتفي وابتعد وعصا!

أريد أن أرتاح..!

لم يشرب وليد القهوة... ولم يتناول العشاء إذ إنه قال أن معدته تواسه ولكني بطبق

المهلبية قباردة... وبعدها ذهب للاستحمام.

كان وليد قد فكر على العشاء أنه يرغب في قضاء هذا أيام هنا في المزرعة إلى أن

تتصن صخرة معدته ويقل قسطاً وقرأ من قرأحة... لذا حصلت عطية سفره إلى غرفة

نومه وبدأت أفرغ ملابسها وأمسحها في الخزانة...

لمست شيئاً كان مشهوراً بين الملابس... وكأنه قد شمرَ بينها بعد فراغها... ولما

استخرجته... أذهنتني وفاجئتني أن أكتشف أنه... تلك العطية!

هل تذكرون العطية الورقية الأسطوانية الشكل، التي رأيتها في غرفة وليد في منزله

في المدينة الساحلية، ورميت بها في سلة المهملات...??

هل تذكرون كيف الفحل وعصب مني كثيراً ثم استخرجها من قعر السلة وحطرتني

من لسبها ثانية??

هذه العطية الطويلة المسجدة هذا الآن!

هل تعلم أن وليد... يسافر من بلد إلى بلد... حاملاً معه شيئاً كهذا??!!

أضحت أتلألأ العطية... والمواهب والمصنوعات الطويلة التي تغطيتها... وكلمة (سندوق

الأماني) المكتوبة عليها...

وكان للعطية فتحة صغيرة في إحدى قاعدتها يمكن من خلالها إدخال عملة معدنية أو

ما شابه...

ليس لدي أي شك... أن هذا الشيء يتعلق برغد...

حسناً يا رغد... سأساعد وليد على التراجع... نهائياً...

بعثت عن طرف الشريط اللاصق الذي يربط قاعدتي الأسطوانة بحسبها...

والزحمة...

فبعت العطية... ونظرت إلى ما في الداخل... كانت مجموعة قصاصات ورقية

مطوية...

أرغبتُ معنوي العلية على سرير وابد فإذا بي أجد بينها قصاصات لصورة  
فوتوغرافية مزركة... سرعان ما اكتشفت أنها صورة رعد... نفس الصورة التي قبضتُ  
عليها مسجلة تحت رسائد وابد... في غرفة نوم... في منزله في الجنوب... هل خطأها  
هنا... بعيداً عني??

أرحتُ لجزء الصورة المزركة جناباً ونظرتُ لبقية القصاصات... ترى.. ماذا تعوي  
هذه الأخرى??

ترددتُ قليلاً ثم قرزتُ أن أفتح القصاصات وأطلع على ما تحتويه...

كنتُ أسمع صوت خرير الماء وحركة وابد في الحمام السجور...

قرزتُ في سريري... (سأفحصك يا وابد من كل شيء... يتعلق برعد... سأرى  
منها... تماماً...).

كان هناك خمس قصاصات... تناولتُ إحداها... وكأني أعود لمعرفة ما عساه يكون  
مخياً فيها...

[أتمنى أن أصبح رجل أعمال كبيراً ومهماً]

لا بد أن هذا خط وابد! لظلمة أخروي بله كان يحلم بأن يصبح رجل أعمال  
تالهما... مثلما كان والده!

[يا رب انظري عين ساهر]

وهذا خط طفولي والعروف كبيراً وغير مزركة!

هل يُعقل أنه خط وابد?? كم كان عمره آنذاك!!!

تابعتُ فتح القصاصات بقبول أكبر... لا بد أنها كانت لمبات وابد منذ أن كان  
صغيراً!!

القصاصة التالية...

[أريد أن أصبح ابنة عني رعد زوجة لي]

تسمرتُ على ومعني عندما قرأتُ هذه القصاصة... كان خطأ واضعاً ومرتقياً...  
شعرتُ بنفضات قلبى تتسارع بشدة... وبقيتُ مسجلة في الورقة ليرها أجد قرائتها مرة  
بعد مرة... لكن اسم رعد لم يتغير ولم يتقلب...

نظرتُ إلى القصاصتين المتبقيتين... وشعرتُ بأنني فقدتُ الجراء على كليهما...

كان خرير الماء لا يزال مستمراً... وولد مشغول باستعماله.. ولا يعرف ما الذي  
أفعله وعلى أي لمراره أطلع. أتيني ضميري وبعثتُ بإعادة كل شيء إلى مكانه... لكن  
فضولي تطبق على ضميري وتشوكتي لأن أقرأ القصاصتين الأخيرتين فإني عشتي بنا قد  
يكون مكتوباً عليهما... وتشجعتُ وتناولتُ إحداها وفتحتها...

[يا رب ردي إلي وابد أرعوك فلما ياتمة وعشار يخيبتني]

كان تلك مكتوب بخط طفولي... لا يمكن أن يكون لولد... هذه بالتأكيد... لرعد...

لمستُ بالقباضي مفاجرى في سنوري... وأصحتُ قراءةً لمكتوب ثانية وثالثة...  
وشعور غريب يجتاحني ومسورة رعد تظهر أمام عيني كأنها تنظر إلي...  
أعدتُ أقرن بين خط القصاصة التي كتب عليها إيا رب الفج من ماسرا وبين هذه  
الأخيرة... هناك تشابه وأظن أنهما للطفل نفسه... لو رعد...  
يا رب... رة إلي وليد... أرجوك... فلما يتومة... وعشار يخيفني  
يا إلهي...

كانت الجملة مؤثرة جداً... جداً...  
تذكرتُ منظر رعد عندما ألتابها ذعر غريب لدى مشاهدة صورة ابن عني عشار  
معلقة على الجدار في مكتب إدارة المصنع... والشظايا التي رمتها بها... وإصرار وليد على  
كتم دواعي قلبه قدام...

قرأت الجملة للمرة الرابعة أو الخامسة أو العاشرة... لها رب... رة إلي وليد أرجوك  
فلما يتومة... وعشار يخيفني...  
وتصدح قلبي... لم أشعر إلا ونهر من التموج تسلياً من عيني...  
هل يفعل أنني أليكي الآن... على شيء كهذا...<sup>٢٢</sup>

هل يفعل أن وجداني يهتز... على كلمات كتبها رعد وألفتها داخل حبة ورقية<sup>٢٣</sup>  
الفتت إلى آخر ورقة... ولم يطعنني قلبي على فتحها...  
أعدتُ أجد قراءة القصاصة التي في يدي... إيا رب رة إلي وليد... وأتخيل صورة  
رعد... وأتذكر لقلبي الأخير بها في المرزعة... حين طليت منها أن تتسحب من حيلتنا لنا  
ووليد... والتموج التي فاضت في عينيها... وفولها أن وليد هو كل من لديها...  
ثم إنظر إلى أجزاء صورتيها الفوتوغرافية المسزقة... وأشعر بشيء يمزق في  
داخلني...

يا إلهي...  
لماذا أشعر بالثيب الضعير... وكأني ارتكبتُ جريمة في حق هذه الفتاة...<sup>٢٢٢</sup>  
لماذا قلبي مقروض هكذا<sup>٢٢٣</sup> لماذا صورتيها ترابني هكذا...<sup>٢٢٤</sup>  
لماذا كانت تسأل الله أن يعيد إليها وليد<sup>٢٢٥</sup> ولماذا كانت خائفة من عشار؟ لقد مات  
عشار ابن عني قبل تسع أو أكثر... ما الذي جعلك تخافين منه يا رعد وكنت بالكاد طفلة  
صغيرة...<sup>٢٢٦</sup>

نظرتُ مرة أخرى إلى القصاصة الأخيرة وجرفني العنول إليها... فاجتبتُ نفسها...  
وهزرتُ أن أفتحها...  
مددتُ يدي ببطء وارتعد... كنتُ خائفة من أن أجد فيها شيئاً مؤلماً... لكن... ألا يحصل  
أن أجد فيها شيئاً مبهجاً...<sup>٢٢٧</sup> حسبتُ الأمر وفتحتها أخيراً... وقرأتُ ببساطة ما كتب  
عليها...

هتظف تجمعتُ تماماً عن الحركة... وإذا بالتموج الغزيرة لتسكب متواصلة من  
عيني... وأنا أعلق مذهولة في الكلمات المبهولة.. المكتوبة عليها... بخطٍ ملغولي يريء  
ومبعض...

في ذات اللحظة... ظهر وايد فيها فائماً من العتائم...

وايد رأيتي... ورأيت العتبة الأسطوانية موضوعة إلى جانبي على السرير... وأجزاء  
الصورة الفوتوغرافية.. والقصاصات الورقية مبعثرة لومي... والقصاصات لغيره... معلقة  
أمام عيني الدامعين...

وايد أهدل... شيق... ثم هتف صارخاً:

لما الذي فعلته!!!

وجاء مسرعاً وتناول العتبة من على السرير وراح ينظر إليها وإلى الصورة  
والقصاصات وإلى... ثم بصرخ:

كيف فعلت هذا!!! كيف تجرأت!!! كيف سمحت لنفسك!!!

عند ذلك... طأطأت رأسي وأغفيت عيني خلف يدي اليسرى... فيما يدي اليمنى لا  
ترال ممسكة بالقصاصات الأخيرة...

لم أشعر إلا بالقصاصات تطير فجأة من بين أصابعي... ثم لم أسمع... إلا أفعال قوية  
أقرب إلى الصراخ... انطلقت بغثة متلحمة من أصابع أصابعي... صدر وايد.. كرتة صداعها  
حتى وصل إلى آخر آخر العالم...

• • •

www.lilas.com

www.lilas.com

www.lilas.com

www.lilas.com

www.lilas.com

www.lilas.com

www.lilas.com

www.lilas.com

www.lilas.com

www.lilas.com

## الخالقة: أنت لي

انتهينا من التسوق، ونحن نعمل حاجتنا إلى الشفا. اليوم هو الثالثون من شعبان  
وهدأ هو أول أيام رمضان المبارك. نحن في موسم الشتاء، وصديقي العزيز يقم في هذه  
الشفة الدافئة نسبياً وحيداً، ولا يجد أمامه غير الأطعمة المعطية يتناولها على الطلوع.

وبالرغم من أنني ألح عليه كي يشارك عائلتي موك الشهر الكريم غير أنه يرفض.  
صديقي وأعرفه عز المعرفة!

أين أضع هذه؟ في المخزن أم التالفة؟  
سأته وأنا أفسد بعبء الزيتون الأسود فتناولها مني وقال:  
هات!

رفعتها وسكب بعض محتوياتها في طبق وقال:  
تفضل... شاركني العشاء الليلة.  
ابتسمت وقلت:

تكرأ يا صديقي... لم فاني في انتظارى الآن...  
وتناولت بعض حبات الزيتون على عجل ثم قلت:  
إين سأذهب الآن... هل تحتاج أي شيء؟

فأجاب:

ألف شكر!

والمصافحة وضاغرت شفته.

والد يعمل موظفاً في إحدى الشركات ويقم في هذه الشفا منذ عدة أشهر بعد أن  
هجر المنزل الكبير الذي كان يقم فيه وحيداً، والتقى مع عائلته على عروضة للبيع. كانت  
تلك خطوة سيئة في حياته وأنا من أرحم له بها وشجعته عليها وسهل له العثور على هذه  
الشفة، إذ إن والد كان لينسحب بالجنون لو استمر في العيش وحيداً هناكه تحيط به أطراف  
أفراد عائلته... وتكرياتهم المولمة...

كان والد بحاجة إلى مبلغ مادية يمدّ بها الفروض الكبيرة التي كان قد استدانها من  
مؤسسة البحري ليعطى بها مصاريف سفر شقيقه وإقامته في الخارج...

باع سيارته الجديدة القديمة، وسيارته القديمة التي عثقت في شمال البلد، وكذلك  
سيارة وشقة أخيه، ومزل عائلته في الشمال، بالاتفاق والتسويق مع نويه... والشري هذه  
الشفة وسيارة متواضعة... ويتنظر وصول عروضة جيد لبيع المنزل ويحصل على نصيبه  
الشري منه فينتصن ويمنعه المادي.

هل تتساقطون... عن السجدة أروي البحري??

اتصل عنها بعد عودته من الخارج-

مرّ ولید بفترة عصيبة للغاية عند عودته لوطن، اتصّله عن خطيبته السابقة، انقطاعه عن العمل، تدوير وضعه المالي، والصعي والتفسي، واستدعائه من قبل السلطات مرات ومرات من أجل التحقيق في قضية اختفاء شقيقه سامر، المطلوب أمثياً. لقد عاصرتُه في تلك الفترة.. وحاولنا أنا ووالدي دفعه بالكسبي ما كان لدينا.. وكنتُ كلما زرتُه في تلك المنزل رأيتُ الوجوم يخيم على وجهه.. وكلّما حاولتُ مواسلته وتشجيعه انهار ويثني صومه والفرط يحكي لي ويصف.. كيف حيس شقيقه في هذه الغرفة أو كيف لفته كالجثة في تلك السجدة.. وكيف هاجمه رجال المباحث وأوسعوه ضرباً وكيف امتلت أيديهم الخسيسة لتطال ابنة عنه.. وكان كلما ذكر ابنة عنه تقبّلت تعبيرات وجهه وخرق في مראה صبيحة.. وكان.. لا يزال يحتفظ بعكازها وهاتفها المحمول وأشياء كثيرة تخصها رفض التخلّص منها..

لم تبدأ الأمور وتتخسّن بعض الشيء إلا مؤخرأ... ووليد الآن يحاول جاهداً أن يتغلب ويعود للعيش الطبيعي... يحاول أن يبدأ حياته ريسد الفراخ الكبير الذي خلفه فراق كل من خطيبته السابقة، وشقيقه، وبالطبع... ابنة عنه.

بعضي أوقاتك بين العمل نهاراً والدراسة في المعهد ليلاً، والتجائل الزيارات أو عبر بعض المعارف أو بلقادي الرياضي أو نكزه عند الشاطئ في بعض أيام العطل. كنتُ أحاول أن أساعده ما أستكفي... حتى يجتاز الفترة الحرجة من حياته ويبدأ من جديد. ولما عندما اتصل بي سامر يوم أمس وسألني عن عنوان شقة وليد... توجستُ خيفة.

أخبرني سامر بأنهم سيحضرون لقضاء شهر رمضان في الوطن... وأنهم يريدون مفاجأة وليد. وليد كان يتعاشي الاتصال بأهله إلا قليلاً لأن ذلك يقرب عليه المواضيع حسياً يقول. لم أتنا أن أوتّره ولا أن أهد مفاجأة فكتبتُ لها عنه... لكشفي في خشية من أن تعبه هذه الزيارة أراجحه إلى الوراء..

الحرب لم تضع أوزارها بعد لكن الحكومة تبتلت ووضع البلد بشكل عام يسير للأفضل وبعض الأمر المهاجرة عانت إلى وطن مؤخرأ.

حالما وصلتُ إلى منزلي أخبرني أم قادي بأن أهدهم قد اتصل قبل قليل بمسأل عني وأنه ترك رقم هاتفه للاتصل به في أقرب وقت.

اتصلتُ بأرقام، فإذا بذلك الشخص هو لاعب كرة القدم الشهير... فوكر!

• • •

طبق من الفاصوليا السلطنة... وشريحة لحم مقليه... مع أصابع البطاطا المقلية...

وبعض الخبز والزيتون والتورا

أه ومافأ بعد??

نعم... العصورا

التيبت من توزيع الأطباق على العائدة لمريخة الشكل والمسفرة العجم، المترنحة  
في آخر المسألة أمام المطبخ مهكرة، وجلست على أحد المقاعد الأربعة التي تحيط  
بعوائبها.

هذا جيد للإقطار في غرفة الشهور الكريم... لك الحمد يا رب والشكر...

كففت الشعر بجوع شديد... وأعدت وجهتي هذه على عجل بعد عودتي من المسجد...  
وما كنت أطلق باليسلة حتى سمعت فرح الجرس...

ومن يكون هذا الآن؟

استغربت... قلنا لا توقع زيارة من أحد وبخصوصاً في هذه اللحظة... كما وأن  
الأشخاص الذين يزوروني في شقتي معدونون... ولا أظن أحدهم يهتم لتناول فطور كهذا  
معها

كنت من العائدة وذهبت إلى الباب وسألت:

من هناك؟

فجاء صوت رجولي يقول:

"هل أنت وليد؟ افتح من فضلك."

لم يكن الصوت غريباً... لا ليس غريباً... لكنه صوت لم أسمع منذ زمن... لذا  
مشبه... لا كنت أكيداً... من هذا؟

من هناك؟

رجلتي الآن صوت نسائي هذا:

"افتح يا أخي"

صوت... دالة... صوت دالة III

مستحيل!!

للوهلة الأولى وجدت... تسمرت على موضعتي... قلنا لا أريد لعلة الجنون تلك أن  
تعترضني مجدداً... لا أريد أن أعود إلى التهورات والتخيلات... لا... أبداً...

هذا الصوت النسائي يقول:

"هل أنت وليد شاكراً أم ماذا؟"

نعم إنه صوت دالة:

فتحت الباب بسرعة غير معتاد... وإذا بي أرى دالة... شفيقتي الوحيدة... تلف

بالفعل أمام عيني!!

وأبداً أخي العيب!

فالت ذلك وارتعت في حضني بقوة وأطقت على جنابها... التفتت خطوة إلى  
الخراء وأنا أخلق فيها غير معتاد لها بالفعل شفيقتي...



يا شقيقي يا حبيبي كم تشقتُ إليها كل عام وأنت بغير عزيزي"  
تقول ذلك وهي لا تزال تطوقني بذراعها بقوة وتمزج وجهها في صدري... ابتعدت  
بعد ذلك لتنظر إلي... فتبقتُ بالفعل من ألبا... ألبا شقيقتي دافنة!  
لوما دافنة!! أي مفاجأة!! لا لكذ أصدق... لا أصدق..."  
قلتُ ذلك وسمعتها إلي وقلتُ جيبها بحتان... عند ذلك سمعتُ صوتاً يقول:  
"أين ذهبنا للتفول!!"

فالتفتُ إلى صاحب الصوت فإذا به نوكر... وكان يتسم، ويحمل في يديه الألتون  
مجموعة من الأكياس... وعلى كتفه حقيبة قماشية كبيرة...  
تراجعتُ لوراء وأنا أقول:

يا للمفاجأة... أنا مذهبول... تفنتلا... ألبا..."  
فدخل نوكر ووضع الأكياس والحقيبة جانباً ثم أقبل نحوي فالتزيتُ منه كي أسمع  
وأعاقه. رختُ به بحرارة... كانت دافنة تلف إلى جانبي فشدتُ ذراعني إلى كل منهما  
وحشتهما على التفول مرحباً...

ألبا وسهلاً ومرحباً... كل عام وأنتما بغير... تفنتلا... حقاً... مفاجأة مذهلة.  
فسرا للأمام واستقرتُ لوراء لأهلق ليلاب... وإذا بي أرى شيئاً مبهولاً... مبهولاً  
جداً... العرس لساني... وجهتي أجمد في موضعتي كالتمثال...  
كفي يا ولدي... أرجوك توقف... لا... أنت لم تكذ تصدق أنك شقيقتُ من عائلة  
الأرواح الظلمة تلك... أرجوك توقف... لا تعد للصفر من جديد... كلا...  
أصغيتُ عيني... بقوة... حتى كنتُ أصبرهما بجلوني... رغبة عني في معر  
لورهم الذي رأيتُه يقف أمامي قبل ثوان...

ترعد... تعالي"  
فتحتُ عيني... بعد الذي سمعته... نظرتُ من جديد... حصلتُ جيداً... وكان  
لورهم... لا يزال واقفاً... يحمل شيئاً ما على ذراعيه... وينظر إلي!!  
لمستُ بعركة من خلفي... ثم رأيتُ دافنة تظهر أمامي... متجهة إلى لورهم...  
وسمعتها تقول:

مفاجأة! أليس كذلك!!"  
ثم تعد بعدها نحو لورهم... وتأخذ منه ذلك الشيء... وتقربه عني...  
نظرتُ إلى ذلك الشيء... حصلتُ فيه... فإذا به ينظر إلي... ويتأعب!  
كان طفلاً في العهد...!!

لنبتُ عيني تنور بين الطفل... ودافنة... واللورهم... تنور... وتنور... وتنور...  
حتى أصابني الارتجاج في شعاعي وانسكنتُ إلى الجدار المجاور خشية أن ألع...  
ولدي!

كان ... صوت ثقيلتي دالة... يهتف يلق...

هل أنت بخير??

أقول نواكر... تناول الطفل من يد دالة... واقتربت دالة مني وأمسكت بذراعي

وسألت:

لماذا لمساعد?? هل أنت بخير??

جذبت أظفاري عصبية متتالية ثم قلت:

إنه... الصيام.

ثم عدت أنظر إلى الطفل... ثم إلى الوهم... بل هي رعد... لأن ما حوالي الآن ليس

وهماً... أنا أحسن به وأبصره جيداً... إنها رعد... نعم رعد...

أقول لكم رعد...

هل تسمعون??

هل تسمعون ذلك??

رعد... فنتي رعد... هي رعد... أم...

أنا... أنا لا أعرف ماذا أقول... لا أعرف ماذا أقول...

تعال... هل أكلت شيئاً??

كأنت دالة... تمسك بي وتحتني على السرور إلى الداخل... ثم تقول موجهة خطابها

إلي رعد:

أظفاري الباب وتعلي يا رعد.

فتخذ الأخيرة ذلك... وتقبعا إلى المقاعد... أنا أجلس على المقعد... ويجلس نوار

إلى يساري واضعاً الطفل في حضنه... وأظفاري ورعد... تجلسان في الجانب الأخر...

أنت على ما يرام أظفاري??

تسألني دالة، فأجيب:

لا ثقلي... أنا بخير.

يقول نواكر:

إننا لم تبدأ التطور بعد?? هذا جيد... أعضرتنا معنا بعض الأطعمة كي تشاركنا.

قلتُ إليه فأراء يهتف... وحقيقة هذا الرجل دائماً يهتف... أسمع صوتاً يُستره

الطفل الصغير... فبدأ به نواكر بلطف...

لحظة!

لكن... لكن...

لبن يسار??

انتهت لثو على عدم وجوده فقلتُ نعر الباب أنك من كونه غير موجود... ثم

سألت:

ماذا عن سامر؟

فأجابته دانا:

بيعت إليك بأمر الفيلان... كان ينبغي أن يحضر معنا ولكن تعرف... غشياً عليه من السلطات.

وأضاف نوكر وهو يضحك:

إنه مشغول قبل الآن.

التفتت جسمي... التفتت إلى رعد بسرعة... اصطدمت بعينيها بقوفا... فارتقت إلى الوراء وقد ظهر الفزع على وجهها...

سمعت دانا تقول:

نوكر! اسكت!

فيطلق نوكر الضحكات المرحة ثم يقول مداعباً:

لكنني لم أقتل الخبز بعد!

ثم دانا يدها وتر من أمامي... وتقرص رجل نوكر بلطف، فيستمر بالضحك ثم يوجه سؤاله إلي:

ماذا علك أنت وأهد؟ هل تزوجت أم ليس بعد؟

كأنت برهة سريعة... لكنني لمعت فيها كل شيء...

يد دانا وهي تقرص رجل نوكر... جانبي نوكر وعما يرتفعان للأعلى ثم ينخفضان بهلج... ويد رعد... وهي تفيض وتضطرب...

جارت نوكر مقتعلاً المرح وقتاً:

ليس بعداً... كما ترى!

وأشرت بيدي إلى ما حولي...

وفي الحقيقة... أنا الفصيح عن خطيبي السابقة... بعد عودتي للوطن قبل عام وأكثر... ولم أطلع شقيقي دانا على الخبر إلا لاحقاً... وقد حذرتها من إقباته على سماع أحد... خصوصاً رعد وسامر...

فبعد الذي حصل لم يكن هناك ما هو أفضل من أن أفتكي وتفتكي الخبيري عنهم... والخبيرهم حتى...

لم تكن أفضل بهم إلا قليلاً للاطمئنان عليهم. كنت أعتك دانا أغلب المرات وأتجنب التحدث إلى سامر... أما رعد... فمسلماً لم يكن لأجرو حتى على السؤال عنها...

أصدر الطفل صوتاً من جديد... ربما كان متقدماً لي من سمعة التكريرات التي كانت تفتني... والتي أبذل قصارى جهدي كي أتتساعفها... التفتت إلى الطفل... ثم إلى دانا

وسألت وأنا أكاد أضحي بسوالي:

هذا... إليك؟

فأبست وقالت:

٢٧

فجرت جلوتي... وأبست الغصنة مرعماً وكنت ألتقي بها... وإذا بها تتابع:  
يا هذه ابنتي!

حصلت فيها... ثم نظرت إلى الطفل... أعني الطفلة... نعم الطفلة... لأن ما سمعها  
ناصية جداً... وجميلة جداً...

ومنتت أصابعي إليها ليس خذها لنام...

لكن انتظروا!

لأن لم أهدم...

عدت أنظر إلى دابة وهي في حدة أسئلة... فإذا بها تصلق في ابنتها بنظرة  
عظيمة... ثم تقول:

أبست جميلة ولبيد؟! سميتها لذي... تيمناً بوالدنا رحمة الله.

ماذا توكر الطفلة إلي وهو يقول:

اسلمي على خالك يا لذي...

تألمت الطفلة وتألمتها برهة... فشمعت بسرور غريب يحتاج عواطف... ضممتها

إلي وطبعت أظلة خفيفة على رأسها... وشمعت راحتها الطفولية البرية...

لما أرقها وأنعها... أم... كيف لم تخبروني عن ولادتها؟!!

قلت معانها دابة فأجابت وهي ترفع حاجباً وتخفض الأخر:

الاتصال بك ليس مهمة سهلة!

ولما أعرف ذلك وأتعده...

لم لا نتم حديثنا على المائدة؟! إننا نشعر جرحاً!

كان توكر...

وقدنا كنا فاصدين التوجه إلى المائدة... وهذه المائدة صغيرة... وقد لا تتسع لنا...

تألمت دابة مقلتها وجالت ببصرها في أرجاء الثقة وسألت:

لأن يمشي وضع الطفلة؟! شكك تيدو صغيرة!

قلت:

نعم... معذرة قلل شيء صغير هنا... في غرفة النوم... من هنا... فضلك!

وأخذتها إلى غرفة نومي... فوضعت الطفلة على السرور وهدت بالمخاض...

هذا قلت بصوت منخفض!

انتظروني!

وأبست نظرة نحو الباب المشرق من أن أهدأ لم يهدأ... فهدت دابة لذي أرتعب في

قول شيء بسرية... فنظرت إلي منسائلة... عندها سألت:

لماذا... عن سطر...؟ أنا لم أفهم.

ابتسمت دابة ابتسامة طفيفة ثم قالت:

اعتد فراقه على لمياء... شقيقة نوكر.. قبل أسابيع.

لنظر أريكتي وأرسلتني إلى نهر الحيرة واقية... ثم خرجت الكلمة من بين شفتي من

دون أن أشعر:

و... رعد!!

ارتسم القلق والألم على وجه دابة ثم قالت:

أمرونا بطرات عصبية... عصبية جداً جداً...!

ثم تبهتت وتابعت:

قررت... الاستقرار عند خالتها... سلفتي هنا لسبعين ثم ذهب بها إلى

التمل... شطم إرت والديها وتقيم مع أيرتها هناك... هذا قرارها الأخير..!

جئتني القهول... وبقيت محملاً في عيني شفتي... أعالول ترتيب ما عرفته من

مفاجآت... هذه الساعة...

رأيتها تسير مغفرة الغرفة... فتبعتها وذغني والقب في الغرفة في موضعه. توجهت

دابة إلى المقعدة وأخذت توزع معويات الأكياس عليها... ثم دعنا للتجلس... جلست

على أقرب كرسي رأيتة أمامي... وجلست هي إلى اليسار... ونوكر إلى اليمين... والمفعد

الأخير... المقابل لي مباشرة... كل من نصيب رعد...

أنا لست بحاجة لأن أصف لكم... أنا أصلاً لا أستطيع أن أصف لكم... سأترككم

لتفكرون هالي... كما تفكرون...

انتهينا من العشاء وأنا لم أشعر بطعمه... ربما لم أكل شيئاً... لقد كنت أراقب ألسان

البطاطا وهي تخفي واحداً بعد الآخر... لكني متأكد من أنني لم ألق منها شيئاً...

من الذي يوجد معنا... ويجب البطاطا المقوية لهذا الحد!!

من الذي يوجد معنا... ولا يتحدث!!

من الذي هنا... ولا أستطيع أن أرفع عيني لأنظر إليه!!

يتحرك أمامي... بهنود... بصمت تام... كآله غير موجود... لكن وجوده طغى

على كل وجود... وعلا فوق كل وجود... ولم يتناهبه أي وجود...

أه...

رعد... صغرتي...

بعد الظهور، قامت الفتاتن ترلعان الأطباق... وفيما هما كذلك سمعنا صوت بكاء

الطفلة... فتركت رعد ما بيدها وهي تقول:

أنا سأكفها!

وذغيت إلى غرفة النوم، حيث كانت الطفلة موضوعة على السرير...

أكترون ماذا خطر ببالي؟؟

إن الحق بها...

ذهبت خلفها مباشرة... ووقفت عند الباب... وهي لم تنقبه إلى بادئ الأمر... جلست

على السرير ورفعت الحطة وهرأتها قليلاً... فسكنت الأخيرة ونامت ببساطة!

أعادتها رعد إلى السرير... ثم هبت واقفة... واستدارت فالتفت لوجهي...!

لقد نظرتنا... التي كانت تتعاشى بعضها البعض طيلة الوقت... هذه المرة لم

تتهرب أموتنا... بل تعالفت عنفاً طويلاً... مثلها... صديقاً...

وبعد حصة النظرات الطويلة تلك... تكلمت بانجاشها وأنا أبيت مضطرب الكيان

والجوارح... كذلك كان الاضطراب مجتاعاً لرعد... فأصابع يديها تتشابك وتفصل

مراراً...

لما صوتت أمامها مباشرة... لا تفصلي عنها غير بضع يوسسات... كتبت أظفالي...

ثم أطلقت زفرة حارة... ثم سمعت لساني يقول لا شعورياً:

"... التفت إليك... صغيرتي".

لا أعرف من أين خرجت هذه الكلمات... لكنها خرجت... ووصلت إلى رعد... فإذا

بوجهها مضطرب أكثر... وأصابعها ترتجف أكثر...

أطقت التحقيق بها... مفتتاً عن رعد... فإذا بي أرى حاجبها بلعقدان ووجهها يحترق

وإذا بها تشيح به حتى وتلتصق جانباً وتسير منجوبة إلى الباب...

استمرت إليها ومددت يدي في الهواء وناليتها بصوت علسٍ راجٍ مثلي:

صغيرتي".

فإذا بها تلتفت إلي وتضرب أسهماً نارية إلى عيني والمفاجأة تقول:

إنك أن ناديني هكذا ثانية".

واستدارت لتتابع طريقها في ذات الحطة التي ظهرت فيها شغفتي دقة مقيلة إلى

الغرفة وهي يدها زجاجة طيب أطفال... نظرت دقة بصرها بينما تم تطايرت بالمرح

واقفت وهي تشير للحطة:

"هل نامت؟ إنه موعد الطبيب"

في نفس الليلة أصرت دقة على أن تقوم بزيارة المنزل الكبير والذي شعرت بحنين

شديد إليه. لم تكن أرعب في دخول تلك المنزل واسترجاع التكريات العيسة فيه غير

لتي لم أجد بدأ من تغية رغبتها.

ذهبت إلى المنزل نحن الأربعة، مع الحطة الصغرى. ومن أول لحظة وطقت لعمري

فيها أرض المنزل داهمتني الأم حادة في كامل جسدي...

بلى نوكر مع ابنته في المجلس، وذهبتا نحن الثلاثة وأمسد بالثلاثة أنا ودقة...

ورعد... نجوب أنحاء المنزل...

لنا اقربنا من غرفة رعد السطية توترت وتوقفت عن السر وتعاثت نغورها...  
ولما سمعنا الترجات رأينا تنكبي على السجاج وكانها تتكبر لحظات الوقوع والكسر  
والخبرة...

ولما نطقنا عرفتها الطوية... طقت هناك..

تابعا لنا ودقة جوارنا تتركب لينا في غرفتها ربما تكلف حالياتها أو تخرج  
تكريها...

هذه الغرفة كنت أخطها كل يوم... أطمئن على طيف سفرتي بجنون... عندما كنت  
أبم هذا وجهاً.. بعد رحيلها..

بعد ذلك سمعنا بكاء طفلة فزلت دقة إلى الملبق المنفي وكنت سأبعتها غير أن  
رجالتي غورتا وجهتهما وفانتني إلى... غرفة رعد...

كنت رعد تكف بجانب السرير وجهنا نعلقان في الورقة المصفاة على الجدار  
فوق السرير... تتكرونها؟؟ إنها أول صورة رسمتها سفرتي لي.. قبل سنين طويلة..  
وهي ما تزال طفلة بالكاد تتعلم كيف تسك بالقلم...

كيف لي أن أكتشف يوماً... ما لم أكتشفه إلا بعد كل تلك السنين...؟؟

أصت رعد بحركتي فالتفت نحوي فجأة... وإذا بالهلع بجانها وبحول وجهها إلى  
صغراء من الصغار... وأصابعها تضرب وأفاسها تتلاحق...

"هل أزعجتك؟ أنا لست سفرتي".

قلت تلك محاولاً تهدئة روحها غير أن يدها التقطت بشدة ثم أبعثت عينها علي  
وخطت نحوي فاصدة الخروج من الغرفة...

لم أستطع التحمل وأنا أراها تهرب مني.. وأفتت عند فتحة الباب وسندت الطريق  
ألسها فوقفتم ألسي في حيرة والتعل ثم رفعت بصرها إلي وأخيراً تطلعت:

تضح يعباً لو سمحت.

وكانت نظرتها ألسي من جعلتها... لكنني لم أزعج ونظرت إليها بوجاه فقلت  
نظرتي بانصب... همت مؤملاً:

سفرتي... أرجوك.

فيذا بها تهلك:

قلت لك لا تتلني هكذا ثانية... لا أسمح لك... وأبتعد عن طريقي فوراً.

تصغرت مذهولاً في مكاني فيذا بها ترفع صوتها نبرة بصحية:

أبتعد هنا.

لما كان مني إلا أن تلتوت جانياً وسط الأهل... وتركنا ببساطة تفتني..

• • •

كنت دقة زوجها بأن تنقل للإقامة في المنزل الكبير عوضاً عن القفق، وذلك

ليستني لها تحضير الموائد الرمضانية المعجزة وبعمرة كما تقول... وعطيت من أخيها  
المكوث معنا أيضاً... فواقف الأخير إثر ما لها.

طبعاً أنا لم يعجبني الوضع ولكنني لم أملك إلا التصياح للطرف لمؤقت، قبل  
رحيلتي إلى بيت خلتي، وبعد الطقنا إلى المنزل، إذا بدانة تقترح علي زوجها أن يتخري  
حصنة أخيها من المنزل ويستجها باسمها.. وتغرينا بأنها تترى المنزل عن الحصنة لصالح  
وليد بعد ذلك..

توكر رجل ثري كما تعرفون، وهو يحيا دابة وينفذ رغباتها. وبهذا تم توكيل  
المعالي أبي سيف للقيام بالإجراءات اللازمة بأسرع ما يمكن.

أنا لا دخل لي بكل هذا إذ إتي لم أرت شيئاً من هذا المنزل بطبيعة الحال، لكنني  
استلمت الحصنة التي كان ابن عمي وليد قد نقل لي عنها من إرث المنزل المعروف في  
الشمال، واستلمت الإرث الذي تركه والدي الحفيان لي، والذي كان عمي شكري قد حركه  
إلى مدينة ماقية في أحد المصارف، وحين وقت استلامها، سأستغل جزءاً من هذه الأموال  
في العودة إلى الدراسة من جديد.

في أول ليلة لي في هذا المنزل اتصلت بصديقتي مراح أسامة والتي كنت قد انقطعت  
عن الاتصال بها منذ رحيلتي عن الوطن.. فألقت عليّ أخبارها في منزلها في الليلة  
التالية.

كانت تلك الليلة شديدة البرودة، وكانت دابة ترحب بالذهاب إلى أحد المتاجر لشراء  
بعض الحاجيات للمطبخ، لذا استطعنا شقيها إلى منزل آل المنذر قبل أن يذهب معها إلى  
المنجر. ورغم برودة الجو، فبقينا آل المنذر في استقبائنا عند الباب ورحب أبو عارف  
وابنه الطعان عارف بأن عمي ترحباً حسيماً عند لا يقل عن ترحيب مراح الملتهب بي  
داخل المنزل.

فيما بعد وأنا ومراح شبائل الأحاديث والأخبار سألتني:

“ماذا عن الجامعة؟”

فقد أرشعني للطرف على الانقطاع عن دراستي والعملية الفكرية... وتأخر فرصتي  
في الحصول على شهادة جامعية، كما كنت أعلم...

قلت:

“سأعود إلى الجامعة في الشمال”.

فقلت:

“لا تقولي! ألبت بلاة حصاً هنا... إنك أعطي مناسفة لي والدراسة بتونك منة”

فصعكت وقت:

“إن نطقت مني وعصمت المركز الأول”

فقلت بأسلوبها المرح معزوجة برحاء:



أرجوك رافد... عودي إلينا... ثم إن جامعتنا أرفى مستوى من تلك الشمالية.  
قلت:

وأعلى تكلفة!

وابتسمت بقلة حيلة وقلت:

ولا طاقة لي بها حالياً!

قلت مزحج:

"أه صحيح تكفرت... لم بعد السيد وابد شاكراً مديراً للمصنع والشركة!"

حفاً!! أنا لم أعرف تلك! أصلاً لم تكن أريد أن أعرف لي أخبار عنه... وكأنا هيء

بفكره ونحن هناك في منزل دافد، أفسح فوراً عن المجلس.

تبعث مزحج:

والذي وعني حزناً كثيراً لاستغرابه. كنا معجبين به ويكفان له احتراماً وثقة كبيرين!

كنا أيضاً على اتصاله عن شبكة أروي وعن المؤسسة..."

ماذا...!! ماذا قلت مزحج!! السيد... اتصاله عن... أروي!!

فاجاني الخبر... صحيح أنني استغربت عيشه في تلك النقطة غير أنني لم تكن لأبه

بأي شيء يتعلق به.. أصلاً لم تكن موافقة على حضوره اللجنة السلطوية لكن دافد أخت

علي..

لكن هذا الخبر... فاجاني وأدهشني..

قلت ملحة التأكيد:

أ... أعني ما قلت مزحج!!

ظفرت إلى مزحج باستغراب... فكفرت!

ماذا قلت الآن مزحج!! اتصاله عن ماذا!!

قوتس حاجباً مزحج دهشة وقلت مستغربة:

عن شبكة أروي وعن الشركة!!

رفعت يدي من الدهشة ووضعيتها على فمي... وخسقت في مزحج بعينين واسعتين...

مزحج تلكت انفعالاني وهي في حيرة من أمرها... ثم بدأ عليها وكأنها استنجدت شيئاً،

قلت:

لا تقولي... أنك لم تكوني تعلمين!!

سامحوني...

أعرف أن هذه أمور على العمء أن يبدى الأسف حيالها... ويراعي مشاعر

الأخرين...

أنا البطة... لكن...

أنا الأني...

في هذه اللحظة...

أشعر برغبة مفاجئة في الضحك!

لم أنتبه لنفسي إلا وأنا أطلق ضحكة ساخرة.. رداً على مستغربة القدر عني..  
الظراء.. الضخيلة... التي بدلت كل جهودي كي أطردها بعيداً عن وليد في  
الماضي.. لأستحوذ عليه.. والتي كنت أتمنى أن أبحرها كما أبحر رسمة وأهية بقلم  
الرمصاص.. قد انفصلت لمستغربة عنه.. نون تنظري!

يا لأهيم...!!

قلتُ بعد أن فرغت من الضحك إلى مزج وسألت ساخرة:

وأماذا الضحكة؟

فطرت إليّ مستغربة من ردة فعلي.. وقالت:

تسأليني أنا؟

أخيراً طردت السؤال والموضوع وصورة الظراء وصورة وليد من رأسي، وغرقت  
اتجاه الحديث بعيداً...

وبعد نحو ساعة أظننت أن أهلي قد جاءوا فشكرت مزج على حسن ضيافتهما  
وودعتها توديعاً حاراً.. وخرجت من المنزل.

• • •

خرجت من المنزل وأغلقت البوابة الخارجية، ثم غلقت خطوتين نحو السيارة، ثم  
توقفت وتراجعت للوراء.

ربما لم شطونك من السيارة، فهي ليست السيارة السليقة التي اعتادت عليها، فتمت  
الانكدة وانظرت إليها وقلت:

كفضلي!

وربما لم تسمع صوتي لأنها لم تتحرك.. فاطلقت برأسي مستغرباً ولوماًتُ إليها أن  
تعالني.. لكن رعد نظرت إليّ نظرة غريبة ثم سألتني:

أين دة؟

قلت:

ذهبت مع زوجها وطفلتها في مشوار.

وإذا بي أرى رعد تتراجع نحو بوابة منزل آل العطر... واتهم بقرع الجرس! أ  
خرجت من السيارة مستغرباً من تصرف رعد وأقبلتُ إليها وقلت:

أماذا ستعلمين؟

قلت: نون أن تنظر إليّ!

سألتني بدانة وأطلب منها العطور مع نوار لأصطحبني.

عندما شعرتُ بطاعة لوية تخترق صدري.. التزيتُ من رعد وقلتُ متألمة:

لماذا تقطين ذلك؟

فالتفت إلي وأجابت حاتقة:

"وهل تتظن مني أن أركب السيارة معك أنت بمفردتي؟"

وكانت هذه الطعنة أشد من سابقتها... وفتحت رجلي بأن تفرج الحرس فتداركتها

مسرعة:

"أرجوك لا تقطيني... لا نخرجنا مع آل العشر."

فقبضت رجلي حرج الموقف سمعت يدها... قلت:

تعالى للعود إلى المنزل الآن... أرجوك."

فرفقت بزحمة مترددة... ومرّ تيار قوي من الهواء فارتجت له فرائضها... فقلت:

"هيا فالريح تشد."

وما كان منها إلا أن سارت على مضطى وركبت السيارة كثرمة ومكبحة بوجهها

للعلم الآخر... فسلطنا طريق العودة بصمت لعموتي... ووحشة المطير...

عندما وصلنا إلى البيت، أردت أن أبحث معها فهي لم تكلمني منذ حضورها

للوطن، بل منذ تركتها في منزل دالة... قيل أكثر من علم... لكنها وفور دخولها المنزل

أسرعت مهرولة إلى الطابق العلوي...

لحقت بها وأنا أسير منكسر الخاطر... حتى إذا ما اقتربت من غرفتها وجدت الباب

مغلقاً وصوتها يتخلقه وهي تتكلم بغضب قاتلة:

"كيف تخرجين وتتركيني مع رجل غريب بمفردتي؟"

"... لكنه أحمق أنت وليس أنا."

"... عودي فوراً."

هبعت الطابق السفلي... وانزويت على نفسي في غرفة المعيشة والتي عدت أستغلها

كغرفة نوم لي... وجعلت أعض أصابعي حجرة على صغبرتي رعد...

فلمعت دالة مع طفلتها وزوجها بعد نحو ساعة... وسألني عما حصل فأخبرتها

بعواقب رعد مني... ويأذن ذلك حرج شعوري كثيراً... ويأبني سأعود إلى شقتي إن كان

وجودي من حولها يزعمها لهذه الدرجة...

ربما كان الأسى صارخاً بأعلى صوته على وجهي اللحد الذي جعل شفتي تمدّ بينها

وتمسك بيدي بحنان بالغ وقرنت على وتقول:

"لا تخشني هكذا يا أمي الحبيب... إنها... لا تزال تحبك... لكنها أيضاً لا تزال تحقد

لك... كنت تسفر من عواطفها تجاهك."

رفعت بصري إلى شفتي وحسنت بها كدهناً... فأضفت على نظرات الكهف والحب

والتعاطف، وكانت كانت غراً كل ما يدور برأسي وتري ما يخفي في صغري...

وإذا بها تقول:

السنين طويلة... كانت تضع ساعة يدك الرجالية حول معصمها.. كنا نسير معها..  
لكنها لم تأبه بنا.. نظرت إليها كانت مولعة بك منذ الطفولة.. وكانت تنتظرك.. لو كنت  
اعترفت تلك اليوم بحقيقة شعورك أنت أيضاً.. قبل رحيله عنا.. ربما كنا حللنا الموضوع  
بشكل أقل إيذاء.. ألخي سامر لم يكن أبداً يرغب في الزواج من فتاة لا تحبه.. بل تحب  
شقيقه... واكتشف أيضاً أن لفاء كان يحلم بالزواج منها.  
وتوقفت قليلاً تتأمل ذهولي من كلامها.. قلت في ذهني من صراحتها محاولاً  
بتكر الحقيقة:

أما الذي... تهين به؟

لكن دالة أدارت وجهها بعيداً وبسراً وقالت:

"لا تحاول يا وليد! لا جنوني من الإنكار.."

وأخذت تنظر إليّ بنظرات صيفة... كأنها تكشف كل أفكاري.. ثم واصلت:

سامر عظم من رغب بحقيقة ما حصل قبل سنين مع تلك الفتى الذي قلت.. ومحب  
فلكه له.. وكشفت الحقيقة وتمسك السجون.. ربط بين الأمور واستخرج كل شيء.. لذا..  
فرز الابتعاد عن رغب والارتباط بالغيري.. ليثبت لك أنت بالذات.. بأنه يستحيل أن يتزوج  
بفتاة كنت تحلم بها أنت يا وليد..."

في اليوم التالي.. وأثناء تناولنا طبق التحية، ونحن جالوس في غرفة المعيشة نشاهد  
التلفاز... فتكررت شيئاً سرعان ما ذهبت لجليه، وجدت به لمداه نمر رغب...  
رغب هل تفكرين هذا؟

ولنا أحاول الظهور بالمرح عليها فتجوابت معي... عينا تبدأ صفحة جديدة... عليها  
تملح قلمي لحظة لطمئنان واحدة... كانت مجموعة الصور التي رسمتها رغب لي ليلة أن  
وقعت من أعلى الدرج... تنكرونها؟ صور بقم فرسان كنت قد سلّمتها إياها قبل  
سفرها الأخير إلى الشمال.. واسترجعتها من غرفتها السفلية بعد عودتي من خارج  
الوطن...

رغب تناولت الأوراق وراحت تقبها وتلمسها... كنت مبسماً ومنتظراً تعلقاً بحبر  
بخطري بعد موقفه البارحة... لكنني فوجئت برغب تمزق الأوراق وترمي بها شعوي  
وتقول:

"أنا لا أفكر شيئاً كهذا ولا يهمني أن أفكر... ولا تفاني باسمي المجرى، تلبية... هل  
هيبت يا سيد وليد؟"

وقامت من مقعدنا وجررت بسرعة مفاتيح الغرفة، حدث كل هذا أمام مرأى دالة  
وفكر... الذين ظلاً يحمقان بي مذهولين.. ومنتظرين ردة فعلي..

لم أملك نفسي... لم ألتصق الصور بعد ذلك.. خرجت لاحقاً بها ودانة لتأنيبي، غير  
ألني لم أبه بها ولحقت برغب.

أهركتها وهي توشك على دخول غرفتها وإغلاق الباب فقلت تون ذلك...  
الظرفي؟

هتت راجياً... فسرخت غاضبة:

ابتعد عن ظرفي؟

قلت وأنا أمسك بذراعها وأحبقها عن دخول غرفتها:

توقف يا رعد... أرجوك... أطلبني فرصة لأتحدث معك؟

هتت وهي تحاول التناك عني:

أتركني.. لا تلمسني.. لا أريد مساعدك.. ابتعد؟

هتت بجنون:

أرجوك يا رعد... ماذا أفعل حتى تصفحني عني..؟ أظرفني ماذا أفعل فلما تعذبت ما

يكفي.. وأريد أن أستعيدك لي؟

هذا أظرفني رعد يواصل من الضربات على صدري مصعوبة يسيل من التناك

الهاجة..

أنا لست نعمة عليك.. تتناول عنها وقت نشاء.. وتستعيدها وقت نشاء.. أيها

الموحن الكتاب الغدار المنفق... أيلود المنعجر الغشاش... لا أريد أن أرى وجهك

ثانية... كيف تجرو على الحديث معي بعدما قلت بي؟ كيف تجرو على الإساءة بيدي؟

أنت لم تعد كأي.. وأنا لم أعد نعت وصديقتك.. أنت رجل غريب وبغيض.. وأنا أفضل

الموت على رؤية وجهك.. أكرهك... أكرهك... أطلب من حياتي يا يلود..؟

وجرت بسرعة إلى داخل الغرفة وأغلقت الباب...

أنت يعباً وشمالاً بالحق عن كلمة تعبر عن حياتي آنذاك ولم أجد غير شقيقتي ونور

يقان هناك... يراقبان ما يحصل...

ضربت على الباب بعنف وسرخت متفلاً قائل:

لقد فعلت ذلك من أجل أخى.. كيف أتركه يهلك أمام عيني؟ لماذا لا تسمحيني يا

رعد؟ أنا لا أطلب منك أكثر من السماح الآن.. أنا من كان ولا يزال يتعذب أكثر منك

أنت.. أكثر منكم جميعاً.. لكنكم لا تشعرون بي.. لا أجد يشعر بي أنا؟

وضربت الباب ضربة أخيرة... ثم خرجت مسرعاً من المنزل...

• • •

ولم يعد إليه ثانية... وكان هذا الفصل ما فعل.. وصار نور يعمل لطباق الطيور إلى

شقته ويتناولها معه كل ليلة... وصرت أهد القيلي والأيام إلى أن حان وقت السفر إلى

الشمال.. أخيراً..

مررتنا بشقته.. وذهبت دابة مع أختها ونور لكونيهم، والأزمت أنا السيارة - وهي

سيارة استأجرها نور من المطار لدى وصولنا - والتفطرت عودتهما لم أعمل معي أي

شيء من حاجياتي الكثيرة التي كان وليد هو من اشترائها لي في السابق... ولا حتى هاتفي... والذي كنت قد تركته هو والمكاز في غرفتي لدى فرارنا من المنزل مسرعين... تلك الصباح العصيبي... تتكرون؟؟ بعد الليلة الوحشية تلك... حتى أنني تخلصت من الأتساء التي بعثها لي في منزل دانا... لأنني لم أتنا أن يتكرني أي شيء... بلحبيب الساهر...

غاب نور ودانا نحو نصف ساعة وأنا أنتظر على الجسر المتقد... أقوم سيل التكريرات فلا يجتاحني... وأخيراً رأيتهما يظهران عند مدخل مبنى الثقة.. ويظهر وليد معها أيضاً..

التفت نظراتي بنظرته.. فالتحيت بوجهي سريعاً لأتأكد وأتقاضي الأثم الذي يحق له مجرد مرور طيفه على مرأى...

ركب الأتكن السيارة وبدأت تسير على بركة الله مبتعدة عن ثقة وليد.. كنت أجلس في الخلف ويبدو أن أشعر وجدنتي ألفت إلى الوراء وأنظر إلى التلحية التي ظهر فيها وليد قبل قليل.. مدخل المبنى..

والمعجب.. رأيت لا يزال واقفاً هناك... ينظر إلي أنا.. ويبتسم.. ثم يرفع يده بلوح لي..

التحيت بوجهي عنه ونظرت إلى الأمام... وأنا أشعر بأن عيني مقتصقتان بزجاج النافذة... خلفي مباشرة... فلفت برأسي للأمام لأتأكد عنهما... كانت السيارة تقرب من إشارة مرور لنا خلف نوك السرعة ثم توقف عند الإضاءة الحمراء.. نظرت إليه وإلى دانا... ثم إلى اليمن والشمال... كل من حولي في شعبي عني... أظنهم وأفكرهم كانت تسير في اتجاه آخر... لكنني أشعر بأن عيني تحتكأن بي...

التفت إلى الخلف... وأسعدت إلى النافذة وجرها إلى ما خلفها... فإذا بي أرى بدأ لا تزال بلوح لي من بعيد... كانت لا تزال تتمايل بعيداً وشعلاً... تتمايل لي!

حسرتني فجأة تلك اللحظة المريرة... لحظة أن ركبنا لنا وسافر سيارة الشرطة... ومرنا مبتعدين... ووليد واقفاً هناك في بحر الشمس... بلوح لي يده... بلوح وبلوح... وصورته تغشي بصري فلا أرى غيرها... إلى أن اغشى فجأة... وتلاكني من حياتي مثل السراب...

إنها نفس اليد... بلوح لي... بنفس الطريقة...

إنني بنت كل طفاقتي... لأرسمها بيدي... في تلك اللحظة... لوحة الوداع... أفر لوحة رسمتها لوليد... وليد التي... ثم عطيتها بطيقة من الحبيب الأسود...

أضاعت الإشارة الخضراء... سيارة بدأت تتحرك... السرعة أخذت تتسارع... اليد الملوثة أخذت تبتعد... وتصفر... وتصفر... وتصفر... وأخيراً... التفت!

لم يعد وليد موجوداً خلف النافذة... لم يعد وليد موجوداً في حياتي... أنا لم أعد أملك

وليد... ولا صورة لوليد!

توقف.

هتفتُ بفدح لزيد فوكر وجعله يترنح في السير قليلاً ثم خلفت السرعة فيما تكلمتُ

دانة إلى منسائلة:

"ماذا هناك رعد؟"

فكلمتُ بلهفة:

"نظاً إلى وليد... أرجوك الآن".

شابل فوكر ودانة النظرات ثم انعطفت فوكر بالسيارة بعيداً ودار حول المنطقة إلى أن

وصلنا إلى مبنى شقة وليد من جديد.

وليد لم يكن يقف هناك... فقد انقلبي هو وبيده... وخشيتُ أنني كنتُ أصلاً أتوهم

وهو...!

هبطتُ من السيارة ودانة تتابعني متدهشة، ثم تترك مطلقها في حضن أبيها وتعلق

بني...

ركنيتُ بسرعة حتى وصلتُ إلى شقة وليد وفرحتُ الجرس بشكل قوضوي...

سمعتُ صوت وليد يسأل مزعجاً والقاء:

"من هناك؟"

فهمتُ متفهمة:

"وليد افتح لي".

وسرعان ما رأيتُ الباب يفتح ويطل وليد منه بدلاً التضور والندشة زوايا وجهه

والسكاه...

"رعد!!!!"

ولم أشعر بنفسي إلا وأنا أظير وأحط على صدره... ففتح ذراعيه ويطبقني بقوة...

لأي حلق غصتُ بين ضلوعه... لا أعرف... لكنني شعرتُ بالتنوع لغزوني عن

الغري... كان لساني يريد التكلم...

غير أنه عجز عن التعلق بغير (وليد... وليد...).

رفعتُ بصري إليه ونبتتُ في عينيه... كنتُ أرسل الكلام عبر النظرات... وأستقبل

إيماءاته بقلي قبل عيني...

"ماذا فعلتُ هذا بي؟ لماذا وليد؟"

فكلمها مفرونة بالهورة من التمرح... فعد وليد يده ومسح دموعي... ثم توسلتُ تقاسيم

وجهه إلى:

"أه... صغبروني.. حبيبتني.. سامحيني.. سامحيني.. يا أغلى من حياتي كلها.. كنتُ

أحفظاً.. أحفظاً جداً.. أنا لا شيء من نورك يا رعد.. لا شيء.. يا حبيبتني".

ثم أمسك بوجهي بلطفٍ برأعيه.. وأخذ يلمح بأفخلي قهقهة.. تفتح وجهي.. ويشتت  
نظراته بين عينيّ بعملةٍ ويسرة.. وبعضهن على شفاه نازقة ويزترده ريقه الغري.. وأخيراً  
نعلق قائلًا:

الحبك يا رعد.. هل تترجميني؟

\*\*\*

أقيم حفل الزفاف في أحد الفنادق في عيد الحج الثاني، وداع العريسان فيه الأهل  
والأصدقاء... وذهبا لقضاء شهر العسل في إحدى البلدان السياحية، بعد عودتهما... فلما  
في نفس المنزل الكبير...

واتخذنا من غرفة وليد عشاً لهما، بعد أن تم هدم الجدار الذي كان يفصل بينها وبين  
غرفة رعد... وإعادة طلي الجدران وتغيير الأثاث.

في ليلة عودتهما إلى المنزل... استخرج وليد من أحد الأراج الصور التي رسمتها  
رعد له عندما كانت طفلة، وكذلك استخرج من مطبخه صورة رعد الممزقة التي احتفظ  
بها طول تلك السنين، فالتصق أجزاءها بشريط لاصق، وألصقها مع صورته جنباً إلى  
جنب على الجدار فوق السرير. وأخذ يتألمها ويتشم مع رعد بسرور ويقول:

نمعا إلى الأبد!

ثم أخذ العروسان العيشان يرشيان مئاسهما في العزائت، وقتبه وليد نحو إحدى  
العزائن واستخرج شيئاً منها وقال مفاظياً رعد:

تحييتي... تعلى... سأريك شيئاً مهماً جداً!

كفيت رعد بفضول غري ما في يد وليد، فإذ به... شيء أسطواني الشكل...  
مصنوع من الورق... ومغطى بالطوايح اللاصقة!

إستوق الأمل!

أردا! يا إلهي! ألا زلت تحتفظ به؟

تقول رعد وهي تتفكر المستوق من بين يديه بمرح وتثابته ببهجة، فيضحك وليد  
ويقول:

وسأعطيه حتى يضع أطفالنا أيديهم فيه! وسأجعلها تتحقق!

تضحك رعد ثم تنظر إلى وليد من طرف عينيها نظرة تشكك مريحة وتقول:

هل قمت؟ اعترف!

فيضحك وليد ويقول:

أنا! أبدأ... لكنني عرفت ما الذي يحتويه!

تقول رعد متحذبة:

وماذا يحتوي؟

فيحجب وليد!



أفحمه لثري؟

رغد تنظر إلى وليد برحمة... وتقول:

نعم... الآن... لا بأس... بل ويكف ضروري؟

رفعت الصندوق... وأتت نظرة على القصاصات... ثم أخذت تستخرج القصاصة

بعد الأخرى... ووليد معها يقرأ المكتوب عليها...

عندما وصلت إلى هذه القصاصة... نظرت إلى وليد ومشاعر شتى تملأ قلبها...

إنني أن أتزوج من ابنة عني رغد!

وليد...!

هفت بلينة وحلف وسحبة... فطبع وليد قيلة دافئة على بدنها وورثت بلطف على شدة

ذراعها الأيسر القيمة، وقال:

أميتي الأولى... فتي كنت أحش على أمل تحقيقها... أم يا رغد... لو تعلمين...!

وأعانها بذراعيه بكل الحب والحنان... ومسح على شعرها الأملس يرفق... ثم قال:

كلمتي!

وتتابع رغد استخراج الأماني... وكانت الأماني ثقيلة... أم أميتة... فحشى وليد كل

تلك المسنين... يفكر فيها...

بينهم العريسان لدى فرائدها ويقول وليد:

كويختي! جعلتني مجنوناً يا رغد... فقلتُ على وأنا أحزر... من كنت تقصين؟

تضحك رغد ثم تقول:

كان يجب أن تعرف! أنا لا أرى في حياتي [أ وليد] أحكمة منذ لا أعرف متى...

والى لا أعرف متى!...

وليد... وليد قلمي... حبيبي... لقد كنت كل شيء بالتمية لي! كل كل شيء... كنتُ

أشعر... بذلك شيء بخصتي أنا... بكثرة موجوء من أجلي أنا... ويجب أن تكون لي أنا...

أنت لي!...

وليد يسكن برهة، ثم يطلق ضحكة خفيفة، ثم يضم رغد إلى صدره بحرارة ثم يقول:

أعرف... حبيبتي! قلت لي ذلك مسبقاً...

تبعد رغد رأسها عن صدره ثم تنظر إليه باستغراب وتقول:

أنا قلت ذلك؟

فحبيب:

نعم... منذ زمن طويل... طويل جداً...

تقول رغد:

لا أفكر!

فهاكت وليد إليها وينظر باتجاهها ويقول:

لكنكم تنكرون حقاً... ليس كذلك...

• • •

تحت يمين الله والصلوات على نبيه وآله.

www.lilas.com  
www.lilas.com  
www.lilas.com  
www.lilas.com  
www.lilas.com  
www.lilas.com  
www.lilas.com  
www.lilas.com  
www.lilas.com  
www.lilas.com